

شرح

البركة البوصيرية
الشرح المتوسط

تصنيف
الشيخ عبد الرحمن بن محمد
المروفي بابيه مقالين الوهاني

دراسة وتحقيق
الدكتور محمد مرزاق

المجلد الأول

دار ابن خزيمة

مركز الإمام الشافعي للدراسات ونشر التراث

الشافعي

شرح

البُرَّةُ البَوَصِيرِيَّةُ

الشرح المتوسِّطُ

(1)

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

ISBN 978-9953-81-808-5

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث
04، شارع الهواء الجميل، باش جراح، الجزائر
النقل: 00 213 72 74 56 24 :الثابت 00 213 17 02 90 11
Thaalibi2000@yahoo.fr

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

شرح

الْبُرْهَانُ الْبُوصَيْرِيُّ

الشَّرْحُ الْمُتَوَسِّطُ

تصنيف

الشيخ عبد الرحمن بن محمد
المعروف بابنه مقاليد الوهاني

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد مرزوق



المجلد الأول

دار ابن حزم

مركز الإمام الشعالي
للدراسات ونشر التراث

و

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله



کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران
تاسیس ۱۳۵۷

الإهداء

إلى والدي العزيزين

إلى أبي الكريم الذي كدح كدحاً شاقاً من أجل أن أتعلم

إلى أمي ثم أمي ثم أمي الحنونة التي تحملت ألواناً من
العذاب من أجلي

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾

اللهم متعني برضاهما ووفقني للبر بهما

إلى زوجتي التي كانت سنداً لي

إلى ابني ياسر وابتي زينب

إلى إخواني وأخواتي

إلى أحبائي

شكر

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل:
إلى أستاذي الكريم الدكتور أحمد العراقي الذي كان موجهاً ومرشداً
لخطوات بحثي بصبر وحلم

إلى كافة السادة الأساتذة الأفاضل الذين مدوني بالمساعدة
إلى أخي العزيز عبد المجيد فلوح الذي بذل الكثير طوال مدة الإنجاز
إلى زوجتي الحبيبة للأمانة بالعربي التي كانت سنداً وعضداً لي
إلى إخواني وأخواتي: فاطمة وزهرة ويزة وحفيظة وفتيحة وخديجة
ومصطفى وأحمد والحسين وعزيز الذين تحملوا الكثير من المشاق
عوضاً عني طوال مدة دراستي

إلى أخي الكريم محمد السليمانى وزوجته زكية القباچ اللذين
احتضاناني احتضان الوالدين

إلى أحبائي: عبد الصمد فتحي وحسن بناجح ومصطفى عمير ونور
الدين شفيق وعبد الله بلة وعمر محب ومحمد الفوعة وعبد الناصر بن عبو
الذين كانوا عوناً لي

إلى أخي العزيز مولاي علي الطاهري وزوجته للا فاطمة بالعربي
اللذين آويا رحلاتي العلمية

إلى أصدقائي وزملائي الباحثين

إلى الوالد المرشد الحبيب ثم إلى الوالد المرشد الحبيب ثم إلى الوالد
المرشد الحبيب

باسم الرحمن الرحيم

تقديم

لدراسة وتحقيق كتاب «شرح البردة البوصيرية»
للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مقلّاش الوهراني
الشرح المتوسط

بقلم الدكتور عبد العلي المسؤول
أستاذ القرآن الكريم وعلومه بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

إن محبة الرسول الكريم ﷺ لا تنفك عن محبة الباري سبحانه، بل هما متلازمان.

ولقد تفانى الناس في حب ذاته الشريفة حتى يكون ﷺ أحب إليهم من الناس أجمعين، ولا حدود لهذا التفاني ما دام فيه اتباع وامثال، وفيه اهتداء بعلم وعلم كما قال القاضي عياض في مقدمة كتابه «الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى».

وهكذا كان الصحب الكرام رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان معظمين له ﷺ التعظيم اللائق به ومحبين: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿١﴾.

ولقد أفصح كثيرون عن هذه المحبة بكلام منشور وفصل ومنظوم، تحدثوا فيه عن وجوب طاعته ﷺ ومحبه ومناصحته، وتعظيم أمره وتوقيره، والصلاة والتسليم عليه، وذكروا شمائله المحمدية وخصاله المصطفوية.

وإن من أجمل ما نظم في مدح خير البرية القصيدة الموسومة بـ«البردة» من نظم الأديب المحب أبي عبد الله البوصيري الصنهاجي، المتضمنة جملاً

من السيرة العطرة، وطائفة من المعجزات والفضائل النبوية، بأسلوب شيق ورائق.

ولقد تلقيت هذه القصيدة بالقبول من لدن عامة الناس وخاصتهم، فحفظوها، وتغنى بها المنشدون بلحون العرب المختلفة، وتنافسوا في أدائها. وأقبلت عليها طائفة ففسرت مفرداتها وتراكيبها، فكم من شارح لها ومخمس لأبياتها، وناظم على منهاجها.

واعترضت عليها طائفة أخرى فانتقدت بعض أبياتها، ورأت أن فيها مبالغة، زاعمة أنها تشتمل على شرك صريح، مع أن ناظمها احترز عن ذلك بقوله:

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتِكُمْ
وجاء آخرون فنضحوا عن البردة ونافحوا عنها، ووجدوا في كلام الناظم مندوحة وأولوا.

ولقد وجه المشاركة والمغاربة عنايتهم إلى شرحها، ومن أحسن الشروح الموضوعة عليها «الشرح المتوسط على البردة» لابن مقلاش الوهراني.

وما كان لهذا الشرح العجيب أن يرى النور وتداوله الأيدي محققاً موثقاً، لولا المجهودات التي بذلها الأستاذ القدير فضيلة الدكتور محمد مرزاق الذي استفرغ وسعاً كبيراً لضبط متن الكتاب وتخريج شواهد وشوارده، وشرح ما غمض من ألفاظه وتراكيبه، فضلاً عن تصديره الكتاب بدراسة علمية جادة، تحدث فيها عن ابن مقلاش شارح البردة، وعن الشرح نفسه ومنهج صاحبه فيه، وأفصح عن طريقته في تحقيق هذا المتن النفيس.

ولقد ختم هذا العمل بفهارس فنية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار والأخبار والأمثال والقبائل والبلدان والأشعار والأرجاز وأنصاف الأبيات والأعلام واللغة والمصطلحات البلاغية والمصادر الواردة في المتن.

ولقد اعترضت الباحث الأستاذ عقبات كثيرة، بدءاً بجوسه خلال الديار باحثاً عن أصل المخطوط، من قرية إلى مدينة، ومن مسجد إلى زاوية، لكنه بتوفيق الله تعالى وعونه، وبإصراره على البحث والتنقيب، وصبره نفسه مع

المخطوط، واستشارته واستنارته بأولي العلم والنهي من أهل تخصصه ومن تخصصات لها صلة وكيدة ببحثه اقتحم العقبة اقتحام الجسور.

ولقد رزق الأستاذ المحقق صحبة مشرف قدير فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد العراقي، الذي كان نعم المرشد له والموجه.

فللأستاذ الجليل المحقق من محبي المديح النبوي جزيل الشكر، وله من الله الشواب والأجر، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

كتبه

الدكتور عبد العلي المسئول

بعد عشاء يوم الأربعاء

٢٥ محرم الحرام ١٤٢٨/١٤ فبراير ٢٠٠٧ بفس

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه وحزبه
إلى يوم الدين آمين

مُقَدِّمَةٌ:

الحمد لله رب العالمين قيوم السموات والأرضين، الحمد لله الذي نور
بكتبه القلوب، وأنزله في أرجى لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء،
وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكت فصاحته الخطباء، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد، معلم الحكمة، وهادي الأمة، المرسل بالنور الساطع، والبلاغ
المبين، وعلى آله وصحبه وإخوانه وحزبه إلى يوم الدين آمين.

وبعد: إن البحث في التراث الأدبي في الغرب الإسلامي ضرورة ملحة
في عصرنا الحالي، وفرض عين في حق كل باحث ودارس ومهتم، باعتبار
هذا التراث أولاً: وثيقة تاريخية تعكس وتستبين ملامح وفسحات المراحل
التي قطعها هذا التراث عبر العصور. وثانياً: باعتباره يمثل أصلاً من الأصول
الرائدة لحاضر أمتنا بعاضيتها، ولنهضة حياتها الأدبية والفكرية بأمجادها.
ولثالثاً: باعتباره خزاناً ثميناً للقيم الإسلامية والحضارية، التي تبرز شخصية
الأمة وتحفظ لها بين الأمم كيانها المتميز.

ويمتاز التراث الأدبي في الغرب الإسلامي بتعدد مظاهره، وتعدد تبعاً
لذلك وتنوع أنماطه وألوانه وأشكاله؛ سواء تعلق الأمر بالجانب الإبداعي، أو
بالتحليل التصنيفي العلمي والأدبي. وتعتبر الشروح الأدبية الموضوعة على
الآثار الإبداعية والشعرية على وجه الخصوص أبرز وجوه هذا التراث، وأهم
نشاط علمي تصنيفي، وأخصب مجال إبداع استقطب عدداً هائلاً من
الأعلام، فقد شرحوا قصيدة بانت سعاد، واحتفلوا أيضاً احتفالاً بالقصيدة

الشعر الطيبة، واعتصموا اعتصاماً بالغاً بمقصورة ابن زيد ومقصورة حازم القرطاجني ومقصورة المكودي.

«وإذا كان الشعراء قد تكاثروا حول لامية كعب يعارضونها ويقتفون أثرها، وإذا أعجبوا بتائية دعل بن علي: (طويل)

مدارس آيات حلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات⁽¹⁾

وإذا قرضوا كافية الشريف الرضي: (طويل)

أيا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك⁽²⁾

فإن قصيدة البردة قد بزت الجميع شهرة، وسيرورة، ودوراناً على الألسنة، وفي المجالس والمحافل والمنتديات⁽³⁾.

فهي قصيدة جيدة ممتازة، وأشهر وأسير القصائد في بابها، ومصدر الوحي والالهام لكثير من القصائد التي أنشئت بعدها، حيث كانت حل القصائد التي أبدعت بعدها تمثيلاً قوياً حقيقياً لها⁽⁴⁾. بل لم تسطع حلها أن تفلت من نصيب تأثير البردة. وإذا كانت المدرسة المشرقية قد سافت هذه السدح النبيلة نحو الشوذج الذي اطلع على نسخة بالديعية، فإن المدرسة المغربية ظلت وفية للشوذج الفني الذي كشفت عنه قصيدة البردة، وظل هذا الوفاء دوماً يقتل في جبل الشاعرية المغربية، ويشحذ من قرائنها.

أما أثرها في حركة التأليف والدرسي فيرحمه شكل واضح ذلك الاهتمام الكبير بها، والإقبال المستطع النظر عليها، والاعتبال بها. فقد لقيت من العامة إعجاباً رفيعاً واستحساناً فحفظوها عن ظهر قلب، وأنشدها في المناسم والأعياد والأفراح واللياليم والحائلم، ونسجوا بها في الشدائد والكروب والمحن، واستشفوا بها من الأوصاب والأوصام والأسقام. وبواسطتها تعلموا الآداب والأخلاق ورفيع النيم، وعنها تلقوا الفاضل والعالي.

(1) ديوان دعل: (33).

(2) ديوان الشريف الرضي: (198).

(3) البديعيات في الأدب العربي: (35 - 36).

(4) المدائح النبوية: (171).

لقد لعبت الخطاطب بينهم. ومنها هزفوا أبواباً وفصولاً من السيرة النبوية المعطرة. ومن خلالها تلقوا عروساً بليغة في الشمايل، والمخاليل، والآداب، والأخلاق، والسلوك، والزهد، والتقلل.

أما أثرها في الآداب والعلماء والفقهاء فعظيم؛ فقد أقبلوا عليها رواية وحفظاً وتصنيفاً لمتنها، ثم تلقيناً للناشئة وتدريساً للطلال في أعظم المراكز العلمية، ثم تجميعاً ومحاكاة واستلهاماً بالمعارضة والتخمين والتشطير والسجع والتعشير، ثم تأليفاً وتصنيفاً بوضع المصنفات والشروح والملاحظات والتعليق والحواشي والطرز. فقد جاءت شروحيهم الكثيرة متنوعة: منها الميسر الواسع، ومنها الوسيط الكافي، ومنها المختصر الموجز. ومنها الحاشية المفيدة، ومنها التعليق المصيب.

هذه المجموعة الضخمة من الأعمال الأدبية المتنوعة أغنت مجالات التأليف، وعمت رحباً هاماً ومتميزاً في المكتبة الأدبية العربية خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين، فصبغاً يستشطن عدة دلالات وإيضاحات حول تصور أدينا العرب، وزيحات أدبائه، ومواقفهم وأفواقهم. كما أن مضمون هذه الشروح، وما حوته بين ثناياها من فنون الأدب والقصص والأخبار والأسال والحكم والتحرر والصرف والإعراب والعروض والقافية، إضافة إلى الشواهد الشعرية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنكت البلاغية والتفدية، كل ذلك يفتح الباحث ويغريه بالدراسة والبحث والتقصي، للكشف عن مكنون بطنها، ولعرض مذكر علمها وفوائد فرائدها.

وأحلب هؤلاء المؤلفين والمصنفين والشرح كانوا من المستوفين في العلوم العربية والفنون الأدبية، وعلى درجة عالية من التهيؤ والاستعداد لمباشرة النصوص الإبداعية المتميزة والمستنارة. فجاءت مدوناتهم وشروحهم مكتملة مستوفاة، مستملكة مستطابة، تجمع بين الفائدة والمتعة وبين الجودة والطرافة، ليس اللوق والإحسان. فلا نعدم صورة جميلة أو أحياناً رائعة، أو تعبيراً عن عاطفة صادقة، أو لمحة وجدانية معبرة، أو نظرة علمية ثاقبة.

ومن بين هذه الشروح الجيدة والخصبة «الشرح المتوسط على البردة البوصيرية» تصنيف الشيخ عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن مقلّاش فقيه

وهو من المذونات المغربية خلال منتصف القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين، ينتمي إلى العصر المريني على عهد بني زيان بلمسان وبني مصر بن الأحمر بالأندلس. وهو شرح منهج بنحو منحنى شرح ابن سرزوق الحفيد⁽¹⁾ وعلي بن ثابت التلمساني⁽²⁾، ويعتبر من الأعمال العلمية الهامة، ومن الآثار النادرة خلال هذا العصر. وقد اخترت أن أدير عملي على هذا الشرح القيم لعدة أسباب:

1 - أسباب ذاتية:

1 - فكرة التعامل مع قصيدة البردة وشروحها لم تأت عفواً، وإنما جاءت نتيجة اهتمام خاص بموضوع المصاح النبوي، تولد في البداية إثر نصائي الأول في مسجد البلدة بتقصيدة البردة حفظاً وقراءة، وفي المناسبات المختلفة إشاداً، وفي رحاب الزاوية الشرفاية بأبي الجعد سماعاً. ثم نما هذا الاهتمام أثناء مرحلة الدراسة الجامعية عند تعرضنا لقصيدة البردة في مادة الأدب المغربي: (القصيدة المأدحة، فن المولديات، فن البيهيات). ثم تقوى اهتمامي بالموضوع أثناء رحلة شافة للبحث عن مخطوط يكمن موضوعاً ليحسني، فوجدت أعمالاً مغربية كثيرة موضوعة على قصيدة البردة تجاوزت السبعين عملاً، وما زال أغلبها لم يخل حظه من الدراسة، ولم يظفر بتعريب من الاهتمام.

2 - دراسة وتحقيق شرح البردة لأبن مقلان الرهماني محاولة لإظهار جهد هذا الرجل المفضل وإبراز آرائه، وتوضيح منهجه في هذا الشرح النادر، واللغة متواضعة لدفع بعض الإهمال الذي لحقه ولحق معه هذا الجانب المهم من التراث الأدبي المغربي، فقد غفلت عنه الأفلام وسكتت عن التلحج به

(1) هو ابن سرزوق الحفيد، عالم صالح، فقيه حافظ، ترجمته في برنامج المجاري (134)، رحلة الاقتصادي (96)، البستان (200)، الشروق (الطبع 20/7)، معجم أعلام الجزائر: (141)، برنامج الوادي آشي: (293).

(2) هو علي بن ثابت التلمساني القرشي توفي سنة (24هـ). ترجمته في البستان (23)، شجرة النور: (252)، نيل الابتهاج: (335).

السنة العلماء والفقهاء والأدباء، فظل مغسوراً مغسوراً رغم طول باع وواسع مشاركة.

3 - ما أجد في قلبي من حب لأسلافنا، ومن تعلق شديد بآثارهم، ومن رغبة قوية في التعرف إلى تراث أمنا الحافل في الغرب الإسلامي، ومن حرص شديد على الإسهام في حركة بحث جانب من جوانبه ولو بحظ يسير، حقيقياً وإتقاناً له من الضياع، وعملاً على توضيحه والخروج منه بكل ما من شأنه أن يبرز للناس صورة متيسراً، مستوفياً لأصول البحث والتصنيف العلميين، وطموحاً عالياً لإضافة لبنة جديدة في صرح التراث الأدبي المغربي الأصل.

4 - إن الاشتغال بهذا الشرح الشكري القيم ليس غاية في حد ذاته، ولا مجرد إرضاء لفضول معرفي صرف فحسب، وإنما هو وسيلة لإشباع نهم روحي ولتطلع إحساني، وتذوق ديني أولاً، ولمسة لصحبة الحبيب رسول الله ﷺ، وتسميم فيض عبير شطالته ثانياً، وأداة لإرواء ظمأ معرفي وعملي وأدبي ثالثاً.

ب - دوافع موضوعية:

1 - شرح البردة لابن مقلاش هو الأثر الكامل الوحيد النشيط - لهذا الرجل السعدي - الذي حفظه لنا القدر الرحيم من بين جملة أعمال هامة له هي اليوم محجوبة إن لم نقل: مفقودة؛ فهو الوثيقة الأساسية الموجودة التي تطلنا لنا ذكره، والعمل العلمي المتكامل الذي بإمكانه اليوم أن يساعدنا على رسم صورة واضحة له.

2 - شرح البردة لابن مقلاش الوهراني يشكل بالنظر إلى كبر حجمه، وإثراء مادته وغناها وتنوعها، مصدراً مهماً من مصادر الأدب المغربي النادرة، لا جهاً بارزاً من وجوه التعامل مع النصوص الأدبية خلال منتصف القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين، تعامل علمي تنوعت أساليبه، وتعددت طوره ومعارفه خدمة للقرآن الكريم، والسيرة والسنة النبويتين، واللغة العربية، والحياة الأدبية والفكرية عموماً.

3 - شرح البردة لابن مقلّاش الوهراني من الشروح الجيدة المستوفاة .
ذات الاتجاه الأدبي العام التي تتميز بالخصوبة والتنوع ، وتخرج في مادتها بين
الإنتاج الأدبي المغربي والإنتاج الأدبي الأندلسي والإنتاج الأدبي المغربي
والعربي بشكل عام ؛ هذا المزج المؤلف بنوع هذا الشرح وأمثلة من المدونات
الخصوصية متفردة ، ويسلكها في قائمة متميزة . هذه الخصوصية وهذا التفرّد
والتميز يدعو إلى فضول غير قليل من الاهتمام والبحث .

4 - شرح البردة لابن مقلّاش الوهراني ضرب من الممارسة التصنيفية
التي طبعها المؤلف المغربي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، ممارسة
تتكسر - إلى جانب الجودة والأصالة ووفرة المادة العلمية وتنوعها ، ونفّة
الشارح - وحسّ المعالجة - الثقافة الموسوعية للمؤلف ، تلك الثقافة التي تخرج
بين المادّة اللغوية والأدبية والتعبية والتاريخية والدينية والعلمية والفقهية
والشرعية والفكرية والمنطقية في قالب جذاب ، صنع وفيد . وقد قال ابن قتيبة
الديلمي بقلّة من هذه الموسوعة : « من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً
واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليوسع في العلوم » .

هذا وقد واجهتنا خلال رحلة البحث صعوبات جمة : ابتدأت بصعوبة
إتقاء واختيار مخطوط من بين عدد هائل من الأعمال المغربية المصنوعة على
البردة ، ثم بعدها صعوبات العوائل الإدارية المستحلة في صعوبة الحصول على
أصل المخطوط للاطلاع عليه ، أو نسخه والصورة المكلفة لئلا لا يظنّه
الباحث المبتدئ ، ثم الرحلات والتنقّلات المتعددة بين المدن والقرى
والعرائات والمكتبات والزوايا والمساجد العنقة بحثاً عن النسخ ، وقد تطلّبت
منّا هذا الأمر مجهوداً فكرياً ومعاناة مادية لا يستهان بها . ثم الاتصالات
والمراسلات والاستشارات مع أولي السبق وأهل العلم والمعرفة والاختصاصيين
والمهتمين والدارسين داخل البلد وخارجه . وأخيراً صعوبات فتح المصادر
والمراجع العديدة التي عدنا إليها عن إفادتنا بالمعلومات الضرورية باستثناء
بعض الإشارات القصيرة أو الشذرات الطفيفة التي لم ندر إلا جراً سبباً من
الطريق .

كل هذا نكاد أن يذفع بنا إلى اليأس لا سيما ونسخة المخطوط نسخة

رحيلة وشيعة وما أكثر ما يحتاج إليه اليتيم من عناية الرعاية، وجهد العناية، وما يتطلبه من صبر ومصارفة في سبيل تقويمه وثقافته. لقد تهيننا الأمر للوهلة الأولى واستصعبناه، لكن بعد استشارة أستاذنا الفاضل الدكتور أحمد العراقي، وبعد تفصله بقبول الإشراف على إنجاز هذا العمل تحقق الاقتناع بضرورة اقتحام هذه الصعوبات، والإقبال على غوص نجح هذا العمل من أجل إخراج هذا المخطوط إلى النور، إنشاذاً له من الضياع - خاصة وأن نسخه ونسخ «الشرح الكبير» و«الشرح الصغير» لابن قلاش هذا، وكذا باقي أعماله هي اليوم محجوبة وفي عداد المفقودات - وتحليفاً لتداوله بين الباحثين والدارسين. فعقدت العزم على اختياره موضوعاً لرسالتي التكميلية في شعبة اللغة العربية، تخصص الأدب المغربي، وحدة: دراسات في الأدب المغربي وتحقيق متونه، ليكون عنوان أطروحتي هو:

«شرح البردة البوصيرية

عفيف الشيخ عبد الرحمن بن محمد المصروف بابن قلاش البوصيري
دراسة وتحقيق»

أما الدراسة فقد ارتأيت تقسيمها إلى مقدمة وأربعة فصول.

المقدمة: عرفت فيها بطبيعة موضوع البحث، ولخصت دراهم اختياره، وبحثت قيمته وأهميته، وكذا الصعوبات التي اعترضت طريقه، ثم استعرضت الخطوات المتبعة في إنجازه بعد الاعتراف لأولي الفضل بفضلهم.

الفصل الأول: خصصته للمحدث عن شخصية الشيخ عبد الرحمن بن قلاش وبيئته فعنوانه بـ: عصر ابن قلاش وترجمته. وقسمته إلى مبحثين:

• المبحث الأول: عنوانه بـ: عصر ابن قلاش، فركزت في مطلبين التحليل من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والأدبية حاضرة للسان على عهد بني زيان، وحاضرة غرناطة بالأندلس على عهد بني الأحمر.

• المبحث الثاني: بسطت الكلام فيه عن شخصية الشيخ عبد الرحمن بن قلاش فتحدثت في ستة مطالب عن اسمه ونسبه، ونشأته، ورحلاته، وعن

ثقافته، ومزاولة لمهنة التدريس والفتوى، ثم عن شيوخه وتلاميذه وسؤلماته وعلاقته بملوك عصره.

الفصل الثاني: خصصت للحديث عن شرح البردة لابن مفلّاح، وقسمته إلى ثلاثة مباحث وتحت كل مبحث عدة مطالب:

• مهلت في المبحث الأول بثلاثة مطالب. تحدثت في المطلب الأول عن حركة شرح البردة بالجزائر والأنفلس خلال عصر ابن مفلّاح، وعن الحاجاتها وأثرها. وفي المطلب الثاني تحدثت عن مكانة شرح ابن مفلّاح من الشروح المعاصرة له. وفي المطلب الثالث تكلمت عن قيمة شرح ابن مفلّاح التاريخية والعلمية.

• وفي المبحث الثاني: تكلمت عن منهج ابن مفلّاح في شرحه. فتعرضت في مطلب أول للحديث عن مضامين المقدمة التي قدم بها ابن مفلّاح لشرحه. وفي مطلب ثانٍ رصدت عدة الخطوات أو التقنيات السهجية المتبعة في عملية الشرح بشكل عام. وبحثت الفصل بسبحث ثالث صورت فيه انطلاقاً من هذه الخطوات البناء العام للشرح على المستوى الكمي وعلى المستوى العلمي.

الفصل الثالث: عنوانه: «أقضايا شرح ابن مفلّاح»، وقسمته إلى مبحثين:

• تناولت في المبحث الأول بعض قضايا المضمون في شرح ابن مفلّاح. ففصلت الحديث في عدة مطالب عن المضامين اللغوية والنحوية والبلاغية والنقدية، وكذا بعض المضامين الفكرية المختلفة مثل: الفقه، والأصول، والمطائف، والإشارات والتصوف، والمنطق، والطب، والفلك، والتاريخ، والسير.

• وفي المبحث الثاني تطرقت للحديث عن قضايا الشاهد والمصدر في شرح ابن مفلّاح. وقسمته إلى مطلبين: خصصت المطلب الأول للحديث عن الشواهد الشعرية والشواهد النثرية المختلفة التي زخر بها الشرح. وأوردت المطلب الثاني للحديث عن المصادر المتنوعة التي رقد بها ابن مفلّاح شرحه.

المفصل الرابع: خصصته للحديث عن العمل في التحقيق، فقسّمته إلى

مبحثين:

• وضعت في المبحث الأول مخطوطة الشرح على المستوى الداخلي والخارجي.

• عرضت في المبحث الثاني عملي في التحقيق على مستوى الكتابة والتهميش، والتخريج، والتوثيق، والتعليق، والفهرسة.

المختاتمة: ختمت هذا العمل بخاتمة عرضت فيها أهم نتائج العمل.

الفهارس: وتسهلاً للاستفادة من هذا العمل حاولت أن أصنع له مجموعة من الفهارس وهي:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار والأخبار

فهرس الأمثال

فهرس القبائل

فهرس البلدان

فهرس الآيات

فهرس الأرجاز

فهرس أنصاف الآيات

فهرس الأعلام

فهرس اللغة

فهرس المصطلحات البلاغية

فهرس المصادر الواردة في المتن

فهرس أبيات البردة

فهرس المحتويات

فهرس المصادر والمراجع

أما المصادر والمراجع التي وفدت هذا العمل دراسة وتحقيقاً فهي كثيرة ومتنوعة جداً. فمنها المخطوط والمطبوع، ومنها كتب التاريخ العام والتاريخ الأدبي، ومنها كتب التراجم والسير والمراجع والمعارف والأخبار والأنساب، ومنها كتب المسائل والمغازي والمناقب. ومنها كتب التفسير والتفصيل والنسب. وكتب الثقافة العامة والمجامع الأدبية والدواوين الشعرية، إضافة إلى مجموعة من الدراسات والأبحاث والمطالعات العلمية لثلة فذة من الأساتذة وكثيرة من الرسائل الجامعية المرفوعة بمختلف كليات الجامعة المغربية.

وبعد: فلهذا الحمد والشكر من قبل ومن بعد على عونه وتوفيقه، وعلى من ركمه. وبني للذكر فضحات أسطح من شذا الطيب، وأذني من أرج الوهر، تستنحها خلال مدة الفصل على تحقيق هذا الشرح من أستاذي الكريم الدكتور أحمد العراقي الذي شملني بطلنته الباسمة درياً، وطبعه المستنح، وخصاله الطريفة، وأباح لي من معرفته الواسعة، وأهينني من جهده ووقته الكثير، الذي كنت آخذه منه بلا سابق موعد. في مراجعة هذا العمل والحرص على تقويمه وتسديد ثغراته، وحملني على تعود الصبر وقت قلقي وضجري من عثراته ومنعرجاته. وإنها لفضحات أعجز عن تقدير قيمتها عجزي عن الوفاء بحقها.

ولا يسعني كذلك إلا أن أجزي خالص تقديري وشكري للأساتذة الأفاضل الذين أمعنوا في معلومات وتوجيهات وملاحظات ألفت منها إضافة جيدة، وأخص بالذكر الدكتور عباس الجراري، والدكتور علال الفازي، والدكتور محمد بن شريفة، والسيد الفقيه محمد السنولي رحمهم الله الذين بحثوا تحقيقاتي من طبعة نسخة المخطوط، وأكادوا لي أمثالها. والدكتور محمد بن عمرو الزرهوني بالجزائر الذي وفاني نسخة من الورقة المثبتة من مخطوطة الشرح الصغير لابن مفلح، والدكتور أحمد توفيق الذي ساعدني أثناء نسخ المخطوط. والدكتور سعيد بن الأحروش الذي أفدت من لقاءتي به، ومن مراسلته التي أنجز حول شروح البردة، والدكتور محمد الدناي الذي ساعدني في حل مشكلات بعض الأشعار.

ومن الوفاء أن أذكر بالثناء والشكر من أمدوني بسبب من الأسباب

عصراً السادة: الدكتور: علي لغزيوي، والدكتور: محمد العلوي بنصره،
الدكتور: هلال الغازي، والدكتور: محمد العلمي، والدكتور: عبد المالك
الشامي، والدكتور: عباس ارحيلة، والدكتور: حسن جلاب، والأستاذ:
إبراهيم أزوغ، والدكتور: بلقاسم الحدادي، والأستاذ: محمد الشرقاوي
إقبال تلة والأستاذ: عبد المميز الساوري، والدكتور: عبد العالي مسوول،
والدكتور: إدريس مقبول.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كافة قيبي وموظفي الخزانات
والمكتبات التي تردت عليها واستفدت من ذخائرها، وأخص بالذكر السيد
محمد بن إبراهيم محافظ مكتبة ملحطة كلية الآداب، والسيدة الحاجة بنكيران
المحافظة الحالية، وكذا كل الموظفين، ومحافظ وموظفي الخزانة العامة
بالباط، ومحافظ وموظفي الخزانة الملكية بالرباط، ومحافظ وموظفي خزانة
أبي يوسف بمرالش، ومحافظ وموظفي الخزانة العامة بتطوان. وأشكر جميع
الأصدقاء والباحثين والزلاء في تيار المهجر خصوصاً في إسبانيا وفرنسا
والسائيا والولايات المتحدة الذين ساهموا من قريب أو بعيد، وكذا كل من
كان له علينا فضل.

والله سأل أن يهدينا إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فما أصبنا فيه فهو توفيق من الله تعالى، وما
أخطأنا فيه لمحسننا إخلاص النية وبدل الوسع. فحسب أن يكون هذا السبل قد
أسهم إسهاماً ما في خدمة اللغة والأدب وعسى أن يكون لصاحبه خطوة ثابتة
في ميدان البحث تتلوها خطوات إن شاء الله، والله غالب على أمره، ولكل
شيء قدراً.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على
سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل
سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في
العالمين إنك حميد مجيد.

الفصل الأول

عصر ابن مقلّاش وترجمته

تمهيد:

المبحث الأول: عصر ابن مقلّاش

المطلب الأول: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالجزائر على عهد بني زيان.

المطلب الثاني: الأوضاع العلمية.

المطلب الثالث: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالآندلس على عهد بني نصر.

المطلب الرابع: الأوضاع العلمية.

المبحث الثاني: ترجمة ابن مقلّاش

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: نشأته ورحلاته.

المطلب الثالث: ثقافته.

المطلب الرابع: التدريس والفتوى.

المطلب الخامس: شيوخه وتلاميذه.

المطلب السادس: مؤلفاته.

المطلب السابع: علاقته بملوك عصره.

تمهيد:

من الصعب جداً أن نرسم صورة واضحة صحيحة عن مسار تطورات الأوضاع السياسية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية خلال عصر ابن مقلان، نظراً لغياب عنصر التحديد الزمني الدقيق لبدا وانتهاء هذه المرحلة التاريخية. وهكذا نظل في حاجة ماسة إلى أن نحسن ونلتبس جل المعطيات من خلال الشدائد والنصف المنتشرة في نص الشرح، لنرسم بعض خطوط هذه الصورة دون عمق دقيق.

لقد عرفنا من خلال نص الشرح أن الشيخ عبد الرحمن بن مقلان عاش زمن ملك السلطان يوسف الثاني أبي الحجاج بن الأحمر بالأندلس، وزمن أبي عثمان المريني بالمغرب أيام استلانه على تلمسان، ويسط سيطرته على الجزائر، ومنها إلى فتح قسنطينة أيام الحفصيين. فقد نشأ ابن مقلان وترعرع بالمغرب الأوسط، وعاش تقلبات أوضاع الدولة الزيانية وهو قبه بجوامعها، قاض ومفت. وعاش عمراً في ظل دولة ابن الأحمر بالأندلس وهو مدرس بجوامعها الأعظم بخرناطة. وفي هذه الفترة كانت دولة بني عبد الواد في طور انحلالها وكثرة انقلاباتها.

كانت السنة الطويلة التي احتضرت فيها دولة الموحدين ولفقت أنفاسها الأخيرة وهانت من دائها العفصال، بمنزلة سخاض سياسي بإفريقيا الشمالية والأندلس، وخلال هذا الاحتضار لم تقم دولة تعادل في عنفوانها الدفاع السراطين، ولا في قرننها بأس الموحدين وبلاءهم. وإنما انتهى السخاض قيام خمس إمارات سياسية في شكل دويلات مستقلة. ففي الأندلس كانت الغلبة في النهاية لبني الأحمر على بني مرغيش وبني هود. وفي إفريقيا الشمالية قام في تونس الحفصيون، وقام في تلمسان بنو عبد الواد، وقام في سبتة العزفيون، وفي المغرب استتب الأمر للسرينيين، وكانت دولتهم أقوى هذه الدويلات وأبعدها صيتاً.

وإذا كان لكل دولة أو إمارة في الأقطار الخمسة سلطة خاصة، وعصية خاصة ورعامات خاصة؛ وإذا قامت في ظروف خاصة، وتحت مبررات عدة، ولأسباب مختلفة ومطامع متباينة، بتكوين دولة ذات ثبات مستقل؛ وإذا كان لكل دولة أسرة حاكمة، وبلاد لحكم، وعاصمة، ومنطقة نفوذ، تسع وتنطبق حسب تقلب الولاءات ضعفاً وقوة، فإن ظروف الحياة المتشابهة، وتاريخ الصراع الطويل، وقرب الجوار، وتشابك المصالح وتصادمها جعل تاريخ هذه الدويلات على امتداد القرن الثامن الهجري تاريخاً مشتركاً، لا في السياسة والحرب فحسب، بل في العلم والحضارة والفن؛ ولعل في الشخصيات العلمية التي عاشت متنقلة بين عواصم هذه الأقطار للدفاع اختيارية أو اضطرارية خير شاهد على ذلك. وكانت نقطة التقاء هذه الدويلات العدو الأندلسية، باعتبارها تُعبراً من ثغور الإسلام التي وجب الحفاظ عليه، والدفاع عنه مهما كلف الثمن، رغم التخاذل الذي كان يديه بعض ملوك بني الأحمر، ورغم الصراعات والمكاييد. وكان الحظ الأوفر ذاك الذي اطلع به بنو مرين الذين جعلوا من الدفاع عن الأندلس أولى الأولويات، واشدعوا لذلك الغرض ما سمي في التاريخ بـ: «شيخ الغزاة».

وكان قيام هذه الدويلات في أقطار العرب الإسلامي سبباً في ظهور سباق وتنافس قوي على كافة المستويات، سباق أثقل على مدى ثلاثة قرون حضارة مديدة. وستقتصر في الحديث على مظاهر هذا السباق، وعلى نتائجها وتحليلاته، على ما يرتبط بموضوع الدراسة من عصر ابن مفلح ارتباطاً قوياً، خصوصاً في كل من دولة بني عبد الواد بحاضرة تلمسان ودولة بني الأحمر بحاضرة غرناطة، ولهذا كان لكل من الدولتين مبحث خاص في هذا الباب.



المبحث الأول

عصر ابن مقلاش

المطلب الأول

الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية

بتلمسان على عهد بني زيان

كانت إفريقيا الشمالية منذ أواخر القرن السابع عشر حياً للشوالات والاضطرابات السياسية العنيفة. فبعد انهيار دولة الموحدين قامت على أنقاضها دويلات صغيرة: قامت دولة الخفصيين بتونس، ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى، وإمارة العرفيين بسبته، ودولة بني عبد الواد بتلمسان. وكانت دولة بني مرين أقوى هذه الدويلات، واستطاعت في فترات متعددة أن تسيطر على مجموع الشمال الإفريقي، من مراكش إلى قسنطينة إلى بعض أجزاء العمدة الأندلسية، ولم يجد من يقوِّضها إلا المقاومة الشرسة التي قابلها بها قبيل بني عبد الواد.

لقد اشتهر بنو عبد الواد في أول نشأتهم باسم: دولة بني عبد الواد إلى أن كان الاستيلاء المغربي على مملكة تلمسان سنة (737هـ)، وعرفت بعد ذلك، أي بعد عصر انبعاثها على يد السلطان أبي حمو الثاني باسم: الدولة الزيانية. فهي تمتد غرباً إلى حدود مدينة وجدة وتبلغ أحياناً في الشرق إلى قسنطينة وبجاية، وتصل جنوباً إلى حدود سجلماسة ونافيلالت ووادي ملوية. وكان بنو عبد الواد في أصلهم⁽¹⁾ من أمراء القبائل الرحل التي تجوب الصحراء. ثم أتاحت لهم الظروف الاستقرار، فكونوا دولة استمرت بين السلم

(1) ينظر العبر: (10/7)، وبنية الرواد: (23).

والحرب، والنصر والهزيمة ما يقرب من ثلاثة قرون. لقد رحلت هذه القبائل إلى السواحل بالمغرب الأوسط، حيث لم تثار هذه المناطق معزوات بني هلال، ففرضوا أنفسهم على الأهالي، وما لبثوا أن أصبحوا سادة المنطقة، واتخذوا حاضرة تلمسان عاصمة لهم.

وبموافقة الموحدين استطاع السلطان يغمراش بن زيان تأسيس هذه الدولة، فقد كان يضع رجاله في خدمة عامل الموحدين بحاضرة تلمسان، وتلقى نظير هذا بعض الامتيازات كان أهمها تعيينه عاملاً على تلمسان وبلاد الزانة. وبعد سقوط دولة الموحدين النهائي استغل يملك البلاد استقلالاً ظل طوال مدة من الزمن - محفوظاً بالمخاطر، تمثلت في: تباخرات وثورات داخلية تحد من نشاطها. وفي أطماع خارجية تهدد استقلالها، فقد ظل الحفصيون يزعمون على بني عبد الواد أنهم أحق بوراثة الموحدين. ولهم الحق في سيطرتهم على المغرب الأوسط، وأمام سخطهم اضطر أمير تلمسان إلى الاعتراف بحقوقهم، وأصبحت تلمسان فيما بعد تحت وصاية الحفصيين. وفي المغرب ظل بنو مرين يتحينون الفرصة للزوال الأخير لسطر سيطرتهم على المنطقة⁽¹⁾ إلى أن ظفروا ببيتهم.

ولما سنحت الفرصة للسلطان أبي سعيد عثمان المريني، تحرك بجيشه اتجاه الجزائر وحاول انتزاع تلمسان من صاحبها موسى بن عثمان بن يغمراش ولم يفلح. وسار بعده أبو الحسن المريني، وشده الحصار على تلمسان، وأقام مصكراً لعملياته الحربية، وتحول هذا المعسكر بعد تدبير تلمسان إلى حاضرة المنصورة⁽²⁾. وقتل السلطان أبو تاشفين، واستولى أبو الحسن المريني على المنطقة، وظلت تلمسان مدة أحد عشر عاماً مركزاً للحكم المريني. ثم خرجت سنة (750هـ) من تحت سيطرتهم واستعادها بنو عبد الواد، لكن ما لبث السلطان أبو عيان أن قام بالاستيلاء عليها من جديد سنة (753هـ)، لكن ملكه بها لم يدم كثيراً حيث شق بنو عبد الواد عصا الطاعة، فتولى ملكها

(1) ينظر تاريخ بني زيان ملوك تلمسان: (79).

(2) تاريخ بني زيان: (231).

السلطان أبو حمو الثاني⁽¹⁾.

ولما تغلب السلطان أبو حمو الثاني جرت السعيات بينه وبين ولي عهده السلطان أبي تاشفين، فحاول السلطان أبو حمو إطفاء نار الفتنة، فخلع نفسه، وتوجه مدحياً حج بيت الله الحرام، فلما وصل إلى مدينة بجاية قفل راجعاً، وتجهش بكل من بالبلاد الشرقية من عرب وزناتة، فاقترح على ولي عهده حاضرة تلمسان، ففر أبو تاشفين إلى فاس فاستجاش بيتي مرين، وتآلفت على أبي حمو بنو الحريف، وهم من شيعة المرينيين، وخرج للقاتلهم، واقتتلوا اقتتالاً حثيفاً، فتوفي أبو حمو سنة (791هـ)⁽²⁾ واستتب الأمر لأبي تاشفين، ثم لا الأمر من بعده إلى السلطان أبي زيان الثاني الذي وقد أركان الدولة الربانية. ثم تعاقب على الملك منذ ذلك الحين أمراء من أسرة بني زيان، ظل بعضهم خاصراً لترجيح بيتي مرين، واستعدوا بها مالتين إلى المنح التركي.

هكذا كانت أحوال الدولة السياسية في المغرب الأوسط خلال منتصف القراء الثامن الهجري، كانت الثورات والانقلابات السياسية على أشدها، قائمة لا تنقطع، والدولة تتعاقب بين مختلف المتعاليين والأمراء، وكلما قامت إمارة اضطرم حول امتلاكها والسيطرة عليها معارك لا نهاية لها، فكانت الحروب متهترة، والقصور منهبط الأضلاع والمناقصات، دائمة التقلب والتداول والحروب، والمعارك الأهلية دائمة الضرام بين أفراد الأسرة الواحدة.

لقد سجل التاريخ - بفعل هذه الحروب والاضطرابات والسجالات التي أنارتها الثورات السياسية والعنصرية القبلية - من الخراب والتدمير والنسف لما شيد بهذه الديار ما لا يعد ولا يحصى⁽³⁾. وضرب المنطقة داء عضال، ذهب بأهل الجيل، وطوى كثيراً من محاسن العمران ومخاها، وجاء للدول على حين هربها، فقلص من طلالها، وقل من حدنها، وأوهن سلطانها وانتقص

(1) العبر: (256/7).

(2) العبر: (7218).

(3) تدمرت تلمسان عدة مرات، ودمر المسجد الأعظم بقسنطينة، ودمر مركز الإفتاء. ينظر بغية الرواد: (245).

عمران الأرض بانتقاص الشجر، فخرت الأرض والصانع، ودرست السبل والمعالم وملت الديار والمنازل، وضعت الدول والقبائل، وتبدل الساكنة⁽¹⁾، فاحصرت بوملج المتوجات المعزية في الجلد والصوف والحرير المزركش.

وكان لموقع تلمسان المتميز، وللمياه الجارية فضل كبير في إعادة إعمار المنطقة فعادت الحياة إليها، واستعادت مجدها العابر، وأحييت بالجنان واليسابن، وأضحت مركزاً تجارياً مهماً يقصده تجار المسلمين والمسيحيين، ومركزاً للقوافل التي تمر بها إلى تافيلالت والسودان. ثم أنشئت بها القصور والمدارس والمساجد: كالمدرسة الجديدة لأبي حمو، والمدرسة الناشطية لقيادة الجامع الكبير، ومدرسة ابني الإمام، والمدرسة البعقوية، ومسجد سيدي إبراهيم السهمودي، ومسجد أكادير، وكان أبو تاشفين وني عهد أبي حمو ولعاً أشد الولع ببناء الدور وتشييد القصور، مستظهِراً في بنائها الأسرى، فخلد أناراً لم تكن لمن قبله ولا لمن بعده، مثل: دار الملك، ودار السرور، والقصر، والمارستانات، والصهريج الأعظم.

المطلب الثاني

الأوضاع العلمية بتلمسان

كان للمنشآت العمرانية التي اطلع بها السلاطين الزيانيون أثر فعال في تشييد وتطور الحركة العلمية بتلمسان، وكانوا يتنافسون في امتسالة وجلب العلماء وإكرامهم. فهذا السلطان أبو حمو كان في دولته العالم: أبو عبد الله الشريف، فارس المعقول والمنقول، أسس له مدرسة سنة (765هـ)، واحتفل بها، وأكثر عليها الأوقاف، ورتب فيها الجرايات، وقدمه للتدريس بها، ولازم حضور محالسه بها⁽²⁾. وهذا السلطان أبو تاشفين كان له بالعلم وأهله احتفال، وكانوا منه بحمل تهمة وإهتبال، وقد وقد عليه العالم: أبو موسى عثمان بن عمران الشدالي، أعرف أهل عصره بذهب مالك، فأكرم نزله،

(1) العبر؛ (7/354).

(2) تاريخ بني زيان: (180).

ورلاء التلويح بعلومته الجديدة⁽¹⁾. أما السلطان أبو زيان بن أبي حمو فقد أقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في نظم محاسنها وائسافها، وكذلك بالعلم حتى صار منهج حياته، فلم تغفل حضرة من مناظرة، ولا عصرت إلا بمناقرة، فلاحت للعلم في أيامه سموس. نسخ القرآن نسخاً بيده، وحسبها مصححه، ونسخ صحيح البخاري والثفا، وحسبها خزائنه التي قبالة الجامع الأعظم تلمسان⁽²⁾. وكانوا جميعاً يحتفلون بالمولد النبوي الشريف في مظاهر من الفرح والزينة فوق ما يكون في سائر المراسيم. وقد أورد صاحب تاريخ تلمسان لهم قصائد مولدية رائعة من نظمهم⁽³⁾.

كانت هذه الجهود وراء حركة علمية نشيطة، وكان من نتائجها لمطاحل الشيوخ والعلماء الذين اشتهروا بالزعامة في العلم، والرياسة في الدين ك: العفياي، والسشالي، وابن مرزوق، وابن خلدون، والعبدري، وابن قنفذ، وأبي الإمام، والشريف التلمساني، وأبي الحسن علي الخزازي التلمساني، وشهاب الدين محمد بن عبد الله المغراوي. وهؤلاء الأعلام يمثلون أزهى مراحل التطور العلمي والفكري خلال هذه المرحلة من تاريخ أمنا الإسلامية

المطلب الثالث

الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية

بغرناطة زمن بني نصر

نشأت دولة بني الأحمر - والتي يسميها المؤرخون أيضاً بـ دولة بني نصر - على يد زعيمها ومؤسسها السلطان أبي عبد الله بن الأحمر الملقب بأبى المستنير الغالب بالله. وهو الذي استطاع بعد سلسلة من الصراعات مع بني مرينش وبني هود، وسلسلة من المجاهبات والمهادنات والاتفاقيات مع الملوك القشتاليين أن يحصل في النهاية على ملك غرناطة، وتوارث أبناؤه:

(1) تاريخ بني زيان: (142).

(2) تاريخ بني زيان: (211).

(3) تاريخ بني زيان: (212 - 234).

وأحفاده وأقاربه عرش مملكة غرناطة من (سنة 35هـ) إلى (سنة 47هـ)،
وتعاقب على العرش خلال هذه المدة واحد وعشرون ملكاً، انتهت حياة
أكثرهم بالقتل غدراً أو قصراً.

وبعد وفاة مؤسس الدولة، وبفعل الصراعات مع بني أشبيلولة مألقة التي
تجاوزت النطاق الداخلي إلى التدخل الخارجي من قبل الفشتاليين والبربريين،
انقسمت المملكة إلى فرعين: فرع غرناطة، وهو الذي يرجع إلى السلطان أبي
عبد الله بن الأحمر، وملك من (سنة 35هـ) إلى (سنة 713هـ)، وتعاقب على
الملك أربعة ملوك هم: محمد الغالب بالله، ثم ابنه محمد القضاة، ثم ابنه
محمد المخلوع، ثم أخوه نصر الغالب بأبي الجيوش. وبعد خلع نصر يتقلد
الملك إلى فرع مألقة، ويرجع إلى إسماعيل بن الأحمر أخ أبي عبد الله
المؤسس، واستمروا بها إلى سقوطها.

وشهد فرع مألقة الذي عاش ابن مقلاش في ظل انقسامات وصراعات
وتحولات سبب النزاع على السلطة والقوة. فلما وصل السلطان إسماعيل بن
فرح على عرش غرناطة بسبب مساعي والده وبتدبيره، تنكر الابن لوالده،
فاعتقله. وقطعه هذا أقد علاقته بأسرته ولا سيما بأخيه محمد الملقب بالفاطم
ناصر الله. ومن ذلك الحين وحاضرة غرناطة تعرف انقسامات واهتزازات عشت
تنتهي إما بالقتل أو النفي أو الإبعاد أو السجن أو المضايقة أو التعاون مع
العدو النصراني، أو الالتجاء إلى دول الشمال الإفريقي.

وقد لاحظ المؤرخون نزاع الأندلسيين إلى مملكة الناصر الذي يتبع إلى
افتكك الملك والإطاحة بغيره من الأسرة. وكان الشعب الغرناطي سريع
التقلب والمطب، بأخذ في الثورات والانقلابات السياسية بأعظم نصيب⁽¹⁾
ويقول صاحب الحلل السندسية: ففهم إذا وجدوا فارساً يبيع القربان، أو
حواداً يبيع الأجواد، نهافتوا في نصرته، وصبره ملكاً من غير تدبير عاقبة
الأمير إلى ما يؤول⁽²⁾. وعندما تحولت السلطة إلى أمير من أمراء بني نصر فإنه

(1) نهاية الأندلس: (322 - 323).

(2) الحلل السندسية: (250/1).

يدين بالحكم المطلق، ولا يلجأ إلى مشورة أهل العلم إلا في حالة الخطر
 الباهم، حيث لا يجد بداً من الاستعانة بأراء بعض العلماء أو الزعماء أو
 القادة. يقول ابن خلدون: «كانت الحرية الأندلسية... عند قيام بني الأحمر
 بأمرها قليلة الحامية، ضعيفة الأحوال، إلا من يلهمه الله لعمل الجهاد من
 قبائل رباته... وخصوصاً بني مرين أهل المغرب الأقصى، لاتصال العدو
 الأندلسية بسائطه»⁽¹⁾.

ولما توفي ابن الأحمر، وتولى الملك بعد محمد الفقيه وفد على
 السطرات يعقوب المروني صريحاً للمسلمين، فأجاز إليه، وأوقع بالجيش
 النصرانية، ولما خشي السلطان الفقيه من يعقوب المروني، قلب له ظهر
 السحر، واستظهر عليه بالأحياء من قرايته⁽²⁾، وتوقع منه ما فعل يوسف بن
 تاشفين بآب عباد، فاعتزل في أسباب الخلاص من توهم، وداخل الطاغية في
 اتصال اليد والمظاهرة عليه، فاستمال ابن الأحمر عامل يعقوب على مائة،
 فتخلو له عنها، وأرسل الطاغية أساطيله إلى البحر يستج السلطان وصاكره من
 الإحارة، وأرسلوا يغمرون من وراء البحر في الأخذ بحجرة يعقوب ومن
 القارات على لغوره، ليكون ذلك شاغلاً له عنهم، فبادر يغمرون
 بأحاديث⁽³⁾.

ولم تشهد أيام أبي الحجاج يوسف الثاني أحداثاً كبيرة، ولم تحدث
 اقتياعات ذات أثر حاسم مع جيوش المسيحيين والقشتاليين اللذين كانوا هم
 بدورهم متفهمين على أنفسهم بسب الخلاف على الملك، فأنعم المسلمون
 بحياة قصيرة من السلم بالأندلس. وكانت العلاقة مع المرينيين أيام أبي عنان
 جيدة. وقد لعب ابن الخطيب دوراً فعالاً في توطيد هذه العلاقة وكتب عدة
 مراسلات إلى أبي عنان باسم أبي الحجاج، وباسم ابنه من بعده محمد الثاني
 بالله الذي بعث ابن الخطيب سفيراً إلى المغرب، فأكرم أبو عنان قدمه

(1) العبر: (7/ 485).

(2) العبر: (487).

(3) العبر: (480).

ووفادته. وقد أثبت صاحب نفح الطيب كثيراً من هذه المراسلات⁽¹⁾.

وكانت في هذا العصر شخصيات من العلماء والأدباء والوزراء والحجاب تأخذ بقسط بارز في تطورات هذه الدول وتقلباتها، وتشترك في تدبير عوامل نهوضها أو سقوطها. وأحياناً تثير بينها ضرام الكيد والتنافس والاقتتال. وظلت أحوال القصور والدولة في هذه الفترة بعد ما قضى الملوك الأقوياء نجبتهم على حال من الفساد والضعف بما يفسح المجال للنهوض والتقدم للطامعين من ذوي الكفاءة والعزيمة. فقد كان ابن خلدون، وابن الخطيب، وابن مرزوق، وابن الجياب، وأبو الحسن النباهي، وابن زمرك، وابن جزري، والحاجب رضوان، وعمر الفودوي كانوا أسماء بارزة في عصرهم، متقربين بين الظفر والمحنة. وقد بسط المؤرخون الحديث عن محنة ابن الخطيب وابن خلدون.

وكانت أحوال أهل الأندلس في الدين وصالح العقيدة أحوال سنية، والأهواء والنحل فيهم معدومة، ومذاهبهم على مذهب مالك، فصيحة ألسنتهم، عربية لغاتهم، يتخللها عرف كثير. أخلاقهم أبيّة، أنسابهم عربية، وفيهم كثير من البربر والمهاجرة⁽²⁾. وحبا الله غرناطة وأهلها بسهولة مترامية، وأنهار جارية، وحبا أهلها بخبرة في الفلاحة واستغلال الأرض والماء. وقد عدد ابن الخطيب أقواتهم وثمارهم وفواكههم⁽³⁾. وعندما يضعف النشاط الفلاحي يربوعها يتحول الناس إلى النشاط التجاري البحري على السواحل. وازدهرت بحاضرة غرناطة عدة صناعات أهمها: صناعة الأسلحة، وصناعة الأقمشة الحريرية والصوفية، وصناعة الأواني الخزفية وأنواع الورق والجلود، مما ساهم في نشاط الحركة التجارية، وعقد عدة اتفاقيات مع الدول المجاورة، وانعكس هذا النشاط إيجاباً على الجانب العمراني والعلمي.

(1) نفح الطيب: (1/ 271).

(2) اللمة البدرية: (38).

(3) اللمة البدرية: (28 - 29).

المطلب الرابع

الأوضاع العلمية

على الرغم من أجواء الصراعات السياسية والأحوال المضطربة، انطوت هذه المرحلة على منجزات حضارية هامة، اطلعت بها هذه الدولة الصغيرة خلال فترات السلم القليلة، في فترات الهدنة والصلح بين أفراد الأسرة الحاكمة، وفترات المعاهدات واتفاقيات السلم مع العدو. وفي ظل هذه الأجواء عرفت المنطقة حرية في التنقل بين الأمصار والمراكز العلمية العامرة، فأثمرت الجهود ثلة من كبار الشيوخ والعلماء والفقهاء ومشاهير الأدباء، الذين انصهروا في هذه البيئة، ونهلوا من معينها، وكرعوا من ينابيعها، فأفادوا واستفادوا، وتناظروا وتباحثوا، وأنتجوا إنتاجاً تميز بالأصالة والطرافة.

وكانت الحياة العلمية في ظل هذه الحقبة من الزمن تزدهر وتستقر، وتقلب وتضطرب تبعاً لأحوال الدول وتقلباتها. فلا تكاد تحتشد حول قصر أو بلاط أو سلطان حتى تهجره إلى غيره كلما انتابه الوهن والانحلال. وكانت القصور ملاذ العلماء والأدباء والفقهاء، يلتفون حولها، ويستظلون برعايتها ويتقبلون في نعيمها، ويتولون بها مناصب النفوذ والثقة. واحتضنت مملكة غرناطة بفضل ما تجمع لديها من العلماء مناخاً علمياً زاخراً، تواصل وتركز في فترات طويلة، وظهر بها إنتاج أدبي رائع طبعته الانفعالات القوية التي كانت نتيجة الأحداث الخطيرة التي عرفتھا الأندلس⁽¹⁾. وكان خلف هذا الإشعاع العلمي مجموعة من المؤسسات ك: الجامع الأعظم الذي تنتظم فيه حلقات العلم، ويقصد للعبادة؛ وكان من أئمتھ ابن لب، وابن جزي⁽²⁾. والمدرسة النصرية التي كانت من مفاخر السلطان أبي الحجاج يوسف الثاني، والتي أنشأھا في منتصف القرن الثامن على يد حاجبه أبي نعيم رضوان، وأنفق عليها أموالاً طائلة. وهي أنهو مواضع التدريس بغرناطة⁽³⁾. وقد وصف ابن

(1) نهاية الأندلس: (345).

(2) نفح الطيب: (525/5).

(3) رحلة القلصادي: (189).

الخطيب هذه المدرسة بقوله: «جاءت نسيجة وحدها بهجة وصدرأ وفخامة»⁽¹⁾،
وحبر في الإشادة بها قصيدة رائعة⁽²⁾. وقد كان لهذه المدرسة إشعاع علمي،
وبرز بها عدد من العلماء، أسهموا في إغناء المكتبة الإسلامية بمؤلفات هامة⁽³⁾.

ويعصور المقرري في «نفح الطيب» أجواء هذا الإشعاع العلمي والحركة
النشيطة قائلاً: «ولما تقلص الإسلام بالجزيرة، واسترد الكفار أمصارها وقراها
على وجه العنوة أو الصلح أو الاستسلام، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء
يحركون حميات ذوي البصائر والأبصار، ويستنهضون عزماتهم في كل
الأمصار»⁽⁴⁾. فهذا الخطر الداهم دفع العلماء إلى السير الحثيث لنشر العلم،
وتوفير وسائله، محتسبين ذلك من غير جراءة يأخذونها، مكتفين بريع الأوقاف
المعينة لهم⁽⁵⁾. ثم أقبلوا على التصنيف والتأليف في فنون علمية مختلفة،
وقاموا بأبحاث ومناظرات في احتكاك علمي مثمر، يحمل طابع الاجتهاد
والاستقلال وحسن التصرف.

وقد لمعت في سماء هذه الأجواء العلمية بحاضرة غرناطة أسر علمية ك:
أسرة ابن جزى الكلبي: «بيت العلماء والقضاة والخطباء»⁽⁶⁾. وأسرة ابن
عاصم، وابن عاصم من العلماء الكبار.

وقد رقصت غرناطة بابن عاصم وسحت دموعها للقضاء المنزل⁽⁷⁾
وأسرة آل منظور القيسي، قال عنهم البلوي: «بيت علم ونباهة وأصالة
مشهورة»⁽⁸⁾. وأسرة النباهي، وأسرة بني الجياب: «وبنو الجياب من فقهاء
غرناطة»، وأسرة ابن خلدون، وأسرة ابن الخطيب.

(1) الإحاطة: (509 / 1).

(2) كناسة الدكان: (155).

(3) الحلل السندسية: (254 / 1).

(4) نفح الطيب: (63 / 1).

(5) أليس الصبح بقريب: (180).

(6) ثير الجمان: (165).

(7) ينظر شرح ميارة على التحفة: (4 / 41).

(8) ثبت البلوي: (98).

أما عن العلماء: فقد ظهر في هذه الفترة ما لا يحصى من العلماء⁽¹⁾ الذين رفعوا منارة العلوم في هذه الربوع، حيث اشتدت العناية بعلوم اللغة العربية، ونشطت حركة التأليف نشاطاً عظيماً في الفروع وشرح المتن تدریساً وتعلیماً. وقد اكتسب الفقهاء اعتباراً خاصاً بسبب الإقبال على العلوم الدينية، وزاد إقبال الناس على الحج في الارتباط بمذهب الإمام مالك⁽²⁾ وفي تنويع مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف. وبهذا تكون حاضرة غرناطة قد تمكنت من وراثة حضارة العرب، وأضحت ملجأ العلم والفن إلى حين سقوطها.

هكذا إذن نجد أن ابن مقلّاش عاش في زمان تقلص فيه ظل سلطان الأندلس، وشهد عواقب تشاكس الأمة وتخاذلها وانقلابها على بعضها والعدو يقضم أطرافها، بل كان اللجوء إلى العدو خطة محكمة وطريقة لازمة متقنة. وعاش أيام استيلاء المرينيين على مملكة تلمسان وعاشر تناحرات القبائل على الرئاسة والزعامة والملك. ورغم كون عصره السياسي عصر قلاقل واضطرابات، وعدم استقرار في كل من تلمسان وغرناطة فإن عصره العلمي عصر الازدهار وأوج العطاء.



(1) ينظر الإحاطة لابن الخطيب: (215/3).

(2) ينظر محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي لعمر الجيدي: (254).

المبحث الثاني

ترجمة ابن مقلّاش

المطلب الأول

اسمه ونسبه

لقد ضنت علينا كتب التراجم والفهارس والأبواب والبرامج بالمعلومات والأخبار المتعلقة بشخصية ابن مقلّاش، فلم يشتهر اسمه، ولا تردد ذكره في بطون الكتب، ولا ترجم له أحد من المهتمين بالسير والتراجم. فإننا لا نعرف عنه لحد الآن إلا الاسم والنزر اليسير عن حياته؛ ونستغرب اختفاء اسمه، وعدم الاحتفال به وبيان تاجه العلمي في مجتمع اهتم اهتماماً كبيراً، وعني عناية فائقة بتراجم الرجال، وخصوصاً العلماء والأولياء والصالحين. ويعظم الاستغراب حين نجد تراجم وافية لبعضهم وإن لم يبلغ درجة ابن مقلّاش ومكانته التي استخلصناها من شرحه.

لقد شحت المصادر التي ذكرت ابن مقلّاش عن التفصيل والإضاءة، فضلاً عن بعض الاضطراب في لقبه؛ فهو عند الونشريسي في «المعيار»: «فقيه وهران، الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن مقلّاش»⁽¹⁾. وفي موضع آخر من نفس الكتاب هو: «سيدي عبد الرحمن بن مقلّاش» وفي موضع ثالث هو: «الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن مقلّاش»⁽²⁾، بالغين ولعله خطأ مطبعي لا غير. وورد في المخطوط: «عبد الرحمن بن محمد بن يوسف عرف بابن مقلّاش»⁽³⁾، هكذا باتصال اللامين مع الشين، ولعله تحريف، والله أعلم.

(1) المعيار: (4/317).

(2) المعيار: (6/135)، (8/293).

(3) المخطوط: الورقة: (319).

وفي «البستان» لابن مريم ما نصه: «قال أبو عبد الله بن الأزرق: «وقفت لبعض المعاصرين أن الشيخ الولي الصالح الشهير أبا عبد الله الهراوي نزيل وهران لما ألف «السهو» الذي عمل عليه «التنبيه» أخذه الفقيه أبو زيد عبد الرحمن المعروف بالمثلش، فوازن فيه أشياء وأعرب فيه أشياء، فأتى به إلى الشيخ وقال له: يا سيدي: إني أصلحت سهوك. فقال له الشيخ: هذا السهو يقال له: سهو المثلش، وأما سهوي فهو سهو الفقراء، إنما ينظرون فيه إلى المعنى، ومن أين العربية والوزن لمحمد الهراوي، بل سهوي يبقى على ما هو عليه. قال ابن الأزرق: ولم يزل عبد الرحمن يرتعش حتى مات من أجل اعتراضه على الشيخ»⁽¹⁾.

وإذا صحت هذه النسبة فهي قريبة من أحد الاحتمالات التي أوردها الأستاذ سعيد بن الأحرش في دراسته قال: «هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف الصنهاجي عرف بابن مقلش، أو بابن مقلش»⁽²⁾. وهو قريب كذلك مما ورد في «المعيار». واعتمدنا في ترجيح لفظ «ابن مقلش» على وضوحه في الصفحة المتبقية من «شرحه الصغير» على البردة الموجودة بالخزانة الوطنية بالجزائر تحت (رقم 160). فيكون اسمه انطلاقاً مما سبق هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف المعروف بابن مقلش الوهراني، الشيخ الفقيه المفتي.

المطلب الثاني

نشأته

لا تمدنا المصادر عن نشأته بما يمكن أن يكون نواة لصياغة أخبار دقيقة عن طفولته فإننا لم نعثر في المصادر التي عدنا إليها على شيء يذكر، ولم يرد في الشرح ما يفيد في ذلك بالتحديد، فنحن لا نعرف مكان ولادته، ولا تاريخها، ولا عن أي سن توفي، ولا كم سنة عاش على وجه التحديد. وكل

(1) البستان: (229 - 230).

(2) بردة البوصيري بالمغرب الأقصى لسعيد بن الأحرش: (117).

من علماء من خلال نص الشرح أنه أخذ قصيدة البردة عن علماء قسطنطينية من البيت التاسع⁽¹⁾، وهو من بيوت العلم والجهاد الشهيرة في الجزائر. وأخذ كذلك عن عالم من علماء بونة: هو الشيخ أبو زكرياء يحيى المقرئ، فقيه بونة⁽²⁾. بهذا يجعلنا نعلم أن ابن مقلashi قدس طقوله والخطب الأولى من شأبه بالجزائر، والغالب على الظن أنه تروى على سرائر العلم بها آنذاك خصوصاً: قسطنطينية، وبجاية، وبونة، ووهران، وتلمسان. ونقدر أنه درج في تعلمه على طريقة أهل بلده القديمة، فاختلط إلى محال العلم بهذه المراكز والكتاب حلقت الدرس بها، واستطاع أن يحقق نصيب وافر من العلم، إلى أن حصل له ما يؤهله للهجرة إلى حاضرة غرناطة، من أعظم المدن الإسلامية بالأندلس آنذاك.

المطلب الثالث

رحلته

لم نستطع معرفة طبيعة رحلته إلى غرناطة، ولا متى كانت، ولا كم دامت، ولا في أي سنة كان رجوعه منها، وإن جرت العادة بأن ينتقل طلبة العلم المستوطن إلى المدن والحوضر الكبرى إلى المدن والحوضر الكبرى على وجه التدريج، فيلتحقون بأهم المدن والمراكز العلمية القريبة، ويجلسون إلى من بها من العلماء قبل أن يشدوا الرحال إلى حواضر العلم الكبرى. ومن خلال القرش التاريخي الذي مهدنا به تبين أن وهران وبونة وتلمسان وبجاية وقسطنطين كانت تمتلك حظوظاً قوية وقتئذ لتحقيق هذا الإعداد المؤهل للرحلة إلى المدن والحوضر الكبرى.

لكننا لا نتوفر على أدلة قوية تزيد احتمال الهجرة والرحلة القسطنطينية، ويحتمل احتمال ثانياً وهو أن يكون ابن مقلashi في رحلته هذه زار غرناطة زيارة عابرة. واحتمال ثالث هو أن يكون النقل إلى الأندلس الشقال علم من

(1) الشرح: (5).

(2) الشرح: (54).

العلماء أثناء الجولات التي كانت على عهد المرينيين لفترة تعليمهم على يدي
عبد الواد بن تلمسان، ولفترة معاهداتهم مع بني نصر بالأندلس. وكانت هذه
الجولات أم الرحلات إما تقوياً وفراراً من المتناحرات الفيلية والتفلسات
السلطانية، أو استجابة لاستدعاءات بني الأحمر، نصرة لهم ضد العزم
الغشائي، أو أمانة من هؤلاء العلماء لواجب الحفاظ على الإسلام بتلك
الربوع، خصوصاً إذا علمنا أن هذه المرحلة تقرب من مرحلة سقوط غرناطة.

والذي يقوي هذا الاحتمال هو أننا نجد من خلال نص الشرح ابن
مقلاش مصداقاً للتدليس بحاج غرناطة مبرراً يقول عن أخواه إحدى حلقاته
حول البردة: «وقد سألتني بعض طلبة ابن علاق بأغرناطة...»⁽¹⁾. وقال: «وبنو
الجباب من أهلها غرناطة، معروفون بالعصاحة وقد بقي أخلافتهم بعرناطة،
وأروني من محاسن نظمهم شعراً كثيراً»⁽²⁾.

فهذا يفيد أن ابن مقلاش جاز إلى الأندلس وهو معدود من العلماء.
وتبقى له أن يشهد بها ثلثة من العلماء كابن علاق وعلماء من أسرة بني
الحبيب. ويحكر أن نعتقد تخمساً أنه بقي بغرناطة مدة، وأنه استمر بها إلا أن
العمل إزاء شرحه الكثير على البردة. وتقوى هذا الاعتقاد عندما وجدنا أن
أهل بادنة في الشرح مادة الفلسفة. وإن جاز أن تكون من حملة الكتب التي
أرسلها معه ابن الأندلس إلى الجزائر، وولده بها شروحه كما كان يفعل جل
النازحين الأندلسيين إلى حواضر الشمال الإفريقي.

لكننا لا نعلم السبب المباشر بالتدقيق الذي جعل ابن مقلاش يترح مرة
أخرى إلى وهران، غير أنه بالنظر إلى المرحلة التاريخية التي أسلمها فكرها
استطاع أن يرجع أن السبب يتمثل في شوم الحياة بالأندلس، فإن نوالى الفن
والحروب، وتحول السياسة والسلطان كانت شوماً على البلاد والعباد، وعلى
الأدب والفكر والحضارة بصفة عامة. ويرجع هذا الأمر مضمون رسالة⁽³⁾

(1) الشرح: (205).

(2) الشرح: (479).

(3) بردة البوصيري بالمغرب والأندلس: (117).

التي وجهها بعد موته إلى وهران إلى أهالي الأندلس يحثهم فيها على الخروج من دار الكفر والشرج إلى الشرف دار الإسلام. وهي رسائل شارك بها ابن مقلش إلى جانب عدد من العلماء الذين أصابوا عند فتاوى لأهل الأندلس خلال هذه المرحلة بضرورة ترك دار الحرب والخروج إلى دار الإسلام.

بحاصل الكلام أن ابن مقلش عاجز إلى الأندلس في تاريخ مجهول يصعب تحديده كما يصعب تحديد مدا إقامته بها، وإن كنا نسل إلى أن يكون قد قضى بها مدة طويلة. وارج مرة أخرى إلى الجرائد في تاريخ مجهول، واستر بعثة وهران، ثم لا ندرى كم أقام بها ووافته النية، وخاية ما تعرفنا عليه أنه كان بها فقيهاً وقاضياً ومفتياً، وألف بها شرحه الصغير والمتوسط، وكذا كتابه «الفرق الوهرانية في شرح الترهطية»، وجملة من الفتاوى خلفها له الونشريسي في «المعيار».

المطلب الرابع

ثالثه

يتبين من خلال نص الشرح أن ابن مقلش تعددت روافد تكوينه العلمي، ولم يقتصر على فن واحد، فقد شغل تكوينه علوم اللغة والتفسير والقراءات والحديث، وسأعهم في علم العقائد والتوحيد والكلام والمعتق. كان مقدماً في علم الفقه والأصول والفنوى، وملماً بالعلوم العقلية كالرياضيات والحساب والملك والطب، ومطلعاً على التاريخ والتراجم والشعر والنسب والسلوك. لقد حثت المصادر التي ذكرته بالشيخ والفقيه، وبهذا عبادتان عرفنا منهما أنه عالم عظيم، صاحب تباهة وشأن، وهي تحلية تليد أنه بلغ رتبة عالية في العلم والإمامة في الدين. كما أن عبارة «سيدي عبد الرحمن»⁽¹⁾ التي حلاه بها الونشريسي في «المعيار» وابن سريم في «البيان» تفيد أنه كان معظماً من وجهاء المالعين، إن لم نقل الصوفية العارفين، خاصة وأنا نجد في مقاطع من الشرح يكن لهم كل التقدير والاحترام، ويميل إلى آرائهم ولطائفهم وإشاراتهم.

(1) المعيار: (6/135).

وكثيراً ما يشعر من خلال قراءة نص الشرح أن قراءته للكاتب التي كان يعتمد عليها كانت قراءة تأمل وإمعان بطور، ولكن توارثت تصويص طلت على علم شأن في الثقة والفقه لأن تصويصاً أخرى عديدة لشعر يرسوخ قدم في الصبر والحديث والسيرة والسلوك. فهو إذن من النبهاء الوجهاء الذين يسمح لهم مستواهم العلمي، وتحصيلهم الواسع، بالمشاركة الأصلية في مختلف الفنون المعرفية، ويسمح لهم بحق الاعتراض والتقد والتعليق والاعتناء الذي تحت ملامحه في الأصول ومقاطع عديدة من نص الشرح، وفي تصويص الفناوي التي حفظها له الوثريسي في «المعيار»⁽¹⁾.

وإذا قمنا بإحصاء العلوم والفنون التي شارك فيها، أو درسها، أو أخذت بها، أو كانت متداولة على عهد، لمنا ترجح أنه أخذ أكثرها، وتلوق في حلقها. وإذا كانت الدلائل تنقصنا لإثبات علو كعب في بعضها على وجه التحديد، لأن طمعه الواسع، وسعة اطلاعه التي أبداهها في شرحه، وفي عناوين الكتب التي اعتمد عليها، كل ذلك يدعو إلى الاعتقاد بأنه أخذ كثير قسط من كل هذه العلوم، ومما يستوقف النظر إسماء بالشطوط والكلام والطب والفلك والحساب. هذا فضلاً عن علم السلوك والتصرف، فشرحه لقصيدة البردة، وتناول على تأطيمها، ورأيه في قضاياها الشائكة. يوضح عن علم واسع، وتحقق عميق، تجسد في موقف سني رزين معتدل من علم السلوك وقضاياها.

وإذا أسلفنا أن الوثريسي حلاء بالشيوخ والتقية لأن ذلك في اعتقادنا جزء من على إظهار مقدار علمه بالأساس، ثم إظهار لميله إلى الفقه على الخصوص، وبما نرى من أن الاهتمام بالأدب يتجلى بقل في النيات التي يغلب عليها الاهتمام الشرعي، فإن ابن مفلح يروى شرحه لقصيدة البردة عن ميله وتلوقه للأدب، ولا تنزاهة في هذا، لأن المسحة الأدبية في عصره كانت حاضرة حضوراً قوياً حتى في المعتصمات العامة، وتتجلى لغات الأدبية في ما يحتل به شرحه من بحوث لغوية قيس، وتكت بلاغة طريفة، وعواطر نقدية حسنة، كل ذلك يتم على اطلاع عميق، وقطرة على تلوق الأدب والشعر.

(1) المعيار: (6/4) (317/8، 135/293).

لا تشير المصادر التي ذكرته أنه خلف ديواناً للشعر، ولا يحمل نص الشرح الذي بين أيدينا أي شعر له، ولا أي دلالة على أنه احترف صناعة الشعر أو عاطاها، لكننا نجد ابن مقلash من خلال نص الشرح عالماً بالشعر بصيراً بقضاياها، ويترجم عنه هذا جبهة مباحث وأحكامه النقدية التي طبعها شرحه، أو أحال عليها. وهذا يوحي بالاعتقاد أن ابن مقلash له قدرة على تدقيق الشعر، ويملك كفاءة عالية في العلم به وتقد ولديه. كما نجد يخرن محفوظاً شعرياً جيداً من القديم والمحدث على حد سواء، ويشهد للملك في نص الشرح الثروة الهائلة من السامع والمقطوعات التي تمثل بها⁽¹⁾. وكذا الأشعار التي اطلع عليها خصوصاً بالأندلس قال: «وسو الحجاب من قلهاء غرناطة، وبقي سهم خلف أردني من محاسن نظمهم»⁽²⁾. فسخره الشعري الواسع، وعلمه بالشعر، لا ينفي عنه القدرة على نظم، قال: «... ولم اتكلف في هذا الذي جعلت لنظمه على الوجه الموصي»⁽³⁾ فهو يظهر هنا اعتناقه مقدراً على النظم. لكن لحده يصرح من أن يتناول على صراحة قال: «تترك الاشتغال به أفضل»⁽⁴⁾.

هكذا شعر من خلال ثبت المؤلفات التي أخذ نفسه بها، والفنون المعرفية التي شارك فيها، أنه كان على درجة جيدة من المعرفة والنباهة وقوة الاستيعاب. وهذا ما يمكن أن نسلم عنه لمطالع عديدة من شرحه، وأنه استطاع أن يتوج مساره العلمي بالتربع على منصة التدريس والإفتاء.

أ - التدريس:

يمدنا الشرح بأخبار ووقائع تفيد وتؤكد أن ابن مقلash كان حاضراً حضور العلماء المشهورين، مشاركاً مشاركة العلماء الأفاضل. لكن يبقى السؤال قائماً: لماذا ظلت حياته حياة عالم معصور؟ وهل أراد أن يظل معصوراً؟ لقد

(1) ينظر مبحث الشواهد الشعرية من فصل قضايا الشاهد والمصدر.

(2) الشرح: (479).

(3) نفسه: (37).

(4) الشرح الصغير: (1).

انصب ابن مقلات بعد عهد الدراسة والتحصيل والرحلة والأخذ على الشيخ للتدريس ونشر العلم. فقد تقلد لنا الشرح أجزاء حلقة من حلقاته العلمية بجامعة غرناطة، قال: «ولقد سألتني بأغراض بعض طلبة ابن علاق بأن قال: كيف يعقل أن الدنيا إنما خرجت من العدم إلى الوجود لسه؟ فأجبت بعد أن وحيته وقلت له: استغرب هذا في حجب خصائص سيد الأولين والآخرين؟ فلما أجبرته، وأراد فاضلي غرناطة تأديبه علي ما سأله، إذ لم يحسن السؤال، قلت: يحصل كلام البوصري وجهين⁽¹⁾، فهذا النص يعطيان صورة عن نشاطه التعليمي بجامعة غرناطة: فهو عالم مدروس إلى جانب علماء آخرين، وموضوع الحلقة العلمية قضية الترتيب، والطلبة في حلقة ليسوا طلبة وحده، والمنهج التعليمي سؤال وجواب، حيوية ونقاش، أخذ ورد، في حدود الأدب واحترام الأصول.

ومن مظاهر الزعامة العلمية أيضاً ما تردد كثيراً في نص الشرح من مناقشات وأبحاث مع الطلبة والأصحاب والعلماء والشرائح، مثال: «وقال بعض الأصحاب إنما وقع معه البحث في قول النافق: «كتاباً أجفلت حقلاً من الغنم»...⁽²⁾. ولم تتمكن من التعرف على من انتفع به ولا على من درس عليه لما عدا ما ذكر في النص السابق بصيغة التكرار⁽³⁾. ولا شك أن الاختيار تسهية للتدريس والتلقين والتعليم، وجامع ليس كجامعة غرناطة، يدل على مطروقة وكفاءة وحلق بالعلوم، ويدل على طول حراس ودية وخبرة باستطلبات العملية التعليمية. غير أننا لا نعلم بالضبط كم هي المدة التي قضاه ابن مقلات في التدريس بالأندلس، وليس لدينا ما يفيد أنه مارس هذه المهمة بالجزائر.

(1) الشرح: (205).

(2) الشرح: (655).

(3) اعتبر الدكتور سعيد بن الأحرش الشيخ ابن علاق طالباً في حلقة ابن مقلات، وهو وهم، لأن نص الشرح فيه عبارة «بعض طلبة ابن علاق»، ولم يطلعننا الشرح على اسم هذا الطالب. والطالب في عرفهم كما قال ابن لب: من يقتصر على دراسة القرآن خاصة لا يعد طالباً، وإنما الطالب من كان له شروع في تعلم العلم. ينظر أجوبة في الفقه لبعض علماء غرناطة: اللوحة: (107).

ب - الفتوى:

تخبر الفتوى «من الحفظ الشرعية التي اعتم بها علماء الإسلام» وحاشاها سباج من الرعاية والمناية لما لها من أهمية في حياة الناس حين الحفظ الحقوق وتحجاذب المصالح⁽¹⁾، فلقد أسهموا في هذا الصدد بقطع وإفراء، وألفوا مجلدات ضخماً تعطي صورة مشرقة عن العقلية المغربية، ومن متى استطاعنا متابعة التطورات الاجتماعية، وعدم حسرتها مع التوسر وعدم تحجرها مع الأقوال المشهورة.

وينفذ النشرسي في «المعيار» من خلال تدوينه بعض فتاوى ابن مقلاش أن الحل كان مشاركاً في هذا العمل، وكان دمجاً في هذه الخطة الشرعية، ومرجعاً من مراجعها المعتمدة. ونعلم أن هذه الخطة لا تسند إلا للأكابر، وقد حاشاها علماء الأمة شروطاً، أن يكون عالماً بالأدلة التفصيلية، مع إلمام تام بالعلوم العربية، ماهراً في علم أصول الفقه، عارفاً بأحوال الناس، وبما يجري به عملهم، سالكاً في فتواه سبيل التبصر والأناة، بعيداً عن التسرع والاندفاع، كثرأ من مطالعة أقوال الأئمة ومراجعة الكتب المتخصصة لحصل له ملكة الفتوى⁽²⁾.

للعلم والإلمام والمهارة والمعرفة والتبصر والأناة شروط الممارسة خطة الإفتاء. ونحسب أن ابن مقلاش قد استوفىها وتمكن منها، فاستحق ممارسة هذه المهمة. ومن جملة فتاواه: فتوى حطب الأب على إته الياقية تحت نظر، قال في «المعيار»: «وأجاب فقيه وعرفان أبو زيد عبد الرحمن بن مقلاش بظاهر المتنونة أن من فعل ذلك بابتته التي دخل بها زوجها إذا خرجت من البحر، وهو الذي في إرخاء الستور، وبه أحد ابن الهندي وابن العطار، ولذهب بعض شيوخ قرطبة إلى أنه لا مقال بعض خروجها من البحر».

(1) أحكام ابن حزم: (2/ 693).

(2) الفرق: (2/ 107)، الموافقات: (4/ 283)، النورة: (1/ 131)، جامع بيان العلم: (2/ 47).

والسجدة اللحمي في تبصرته، وإبراهيم رضى الله عنه، وإنا وقع بإللهاء ورضاها من
الأب فلا قيام لها عند الجميع.

فإن قلت: وأي رضى لها وهي محجورة؟

قلت: وإنما اعتبر رضاها لذهاب التهمة عن الأدب، لأن رضاها قوية
على أن الترتيب لم يكن من تلقاء نفسه، وإنما حركه طلب التبريد، فحملته
بالحاجة على تسميم غيرها، فانتفت التهمة، والأخذ بطلب الكتاب آخره،
وإن قال الأكثر بما يخالف ظاهره والله أعلم⁽¹⁾.

فهذه الفتوى تمثل تغير للشروط التي أسلفنا ذكرها، وتعتبر أدق من
جامعة التقليد الفقهي التي سادت في هذه المرحلة من تاريخ الملعب
الدارسي، والتي جعلت الفقه يقي بين مختلف يرفع لواء الاجتهاد والعمقة إلى
نهر الحديث ونبذ التقليد، لأن أصل ملعب مالك هو نص الحديث أولاً،
مقتضياً على رأي أي كان، ومن بين الفتاوى أيضاً فتوى أكثره بعد الملح مدة
سبعة، وفتوى إجابة السفر⁽²⁾. وهذا نشاط من جبهة الأنشطة الاقتصادية التي
لقد المعاصرة وتحولت لمزاوتها أثناء فترة المجاعات التي كانت تضرب
السلطة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، فكانوا يتجهون إلى التواكل
للصيد والملاحة والتجارة البحرية.

هكذا تكشف فتاواه على قلتها على: عمق الرجل، وقدره، ومكانته، بل
وأصاليته. لذا أن تدوينها في المعيار يدل على أهميتها، وعلى قيمتها في
الاجتهاد الفقهي والتعامل مع التواكل والمستجدات، وعلى مدى تأثيرها في
نفوس الناس. ويدل على أن صاحبها استوى على غارب الشهرة في هذا
السن، وصار من قحور وهران ومراجعها المعول عليهم، بصيراً بقضايا
الصنيع وتحولاته، عاكفاً على حل ما يصعب منها. كما تعكس هذه الفتاوى
عمر مستوى الأسلوب وطريقة الاستدلال والاحتجاج تشابهاً قوياً مع مثيلها في
شرح البردة.

(1) المعيار: (317/4).

(2) المعيار: (293/8).

المطلب الخامس

علاقته بملوك عصره

ومما يسترعي الانتباه في هذا الصدد خلو أسماء الملوك الواردة في الشرح من عبارات الإطراء والمدح، فقد كان ابن مفلح يذكرها عبارة من الالتفات والنعوت والأوصاف المعنوية، ليس فيها عبارات الإطراء والمدح والتمجيد الشائعة في أكثر كتبه التراجم، والسدولة عند أكثر العلماء، فهو يذكّرهم بطبيعة الفاضل والشكر بما يقف الله لم يرتبط بحاشية سلطان، ولا انكظم في عقد بلاط. ومن أمثلة ذلك قوله عن يوسف الثاني أبي الجراح ابن الأحمر: «قال بعض ملوك العصر»، ثم أورد له بيتين من الشعر⁽¹⁾.

وقال عن ابن جزى الكاتب: قال بعض كتبة ابن الأحمر «دون أن يسمه، أو يُحلّيه بالتحليات المعروفة، ثم ذكر قصته مع أبي عنان المريني واستكتابته في بلاطه⁽²⁾». فهل يمكن أن يعلل هذا الأمر بإخفاقه في تمتين أواصر الود بينه وبينهم؟ أم أن صيت معاصريه صرفهم عنه وظل يعاني مضض الشعور بالقرينة والتجاهل والغبن؟ أو أن الأمر لا يعتمد أن يكون زهرة هم وهم، ولفتة بأسر منهم في القيام بواجبهم خصوصاً إذا استحضروا أجواء الصراعات على السلطة، وحوادث القتل والقنن والأهوال، وسائر ومآسي التخالف، مقابل لغارات وهجمات العدو على سجل الثغور الإسلامية؟ أو أن السألة يمكن أن تقصر بوجبة قاتلة في اهتزالهم، وتعمير عن اشتغال وتقدير ورفض لحياتهم، وزعم في تعييبهم خصوصاً إذا استحضروا علاقته بالشيخ سيدي أبي عبد الله محمد الهوارى الصوفى الزاهد. وكذا ملوك لحالب الصالح في هذا العصر، وخبر مثال على ذلك استعجاب أبي العباس أحمد بن عاشر عن أبي عنان رغم سعيه المتكرر في طلب لقائه⁽³⁾.

(1) الشرح: (792).

(2) الشرح: (185 - 186).

(3) ينظر تفصيل القصة في: العبر: (324/7).

المطلب السادس

شيوخه وتلاميذه

لا تمدنا المصادر بأخبار وافية يمكن أن تساعدنا على معرفة الوسط العلمي على وجه التحديد الذي استند منه ابن مقلاش معارفه الأولى في غيسان صباح، وحميا حديثه. فما نستطيع إلا أن نسطر خيوطاً مترججة، ونرسم رسوماً مرتعشة من الافتراضات؛ كل ما مدنا به نص الشرح عن شيوخه لا يتعدى ثلاثة شيوخ، والرابع نقل عنه ولم يذكر اسمه: فالأول: الشيخ أبو الحسن بن باديس القسطيني، والثاني: والده أبو القاسم بن باديس، والثالث: أبو اقربا يحيى المعروف بـ «منا» والرابع: نقل عنه تعريفاً للفرق دون أن يسميه، قال: «قال بعض أشياخنا...»⁽¹⁾. وذكر آخر عند بيت: «تهدي إليك ربح الشجر» لكن للأسف لمس الاسم ولم نستطع قراءته، قال: «قال شيخنا...»⁽²⁾.

فهؤلاء الشيوخ للأسف ليسوا أحسن حظاً من ابن مقلاش، فلم أظفر لهم في كتب التراجم بترجمة وافية تضيء بعض الجوانب من ترجمة ابن مقلاش، فأحسنهم حظاً لا تتعدى ترجمته السطر ونصف أو السطرين. غير أن تحليلهم بالشيخ والفقيه جعلنا نضمن أنهم من أهل العلم والساعة. وإذا صح لي حقه ما أورده ابن مريم والحق عليه يكون قد تعلم أيضاً للشيخ أبي عبد الله ميللي محمد الهواري (834هـ)، وتلمذته هذه تفسير من جهة ارتباطه بقصيدة الميرزا، ومن جهة ثانية علاقته بالساعة الصوفية الذين أنشأ عليهم كثيراً في شرحه، إما مباشرة أو من خلال دفاعه عن آراء البوصيري. إنه لا تتصور أن ينحصر شيوخه فيمن فكر، ولطعم في معرفة يزيد عن روى عنهم، أو استناد من علمهم، أو التقى بهم، أو عاشهم.

ومن الشيوخ المعاصرين له وقفنا على اثنين: الأول: هو أبو عبد الله

(1) الشرح: (609 - 760).

(2) الشرح: (716)، وأظنه يقصد أبا علي الحسن بن باديس القسطيني والله أعلم.

محمد بن علي بن قاسم بن علاق الذي ورد ذكره في الشرح⁽¹⁾، وهو من شرح الألباني، حافظ غرناطة ومفتيها وعظيما، وقاضي الجماعة بها وابن علاق هذا أخذ عن ابن لب، والمقري، والخطيب بن مرزوق، وأخذ عنه المنتوري، وابن السراج، وأبو بكر بن عاصم. والثاني: هو ابن قنفذ القسطنطيني، فهما معاً أخذوا عن أبي علي الحسن بن ياقين القسطنطيني. وفي شرح ابن قنفذ هم: الشريف أبو القاسم السيدي (731هـ)، والشريف أبو عبد الله التلمساني (771هـ) والشريف أبو عمران موسى العيسوي (778هـ)، والعلامة الحافظ القناب (779هـ)، وابن حراوق الجند (778هـ)، وأبو عبد الله ابن خرفة (801هـ)، والمطني أبو عبد الله الواعيلي (779هـ)، وأبو زيد اللجاني (773هـ)، وابن حياتي (781هـ). فما دام ابن قنفذ وابن علاق معاصرين لابن خلائق، فالشرف علي شيوخهما يساهما إلى حد ما في التعرف على الأقل على الوسط العلمي الذي عاش فيه ابن قلائق، وإن كنا لا نستطيع التحريم بحالنا ما له بأحداهم. فهؤلاء الأعلام الذين تفرقت عنهم يمثلون فترة النضج والازدهار العلمي بالحركة الإسلامية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

أما عن تلاميذه فرغم أن شرحه استطاع أن يخترق الحواجز، ويصمد أمام عواذي الزمن ليصل إلينا، إلا أنه ول سوء الحظ لم يحمل إلينا أي خبر يذكر عن تلميذ ابن قلائق كما أن كل المصادر التي عثنا إليها لم تقدم إلينا شيئاً من هذا القبيل.

المطلب السابع

مؤلفاته

لم يبق من ابن قلائق من الكثرة والتأليف، وإن سجلنا سابقاً استحواد القديس والفقيه على نشاطه العلمي، ولما كانت الشروح الشعبية تستولي على قلب السن في الأنشطة العلمية للعلماء خلال هذه الحقبة، باعتبارها بالنسبة لأجيال المتعلمين مطلقاً لكل بداية علمية ناجحة ومدخلاً ضرورياً لكل

(1) الشرح: (205).

حرف صعب، لحد ابن مقلاش يشارك في هذا النشاط الفلحي، فبولدت ثلاثة
شروح على البردة، وشرحاً على البرهانية.

1 - الشرح الكبير:

هو الشرح الكبير على قصيدة البردة، تعددت الإشارة إليه في شرحه
المتوسط، وكذا في الورقة المقتبة من الشرح الصغير - فكل ما حرقه عنه أنه
شرح ضخم، يتكون من ثلاثة أجزاء. قال في الورقة المقتبة من الشرح
الصغير: "لأن الشرح الذي وضعت عليها مشتملاً على كلام كثير من لغة
وأعراب وعلم بيان حتى وصل ثلاثة مجلدات⁽¹⁾" ويعد إلى حد الآن
محبوباً، أو في عداد المفقودات، يسر الله العثور عليه.

2 - الشرح الصغير:

هو الشرح الثاني له على البردة، لم تبق منه إلا ورقة واحدة ضمن
مجموع يرحل بالخرابة الوطنية بالجزائر تحت رقم (1100) - أوله: بسم الله
الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. قال عبد القدر
إلى ربه عبد الرحمن بن محمد عرف بابن مقلاش بكثرة: سألني بعض
المشتوقين إلى سماع مدح نهم سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ وشرف
واكرم أن أشق له حروف القصيدة المباركة المسماة بالكواكب النيرة في
مدح خير البرية، المعروفة بالبردة. وكنت وضعت عليها شرحاً كاملاً، فأجبت
إلى ذلك، لأن الشرح الذي وضعت عليها مشتملاً على كلام كثير من لغة
وأعراب وعلم بيان حتى وصل ثلاثة مجلدات، فلم يستطع المشتق نظراً
لثمين عليه. وهذا أنا أتكلم على حروف القصيدة المذكورة بما يفهم معناها
اليسيط دون ما يتعلق بتلك المعاني من المعلوم التي لا يتركها إلا
أربابها⁽²⁾

(1) الشرح الصغير: (1).

(2) الشرح الصغير: (1).

3 - الشرح المتوسط:

هو الشرح الثالث له على البردة، ونسخت الوحيدة هي التي من أيدى،
قال في تعليلها: «لقد رأيت على هذه النسخة عدة أسطر مختلفة بحسب
النسخ، لإكمال...» (الفتاوى) القول في كتاب مختصر طبع، وأردت هذا
في هذا الكتاب أن أقصر على ما يظهر فيه إليه من كتاب الباب (1) وتوجد
هذه النسخة بالشرارة العامة بالبردة رقم: (135/4) و(293/8) مكتور فيه.

4 - شرح البرهانية:

واسم الكتاب تماماً: الدرر البرهانية في شرح البرهانية، وردت
الإشارة إليه في شرحه المتوسط على قصيدة البردة قال: «...» وقد بسطنا
الكلام في كتابنا الموسوم بالدرر الوهرانية في شرح البرهانية⁽²⁾.

5 - تصحيح كتاب السهو:

ذكر ابن حبيب في «البيان» أنه ورد في تصحيح كتاب السهو لشيخه
عبد الله سيدي محمد الهواري نزيل وهران⁽³⁾.

6 - فتاوى:

دراسة البشير في «المعيار»⁽⁴⁾، وفي فتاوى الشيخ بالإحوال
الشخصية والمعاملات.

7 - رسائل:

ذكر الأستاذ سعيد بن الأحرش في دراسته أن له رسائل خاطب بها
النفوس والعلماء والجساعات من المستعجمين في بلاد الأندلس، بينهم على
الهجرة والخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام، وذكر أنه وجد وصف هذه

(1) الشرح (5)

(2) الشرح (230)

(3) البيان: (230).

(4) المعيار: (317/4)، (135/6)، (293/8).

شروط في مجلة دعوة الحق⁽¹⁾، لم أستطع التعرف على العدد المستطوع لذلك.

هكذا ترى أن ابن مفلح خير تيسير شرحاً وفتاوى ورسائل في تاريخ الإسلام ولكن قد مرنا سابقاً أن الشرح الكبير أصلاً على الطلحة وهو في الأصل من مباحث غرناطة ويقدر هنا أن يافي مصنفاته كانت بعد موته في إشبيلية، ويشتمل هذا من خلال بعض الإشارات الواردة في الشرح متوسط، قال: أولمذ سألني بأمرناطة بعض قضاة ابن علافة⁽²⁾، وهذه إشارة بعد أن لم يرد في غرناطة، وأنه يورد الكلام على سبيل الحكاية والفتى عابراً، قال: سألني عن اليس والأندلس⁽³⁾، فعبارة الألي بعد أنه غير مضمرة بالأندلس، هذا من شرطه على البرقة، أما من كتابه الفروع الوهرانية في شرح البرهانية فواضح من خلال العنوان أنه ألفه وهو نابل بسبيله وهو أن يسهل إليها، في تاريخ تجميعه إلى الآن، أما المادة الأندلسية التي طفت على الدارج هذا رجحاً أن تكون من حيلة ما حصله بعد إلى الجواز بعد الدارج من الأندلس.

خلاصة إلى جانب هذا أن بعض مؤلفاته كانت تأتي نتيجة استفسارات تعتمل في نفس من ارتبط به علمياً، أو من تتلمذ له، أو من صاحبه. وهذا نطق لنا أن ابن مفلح لم يكن يوافق بدافع المعرفة المجردة المستطوعاً من الواقع المعيش السائد في عصره بقدر ما كان يوافق اقتضاء الحاجة الملحة التي كانت يشعر بها اتجاه الأجيال المتعلمة، ولواجب نشر العلم بينهم واستجوابهم به فينتقل إلى قضية متطلباتهم بصدق وحسن مآثر، بدلاً من إصدار الأحكام لإرواء غشش المتعلمين والمفلسين. كما أننا نلاحظ في مؤلفات أخرى أنها ليست بدافع ذاتي، وقديماً بواجب علمي، أو موقفاً محدداً من مسائل بعينها، من الطريب أن لا يكون لهذه المؤلفات إشارة تذكر في كتب الطهارات

(1) برودة البوصيري في المغرب والأندلس: (117).

(2) الشرح: (501).

(3) الشرح: (501).

والأشياء غير مذكاة صحتها، والأغريب أن تغفل واقعة في حدود نصف لا تغفل
ولا تسمن من جوع.

هكذا نطوي صفحات هذا الشيخ الحليل دون أن يكون لها أول فاعلمها
السند فيها «جود عارم» ومكاته بين العلاء، فشح الكلب والفراسات
والأشياء لا يتناسب إطلاقاً مع الرصعية والمكاته التي كان عليها هذا
الرجل ولكن وجود هذه النسبة من شجرة يفتح إذا شاء الله باب البحث
بمراجعة السقيف، وأمل أن يكون هذا بحول الله وقوته لبنة في هذا
الصدد.



الفصل الثاني

شرح ابن مقلاش

المبحث الأول: حركة شروح البردة في الجزائر والأندلس في
عصر ابن مقلاش

المطلب الأول: حركة شروح البردة في عصر ابن مقلاش.

المطلب الثاني: كتابة شرح ابن مقلاش بين الشروح

المطلب الثالث: قصة شرح ابن مقلاش التاريخية والعلمية

المبحث الثاني: منهج ابن مقلاش في شرحه

المطلب الأول: تأطير الشرح.

المطلب الثاني: المنهج العام للشرح.

المطلب الثالث: البناء العام للشرح.

المبحث الأول

حركة شروح البردة في الجزائر والأندلس خلال عصر ابن مقلّاش

المطلب الأول

شروح البردة في الجزائر والأندلس

يرتبط الشعر والأدب في الأندلس خلال العصور الوسطى والتاريخ الحديث بحركة البردة، ولعلّ أبرز مظاهرها ما تمثّلته في الأندلس من شروح الشرح الشعري الممتازة مثل: قصيدة بانث سعاد لكعب، وقصيدة الشقراطيسي، ومقصورة ابن دريد، ومقصورة حازم القرطاجني، ومقصورة السكودي. كما حظيت هذه المحاولات على اهتمام بعض الأندلسيين ومكتسبة مكانة ومقبولة. امتلأت الناحية والأندلس، وقررة الملكة العظيمة ونسبها، ولقد برز التأويل والمصالحات التي تلي هذه الأوساط العلمية ظهرت شروح البردة في الأندلس، ولعلّ أبرزها وهو "شروح البردة" التي ألفها الأندلسي الشافعي، وهاكنا واستشهدنا المصاحف، والشروح الشعرية السابقة، المسجوعة على سواها، فجاءت شروحهم مكتوبة على أرباب من عهد خلافة الأندلس بالمغرب والأندلس للدكتور سعيد بن الأحرش: (123).

نماذج من هذه الشروح:

- (1) ينظر كتاب شروح البردة ومعارضاتها للأستاذ محمد بوذينة، فقد أحصى حوالي (75) شرحاً وعدداً من المعارضات والتخيمات.
- (2) ينظر شروح البردة بالمغرب والأندلس للدكتور سعيد بن الأحرش: (123).

أ - الشروح المحجوبة:

صراحة بلغة «المستشرق» تعداد النسخ المفقودة (1)، الشرح المختص من جهة، ولورود احتمال ظهور بعضها يوماً ما من جهة أخرى. وهي الشروح التي ورد ذكرها ونسبتها لأصحابها في غير واحد من المصادر، ولم تشر هذه المصادر إلى مكان وجودها، وهي اليوم في عداد المفقود، نذكر منها:

1 - شرح يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح الجذامي من أهل رندة، (178هـ) «عاشي اللغة في القفص اللطيف»، دار الكتب في (الإحاطة) (2)

2 - شرح الرئيس أبي عبد الله بن الأحمر (767هـ)، ذكره له الجادري في مقدمة شرحه.

3 - شرح أبي القاسم البرجي (786هـ)، ذكره الجادري في مقدمة (2)

4 - شروح ابن مرزوق الجد (781هـ)، حافظ مشارك في عدد من النسخ، حاشية المسألة في الجاهل، ورقاق المدة من الصور، (البحر المحي) وقد وضع عليه ثلاثة شروح، قد وجدنا بعضها، وهي شروح ورد ذكرها في جل الكتب التي ترجمت له، لا نعرف عنها شيئاً، وتعد في عداد المفقودة (3).

5 - شرح ابن مرزوق الحفيد المسمى بـ «الاستيعاب لما في البردة من الآثار والأخبار» - وقد ورد ذكره في شرحه «الآثار من البردة» وغير واحد من مترجميه (4)

6 - شرح ابن الحاج الوريدي، وهو من فقهاء المالكية في الجزائر، وشرحه هذا غير كامل ذكره له ابن مريم في «البتان» (5).

(1) كشف الفنون: (2/1333)، الإحاطة: (3/245).

(2) ورقات عن الحضارة المغربية: (178).

(3) ينظر: البستان: (184)، الإحاطة: (1/241)، الفتح: (3/278).

(4) البستان: (184).

(5) البستان: (23 - 210)، النيل: (107).

7 - شرح أبي محمد عبد الله بن جزري الكلبي (810هـ)، ذكره له ابن الخطيب في الكتبية ونقل عنه البقي في شرحه⁽¹⁾.

8 - شرح قاسم السطاسي (811هـ) ذكره له السطاسي في شرحه⁽²⁾، لا يعرف له أثر.

9 - شرح سعيد العقباني (811هـ)، ذكره له ابن مريم في «البيستان»، والسيد «الاستبصار» في «نيل الأنياب»، «نظير السنين» في «البرقانة» وغير ذلك من الشروح المنقودة⁽³⁾.

10 - لم يبق من يدلائل «الشرح الكبير» و«الشرح الصغير» و«الشرح الأوسط» في الشروح المنقودة، وتوجد من «الشرح الصغير» الأولى الأولى فقط ضمن مجموع بالخزانة الوطنية بالجزائر⁽⁴⁾.

11 - شرح أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي (891هـ) ذكره له ابن مريم والمقري⁽⁵⁾.

ب - الشروح الموجودة:

وهي الشروح التي استطاعت أن تخترق عوادي الزمن وتصل إلينا، منها ما هو جليل ومنها ما هو قبيح، ومنها ما هو متوسط. وقد حاولت في هذا الكتاب أن أذكر من الشروح الموجودة في الجزائر، ونذكر منها:

- (1) الكتبية: (56)، برنامج المجاري: (84).
- (2) ينظر: الضوء اللامع: (181/6)، تعريف الخلف: (58/1)، النيل: (223)، توشيح الديباج: (170).
- (3) البيستان: (106)، النيل: (125)، الديباج: (124)، تعريف الخلف: (1132)، برنامج المجاري: (129).
- (4) فهرس قاتبال للمخطوطات بالخزانة الوطنية بالجزائر: (79).
- (5) ينظر: درة البحال: (445/2)، النيل: (163)، البيستان: (14)، نفع الطيب: (2/693).

مستفادة مستفيضة، أو شروح متوسطة مركزة، أو شروح صغيرة مخصصة
مستطرفة. ويعد ابن مقلّاش أحد أكبر شارح للبردة على هذا النحو متبعاً
بابن مرزوق الحفيد.

ب - شروح ملفقة:

وهي الشروح التي اعتمد أصحابها في تأليفها وتصنيفها على شرح أو
شرحين أو أكثر من شرح. وغالباً ما تكون شروحاً متوسطة. تكاد تنعدم فيها
الأصالة والجدّة، يغلب عليها تكرار واجتراء الآراء والمباحث والأفكار.
ومن أهمها شرح ابن الساج الوريدي الذي اختصر فيه شرح العقباتي وشرح ابن
مرزوق الحفيد وشرح علي بن ثابت.

ت - شروح فرعية:

وهي الشروح التي اختصر فيها أصحابها شروح مشاهيرهم. أو على عبارة
من حواشي وتحليلات على شروح سابقة. وتقوم على الانتقاء والانتخاب
لأجود ما في الشروح الأصيلة. وخير من يمثل النوع من الشروح شرح الشيخ
عبد الرحمن الجادوي الذي اختصر فيه شرح شيخه أبي الوليد بن الأضر،
ومثلت شرح الشريف الخريفي الذي اختصر فيه شرح ابن مرزوق الحفيد.

المطلب الثاني

مكانة شرح ابن مقلّاش بين الشروح

بالنظر إلى الشروح التي أسلفنا ذكرها، وبالمقارنة معها، يعتبر شرح ابن
مقلّاش الهمزاني من الشروح المبتكرة الأصيلة الكاملة، ويمثل خير تمثيل
الاتجاه الأدبي الشعبي في الشرح، والدليل على هذا أننا نجد ابن مقلّاش لا
ينقل عن أي شرح، باستثناء بعض الشواهد الشعرية من شرح أبي عبد الله
الأثيري، ومنها أربعة أبيات من نظم هذا الأخير. ولم يكن شرحه من شرح
آخر لغيره، وإنما اطلع بوضع شرح متوسط لشرحه الكبير. ونجده في الوقت
نفسه على طول الشرح يتعقب مراراً عديدة لشرح السابقين، ويتزيد في تصيد

مبهماتهم وسقطاتهم ويتبع كل صغيرة وكبيرة. فهو مرة يوردهم في حالة من الاستحسان لما درجوا عليه من شرح لبعض المسائل، ومرة يوردهم في حيز الارتباك والتردد، وأخرى في سياق النقد والرد؛ بل قد يتعدى ذلك إلى حد الاتي به بالتقصير والضعف؛ فهذا في شرحه أصيلاً مبدعاً مبتكراً، خلافاً لبعض الشراح التي ترد فيها أصحابها نقلاً عن شيوخهم، وهذا ما يشهد له بالأمانة والشمول اللذين يجعلان منه أكبر شارح.

وقد سلك في التفوق على الشروح السابقة طرقاً مختلفة: فهو في تتبعه لها إما مضمناً وجه الخطأ مفصلاً في تصحيحه، وإما محتجاً ومستدلاً من مخزونه السلس، وزمينة السعوي ووافر مادته وغناها، وإما معنفاً في رده ودحضه لما ذهبوا إليه أو زعموه أو توهموه أو احتملوه. ومن خلافت للنظر حقاً أن ابن طائش لم يذكر ولو اسم شرح واحد، ولا سقى شارحاً من الشراح الذين اختلف عليهم، أو نقدهم، أو ناقشهم. من خلال ردوده ومناقشاته التي وقفنا عليها يمكن أن نميز فيما بينها بين ثلاث فئات من الشراح:

الفئة الأولى: يصطغح لها عبارة "بعض الأصحاب"، أو عبارة: "بعض الفضلاء"، وهو إما متفق معها، أو لم يقب عليها تعقيباً خفيفاً، أو مورد رأيها دون تعليل، وقد يورد رأيها ويلتمس له مخرجاً من الضيق، أو محملاً من الصواب، أو يتحفظ على ما يورده.

الفئة الثانية: يصطغح لها عبارة: "بعضهم"، وغالباً ما يتجاوزها بقوله: "بعضهم بعيد من قصد الناظم"، أو بقوله: "ولا يتأول على الناظم غير هذا"، أو بقوله: "وليس كذلك"، أو بعبارة: "لا طائل تحته".

الفئة الثالثة: يعصد إلى رد آرائها بحدة بقوله مثلاً: "وقد أبعد النجعة"، أو من أراد: "فضعيف المعارضة مقصّر"، وقال بعض من لم يقتل معاني الكتاب: "ورغم ردوده هاته، ورغم تعنيفه على بعضهم، يبقى كلام ابن مقلش كلام عالم عارف بحدود ما يفعل، خبير متمكن يصف ما يصف عن علم وإدراية، ويرد ما يرد عن استحقاق وجه حق، خلافاً لما أوهمنا به في مقدمة شرحه من أنه متطفل على الشراح فيس يرومه ويقدم عليه من الخوض في فك معاني قصيدة البردة وترصيف مبانيها.

المطلب الثالث

قيمة شرح ابن مقلash

نستطيع بعد هذا الذي قدمنا عن مكانة شرح ابن مقلash بين شروح

المادة في عصره أن نستخرج من الشرح ما يلي: القيمة العلمية، والملاحظات التالية:

1 - القيمة التاريخية:

1 - يكفي مزايا هذا الشرح أنه يظهر للوجود اسم عالم من علماء الأمة،
من عصرنا الحديث، وهو العصر الذي كانت فيه الأمة في حالة الضعف والوهل،
وكانت بحاجة إلى شرح لأعمالها القديمة، ومن حسن طالع ابن مقلash أن يكون شرحه هذا
تعويضاً ثميناً عما تفتقر إليه ترجمته من استفاضة ذكر يستحقها عن جدارة،
ومن بيان قيمة يستأهلها، ومن تحديد مكانة بين الأقران يحتلها، ومن رسم
صورة له في الخيال توافقه وتلائمه؛ إذ أن المادة التي تضمنها بين دفتيه تعين
إلى حد بعيد الدارس والباحث على الكشف عن جوانب مهمة من حياته،
ومكانته العلمية، وتوجهه الفني، وذوقه الأدبي، ومستواه المعرفي.

2 - إن نسخة الشرح نسخة واحدة فريدة، نسخة أصلية؛ فهي مبيضة
الخط، خط يد، وهذا يعني أنها نسخة تصانف. ولقد لها قيمة من
ناحية التاريخ من الناحية، وقيمة ما فيها من أخطاء، ينصح من بعض
التصحيفات والبواش أنها لم تصحح قط، ولم تصحح بالذات، فهي
نسخة لمسة يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثامن الهجري، أي إلى العصر
البحري على عهد أبي زياد المصنف، وهي نسخة، وهي من نوع الخط
الفكري، والغنى الأدبي والمعرفي.

3 - نسخة الشرح هي كل ما تبقى من أعمال وإنتاج ابن مقلash، لقد
كانت من المصنف، أو من من حكم المصنف. فلا يصح الباحث أن يطلع
هذه النسخة الثمينة إلى غيرها، بل يتوجب العمل على تحقيقها وطبعها.

ب - القيمة العلمية:

1 - من حيث الأسلوب:

دون ابن مقلّاش شرحه هذا على قصيدة البردة بأسلوب سهل واضح، دقة في الحس (الحمال، والجودة والبطافة والبيد، اختلج انط إلى قصم، واتعد استارة للاهتمام، وانهم إلى انتعلت التي الأملس، وأشرف نحو الحصد، وأقوى بقاء لأصابع الحنك والآلهة والحنس والوحى، خصاً عن السحب والغيوش، والتكلف، والصنع المجلد، والسطيح العمري، ربما لا شك في أنه استلهم من أسلوب الطبيب الفيلسوف، والعالم الديني، وذلك أن مقلّاش لم يكن مجرداً في الإحصاء والتعريف، بل من العارف والمناقض، السطحي والعميق، العنقوي، من أن يؤمن بالحقائق ليس مجرد حجة، وفقد إلى يدوم هذه العلوم، ويدل دلالة ناطعة على أصالته.

2 - من حيث المادة:

زخر شرح ابن مقلّاش بمادة غنية، جمعت طوائف من المعارف بطريقة مختارة منسجمة إلى حد بعيد مع لسان القاصي وزينة الكلمة، ومن دقة الطبع، ومن القوة والعمق، بل قد يقال من مستوى الصرامة والسمو والجل، ومن الصفاء والراح من المعنى والمبدأ، تتشابه مع لسان الفاضل والحلاق، وبذل القلب، وصدق المقصد. مادة متنوعة، ليست من طبيعة واحدة، ولا من مذهب واحد، ولا من مصر واحد، كما أنها ليست لجيل واحد؛ وإنما هي مادة من ألوان شتى بحسب تنوعه وأبعاد مختلفة متباينة. ولا مجال من العلوم متباعدة متفاوتة.

3 - من حيث المنهج:

يخضع شرح ابن مقلّاش لتسلسل منطقي يتقدم على وفاء اليقظة لعدم الترخي. وقد جده ابن مقلّاش معالمة مدقة في الحقيقة، قلل، وأزادت أن اختصر هذا في هذا المختار على ما يحتمل فيه إليه من لسان اللسان، وأحرم به صبر شيء من العلم البيان والتفسير والأفان. وقد حاول أن يشرح به على هذا الشرح يست تمامه حسب ما يستلزم المنهج، الشيء الذي جعل من الشرح وحدة متكاملة، منسجمة مفيدة.

المستند الثاني

منهج ابن مقلاش في شرحه

المطلب الأول

تأطير الشرح

جرت العادة أن يقدم الشراح لشروحيهم بمقدمات يتطرقون فيها إلى جملة من الأمور التي يجب أن تساعد القارئ على التوجه إلى كتابه. وقد اختلف بين يديه عدة مفاتيح تساعد على فهم واستيعاب مضامينها، وهذا الصنيع يدل على أن المؤلف قد وضع في ذهنه الشرح كمنهج أساسي في بيانه. وقد اختلف معه وفق تصور واضح محدد. فهم غالباً ما يتناولون العناصر الآتية - خصوصاً ما كان في ذهن المؤلف - من حيث: (1) المقدمة، (2) الشرح، (3) الخاتمة. وقد اختلف في الاختلاف في تسميتها، ذكر بعض ما يتعلق بروايتها وبيرونها، وقد اختلف في بعض النواحي، وهناك الآتي: (1) المقدمة، (2) الشرح، (3) الخاتمة. وقد اختلف في بعض النواحي، وهناك الآتي: (1) المقدمة، (2) الشرح، (3) الخاتمة. وقد اختلف في بعض النواحي، وهناك الآتي: (1) المقدمة، (2) الشرح، (3) الخاتمة.

١ - سبب تأليف الشرح:

من خلال الاطلاع على مقدمات جملة من الشروح الموضوعية على
هذا الكتاب من أن هناك بعداً روحياً في الأساطير التي دعت أصحابها إلى
الرجوع إلى آلهة أو شخصيات خيالية الخرافات والمعتقدات الخرافية وذلك
في الوقت الذي وجد فيه بعضهم يستلزم إيماناً في تقسيم مصيبة إلى سلطان
أو مصيبة ثمراً لها وقد حاكموا فيهم، أن قولاً لم يجب حقاً خدمة له،
والمراد من ذلك بعداً علياً بعداً قسرياً بالكون شروحه واستجاب طلب أحد

الوجهاء، أو وفاء بوعده لصديق أو حبيب أو طالب علم متعطش. كما نجد
 بعض المدرسين على شرح القصيدة أحداً منهم بالعينين ويخطها بالروح
 والفنية والجمالية والعلمية.

وإذا كان ابن مقلّاش في شرحه الصغير على البردة قد أقدم على اختصاره
 لطلب بعضه، قال: «وقد جالني بعض احتشاش إلى شرح صحيح
 نبين... أن أشق له حروف القصيدة المباركة... فأجبتة إلى ذلك»⁽¹⁾، فإنه
 في شرحه المتوسط هذا لم ينهض به استجابة لأحد، وإنما نحا فيه منحى آخر،
 قد جنى لنا وأنت من الحكمة الثرية في مدح حمزة البردة المحلاة بحلوى
 الحياة... قد خلقت لها أفكارهم... وأضحت إلى معانيها الرقيقة الفاتحة آذان
 السامع الأعم. لهذا تطورت عليه من حشوات محسوسهم وعادة مقلّاشهم، وأخذ
 كثير من شرحها يحلّ على شاربها بالآراء على الحوش في تلك معانيها،
 وتوسيع ما ظهر لي من مآلها ونائب من الله الهداية والتوفيق إلى سواه
 العزيز...⁽²⁾ فخلطت له ابن مقلّاش بعضاً من شرح هذا الشرح انطلاقاً
 من تأويله الذي أطلع من تعلّق حاشي قصيدة البردة، كما لها من مميزات
 أخرى خاصة بآرائها بوجهة كثيراً في كتب والعتواء والعموم، ولما لها من
 ارتباط بالجناب النبوي الشريف؛ فيقدم على الشرح متضرعاً إلى الله، طلباً
 العون والتوفيق، وأن يجيبه إلى مطلبه ويسعفه في رغبته.

فلا كان بعض الشراح يفسدون السبب انطلاقاً من وجهة واحدة من
 سوء ما في الشرح السابق من القصور أو الخطأ أو الخلل أو التوفيق، أو
 لما حسد من شعور بالتفوق والتبرؤ إلى إعدام المبرر وإظهار الحسرة والحكمة
 حين أن الحديث من أهمية شرح ما ومكانة العلمية، وهذا ابن مقلّاش يظهر
 ما حسد على ثقافة السامع الراشع، ويصرح في بداية شرحه بكتفائه كثيراً
 من سببها، فلفك مغاليتك التصريح العاليية ليس من احتشاشه، قال:
 «وقد جالني شاربها بالآراء على الحوش في تلك معانيها، وتوسّع ما

(1) الشرح الصغير: (1).

(2) الشرح: (4).

يظهر لي من مبانيها...⁽¹⁾. وتصريحه هذا هو تعبير صريح عن تهيئه من اقتحام عالم الميت. فهي ليست فقط عالماً بهل العالم الميت، والعالم الميت هو عالم غير قابل للحياة وبعد من الموت. ⁽²⁾ وهي أصغت إلى معانيها الرائقة الفائقة آذان أشرف الأمم...⁽³⁾. وهي فصيحة تعلمت على حلقته في السموات وبهائم الأرض، والآن طيلة ما يطغى فينا السعير من الموات في عيني السعير المجرى لا نظير له... لأن «من ألف فقد استهدف»، وعقل المرء مستقر في تصانيفه، مستدل عليه بسختراته وتواليقه كما يقول المثل.

2 - مناسبة نظم القصيدة:

لقد تحولت قصيدة البردة من نص شعري ذي محة دينية قابل للدرس والدراسة والتأمل والتحليل والأخذ والخذل إلى نص أدبي بلاغي وفني عبقري فاضح تماماً للملك يسوع المسيح الذوق والفهم، وطرح حضور المسيح والحيثية، وملحاً لروح القدس والفرح والاحتفاء بالإنجيل، وأخيراً سرّنا أنما سوت في هذا الشعور بين الصغير والكبير، وبين العالم والمتعلم، وبين المتخصص والمتدني.

وإذا كان بعض الشراح (البقني، القصار) قد انطلقوا في شروحيهم على
أسس مباشرة فمتسا حاجة إلى التعرّيج على قدر ملاءمة تنظيمها وطرق
تدريسها، وما يقع في ذلك من الأخطاء والحكايات التي كانت هيرويه، فإن
المفسر الشراح قد عرفوا هذا الباب، وفضلوا التواضع، فكتبوا من يحكي تلك
التجارب ويشرح أخطاها فيها، واقتصر على (الأسير)⁽⁴⁾ ومنهم من شكك
فيها، فحفظ عنها، أو سرد تلك الأخطاء أو بعضها، فسمعت الشرح ثم رجع
إلى عمله (ابن مرزوق)⁽⁴⁾

(1) النرح : (4).

(2) الشرح: (4).

(3) مقدمة شرح الجادري: (12).

(4) إظهار صدق المودة لابن مرزوق: (15).

أما ابن مقلّاش فنجدّه ينفرد بطريقة خاصّة في التعامل مع هذه الأخبار
المتعلّقة بـ «أما» كما نرى في هذه النسخة لما حدثنا به الشيخ أبو
علي⁽¹⁾ فهو يسند ما يرويه بشأن المناسبة إلى علماء ثقة، نقلوا عن
قنده ثقة، وصولاً إلى الثامن: «لاحظ علاء علي هذه النسخة التي سند
في السج وأصوب وأسلم لصاحبه، وأختصني له في نسخ النسخة (الطبعة
في ثلاثة النسخة والأنعام والتجديد، لاحظ أنه الذي يذكر ما هو مذكور
في هذه الأخبار: النسخة التي سندنا في نسخة السج، والسج،
وهذه النسخة وأصوب وأسلم، وهي النسخة التي يذكرها صاحب
في النسخة الكثر من الشرح والمصنفين والمصنفين⁽²⁾
والدارسين»

وفي الوقت الذي نجد بعض الشراح بهذه المناسبة يذكرون بعض ما
 هو أهم شخصياً من هذه المسئلة السائرة، أو بعض ما خلقه أو استقر على
 شرحها من تفريج كرب، أو شفاء من مرض أو وصب⁽³⁾، نجد ابن متلاش
 يكتفي بطلب المدد والمعونة: «... سائلاً من الله الهداية والتوفيق إلى سواء
 الطريق، وهو المؤمل في المعونة على ما تصديت إليه وقدمت عليه، وهو
 حمد الله وأمره وإكرامه...» فليس العالم وحده لا عندنا ولا عند غيره يقدم على
 كتابة عوذات الأخرى. ولا ريب أن هذا السلوك ليس عليه أسس العلم
 والمهنية الشائنة من الاستقامة وعلى الاعتدال في تقييم الأمور. والنظر
 في الآلة بوقت شظاء أو تحصر، أو جمود أو تنقطع فج، أو تنكث من
 الصراط المستقيم.

(1) الشرح: (5).

(2) ينظر في المسألة مقدمة ديوان البوصيري: (9). البلاغة العربية في فنونها لمحمد سلطان: (123)، المداخل النبوية لزكي مبارك: (148). البديعيات في الأدب العربي: (28)، الأدب في العصر المملوكي: (243).

(3) ينظر مثلاً شرح ابن الأحمر، فهو يعدد مجموعة من الحوادث والخوارق التي شاهدها بأمر عيته ويأمر وقوعها: تغيبات وامتنعافات وبركات متعددة.

(4) انظر : (4).

3 - أصل تسمية القصيدة:

انفردت القصائد الجيدة والخالدة في تراثنا الأدبي الشعري دون غيرها من القصائد بتسميات خاصة تميزها عن غيرها من القصائد؛ وانفرادها في تراثنا عدة أسماء مثل: المعلقات، أو السمطات أو الحوليات نسبة إلى زمن تثقيفها. ونجد المنضليات، والأصمعيات، والحماسيات نسبة لسمخاريها ومنتخبها. ونجد منها ما نسب إلى جنس ناظمها مثل: لامية العرب، ولامية العجم. ومنها ما نسب إلى صاحبها مثل: الشقراطيسية، والشعترية.

وإذا كانت جل هذه القصائد قد عرفت باسم واحد ظل يلزمها، فإن قصيدة البردة تختلف عنها جميعاً، فقد عرفت بأكثر من اسم، فهي: أم القرى في مدح خير الورى، وهي الكواكب الدرية في مدح خير البرية، وهي البردة. وأشهر اسم لها من بين هذه التسميات هو البردة؛ وهذا النوع من التسمية تابع لغيره حيث أنها رخصها، وبذلك أصبح لها التسمية التي تتولد عن باقي القصائد. فكما اختلفوا في ملابسات إبداعها اختلفوا في أصل تسميتها، فابن جني قال: سمى بها لأن رأتها بعداً في هذا الصدد، والبردة لأحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي أمية، قال: سمى بها لأنها باردة على من كان في البرد، فصحفه العامة حتى صار يقال لها: البردة. وقيل: من البرد وهو برد الصبي بالبرد، وذلك أنه هذه القصيدة لها على من كان في البرد، سميت بردة، فهي فعلة بمعنى باردة للألم. وقيل: إنما سميت بردة استعارة من البرد التي هي الشدة الباردة، ولقد قالوا: رمة لابسها رمتها، رمة لابسها سميت بردة، فالإيمان على ذلك أنه لا احتمال أن سمى بها لشيء من هذا بل هو أن الشدة الباردة، لكن هذا لا يعني أن معلقاً من المعلقين أو الترجيح.

4 - بحر القصيدة:

درج بعض الشراح في مقدمات شروحيهم الشعرية على أن يبسطوا
الشرح في بعض القصيدة المستطفا بالشعر والوزن، وقد وجدنا هذا
في الشرح من حيث أنها لا تخرج بطرائق ولا في اللفظ، بل في المعنى
من السهل قبل أن يظهر في معانيه الشعر، فيطهرونه ثم يفتون في
قراءات الشعر الشرح عاماً مستقلاً من غير أن يكون في اللفظ، ويخرج من طلائع من
أبهر هؤلاء الشراح، إذ نجد له في مقدمته حديثاً عن بحر قصيدة البردة،
يقصر الكلام فيه بالإحالة على ما يبسطه في الشرح الكبير، قلنا: إن ذلك
يقتضي في الكبير تبسيطاً وإحالة بعضه⁽¹⁾، ونصير أد بالكون الكلام في هذا
البحر حذراً واحداً.

وبعدنا نطرق إلى سبب اختيار الناظم البحر البسيط لقصيدته، وبعد
قرضه له، يعود ليستطرد في الكلام عن حقيقة النظم والشعر، وعن الوزن
الشعر، ويقصر الكلام فيه أيضاً بالإحالة على الشرح الكبير بقوله: "وقد
بحثت الكلام في طريقة الشعر والفتنة في الشعر بطلاناً للقاء القصود على هذا
البحر، وإن كان من الطويل"⁽²⁾، فإحالة من هذا الحديث في تبسيط واحد، وهذا
ما يبسطه أيضاً الشعر أن الشرح الكبير هذا يحوي على ما يحتاجه القديس
بعد أن يظهر هذا الشرح للبردة الذي يقصر القصيدة، ونظم القصيدة.

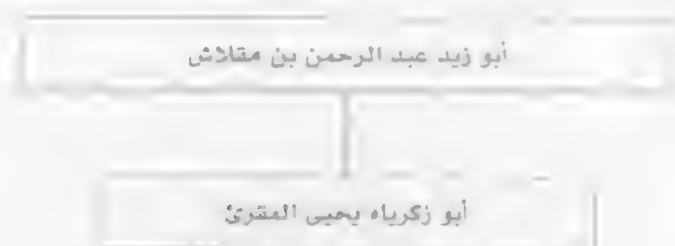
5 - رواية القصيدة:

من مظاهر حداثة السجارية بقصيدة البردة وأحسانهم بها عدم فهم السجدة
حتى روايتها وتداولها خوفاً بالأسناد السلسل، فصاروا منهم من يقول: "سجد
أحسن الأحسان السجدي الشريف"، ويحكي هذا الأحسن أكثر مما ينبغي من
السجدة الذي أطبع به العلماء والشرح في نسخهم، ويحكي أسداً وفصلاً
حسناً في عصر ابن قلاوثر - حيث أصبح السجدة من لغزات الفقهاء أم

(1) الشرح: (7).

(2) الشرح: (7).

وأما الطريق الثاني: فقد استندناه مما ذكره ابن مقلash أثناء شرحه لبنت
 رواية عن الشيخ أبي زكرياء يحيى المقرئ فقيه بونة⁽¹⁾.



وتجدر الإشارة إلى أن الكلام في الطريق الأول متصرف إلى سبب نظم
 القصيدة (التي هي القصيدة) وليس في تخصيصها بالتحديد على أن الأمر متعلق
 بالقصيدة بل هو الثاني بالسياق الطريق الثاني، لأن الحديث عن سبب
 نظم القصيدة لا لا شغل بالنص، والقصيدة كلها، لكن نص الشرح
 يمدنا بما يزيل هذا اللبس، ويؤكد لنا أن ابن مقلash روى القصيدة بسند عال
 عن ابن السكيت، وهو قوله أثناء شرحه في المتن: «إن لم يكن لي معادي
 أحد» (واللغة في البيت «العبد»، وهو راجع لقوله: «أوما عهدي
 عظمي» أي: إن لم يكن أحداً عدي لأحد عدي، والبيت شعر سبط بن
 عمرو بن كنانة، وهو رواية عالية، وأكثر من الناس جهلاً بها، إذ لا يذكروا
 هذا القصيدة من أصحابنا إلا من روى رواية معجمة عن فضل بن
 عمار، وهذا لا يثبت عليه فهم كثير من سنده المأثقة، ومنهم
 من روى رواية عالية، سند روايته قوي جداً، انتهى إليك راجع
 النص: «ومن ثم تعرف أن من قدم هنا في الأبيات أو آخر فقد غشها
 غشماً، إما لكونه أخذها على غير ما وجدها في كراسة من غير أن يسبق إليه
 فيها رواية»⁽²⁾.

(1) الشرح: (758).
 (2) الشرح: (758).
 (3) الشرح: (759).

ب - متن القصيدة:

1 - ترتيب الأبيات:

يبلغ عدد أبيات البردة في رواية الديوان 160 بيتاً، وذكر في كشف
القصيدة أن الشاعر قد وضع هذه القصيدة في رواية الديوان 160 بيتاً
و162، وفي روايات المغاربة بين 160 و170 بيتاً. لقد اعتنى ابن مقلّاش
في أبيات البردة (ص 162) بذكر القصيدة من حيث هي، فقد ذكر في رواية القصيدة
ومدى قدرته على وضع كل بيت في مكانه بالدليل والحجة الدامغة.

فبالمقارنة مع رواية الديوان فقد أثبت بعد بيت: (لولا الهوى) بيت:
(لولا الهوى) بيت: (لولا الهوى) بيت: (لولا الهوى) بيت: (لولا الهوى) بيت:
خلعت في الأخرى، أثبت في بيت: (لولا الهوى) بيت: (لولا الهوى) بيت:
تسعة أبيات في رواية الديوان، يقدم بيت: (لولا الهوى) بيت: (لولا الهوى) بيت:
يزداد. وهذا من التبرؤ بالعكس، فمن لولا شك أن يقدم بيت: (لولا الهوى) بيت:
أولى من جهة المعنى، لأن بيت: (فالدور يزاد) كالجواب هو عن بعض ما
تضمنه (فما تطاوله) (1).

يقدم بيت: (لولا الهوى) بيت: (لولا الهوى) بيت: (لولا الهوى) بيت:
الاول بالعكس، قال: "في بعض روايات هذه القصيدة تضم هذه البيت على
بيت: (لولا الهوى)، وبعضها يقدم (لولا الهوى)، والبيتين من كل بيت مع ما
شرح من شرحه. ولا شك أن قول الشاعر: (لولا الهوى) بيت: (لولا الهوى) بيت:
تكرر رأيت بعض الأصحاب على المر هذه الرواية فتعده، من لا يرى في
القصيدة على تضم هذا، وكلاهما متجا، لكن الثاني شئت لأيناه (2).

وقد نبه ابن مقلّاش على بعض الروايات، ووجدناه مرة يستحسنها
ويشرحها رغم أنها ليست من روايته، قال: "وبعض روايتها يثبت قبل هذا: (إن
قام في جامع الهيجا)، وهذا أنا الذي شئت من شرحه ولم يكن من شأنه
من روايتها. وقد حسنت على شرح هذا البيت إلا أن أبا معاذ مستحسن، ولا

(1) الشرح: (540).

(2) الشرح: (631).

أما في الأخيرين لا يوجد فيها⁽¹⁾ ومرة يكتب بالنسبة لغيرها لكونه شرح، وقد
 يصر بعض التعليق قائل: (أو كيف يدرك) هذا هو بيت الموصي، وهو الذي
 على ما يوجد، وعندهم يأتى هذا بيت قبل هذا بقول: (لما بأعينهم من
 هذا)⁽²⁾ وقال: «مثل البهارة» وعندهم يقول: هذا البيت ليس من الأسماء
 إلا من كلام ابن النجاشي وعلى الآية بعضهم: وعندهم رواية: وهذا حيث
 ولا بأس. لأن قوله: (على الضدين) فيه من اللفظ ما لا ينظر⁽³⁾
 ومرة أخرى حيث يقدم بعض ما أخرجه في الشرح الكبير، قال: (المقدمة
 بفتح) وهذا كلام لا في الشرح الكبير لأخر بعض ما تقدمه هنا ولم
 مانع⁽⁴⁾.

2 - رواية الألفاظ:

اهتم ابن مقلاش بسخلف روايات ألفاظ البردة، وتتبعها على طول
 الشرح، بها الترتيب على وعلى بعض الألفاظ أو كلمة في ذلك، فهم يذهب
 الرواية بخطه عليها إما لولا أن يوجيها، أو ترجيحاً، أو بقاء، استعملت
 العبارات التالية: أحسن، أشهر، أثبت، أقعد، أمكن، أعلى، أكثر، أليق،
 ومما بمعنى. وتجمل هذه الروايات في الجدول الآتي:

(1) الشرح: (708 - 709).

(2) الشرح: (289).

(3) الشرح: (505).

(4) الشرح: (732).

رقم الباب	رؤیة القیوان	رقم البیت	رؤیة الشرح	رؤیة الشرح
85	من رؤیة القسم	85	-	الاول
	من رؤیة القسم	86	-	من رؤیة القسم
88	هذا تطابق التماثل	88	-	المتعلق
89	هذا تطابق التماثل	101	-	من رؤیة القسم
103	من رؤیة القسم	113	-	من رؤیة القسم
105	من رؤیة القسم	114	-	من رؤیة القسم
110	من رؤیة القسم	120	-	من رؤیة القسم
111	من رؤیة القسم	121	-	من رؤیة القسم
112	من رؤیة القسم	122	-	من رؤیة القسم
113	من رؤیة القسم	123	-	من رؤیة القسم
114	من رؤیة القسم	124	-	من رؤیة القسم
115	من رؤیة القسم	125	-	من رؤیة القسم
116	من رؤیة القسم	126	-	من رؤیة القسم
117	من رؤیة القسم	127	-	من رؤیة القسم
118	من رؤیة القسم	128	-	من رؤیة القسم
119	من رؤیة القسم	129	-	من رؤیة القسم
120	من رؤیة القسم	130	-	من رؤیة القسم
121	من رؤیة القسم	131	-	من رؤیة القسم
122	من رؤیة القسم	132	-	من رؤیة القسم
123	من رؤیة القسم	133	-	من رؤیة القسم
124	من رؤیة القسم	134	-	من رؤیة القسم
125	من رؤیة القسم	135	-	من رؤیة القسم
126	من رؤیة القسم	136	-	من رؤیة القسم
127	من رؤیة القسم	137	-	من رؤیة القسم
128	من رؤیة القسم	138	-	من رؤیة القسم
129	من رؤیة القسم	139	-	من رؤیة القسم
130	من رؤیة القسم	140	-	من رؤیة القسم
131	من رؤیة القسم	141	-	من رؤیة القسم
132	من رؤیة القسم	142	-	من رؤیة القسم
133	من رؤیة القسم	143	-	من رؤیة القسم
134	من رؤیة القسم	144	-	من رؤیة القسم
135	من رؤیة القسم	145	-	من رؤیة القسم
136	من رؤیة القسم	146	-	من رؤیة القسم
137	من رؤیة القسم	147	-	من رؤیة القسم
138	من رؤیة القسم	148	-	من رؤیة القسم
139	من رؤیة القسم	149	-	من رؤیة القسم
140	من رؤیة القسم	150	-	من رؤیة القسم
141	من رؤیة القسم	151	-	من رؤیة القسم
142	من رؤیة القسم	152	-	من رؤیة القسم
143	من رؤیة القسم	153	-	من رؤیة القسم
144	من رؤیة القسم	154	-	من رؤیة القسم
145	من رؤیة القسم	155	-	من رؤیة القسم
146	من رؤیة القسم	156	-	من رؤیة القسم
147	من رؤیة القسم	157	-	من رؤیة القسم
148	من رؤیة القسم	158	-	من رؤیة القسم
149	من رؤیة القسم	159	-	من رؤیة القسم
150	من رؤیة القسم	160	-	من رؤیة القسم
151	من رؤیة القسم	161	-	من رؤیة القسم
152	من رؤیة القسم	162	-	من رؤیة القسم
153	من رؤیة القسم	163	-	من رؤیة القسم

3 - المتن الكامل لرواية ابن مقلاش للبردة:

1 - أَمِنْ تَذَكُّرٍ جَبْرَانٍ بِذِي سَلَمٍ

2 - أَمْ حُبَّبَ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ تَحَاظَمَةٍ

3 - فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ: اكْفُفَا، هَمَّتَا

4 - أَبْخِيبُ الصَّبَّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ

5 - لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَرْقِ دَمْعًا عَلَى ظَلَلٍ

6 - وَلَا أَعَارَتْكَ نَوْبِي عُبْرَةٌ وَضَنَى

7 - مَقْلَبٌ سَمَّاهُ عَيْنَ الْهَوَى

8 - نَعَمْ، سَرَى طَلِيفٌ مَنِ أَخْوَى فَأَرْقُبِي

9 - يَا لَأَبْوِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِي مَعْدَرَةٌ

10 - غَذَنُكَ حَالِي لَا يَرِّي بِمُسْتَنْبِرٍ

11 - مَحْضَتِي النَّضْحُ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

12 - إِنِّي اثْبَثْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي غَذَلِي

13 - فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالشَّوْرِ مَا اتَّعَظْتُ

14 - وَلَا أَعَدْتُ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى

15 - لَوْ كُنْتُ أَغْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ

16 - مَنْ لِي بِرَدِّ جَمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا

17 - هَذَا هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي كُنْتُ أَعْلَمُهُ

18 - وَالنَّفْسُ تَحَاظَلُ إِنْ تُهْمِلُهُ شَبَّ عَلَى

19 - فَاضْرِفْ هَوَاهَا وَخَاذِرْ أَنْ تُؤْلِيَهُ

20 - وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ

1 - أَحِبَّ قَتْلًا خَيْرٌ مِنَ الْقَتْلِ بِهِ

2 - وَأَوْمَضُ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

3 - وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ: اسْتَبْنُ، يَهْمٌ

4 - مَا لِي مُلْحِمٌ مِنْ تَحَاظَمَةٍ

5 - وَلَا أَرَفْتُ لِذِكْرِ الْبَيَانِ وَالْعَلَمِ

6 - ذِكْرِي الْخِيَامِ وَذِكْرِي سَاكِنِ الْجَنِيمِ

7 - بِهِ عَلَيْكَ عُذُولُ الدَّمْعِ وَالسَّكَمِ

8 - أَلَمْ تَكُنْ لِي بِرَدِّ جَمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا

9 - مَنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتُ لَمْ تَأْمِ

10 - لَوْ كُنْتُ أَغْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ

11 - إِنْ الْمُجَبُّ غِنِ الْغَذَالِ فِي صَمِّ

12 - وَالشَّبُّ أَبْعَدُ فِي نَضْحِ غِنِ الثُّبَمِ

13 - مِنْ جَهْلِيهَا بِتَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

14 - هَذَا هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي كُنْتُ أَعْلَمُهُ

15 - كَثُمْتُ سِرًّا بِذَا لِي مِنْهُ بِالْكُتَمِ

16 - كَمَا تُرَدُّ جَنَاحُ الْخَيْلِ بِالنَّجْمِ

17 - إِنْ الطَّعَامُ يُقَوِّي شَيْوَةَ النَّهْمِ

18 - حُبُّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقْطِطُهُ يَنْتَظِمُ

19 - إِنْ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُضْمِ أَوْ يَصِمِ

20 - وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَبَتِ الْمَرْغَى فَلَا تُسِمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْحَمِيدِ

- 22 - وَأَخْشَى الدَّمَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ
- 23 - وَاسْتَفْرِغَ الدَّمَغَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ
- 24 - وَخَالَفَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِيَهُمَا
- 25 - وَلَا تُلْغِ مِنْهُمَا خَطِيئَةً وَلَا حَكَمًا
- 26 - أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ
- 27 - أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا اتَّمَمْتُ بِهِ
- 28 - وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً
- 29 - ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى
- 30 - وَشَدَّ مِنْ سَعْبِ اخْشَاءِهِ وَطَلَّزَى
- 31 - وَرَاوَدْتُهُ الْجِبَالَ الشُّمَّ مِنْ ذَنْبٍ
- 32 - وَأَكْثَدْتُ زُهْدَهُ فِيهَا ضُرُورَتَهُ
- 33 - وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضُرُورَةٌ مَنْ
- 34 - مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالْثَّقَلَيْنِ
- 35 - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
- 36 - هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تَرْجَى شَفَاعَتَهُ
- 37 - دَعَا إِلَى اللَّهِ قَالُمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
- 38 - فَاقِ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي
- 39 - وَكُلُّهُمْ مِنْ رُسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٍ
- 40 - وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِيثِهِ
- 41 - فَهَوِ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذَرِ أَنَّ الشُّمَّ فِي الدِّمِ
قُرْبُ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ الشُّخْمِ
مِنْ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِ جَمِيَّةُ النَّدَمِ
وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ التَّضَخِ فَأَتَيْهِمَا
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْحَضَمِ وَالْحَكَمِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ قَمَاتِي بِسُوءِ
وَلَمْ أَصِلْ سِوَى قَرَضٍ وَلَمْ أَصِمِ
أَنْ اسْتَكْتَحْتُ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَزَمِ
تَحْتَ الْجِبَارَةِ كَشَحِي مُتَرَفِ الْأَدَمِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ قَمَاتِي بِسُوءِ
إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ
لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
بَيْنَ الْقَرِيقَيْنِ مِنْ غُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
أَبَرَّ فِي قَوْلٍ لَا يَنْهَى وَلَا نَعَمِ
لَمْ يَدْنُ مِنَ الْأَمْرِ مَطْلَعُ
فَلَمْ يَدْنُ مِنَ الْبَحْرِ مَطْلَعُ
وَلَمْ يُدَانِرْهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ
غَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّمِ
مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحَكَمِ
لَمْ يَخْطُئْهُ حَيَاتِي بِسُوءِ

42 - مُثَرَّةٌ عَنْ شَرِيكَ فِي مَخَابِيهِ
 43 - دَعَا مَا ادَّعَتْهُ التَّصَارَى فِي تَبِيهِمْ
 44 - وَالسُّبُّ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
 45 - فَإِنْ فَضَّلَ رَسُولُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ
 46 - لَوْ شِئْتَ لَوَدَّ اللَّهُ حَسْبَهُ
 47 - لَوْ شِئْتَ لَوَدَّ اللَّهُ حَسْبَهُ
 48 - أَغْنَى الْوَرَى قَبْلَهُمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
 49 - خَالِشٌ تَطْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ
 50 - وَكَتِفٌ يُذْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
 51 - فَتَبْلُغُ الْعِلْمَ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
 52 - وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلَ الْكِرَامُ بَقَا
 53 - إِلَّا كَسْرَ لِقَامٍ لَمْ يَلَمْزْهُ
 54 - أَكْرَمَ بَخَلَقَ نَبِيٌّ زَانَهُ خُلُقُهُ
 55 - كَالزَّهْرِ فِي ثَرَفٍ وَالْبَذْرِ فِي شَرَفٍ
 56 - كَأَنَّهُ وَهُوَ قَرْدٌ فِي جَلَالَتِهِ
 57 - كَأَنَّمَا اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ
 58 - لَا طِيبَ يَغْدِلُ ثُرْبًا ضَمَّ أَغْظَنَهُ
 59 - حَالَهُ لَمْ يَطِبْ عَقْلُهُ
 60 - يَوْمَ تَفْرُسُ فِيهِ الثُّرُوسُ أَنْهُمْ
 61 - وَبَاتَ إِيْوَانُ كِمَرَى وَهُوَ مُنْصَدِّعٌ
 62 - وَالنَّارُ خَامِلَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفٍ

فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ
 وَاحْتَكَمَ بِمَا شِئْتَ مَذْحًا فِيهِ وَاحْتَكَمَ
 وَاحْتَكَمَ بِمَا شِئْتَ مَذْحًا فِيهِ وَاحْتَكَمَ
 حَدٌّ قَيْغَرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَهْمٍ
 أَحْيَى اسْمُهُ جِئْنَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ
 جِرْصًا غَلِيظًا فَلَمْ تَرْتَبْ وَلَمْ نَهْمِ
 فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَجِمِ
 صَنِيرَةٌ وَتَكْبَلُ الطَّرَفُ مِنْ أَمَمِ
 قَوْمٍ نِيَامَ تَسْلُوا عَنْهُ بِالْحَلَمِ
 وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
 قُلُوبًا كَسَلَتْ بِرَأْسِهِ
 لَهْوًا مَرُوحًا يَسِيرُ فِي الْحِلْمِ
 بِالْحُسْنِ لِلْعَيْنِ بِفَهْمٍ
 وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالذَّهْرِ فِي هِمَمِ
 فِي عُنْكَرٍ جِئْنَ تَلْقَاهُ وَفِي حَقَمِ
 مِنْ سَعْدٍ تَطْهَرُ مِنْهُ بِالسُّبِّ
 كَلِمَاتٍ لِيَكْتَسِبَ مِنْهُ وَتَلْقَاهُ
 مَا يَكُونُ لِيَسْتَمِدَّ مِنْهُ بِالْحَقَمِ
 هَذَا كَمَرٌ يَطْلُوهُ السُّلَمُ وَالْهَلَمِ
 فَتَطْلُوهُ السُّلَمُ وَالْهَلَمِ
 عَلَيْهِ، وَالتَّهَرُّ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ

63 - وَسَاءَ مَآوَاةٌ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا
64 - كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالنَّاءِ مِنْ بَلَلٍ
65 - وَالْجِبُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
66 - عَمُوا وَحَمُوا فَإِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ
67 - مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاثِبُهُمْ
68 - يَا بَنِي الْأَفْقِ مِنْ شَيْبٍ
69 - حَتَّى عَدَا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ مُتَبِيزٌ
70 - كَأَنَّهُمْ قَرِيبٌ لِنَفْسٍ أَنْتَ
71 - نَبَذَا بِهِ بَعْدَ تَسْوِيعٍ بِظُلُمٍ مِمَّا
72 - جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ طَائِعَةٌ
73 - نَحْنُ سَقَطَرْتُ سَقَطَرًا لِمَا كَتَبْتُ
74 - مِثْلَ الْغَمَامَةِ أَتَى سَارَ سَائِرَةٌ
75 - أَفْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنَشَقِّ إِنَّ لَهُ
76 - وَمَا حَوَى النَّارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
77 - فَالْصُّدُقُ فِي الْغَارِ وَالصُّدُوقُ لَمْ يَرَمَا
78 - ظَلُّوا الْحَمَامَ وَظَلُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
79 - وَقَائِدُهُ اللَّهُ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاغَمَةٍ
80 - مَا سَامَنِي الذُّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
81 - وَلَا التَّمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
82 - لَا تُنْكِرُوا الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ
83 - فَذَلِكَ جِئِنْ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوتِهِ

وَرَدَّ وَارِدَهَا بِالْغَيْظِ جِئِنْ ظَم
حُزْنًا، وَبِالنَّاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ
وَالْجِبُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
تُسَمِّعُ وَبَارِقَةٌ الْإِنْذَارِ لَمْ تُسَمِّعْ
يَأْنِ دِيْنَهُمُ الْمَغْوُجُ لَمْ يَنْقَمِ
مُنْقَضَةٌ وَفَقَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَمٍ
مِنْ الْمَسْمُومِ وَالْمَسْمُومِ
لَحْصَى مِنْ رَاحَتِهِ رُمِي
نَبَذَ الْمُسْبِحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ
نَحْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمِ
فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِالْقَلَمِ
تَقِيهِ حَرٌّ وَطَيْسَ لِلتَّهْجِيرِ حَمِ
مِنْ الْقَمَرِ الْمُنَشَقِّ رُوزَةُ الْقَسَمِ
وَكُلُّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِ
وَهُمْ يَقُولُونَ: مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمِ
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تُشْجِجْ وَلَمْ تُحَمِ
مِنْ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأَطْمِ
إِلَّا وَنِلْتُ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ
إِلَّا اسْتَلَمْتُ الْفَدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ
قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَلَمِ
نَاسٍ يُحْكَمُ فِيهِ عِلَالُ مُحْكَمِ

84 - تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحْيِي بِمُكْتَسَبٍ
 85 - كَمْ أَبْرَأْتُ وَجِيبًا بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ
 86 - وَأَخِيَّتِ السَّنَةُ الشُّهْبَاءُ دَعْوَتُهُ
 87 - بِغَارِضٍ جَادٍ أَوْ جَلَّتِ الْبِفَاحُ بِهَا
 88 - لَمَّا شَكَّتْ وَفَعَهُ الْبُظْهَاءُ قَالَ لَهُ:
 89 - فَأَذْبِ الْأَرْضُ مِنْ رِزْقِ أَمَانَتِهَا
 90 - وَأَلْبَسْتُ حُلَّةً مِنْ سُندُسٍ وَلَوْتُ
 91 - وَالشُّخْلُ بِاسِيقَةٍ تَجْلُو قَلَابِدَهَا
 92 - وَفَارَقَ النَّاسُ دَاءَ الْقَحْطِ وَانْبَغَثَ
 93 - إِذَا تَشَبَّعَتْ آيَاتُ النَّبِيِّ فَتَذُ
 94 - كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةٌ
 95 - قُلْ لِلْمُحَاوِلِ شَاوِي فِي مَذَابِحِهِ:
 96 - وَلَا تُثْقِلْ لِي بِمَاذَا نِلْتَ جَيْدَهَا
 97 - لَوْلَا الْعِنَايَةُ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى
 98 - دَغْنِي وَوَضَعِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ
 99 - فَمَا تَطَاوُلَ آمَالِ الْمَدِيحِ إِلَى
 100 - فَالَّذِي يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ غَيْرُ مُنْتَظَمٍ
 101 - آيَاتُ صَدَقٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْكَمَةٌ
 102 - لَمْ تَقْتَرِنْ بِرَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا
 103 - دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ
 104 - مُحْكَمَاتٍ فَمَا يُبْقِيَنَّ مِنْ شَبِيهِ

وَلَا نَبِيٍّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهِمٍ
 وَأُظْلِفْتُ أَرْبًا مِنْ رِبْنَةِ اللَّحْمِ
 حَتَّى حَكَّتْ غُرَّةً فِي الْأَعْطَرِ الدُّهْمِ
 سَبَبًا مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلًا مِنَ الْعَرَمِ
 عَلَى الرُّبَا وَالْآكَامِ انْهَلُ وَانْسَجِمِ
 بِإِذْنِ خَالِقِهَا لِلنَّاسِ وَالشَّعَمِ
 غَمَاسًا بِرُفُوسِ الْهَضْبِ وَالْأَعْمِ
 مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى الْخَذْبِ وَالْعَنَمِ
 إِلَى الْمَكَارِمِ تَفْسُ النُّكْسِ وَالْبَرَمِ
 الْحَثَّتْ مُنْتَحِمًا مِنْهَا بِمُنْفَخِمِ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْثَّأْيِبِ فِي الْيُمِّ
 مِمَّنِ الْمَوَاجِبُ لَمْ أَشْدُدْ لَهَا زِيَمِ

85 - تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحْيِي بِمُكْتَسَبٍ
 86 - وَأَخِيَّتِ السَّنَةُ الشُّهْبَاءُ دَعْوَتُهُ
 87 - بِغَارِضٍ جَادٍ أَوْ جَلَّتِ الْبِفَاحُ بِهَا
 88 - لَمَّا شَكَّتْ وَفَعَهُ الْبُظْهَاءُ قَالَ لَهُ:
 89 - فَأَذْبِ الْأَرْضُ مِنْ رِزْقِ أَمَانَتِهَا
 90 - وَأَلْبَسْتُ حُلَّةً مِنْ سُندُسٍ وَلَوْتُ
 91 - وَالشُّخْلُ بِاسِيقَةٍ تَجْلُو قَلَابِدَهَا
 92 - وَفَارَقَ النَّاسُ دَاءَ الْقَحْطِ وَانْبَغَثَ
 93 - إِذَا تَشَبَّعَتْ آيَاتُ النَّبِيِّ فَتَذُ
 94 - كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةٌ
 95 - قُلْ لِلْمُحَاوِلِ شَاوِي فِي مَذَابِحِهِ:
 96 - وَلَا تُثْقِلْ لِي بِمَاذَا نِلْتَ جَيْدَهَا
 97 - لَوْلَا الْعِنَايَةُ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى
 98 - دَغْنِي وَوَضَعِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ
 99 - فَمَا تَطَاوُلَ آمَالِ الْمَدِيحِ إِلَى
 100 - فَالَّذِي يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ غَيْرُ مُنْتَظَمٍ
 101 - آيَاتُ صَدَقٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْكَمَةٌ
 102 - لَمْ تَقْتَرِنْ بِرَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا
 103 - دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ
 104 - مُحْكَمَاتٍ فَمَا يُبْقِيَنَّ مِنْ شَبِيهِ

105 - مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَوْبٍ
 106 - رَذَتْ بِلَاغَتِهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا
 107 - لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَذْدٍ
 108 - فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا
 109 - قَرِثَ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
 110 - إِنْ ثَلَّهَا خَيْفَةٌ مِنْ حَرِّ نَارٍ لَقَلَى
 111 - كَانَتْهَا الْحَوْضُ تَبْيِضُ الْوُجُوهُ بِهِ
 112 - وَكَالْعُرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةٌ
 113 - لَا تَعْجَبُوا لِحُسُودِ ظَلٍّ يُنْكِرُهَا
 114 - فَذِ تَنْكُرِ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ زَمْدٍ
 115 - يَا خَيْرَ مَنْ يَتَمَّ الْعَاقِبُونَ سَاحَتَهُ
 116 - وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِلْمُعْتَبِرِ
 117 - سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ
 118 - وَبِثْ تَرَفَّى إِلَى أَنْ بَلَّتَ مَنَزِلَةٌ
 119 - وَقَدَّمْتُكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
 120 - وَأَنْتَ تَحْتَرِقُ السَّنْعُ الطَّبَاقُ بِهِمْ
 121 - حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأوًا لِمُسْتَبِقِ
 122 - حَفِظْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ
 123 - كَيْفَا تَقُورُ بِوَضَلٍ، أَيُّ: مُسْتَبِرِ
 124 - فَجَلَّ بِمَقْدَارٍ مَا أُوَيْتَ مِنْ رَبِّ
 125 - وَحُزَّتْ كُلُّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرِكِ
 126 - بُشْرَى لَنَا مَعْتَرِ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا

أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقَى السَّلَمِ
 رَذَ الْعَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ
 وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْتِمِيمِ
 وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ

اللَّهُ حَسْبُكَ اللَّهُ

أَطْلَقَاتِ نَارَ لَقَلَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّيْمِ
 مِنْ الْعَصَاةِ وَقَدْ جَاوَوْهُ كَالْحَمَمِ
 قَالَتِ سَطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ
 تَجَافُلًا وَقَوَّ عَيْنَ الْحَافِقِ الْفَهْمِ
 وَيُنْكِرُ الْقَمَّ طَلْعَمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
 سَعِيًّا وَفَوْقَ مُثُونِ الْأَيْتِ الرُّسَمِ
 وَمَنْ هُوَ النُّعْمَةُ الْعُظْمَى لِلْمُعْتَبِرِ
 كَمَا سَرَى الْبُذُرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

اللَّهُ حَسْبُكَ اللَّهُ

وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

اللَّهُ حَسْبُكَ اللَّهُ

مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرَقَى لِمُسْتَبِيعِ
 نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعِلْمِ
 عَنِ الْعَيُونِ، وَيَسَّرَ أَيُّ: مُكْتَسَمِ
 وَعَزَّ إِذْرَاكَ مَا أُولِيَتْ مِنْ نَعَمِ
 وَجُزَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ
 مِنَ السُّبُوحِ رَحْمَةً لَنَا

لَمَّا دَعَا اللَّهُ ذَاعِيَتَا لِقَاعَتِهِ

128 - أَحْلَ أُمَّتُهُ فِي حِرْزٍ مِلَّتِيهِ

129 - رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أُنْبَاءَ بَغْتِيهِ

130 - مَا زَالَ يُلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ

131 - وَذَوَا الْفِرَارِ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ

132 - تَنْفِضِي اللَّيَالِي وَلَا يَذْرُونَ عِدَّتِيَا

133 - كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاخَتُهُمْ

134 - يَجْرُ بَخْرٌ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِخَةٍ

135 - مِنْ كُلِّ مُسْتَلِيبٍ لِلَّهِ مُخْتَلِبٌ

136 - حَتَّى عَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بَيْنَهُمْ

137 - مَكْنُوءَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبِي

138 - هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُضَادُّهُمْ

139 - يَوْمَ لَقِيَ الْحَمْدُ الْحَمْدَ الْحَمْدُ

140 - كَلِمَاتُ الْعَرَفَةِ وَالْعَرَفَةِ

141 - وَالْكَاتِبِينَ بِسْمِ الْخَطِّ مَا تَرَكْتُ

142 - إِنْ قَامَ فِي جَامِعِ الْهَيْجَا خَطِيبُهُمْ

143 - شَاكِي السَّلَاحِ لَيْتَ سَيِّمًا تُمَيِّرُهُمْ

144 - تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَفْرَهُمْ

145 - كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْحَيْلِ ثَبَتْ رَبِّي

146 - طَارَتْ قُلُوبَ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ قَرَقَا

147 - وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ

148 - وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ

بِأَحْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمِ الْأُمَمِ

كَالَلَيْثِ خَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَحْمِ

بِذَا الْهَيْبَةُ بِالْهَيْبَةِ

حَتَّى حَكَّوْا بِأَفْقَانَا لَحْمًا عَلَى وَضْعِ

أَشْلَاءَ مَا لَتْ مَعَ الْعِشْبَانِ وَالرَّحِمِ

مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لِيَالِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ

بِكُلِّ قَرَمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرَمِ

يَزْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْقَالِ مُلْتَقِمِ

يَسْطُورُ بِمُسْتَأْجِلٍ لِلْكَفْرِ مُضْطَلِمِ

مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْضُولَةُ الرَّحِمِ

وَحَيْرٌ بَعْلٌ قَلَمٌ تَيْتَمٌ وَلَمْ تُبْمِ

مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُعْطَلَمِ

نُضُولِ حَتِفٍ لَهُمْ أَذَى مِنَ الْوَحْمِ

مِنْ الْعَبْدَى كُلِّ مُنْوَدٍّ مِنَ اللَّحْمِ

فَلَا تَكُنْ حَرَامٌ حَسْبُكَ حَسْبُكَ

فَلَا تَكُنْ حَرَامٌ حَسْبُكَ حَسْبُكَ

وَالْوَرْدُ يَمْتَنَّا بِالسَّيِّمَةِ عَنِ السَّلَمِ

فَتَحْسِبُ الرَّغْمَ فِي الْأَكْسَامِ كُلِّ كَمِ

مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزْمِ

فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَنَمِ وَالْبَنَمِ

إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ فِي آجَامِيهَا تَجِمِ

بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ

149 - كَمْ جَدَلْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ
 150 - خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ
 151 - إِذْ قَلَدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ
 152 - أَظَلْتُ غَيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا
 153 - قَبَا خَسَارَةُ نَفْسٍ فِي تَجَارَتَيْهَا
 154 - وَمَنْ يَبِغْ آجِلًا مِنْهُ يَعْاجِلِهِ
 155 - إِنْ آتَ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُسْتَقْبَضٍ
 156 - فَإِنْ لِي ذِمَّةٌ مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي
 157 - كَيْفَ أَدْرِي بِأَيِّ يَدٍ آخِذًا بِيَدِي
 158 - حَاشَاءُ أَنْ يَحْرِمَ الْجَانِي عَنَائَتَهُ
 159 - وَمُنْذُ أَنْ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَذَائِحَهُ
 160 - وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدُ تَرَبُّثٍ
 161 - وَلَمْ أَرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي قَطَفْتُ
 162 - يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مِنْ أَلْوَدُ بِهِ
 163 - وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولُ اللَّهِ جَاهُكَ بِي
 164 - فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا
 165 - يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ رِثَةٍ عَظُمَتْ
 166 - لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَنْقَسِمُهَا
 167 - يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
 168 - وَالْطَلْفُ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
 169 - وَالَّذَنْ لِحُبِّ صَلَاحٍ مِنْكَ دَائِمَةٌ
 170 - مَا رُثِخْتُ عَذَبَاتِ الْبَاقِ رِيحُ صَبَا

دُنُوبٌ عُمْرٍ مَضَى فِي الشُّعْرِ وَالْخَدَمِ
 كَأَنِّي بِهَيْمَا هَذَا مِنْ التَّعَمِّ
 حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ وَالْتَدَمِ
 تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تُسَمِّ
 يَبْنَ لَهُ الْعَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي مَلَمِ
 مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْتَصِمِ
 مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ
 157 - كَيْفَ أَدْرِي بِأَيِّ يَدٍ آخِذًا بِيَدِي
 أَوْ يَرْجِعُ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ
 وَجَدْتُهُ لِحَالِمِي خَيْرَ مُلْتَزِمِ
 إِنَّ الْخِيَا يُنْبِثُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَعْمِ
 يَدَا زُهَيْرٍ بِنَا أَتَى عَلَى فَرَمِ
 162 - يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مِنْ أَلْوَدُ بِهِ
 إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ
 وَمِنْ عُلُومِكَ عَلَّمَ اللُّوْحَ وَالْقَلَمِ
 إِنَّ الْكِبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّسَمِ
 نَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعُضَيَّانِ فِي الْقَسَمِ
 لَذِيكَ وَاجْعَلْ جَسَائِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ
 صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ
 عَلَى النَّبِيِّ بِسُئْلٍ وَمُنْسَجِمِ
 وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالْغَمِ

المطلب الثاني

المنهج العام للشرح

أ - مفهوم المنهج:

نظراً من شروح الشعر بصفة عامة وشروح البردة بصفة خاصة إلى الطائفتين ثم ولهم أثر الخطوط أو الطريقة أو المنهج الذي يسير عليه الشارح في تفسيره. ويتجلى معياراً تقنياً في قوله: «وقد تفرقت المطامير في تلك السمت القلبي» في نسخة أحد الخطوط أو الطريقة أو المنهج الصحيح فهي البردة التي يجد بعض الشراح يستعمل فقط. التراجع⁽¹⁾ نجد شرحاً لم يستعمل فقط الأعراس⁽²⁾، ولما يستعمل فقط المطالب⁽³⁾ وإذا أمكن أحد الشراح فقط القوي⁽⁴⁾ استطاع الآخر فقط الأعراس⁽⁵⁾ وإذا غير هذا الشراح فقط المطالب⁽⁶⁾ من الأهم فقط الأعراس⁽⁷⁾ ولا شك أن لكل واحد من هذه الألفاظ يدل دلالة ما على تصور كل شارح لما يريد الإقدام عليه، والكيفية التي يريد أن يخوض بها محاولته في الشرح.

أما فقيه وهران ابن مقلّاش لا نجد عنده تسمية من هذه التسميات وإنما سلك سلكاً آخر في التعبير عن منهجه، يقول في المقدمة: «وأردت هنا في هذا الكتاب أن أقتصر على ما يفتقر فيه إليه من لباب اللباب، وأحوم فيه على القليل من علم البيان والتفسير والإعراب»⁽⁷⁾.

فعمل ابن مقلّاش يدور حول أربعة اهتمامات أساسية: التفسير اللغوي،

البيان، الإعراب، وهو يتجلى في الصلة بالمطلب الثاني.

- (1) ينظر مقدمة شرح ابن مرزوق. (12).
- (2) ينظر مقدمة شرح أبي عبد الله الألبيري: (9).
- (3) ينظر مقدمة شرح الجادوي: (7).
- (4) ينظر مقدمة شرح الألبيري: (9).
- (5) ينظر مقدمة شرح أبي سعيد عثمان الألبيري: (5).
- (6) ينظر مقدمة شرح البقني: (3).
- (7) الشرح: (5).

وحده، أو الاقتصار على بعض الجوانب الجزئية دون غيرها، بل اتجه في الشرح والنص والإيضاح إلى الجوانب التي تتعلق بالأساسية بشكل أو بآخر من المصطلحات المتعلقة في الفقه والعقود على حد سواء. ولهذا ما يحد الشرح لاعتناهم حول هذه العناصر الأربعة باستثناء أن جريد الحبس الذي جعل الكلام في شرحه على سبعة تراجم على حد تعبيره. ومستحاول أن نثبت ملامح هذا الاتجاه في الفقرة الموالية.

ب - خطوات الشرح عند ابن مقلّاش:

اتبع الشيخ ابن مقلّاش في شرحه لأبيات البردة مجموعة من الخطوات، نستعرض هنا بشكل عام جل الخطوات التي اتبعها على أساس أن تفصل القول في كل خطوة حسب مجالها في الفصل الثالث إن شاء الله.

1 - قدم ابن مقلّاش لشرحه بمقدمة ضمنها تأطيراً عاماً لنص الشرح، وسبق أن فصلنا القول في محتوياتها في المطلب السابق.

2 - يشرح كل بيت على حدة حتى ينتهي منه، ثم ينتقل إلى البيت التالي، حتى شرح البيت حدة، كما سألنا في الفقرة السابقة، ثم يتصدى للشرح بعبارة: شرح.

3 - غالباً ما يبدأ شرح البيت بذكر مناسبه وعلاقته بالذي قبله والذي بعده، ويدخل إلى ذلك من جهة اللفظ، أو من جهة المعنى، أو من جهة الإعراب أو من جهة الرواية.

4 - قد يبدأ شرح البيت من أوله متدرجاً في الشرح إلى آخره، وقد يبدأ من آخره متجسداً في الشرح إلى أوله، وقد يبدأ في الشرح بالعودة إلى البيت السابق معرباً أو بغير المعنى حتى يصل إلى البيت الذي هو بصدد شرحه.

كما يشرح الألفاظ المعروفة وما يعنى بها من المصاريق، والاشتقاقات، والاسماء الحسية المعروفة، إذ جهة الأمر تنفع الألفاظ وعلى المعنى، وتنبأ ما يعمد إلى وضعها في تركيب.

6 - يعرب الكلمات والجمل ويبين محلها من الإعراب بالنسبة إلى ما
لها صلة (بإسنادها) المستقلة عنهم لغوياً. ~~الخطاب~~
لحن الخطاب.

7 - يشرح المعنى المقصود من تراكيب الجمل، ويذكر خواص الكلمات
المستعملة في ذلك التركيب، ومدى مطابقتها لقصد الناظم.

8 - يذكر وجوه التركيب المتعددة، مع الحرص على تبيان وضوح دلالة
كل وجه على المعنى المراد بيانه، وتمييز الحقيقة منه من المجاز، وما ينخرط
في سلك ذلك.

9 - يعدد ما في البيت من وجوه المحاسن اللفظية والمعنوية من فنون
البيان وما يحتوي كل ذلك من الظواهر البلاغية والأسلوبية.

10 - يذكر الروايات الواردة في الأبيات المشروحة أو الشواهد
المستعان بها، مكتفياً بالذكر تارة، أو مرجحاً تارة أخرى، أو راداً ثالثاً،
على حسب ما يتطلبه سياق الكلام، وعلى حسب ما يوافق مراد الناظم.

11 - ينتقد أثناء الشرح ويتعقب ويغلط ويناقش ثلثة من الشراح السابقين
عليه أو المعاصرين له، ويؤكد ويؤيد البعض الآخر مستنداً إما على دلالة
الألفاظ أو المعاني أو الرواية.

12 - يستشهد في أحيان عديدة بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
والآثار والأخبار التاريخية في مناسبات مختلفة من لغة ونحو وبلاغة وتفسير.

13 - يستشهد بعدد من آراء وأقوال العلماء في جملة من القضايا
والمسائل التي أثارها أثناء الشرح.

14 - يضع بين الفينة والأخرى عنواناً صغيراً خاصاً مثل: فصل، بحث،
بحث حسن، نكتة، سرد أثر، لبسط الحديث عن بعض الأمور أو المسائل
التي يتطلب المقام بسط القول فيها.

15 - يفترض أثناء تقصي وجوه المعنى محاوراً مشاكساً، أو ما يسمى
بالجدال، مُراوِداً له تارة، مُروّضاً له تارة أخرى.

فقد قدّم شرحه جملة المعقولات والتجليات التي احتسبها ابن مقلّاش واعتددها في بسط معاني شرحه، ولقد عمدنا إلى هذا الحصر لأن ابن مقلّاش أرجح أهل زمانه في بناء بناء بيانه وحلّ المعقولات في الطريقة التي استعملها في بناء بيانه، ولا يسلّم على طريقة ابن مقلّاش في بناء بيانه منها شيئاً مستثلاً من ذلك، بل نصّباً عاماً، وبسبب في المعقولات التي لم يستطع ابن مقلّاش توظيف هذه التقنيات في بناء شرحه على المستويين: الكمي والعلمي؟

المطلب الثالث

البناء العام للشرح

إن شرح ابن مقلّاش على البردة من حيث التأليف والتصنيف لم يخلو شيئاً جديداً غير عمارة النظر إلى الشرح التي يرى فيها البناء العام للشرح منحى جملة من الشروح⁽¹⁾ ويشارك معنا في عدة مسائل.

فإذا كان ابن مقلّاش قد أملى شرحه «الكبير» ارتجالاً دون اعتماد على مفسر من أهل الفن، فإنها الطلاب الذين اعتدوا على القول في تفسيره، فإن لم يجدوا المفسر لم يجدوا شيئاً يثبت له في التأليف، بل إنهم انصرفوا إلى الطريقة التي يتبعها المفسر في التأليف، ولا سيما في البناء العام للشرح، ولذا نلاحظ بعض الفجوات البردية المتصورة على أن الأمر يقتضي في شرحه معالجة جدلية المفسر في الشرح التي تخصها له، التي أرفقها شرحه «الكبير». وهذا لا شك فيه أن هذه الصياغة لتصورها ابن مقلّاش في الشروح التي عطفها، فكيف استطاع أن يتوهم هذا التصور لإحسان صياغة «الشرح الكبير» على المستويين: الكمي والعلمي؟

1 - البناء الكمي للشرح:

نجد بالبناء الكمي رسم وتصور للصياغة أو البناء الكمي في بناء الشرح، من حيث النظر إلى شرح أساساً المقصود منه من جهة، والصياغة

(1) ينظر شروح البردة في الغرب الإسلامي للأستاذ سعيد بن الأحروش: (117).

أو الفصاه الذي يشغله شرح البيت الواحد مستقلاً بالنسبة لعدد الأبيات
المشروحة وتتابعها باعتبار الشرح كله من جهة ثانية

١ - البناء الكمي للشرح ككل:

حاشية أن إنباء هذا أن يطلع في شجرة القصر في هذا الشرح
الشرطي قد استوفيت ذلك حتماً بغير هذا من القطع الكبير (١) لا يتم هذا
من جهة التي تسمى في الصور والظاهر والظاهر، وما كان في مثالها
سواء كان قد وعد الفاعل، أو لم يسهل للمستفي أن لا يأتي في هذا الشرح
إلا بالنفي، وأن يقتصر فيه على ما يقتضيه فيه إليه من لباب اللباب^(١)، فإن
هذا السفر الضخم يعتبر في حكم عدم الوفاء بالوعد، ويسلكه ضمن الشرح
الكبيرة إذا ما قيس بعدد ما يماثله من الشرح، لكن إذا ما قيس هذا السفر به
الشرح الكبير الذي يقع في ثلاثة نطحات بعد الوفاء في المثالين
قائماً، وأن وفاءه يبقى منجزاً؛ وهذه لعمري عملية شاقة لا بطلع بها إلا فذ
كبير، ولا يستطيع خوض غمار لجبها إلا بحر.

- البناء الكمى للمبيت الواحد:

يبلغ عدد الأبيات المشروحة عند ابن مقلّاش (170) بيتاً. وشرح كل بيت على حدة يبدو متنوعاً ومتبايناً، فبعض الأبيات تستغرق خمس أو ست صفحات، وقد تتوالى وتطول إلى أن تصل عشر صفحات، في حين نجد أخرى لا تتجاوز ثلاث صفحات، وقد تقصر ولا تزيد عن الصفحة الواحدة. البحر العالِم هو لغة المتوسط وقلة الطويلة، وأما البحر المالكى فهو لغة هذا البحر، ومن جهة أخرى قد تجوز الأبيات الطويلة مع حطها وتوالى وقد تتجاوز المتوسط مع بعضها، وهذا هو الغالب. وقد سار التفسير مع المتوسط، ابتداءً من تجاوز المتوسط مع الطويلة (بحر) هذا التجاوز يؤكد لنا أن ابن مقلّاش فعلاً قاد إلى شرحه متصرفاً إلى الغالب (المتوسط) إلى تصرفاً إلى قولنا هو تفسير هذا أن هذا الشرح نفس المنظر

واحد، أو مقتصرة على ما هو شائع مشهور؛ فكثير من الآيات سيطرت عليها
العادة الشعرية، وصحح شرح آيات أخرى - التي بالأحرار - بمراد أخرى
تلك الآيات والأحاديث النبوية، وانصرفت أخرى على أحد المعنى واحداً
دون امتدعاء مادة ما، واكتفت أخرى بالشرح اللغوي، أو تعداد الوجود
الإعرابي.

هذا الصنيع نعتقد أنه يلعب دوراً أساسياً على مستوى نفسية المتلقي
عبر ما لا يحصى من العادة التعليمية من خلال الشروح، لهذا النوع وهذا
الشرح في ذلك يساعد المتلقي على التوصل إلى النظر في حياض مختلفة دور
أخرى من كتاب، التوجه عند شوقه وتطلع إلى التوجه والاستعداد في الدراسة. لهذا
نفسه من أن كل بيت يستعمل موضوعاً مادة، مستقلاً، صحيح الشرح بذلك
الكتاب والإعطاء، لكن هذا لا يعطينا من الاستدراك هنا أن ابن مقلاتر في
شرحه قد سقط في تكرار بعض المواد، وإن كان تكراره لا يضر المتلقي،
بل قد يضره إلا بعد مرور آيات عديدة لمؤلفي، بلغة، بلغة اندكج، والله
يعلم المخطوطات أو السأفة المتكررة في النص والحلقة، وإن ألقوا الشرح
بهذه المتكررات فالوظيفة أو الغاية التعليمية تشفع له.

إلى هنا نكون قد أعطينا صورة عامة عن قسّمات وملامح الخطوات
المنهجية التي اصططنعها ابن مقلاتر واتبعها في بناء شرحه على البردة
النبوية، ونحاول أن نعطي صورة شاملة لهذا الشرح الذي لم يحل فيه
الشرح، لكن في أن يكون، لا نحاول الصورة من مخرج ابن مقلاتر، وإنما في
شرحه.



الفصل الثالث

قضايا شرح ابن مقلاش

المبحث الأول: قضايا المضمون.

المطلب الأول: المضامين اللغوية.

المطلب الثاني: المضامين النحوية.

المطلب الثالث: المضامين البلاغية.

المطلب الرابع: المضامين النقدية.

المطلب الخامس: المضامين المعرفية.

المطلب السادس: المضامين التاريخية.

المبحث الثاني: قضايا الشاهد والمصدر.

المطلب الأول: شواهد الشرح.

1 - الشواهد الشعرية.

2 - الشواهد النثرية.

المطلب الثاني: مصادر الشرح.

1 - المصادر اللغوية.

2 - المصادر النحوية.

3 - المصادر البلاغية والنقدية.

4 - المصادر الشرعية.

5 - المصادر العامة.

المبحث الأول

قضايا المضمون

المطلب الأول

المضامين اللفوية

تمثل اللغة جانباً مهماً وخطيراً في آن واحد في عملية الشرح والكشف عن معاني النظم من الطريقة التي يفهم بها الإمام تلك الألفاظ تلك التي تتصل بها المعاني في النظم بالطريقة التي يفهم بها الإمام، وذلك في سياقها طرقة متعددة، واعتمد في تناولها زوايا نظر مختلفة، نجملها في النقاط الآتية: الصوت والصرف والمعنى.

1 - الجانب الصوتي للألفاظ:

اهتم ابن مقلاش ببنية اللفظة المشروحة في صورتها الخارجية، وكيفية كتابتها، وفي جانبها الصوتي، وسط كيفية نطقها بكيفية، احتواءاً من النظم والشعر والخط، وذلك في تلك الطريقة المعهودة عند القدماء، حيث قاموا بصياغة العبارات وشكلها بالكلمات مثال قوله: "الغري، بكسر اللام، صياغة، ونسخ اللام، الغري، ونسخ اللام، الغري" وقوله: "أولع، بكسر الهمزة، حرم بكسر الراء، في الماضي، مفعول مضارع، وأما حرم، فتحية، في الماضي فهو معنى آخر، يقال: حرمت الإبل فتح الحرام، في الماضي إذا أكلت شجر الهرم"⁽²⁾.

لم يكتف ابن مقلاش بهذه الطريقة وحدها، بل استخدم طريقة أخرى

(1) الشرح: (108).

(2) الشرح: (103).

الاسم من الألف، حيث عد إلى فسط الكلمة المشروحة بالضم
من الجاء، أو بالزيادة من مشها في المروء، وشاع ذلك في أولها سرور
على وزن رضي، وسرو على وزن بُعد سرواً وسراوة إذا جمع السخاء
والمروءة. وأما سري فلان بليل على وزن رمى فمعناه قطعه بالسيف. وكذلك
قوله: «الحدقة.. والجمع حدق بضم الحاء على وزن صرد، وتجمع على
حداق على وزن كباش»⁽¹⁾.

2 - الجانب الصرفي للفظ:

اعتنى ابن مقلاش بالجانب الصرفي للكلمة المشروحة، إذ نجده يتتبع
أصل الكلمة وأشكالها المختلفة، وما طرأ عليها من تحويل
والإعلال والتغير بالحذف والزيادة قبل أن تستقر على صورة ما. وسنحاول أن
نرصد عمله بهذا الصدد في النقط الآتية.

أ - أصل الكلمة:

بعدما يحدد ابن مقلاش اللفظة ويحكم ضبطها وشكلها ينصرف إلى
تسريحها والبحث عن أصلها من حيث بنيتها، أو من حيث مادة تركيب
حروفها، ومن ذلك ما لا يعد ولا يحصى، قال: «أراق الدمع إذا أسأله،
سأله عن... وأصل أراق أرقى نصبت حركته ثم لم يزل إلى... وأصل أراق
من أراق الحظرم، فحزرم، فاجتمع ما اتصل به... وأصل أراق
من أراق... وفي سراج آخر قال: «أراقى» من أراق... ثم أراق...
أراق... ثم أراق... ثم أراق... ثم أراق... ثم أراق...
عينه، فقييل: شاكى، ثم فعل به ما فعل بقاضي وإن شئت قلت: صار بعد
أراق شاكى. فوضعت الراء متطرفة في الاسم وأصلها فاقى...
وفعل بها ما فعل بقاض وأدل وأجر في جمع دلو وجرو»⁽²⁾.

(1) الشرح: (66).

(2) الشرح: (48).

(3) الشرح: (708).

ب - اشتقاق الكلمة:

لا يفوت ابن مقلاش بعد ضبط مادة الكلمة المشروحة أن يبحث
نبي، مشتق من الأنباء، لأنهم يخبرون عن الله ﷻ، ويبلغون أنباءه. وقيل:
نبيء بالهمز، ومن الثاني نبي بالتضعيف، وقد يصح من مادة الهمز بناء نبي
بغير همز على نوع من البدل، وعلى وجه من وجوه التصريف⁽¹⁾. ومن ذلك

ت - العلاقة التجاورية للكلمة:

كثيراً ما نجد ابن مقلاش يتجاوز بحث هذه الجوانب السابقة الذكر إلى بحث ما للفظلة من علاقات تجاورية، والتي يعتقد أن تكون هي الأصل الحقيقي للكلمة، ومن ذلك قوله: «والسر مأخوذ من سراري الوادي . . ويستعمل في الأمور الخفية، ومنه السر في الصلاة ومكالمة من تودع الأسرار عندهم، وسمي النكاح سرّاً لخفاء مقصده الأعظم»⁽³⁾. ومنه قوله: «والشيب مأخوذ من الاختلاط، يقال: شيب اللبن بالماء إذا خلط، ومنه بماء غير مشوب أي غير مختلط»⁽⁴⁾.

3 - الجانب المعنوي للفظ:

طلباً لتيسير النفاذ إلى معاني الألفاظ المشروحة، وحرصاً على تسكين القاريين وتزويدهم بالمحيطات الفاضلة من كلامهم، وذلك من أجل أن يكونوا قد استفادوا من جميع ما فيها من فوائد، وقد يعرج على فروقه وتعدداته واتساعه.

(1) الشرح: (227).

(2) الشرح : (233).

(3) الشرح : (82).

(4) الشرح : (95).

يستعملها، وربما تجاوز ذلك إلى العصر وإلى ذكر الفصحح والمشهور، وكذا
 الصحيح والرديء. فمثال العصر قوله: «والجفلة اليوم عند العرب على ما
 كانت عليه في العرب المتقدمين خاصة بهروب الخوف»⁽¹⁾. وشاهد اللغة
 والعرف قوله: «والحلل لها استعمالان: تستعمل لحقيقة لغوية ولحقيقة عرفية.
 أما الحقيقة اللغوية فإنها عبارة عن صوف مبطن كان ما كان، وأما في العرف
 فالعرف عرفان: قديم وهو الأصل: إن الحلل عبارة عن ثياب اليمن...
 اليمن والأندلس»⁽²⁾. أما الجنس فمثاله قوله: «والعمامة العرب تقول: عمامته،
 أي: ألبسته العمامة، وعممت هو باللسان العربي، وأما متعربة الأعجام فما
 الإبل والبقر والغنم، وقيل: إنها تصدق على البقر والغنم وليس الإبل...
 المتكلمين...»⁽³⁾. وقال أهل الصناعة النحوية... «قال أهل علم
 البيان...»، «قال أهل اللغة...»، «اتفق عليه الكوفيون والبصريون»، «اتفقت
 عليه العرب وبني تميم وأهل الحجاز»، وغير هذا كثير. أما الشبهة والقلة
 علي الفارسي، وعند النحاة غيرها، وهو المشهور عندهم»⁽⁴⁾، وكذلك قوله:
 «الآية: جمع أي... وآي إنه من قبيل ما بينه وبين مفردة تاء تأنيث، فالمفرد
 بالتاء، والجمع مجرد عنها، وهو قياس هذا الباب، وورد قليلاً بالعكس»⁽⁵⁾.

(1) الشرح: (655).

(2) الشرح: (502).

(3) الشرح: (501).

(4) الشرح: (505).

(5) الشرح: (289).

(6) الشرح: (35).

(7) الشرح: (512).

فكذا نجد ابن مقلاش يناقش اللفظة المشروحة من كل جوانبها المادية والصورية والسموية تلك وتكون وطورا نفسيا، فقلعاً لتقارب جملة من اللفظ والاستدلالات الصالحة والحكمة والسكينة والجملة لا تتركها من غير إيثار وإتقان. وقد تاحه منه اللفظة الواحدة حجة بهيئة وربما تركها في حاجة إلى شرح. وقد كان سريفاً على السهل ليصرف جهته والتمسكه إلى شرح ما يساعد على فهم النص، ويجسد المعنى ويخدمه، وهذا ينم عن قدرة فائقة على تحريك مفاتيح النص.

المطلب الثاني

المضامين النحوية

يعتبر النحو من بين المباحث التي استعان بها الشراح من أجل النفاذ إلى أسرار الإلفاظ والنحويين، وغالباً ما يتطرقون من طريق النحوية النحوية إلى بحثها على أسس النحوية شرحها وقد استخدمت هذه من أسسها النحوية والأمثلة. وقد أفصح ابن مقلاش في شرحه للبردة عن اهتمام كبير بهذا العلم، ويمكن حصر عمله في الطرق الثلاثة: أولاً في شرح النحوية العربية ويعرض شواهدا. يكثر من إعراب الألفاظ مفردة، وغالباً مركبة. يعني بالبردة النحوية إلا أنها من تأليف ذوي فهم النحوية. يفتقد حد السجح ويبحثها.

1 - القواعد النحوية:

اكتفى ابن مقلاش في شرحه بتقرير القاعدة النحوية بشكل مقتضب دونما حاجة إلى إيراد ما لا يستلزمه من إعراب النحوية النحوية، وكذلك عمله يعرض عن إيراد الأمثلة وإيراد الاستدلالات. مكتفياً بتجميع المعنى النحوي. وهذا يدل على الشارح على فهم النحوية. ويشهد ذلك الحذر عند استرجاعها. ويرد على ذلك أن ذلك إنما هو إيراد بعض الحروف، والإضافة والحذف والشرط.

قال بخصوص الشرط: «والشرط والجزاء تقسيمات: أن يكون الفعلان

ماضيين أو مضارعين أو مخالفين. ومن جهة أخرى يأتيان على جهتين
الأولى جهة أصلها الشرط الجبر، ويصلح في الجهة الثانية كما يكون
مما في الشرط حتى ياتي بعد الهمزة لا ياتي بعد على نحو من الأول
والثاني من الشرط. ثم قد ياتي جهة الأولى والثانية من الشرط
الأول كقولهم في الشرط. واتصف الشرط في الجهة الأولى
تتميم لزومية، وفي الجهة الثانية غائية.

الحذف: قال: «والحذف لسياق الكلام كثير: فهو إما حذف اقتصار أو حذف اختصار، فحذف الاختصار يكون للتلخيص، وحذف الاقتصار يكون لإزالة التكرار، ففي باب على وأحواله لا يكون حذف الاختصار، ويجوز حذف الاقتصار؛ وفي باب كسا يجوز الأمران».

الإضافة: قال: «لا يقال لما أضيف (مثل) إلى المؤنث اكتسب التأنيث، لأنك لا تسرع إلا في ما يكون اتصالاً بضم أو اتصالاً بفتح أو اتصالاً بضم أو اتصالاً بفتح». وقد نص الإمام سيبويه على قصره على ما هو كذلك، أي: أن يكون الاتصال بضم أو اتصالاً بفتح أو اتصالاً بفتح أو اتصالاً بفتح. وقال: «والله أعلم بالصواب» على أن الشرطية، ولا تعمل، وسمع العمل بها في نادر كلام العرب وهي عند سيبويه لا تأتي إلا المتعدي متلماً أو متلماً على اللازم، ويجوز أن يكون الأمر على هذا الكون، ولا تخف من الإضافة بوجه، والله أعلم بالصواب».

2 - إعراب اللفظة مفردة أو مركبة:

صرف ابن مقلّاش اهتمامه إلى بيان موقع الألفاظ المشروحة من
 (الحرب)، محاولاً ربط ذلك بالمعنى العام للحياة والوحيّة، أو الخصّة
 والبر، مثلاً أو جهه الحسنة وصورة السمكة. ومن أشهر تلك قوله في
 (الحرب) (محمد)، من بيت الناطق (محمد بن الكوثيل) محمد بن
 ربيعة وبعث ناله وخلفه، أما ربيعة فعلى الأسفار، ويكون خبره أصيل

(1) الشرح: (416).

(2) الشرح: (777).

الخبير، والخاص هو المصطفى، لأنه لا يقر صفة النقص بمبدأ
مبدأ كماله، من جهة الاستدراج في النقص، وهو الغير من جهة كماله، لأن
الابتداء إنشاء كلام مستأنف، ولم يكن أخير عنه بما بعده. وأما إن جعلناه
خبر مبتدأ فإنه لا يفوت وصفه بما أراد أن يجعل له الغير خبراً، وفيه الربط
بين صفة السريفة، وأما صفة السريفة التي هي أعني وهو في
صحة الصفة أيضاً. "فهي صفة راجعة إلى ما قبلها، مرجع وجهها إلى
الدليل من السياق.

وقد يعمد إلى ترجيح وجه من الوجوه المحتملة استناداً إلى مذهب عالم
 من علماء الشيعة (أو أئمة الشيعة) بدون حلقه على المذهب (أو
 المذهب). وهو محمل صحيح... ونصبها ضعيف، إذ لا تكمل فيه شروط
 الحال، إذ لا يقع إلا من معرفة أو ما قرب من معرفة بوجه من الوجوه
 المحتملة. لكن يجوز نصبها على قطع على مذهب الشخص (أو
 المذهب) في الغرض المقصود بالرفع. فالحال على المذهب (أو المذهب) الذي
 يجيز حذف كان بغير شرط من الشروط التي اشترط الإمام ميبويه في
 جوازها⁽³⁾.

3 - إعراب الحروف:

من المباحث الشيقة في شرح ابن مقلّاش عنايته بالحروف وبيان أهميتها
 في الكشف عن المعنى، وأما قوله في توجيه حمله إلى السكونية: «من
 جهة ذلك قوله في (أرأيت حرفاً) (أما) من قوله: أبطلها عابثاً من شهاب»
 (أما) من البيت يحصل أن تكون موصولة بمعنى الذي وليس ينسكن إلى ما
 في بعض الأصحاحات، واختصاصه بـ (أمن) في قوله: (من شهاب) (أما
 المن) وليس في البيت سهم هذا (أما) فهو الجنس الخبير به (أمن) أما
 من شهاب من يجب إبطالها في السكونية فقد يتضح مع قوله ما مضى.

(1) الشرح: (207).

(2) الشرح: (389).

(3) الشرح: (145).

وأما على مذهب مسيبويه فيتلحح صرفها إلى الموصولة أو إلى النكرة الموصوفة. ويزيد ترجيح موصوليتها التناسب مع (ما) الثانية والتناسب في كلامهم بصرياً⁽¹⁾ . واقتضت هذه الرواية من هذا الباب قولاً عاماً مبتدأ، والأحسن أن يكون حرف تنبيه، لأن مذهب حذاق المشايخ التحوير أن كل حرف دخل على ما يصلح أن يكون منادى أن يكون حرف تنبيه، أو المبتدأ أو المحذوف. وهذا حرف من حروف المد لا يجوز أن يكون حرف تنبيه التي تدخل على التمني... وهنا طيب لا يتأتى أن يكون منادى حقيقة فيكون معناه التنبيه، وعلى هذا المتزع به ابن مالك رحمه الله وارتضاء مذهباً⁽²⁾ .

وربما عمد ابن مقلّاش إلى المفاضلة بين الحروف وبيان مدى تأثيرها في الجمل. وسئل عن قول: «لو أنصفت لم تلم» (أو ما جاء بالياء) لأنها أبقيت على اللائق من أن يأتي بالفاء، لأن الياء لو جاء بها ودلت على السبب لسلبه عن الإنصاف بلومه وحصول علم ما سأل عنه، والتغاضي للمعارف أجمل من استكشاف ما طلب المبلى به ستره إلا إن قدرنا أن السؤال تحقق في الجملة «غير رسالكم تمكّن قولاً» (أو ما أنصفت) وكانت الفاء أليق بالمحل من الواو، وإن كان مع جواز تقدير أمر آخر، كأن يقول: سألت عما تحقق عندك ولو أنصفت لم تلم، لأن السؤال عن الشيء معلوم بخبر لا أحد أدرى. إما قصد لمضيحة للسؤال (وقوله على حاله) أو تخيير من السائل قسراً من الجمل (أو لا سأل سأل) إلا جملاً لحسنه (أو لا سأل سأل) والقاهر أنه يقتضيه حاله، (أو لا سأل سأل) جملته (أو لا سأل سأل) في سؤاله عن حاله، (أو لا سأل سأل) (أو لا سأل سأل) لم يردف حقيقته أعرف وما انطوى عليه سري لم تلم⁽³⁾ .

وقد يكون الحديث عن إعراب الحرف ذا شجون، ويتطلب بسطاً

(1) الشرح: (389).

(2) الشرح: (333).

(3) الشرح: (75).

كسبها الصلح بحرف الهمزة تقدم النحوية في كتب النحويين. وفي كتابه الكبير بسطها⁽¹⁾، وفي لعل سبع لغات ذكرها ابن عبد النور في كتابه⁽²⁾، ودواحيكم كاد مذكورة في كتب النحاة⁽³⁾.

4 - بحث الصيغ:

ومن المباحث النحوية الطريفة وقوفه عند بعض الصيغ وبحثها، مثاله
إذابت بهاء، وإنما قلنا إنه من ذوات الواو للثقل المحفوظ عن أئمة اللغة، ولأن
العرب قد نطقت بنعله بالواو، وقالوا: أشوكت الأرض إذا ظهر شوكتها. وقد
نص الأئمة على أن شاك وهار أصلهما شاوك وهاور. وللكمة استعمالان⁽¹⁾.
ومصدره عند أكثر العرب، وجاء في قراءة: ما ودعك بالتخفيف، وجاء في
الشعر أيضاً. وأما المصدر ففي بعض روايات الحديث: لودعهم الصلاة⁽²⁾.
المبتدأ والخبر، والتعجب والاستفهام، والتصغير، والنعت، والمصدر،
والضائر، والإضافة، والحذف، والشرط، والفصل والوصل.

المطلب الثالث

المضامين البلاغية

تمثل القضايا البلاغية وما يرتبط بها من تذوق واستحسان ونقد أهم
التي ينبغي أن يهتم بها من يتعلم اللغة العربية. وقد توسع في هذا المجال
والتي هي من المبادئ الأساسية التي لا بد من فهمها وتذوقها. وقد توسع
في هذا المجال من المبادئ الأساسية التي لا بد من فهمها وتذوقها. وقد توسع
في هذا المجال من المبادئ الأساسية التي لا بد من فهمها وتذوقها.

(1) الشرح: (788).

(2) الشرح: (255).

الطريقة. مما مكن من إبراز مواطن الجمال والجودة، وأفصح عن ذروة وطول باع في الأدب وفنون العلم المختلفة.

وباستقراء المعطيات البلاغية نستنتج أنها ثروة هائلة، موزعة على طول الشرح متداخلة المباحث، بحيث لا تكاد تفرق بين فنونها؛ بل إن الحديث عن الفن الواحد أو الوجه البلاغي الواحد موزع على الشرح حسب وروده في الأبيات، وحسب زاوية النظر إليه في كل بيت فقد يستدعي هذا البيت أكثر من وجه، ويستدعي البيت الآخر الكلام عليه من وجه ثان، أو ثالث أكثر، وعندما تجمع أطراف الوجه البلاغي الواحد المتفرقة تحصل على مظهر بلاغي متكامل.

كما أن هذه المعطيات البلاغية التي أفرغها ابن مقلash في ثنايا شروحه على فنون البلاغية في تعريفات وقوانين عامة، وبين الجانب التطبيقي المنصرف إلى التحليلات والتعليقات والمناقشات التي تكشف عن مواطن الجمال والمتعة والجودة، وتنمي لدى المتعلمين والمتلقين عموماً سلطاناً واسعاً يستخرج من نظمه أي تعهد ابن مقلash في مقتضيات السبق في النقط الآتية:

1 - يركز تركيزاً دقيقاً في الحديث عن الوجه البلاغي، ويحيل على مقتضيات وسائله في الشرح الكبير، بعبارة: "فقد أريد أن أقدم في هذا الموضع على الكثير، وأوقد بعض الكلام في الكثير وأوسع من الترتيب". ويختصر الأمثلة بقوله: "... كثير في كلامهم"، ويعتذر عن إيراد أمثلة من القرآن بعبارة: "... وكلاهما وارد في الفصيح".

2 - عند تعداد أنواع الوجه البلاغي يوقف استطراداته بعبارة: "وهو جمع، وأما في المقامات بألفاظهم، وأرفق معني عظم، وأرفق من الجمع المستطرد". (حينما يتوغل في مناقشة مسألة تدليك يوقف الشرح بعبارة: "أوقد نكلم فيه بعض خلائج الحجة كلاماً عاماً حتى لا يخلط العمل به من التجاذب هذا المجموع الغث والسمين").

3 - التكرار في الألفاظ البلاغية نادرة بالألفاظ السابقة، وندرة بألفاظ معاصرة.

في هذه القصيدة كثير من التورية على الألفاظ المعنوية، وقد جاء في الكلام الصحيح كثير من التورية.

٤ - ذكره بعض وظائف الأوجه البلاغية. ومن ذلك قوله: «ولا شك أن
الطائفة من بطرق المصراع في أدب السامع، ولعلها تتراوح التحير كثيرة
على هذه الدفوع من التوسيع، وأوسعها استكمال جملتي الشعر، وبذلك
الشعر الذي يكون فيه بسطة وبريقاً، وهو من بسطة السامع، وهذه
من الحذف نظيره». كما يذكر أول من استعمل حقي الأوجه البلاغية أو
المزج، وشاعره قوله: «والسؤال أول من نظم - لاستكمال - وإيجاز الشعر
أول من ابتكر التشبيه»، و«الإرصاد من تسمية المشاركة المتأخرين».

5 - التخصيص على حجم استعمال ووجود بعض الأوجه البلاغية في
القرآن. ومن أمثلة ذلك قوله: «والأحمر في كلام العرب كثير» وفي قوله
«المولدين»، و«الاستبعاد قد جاء في كلام الله منه كثير». و«الترديد في
القرآن كثير». و«التقسيم جاء في النصيح كثير». و«الرجوع الظاهر والبرزخ
المجاز العقلي». و«الاستطراد نوع بديع سلكه كثير من الشعراء».

6 - ذكر الفئة المستعملة للوجه البلاغي أو المكثرة من إنفاقه في
عصرها الإبداعية. وشاعرت قوله: «فأنت قد ربح كسراً في فلاح العرب
والمولدين» وقوله: «التفصيل جاء في كتاب المولدين» لا يحسن الشعر
وقوله: «والاستعارة ارتكبتها شعراء المولدين ارتكاباً كثيراً».

7 - التنبيه على قيمة الوجه البلاغي وعظم قدره ومكانته بالنظر إلى
الخطي والسفاهة فيه، ومن ذلك قوله من الشبه: «فالتشبيه السرف كلام
الحمية» (عن التفسير: «والقسم يمنع من علم اليقينة»، وعن السند
الطوسي: «والسند الكلامي من فصيح السامعي وهو روح عند أرباب علم
الدين صحيح»)، وكذلك قوله: «ومن حقائق الكلام هي الشبه» (رواه: «وغيره
من الأرباب روح عظيم، ودلالة على قوة الفكر» (رواه: «ومن حسن القدر
البديع رد العجز على الصدر».

١٠ - التطرق لبعض مظاهر الأوجه الباعثة أو الباعثات وتشمل:

يرتبط أفلامه الحبيبة في حيزه العاطفي، وحيز تنوع الآلة والشرح،
 يومها الربيع، يكشف كل نوع من صحة ما يملكه حتى تكتمل الصورة
 الفصح الحبيبة، في سلامة الأسلوب والسياسة الفنية، ووضعها كلها حتى
 الصورة، وكما في تصحيح أرقام بعض النسخ، وإدخالها في الحفظ،
 سلكه

ث - قد يشعر القارئ أنه أمام صورة مكرورة مع شيء من التحوير
 والتزيين، فلهذا نرى في بعض النسخ، فخر على أن يكون هو الذي
 يصور، فخره هو ليس اجتراراً ولا إعادة، وإنما هو انعكاس لصورة تالية.
 وأفلام شعورية، واستحضار عذوي لها، فخره العذبة من علوم ومعارف
 ومفاهيم، وحفظ الخبر، الصخم والصواع ليس بأمر سهل، بل هو
 منزلة قدم لا يسلم منها إلا الفحل المتضلّع، أو المدرب المتمرس.

ج - إذ تصوق النقاد لنا تطرق إليه الموهبة، لم يسمه إلا بحسب
 نفسه بموقف الشارح المدقق، والعالم المدقق، فيقف معترضاً حين يرى وجهاً
 للاعتراض، ولا يتردد مستدركاً حين يرى مجالاً للاستدراك.

ح - لا ننسى الهدف التعليمي من الشرح، فالتواعد والحدود والتعريفات
 والآلة وسيلة لتدقيق الآلة، وإعانة مساعدة على الشك حتى الصورة
 التي بها يتوصل إلى الحقيقة، فلهذا فية عند التارن، ويستطيع بعد القراءة أن
 يحل المسألة، والد يستهوي إلى وسط الجملة، لا للتدقيق على الصورة
 يسيل التبليغ.

المطلب الرابع

المضامين النقدية

بدا ابن مقلّاش في شرحه ناقداً متمرساً، وخاض في نقاش وبحث جملة
 من المشكلات النقدية، منها ما يرتبط بمفهوم النقد، ومنها ما يرتبط بمفهوم
 النص، والتمهيد، والقصة المرفقة، وتضمنت هذه الفصول ووجدتها، هذا فضلاً
 عن الجوانب التي استخدمت أساليب النقد، واستخدمت في النقد
 النقدي في النقط الآتية:

بجانبه المأخوذ من لغز بعض دورن وموسيقى. وما بلغ ذلك من الضم
 جاز. أما التفسير من وظيفة الشعر فلا يجد له حديثاً صريحاً من أئمة
 السلف المتقدمين. ولا حديثاً ضاملاً يفتقر لذلك من الأئمة والعصر الشعري. مع
 أن ما يمكن أن يفسر هذا من طبيعة تواجد الشعر. فقد يجد له حديثاً
 من أئمة السلف. أو الوظيفة النفسية للشعر. يقولون في شرح قوله
 كان الشعر منقسماً إلى هذين القسمين، منه ما يورث ثواب الله ^(١)، ومنه ما
 يورث مقت الله وغضبه، فإما أن يكون في عنقه عقد در موفوراً، وإما أن
 يكون في عنقه ما يورثه من سوء سمعاً متجاوزاً ^(٢) مع أن الظاهر أنه
 يكن فيه فحش ولا هجو فحسته حسن، لكن ترك الاشتغال به أحسن ^(٣). فلا
 يرى أن يوسع من علمي وعن الشيخ بقوله عليه السلام: الشعر إما يورث
 للشعر.

2 - بناء القصيدة:

درج ابن مقلاش في تقسيمه لقصيدة البردة على ما هو متداول معروف،
 المحدث من عناصرها المحركات منها من سبيل الإخراج والجمالية. فأن
 حسن شعر الشاعر رقة المبدأ وحسن التخلص من وادي البداية إلى واسطة
 رقة من المبدأ والمتنوع. وحسن التخلص من واسطة إلى السجع. وحسن
 السجع. وحسن المعالي استوعبها الثلاثة ^(١). وقال أيضاً: (المبدأ
 الإخراج والنهاية من ألقم صناعة الشعر) ^(٢). إن ألقى الاصطلاحات
 في اللغة التي ألفتها هي من مصطلحاته في كتاب العبد لأبي رشيد
 القيرواني.

أ - المبدأ:

نفى حديثه عن الاستهلال أورد مجموعة من الأبيات المختارة من

(١) شرح (١٤٥).

(٢) الشرح: (١٦٨).

(٣) الشرح: (١٦٨).

مقدمات مجموعة من الشعراء⁽¹⁾. وقال عن مقدمة النسيب لقصيدة البردة
«لقد جلدتكم بالعرف، والنسيب سرقني باسم ما على سواد العبد»

ب - الخروج:

وعن التخليص أو الخروج قال: «وانقضى تغزله، ولم يبق له إلا حمل
التخليص إلى الخروج إلى الممدوح، فتخلص من الهزل والتغزل تسلط
حسناً، ومن بعد ذلك لم يبق الشعر إلا بهذا أولاً، «الخروج التوافق»
عنا من النسيب إلى المدح بهذا التخليص الحسن من أبداع الخروج، وهو من
براعة الشعر، والتخليص في صناعة الخروج كبراعة الاستهلال عند المبادي». ثم
أخذ يبين كيفية تخلص الناظم وخروجه إلى الممدوح قائلاً: «ومن حسن
الخدمة أنما خرج لتدح بذكر الرجل الممدوح على النسيب، وأما
المرحلي الممدوح فيخرج من بعد مدح، فلهذا في النظم استعملت
تسمية الموصوف بهذه المحاسن، وحينئذ يفصح به؛ وهو فن عظيم ومعنى
بديع».

ت - الخاتمة:

وعن الخاتمة قال عند قوله: (خدمته بمدح): «وهنا انتهى كلام الناظم
عن أغراضه من القصيدة وأراد تخليصاً آخر، كما استخلص أولاً من النسيب
أخذ الآن يتخلص من المدح... وهذا المسلك الذي سلكه الناظم في
التخليص مسلك حسن، فقدم هذا البيت توطئة لإظهار ما قصد»⁽²⁾. وقال عند
القول: «والآن يحجب الصلاة» قوله آخر قطعة من تشديد القصيدة...
«الآن يقول دعاء الداعي وهي الصلاة على سيد الأولين والآخرين
والصالحين أجمعين»⁽³⁾. وفي النهاية لخص قلامه عن بدء القصيدة بقوله:
«الآن يبدأ بالنسيب والصلاة بمثابة له من الفكر» بقوله «الآن» في سلك
المعاني، ثم تخلص منه أتم تخليص، ثم ذكر محاسن الممدوح، وكان فيها

(1) التخرج: 71-35.

(2) الشرح: (732).

(3) الشرح: (795).

4 - المعاني المتداولة:

أ - بسط المعنى:

توسع ابن مقلّاش في بسط معنى الأبيات المشروحة، وصرف اهتمامه
في حصر أنواع العاطفة فيها، فهو لا يكتفي بشعر إلى العاطفي السبعين التي
في تصنيفه، بل يحدّد فيها خصوصية لمثل الشعر الشعري، مما جعله
مستوفى عنها في السبعين، كما هو الحال في العاطفة السبعين، وهو ما قد أقره
السيد الخليل، وقد ورد في التصريح: «وأما العاطفة السبعين، مما يدل على
سعة اطلاع على الشعر العربي، وعلى قدرة على تعاطي نوع من إحصاء
العاطف السبعين، وقد وقع عند بعض المعاني في بعض الأحيان، محلياً
بها، مستعملاً عبارة: «أما أحسن قوله وقد أبدع وأجاده، مما يدل على حسن
تصرف ودقة نظر».

وقد يورد الوجه الذي يتحمله البيت أو يتوقف عليه المعنى دون أن يتعده، وقد يتناول المعنى بالتغيير فيتصرف به، ويحول وضعه التركيبي من النسق الشعري إلى النسق النثري، مما قد تخاله أحياناً نوعاً من التعسف أو الشطط في الشرح، أو تخاله شرحاً لغير ما هو مذكور. وربما تناول بعض المعنى فيشرحه ويقربه، ثم يعود إليه بعد مدة فيعالجه بما يناسب أهميته ويتأمله قليلاً، كما تراكم الخطأ أو حوالة فيقال في فهمه أو اشتقاقه أو صعوبة.

وقد يسوق المعاني على الوجه الذي تقدم ليؤيد وجهاً أو يساير رواية،
أو يحسن مدحاً، أو يفسد شامخاً. وقد يطلب من الأديب الحكيم ومجرباً من
الهداية متعلقاً إلى ما يليه ثم عاتقاً من حيث بدأ، لتأليفه على ما يليه، حتى
في نفس النظر، ويكون المقام في قد ثمراتاً على أن يثبت استثناء وجود
الشيء قد انتهت، وأنه لم يبق من الاختلافات المسككة في بقاها من
عاشق يتوان يقبل أنه لا زال في البيت بقية من لم يمتدح أو يكرهه مناد. ويعد
إلى بيانه.

وكثيراً ما تجده يروض معترضه المفترض ويرأوده؛ فمرة يجيبه على

[illegible]

زخر شرح ابن مقلّاش بفصول مستعنة استطرد فيها في بسط معاني متعددة:
النسيب: النسيب من حوال الأماكِن والجمال، الرياح، البروق، ومعاني النسيب
الريشة وإفشاء من النسيب، ومعاني النكاح وإحلاله للفرج بالعم، ومعاني
النسيب والحظيات. قال في النسيب: وهذا النسيب الذي يقع إليه الشعر
هم هذا ما نزل من أساتيد الشعراء، فإنهم يقولون بأن النسيب الذي ينظم
عنهم أحوال المظمرين، أو يخرجون ذلك محرّج السؤال. وقد سألوا
الرياح والبروق^(١)... وهو نسيب ظريف... ومنهم من يفضح نفسه^(٢). وقد
تكون النسيب في تغزلهم مخبوءة عن حب البعيد، وقد تكون نامة...^(٣)،
والنسيب الذي في النسيب. وقال أيضاً: فإن السلافة سألوا الأماكِن أوقع في

(3) الشرح: (41 - 74).

النفس وأبلغ، وقد استنطقت العرب الديار والجبال والجمال، وعمل ذو
المولدون^(١)... والمولدون يتغزلون بهذا المنزع يشبتون للدمع نميمة وإفشاء
(٢)

أ - أحكام نقدية:

أ - نقد الألفاظ:

قال عند بيت (كيما تفوز): «وهذا البيت في غاية البلاغة من رصانة
البيان...» (ليس له نظم بقدر ما هو في غاية رقة، وسلامة
من طرق البيان مهيباً غريباً دقيقاً^(٣)). وقال عند بيت: (ليس له حد): «...»
(البيت له حد، حده في الصبر على الغلظة، وحسن تقدير
عباراته هذه أبلغ مما لو قال: (أفضل البشر)، لأن في هذا ما يشهد
بالمشاركة؛ إذ أفعل تأتي غالباً في الجنس المشترك، وقد قدم أن جوهر
الحسن غير منقسم وإذا كان كذلك فلا اشتراك، فكان قول الناظم: (ليس له
حد) أبلغ^(٤).

ب - نقد المعاني:

حفل شرح ابن مقلّاش بتحليلات وتعليلات وتقويمات عديدة للمعاني.
قال معلقاً على بيت لأبي علي البصري: «وفي اعتذار المعترف هنا تلميح
حسن إلا أن فيه بعض الجفاء في نسبه إياها لعدم الإنصاف في لومه. ولا
يكون كلامه صحيحاً إلا لو كان عالماً بموجب ما وقع به، إذ يكون سؤاله
عن حد الصبر، الصبر لا يحد، وما النسب والتميز من غير حد...»
وقد كان من الإغتراف في كلامه على أبي البصري: «والمعنى أن الرجل إذا
كان في طريق...»

(١) نفسه: (٤١ - ٧٤).

(٢) نفسه: (٤١ - ٧٤).

(٣) نفسه: (٦٢٨).

(٤) الشرح: (٢٦٥).

(٥) الشرح: (٧٦).

خطبك بكراً). وقد أيدع هذه السبب أدلة على أن البيت في نفس السطر قبل
 البيت بعد التعليق المرجح إلى بعد السطر. وقد عرفت أن البيت
 لنا معتبراً. وفي هذه السبب يدع السبب إلى أن البيت في نفس السطر والمادة
 وحسن انتزاع الدليل من الآية⁽²⁾.

ومما يرتبط بنقد المعاني قضية السرقة، فقد فصل فيها القول عند بيت:
 «سقط الم برأسي» قال: «(ووقع الماطم على صدره)» سبب في سطر
 أشطار بيوت قصيدة له ميميمة... ولتعلم أن باب سرقة الشعر باب
 متسع...⁽³⁾. فساق الكلام عن السرقة في كلام طويل مأخوذ من العمدة
 في سبب السطر في بيت: «سقط الم برأسي» و«سقط الم برأسي»
 التصريف وقال: «والذي أقول به في جلب صاحب القصيدة شطر المتنبي أنه
 استلحاق جلبه ولا عتب عليه، إذ لم يقصد الاستبداد به، لكن كان لائقاً
 بمحلته هنا في البيت، فأخذه ظاهراً ولم يأخذه مغيراً أو سارقاً»⁽⁴⁾.

ت - المفاضلة بين الأبيات:

قال عند بيت: (مزجت دمعاً): «وبلاغته في البيت أبلغ مما أورد امرؤ
 القيس من قوله: ففاضت دموع العين مني صباية، لكن ما قاله امرؤ القيس
 في البيت: «سقط الم برأسي» وأما ما قاله الشاعر في البيت: «سقط الم
 برأسي» فلهذا من الدليل على أن البيت في نفس السطر...⁽⁵⁾
 وقال مضافاً إلى المرحومين والشرف على: «المؤلف في هذه الاستعارات
 كانت كل من العين هذه الأبيات في نصيبه» وقد أشاد السبب في البيت
 فلهذا قال في الواقع من غير الاستعداد. ولذا قال المرحوم في قصيدة لامية:
 «... بأن هذه الاستعارات لكن حرفة صناعة نقل الأمر من...»

(1) الشرح: (92).

(2) الشرح: (641).

(3) الشرح: (108).

(4) الشرح: (110).

(5) الشرح: (14).

حر النار انتقل بعد خمودها إلى قلوب أهلها، وهو منزع حسن⁽¹⁾. وهذا
الناظم غوص عظيم ودقة نظر.

ث - نقد الشراح:

سبق أن تحدثنا عن طبيعة علاقة ابن مقلاش بالشراح السابقين عليه في
مطلب سابق وبسطنا الحديث عن كيفية تعامله معهم، وسنكتفي هنا بإيراد بعض
الأمثلة ليقول على بعض الشراح: فلان قد بيت: (أولاً تزودت من
البيت ما قبل) ... هذا بعض كلام الشراح (أوردوا بعضهم بيتاً وقالوا
كيف يتوجب على النفس دما مع التوفية بالواجب؟ ثم قال: فإن قيل: قد غلب
الأثمة بجرحه من ترك النوافل كلها، بل بعقوبته، ثم قال: أما من عم النوافل
بغيره لم يمتد إلى ترك الواجب إنما هو من تسهله بغيره ثم قال: لا يمتد
إلى ترك الواجب بل يمتد إلى ترك الواجب ثم قال: ثم قال: ثم قال: ثم قال: ...
درجة عالية من المدح لا يدركها إلا من وفقه الله، ثم أورد حديث الأعرابي...
قلت: وفي هذا نظر، لأن حديث الأعرابي متأول... وهذا كله بعيد من قصد
الناظم، وإنما روى الناظم تورية، ويؤيدها ما قال بعد: (ظلمت سنة من
السموات) ... ذلك على الوجه الذي هو ... وقال أيضاً من يولد في البيت
لا يوقعه مستغنى عنه⁽²⁾. ومن ذلك أيضاً قوله عند بيت: (كناية أجنبية
للموت) ... قوله بعض المحققين لما وقع معه البيت في قوله الناظم (كناية أجنبية
للموت) ... قوله ما قبل فهذا قاله (المقصود المقاني - قبله) ... وفي البيت الشرح
منها ما قال: لم أجد العم في تراجمها ... قوله ...
لكن بعض الناس لما قرأها به أمر متصور أولاً، فمروا من قبل التحليل مع
التمسك بالعمى والحدس فيمكن بلوغ مع سلامة من حسنة السبق...

ج - مقاييس نقدية:

لقد بدا ابن مقلاش في أحكامه النقدية ناقداً فذاً، ودارساً مقتدرًا، يعرف

(1) الشرح: (368).

(2) الشرح: (176).

(3) الشرح: (655).

تكون برتبة علام، لا اله، ومثله من موطن الصوفاء، وهو اعلم بالصواب
 والاعتناء بالنسبة في النص الأصلي، من ثم الصواب لا يخطأ، أو ليس
 وجود، أو لعدم، هناك في كل مقام من الأقسام، متعلقاً من
 درجات الاعتساف، مقنماً إلى حد بعيد، ممتعاً إلى حد أبعد. وتنعكس
 من حيث الشئنا اختلافه، شئنا شئنا عيباً، شرح بين الشؤن، والتعليل.

فأحكامه لم تكن أحكاماً عامة، أو أحكاماً عابرة اعتبارية، بل كانت
 أحكاماً بطلاناً، تنعكس على نظم، وبذلك تحيل، ومنه قول، وفي الأصل
 البطلان ما يلي المقصود، وتماشياً مع ما رأينا من طبيعة هذه التحليلات،
 ومن حيث التوفيق الأخلاقي والنفسي، بعد تلك أحكام الشئنا تدفع بين
 النص المتعلق بالأخلاق والنفسي، أي شئنا تلك التوفيق، ومع هذا فلا بد
 من كان معه أدنى شيء من الإسلام، ويرى نفسه معدوداً في أمة رسول الله ﷺ
 لا يخطر بباله أن يكون مقصد الناظم هذا اليوس... معاذ الله أن يتوهم هذا
 في حق أحد من المسلمين عموماً، فكيف يظن برجل من أكابر الصوفية
 العارفين؟ والقرائن اللفظية تفصح على مراد الناظم وقصده^(١).

المطلب الخامس

المضامين المعرفية

إن حامت الشكوك لأغلبية التي وقفا عليها، وهو شرح، أو تبيان، بصفة
 من المعارف المتنوعة، بدرجة على طول الشرح بصفة ما يستفيد المقدم
 وهذه المعارف تنعكس بحر الرجل وسعة أفقائه، ولا شك أن استعداد
 السمع في المتصوفة، وتوظيفها، واستدعاءها في شرح النص الأصلي،
 استخلاص معانيه، وتبيين مراديه العميقة، تحيل بتفصيل سعة من المعارف من
 حاضرات الشرح وتكراراته الأسلوبية واللفظية والفكرية والمعرفية من جهة، ومن
 جهة ثانية لتحقيق سعة عالية من التوازن لدى شريحة المتعلمين. ومن جهة

(١) الشرح: (203).

التي هي من جنس الشرع، والادعاء بالفساد، والفساد، والفساد،
والكلام والتعلق، والطلب والفلك.

1 - الفقه والقضاء:

هيئت شخصية ابن مقلات الفقيه على مختلف أطوار الشرح، وتبين
بوضوح خلال قسّمات عديدة من شرحه؛ إذ نجده في أغلب الأمثلة التي
تتناولها من الواقع الفقه، والتحليل الفقه، والفساد، والفساد،
تنكر العين: «وهذا المعنى اليوم موجود في كلام الناس، إذا ادعى أحد
أحد بدعوى، وأنكر المدعي عليه، ثم يظهر كذب المدعي عليه فيؤيخه
المدعي فيقول له: أين إنكارك؟ وأين استتار ما أردت ستره؟ علمت أن عليك
تسليم ما عليك، وإلا فليس عليك» (1) «ولا تلج بهما لهما»
«ألا ترى أن من تحيل الحاكم أنه يقول للمنكر بين يديه: يا بني، الرجوع إلى
الحق حق، ويلين له القول، ويزين له الرجوع إلى الإقرار، حتى إذا اعترف
يقول له: فانصف خصمك» (2). وقال عند بيت: «أستغفر الله من قول بلا
عمل»: «ألا ترى أن قول القاضي للشاهد ما تريد؟ فيقول له: نشهد بكذا
فيقول له: حسن. فإن قال: شهدت بكذا، فلا تقبل منه الشهادة، ولا يعمل
بما قال؛ لأن الصيغة التي وضعت لأداء الشهادة إنما جاءت بلفظ
المضارع» (3).

وهناك من أمثلة الشرح طيات ملحوظة للمفردات الفقهية والقضائية مثل
الرجوع، والإنصاف، والتحليل، والكلام، والرجوع إلى الحق، وإتمام المسألة،
والإنكار، والاعتراض، والنسب، والصحة، واليقين، والفساد، والمال،
والمدعي، والشهادة، والشاهد، والمدعي، ومن المفردات العلمية القسم،
والخط، والطلاق، والتطير، والصيام، والرحمة، والواقع الشرعي، والواقع
الفقه، والخلاف في مسألة القضاء المجرد، ومقالة العلامة في المسألة

(1) شرح: (159).

(2) الشرح: (163).

(3) الشرح: (164).

اختلاف في المساجد، واختلاف في مسألة جميع النسخ بالخدام والكلم
بالحسب من مقلات في أمثلة الفقه من المذهب المالكي، القصة المأخوذة
والشعر، واستعمل المحدث في هذا الأمر في الفصل الخامس بالشرح
والمصادر.

2 - اللطائف والإشارات:

١ - الأبيات المشككة:

سبق أن تعرفنا على أن ابن مقلات كان على علاقة بالشيخ سيدي محمد
البحاري، فربما عرفنا أن رقم أن قصيدة البردة التي تم قصها إلى المصنف
بالحسب المأخوذة، تليها القصة المأخوذة والاشارة العروسة قبلها
المأخوذة مع باقي القصائد الأخرى التي رقت الشرح، ومن العروسة إلى
يعزف الشراح عن هذا الجانب رغم أن جلهم من العباد، أو من المرتبطين
بصوت أو رواية. وإذا كان في البردة من مستقل الحارث فما قبله المصنف
واستعداهم على البوصيري، وأثار ضجيجاً لغوياً، وفجر زوبعة من النقد
والأمر من الشرح من قِدار بعض المصنفين، فإن ابن مقلات لم يستمع
حداً، وحاول أن يلفت من تلك المأخذات، ويصل من تلك النجوم ويبدأ
في تلك المأخذات، يقول في تلك المأخذات إلى ما لا يحصى من المأخذات
عينية، لا دخل للخيال في إنتاجها، ولا شطط في حكيها وسردها.

وإذا كانت المصادر الدينية السابقة على البوصيري هي التي رقدته
بالحسب، فما صالها في القالب الشعري، فهو في القالب الأحوال لم يدرج لها
أولاً هذه القصائد، فلا غيب على مقلات، ولهذا، حدثنا ابن مقلات بسند
إلى حسن المصادر، ولم يترك بقية مهمة النقد والشرح والتصحيح، وأما
المرجع إلى الحم من على الخليلي، فراه الناقم من قبل المأخذات والمأخذات
التي هي، مبرها أن الأبيات المستقلة خصوصاً التي تليها حديثاً عن الطريقة
المحسنية، ومن السيادة والتوكل، تحتل الشرائع، وحده، احتمال، والتأويل،
ومن النصف إلى الألف، والكتاب الإصناف الذي قبله من المأخذات، وحمل
اللام على وجهه، أو بعبارة أخرى، وحملها على وجهه، وقد تولد ابن مقلات من

الأنبياء بن حنبل في كتابه «الترغيب والترهيب» في باب «الثقة ورزاقه»
التوجيه الحسن، والاحتمال المقبول، والوجه المحسوس، بكل ثقة ورزاقه
بالحمد

ب - مباحث صوفية:

تحدث ابن مقلاتش على هامش بعض الأبيات عن بعض المقامات
الصوفية، ومن أهمها في بعض النسخ «مقام الصبر» وهو
على السبيل الصحيح، وهو «مقام الصبر» الذي لا يترك فيه
ودربة، وممارسة طويلة، وخبرة عالية في الميدان. ومن شواهد ذلك قوله عند
«الوحدة الصبر والبطالة» وقد ذكر في النسخ «الوحدة الصبر»
عند أهل البصائر أن مضره النفس أمر بالإنسان من الشيطان لوجوه منها: إن
العبد المجتهد في صون الأعمال من الآفات قد يحصل له مقام المحو
والإفناء، وهو «مقام الصبر» وهو «مقام الصبر» (الوحدة الصبر)
العبادة. فمن صان نفسه عن الخصال الذميمة، واستعملها في الأحوال
الحميدة، فهو صاحب محو وإثبات⁽¹⁾.

وقال عن مقام السكر: «وما زالت الأكابر تطلب من الله ^{تعالى} قبض
الروح من لا يفلح على قطرة من الماء إلا ما يسكر من أهواء السكر»
كان أسهل عليه من الإباحة دونها. وعن الحال يقول: «رجعت النفس إلى
درجة الإشفاق، وهي درجة بين الخوف والرجاء، لأن الأخذ بالرجاء
الذي يرجع إلى الأجر من الله ^{تعالى}، والسمو من أهواء السكر من
رحمة الله. وقال بعضهم: يغلب في حالة الصحة الخوف، وفي حالة المرض
الرجاء»

وقال عن الفراسة: «والفراسة ما يتخيل في نفس المتفرس... قد يكون
الفراسم من 6 أنواع: 1- الفراسة التي هي من الله ^{تعالى}، 2- الفراسة التي هي من
الفراسة التي هي من الله ^{تعالى}، 3- الفراسة التي هي من الله ^{تعالى}، 4- الفراسة التي هي من الله ^{تعالى}، 5- الفراسة التي هي من الله ^{تعالى}، 6- الفراسة التي هي من الله ^{تعالى}»

(1) الشرح: (157).

الخدم عنها بالإحالة على الشرح الكبير، مثال الحديث عن التصرف، والرجوع، والأمانة، قال: «فالحديث عن أموالها وحقيقتها وأقسامها، وما يخص أعمالها من التكبير» ومن الأمانة قوله: «ولولا خوف التطويل لاستوفيت ما يتعلق بيا».

ومما يدخل في هذا الباب حديثه عن بعض التحولات النفسية عند الإنسان، مثال حديث عن كيف تحول الحب العماء وحسنات من علاقة بالخال بالقلب، وعلاقة العقل بالقلب والنفس.

٣- المنطق وعلم الكلام:

من خلال القضايا التي أثارها وناقشها، والأبنية التي تسببها، والتفريعات التي خلفها يستجيب أن ابن مفلح له نظرة للحلقة ودها أهل علم المنطق وعلم الكلام. وقد أبان عن قدرة كبيرة على فهم آراء المنكرين والساطقة ومراهم، وأظهر كفاءة عالية من دمجها وربطها وتفسير مداهم («وجهاتهم» ومن ثم هذا الذي ما ورد أثناء حديثه عن سبب أصالة الموضوع بالقدم) قال: «في حقة القدم» (١) إلا أن مذهب الحاشية فإنهم يقولون بعدم الألفاظ، أي ألفاظ القرآن، وهو قول مرغوب عنه، مردود عند العلماء كافة... وليس القدم من الصفات الوجودية على مذهب أكثر أهل علم الكلام. وقد اتهم مداهم (٢) والقدم في اصطلاح المنكرين ما ليس يستجيب ثم ساء (٣).

قال عن النبوة عند شرح بيت: «تبارك الله ما وحى بمكتسب ولا شيء على قلب محتهم» (٤) ومن قول أهل البيع والشراء: «هذا كذا بخلاف ما علم أهل الحق» (٥) بل النبوة عند أهل الحق كرامة من الله، وما تقدم من عالم المصطفى استمر على مغايرة الغلاصة التي لا تثبت في هذا المعنى حاشية: «إذ قالوا: «العلمة ترجع بمسائلها عند وجوه شروطها، والتعبر من المواقف، وجمعوا أن ما في رة غير شروط، والخال بعض» (٦) فلو لم يوافق

(١) الشرح: (543).

ومعنا الذي ذهبوا إليه فيه إبطال قاعدة الاقتتار إلى الفاعل، وهذا زلل^(١).

وعن دور العقل في الأحكام قال: «... ولا مدخل للعقل في هذا عندنا...»^١ ويصدر ابن مغلاش في كل هذه المناقشات والردود مذهب أهل السنة، مستدلاً على مذهبهم بما تيسر له من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وغالباً ما يستعمل عبارة: وقد أجمع أهل السنة، وعند أهل السنة، ونطقت الآيات والأخبار الصحيحة بهذا.

هذا وقد ترددت أثناء الشرح مجموعة من المصطلحات التي تنتمي إلى هذا الوادي، نمثل لها بـ: السبب المسبب، والتأخر، والتناقض، والجهة والقسمة، والجوهر، والعرض، والشرط والمانع، والعلة. ويتجلى توسلاً بالأقيسة المنطقية أكثر في كثير تقسيماته وتفرعاته، يفتتحها بعبارة: الة ثلاثية، والمالة على ثلاثة أوجه، والناس ثلاثة أقسام.

4 - الطب والفلك :

قال عند شرح لفظة (الوخم): «والوخم فساد الأهوية حتى يخلق الله في
جسمك موتاً من العروق، ويكون الوباء بكثرة بعد الحسد والفساد من
الأجسام، فتخرج لهم غدد يموتون بعد خروجها، ويكون من تعفن الدماء،
فإن الله عز وجل ما يرسم الأطباء»⁽³⁾، وقال في شرح لفظ (التفاهم) في قوله
«فإن لا الأطباء» (الأسف إلى ذلك حدث في الحية وكان الشفاء
بذلك) «إن الطعام يثوي شهوة النهم» قال «لأن الحية إذا أصيبت بالسمعة
تأكل الحمار فتلد بغيره إلى الدجاج، وتضعف من العيون، فيكف في
الرأس سنة، وفي العين نعاس، وفي القلب نوم»⁽⁴⁾.

(١) الشرح: (468).

(2) الشرح: (687).

(3) الشرح : (123).

وأما الفلك فنلتزمه في عدة فصول عقدتها للحديث عن مسألة كروية
الارض. ثم رأيت أن أقول القليل من الكلام على ما يتعلق بالشمس
وحرارتها، وعن القمر وعلاقته بالأرض والشمس. هذا دون أن ننسى ما يتطلبه
هذا الفن من معرفة بعلم الحساب والرياضيات والهندسة.

المطلب السادس

المضامين التاريخية

نالت السيرة النبوية من شرح ابن مقلash حظاً وافراً، حيث نجد احتفاءً بحديث النبي الشريف، وبسبب لسانه وأخبراته وأحواله، وبسبب صحبه المعاني والأحداث المظفرة في الدنيا، ملاصقة بحديثه من الزمان، وبالحجرات والوفائع والأحداث التي ركبها السيرة الشريفة، وبالصالحات والخصائص والفضائل. وعند كل إشارة يعقد فصلاً، أو يخصص بحثاً مستعملاً عبارة: سرد أثر، فصل في كذا، ونذكر خبر كذا، وفي السيرة النبوية كذا. هكذا تحدث ابن مقلash عن ملايسات المولد النبوي الشريف، وعن مختلف الأحداث التي سبقته وواكبته، سواء عند العرب أو الفرس، أو عند الإنس والجان. فنجد حديثاً عن نشأته عليه السلام، وعن أحواله من خلوة للعبادة، وعن عظمته، وما به فضل من باقي الأنبياء، وما به أثر المعجزة. ثم حديث عن أحداث النبوة وأهلها، وبخاصة أحوال بدءاً من نزول الوحي، مروراً بالهجرة والمصراع، وما تبع ذلك من هجرة وجهاء وقروا، حتى هجرة بني حنيفة مركزاً، وأسلوب شيق. لم يتشدد ابن مقلash في الأخبار التي أوردها، بل اتقى إطلاقه إلى أصحها المأثور بها، أو الحثيث بها. مقتناً بحديث صحيح، ومقتناً للوفائع والصدائق الثابتة في الكتاب والسنة النبوية، ومتقناً من الشؤون المعروفة المشهورة، فغير ما يورثه بعد إحد عوفاً للاستنباط. أو يورده على سبيل الإطلاع وقصود المعرفة. وصاد على ذلك تصديرها بعبارة: روي، ذكره، ورد، اختلف العلماء في كذا، وفي السيرة كذا.

المبحث الثاني

قضايا الشاهد والمصدر

المطلب الأول

شواهد الشرح

أشبع ابن مقلاش المسائل والمواضيع والقضايا التي تطلق إليها، أو
عند إلى بسطها ومناقشتها في شرحه بعدد هائل من الأمثلة والشواهد والنقول.
والشواهد من الشعر والشعرية والشعر العتيق والمحدث والمحدث
وآرائهم.

1 - الشواهد الشعرية:

تحظى الأشعار بالحظ الأوفر بالقياس إلى باقي الشواهد الأخرى، حيث
يصل عدد الأشعار التي استشهد بها حوالي تسع مائة بيت شعري، تمثل في:
أبيات مفردة، ومقطعات مختارة متنخلة، وأنصاف أبيات، وأرجاز. وتنسب
لشعراء من العصر الجاهلي والإسلامي والأندلسي والعثماني والحديثة والحديثة والحديثة
والعصر والحديثة والحديثة (أي الحديثة) والتي عرسي بالحديثة والحديثة
والأندلسي. ولم يترك الشاعر منهم إلا من العصر الجاهلي. وأما الشعر الحديث
والعصر الحديث (أي الحديث) وهو قصيدته، كما استشهد شعره بعدد
من الشعراء لم يقدّر لهم على دراستهم، وأشعارهم معرفة في كتب اللغة
والأدب، نورد الأبيات دون نسبة للشاعر. أما شعر العتيق والأندلسي
فقد احتلهم بهر حاتم منهم ابن حنبلين وابن حنبلين وابن حنبلين وابن حنبلين
الزقاق وابن سهل.

هكذا نجد عند ابن مقلاش حرصاً على تنويع شواهد الشعرية؛ إذ لم
يقصرها على عصر دون عصر، ولا على نمط من الشعر دون نمط، ولا على

لشرح الظروف في الأثر. يعتمد الشاعر في لفظ التعريف على قائلها لعدة أسباب، منها: إن أغلبها يورده مغفلاً من اسم القائل بعبارة: قال الشاعر، أو الأثر في حقيقتهم. أشد على الأصحاب. ويخطئ الآخر يورده ويذكر خطأ من الاسم مما يوجب أن صعوبة في التعرف والتعريف على المقصد. مثال: قال الفخر، قال ربعة، قال أيمن. وبعضها الآخر ورد منسوباً إلى شاعر ما ولا يوجد البيت في ديوانه. ونورد في الجدول الآتي صورة عن حجم حضور الشاهد الشعري في شرح ابن قتلاش، وعن مواطن الاستشهاد.

عدد الشواهد									مواطن الاستشهاد	
البيت	المشهد	الأثر	سواب	في سواب	في سواب	في سواب	في سواب	في سواب	في سواب	في سواب
440	30	30	345	561	345	345	345	345	345	345

أما عن كيفية تعامل ابن قتلاش مع شواهد الشعرية فنسجل الملاحظات

الآتية:

أ - يذكر الظروف والملابسات المتعلقة ببعض الأشعار التي يوردها، وذلك بذكر البيت، إضافة إلى باقي المقام والظروف التي ذكرها في سوابه. مساعدة على فهم الأشعار وتذوق معانيها.

ب - نسب بعض الأشعار سهواً لغير قائلها، مثل بيت: (السيف أصدق أنباء من الكتب) الذي نسب إليه الطيب الحنفي وهو لأبي تمام الغساني. (السيف أصدق أنباء من الكتب) في بيت: (السيف أصدق أنباء من الكتب) ذلك في مكانه.

ت - يهتم باختلاف روايات بعض الأبيات الشواهد، ودور كل رواية في أداء المعنى المراد من البيت معتمداً على مؤيدات من اللغة أو النحو. وقد يورد البيت في رواية أخرى في البيت في رواية أخرى في البيت في رواية أخرى للمجتون.

ث - لا يكتفي بذكر البيت الشاهد، بل يتعداه إلى ذكر ما سبقه أو ما يليه من أبيات، أو أكثر من شواهد لا يمكن الاستغناء عن المعنى المراد منها على وجه التحديد، وتفسيره التفسير الصحيح إلا بمعرفة سياقه.

ج - لا يعرف بالشعراء ولا يترجم لهم باستثناء بعض الإشارات المتفرقة حول بعضهم، ولا يتجاوز عددهم الثلاثة.

١ - الشواهد النثرية:

١ - الآيات والأحاديث والتفسير:

تضمن شرح ابن متلاش نصوصاً كثيرة من آي القرآن الكريم وبعض القراءات والحديث النبوي الشريف، استشهد بها في مناسبات مختلفة ومواضع متعددة، معتمداً في النصوص القرآنية على رواية ورش عن نافع، وقد بلغ من الآيات التي استشهد بها حوالي: 330 آية، أخطأ سهواً في نسبة بعض الآيات إلى السورة التي تنتمي إليها، وخلط فيما بين بعضها الآخر، لكونها إما المتشابهة أو مما ورد في أكثر من سورة. وفي آيات أخرى سقط أو زيادة ناتجة عن السهو. وقد حاولنا تصويب ذلك اعتماداً على المصحف الشريف. ونادراً ما تصادفه وهو مترسل في الشرح بعض الآيات فيعمد إلى تبين معانيها وتوجيهها على القراءات القرآنية.

أما الأحاديث النبوية الشريفة فقد استمد أغلبها من الكتب المعتمدة في الحديث الشريف، ولم يذكر في الشرح إلا ما رواه أصحاب الصحيحين (مسند أحمد وصحيح مسلم وسنن الترمذي). كان غالباً ما يروي الحديث أو بعضاً منه باللفظ أو بالمعنى بدون إسناد، مرفوعاً مباشرة إلى الرسول ﷺ. وقد يكرره برواية أخرى مشيراً إلى سنده. وأغلب الأحاديث التي استشهد بها صحيحة أو حسنة. ونادراً ما يورد الأحاديث الضعيفة. وقد يسوقها دون أن ينبه على ضعفها، لكن علقاً بما رواه ذلك الحديث في غيره من مواضع الأجزاء التي فيها يصفى الحديث أو يشرحها، فيسقط الضعف بالضرورة على الحديث. أما النثر فكانت تتوجه بسنده إلى الطبري وابن عسكروني والمعالي.

ب - السيرة والأخبار والآثار:

أما في حقل الأخبار والآثار فكانت تتوجه إلى ابن عسكروني وابن عسكروني وابن عسكروني، ولا يكثر منها إلا ما يورد في بعض المواضع من الشرح.

فمن السيرة النبوية وكنته الشمالي والمغالي والخصائص والبراهين
 والذلال. والسياسة الغالبة على هذه النصوص هي أنه يوردها دون الاختراع
 أو بطلانها. ولا إلى صحتها. ولا يتصلب بتخصيصها أو قتلها. وقد قدما
 على ذلك التأء حيثما عن المتأخرين التاريخية. وعالية ما يوردها حاشية،
 بخلاف من الإستاذ، ملحقاً بها بعض التصوف إما زيادة أو اختصاراً أو
 زيادة. وأثير الحصار مروية عن الكلبي وابن إسحاق وابن هشام والقرني
 وأبي نعيم والواقدي.

ت - اللغة والنحو والبلاغة:

استشهد ابن مقلش بجملة من النصوص في اللغة والنحو والبلاغة
 وأما في المعاني والسمائل والخصائص والقصائد المتداولة من حيث
 من المصادر المبررة أولاً ومقتبساً عاماً ثانياً مسألة أو قضية من متعدد
 من المصادر. أكثر لقوله في اللغة عن أبي منصور النعماني وأعطيه وأما من
 أبي الحسن. وأما في النحو وابن الفوطي. ويقول في اللغة عن سيرة والكلبي
 والأشعث وأبي علي الفارسي وابن سليل وابن عبد البر الأندلسي وأبي
 الحسن القرشي وابن السيد المظفرسي. وأكثر هؤلاء أندلسيون. ويحدث
 سيرة الطوسي المصري في ترويه على الصور المدرسة المتداولة من أمثال
 الأندلسي وأبي عبيدة وأبي عمر بن الفداء وأبي زيد والنحاس وابن سليل
 وابن حنبل. وأكثر لقوله في البلاغة عن ابن رجب الشيرازي والنحاس
 وعبد القاهر الجرجاني.

ث - الكلام والمنطق والتصوف:

وأما لقوله في الكلام والمنطق فمن فخر الدين الرازي وابن العربي
 وابن رشد وأبي حامد الغزالي وأبي المعالي الجويني. وفي التصوف يتفق من
 الحديث المحاسبي والسهروردي والغزالي وأبو الريس وأبو عبد الله

ج - الفقه والأصول:

عن ابن مقلش حديثه وتناشيه لعدد من المسائل الفقهية والأصولية
 فغرس استعمالها من اللغة المالكي ومروياته مع إمام أصحاب الأخرى

خاصة الحنفية والشافعية. فقد استشهد بآراء الإمام مالك في قضية
 الشيب وفي السجود، وكذا آراء العتبي وابن رشد. واستدعى في المسألة
 الأصلية (١٥) من النصوص والفتاوى التي لا يمكن التمسك بها في
 القرافي.

هكذا نجد شرح ابن مقلash يحفل بمجموعة من الشواهد والنصوص
 الأصلية والأجنبية التي لا بد لها من أن تكون حجة على من
 أن تغطي مادة على مادة. وقد تتوالى النصوص وتطول دون أن تحس بتضييق
 أو شطط. وقد تقصر وتقل دون أن تحس بضجر أو قلق. كل ذلك في
 غفوية تامة، متصيدا كل ما له علاقة بالنص. لكنه في بعض استطراداته
 يسبب ويكثر من الشواهد، وهي إن كانت مفيدة في بابها فإنها إلى حد ما
 تخرج بالقارئ عن موضوعه الأصلي، وتجعله في علاقة غير مستمرة
 مع الشرح.

المطلب الثاني

مصادر الشرح

لم يحدد ابن مقلash في مقدمة شرحه طبيعة المصادر المتنوعة للمادة
 التي استعملها في شرحه. وقد ألفنا الشرح من مجموعة منها.
 بعضها من كتب، وبعضها التي بالإنجاز المطبوع، وبعضها الآخر على
 شكل أسئلة من رثته أو تسجيلا على التوفيق أن ما يقوله هو من تأليفه
 وصنعه. غير أن هذا لا ينقص من قدره ولا من قيمته العلمية، لأن سكوت
 هذا هو الخطأ، أو رقة في التوفيق. وهذا هو المطلوب أمانة في مواجهة النص
 انطلاقا من المنهجية، والتسهيل لعرف هذه المصادر يوردها في الجدول
 التالي.

1 - المصادر اللغوية والأدبية:

العدد	المصدر	الملاحظات
1 -	الأساسي	-
2 -	الأساسي	-
3 -	الأساسي	-
4 -	الأساسي	-
5 -	الأساسي	-
6 -	الأساسي	-
7 -	الأساسي	-
8 -	الأساسي	-
9 -	الأساسي	-
10 -	الأساسي	-
11 -	الأساسي	-
12 -	الأساسي	-
13 -	الأساسي	-
14 -	الأساسي	-
15 -	الأساسي	-
16 -	الأساسي	-
17 -	الأساسي	-
18 -	الأساسي	-
19 -	الأساسي	-
20 -	الأساسي	-
21 -	الأساسي	-
22 -	الأساسي	-
23 -	الأساسي	-
24 -	الأساسي	-
25 -	الأساسي	-
26 -	الأساسي	-
27 -	الأساسي	-
28 -	الأساسي	-
29 -	الأساسي	-
30 -	الأساسي	-
31 -	الأساسي	-
32 -	الأساسي	-
33 -	الأساسي	-
34 -	الأساسي	-
35 -	الأساسي	-
36 -	الأساسي	-
37 -	الأساسي	-
38 -	الأساسي	-
39 -	الأساسي	-
40 -	الأساسي	-
41 -	الأساسي	-
42 -	الأساسي	-
43 -	الأساسي	-
44 -	الأساسي	-
45 -	الأساسي	-
46 -	الأساسي	-
47 -	الأساسي	-
48 -	الأساسي	-
49 -	الأساسي	-
50 -	الأساسي	-
51 -	الأساسي	-
52 -	الأساسي	-
53 -	الأساسي	-
54 -	الأساسي	-
55 -	الأساسي	-
56 -	الأساسي	-
57 -	الأساسي	-
58 -	الأساسي	-
59 -	الأساسي	-
60 -	الأساسي	-
61 -	الأساسي	-
62 -	الأساسي	-
63 -	الأساسي	-
64 -	الأساسي	-
65 -	الأساسي	-
66 -	الأساسي	-
67 -	الأساسي	-
68 -	الأساسي	-
69 -	الأساسي	-
70 -	الأساسي	-
71 -	الأساسي	-
72 -	الأساسي	-
73 -	الأساسي	-
74 -	الأساسي	-
75 -	الأساسي	-
76 -	الأساسي	-
77 -	الأساسي	-
78 -	الأساسي	-
79 -	الأساسي	-
80 -	الأساسي	-
81 -	الأساسي	-
82 -	الأساسي	-
83 -	الأساسي	-
84 -	الأساسي	-
85 -	الأساسي	-
86 -	الأساسي	-
87 -	الأساسي	-
88 -	الأساسي	-
89 -	الأساسي	-
90 -	الأساسي	-
91 -	الأساسي	-
92 -	الأساسي	-
93 -	الأساسي	-
94 -	الأساسي	-
95 -	الأساسي	-
96 -	الأساسي	-
97 -	الأساسي	-
98 -	الأساسي	-
99 -	الأساسي	-
100 -	الأساسي	-

2 - المصادر النحوية:

الكتاب	المؤلف	عدد النسخ
الأجود	-	1
ابن جني	-	1
ابن خالويه	-	1
ابن السراج	-	1
ابن السيد	-	2
ابن مالك	-	1
ابن هشام	-	1
أبو الحسين القرشي	-	1
أبو زيد الأنصاري	-	1
أبو علي النحوي	-	1
أبو عمرو	-	1
أبو علي	-	1

3 - المصادر البلاغية

الكتاب	المؤلف	عدد النسخ
أبو ذؤيب	-	1
أبو عمرو	-	1
أبو جهم	-	1
أبو علي	-	1
أبو علي	-	1

4 - المصادر الشرعية :

العلم	استخدام	عدد المذاهب
1 - القرآن	- الكتاب والمصنف	1 -
2 - السنة	- الصحيح - الموطأ -	2 -
3 - الرأي	- إجماع الفقهاء	3 -
4 - القياس	- الجامع في القياس	4 -
5 - استحسان	- الجامع في القياس	5 -
6 - اجتهاد	- الزماني	6 -
7 - تقليد	- صحيح البخاري	7 -
8 - إجماع	8 -
9 - اجتهاد	- من الزماني	9 -
10 - اجتهاد	- الشافعي واليهود	10 -
11 - اجتهاد	- الشافعي واليهود	11 -
12 - اجتهاد	- اجتهاد المصادر	12 -
13 - اجتهاد	- جامع أحكام القرآن	13 -
14 - اجتهاد	- العتبة	14 -
15 - اجتهاد	- العمدة في الحديث	15 -
16 - اجتهاد	- المحصول	16 -
17 - اجتهاد	- الدلائل في الحديث	17 -
18 - اجتهاد	- شرح التفسير	18 -
19 - اجتهاد	- شعب الإيمان	19 -
20 - اجتهاد	- المعلم عمدة مسلم	20 -
21 - اجتهاد	- الترمذي	21 -
22 - اجتهاد	- صحيح مسلم	22 -

عدد النقول	المصادر	المعلم
2	كتاب الأعراس	م. محمد السيد الشاذلي
1	القصص الكعبة	
1	...	م. محمد السيد الشاذلي
1	المعانيق	م. محمد السيد الشاذلي

الفصل الرابع

العمل في التحقيق

المبحث الأول: وصف المخطوط.

المطلب الأول: الوصف الخارجي.

المطلب الثاني: الوصف الداخلي:

1 - طبيعة النسخة.

2 - حالة النسخة.

3 - توثيق النسخة.

4 - خط النسخة.

5 - هوامش النسخة.

المبحث الثاني: منهج التحقيق.

المطلب الأول: كتابة المتن وتهميشه.

المطلب الثاني: الشكل والشرح.

المطلب الثالث: التعريف والترجمة.

المطلب الرابع: التخريج والتوثيق.

المطلب الخامس: الفهارس.

المطلب السادس: نماذج من المخطوط.

المبحث الأول

وصف المخطوط

المطلب الأول

الوصف الخارجي

لقد اعتمدنا في إخراج نص مخطوطة شرح البردة البوصيرية للمفسر عبد الرحمن بن محمد ابن مقلّاش على نسخة واحدة يتيمة، من نفائس أحباب الرقة الناصرية، من مخطوطات دار الكتب، بالطريق (وهي نسخة المفسر ناصر الدرعي، ثم نقلت إلى الخزانة العامة بالرباط، وتوجد ضمن قسم الأوقاف تحت رقم (345)، وتوجد منها نسخة مصورة على الميكرو فيلم تحت رقم (444) بنفس الخزانة.

ونسخة المخطوط عبارة عن مجلد ضخيم، رثة متقادمة، مسفرة على طريقة العتبات، مكتوبة على أوراق من الجوز الغليظ (عن المصنف المسمى: مقاس (29/31)، عدد أوراقه (160) ورقة (203 صفحة)، ضمت كل صفحة ما بين (21 و 31) سطراً، وف يكل سطر ما بين (15 و 20) كلمة.

المطلب الثاني

الوصف الداخلي

1 - طبيعة النسخة:

النسخة التي هي الأصلية لشرح البردة البوصيرية، هي نسخة من نسخة بخط يد المفسر المصنف، كتبت أثناء عمله في خلافة والده الشافعي على الطريقة السريانية عند المفسرين القدماء، يقول في آخر ورقة من النسخة: «هذه النسخة سطفت بالخط وشارحتها عبد الرحمن بن محمد بن يوسف حروف بال...

استلزم عظم الله له (الأبوية)⁽¹⁾ فهي نسخة يدوية بحروف بحالية من تاريخ
القصيدة من مخطوطة وهي عبارة عن أحد الشروح الثلاثة التي ألفتها ابن
سلاط على قصيدة البردة، الشرح الأول هو الشرح الكبير من ثلاث
مجلدات، وهم الأند محجوب في هذا المفقود. أما أنه في المجلد شرح
الصغير: «وكنيت وضعت عليها شرحاً وافياً... مشتمل على كلام كثير من لغة
البردة ولفظها حتى وصل إلى ثلاثة مجلدات»⁽²⁾ والشرح الثاني هو الشرح
الصغير من ثلاثة مجلدات «أولها سألني بعض العلماء أن أشرح شرح
نبيهم... أن أشق له حروف القصيدة المباركة»⁽³⁾. وقد ذهبت به عادات
العلماء ولم يبق منه إلا الورقة الأولى، وهي أن تكتب عليها التمهيد
من المؤلفات التي نقلت. والشرح الثالث هو «الشرح المتوسط» الذي في
المجلد وضعت على هذه القصيدة مدونة مختصة بحسب الخط
والإكثار، واختزلت القول في كتاب مختصر ظريف، وأردت هنا في هذا
المجلد أن أقصر على ما يحتاج فيه إلى من باب الشرح⁽⁴⁾ يستعمل في
الشرح وضع أولاً الشرح الكبير، ثم اختصاراً لوضع الشرح الصغير، ثم
وضع بعد ذلك «الشرح المتوسط» وهو الذي بين أيدينا.

2 - توثيق النسخة:

لم تسعفنا كتب الفهارس والبرامج والأبواب بشيء يفيد نسبة هذا الشرح
إلى سلاط، ولا أي شيء يفيد أنه ابن سلاط، فمما لا شك فيه أن
هذه النسخة المخطوطة التي عرفت إلى هي عبارة الأستاذ محمد بن الأحمدي
البيضاوي في الغرب الإسلامي. وهي رسالة دكتوراه تولى كتابتها الأستاذ
محمد بن الأحمدي وإدارة الأوقاف. والحصل أن نسبة هذا الشرح لابن سلاط

(1) الشرح: (801).

(2) الشرح الصغير: (1).

(3) الشرح الصغير: (1).

(4) الشرح: (5).

أ - جرد عام للشروح الموجودة ومقابلتها بالنسخة التي بين أيدينا. وتبين لنا الفرق بينها جميعاً، وتؤكدنا أنها ليست لشخص آخر، وأنها ليست نسخة شرح من الشروح الموجودة.

ب - الورقة المتبقية من «الشرح الصغير» الموجود بالخزانة الوطنية بالجزائر، والتي تثبت أن ابن مقلّاش له شروح على البودة.

ت - التوقيع الوارد في مقدمة «الشرح المتوسط» وهو توقيع جاز عادة القدماء، ويدل دلالة واضحة على نسبة النسخة لصاحبها ابن مقلّاش وأنها بخط يده، وأنها ليست من نسخة عن أصل معين. هذا بالإضافة إلى تردد أثناء الشرح من إشارات تفتل في نفس الجبل.

ث - دراسة الأستاذ سعيد بن الأحروش التي عرضت له ضمن الشروح الجزائرية وأثناء الحديث عن الشروح المتدرجة.

ج - عرض النسخة على مجموعة من السادة المتخصصين في الأدب المغربي. ومتمرسين بميدان تحقيق النصوص.

غير أن مجمل السمات التي تحملها هذه النسخة، وكذا الأخطاء الكثيرة التي تسربت إلينا لا تذهب بنا بعيداً إلى حد الشك في أصالتها.

3 - حالة النسخة:

نسخة الشرح المتوسط لابن مقلّاش نسخة تامة، بلغ عدد الأبيات المصححة 1784 بيتاً، استوفيت 224 صفحة بها ختم عمومي يحمل التوقيع أو الشرح طرز أربعة أسطر من الورقة الأخيرة. وبها خمس بطاير ثلاثة أسطر بـ 1184 بيتاً. وثمنا طبعت بعض الكلمات بحرف الهوامش بفعل التلويح ليعرف القارئ كيف جعل مراجعها معلومة من بعض الأبيات. كذلك تجد أخطاء كثيرة، وبخط متكرر أحياناً للتعريف. وأحياناً للكلمات. أما «بسم الله الرحمن الرحيم» وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً» فقد بقيت كما هي في الأصل، وشرح بحكمته أحمد.

4 - خط النسخة:

كتبت هذه النسخة بخط مغربي قديم، متوسط الجودة، بقلم غليظ، واسع غير دقيق، صعب القراءة، وقد أنفقنا في قراءته حظاً من الوقت ليس تكسبنا، بخلاف الإحرفة والزيادة، واستعمل في نسخها لغة أشد نارة وباهت تارة أخرى. كتبت رؤوس مسائلها بخط أسود مميز، يهمل رسم الحروف على الألف. يحيط بألف الجوامع المسندة إسقاطاً، إلى ما يصعد من الكلمة مرة مبدوءة بحرف مبدوء، النسخة نحو الحروف المشكوك، باستثناء الحروف المشكوك، والحروف المشكوك، إلى شكل بعض الكلمات إلى ما يقتضيه أو بالوزن. خالية من علامات الترقيم، باستثناء علامة ثلاث نقط يوضعها عند نهاية الكلام تحريماً إليها الخطاء كجاء إشارة بحرف (الأربع إلى آخره) في المتن، والتوجه إلى المؤلف فلا يخلط بغيره، كما كانت حرفة وغير شاملة لكل الجوانب.

5 - هوامش النسخة:

تحتوي هذه المبيعة على عدة هوامش يمكن الجزم أنها من نفس خط المصنف، كتبت تحت كلمات بعضها بقول المصنف والمطلوب. وهي مضافة من طرف المصنف أو لتوضيح ما في المتن، أو لتصحيح ما في المتن أو وقع سهم أو بخط الحاشيات لتدارك ما في المتن المؤلف. في آخر أغلب هذه الإحافات ملامح من أسف، كما تحتوي هذه المبيعة على رؤوس أسف كل قطعة من رؤوس أسفها، ويحيط برأسها لا يتطابق. لكن هذا الترتيب كان بعض الحاشيات فيما بين الورقة (222) إلى الورقة (227)، وقد أحدث ترتيباً آخر، وهو ما يتطابق السياق. يبدو أن هذا الحاشيات في (الرفاه) من حيث هو، وفي أثناء جمع المؤلف لأوراق المبيعة.

الصفحة الثاني

خطوات التحقيق

نعل هذا الشرح من أهم الشروح الموضوعة على قصيدة البردة، والذي
هو من أهم الكتب التي تدرج في كتب اللغة، وهو من أهم الكتب التي تدرج في كتب اللغة،
وتتناكل أطرافه، وتنمحي حروفه، وتنظم عباراته، وتتمر به الأيدي والهم
عازفة معرضة، أو متواني غير مبالية. وأملنا في الله تعالى أن نوفق في المسعى،
وأن نحسن الصنع. ولقد جعلنا نصب أعيننا ونحن نخوض غمار هذا البحث
جملة من القواعد الهامة المعمول بها في ميدان التحقيق، وطائفة هامة من
التوجيهات القيمة من طرف أستاذنا المشرف الدكتور أحمد العراقي حفظه الله.
وحاولنا جهد المستطاع الالتزام بها، حرصاً على إخراج هذا العمل على
الوجه الذي أراده له مؤلفه، والذي اعتقدنا أنه هو الأصوب. ونجمل
الخطوات التي اتبعناها في ما يأتي:

المطلب الأول

كتابة المتن وتهميشه

كتبنا المتن المحقق في أعلى الصفحة فاصلين بخط بينه وبين الهامش،
وكتبنا كل صفحة هوامشاً. وتعدّياً لإتقان النص بكثرة الهامش، حرصاً
على عدم تشييع حجم المقارنات بكثرة الأخطاء والنقص من المتن والهامش،
كما باعدها واحدة يجمع فيها بين الترجمة والتعليق والتأويل والآراء
التي حاولنا أن نحافظ ما أمكن على صورة النص في وضعه أصلياً، ولم
نستطع في بعض النسخ، أو النسخ، أو التصحيح إلا أن يفسر المتأخر

التي لا يفسر المخطوطة أو المظهر العام في شيء، قليل أو كثير، أو في الحالات التي لا يمكن لحاورها بحال من الأحوال إلا بالفتن القرائية وبعض الحالات الإعرابية والإملائية.

من الإضافات أيضاً إلى أصل هذه النسخة أنك احتوت في بعضها على ما هو مستحسن في ذلك على وحدة الموضوع، أو الفكرة، أو الرواية، أو النص، أو الترجمة السليمة، أو المادة المستوحدة، واجتمعت في فهم أبحاث هذه المخطوطة، وجعلت شرح كل باب وحدة مسئلة، ووضعت القلماً وعلاجه على ما تيسر من الشجيرة على بداية صفحات المخطوط، وحاولت أن أسير بعلامة: [] ما نجده من أوهام وأخطاء أو تحريفات أو تصحيقات أو طمس أو خرم أو بياض أو سقط. فما ظنناه وقع من المؤلف بسبب السهو أو الوهم بسبب على صورة كما هو في الأصل، ونكتفي بالتحسين والأشارة إلى الترجمة التي جدها أنه الأولى أو الأصوب أو الأحسن أو الأسبغ في المعنى، وإذا كان له تحريف أو تصحيف أو غير ذلك من الأخطاء السخوية والإملائية نشأ عنها، في نوضحه من الأصل. الشرح في الهامش إلى صورة التي كان عليها في الأصل.

المطلب الثاني

الشكل والشرح

شكلنا المتن كاملاً، وقد كلفنا هذا الأمر عناء، وزج بنا في متاهات من الإضافات إلى المسائل الحرة، والاحتمالات الإعرابية استهلكت غير قليل من الوقت، واعتدنا في عملية الضبط على المعاجم والكتب اللغة والنحو والصرف، وشرحنا ما احتاج إلى شرح، سواء كان من السرد، أو قوله، أو في شراعه. وقد ساعدت هذه العملية على تبين (الشفة) بعض التحريفات والتصحيقات والأخطاء والروايات.

المطلب الثالث

التعريف والترجمة

عينا مواقع البلدان والأماكن الواردة في المتن، وأحلنا على مظانها في
الكتاب المذكور، وإتبعنا علم التصنيف في هذا الكتاب المذكور، وإتبعنا
في التنزيل خصوصاً المصنفين، وفي المتن المذكور، في المتن المذكور، في المتن
المذكور، في المتن المذكور، في المتن المذكور، في المتن المذكور، في المتن
الترجمة على ذكر الاسم والنسب وما اشتهر به العلم المترجم له، وسنة وفاته
إن تيسرت، ثم نذيل الترجمة بمظانها.

المصادر والمراجع

التخريج والتوثيق

[illegible]

المطلب الخامس

الفهارس

ثم صعدنا لهذا العمل مجموعة من كهول من نعيان القابول الكرم على
مطبخه، ونسجل له سبيل الاستفادة من مادته وهي كالآتي: فهرست الآيات
في التبة، وفهرست الأحاديث النبوية وفهرست الأشغال، وفهرست الأعاجيب.

وفهرست الألف والأحمر، وفهرست الألفاظ وفهرست الصفات الألفاظ،
وفهرست الأرقام، وفهرست التلخيص، وفهرست المصطلحات الألفاظ،
وفهرست أبيات الدولة، وفهرست مصادر الشعر، وفهرست الخرافات والتعريف
وفهرست المصادر والمراجع.

هذا والله الحمد بعض ما تيسر أن نقدمه للقارئ الكريم بين يدي هذا
النص، والله الموفق والهادي إلى الصواب.

المطلب السادس

نماذج من المخطوط

الخاتمة

ختم الله لنا ولجميع المسلمين والمسلمات بالحسنى وزيادة، بعد هذه الرحلة المظروطة التي عشتها مع هذا العمل يمكن تلمس إنجازات هذا الأطروحة ونتائجها في النقاط الآتية:

حاولت التقديم لهذا العمل بعرض وصفي مركز لأهم الأحداث والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعلمية التي شهدتها مصر الشيخ عبد الرحمن بن مقلاش، حرصاً على وضع القارئ في السبيل التاريخي لبعض من جهة، ورغبة في تلمس مظاهر التأثير والتأثر بالنسبة للمؤلف من جهة أخرى. وقد وجدنا أن السمة الغالبة على العصر هي الفلافل والنزول والانقلابات، وأن ابن مقلاش شخصية كان لها - رغم ذلك - حضور قوي، تكن التاريخ طواه وتناشأ، كما طوي وتوسى الكثير من تراث أمنا.

ولذلك فمقالة هذه الشخصية المغمورة حاولت جهد الإنسان أن أصنع له ترجمة وافية تليق بسكانته ونوفاً حقه، لكن شبح التراجم والفهارس عن أن تردني بالمادة الضرورية لهذا العرض اضطرت إلى أن استثمر أكثر من محاولة أو إشارة وردت في المخطوطة الشرح، وأن اعتمد عليها في محاولة الأولى من أجل رسم صورة تقريبية لحياته الشخصية الشيخ عبد الرحمن بن مقلاش، فاستطعت وفي الحسنة لحد الآن أن أتعرف على اسمه ونسبه، ونشأته، ورحلاته ومستوى ثقافته، ووسطه العلمي الذي عاش فيه، وأبرز أوجه نشاطه العلمي ومساهمته الفكرية. كما استطعت أن أشر على بعض مصنفاته أو أعماله العلمية والأدبية التي هي اليوم كلها محجوبة، ولم يبق منا إلا نص مخطوطة الشرح المتوسط على البردة الذي بين أيدينا.

وللتعريف بالشرح المتوسط على البردة لابن مقلاش وقفت وقفة قصيرة

مع حركة شروح البردة في عصره، فاستعرضت الشروح المعاصرة له في كل من الميزان والأندلس وبينت الموجود منها والمحجوب، وبرزت بين أنوعها وتبايناتها في التصنيف والتأليف. ثم ركزت الحديث على شرح الشيخ عبد الرحمن بن مقلash قصد إبراز مكانته بينها وخلصت في نهاية هذا الفصل إلى بيان قيمة التاريخية والعلمية التي جعلت منه عملاً علمياً يستحق العناية والتقدير.

والإبراز هذه المكانة وهذه القيمة عقدت فصلاً خاصاً للحديث عن اتجاه الشيخ عبد الرحمن بن مقلash في صناعة شرحه على البردة، وقد تطلب الحديث عن ذلك مباحث ومطالب عديدة، واستدعى الأمر جهداً ذهنياً - نظرياً - لكبر حجم المخطوط - في الاستقراء والإحصاء والوصف والتصنيف، والترتيب والتبويب للعديد من المسطبات والمعلومات والمواقف والآراء والأفكار.

وقد حاولت على ضوء ذلك أن أقدم تصوراً عاماً عن البناء الكمي والبناء العلمي للشرح، ثم استعرضت جطة من المراحل والمخططات والتقنيات التي استطاعها الشيخ عبد الرحمن بن مقلash في البناء العلمي والكمي لهذا الشرح، ثم حاولت أن أصور اتجاهه الغالب من خلال القضايا المتنوعة التي شتم بها الشرح إن على مستوى السهامين المتنوعة وإن على مستوى الشاهد المعضد أو المصدر المعتمد.

أما على مستوى النتائج التي توصلت إليها في هذه الأطروحة فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- هذه الأطروحة أخرجت إلى الوجود عملاً علمياً نادراً، لم تتناول له الأعلام بالدراسة والتحليل اللازم من قبل، وهي المؤلف الوحيد المتبقي من مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن مقلash، وأول أثر علمي له يخرج للوجود.

- هذا العمل هو المصدر الوحيد من مصادر ترجمة ابن مقلash، فقد وضع لجنة أولى للبحث في عطاء وإنتاج الشيخ عبد الرحمن بن مقلash، بتسليم خيراً للاستمرار يسكن لجهود أخرى تتبعها وملاحقتها عسى أن توفي هذا الرجل حقه.

- هذا العمل بطيء وصحيح لأن التفكير الذي أحاطه بسلسلة من الأدلة
العلمية والحقائق على علماء يهود طويلاً، أسهم حاد في هذه العملية التي تتحدث
ويعت وجذان الأمة وروحانياتها وفي قيام حركة علمية هامة.

- هذا العمل نموذج جديد يثري موضوع حركة الشروح ودورها في حركة
السلف عمدة. ولم يكتف بحسب ما تقدمنا به في حركة التأليف على وجه
الخصوص.

- هذا العمل يصور لنا إلى حد كبير أغلب الاهتمامات العلمية والمعرفية
التي كانت تميزها سلسلة العرف الإسلامي عظمواً بالعلماء
والأندلس خلال عصر ابن مقلّاش.

- هذه الأطروحة كشفت النقاب عن أثر علمي لابن مقلّاش - الدر
الوهرانية في شرح البرهانية - غير معروف عند الناس، ولا متداول بين
المهتمين، ولا مفهرس ضمن المصادر المعتمدة في ذلك.

- حقاً لقد جاب بنا ابن مقلّاش في شرحه آفاقاً واسعة وعوالم متنوعة من
المعرفة، وأعطى القارئ كتاباً القصيدة من فاضل واستمر
ومعقد، واستطاع أن يجعله متيسراً قريب المأخذ سهل المسلك.

- وخلاصة الكلام أنني قد استمتعت كثيراً بصحبته خلال هذه المدة رغم
الوقت الذي لم يصبه طويلاً، وكنت أحتسب من القيد بالأمر أن أكون
نفسى وقد انتهيت من دراسته ويحين وقت الفراق.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه

وحزبه إلى يوم الدين

أمين

ملحق الدراسة

حضرة الأخ محمد موزاق

سرمي أن أتلقى رسالتك فأعرف منها أن أخي الأستاذ الدكتور محمد
الذناي . حفظه الله . هو الذي أشار عليك بالكتابة إلي ملتصقا مني المساعدة على الحصول
على مرجع ينضمّن ترجمة صاحب شرح قصيدة « البردة » . عبد الرحمان بن محمد
المدعو « ابن معلش » كما كتبتك أنت حسب ما هو وارد في المرجع الذي هو بين
يديك . فخيرًا فعلت إذ كان طلبك هذا سببا لي في زيارتي المكتبة الوطنية الجزائرية وتجديد
عهدي مع وجوه من وجوها عزيزة إلى قلبي .

لقد تمثّل مسعائي في البحث في السجل العام لمخزون الكتب المطبوعة في
موضوع قصيدة البردة و شروحها و عن « ابن معلش » فلم أعثر على شيء . هذا من جهة .
و من جهة أخرى رجعت إلى الفهرس العام لمخطوطات مكتبتنا فعثرت في السطور الأربعة
الأولى من صفحته 97 تقديدا للورقة الأولى فحسب من مختصر وضعه عبد الرحمان ابن محمد
المدعو ابن معلش (مقلّش) معاً لشرحه الكبير للبردة الذي ورد أن قوامه كان
ثلاثة أجزاء .

هذا و طلبت نسخة مصورة من وجه الورقة الباقية من المخطوط المعقود
وظهرها حيث يقرأ إسم « ابن مقلّش » بكل سهولة ووضوح و ذلك بنية موافاتك بها طي هذه
الرسالة مع صورة صدر فهرس فانيان و صورة من صفحته 97 . أضف إلى ذلك أنني لم أقصر
على المكتبة الوطنية بل طلبت نفس الطلب من مكتبة جامعية الجزائر و لكن مع الأسف بلا
نتيجة لإفتقادها لما يساعد على معرفة ابن مقلّش .

و مع هذا أعدك بثني ساستعين بنوي الخبرة من معارفي أملا مني في
العثور على معلومات عن صاحبنا ابن مقلّش . و لا يبقى لي الآن إلى أن أدعوك الله بالعون
والتوفيق و برركت طالبا لا يخشى الصعاب و عليك و على أهلك مني أطيب السلام و إليك
أصدق التمنيات بمناسبة عيد الفطر المبارك .

أخويا

محمد بن محمد الزرهوني

Bibliographies et Catalogues
- 10 -

CATALOGUE GENERAL DES MANUSCRITS

de la Bibliothèque Nationale d'Algérie
(Première tranche : du n°1 - au n° 1987)

PAR E. FAGNAN

2^e édition

BIBLIOTHEQUE NATIONALE D'ALGERIE
1, avenue Frantz Fanon - Alger
1995

الفهرس العام للمخطوطات بالخزانة الوطنية بالجزائر

11^e Fol. 116 r. شرح البردة

Premier feuillet du commentaire sur une Ode de la poésie sacrée par 'Abd el-Rahmân b. Mo'ammal dî Ibn Malîh, de son grand commentaire en trois volumes.

Inc. : قال... مالى بعين المتشوقين الى سماع مدح

12^e Fol. 117-119. *Uqû' Ahlîl*, par 'Abd el-Hakî. Shams
[b. 'Abd Mo'ammal 'Alî el-Hakîm b. 'Alî. A.H. 1166, c. 1167/68]

13^e Fol. 120. المورث لشكل المثلث

Petit commentaire du مثل de Kôtrob.

14^e Fol. 122-125. شرح البارع في شرح الدرر الزوامع
والبارع في شرح الدرر الزوامع

Commentaire sur le premier poème sacré par l'auteur
l'auteur est ici nommé : ... el-Farazî Aboû 'l-Hasan 'Alî b. Aboû
'Abd 'Alîh Mo'ammal b. 'Abd el-Hakî el-Hakîm el-Hakî el-Hakî
Hakî (r. 1166). Un autre feuillet manque au commencement. L'auteur
du commentaire est Omayy Cherichi (voir n° 390, 4^e).

15^e Fol. 196-331. كتاب البيان في شرح مورد الظمان

Commentaire du *Mu'rid ez-zamîd*, écrit en 744 par Mo'ham-
mad b. 'Abd 'Alîh b. 'Abd el-Hakî el-Hakî el-Hakî el-Hakî
(r. 1166). Un autre feuillet manque au commencement. L'auteur
du commentaire est Omayy Cherichi (voir n° 390, 4^e).

Inc. : الحمد لله الذى هدانا لهذا ونحن كنا

Les 111. 241^e feuillet du commentaire sur le premier poème sacré par l'auteur
probablement du XII^e siècle; 23 à 25 lignes à la page. Les art. 12^e et
13^e sont d'une même et bonne main maghrébine, de 1167, à 33 lignes.
331 feuillets, plus les feuillets A-C. 217 sur 153 millim. Rel. ind.

390 (583. — R. 87). Recueil :

1^e Fol. 1-133. فتح المنان المروى في مورد الظمان

فهرس المحتويات الدراسة

صفحة	المحتوى
5	* الإهداء
7	* شكر
9	* تقديم
13	* المقدمة
25	الفصل الأول: عصر ابن مقلّاش وترجمته
27	تمهيد
29	المبحث الأول: عصر ابن مقلّاش
29	المطلب الأول: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بتلمسان
32	المطلب الثاني: الأوضاع العلمية بتلمسان
33	المطلب الثالث: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالجزائر ...
37	المطلب الرابع: الأوضاع العلمية بالجزائر
40	المبحث الثاني: ترجمة ابن مقلّاش
40	المطلب الأول: اسمه ونسبه
41	المطلب الثاني: نشأته
42	المطلب الثالث: رحلته
44	المطلب الرابع: ثقافته
50	المطلب الخامس: علاقته بملوك عصره
51	المطلب السادس: شيوخه وتلاميذه
52	المطلب السابع: مؤلفاته
57	الفصل الثاني: شرح ابن مقلّاش
58	المبحث الأول: حركة شروح البردة في الجزائر والأندلس
58	المطلب الأول: حركة شروح البردة في عصر ابن مقلّاش
62	المطلب الثاني: مكانة شرح ابن مقلّاش بين الشروح
64	المطلب الثالث: قيمة شرح ابن مقلّاش التاريخية والعلمية

108	المبحث الثاني: منهج ابن مقلّاش في شرحه
109	المطلب الأول: تأطير الشرح
110	المطلب الثاني: المنهج العام للشرح
111	المطلب الثالث: البناء العام للشرح
112	الفصل الثالث: قضايا شرح ابن مقلّاش
113	المبحث الأول: قضايا المضمون
114	المطلب الأول: المضامين اللغوية
115	المطلب الثاني: المضامين النحوية
116	المطلب الثالث: المضامين البلاغية
117	المطلب الرابع: المضامين النقدية
118	المطلب الخامس: المضامين المعرفية
119	المطلب السادس: المضامين التاريخية
120	المبحث الثاني: حدود النقد والشرح
121	المطلب الأول: شواهد الشرح
122	المطلب الثاني: مصادر الشرح
123	الفصل الرابع: العمل في التحقيق
124	المبحث الأول: وصف المخطوط
125	المطلب الأول: الوصف الخارجي
126	المطلب الثاني: الوصف الداخلي
127	المبحث الثاني: خطوات التحقيق
128	المطلب الأول: كتابة المتن وتهميته
129	المطلب الثاني: الشكل والشرح
130	المطلب الثالث: التعريف والترجمة
131	المطلب الرابع: التخريج والتوثيق
132	المطلب الخامس: الفهارس
133	المطلب السادس: الفهارس
134	* الخاتمة
135	* ملحق الدراسة
136	* فهرس المحتويات

شرح
البردة النونية
الشرح المتوسط

تصنيف
الشيخ عبد الرحمن بن محمد
المعروف بابن مقلاش الوهماني

الطبعة الأولى
الطبعة الأولى
الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[illegible]

- (1) في الأصل: «بيده»، ولعل الأنسب: «بيديه».
- (2) مقطع قصيدة البردة، وعجزه: «مزجت دمعا جرى من مقلة بدم»، الديوان 190.
- (3) الصاحب: هو بهاء الدين بن حنا، وزير الملك بهريس. ينظر: فوات الوفيات: 3/ 368، مقدمة الديوان: 27.
- (4) الشملة كساء دون القطنية يشتمل به. ل/شمل.

وَأَمَّا بَحْرُهَا مِنْ بُحُورِ الشُّعْرِ فَالْبَسِيطُ، وَقَدْ بَيَّنْتُ فِي «الشَّرْحِ الْكَبِيرِ»^(١)
 تَسَنُّدَهُ، وَأَعَارِضَهُ. وَأَمَّا الْحَمْدُ الْمَلَأَتْ النَّصِيبَ لِلدَّاءِ الْقَصِيدَةِ لِأَنَّ أَشْرَفَ
 حَمْدِ الشُّعْرِ. وَأَمَّا حَدُّ النَّظْمِ: فَهُوَ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ الَّذِي قُصِدَ وَزْنُهُ، عَارِضٌ
 بِشَيْءٍ مَعْلُومٍ. وَالشُّعْرُ النَّظْمُ الْغَرِيبُ (١٩) أَوْ الْمَعْلُومُ الْبَيْنُ وَالْمَعْلُومُ وَزْنًا وَمَعْنًى
 وَشَيْعًا. عَلَى وَزْنٍ حَلِيفَةٍ بِشَيْءٍ يَتَّبِعُ النَّظْمَ وَالشُّعْرَ لَكِنَّ النَّظْمَ أَصْلٌ مِنَ الشُّعْرِ،
 فَكُلُّ شَيْءٍ نَظْمٌ. وَالشُّعْرُ كُلُّ نَظْمٍ مُشْتَرَفٍ. وَقَدْ سَمِعْتُ الْكَلَامَ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ
 الشُّعْرِ فِي السَّامَةِ فِي «الْكَبِيرِ» سَطْرًا كَثِيرًا، الْحَصْرُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ يَكُونُ إِلَّا فِي
 شُكْرٍ بِمِثْلِكَ وَلِنَشْرَحِ الْآنَ فِي شَرْحِ الْقَصِيدَةِ، قَأْوُلُ:

(١) كتاب «الشرح الكبير»: هو الشرح الكبير لابن مقلاش على قصيدة البردة. وهو شرح
 قصيدة: لَمْ أَعُدْ لَمْ أَعُدْ خَبْرًا، وَقَدْ تَعَلَّوْا الْإِشْبَادَ إِلَيْهِ، الْإِحَالَةَ مِنْهُ فِي بَيَانِ
 الشُّعْرِ.

لَمْ تَحْظَرْ جِيرَانٍ بَعْدِي ضَمَمَ مَرَّحَتْ مَعْلَمًا جَرِيرًا مِنْ عَقَابِ سَمِ (١)
 فَخَرَجَ نَحْوَ سِتْرٍ قَدْ لَمَّهِ بَحْبُوحَةٌ لَأَسْلَفُهُمْ، بِسَدِّهِ، تَحْتَلُّ
 سَلْبٌ حَبِيبٌ، الْإِسْتِمَارُ كَيْفَ فِي دَلَامِهِا قَدْ لَمْ يَحْمَرْ لَعْنَتُهُمْ (٢)
 يَا عَجَبًا لِمَفْزِهِ الْقَلْبِيَّةِ أَيُذْهِبَنَّ الثُّوبَاءُ الرُّيْقَةُ (٣)
 سَقَرَتْ الْخُرُوفُ مِنْ قَلَامِهِ وَاللَّامُ الْفَاعِلُ حُلَّتْ مِنْ رَاحِ الطُّفْعِ - النَّهْ مِنْ
 تَذَكُّرِ الْجِيرَانِ.

وَيَحْتَمِلُ الْكَلَامُ مَعْنَى آخَرَ: أَنْ يَكُونَ مِنْ (تَجَاهُلِ الْعَارِفِ) (٣)، وَحَقًّا
 أَنَّ لَهَا حُرُوفًا مُطَوَّلًا بِسَبْعِ مَرَّحَاتٍ قَدْ لَمَّهِ بَحْبُوحَةٌ حَبِيبَةٌ
 قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

أَيَا طَبِئَةَ الرَّغَسَاءِ بَيْنَ حُلَاجِلِ وَبَيْنَ النَّقَاءِ، أَنْتِ أَمْ أَمْ سَالِمٌ؟ (٤)
 وَالْمَلِكُ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ لَا يَتَوَلَّى إِلَّا بِالْبَيْتِ الْبَيْتِ

(١) مطلع قصيدة البردة، الديوان: 190.

(٢) البيت لابن قنَّان الراجز في: إصلاح المنطق: 353، الكامل: 96/1، جمهرة اللغة: 486-487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

(٣) تجاهل العارف: أسلوب بلاغي رفيع، بحثه في: نهاية الأرب: 154/7، الإيضاح: 450، معاهد التنقيص: 198/2.

(٤) البيت لذي الرمة غيلان في: الديوان: 767/2، «أيا... جلاجل». وفيه رواية «أيا» و«هيا» و«حلاجل». ينظر: المقتضب: 163/1، الأمالي: 58/2، البديع: 93، الصناعتين: 397، العمدة: 650/1 - 670، كفاية الطالب: 173، ل/حلل.

«الْقَائِلُ» «تَعْلَمُ» بِأَنَّ حَقَّ بَدْعِهِ «تَعْلَمُ» لَا أَنْ تَعْلَمَ بِمَعْنَى
تَعْلَمُ بِأَنَّ تَعْلَمُ لَا تَعْلَمُ لَا تَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمُ
أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّكْثِيرَ؟ ذَلِكَ كُلُّهُ مُحْتَمَلٌ.

وَالَّذِي سَلِمَ^(٢): وَادٍ مِنْ بَيْنَ مَكَّةَ^(٣). وَقِيلَ: جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ
الْمَدِينَةِ^(٤).

- (1) البيت لابن نباتة السعدي وهو في: ديوانه: 146، خزائن ابن حجة: 280/1 برواية: «ما أدري × من الشمس». المعاهد: 169/3.
- (2) ذو سلم: واد يتحدر على الذنائب في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة. والسلم في الأصل: شجر يسمى ورقه القروط، يذبح به الجلد. ينظر: معجم ما استعجم: 1233/4، معجم البلدان: 240/3.
- (3) مكة: هي أم القرى شرفها الله، ويقال لها: بكة والحاطمة والباشة. ينظر: معجم ما استعجم: 269/1، معجم البلدان: 181/5.
- (4) المدينة المنورة ويقال لها: يثرب وطابة وطيبة والعذراء وجابرة والمحبوبة والمحببة والقاصصة. ينظر: معجم البلدان: 430/5، الروض: 529.

[illegible]

قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبِي وَمَنْزِلِ⁽³⁾

وَكَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ: (مَتَّارٍ)

نُظَاوِلُ نَيْلِكَ بِالْأَمَدِ وَنَامَ الْحَلِيئُ وَلَمْ تَرْقُدِ (٤)

قال : (متقارب)

- (1) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين: 3/1. «فتت». وفيه روايات. «قال». «وسملت». «وسلمت». «وأكحلت» و«قالعين كان جفونها». ينظر: المفضليات: 421. الجماهرة: 684/2، حلية المحاضرة: 22/2، السمط: 8/1 - 9 - 99، الحمامة البصرية: 28/2. ل/حذق.
- (2) الكلام عن العين في: خلق الإنسان لثابت: 106 - 107.
- (3) مطلع المعلقة في الديوان: 8. وعجزه: «بقط اللوى بين الدخول فحومل».
- (4) قال النعني في المقاصد النحوية: 30/2 - 33: «... قاله هو امرؤ القيس بن عانس الصحابي، ويقال: قاله هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، ينظر: الديوان: 185، وهذا هو الثابت في كتاب أشعار الشعراء الستة: 129/2، وليس بصحيح، والصحيح أن قاله هو امرؤ القيس بن عانس الصحابي، نص عليه ابن دريد في الجماهرة: 2/55 وغيره، وكثير من المحصلين ييتمون في هذا الموضع لقلة معرفتهم بأخبار الناس...». والرواية الكثري فيه: «الملك» وفيه رواية: «الملك».

يَقْضِي فِي الْمُنَاسَبَةِ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ الْجِيَارِ [مَعْرُوفًا] (١).

فَتَعَلَّمَهُ بِنَعْتِ الْجَبْرَانِ أُولَى، وَأَرْقُ غَزَلًا، وَأَدَقُ عَمَلًا.

[illegible]

مَنْ بِالْحِمَى نَزَلُوا أَمْ بِاللَّوَى عَذَلُوا⁽³⁾

[illegible]

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الظَّلَلُ الْبَائِي (5)

(١) في الأصل: «معروف»، وحقه النصب لأنه خير «يكون».

(2) لحق مظلوم يسار الورقة: 4 من الأصل.

(3) الحمى واللوى: موضعان. ينظر: معجم البلدان: 24/5.

(4) الغلة: العطش الشديد. ل/ غل.

(5) ديوان امرئ القيس: 38، وعجزه: «أهل يعمن من كان في العصر الخالد».

فَجَاءَ يُرِيي الأَطْلَالَ وَقَالَ: (طويل)

فَقَا تَبْلِكَ مِنْ ذُكْرِي حَبِيبِي وَمَنْزِلِ⁽¹⁾

وَقَانَ الآخرُ: (بسيط)

يَا دَارَ مَيْتَةٍ بِالعَلِيَاءِ قَالِشْنَدِ⁽²⁾

بَحْرُ العَلِيَاءِ عِلَالِي فِي السَّهَابِ، كَثْرَةُ الْعَرَبِ فِي السَّهَابِ

نَابِرَةً. وَلَيْسَ بِهَا أَيْسُ كَمَا [5] // أَشَدَّ لِإِشْعَالِ تَارِ شَوْقِي.

و(جَزَى): فِي مَوْضِعِ الضَّفَةِ لِلدَّمْعِ.

الطَّيَالُ: لِسَانُ الْعَرَبِ يَدْعُوهُ بِمَا تَوَلَّى الْوُجُوهَ فِي حَالِ الْخَمْرِ

لَمْ يَكُنْ الْأَمْسَاقُ فِي لَيْلِي تَهْدِي الْإِبْرَةَ عَنِ الْفَقْرِ إِلَى كَيْدِ التَّوْحِيدِ.

وَلَمْ يَكُنْ لَيْلِي تَهْدِي الْوَجْهَ الْخَضِي إِلَى لَيْلِي عَيْنِي الْمَلْعُومِ. وَهَذَا لَمَّا فِي

عَيْنِي تَهْدِي وَهْدَ الْفَقْرِ لَيْلِي. وَهْدَ فِي الْفَقْرِ مِنْ الْفَقْرِ. وَهْدَ مَا لَمْ يَكُنْ

قَدْ الْفَقْرُ فِي الْفَقْرِ. وَالْفَقْرُ فِي الْفَقْرِ. وَالْفَقْرُ فِي الْفَقْرِ. وَالْفَقْرُ فِي الْفَقْرِ.

لَمْ يَكُنْ لَيْلِي تَهْدِي الْوَجْهَ الْخَضِي إِلَى لَيْلِي عَيْنِي الْمَلْعُومِ. وَهَذَا لَمَّا فِي

عَيْنِي تَهْدِي وَهْدَ الْفَقْرِ لَيْلِي. وَهْدَ فِي الْفَقْرِ مِنْ الْفَقْرِ. وَهْدَ مَا لَمْ يَكُنْ

(جَزَى) عَلِمَ أَنَّ كَثْرَةَ جَرَيَانِهَا أَوْجَبَ قَرَاغَ الشُّؤُونِ مِنْهَا.

وَلَمْ يَكُنْ لَيْلِي تَهْدِي الْوَجْهَ الْخَضِي إِلَى لَيْلِي عَيْنِي الْمَلْعُومِ. وَهَذَا لَمَّا فِي

عَيْنِي تَهْدِي وَهْدَ الْفَقْرِ لَيْلِي. وَهْدَ فِي الْفَقْرِ مِنْ الْفَقْرِ. وَهْدَ مَا لَمْ يَكُنْ

(1) الديوان: 8.

(2) البيت للنايفة الذيباني في ديوانه: 76، مطلع قصيدة يمدح بها النعمان. وفيه رواية: 'بالعلياء' و'الأبد'. ينظر: الأغاني: 292/6، العمدة: 1085/2، أمالي ابن الشجري: 419/1، 305/2، همع الهوامع: 276/1، الخزانة: 5/4 و125. العلياء: مكان مرتفع. والسند: ارتفاع الجبل. أقوت: أفقرت.

(3) الشأن: مجرى الدمع إلى العين، والجمع أشؤون، وشؤون. ل/شأن.

فَقُلْتُ: خَضَبَتِ الْكَفَّ بَعْدِي أَهْكَذَا
فَقَالَتْ: وَأَذْكُتُ فِي الْحَشَا لَأَعِجَ الْجَوَى
.....

وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ: (طويل)

وَحَرَمَ نَوْمِي وَالْحَجِيجُ عَلَى مَنَى
رَمَى وَهُوَ يَسْعَى بِالْجَمَارِ وَإِنَّمَا
وَلَسْنَا تَفَرَّقْنَا بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
بَكَيْتُ عَلَى وَادِ الْأَرَاكِ وَمَانِهِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْقَزُلُ بِمُجَرَّدِ الْبُكَاءِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (مقارب)

وَلَسْنَا وَقَفْنَا عَلَى زَمْرَمٍ
[6]// بَكَيْتُ فَقَالَتْ: عَلَى مَا الْبُكَاءُ؟

.....

.....
.....
.....

.....

رَمَى غُرَّةَ الْقَلْبِ الْمُعَذِّبِ إِذْ رَمَى
وَأَنْجَدْتُ لَا أَرْجُو لِقَاءَ وَانْتَهَمَا
بَعَيْنٍ، فَصَارَ الْوَادُ مِنْ عَبْرَتِي ذِمًّا⁽²⁾

.....

فَقُلْتُ: الرَّدَادَ أَخَافُ انْتِفَاضَهُ

.....

= في المغرب والأندلس: 455، شرح البيدة للأييري: 13، الغنم: قبل: دم الأخوين،
وقيل: هو الأيدع، وقيل: هو صبيغ الداربرنيان، وقال محارب: هو شجر أحمر،
وقال أبو عمرو: هو البثم. ل/عندم.

(1) الأبيات لابن عاصم الرصاص في الوافي بالوفيات: 13301، وبدون نسبة في: شرح
البيدة للأييري: 17.

(2) وادي الأراك: واد قرب مكة يتصل بغيفة. والأراك في الأصل: شجر معروف يستظل
تحتة. ينظر: معجم ما استعجم: 134/3.

(3) الأبيات غير منسوبة في: لمح السحر: 56، السحر والشعر: 73، أنوار التجلي: 1/
216، نهاية الأرب: 267/2 برواية:

ونحن نريد.....

فقللت على الود أخشى انتفاضة

تشمرد ديلك قبل المخاضة

والبيت الثاني والثالث في: شرح لامية المعجم: 450/2 برواية:

فقللت: الوصال أخاف انتفاضه

يشمرد للدليل قبل المخاضة

بكيت فقالت: أراك بكيت

فقلت فديتك من عاشق

وَمِنْ الْمُبَالَغَةِ بِذِكْرِ الدَّمِ قَوْلُ الْآخِرِ: (طويل)

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلوَدَاعِ عَشِيَّةً وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نَظْرَةٌ تُتَنَعَّمُ

عَلَيْكَ حَتَّى تَمُوتَ لَمَعَتْ بَادِيَةٌ وَقَدْ بَعَثَ بِهَا الدَّمُ أَتَمَّ

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَمْرُوجًا لَا أَنَّهُ حِزَفٌ دَمٌ.

وَمِمَّا أَشَدَّ بَعْضُ الْفَضْلَاءِ: (كامل)

مَا كُنْتُ أَتْلُكَ غَيْرَ نَفْسٍ حُرَّةٍ رُهِنَتْ، وَأَخْسِبُ أَنْ رَهْنِي مُغْلَقٌ

أَنَا مَعْبُودُ الْبَاقُوتِ جَسْمِي أَضْفَرُ وَمَدَامِيعِي حُمْرٌ وَقَلْبِي أَزْرَقُ

عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ: (إمام) السُّدُودُ مَاتَ لَا يَخُوضُ

فِيهَا مِنْ سِرِّ قَلْبِهِ شَيْءٌ عَنِ الْقَائِمِ لِلشَّيْءِ دَمٌ لَا يَشْفِي لَهَا

مَدَامِيعُهُ بِسُجْرَدٍ سَيَّلَانٍ دَفْعِيًا.

وَمِنْ الْمُبَالَغَةِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ دَمِ قَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

خَطَلْتُ عَلَى سَلَمٍ قَفَاضَتْ مَدَامِيعِي فَلَا تَقُودُنِي أَمَّا يَوْمًا تَكُونُ مَلِكًا⁽¹⁾

عَبْدُكَ وَالْمَدِينَةُ أَحَبُّ بَيْتِي تَحْتَ أَلْفِ دَمٍ وَأَلْفِ نَفْسٍ مِنْ بَيْتِي

وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْمَجَازِ الْبَعِيدِ. وَأَمَّا الْمَجَازُ الْمُسْتَحِيلُ فَهُوَ

الشَّاعِرِ: (طويل)

(1) البيتان من قصيدة لأبي الحسن مهيार بن مرزويه الديلمي في عتاب الكافي الأول
وهما في: ديوانه: 344/3 برواية:

ولما جلا التوديع عما عهدته
وفيه رواية أخرى:

ولما دنا التوديع ممن أحبه وزاد إلا نظرة تتغنم
ينظر: البديع: 104، منهاج البلغاء: 57، جوهر الكنز: 272، نزهة الألبصا
329، روضة التعريف: 669/2، الخريدة: 411/4/1.

(2) البيتان بدون نسبة في: شرح البردة للألبيري: 15، المسلك السهل: 374.

(3) سلغ: موضع بقرب المدينة. ينظر: معجم البلدان: 136/3.

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840. 84

وَقَوْلُ الثَّابِعَةِ الْجَعْدِيِّ: (طويل)

فَلَمَّا جَاءَهُمْ لَيْلٌ مِنْ لَيْلِئِهِمْ هَمَّوْا بِهِمْ فَارْتَبَعَهُهُمُ اللَّهُ فَبَدَّلَ الْآيَةَ إِلَى الْفُلِ الْمَوْجِيءِ فِيهِ زَوْجَتُهُمْ وَبَنُوهُمْ وَكُلُّ مَالِهِمْ فَبَدَّلَ الْآيَةَ إِلَى نَارٍ تَنْشُرُ الدُّمُومَ فَفِيهَا زَوْجَتُكَ وَابْنُكَ

وَنُحَوِّلُ الْجِسْمَ فَقَالَ: (سريع)

أَحْلَيْي الْحُبَّ قُلُوْ رُجِّي فِي مَقَلِّ النَّائِمِ لَمْ يَنْبُدْ (6)

- (١) البيت للنايفة الجعدي في: ديوانه: 68 «مجدنا وجدودنا» وإنا لفرجوا». ينظر: الأغاني: 129/4، ح البصرية: 20/1 في: الحماسة المغربية: 575/1، الخزنة: 169/3، اللسان: 529/4 «مجدنا وسنازنا». الشعر والشعراء: 289/1، الجمهرة: 153/1 «مجداً وجدوداً وسودداً».

- (2) البيت في الديوان: 68 بالرواية السالفة. وفي: عيار الشعر: 45، «علونا السماء نجدة وتكرماً». وفي العمدة: 132/1: «عفة وتكرماً». وفي تفسير القرطبي: 142/5: «عزة ومهابة». وفي الخزانة: 169/3: «علونا على طر العباد تكرماً».

- الدلائل لأبي نعيم: 1/164، المعجم الكبير: 4/213، مجمع الزوائد: 8/121، البداية والنهاية: 6/168. وفي الحديث ألفاظ عدة.

- السنن الكبرى: 187/8، فبض القدير: 417/3، مسند الحارث: 844/2، المغني: 176/10، الشفا: 285/1، الإتحاف: 480/6.

- قيل: هو نصر بن أحمد الخابز أروزي كما في العمدة لابن رشيق. وقيل: الثمار الواسطي كما في السمط للبكري.

- البيتان في: ديوان المعاني: 272، والعمدة: 667/1 أدبت من الشوق فلو زج بي.¹
كفاية الطالب: 175 «في مقلة الومستان». محاضرات الأدباء: 91/3 «ودبت حتى
صرت لو زج بي»، «وقد كان لي قبل الهوى خاتم»، نهاية الأرب: 2/260،
واليوم: السمط: 182، والمعاهد: 39/3، وتزيين الأسواق: 2/489، وشرح
المقامات للشريشي: 103/1 برواية:

وَكَانَ لِي فِي مَا مَضَى خَاتَمٌ وَالْآنَ نَوُ شَيْئْتُ ثُمَّ نَطَقْتُ بِهِ

تجريد في قوله "ما مضى خاتم" أي خاتم الحزن، والله أعلم بما الخاتم
الذي كان له في حياته وهو شعره الذي كان يلبسه، لما كان ملك الخاتم حتى
مضى الملك فحزن.

وقوله "الآن نو شئت" أي

استشرت من حشري بطلان خاتمي فعلى من يرى ظهوره وكبر برانه⁽¹⁾
مكر لملك الأهل لا شيء له كبره والآن ملكهم لما لم ير من سلطان

وَقَدْ نَزَعَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ⁽²⁾ هَذِهِ النَّزْعَةَ حَيْثُ قَالَ: (طويل)

خَفِيتُ فَمَا يَذِرِي الْحِمَامُ مَكَانِي

وَأَمَّا قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ: (طويل)

بَكَرٌ يَفِرُّ مُقْبِلٌ مُذِيرٌ مَعَا كَجُلُودٍ صَخِرَ حَقْلُهُ الشَّيْلُ مِنْ غَلٍ⁽³⁾

شرح من السجلي خطا طرد في غلبه (أي غلبه الغلبة) أي (أي غلبه)
صحيح في القيس، وقد يحسن أن يقرأ في البيت الثاني: (الآن) بدل (الآن) الله
فِي زَمَنٍ وَاجِدٍ. وَمَكَذَا مَا قَالَهُ ابْنُ مَالِكٍ⁽⁴⁾ فِي رَجَزٍ حَيْثُ يَقُولُ: (رجز)

قد كان لي في ما مضى خاتم فرق جسمي قشمت طقت به

وزاد بي الشوق فلو زج بي في مقلة النائم لم ينتبه

(1) البيت الثاني من قصيدته "الغدير" في ديوانه، ص 116.

(2) 792/2 "تغليت" و"فلو تسأل الأحداث". محاضرات الأدباء: 269/1 "تغليت".

(3) البيت لابن سهل الإسرائيلي في: ديوانه: 124 وصدرة "وما عشت حتى الآن إلا
أنني"، شرح البردة للأليزي: 82، والحمام: قدر الموت وقضاؤه، ومنه قول
عبد الله بن رواحة: "هذا حمام الموت قد صليت". ل/حجم.

(4) الديوان: 19.

(4) هو محمد بن عبد الله بن مالك الطائي البجلي، أبو عبد الله، جمال الدين، إمام كبير
في علوم العربية، (ت 672هـ). ترجمته في: (غاية النهاية: 2/180، طبقات السبكي:

بِأَمَلَةٍ سَمَاءَ فَسَّرَ حَتَّى

وَنَحْوِ قَوْلِ الْآخِرِ: (مقارِب)

فَبَرَّذْتُ حَرَّ الْجَوَى بِالْجَوَابِ⁽²⁾

بِقَوْلِ الْفَاضِلِ: (مط)

الجدد في ذلك قامت له مثل وهو بالملء من العبد قسم

وَقَوْلِ الْآخِرِ: (سريع)

الجنة إلى بلبل من الجنة يا قلب ما أتيتك بهذا

والما لعقل منهم بلوفا في شدة حزنهم فمما تحسبهم تحب

لشدة الحزن (n) وقال له: الجمل عظمي وطمع الله بشدة بالجدد

حزني عظمي يا جد حزنه عظمي فلهذا شكيت بشدة في عظمي

فكر في الحزن: الله عظمي في الحزن وسمعت ذلك الطاهر حزن

فكلمني الحزن ففكر في الحزن ففكر في الحزن ففكر في الحزن

= النجوم الزاهرة: (238/10، الأعلام: 18/4).

(1) البيت في الديوان: 685 وتماه: ... جيرة العلم * وأقرأ السلام على عرب بد سلم. وهو من شواهد براعة المطلع في: نفحات الأزهار على نسمات الأسمافة مدح النبي المختار لعبد الغني النابلسي: 12.

(2) الجوى: الحرقنة وشدة الوجد من عشق أو من حزن، قال ابن سيده: الجوى: الهوى الباطن، ل/جوى.

(3) هو عبد الله بن يحيى بن علي التوزري الشقراطيسي، فقيه مالكي من الشعراء المجيدين، (ت466هـ). ترجمته في: (نهرسة ابن خير: 419، برنامج وادي أشي: 225 - 226. شجرة النور: 119، الأعلام: 144/4).

(4) البيت هو مطلع الشقراطيسية، اللامية المشهورة في مدح النبي. ينظر: شرح الشقراطيسية: 83/1، المجموعة النبهانية: 389/1.

(5) أملة: من الملل والضمجر والسأم والبرم، وأمل: من الأمل والرجاء، والتأمل: التثبت. ل/أمل/ملل.

(6) البيت لابن الرومي في ديوانه: 1419/4، كفاية الطالب: 100، البيهية: 43/1.

(البركة) (جوي من مقلد) من معاني الموشح، يقول: «وأي
 شجرة» (أحمد: 21) لا يبرح إلا الطير لا يطير إلا بعد جنة، ولا ي
 مغناه.

(البركة) (الإحصاء) وفيه جرح جليل فلهذا هو المشابهة (البركة)
 «وأي شجرة» (أحمد: 21) لا يبرح إلا الطير لا يطير إلا بعد جنة، ولا ي
 شجرة (أحمد: 21) لا يبرح إلا الطير لا يطير إلا بعد جنة، ولا ي
 به [ذمًا] (1) أو غيرَه؛ وَقَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ عَذِّ حُزْمٍ وَحَرَمَتْ
 فَلَيْسَ الَّذِي حَرَمْتِهِ بِمُحَلَّلِي وَلَيْسَ الَّذِي حَلَّلْتِهِ بِحَرَامِ
 فَيَنْهَمُ مَا فِي الشُّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الشُّطْرِ الثَّانِي.

«وأي شجرة» (أحمد: 21) لا يبرح إلا الطير لا يطير إلا بعد جنة، ولا ي
 شجرة (أحمد: 21) لا يبرح إلا الطير لا يطير إلا بعد جنة، ولا ي
 شجرة (أحمد: 21) لا يبرح إلا الطير لا يطير إلا بعد جنة، ولا ي
 ذَلِكَ الشُّعْرَاءُ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (وافر)

«وأي شجرة» (أحمد: 21) لا يبرح إلا الطير لا يطير إلا بعد جنة، ولا ي
 شجرة (أحمد: 21) لا يبرح إلا الطير لا يطير إلا بعد جنة، ولا ي

= الشنمري: 39/2، نزهة الأبصار: 347، ونسب لأبي الصغر القبيصي في ح/ابن
 الشجري: 785/2 برواية: «في غلائل». ولسيف الدولة بن حمدان في: غرائب
 التنبيهات: 47، نهاية الأرب: 94/1، خزنة الحموي: 221، والخوذ: المرأة
 الشابة. والغلائل: جمع غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب، ل/غلل.

(1) في الأصل: «دم»، وما أثبتناه أنسب.

(2) البيتان في ديوان البحري: 245، وينسبان لأكثر من شاعر: قيل: لأبي تمام، وقيل:
 لصفوان المقصري، ونسبهما التبريزي لأبي رياش، ينظر: سقط الزند: 1348/3،
 التلخيص: 355، المنزع البديع: 362، «سلامي». المصباح في المعاني: 119،
 البيان: 183، وفي النقد الأدبي في ق8هـ: 210 «أحلت دمي يوم الفراق».

(3) الأبيات لنصيب بن محجن وهي في: شعره: 111. ش/ح للمرزوقي: 1339/3 =

نَرَاهُ بَاكِياً فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةً فُرْقَةٍ أَوْ لَاسْتِيَا
فَيَبْكِي مَرَّةً شَوْقاً إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي مَرَّةً خَوْفَ الْفِرَا
فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ الثَّنَائِي وَتَبْرُدُ عَيْنُهُ عِنْدَ
وَوَصَفَ بَعْضُهُمُ الدَّمْعَ بِأَنَّهُ يُغْرَقُ الْبَاكِى، قَالَ الشَّاعِرُ: (طويل)

فَقَالَتْ: وَهَلْ تَلْقَى مَعَ الْوَصْلِ عِبْرَةً؟ فَقُلْتُ: أَلَسْنَا بَعْدَ ذَا نَسْفَرُ
وَمِنْ حُسْنٍ مَا تَغَزَلَ بِهِ بَعْضُ الْأَصْحَابِ فِي غَرْنَاطَةٍ⁽²⁾ وَكَانَ
بَيْتاً: (طويل)

سَكَبْتُ بِعَيْنِ الدَّمْعِ قَيْضَ مَدَامِعِي فَعَادَ بِدَمْعِي مَاؤَهَا مُسْرِعاً دَمَا⁽³⁾
وَكَانَ لِأَهْلِ الْمَرْجِ فِيهِ مَزَارِعٌ سَقَوْهَا بِهِ فَاسْتَرْسَلَ الزَّرْعُ

ذَلِكَ: (بسيط)

= أو ما في الخلق، زهر الآداب: 4/ 1105 أحلو المذاق، التذكرة: 308، أو
الدهر × حلو، ونسبت لأبي رياش في: ش/ح للتبريزي: 3/ 161، وفي الش
رواية: «كل وقت» في: التذكرة: 308، ش/ ديوان المتنبي: 3/ 49، وفي الش
رواية: «إن نأوا × وإن دنوا» في: الزهرة: 1/ 85، محاضرات الأدباء: 3/ 88،
الرابع رواية: «فتسخن × وتسخن»، محاضرات الأدباء: 3/ 88، ش/ ديوان
49/ 3، الشوق والفراق: 55، المسلك السهل: 93.

(1) البستان في شرح البردة للألبيري: 13، الكشكول: 2/ 238، أسبل: أرسل، وأ
وأرخی، وسبل المطر والدمع: هطل بغزارة، ل/ سبل.

(2) معنى غرناطة: رمانة بالأندلس، والصحيح أغرناطة، وهي أقدم مدن كورة البيرة،
أعمال الأندلس وأعظمها وأحصنها. معجم البلدان: 4/ 195. ينظر في أحوا
الذخيرة: 1/ 126، الإحاطة: 1/ 53، نفع الطيب: 1/ 97.

(3) عين الدمع: بقعة من الحقائق والجنات بجوار غرناطة، مشهورة بجمالها،
الكبراء والسادة، واسمها اليوم بالإسبانية: «دينار عين دمار»، ومكانها اليوم
دائرة «لا كارتوخا». ينظر هامش الإحاطة: 1/ 25 - 121.

لَمْ يَرَوْا فِيهَا نَبِيًّا وَهُمْ بِهِ مُتَمَدِّدُونَ
وَجَاءَنِي خَبْرٌ عَنْهُمْ فَأَخَذَنِي
حَيْلُ السَّيْلِ يَكْرَهُونَ حَيْثُ هُمْ
وَأَيُّهَا مَنْ فِي الْبَلَدِ الْمَدِينَةِ
وَأَيُّهَا مَنْ فِي الْبَلَدِ الْمَدِينَةِ
وَأَيُّهَا مَنْ فِي الْبَلَدِ الْمَدِينَةِ



(١) الأبيات في: المعاهد: 281/1 منسوبة للمطوعي لما استقبلته بهم غير النوى أصلاً، «جلت أنظم في وصف النوى دررا × والعين تنثر من عيني يواقيتا». شرح البردة للألبيري: 18، المسلك السهل: 173. وغراب البين: الذي يسقط في الديار إثر القوم الطاعنين يتشم.

١٠ قُبِيتَ الرِّيحُ مِنْ تَلَفٍّ عَاقِلَةٍ وَالْأَمْسُ الْقَرِيقُ لِي الْفَقْدَانِ مِنْ إِسْمِ ١١

شرح المقام في الجملتين. فهي بفتح الجيم، وهو الحركتان التاليتان
والتي هي التاليتان. والمضمر إلى وقع الألفين. قلب التيفع، والفتح
البرق، فكيف لذلك.

[illegible]

أَوْطَانِهِمْ، وَهُوَ نَيْبٌ ظَلِيْفٌ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ يَسْأَلُ الرِّيحَ: (طويل)

لَعَلَّكَ يَا رِيحَ الصَّبَا حُبْتُ حَاجِراً أَلَا خَبَّرْتَنِي عَنْ مَنَازِلِ حَبِيرَتِي⁽²⁾

وَقَالَ الْآخَرُ: (ملویل)

صَبَّتْ بِالضَّبَا كُنْبَادُهُ حِينَ هَبَّتْ يَمَانِيَّةٌ مِنْ صَوْبِ أَرْضِ الْأَحْيَةِ⁽³⁾

(1) الديوان: 190. وكاظمة: قال الأصمعي: تخرج من البصرة فتسير إلى كاظمة ثلاثاً وهي طريق مكة لمن أرادها من المنكدر، وماؤها شروب، وقد أكثر الشعراء ذكرها. معجم ما استعجم: 4/1109، معجم البلدان: 4/341. وإضم: قال ابن السكيت: إضم واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر. وقيل: هو جبل أذ وجبته. ينظر: معجم ما استعجم: 1/16، الروض المعطار: 45.

(2) الحاجر: من الحجر، وهو المنع. والحاجر: ما يمسك الماء. قال الأزهرى: «وإنما هذا قيل لهذا المنزل الذي في طريق مكة حاجر» ل/ حجر.

(3) صبت: تقول: صبت الريح تصبو صبواً وصباً، وصبت النخلة: مالت. وصبوب ناحية وجهة. ل/ صبت وصبوب.

وَقَالَ الْآخَرُ: (طويل)

شَرِبْتُ كُؤُوسَ الْحُبِّ وَهِيَ مَرِيرَةٌ وَذُقْتُ عَذَابَ الشُّوقِ وَهِيَ أَلِيمٌ⁽¹⁾
نَسِيتُ دَمْعِي أَنْ تَكُونُ حَمَامَةً وَمِيعَادَ شَوْقِي أَنْ تَكُونَ نَسِيمٌ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْضَحُ نَفْسَهُ كَمَا قَالَ: (كامل)

أَعْلِمْتُمْ أَنَّ النَّسِيمَ إِذَا سَرَى وَتَبَّتْ سِرّاً مَا بَرَحَتْ أَصْوَنُهُ
زَعَمَ الْغَدُولُ بِأَنْتَ فِي حُبِّكُمْ وَيَلُومُنِي فِيكُمْ وَلَسْتُ أَلُومُهُ
وَمِنْ السُّوَالِ: (مجزوء البسيط)

مَا فَعَلْتُ بَعْدَنَا الرُّسُومَ سَدَّكَ اللَّهُ يَا نَسِيمٌ
غَلَّلَ بِرُوحِ الْوِصَالِ صَبّاً كَمَا يَدْعُو بِحَسْبِ
وَأَشْرَحَ لَيْسَ حَالٌ مُسْتَهَامَ بِي سَيِّدِ الْوَيْلِ
وَقُلْ: غَرِيبٌ ثَوَى بِأَرْضِ

وَقَدْ تَكُونُ النَّسِيمُ فِي تَغْزِيلِهِمْ مُخَيَّرَةً عَنْ حُبِّ الْبَعِيدِ، وَقَدْ تَكُونُ تَمَامَةً تُبْلَغُ
نَيْصَ غَيْرِ الْأَخْبَابِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ تَقَنُّنٌ فِي النَّسِيمِ؛ كَمَا قَالَ:

وَأَقَى نَسِيمُ الدَّارِ مِنْ أَرْضِكُمْ يَا حَبِئْذَا وَاللَّهِ ذَا النَّسِيمِ
أَذْكُرُ فِي مَا لَمْ أَكُنْ نَاسِياً مِنْ حُسْنِ ذِيكَ

(1) البیتان للبهاء زهير في ديوانه: 318، شرح البردة للألبيري: 19، نفع الطيب: 1/ 27، نوح الحمامة: مجعها على شكل النوح. ل/نوح.

الآبيات للبهاء زهير في ديوانه: 118 «نقل الحديث إلى الرقيب»، «وإذاع سرّاً»، «جهل الغدول»، شرح البردة للألبيري: 19، قيلت في مدح الأمير مجد الدين محمد بن إسماعيل.

(3) الآبيات منسوبة لأبي عبد الله الألبيري وهي في شرحه على البردة: 20، قال: «ومن نظم في الغرض...»

تَذَرُ عِنْدِي أَنْكُمْ قُلْتُمْ: مَا هَكَذَا وَاللَّهِ فَعَلُ الْكَرِيمِ

لَا تَذَرُ عِنْدِي أَنْكُمْ قُلْتُمْ: مَا هَكَذَا وَاللَّهِ فَعَلُ الْكَرِيمِ

أَنْتِي مِنَ الْأَشْوَاقِ دُونَ نَرَوَةٍ لَكِنْ مِنَ الطَّبَعِ قَائِلِي عَدِيمِ

وَأَمَّا لِمَ بَدَأْتُ بِهَذَا فَمِنْ سَبَبٍ إِلَى سَبَبٍ مِنْ أَمْرٍ هَذَا

سَبَبُ السَّجَا إِلَى الْأَشْوَاقِ وَالْأَشْوَاقُ أَمَدَتْ قَلْبَهُ فَجَاءَتْهُ

يَسْأَلُ الْبُرُوقَ وَيُحَدِّثُهَا وَيُفِيهِمْ نَفْسَهُ مِنْهَا مَا يُفِيهِمْ.

وَاللَّهُ يَنْصَحُكُمْ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ هَذَا الْأَمْرُ سَلَامًا بِإِلَهِكُمْ

فَقَالَ: (طويل)

سَلُّوا الْبُرُوقَ مَضْفُوعًا الصَّبِيحَ بَمَانِيَا يُبْلَغُ مِنْ رَدِّ السَّلَامِ الْأَمَانِيَا

يُجِيعُهَا تُفِيدِي إِلَيَّ الْأَمَانِيَا وَيُرْجِعُهَا تُفِيدِي إِلَيَّ الْأَمَانِيَا

فَأَعْدَا بِمَنْهَلِ الْعَمَامِ الْأَمَانِيَا وَأَهْلُ يَسْعَدُ الْمُشْتَاقُ وَمَنْ بَاتَ سَالِيَا

وَلَوْلَا عَوَادِي الْحُبِّ مَا قُلْتُ مَا لِيَا وَلَوْلَا عَوَادِي الْحُبِّ مَا قُلْتُ مَا لِيَا

وَأَوْدَعْتُهُ يَوْمَ الْفِرَاقِ فُؤَادِيَا وَلَا كُنْتُ أَذْرِي أَنَّ لِلْقَلْبِ نَانِيَا

وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مِنَ الْقَلْبِ مِنْهُمَا وَمِمَّا عَزَلَ آخِرُ وَهُوَ كَالْمُخْبِرِ عَنْ غَيْرِهِ بِمَا وَقَعَ مِنْهُ جِئْتُ لَأَخْلُ لَهْ بِيَا

وَمِمَّا عَزَلَ آخِرُ وَهُوَ كَالْمُخْبِرِ عَنْ غَيْرِهِ بِمَا وَقَعَ مِنْهُ جِئْتُ لَأَخْلُ لَهْ بِيَا

وَمِمَّا عَزَلَ آخِرُ وَهُوَ كَالْمُخْبِرِ عَنْ غَيْرِهِ بِمَا وَقَعَ مِنْهُ جِئْتُ لَأَخْلُ لَهْ بِيَا

فَقَالَ: (منسرح)

لَأَخْلُ لَهْ بَارِقُ فَارِثُهُ فَبَاتَ يَرْعَى الثُّجُومَ مُكْتَئِبًا⁽¹⁾

فَكُلَّمَا حَاوَلَ الرُّقَادَ أَبَى فَبَاتَ يَرْعَى الثُّجُومَ مُكْتَئِبًا⁽¹⁾

وَقَالَ آخِرُ: (بيط)

(1) البيهقي في ديوان ابن المعتز: 315 دمعته، حتى إذا حاوله. ديوان الشعر العربي:

308/2، شرح البردة للأبي: 20، وبارق: موضع قريب من الكوفة. وبارق هنا

ضوء البرق.

عزير السرى من طلع فليلك له
 عزير: يا لا تطيب أعين عذابي
 به العذرا ليل الأخرى ولم يده¹
 وألهم طقت الألفاظ وحلف
 وَقَالَ آخِرُ: (بسيط)

عزير السرى من طلع فليلك له
 عزير: يا لا تطيب أعين عذابي
 به العذرا ليل الأخرى ولم يده¹
 وألهم طقت الألفاظ وحلف
 وَقَالَ الشاعِرُ: (وافر)

أَبْعَدَ الْأَرْبَعِينَ قَدْ تَكَ نَفْسِي
 فَلَا بَرْقُ أَحْمَلُهُ سَلاماً
 تُعَاطِينِي مُعْتَقَّةً شُمُولاً⁽²⁾
 وَلَا رِيحٌ فَأَضْرِفُهَا رَسُولاً

أَبْعَدَ الْأَرْبَعِينَ قَدْ تَكَ نَفْسِي
 فَلَا بَرْقُ أَحْمَلُهُ سَلاماً
 تُعَاطِينِي مُعْتَقَّةً شُمُولاً⁽²⁾
 وَلَا رِيحٌ فَأَضْرِفُهَا رَسُولاً

- (1) البيتان في: شرح البردة للأليري: 11
- (2) قال الأليري في شرحه على البردة: 20 ومن أبيات أخرى لبعض الفضلاء...
- (3) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، داهية سفاك، خطيب لمن، له أخبار مشيرة. (ت 95هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 1/ 128، مروج الذهب: 2/ 103 - 119)، تهذيب التهذيب: 2/ 210.

الأشواق: 242.

- (5) الطبع: مَبْنَأُ مِنَ الْأَدِيمِ، ل/ نطع.
- (6) البيتان بدون عزو في: معجم البلدان: 5/ 264 برواية: «بدلة العقل حيران بمعتكف × في كفه كحباب الماء مسلول»، الحماسة البصرية: 2/ 476، برواية: «تألق البرق مسلولاً»، والبس يكفك هذا ثائر حنق × مسلول». ديوان الخوارج: 232. وفي: وفيات الأعيان: 2/ 46، برواية: «من نجد» و«كصب الماء مسلول». الزهرة: 353.

تَكُنْ مَا تَدْرِي مِنْ نَارٍ حَيٍّ يَهْدِيكَ قَصْدُ النِّمْرِ لَمَّا تَسْتَدِيرُ
فَأَمْرُ الْمَشْرِجِ مِمَّا قَوْلُهُ، وَنَادَى، إِذَا تَرَى بَلَدًا مَدِينَةً مِنْ عَدُوِّكَ
وَيَتَغَرَّزُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الضِّيقِ لَرَقِيقِ النَّفْسِ، وَأَمَرَ بِسَرَّاجِهِ.

(الغنيمة) - عَالِي خَوَارِجِ الْبَصْرَةِ⁽¹⁾ عَلَى طَرَفَيْ مَقْلَا، وَاسْتَقْبَلَتْهُمَا
بَنُو بَكْرِ الْأَوْصَالِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا الْمَالَ، وَالْمَتْلِقَ، الْقَدَمَ، وَاسْتَقْبَلَتْهُمَا
الْبَصْرَةُ، قَالَهُ الْأَشْجَعِيُّ⁽²⁾، وَنَادَى عَالِي الْمَدِينَةِ، يُطْلِقُ فِيهِ الْمَصْرُومَ، وَطَرَفَيْ الْمَدِينَةِ
الْمَدِينَةِ حَيْثُ لَا تَنْتَبِهُ لَهَا، وَاسْتَقْبَلَتْهُمَا الشُّعْرَاءُ بِحُلَاةٍ حَوَارِثَ، وَنَسَبَ الشَّاعِرُ مُهْرًا فَقَالَ: (طويل)

جَلَسَ جُهْرًا فِي مَدِينَةٍ يَوْمَ بَرَاءِ نَخْصَةِ الْغَمْرِ⁽³⁾
الْبَصْرَةِ فِي الْمَدِينَةِ، طَلَعَ مَا كُنَّا فِيهِ تَعْرِفُهُ قُرُوبَ قَبَائِلِهِمْ
وَالْمَدِينَةُ، وَاسْتَقْبَلَتْهُمَا الشُّعْرَاءُ بِحُلَاةٍ حَوَارِثَ، وَنَسَبَ الشَّاعِرُ مُهْرًا فَقَالَ: (طويل)
الْبُرُوقِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (طويل)

لَمَّا تَرَى الْمَدِينَةَ تَطْلُقُ الْغَمْرَ

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى: كَفَلُمُ الْغَيْطِ، أَيُّ: حَبْسُهُ فِي جُوفِ كَاطِمَةٍ، وَنَسَبَ الشَّاعِرُ مُهْرًا فَقَالَ: (طويل)

- = شعر الخوارج: 203، شعر الغيث: 192.
- (1) البصرة: من كبريات الحواضر العراقية، وهي في كلام العرب: الأرض الغليظة بها حجر يقلع حوافر الدواب. ينظر: معجم ما استعجم: 1/254، معجم البراءة: 430/1، الروض المعطار: 105.
- (2) هو محمد بن قتيبة الدينوري. وفي اللسان: «وكظام الميزان: مسماره الذي يدور في اللسان. وقيل: هي الحلقة التي يجتمع فيها خيوط الميزان في طرفي الحديد الميزان. ل/كظم.
- (3) الكلام في: معجم ما استعجم: 4/1110. وفيه: «يتصلح عليه الحديد».
- (4) فرس ذئوب: حصان. ل/ذئب. البيت للبعيث في: معجم ما استعجم: 1/254، برواية: «سهرًا» قحمته. «النتر» أي الشدائد. قال هذيل الأشجعي: وحتى تقولوا بعدما يشمت العدا بكم إن أصل الحرب فيها التراتر

(4) في الأصل: «المنجمين»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.
(5) البيت للمحتري في ديوانه: 312.

تَحْدِثُ فِي نَفْسِ الْمُتَنَاقِ مَا يُحْدِثُهُ الْمُفْرَدُ.

وَ(إِضْمُ): [وَادٍ]⁽¹⁾ مِنْ أَوْدِيَةِ مَكَّةَ. وَقِيلَ: جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ الشَّامِ
يَقَالُ لَهُمْ: أَشْجَعُ⁽²⁾، وَجُهَيْنَةُ⁽³⁾ أَيْضاً يُشَارِكُونَهُمْ فِي هَذَا الْجَبَلِ.

أما قوله الرابع من (الطهارة) فهو (الضم) أي المثل الأعلى
الآخر، والآخر بالضم، لأن الرابع الأول والثاني

وَفِي الْبَيْتِ: (الْمُقَابَلَةُ): وَفِي التَّنْزِيلِ: (فَأَمَّا مَنْ أَظْلَمَ) (طويل)

١٠. ما هي أهمية اللغة العربية في حياتنا؟
١١. كيف يمكن أن نستخدم اللغة العربية في حياتنا اليومية؟

وَقَالَ الْآخِرُ: (طويل)

(١١) في الأصل: «وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْهُ إِلَّا أَنْفٌ مَخْفِيَةٌ»
تجرده عن ال والاضافة: وثبت ياؤه على لغة قليلة.

(2) أشجع: قبيلة من غطفان، من العدنانية، كانت منازلهم بضواحي المدينة.
معجم ما استعجم: 329/1، معجم قبائل العرب: 29/1.

(3) جبهة: هم بنو جبهة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم من قبائل الحجاز
ينظر: الجمة: 144، معجم القبائل: 1/214.

(4) مسلم: 4/2004، أبو داود: 4/255، مجمع الزوائد: 8/18، كشف الخفاء: 267.

(5) البيتان في: ديوان الإمام علي: 17، الثبيان: 347/1، أنوار الربيع: 302/1،
الحلة: 366، طراً: جميعاً، مختار الصحاح: 164/1.

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ مِنْ بُحْلِ أُمِّهِ
وَيُحْيِي شَجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهُ^(١)
يَرْزُقُ مَعْرُوفَ الْكَرِيمِ عَذُوهُ
وَيُحْرِمُ مَعْرُوفَ الْبَخِيلِ أَقَارِبُهُ
فَالْثَّغَلْبِيُّ^(٢): (طويل)

عَذِيرِي مِنَ الْآيَامِ مَدَّتْ خُطُوبُهَا
إِلَى وَجْهِ مَنْ الْهَوَى يَدَ النَّسْخِ وَالْمَحْوِ
سِبْهَامَ أَبِي يَحْيَى مُسَدَّدَةً نَحْوِي
وَهَذَا بَيَاضُ الرُّخْصِ يَأْمُرُ بِالصَّخْرِ

[illegible]

- (1) البيت منسوب لأبي يعقوب الخويمي في: شرح الحماص للأعلام: 1/156 برواية: أمن أم نفسه، وهو غير منسوب في: غيون الأخبار: 1/172 برواية: عن أبيه وأمه، بهجة المجالس: 1/471، العقد: 1/125 برواية: الجواد.
- (2) هو معقل بن سبيع الثعلبي، شاعر جاهلي، كان ممن شهد حرب داحس والغبراء، ترجمته في: (النقائض: 107، الأعلام: 7/271)، والأبيات في: المنزع البديع: 380. برواية: مسددة تحوي، شرح لامية المعجم: 1/284 برواية: امتدت صروفها، وأريدت بوجهي، وأسددها، وسراد الخد، بياض الوخط، والوخض: الطمن. قال الأصمعي: إذا خالطت القطنة الجوف ولم تنفذ فذاك الوخض والوخط. وقال أبو
- والسواد، ل/وخض، وخط. واللفظ: النظر بشق العين الذي يلي الصنع. قال الصفدي: «أبو يحيى كناية عن الموت، وفي المقابلة في هذه الأبيات نظره».
- (3) ينظر: تفسير القرطبي: 5/247، تحفة الأحوذى: 10/277.
- (4) هو عبد الله بن مسلم السهمي، من هذيل بن مدركة، شاعر من فصحاء العصر الأموي. ترجمته في: (الأغانى: 185، السمط: 399، الخزانة: 1/555، المقاصد: 1/162، شرح شواهد المفنى: 62).

أما والذي أبكى وأضحك، والذي أقات وأحى، والذي أمره الأمر⁽¹⁾
وَقَفُولِ الشَّاعِرِ: (مقارب)

أفد بالويل بحر من الحولة نعيم...
[البقرة: 286]، وَقَفُولِ الشَّاعِرِ: (طويل)

...
[الأنعام: 122]، أي: ضالاً فهديناه.

وَالْمُتَابِلَةُ: «هُوَ أَنْ يُؤْتَى بِشُعَيْتَيْنِ مُتَوَافِقَتَيْنِ، أَوْ مَعَانٍ مُتَوَافِقَةٍ، ثُمَّ يَدْخُلُ فِيهِمَا قَوْلٌ مُتَوَافِقٌ، أَوْ قَوْلٌ لَا يَدْخُلُ فِيهِمَا قَوْلٌ مُتَوَافِقٌ»
وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّي اجْتِمَاعَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَنَاسِبَةِ مُرَاعَاةَ النَّظِيرِ.

وَقَدْ جُمِعَ الشَّائِلُ لِمَا بَيْنَ (الرَّيْحِ) وَ(الْبَرَقِ) وَ(الظُّلُمَاءِ)، وَوُجِدَ

(1) البيت في: شرح أشعار الهذليين: 2/ 957، أمالي القالي: 1/ 147، وصف المبحر: 27، مصارع العشاق: 2/ 13، الحماسة المغربية: 2/ 599 برواية: «أمره أمر - نضرة الإغريض: 103.

(2) البيت لبشار بن برد في ديوانه: 159 «عمراً». وفيه روايات: «إذا نهيتك صعباً الأمور وإذا حزبتك صعب الأمور وإذا دهمتك عظام الأمور وإذا أرقنتك - الأور» وإذا نهيتك حروب العداة. تنظر في: (طبقات فحول الشعراء: 5 الأغاني: 3/ 193 و21/ 75، زهر الآداب: 2/ 384، السمت: 1/ 551 - 577).

(3) البيت لمجنون ليلى قيس بن الملوح العامري في: ديوانه: 307. وفي رواية أخرى في: تزيين الأسواق: 69.

(4) «يا رب سوى الجب بني وبينها يكون كفافاً لا علي ولا لباء النفس في العدة: 1/ 590 بتصرف. وينظر بحث المتأثلة في: (نقد الشعر: 7 الصناعات: 447، سر الفصاحة: 241، الإيضاح: 166، نهاية الأرب: 7/ 01 المثل السابق: 273 تحت اسم التماس في المعاني).

التَّاسِبِ بَيْنَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أَلْفَاظٍ وَاضِحٌ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (بسيط)

وَالْمَيُودَةُ الَّتِي فِي بَرِّهَا جِدَّةٌ قَتَلْنَا لَمْ نَلَمْ لِحَسْرِ مَلَايَا⁽¹⁾
يَضْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ لَهُ وَهَرْنٌ أَضْعَفُ خَلَقَ اللَّهُ أَرْكَانًا
تَسْمَعُ جَرَّ الْقَتْلِ وَالْمَرْحُومِ وَمِنْ لَمَلِهِ عِلَّةٌ وَمِنْ لَمَلِهِ⁽²⁾ أَلْفَاظُ
الْأَذْهَانِ.

وَالْحَسْرِ الْمَقْلُوبَةُ: الْمَرْحُومُ (إِضْم)، فَحَرَفُ (الْوَاوِ) فِي
قَلْبِ حَرْفِي (إِضْم) وَهَذَا مِنَ التَّمْطِ الرَّفِيعِ عِنْدَ الْبَيِّنَاتِ
وَالْمَقْلُوبَةُ فِي جَنَاسٍ فِي هَذِهِ (أَوَّلُ لَوْحٍ خَطْمٌ بِأَعْيُنِهِمَا، فَكَلِمَةٌ
فِي التَّوَحُّدِ الشَّيْخِ الْمَرْحُومِ، وَتَقْوِيَةٌ فِيهِمَا مِنْ تَحْصِي حَرَالِهِ، وَفِي هَذَا
قَالَ [أَبُو تَمَامٍ]⁽³⁾ فِي قَصِيدَتِهِ الْبَاقِيَةِ حَيْثُ يَقُولُ: (بسيط)
أَسَلْتُ أَصْفَى أَسَدٍ مِنَ اللَّبِّ فِي حَذْوِ الْخَطْمِ مِنَ الْعِدَّةِ وَاللَّيْبِ⁽⁴⁾
وَأَحْيَى أَيْ الْفُلُوكَ مِنَ الْمَتْنِ (الْمَتْنِ) أَمْلَأْتُ شَرْقَ الشَّهْرِ، وَالْقَابِ
بِهِمَا السُّلُوكَ، وَنَقَلْتُ: تَحْيِيرُ حَذْوِ عَقْرِ لَيْلَى الْعِدَّةِ بِقَبْلِ الشَّهْرِ.
وَالْعِدَّةُ وَالْعِدَّةُ الشَّهْرُ، لَيْلَى الْعِدَّةُ الشَّهْرُ فِي أَسَدٍ لَيْلَى الشَّهْرِ
الْآخِرِ. وَمَا أَحْسَنَ تَقْفِيئَهُ (الْعِدَّةُ) يَقُولُهُ: (وَاللَّيْبِ).

وَمِنْ لَمَلِهِ (الْمَتْنِ) وَمِنْ لَمَلِهِ يَذْكُرُ السُّلُوكَ مَلَايَا (12) لَمْ

- (1) البیتان لجبریر بن الخطفا من قصيدة في هجاء الأخطل، ومما في: ديوانه 452 حتى لا حراك به. وفي الأغاني: 307/7، والعمدة: 367/1، والحمامة البصرية: 2/460 برواية: «مرض» و«خلق الله إنساناً». الطراز: 47/3، مجمع الأمثال: 1/139.
- (2) في الأصل: «ملازمة». ولعل الأنسب: «متلازمة».
- (3) في الأصل: «المتنبى» والصواب ما أثبتناه.
- (4) البيت في: ديوان أبي تمام: 40/1 من قصيدة في مدح المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد.
- (5) ينظر في: نقد الشعر: 185، العمدة: 576/1.

كَيْفَا وَكَيْفَا عَلَى سَبِيلِ الْأَطْيَافِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا (الْمِنْ تَطْلُقُ) تَسْلُطُ عَلَى
 الْقَوْلِ فِي الْقَوْلِ شَقَّ الشَّظَا، ثُمَّ إِنَّهُمُ الَّذِينَ فِي الْقَوْلِ لَوْ أَنَّ
 الْقَوْلَ (الْبَيْعَ وَالْبَيْعَ) وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَطْلُقُ عَلَى الْقَوْلِ (الْبَيْعَ وَالْبَيْعَ)
 وَلَمْ تَكُنْ تَطْلُقُ عَلَى الْأَحْزَانِ، الْأَحْزَانُ الْأَحْزَانُ وَالْبَيْعُ وَالْبَيْعُ
 لَمْ تَكُنْ تَطْلُقُ عَلَى الْقَوْلِ، أَعَزَّ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ
 لِسَبَبٍ؟ وَلَمَّا انْتَقَلَ لِلْسَبَبِ كَثُرَ دَوَائِعُهُ بِجَلْبٍ تَعَدُّهُ.

وَلَمَّا كُنَّا عَلَى سَبِيلِ الْقَوْلِ، أَمَّا كَأَنَّ تَذْكُرَكَ بِسَبَبٍ؟
 أَرَادَ: أَتَذْكُرْتَ بِغَيْرِ سَبَبٍ، أَمْ كَأَنَّ تَذْكُرَكَ بِسَبَبٍ؟

فَعَلَى الْأَوَّلِ: يَكُونُ تَقْدِيرُهُ: أَتَذْكُرْتَ، فَمَزَجْتَ؟ أَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ
 وَتَحَدَّثَتْ عَلَى الْقَوْلِ، ثُمَّ تَذْكُرَكَ لَمْ يَكُنْ تَطْلُقُ عَلَى الْقَوْلِ، وَذَلِكَ
 لِأَنَّهَا تَطْلُقُ عَلَى الْقَوْلِ وَالْبَيْعَ وَالْبَيْعَ.

وَفِي الثَّانِي: (الْجَمْعُ)، إِنْ جَعَلْنَا الْهُبُوبَ وَالْوَمِيضَ فِي الْقُلُومَاءِ.
 وَفِيهِ: (الْمُقَابَلَةُ)، فَإِنَّهُ قَابِلٌ هُبُوبَ الرِّيحِ يَوْمِيضِ الْبَرْقِ.

هذه دواعيها، إن قلت: أطفال، فخطأ. وقد يظن أن قلت: متعلقين، بهم^(١)
 خروج، إذ تكررت ماوي الأثم تكرر إذ لا يتألف من هذه الألف والهمزة
 في البيت في القسم، ولا وفي غيره فقلنا: ولا إذ إلا من التوسعة
 غرض التأني، وإلا خرج عن قصد البلاغة.

ثم قال: فظنم: الشعر القصير، ثم التوسعة، الشعر الأثمن.
 تحت الشعر: الشعر النسيج، الشعر الجيد. الشعر الطيب، الشعر
 نزيه. وقد بسطنا في شرحنا الكثير ما للشعراء في وصفه.

ولا يترك كلام الشاعر إلا إظهار، والتوسعة كما مر من السطور، هذه
 هي ذات الشاعر. أم هذا ذلك خطأ، فمر من جوارب السطور، الإقليم.
 وكلمة قلنا: أم نحن مما قلت غرضه، فأجابته الشاعر بأن قال: هذا يمتنع لأنه
 من لب العادة وما تشكك بالقلوب عوانه، ثم قال: قد لم يكن
 الأمر كذلك، فما لب أن أجابته، أو إن كان إنذاره لنا بحبيبتنا، وقد يكتم
 السر، به على جهة التلويح على منة المأمورة، والله يقول: يا أيها
 منادى، فقلت: أما على ذلك من راجع الطبع يا أيها منادى، فقلت: قد جئت
 وقلبك.

ثم قلت: فليم لم يقل: لنا لحبيبتك يا شاعر، ثم قلت: لا.
 وهذا هو الغرض.

قلت: أما الإثبات الذي قرأه، فإنه لا خلاف في أن الشعر الخطأ

(١) الديوان: ١٩٠.

لَمْ يَكُنْ فِي الشَّوْبَةِ رِيحًا عَلَى النَّاسِ. وَبَعَثَ سُلَيْمَانُ بِمَنْ يَدْرِي
قِطْعَةَ اللَّحْمِ، أَيْ: شَرَحَهَا. وَكَفَّتِ النَّافَةُ: إِذَا أَمْتَقَطَتْ أَلْيَانَهَا.

[illegible][illegible]

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُمْسِكَ السَّمَاءَ فَجَاعَهَا الْغُبَارَ ذَاتَ عَشَمٍ مُشَارًا
إِلَى حُرِّ السَّمَاءِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهَا الْعَالَمُ . فَمَا يَكُونُ لَهُ تَكْوِينٌ فِي عِلَالٍ فِي
الْأَسْمَاءِ . وَلَا كَيْفَ لَهُ تَطْيِيعُ النَّاسِ . لَا حِيلَةَ لَهُمْ فِي السَّمَاءِ . وَلَا كَيْفَ
يَكُونُ الْإِنْسَانُ . لَا كَيْفَ كَيْفَ لَهُ تَطْيِيعُ . وَمَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي
الْأَسْمَاءِ . فَتَطْيِيعُ الْإِنْسَانُ فِي الْعَالَمِ . وَمَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي الْعَالَمِ .

وجرم (مطلقاً) غير حدود الشرط. ونحوه: رفع يدي (السلام) إذا كان على الشرط حاصلاً. ويذكر (فيديو أيضاً) الخلع من أجل أن لا يكون حاصلاً. وهذا لأنه يخلو الاستعانة من قبله. فليس، وهو شرط. (أبهر) كما قال في قوله: (أبهر) (السلام).

(١) ينظر: فقه اللغة للعالمى: ١٢٥.

(2) في الأصل: «مباحثاً». والأنسب ما أثبتناه.

(3) العبارة هكذا في الأصل، والأصوب أن تكون: من حاله.

وَلَا مُفْلَّةٌ دُعْبَا وَلَا وَجْهَةٌ حُمْرًا⁽¹⁾
وَعَشِقُ الْفَتَى بِالسَّعْعِ مَرْبَّةً أُخْرَى

عَشِقُ مَرْبَّةً دُعْبَا وَلَا وَجْهَةً حُمْرًا
وَكَمْ مِنْ مُجَبِّ قَدْ أَحَبَّ وَمَا رَأَى
وَقَالَ آخِرُ: (بسيط)

الدُّنْبُ لِلْقَلْبِ لَا لِلْعَيْنِ وَالشُّفْرُ⁽²⁾
وَحُصَّ بَعْضُهُمُ الدُّنْبُ بِالْقَلْبِ، قَالَ الشَّاعِرُ: (طويل)

لَا تَنْسُبُوا الدُّنْبَ لِلْعَيْنِ الَّتِي نَظَرَتْ
كَمْ هَانِمٌ هَامَ فِي مَنْ لَا يُشَاهِدُهُ
وَحُصَّ بَعْضُهُمُ الدُّنْبُ بِالْقَلْبِ، قَالَ الشَّاعِرُ: (طويل)

وَكَلَّفَنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنَ الْحُبِّ
أَفِقْ لَا أَقْرَأُ اللَّهَ عَيْنَكَ مِنْ قَبْلِ

لَا أَطِيقُ مِنَ الْحُبِّ مَا لَا أَطِيقُ
أَفِقْ لَا أَقْرَأُ اللَّهَ عَيْنَكَ مِنْ قَبْلِ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (كامل)

فَكُنَارِ إِبْرَاهِيمَ يَلُوكَ النَّارِ
وَهَذَا صَبْرَ قَلْبُهُ وَعَاتَبَ عَيْنَهُ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ يَغْزِي الْجَنَائَةَ لِلْعَيْنِ: (كامل)

يَا قَلْبُ لَا تُدْهِشْكَ بِيَرَانِ الْهَوَى
وَاصْبِرْ عَلَى مَا حَمَلُوكَ مِنَ الْأَسَى

(1) البيتان في شرح البردة للأليبي: 46. المبغض: الخميص الدقيق. والدعج: سواد سواد العين. ل/هقف، دعج. البيت الثاني في التحرير والتوير منسوب مدين: ج 1/165.

(2) البيتان للأليبي في شرحه على البردة: 45. الشُّفْرُ: وحد أشفار، وهي حروف الأجناف التي مغرز الشعر، ويسمى الهدب. ل/شفر.

(3) الأبيات لقيس بن ذريح وهي في ديوانه: 66، الأغاني: 189/9 برواية: «ملكات الزمان أمالي ثعلب: 286/1، شواهد السيوطي: 183 رواية: «ملكات الدهور»، شرح المحرر للمعزوقي: 1251/3 برواية: «أريثها»، الحماسة البصرية: 499/2 برواية: «حين لج الهوى». ولجج به: تمادى عليه واشتد. والملاجة: التمادي في الخصومة. ل/لجج.

(4) الأبيات لابن الخطيب في شرح البردة للأليبي: 45، وهي في ديوانه: 151 برواية: «فاصبر على ما حملوا تل المنى».

وَمَا التَّعْدُلُ أَنْ يَأْتِ امْرُؤٌ بِجَرِيمَةٍ فَيُؤْخَذُ فِي أَوْزَارِهَا جَارُ جَنْبِهِ
وَقَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ فِي الشَّوَاهِدِ فِي شَرْحِنَا الْكَبِيرِ.

من أشبهه لا أصل ولعل الخليل: وفيه للإمام
الإحاطة: قوله: «وما الحق أن يؤتى امرؤ بجريمة» والجريمة: الجناية والذنب. وفي
الحديث: «يا محمد بم أخذتني؟ قال: بجريمة جفائك». ل/جرو.
في الأصل «فوق معاً جانين» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

كشف الخفاء: 473/2. قال: رواه الحاكم وصححه: 349/4. وأقره العراقي وضعفه
المنذري وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير: 173/10، مسند الشهاب: 1/
1958، الفردوس: 297/4، نوادر الأصول في أحاديث الرسول: 181/3. وله
شواهد عند البيهقي.

- (1) البيتان لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب؛ وهما في ديوانه: 253، الإحاطة: 501/4 برواية: «وما الحق أن يؤتى امرؤ بجريمة» والجريمة: الجناية والذنب. وفي الحديث: «يا محمد بم أخذتني؟ قال: بجريمة جفائك». ل/جرو.
- (2) في الأصل «فوق معاً جانين» ولعل الأنسب ما أثبتناه.
- (3) كشف الخفاء: 473/2. قال: رواه الحاكم وصححه: 349/4. وأقره العراقي وضعفه المنذري وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير: 173/10، مسند الشهاب: 1/1958، الفردوس: 297/4، نوادر الأصول في أحاديث الرسول: 181/3. وله شواهد عند البيهقي.
- (4) الأبيات بدون نسبة في: روضة المحبين ونزهة المشتاقين: 110، شرح البردة للأليزي: 47. والأبيات برواية أخرى في النجوم الزاهرة منسوبة لابن دفتر خوان.
- (5) اللفظة مكررة في الأصل.

وَأَقْوَمُ، وَتَنْتَفُذُ، وَالْحَوْلُ فِي الْحَرْبِ، وَتَلَا يُشْرِي الْحَرْبَ، وَتَصَلُّوا فِي
 سَبْحِ الْبُحْرِ، وَالْمَرْءُ عِنْدَ تَعْلَمُ مَلْعَمَهُ، وَتَسْتَدْرِكُ لَكُمْ شَرًّا أَكْبَرَ وَكَلْبًا
 الْبُحْرُ وَالْمَسْجِدُ عَمَلُهُ، وَتَسْلُحُ حَلَّتْهُ بِكُنْهِي كَمِ الْمَسْجِدِ، وَتَسْتَدْرِكُ لَكُمْ
 وَتَسْلُحُ، وَالْأَسْفَافُ، وَتَسْلُحُ لَكُمْ تَعْلَمُ وَتَسْلُحُ، وَتَسْلُحُ لَكُمْ تَعْلَمُ
 وَتَسْلُحُ لَكُمْ تَعْلَمُ لَمْ يَخْلُقُوا الشَّيْءَ جَدًّا، وَلَا يَسْتَدْرِكُ لَكُمْ تَعْلَمُ
 إِنْ تَقَارَأَ لِسْرًا، وَأَجْلَبَ لِسْرًا.

هَذَا الْقَوْلُ يُوْجَدُ فِي بَعْضِ النُّسخِ مَعَ الْكَلِمَةِ السَّخَرِيَّةِ الْقَائِلَةِ بِأَنَّ
 حَلَّ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَتَلَا بِالشَّيْءِ، مَا خَلَقَ لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ
 لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ، أَلَا حَقَّتْ عَلَيْهِ، فَالْقَوْلُ وَتَعْلَمُ لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ
 لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ، فَالْقَوْلُ عَنِ الشَّيْءِ أَيْضًا.

سَكَّرُوا عِلْمَ شَيْءٍ عِنْدَ الْمَرْءِ، مِنْ بَعْدِ تَعْلَمُ لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ
 لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ، وَتَلَا بِالشَّيْءِ، مَا خَلَقَ لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ
 لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ، أَلَا حَقَّتْ عَلَيْهِ، فَالْقَوْلُ وَتَعْلَمُ لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ
 لَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْلُقْ، فَالْقَوْلُ عَنِ الشَّيْءِ أَيْضًا.

فَإِذَا قُلْتَ: قَلِمَ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ (الْأَلِفَاتِ)؟

قُلْتَ: بَعْضُهُ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْحَسَنِ الْكَلْبِيِّ

- (1) البستان في أنوار التجلي: 118/1 برواية: يزيداد فؤادي عند رؤيته × من بعد ما مال عليه القلب وارتكاه، انقصار برعد، الشرك: واحد الأشرار وهي جبال الصياد برعد: يرجف ويضطرب، ل/شرك، رعد.
- (2) ينظر بحثه في: نقد الشعر: 11، سر الفصاحة: 223، تحرير التعبير: 279، شرح الكافية: 190، خزنة الحموي: 422، أنوار الربيع: 763.

مَرَّلَهُ فِي الْبَيْتَيْنِ قَبْلَهُ؟

وَالطَّرْمَاحُ^(١) فِي الْمُقَابَلَةِ: (وافر)

أَسْرَنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ الشَّرَابَ

فَمَا صَبَرُوا لِبَاسٍ عِنْدَ حَرْبٍ وَلَا أَذًى لِحُسْنٍ يَدِ ثَوَابِ

فَقَدْ ذُكِرَ الْإِنْعَامُ عَلَى الْمَأْسُورِينَ، وَأَخْرَجَ ذِكْرَ الْقَتْلِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ

وَالثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَالْحَرْبُ هِيَ الْمَوْتُ وَالْحُسْنُ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْأَذَى هِيَ الْمَوْتُ

وَالثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَالْحَرْبُ هِيَ الْمَوْتُ وَالْحُسْنُ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْأَذَى هِيَ الْمَوْتُ

وَالثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَأَمَّا قَوْلُ النَّازِمِ هُنَا فَأَلْهَمَ فِيهِ لَيْسَ عَلَى مَا قَبِلَهَا بَعْضُهُمْ، وَكَانَ

الْمَقَابَلَةُ هِيَ الْقَوْلُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَالْحَرْبُ هِيَ الْمَوْتُ وَالْحُسْنُ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْأَذَى هِيَ الْمَوْتُ

وَالثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَالْحَرْبُ هِيَ الْمَوْتُ وَالْحُسْنُ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْأَذَى هِيَ الْمَوْتُ

وَالثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَالْحَرْبُ هِيَ الْمَوْتُ وَالْحُسْنُ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْأَذَى هِيَ الْمَوْتُ

وَالثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَالْحَرْبُ هِيَ الْمَوْتُ وَالْحُسْنُ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْأَذَى هِيَ الْمَوْتُ

وَالثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَالْحَرْبُ هِيَ الْمَوْتُ وَالْحُسْنُ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْأَذَى هِيَ الْمَوْتُ

وَالثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَالْحَرْبُ هِيَ الْمَوْتُ وَالْحُسْنُ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْأَذَى هِيَ الْمَوْتُ

وَالثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَالْحَرْبُ هِيَ الْمَوْتُ وَالْحُسْنُ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْأَذَى هِيَ الْمَوْتُ

وَالثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَتَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَابَ هُوَ الدِّمَاءُ

وَالْحَرْبُ هِيَ الْمَوْتُ وَالْحُسْنُ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْأَذَى هِيَ الْمَوْتُ

هذه الكلمة من قسم الذي قلنا، فأنه حين يفتح باب ما الذي
 ليس فيه قلب، فيكون ذلك ساء، لولا أن يكون ما كان فيه قلباً ما لم يكن،
 وقد قلنا في قوله: «وكان القلب إذا يأتي جرساً من قلب» أي لا يفتح ما يفتح
 من القلب، كقولنا: «القلب لا يفتح» أي لا يفتح من القلب، كقولنا: «القلب لا يفتح»
 يقوم مقام ذكر ما حل بالقلب، إذ ذهب النوم من لؤاميه.

هذه الكلمة من قسم الأول بالألف، (1) أي من قسم الذي يفتح باب ما الذي
 ليس فيه قلب، فيكون ذلك ساء، لولا أن يكون ما كان فيه قلباً ما لم يكن،
 وقد قلنا في قوله: «وكان القلب إذا يأتي جرساً من قلب» أي لا يفتح ما يفتح
 من القلب، كقولنا: «القلب لا يفتح» أي لا يفتح من القلب، كقولنا: «القلب لا يفتح»
 يقوم مقام ذكر ما حل بالقلب، إذ ذهب النوم من لؤاميه.

هذه الكلمة من قسم الثاني، أي من قسم الذي يفتح باب ما الذي
 ليس فيه قلب، فيكون ذلك ساء، لولا أن يكون ما كان فيه قلباً ما لم يكن،
 وقد قلنا في قوله: «وكان القلب إذا يأتي جرساً من قلب» أي لا يفتح ما يفتح
 من القلب، كقولنا: «القلب لا يفتح» أي لا يفتح من القلب، كقولنا: «القلب لا يفتح»
 يقوم مقام ذكر ما حل بالقلب، إذ ذهب النوم من لؤاميه.

هذه الكلمة من قسم الثالث، أي من قسم الذي يفتح باب ما الذي
 ليس فيه قلب، فيكون ذلك ساء، لولا أن يكون ما كان فيه قلباً ما لم يكن،
 وقد قلنا في قوله: «وكان القلب إذا يأتي جرساً من قلب» أي لا يفتح ما يفتح
 من القلب، كقولنا: «القلب لا يفتح» أي لا يفتح من القلب، كقولنا: «القلب لا يفتح»
 يقوم مقام ذكر ما حل بالقلب، إذ ذهب النوم من لؤاميه.

هذه الكلمة من قسم الرابع، أي من قسم الذي يفتح باب ما الذي
 ليس فيه قلب، فيكون ذلك ساء، لولا أن يكون ما كان فيه قلباً ما لم يكن،
 وقد قلنا في قوله: «وكان القلب إذا يأتي جرساً من قلب» أي لا يفتح ما يفتح
 من القلب، كقولنا: «القلب لا يفتح» أي لا يفتح من القلب، كقولنا: «القلب لا يفتح»
 يقوم مقام ذكر ما حل بالقلب، إذ ذهب النوم من لؤاميه.

(1) لا توجد لفظة «اللغة» في الأصل، ولعلها سقطت، وأنسب للمعنى إثباتها.

(2) في الأصل: «حرك». ولعل الأنسب ما أثبتناه.

وَهُوَ إِيرَادُ سَاقِطٍ، فَإِنَّ السَّائِلَ لَمْ يُورِدْ عَلَى الْمَسْئُولِ مَا أُورِدَ لِلْمَسْئُولِ
لَمْ يَكُنْ جِدَةً وَإِنَّمَا أُورِدَهُ عَلَيْهِ لِطَعْنِ الْكَارِ مَا يُعْلَمُ مِنْ نَفْسِ أَنَّهُ قَابِلٌ مِنَ
الْكَارِ، وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْقَوِيمُ وَالْإِلْحَامُ الْمُسْتَعْمَلُ، إِذْ تَحْصُلُ مِنْ هَذَا كَلَامُ
السَّائِلِ خَطَأً الْمَقْصُودَ، حَتَّى يَقُولَ: كُنْتُ مَا أَطْلَعُ عَلَيْهِ السَّائِلُ، فَوَقَعَتْ
فِي أَمْرِي، أَخْلَعًا: فَظَهَرَ كَيْفَى السَّائِلِ. وَالثَّانِي: لَمْ يَأْزِدْ عَلَى

مَا قُلْتُ. إِنَّمَا الْخَاصِلُ جِلْدُ السَّائِلِ مِمَّنْ يَخْتَصِرُ أَمَارَةً يُشِيرُ أَنْ يَكُونَ
بِسَبَبِ مَا ذُكِرَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ بِسَبَبِ آخَرٍ

قُلْتُ: وَإِنَّمَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَمِنْ إِنْجَامِهِ بِهِذِهِ اللَّيْلِ أَوْرَدَ السَّائِلُ لَمَّا
اسْتَعَاءَ الرَّجُوعَ إِلَى الْحَدِّ، فَإِذَا شَجَرَ شَرًّا إِذَا أَتَاهُمْ بِمَا هُوَ الْقَضَى بِمَا حَسَمَ
رَجَعَ إِلَى إِنْشَاءِ الْحُكْمِ ضَرُورَةً، حَتَّى إِذَا يَقُولُ مَقَالًا: قَدْ أَلْبَسَ أَتَهَلَّشِي مَا
يَسِي هُوَ لَمَّا (حَسَنَ، وَإِلَّا الْبَاجِتْ عَلَيْهِ تَعْدَا، كَمَا حَتَّى مِنْ كَلَامِ السَّائِلِ
بَعْدًا، فَيَحْصُلُ لِلْسَّائِلِ بِمَا (مَقَالًا - رَجَاءً بِالْعَبِ - لَمَّا الْوَاقِفُ عَلَى الْبَحْرِ
بِسَبَبِ مَا تَرَكَهُ مِنَ الظَّنِّ وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

وَمِنْ هَذَا تَحْلُفُ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا لَا يَحْضُرُ، فَمِنْ: الْعِلْمُ بِقَائِدَةِ الْخَبَرِ، وَالسُّلُوكُ
بِلَاغَةِ الْمَقَالَةِ. وَهُوَ مِنْ حَسَنِ الْبَيْعِ الْمُسْتَعْمَلِ عِنْدَ قَضَاءِ أَرْبَابِ الْمُنَاقَاةِ
الْأَدَبِيَّةِ. وَفَعِيَ مَا قُلْتُ لَكَ مِنْ قَضَاءِ النَّاطِمِ الْخَبَرُ عَنْ كَلَامِ السَّائِلِ، وَمَا
يَحْصُلُ بِكَلَامِهِ مِنَ الْمَقَالَةِ، وَهُوَ اسْتِدْعَاءُ مَا جِلْدُ الْمَسْئُولِ فَقَدْ يَوْمُهُمْ إِيرَادُهُ مَا
أُورِدَ الْعِلْمَ، وَإِلَّا لَمْ يَتَكَلَّمْ سُدًّا، وَلَا اغْتَرَضَ عَلَى الْمَسْئُولِ بِشَرًّا، أَلْ يَطْلَعُ
تَقْطَعُ. وَخَرَفَتِ الْمَسْئُولُ مِنْ حَتَّى ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِحِيلَةٍ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى
خَلِيقَةٍ مَا جِلْدُهُ مِنَ الشَّحْوَةِ لِقَبُولِهِ، وَتَغَابَ سَهْوُهُ.

وَمِنْ السَّبَبِ: تَوَجُّعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّحْوَةِ، وَهُوَ مِنْ (شَوْقٍ) وَ(أَرْقَاةٍ) وَفَعِيَ
يَكُونُ شَرُّ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الشَّحْوَةِ: الْخُتْمُ لَمْ يَمْلِكْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ النَّاطِمُ.
وَقَدْ يَكُونُ الْخُتْمُ بَيْنَ السَّبَبِ أَوْ الْخُتْمِ. وَقَدْ يَخْتَمُ بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْهَيْلِ وَالْمَلَحَنُ

بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ: قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ⁽¹⁾: (طويل)

لَمَّا بَدَأَ بِالرَّقْمَتَيْنِ وَأَقْلَبَا عَلَى الْعَهْدَيْنِكَ الْعَهْدَ وَالْعَهْدَ وَالْعَهْدَ
لِلْعَهْدِ الْأَوَّلِ: عَنِ الْوَقْتِ، وَالْعَهْدِ الثَّانِي، هُوَ الْحَدَاثُ، مِنْ قَوْلِكَ، مَا
بَدَأَ بِهِ. وَالْعَهْدُ الثَّلَاثُ: الْوَصِيَّةُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: عَهْدٌ إِلَى فُلَانٍ. وَأَمَّا الْحَقِيقُ
فَمِنْ لُغَةِ النَّاسِ // أَخْرَجَ فُلَانٌ أَبِي تَمَّامٍ مِنَ الْقَصِيَّةِ لِيَسْهَلَ (مترجم)

سَحَابٌ مَتَى يَسْحَبُ عَلَى الثَّبَتِ ذَيْلَهُ فَلَا رَجُلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ وَلَا جَعْدُ⁽²⁾
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا تَجَمَّعَ فِي بَيْتِ الْقَتَنِ فِي الْقَتْرِ وَبَيْنَ السَّحَابِ فِي السَّحَابِ
قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ⁽³⁾: (بسيط)

لَشَوْءٍ فِي الشَّوْعِ أَتَمَّ لَوْحِي يَهْمُ لَشَاءَ مِنْ لَبِيٍّ تَتَنِي الْفَتَى الْبَيْتُ⁽⁴⁾
فَالشَّوْعُ الْأَوَّلُ: اللَّيَالِي، وَالشَّوْعُ الثَّانِي: شَعْرَاتُ الرِّجْلِ وَالْعَهْدُ
وَالْيَبِضُ الْأَوَّلُ: الثَّيْبَاتُ، وَالْيَبِضُ الثَّانِي: النِّسَاءُ.

وَمِنْ اجْتِمَاعِ اسْمَيْنِ مَا فِي قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ⁽⁵⁾: (طويل)

(1) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، (ت 231 هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 121/1، المعاهد: 38/1، شذرات: 72/2، الخزنة: 172/1). والبيت في الديوان: 85/2. وفيه رواية: «وأرضها» و«الرقمتين». ينظر: العمدة: 548/1. والرقمتين: الرقمة: جانب الرادي. وقال الأصمعي: الرقمتان: قريتان إحداهما قرب المدينة والأخرى قرب البصرة. معجم البلدان: 58/3.

(2) البيت في الديوان: 87/2، العمدة: 549/1 برواية: «على الأرض». والرجل من الأرض: حرة مستوية كثيرة الحجارة. والجعد: الغليظ. وقد علق ابن رشيق على هذا البيت قائلاً: «وقد استغل قوم هذا التجنيس وحق لهم».

(3) هو علي بن جريح بن جورجيس الرومي أبو الحسن، شاعر كبير من طبقة بشار «السي» (ت 327 هـ). ترجمته في: السراج: 288، وفيات الأعيان: 110/1، المعاهد: 18108، الأعلام: 297/4.

(4) البيت في الديوان: 1419/4، العمدة: 549/1 برواية: «يشني». وهو من شواهد الطباق في: حلية المحاضرة: 143/1، المتزج البديع: 483.

(5) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر، من أشهر ولادة العصر العباسي زمن المأمون، =

وَأَلَى لِلظُّلَمِ السَّخَوِى لِحَالِي وَالشُّغْرِ بِحَرْبِي ظِلْمَةً لِرُشُودِي
وَالْحُرَاحِي^(١) يَسْئَلِي هَذَا التَّنَوُّعَ مِنَ التَّخْيُّصِ: السُّتُوْلِي وَالْغِيْرَةُ يَتَوَلَّى
«التَّخْيُّصُ السَّخَوِي»^(٢) وَالْوَأْنُ التَّخْيُّصُ تَخَيَّرًا، تَخْيُّصُ الْمَوْقِعِ فِي الشُّغْرِ
وَالْمَوْقِعِ فِي التَّخْيُّصِ الشُّغْرَاطِيَّةِ^(٣) تَخَيَّرُ مِنْ أَوْدَعِهَا، فَلَيْتَ كُنْتُهَا عَنْ أَرَى
الْإِطْلَاعَ عَلَيْهَا.

قَالَ يَنْظُرُ لِقَلِّ اللُّغَةِ: «الْقَهْوِي» أَوَّلُ مَوَاقِفِ الْحَسَنِ^(٤)، تَخَيَّرُ مَا يَجْتَمِعُ
وَبَعْدَهُ الْعَلَاقَةُ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (كامل)

الْحَلَاقَةُ أَمْ السَّخَوِيَّتُ تَخَيَّرًا الْفَنَاءُ (أَمْسَكَ تَخَيَّرًا السُّخَيْرِ)^(٥)
«(الْعَلَاقَةُ): الْحَبُّ الْإِلَازِمُ لِلْقَلْبِ، ثُمَّ «التَّخَيَّرُ»، وَثُمَّ «الْعَلَقُ»، ثُمَّ
«التَّخَيَّرُ» بِاللَّيْلِ الْمُتَحَيَّرَةِ، ثُمَّ «التَّخَيَّرُ» الْمُتَحَيَّرَةِ، وَقَدْ قُرِئَ: «قَدْ تَخَيَّرَ»
حِينَ رُفِعَ^(٦) بِالْحَرَاحِيِّ مَعًا، ثُمَّ «الْجَوِي»، وَقَدْ هَوَى الشَّاطِرُ، وَثُمَّ
(الْتَيْمُ)، وَمِنْهُ سُمِّيَ تَيْمُ اللَّهِ، أَيُّ: عَبْدُ اللَّهِ^(٦).

(ت/230هـ). ترجمته في: (الأغاني: 92/12، الأعلام: 226/4، البيت في: ح
المحاضرة: 156/1، العمدة: 550/1، المنزغ البديع: 484). الكالي: اسقط
الظلم: ماء الأسنان وريقها.

(1) هو علي بن عبد العزيز الجرجاني الفاضي، صاحب الوساطة، عالم بالأدب والشعر.
(ت392هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 278/3 - 281، الأعلام: 114/5)
(2) ينظر الكلام عن التجسس في: العمدة: 550/1، الوساطة: 42، أسرار البلاغة:
(3) لامية رائعة، من أشهر البديعيات في السيرة النبوية لصاحبها عبد الله بن يحيى
الشُّغْرَاطِي التُّوزَرِي، (ت466هـ)، وعليها عدة شروح. ينظر: كشف الظنون:
1340.

(4) فقه اللغة: 188.

(5) البيت للمرار النعماني في شعره: مجلة المورد: ج 2 155/1 - 184. وهو
الشواهد النحوية في: سيبويه: 283/1، المقتضب: 84/2، الكامل: 342/6، شرح
الشافعية: 309/2، الهمع: 910/1، وفيه رواية: «أم الوليد». ابن يعيش: 131/8.

(6) فقه اللغة: 188. ثم البتل: وهو أن يستقمه الهوى، ومنه رجل متبول، ثم
التدلل: وهو ذهاب العقل من الهوى، ومنه رجل مذله.

وَالرَّاقِ الْمُدْعَى إِذَا أَسْأَلَهُ وَمُتَارِعُهُ يُهَيِّجُ (الطَّلُ (تَرْقُ) تَرْقُ،
تَهَلَّتْ حَلَّةُ الْوَارِ إِلَى الرَّاءِ، وَتَلَّتْ الْوَارِ يَاءً، فَتَلَّحِلُ الْحَاظِمُ فَتَحَزَمُ، فَاتَّخَعُ
حَاظِمًا، فَتَحَلَّتْ الْيَاءُ لَا لِقَاءَ السَّاجِسِ. وَدَارَتْ يَحْكُمُ الرَّاءُ، أَيْ نَعَتْ
تَوَلَّتْ

وَالْطَّلُ الْفَطْلُ هُنَا قَبْلُ عَادَةِ تَهَلَّتْ مِنَ الْغُوبِ فِي تَهْلِيهَا الْأَطْلَالِ،
وَالْتَهَلَّتْهَا إِذَا عَادَ وَتَهَلَّتْهَا بِالشُّوْرِ وَمِنْ هَذَا الْأَعْيُرِ: الْيَتَانِ اللَّتَانِ فَتَهَلَّتْهَا

وَمِنْ اسْتِنْقَاقِ الْأَطْلَالِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

عَقَلْتُ رَجْعَ الشَّيْءِ أَوْ كَشَفْتُ الْقَسَى ثَلَاثَ الْأَثَانِي وَالرُّسُومِ الْبِلَاقِعِ (1)

وَقَالَ الْآخَرُ: (بسيط)

كَلَّتْ فِيهَا أَصْيَالًا أَسَالَتْهَا جَلَّتْ حَوَامًا وَتَ بِالرَّجْعِ مِنْ أَحْيَا (2)

وَرُبَّمَا أَوْصُوا مَنْ يَمُرُّ بِهَا أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهَا كَمَا قَالَ: (وافر)

أَلَا حَيَّ الْمَنَازِلَ بِالسَّلَامِ عَلَى بُحْلِ الْمَنَازِلِ بِالكَلَامِ (3)

وَقَالَ آخَرُ فِي مَعْنَى الْإِسْتِفْهَامِ: (طويل)

الرَّجْعُ عَلَتْ خَيْتَكَ أَمَّا تَهْمُورُ وَشَاةُ قَتَا أَسْرَ أَجْمَانِ الْمَقْصَلِ (4)

(1) البيت لذي الرمة غيلان في ديوانه: 127/2. وفي المقتضب: 176/2 أو يدفع
البكا. وفي درة الغواص: 79 يكشف العنا. وفي الأغاني: 237/5 أو رسوم
بلاقع. وفي الموازنة: 190، والفائق: 77/1، والزهد: 145، والمخصص: 17/
100 الديار البلاقع. والمعنى هنا الجهل. الأثافي: الحجر التي توضع عليها القدر.
بلاقع: لا شيء فيها.

(2) البيت للناطقة الذبياني في ديوانه: 76. فيه روايات: «فيها أصيلاً كي أسألها»، و«فيها
أصيلاً»، ودأبت جواباً، تنظر في: الأغاني: 35/11، شرح الأشموني: 3/
830، معاني الحروف: 324، كتاب الشعر للفارسي: 78/1.

البيت لذي الرمة غيلان في ديوانه: 1395/2.

البيت لذي الرمة في ديوانه: 1595/3 المقصل. الربع: قيل: هو المنزل وأهل =

لِحَرَامِ الْخَلَاءِ حَادٍ رُسُومَهَا يَوْقِنُ وَشِي أَوْ يَفَاهُ مُتَلَمَّسًا
وَقَالَ الْآخَرُ: (طويل)

الْأَخَرُ بِالْإِزَالِ الرُّسُومَ الْخَوَالِيَا وَهِيَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا رُسُومًا خَوَالِيَا⁽¹⁾
وَتَمَادَى حَتَّى قَالَ: (طويل)

بِمِ الدَّارِ إِذْ مَيَّ لَأَهْلِكَ جِيرَةً لَيْبَالِي لَا أُمْسَالُهُنَّ لَيْبَالِيَا⁽²⁾
وَقَالَ آخَرُ: (طويل)

أَمْرٌ أَجَلِي بَارٍ بِالرَّمَاةِ قَدْ مَسَى لَهَا لَمَنْ طَلَّتْ بِكَ الْأَرْضُ تَرْحَلُ⁽³⁾
عَفَّتْ غَيْرَ أَرِيٍّ وَأَجْدَامٍ مَسْجِدٍ سَحِيقِ الْأَعَالِي جَذْرُهُ مُتَنَسِّفٌ

وَقَوْلُهُ: **الْبُخْرَا**، وَلَقَدْ لَنَا فِي رِوَايَاتِهِ الْمَخْ أَيْ رِوَايَاتُهُ يَتَرَى
الْبُخْرَى⁽⁴⁾ فَتَحَهُ بُونَةُ⁽⁵⁾

و(ذِكْرِي): مَقْصُورٌ. وَتَعَاظَى النَّاسُ (ذِكْرٍ) عَلَى وَزْنِ (فَعْلٍ).

المنزول. تهمل: تسيل وتفيض. استن: تتابع حتى انقطع الجماع: فارسي معناه
عنوت تتخذ على أشكال اللؤلؤ. المفصل: الفصل: القطع. وهين: جبل من جبال
الدهناء. الوشي: النقش. المسلسل: الرديء.

(1) البيت لذي الرمة في ديوانه: 1300/2 برواية: «إلا وميماً بوالبا». والزرق: أناس
بالدهناء.

(2) البيت لذي الرمة في ديوانه: 1303/2. مي: هي مي بنت منذر بن طلحة
الصحابي قيس بن عاصم المنقري. جيرة: أي جاراً.

(3) البيت لذي الرمة في ديوانه: 1516/3. الرمادة: موضع في شق بني تميم في طريق
البصرة، معجم البلدان: 66/3. ترجف: تضطرب. أري: مأخوذ من التارية، وهي
التمكن، والآري: مرابط الدواب. أجدام: أصول الحجارة.

(4) هو يحيى بن أبي بكر، العماد أبو زكرياء البوني، مقري معروف من أهل بونة، رحل
إلى المشرق وروى الشاطبية عن الحافظ الذهبي ومحمد بن أحمد بن علي الرقي شيخ
القراء بدمشق. ترجمته في: (غاية النهاية: 367/2، معجم أعلام الجزائر: 200)

(5) بونة: مدينة بالجزائر قرب مدينة عنابة، من ربوع البربر بإفريقية. ينظر: معجم
البلدان: 369/1.

«البيان» الخرج من الشجر يخرج من المزالجها ففقد لفظة بئس في الثاني،
يقال: هو الغالية.

وَأَمَّا الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّاسُ الْغَالِيَةَ [20] // فَيَبِي الرُّبْدَةُ

وَأَمَّا (الْعَلَمُ): فَالْمُرَادُ بِهِ جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ أَرْضِهِ.

«البيان والعلم»: قد تكون من قرب الرصد، لأن الإنسان إذا رأى ما

قرب من الرصد حدثت لهفة إليه. وفي الحديث: «هذا جبل يحسن وأجده».

أي: يفعل معناه من الشيء يقرب الأهل لما يطل الحبيب عليه. وقد قيل في

الحديث غير هذا التأويل⁽²⁾.



(1) البخاري: 41/16 - 15، مسلم: 1011/2، الترمذي: 379/5، ابن حبان: 14/

428، مجمع الزوائد: 52/10، مصباح الزجاجة: 217/3، تأويل مختلف

الحديث: 266/1، الأحاد والمثاني: 143/4.

(2) ينظر: تأويل مختلف الحديث: 266/1.

وَلَا أَعَارِثُكَ لُؤْبِي غَبْرِيَّةً وَضَنَى

يَنْقُرُ الطَّيَامُ وَيَنْقُرُ سَاكِنُ الْخَيْمِ⁽¹⁾

شرح: في هذا البيت نوع يقال له: (التكرير) عند السائرين، (لقد كان له التكرار)، (والعلم أنه يحس في مواضع، ومواضع يفتح فيها، والتكرير على التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو من المعاني نوع الألفاظ الأولى)، (واضح أن التكرار ليس التكرير، فالتكرار: هو تكرار اللفظ نفسه، معناه الأول أو بمعنى آخر، قال امرؤ القيس: (طويل)

دَبَّارٌ لِسَلَمَى عَافِيَاتٌ بِذِي خَالٍ

الْحَّ عَلَيْنَهَا كُلُّ أَسْحَمٍ هَقَّارٍ⁽²⁾

وَتَحْسِبُ سَلَمَى لَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا

يَوَادِ الْخُرَامَى أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالٍ

وَتَحْسِبُ سَلَمَى لَا تَزَالُ تَرَى ظَلًّا

مِنَ الْوَحْشِ أَوْ بَيْضاً بِمَيْثَاءٍ مَعَالٍ

لِيَأْنِي سَلَمَى إِذْ تُرِيكَ مُنْصَباً

وَجِيداً كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِمَعْتَالٍ

وهذا البيت من وادي ما عفا

وأما التكرير: فهو كما عفا، فإن قوله: (لقد تروق نفعاً على ظلي) - ولا

أرقت لنقر طيان والعظم) - ولا أعارثك لؤبي غبرية وضنى، لا

المذكورين هنا هما المفهومان في البيت قبله، لكن في ليلاة عطية، (أما

(1) لا يوجد البيت في الديوان. وفيه رواية: ينظر: شرح البردة للجادري: 20.

(2) الكلام عن التكرار في العمدة: 683/2.

(3) المخرنق: السعد: 883/2 «بدي الخالة» وأعلى من أوعال: السعد

الطال: 280/1 رواية: «وتحسب ليلى» أو على «أنت أوعال» الأسجد: السعد

الأسود: الرس: البر. وأوعال: جبل بالحمى يقال له: ذو أوعال. الطل: ولد الشاة

والبقرة. الميثاء: مسيل الوادي، أو الأرض السهلة اللينة. المعلال: التي يكثر فيها

الناس بها. وفي الرابع رواية: «الريم». ومنصباً: المنصب: المنفذ المستوي

المعطل: الذي عطل عن الحلي. الملمع: 77، السعد: 857.

وَأَمَّا مَا تَحْمِلُ مَعْنَاهُ قَوْلُ الْبَيْتِ: فَتَحْمِلُ مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ: وَهَذَا الشَّرْحُ
 قِسَامٌ: قَسَمَ يَقْعُ فِي فِعْلِ جَعَلَهُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ لِنَعَالِي: «أَوَّلُهَا هُنَّ كَذَابٌ يَرِ
 يَحْمِلُ الْبَيْتَ» (إسـ: 5)، وَالْوَجْهُ: هُوَ الْعَذَابُ، أَيْ: عَذَابٌ مُصَاصَةٌ، وَقَوْلُهُ
 «فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَفْطَا بَلَى وَجُزْءٌ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (٣٣)
 (أولسـ: ١٤٠)

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: يَقْعُ فِي الْخَمْلِ، وَهُوَ عَلَى وَجْهِ كَيْفٍ، بِهَا هَذَا الْوَجْهُ
 (١٤١) // وَهُوَ أَنَّ تَحْمِيلَ نِسْرِ الْخَمْلَيْنِ خُصُومٌ (مُطَوِّعٌ) (هَذَا فِي الْبَيْتِ
 مَوْجُودٌ، لِأَنَّ الْعَبْرَةَ بَعْضُ الذَّمِّعِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ: (طويل)

سَيِّدُكَ مِنْ لَيْلٍ كَمَا كَانَ خُصُومِي يَحْمِلُ سَعَامَ الْفَتْرِ شَمَتٌ بِمِثَالٍ^(١)
 ثُمَّ قَالَ: (طويل)

كَأَنَّ الشُّرْمَا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيَا بِأَمْرَاسٍ كَثَانٍ إِلَى حُصْمٍ جُنْدِلٍ^(٢)
 وَتُجُومُ اللَّيْلِ مُسْتَمِلَةً عَلَى الثُّرَيَّا وَغَيْرَهَا. قَالَ ثُرَيَّا بَعْضُهَا.

وَفِي الْبَيْتِ: (التَّخْيِيرُ) مِنْ (أَفَارَتْ) وَ (الْحَيَوَةُ) وَهِيَ كَذَلِكَ أَيْضًا
 (الْخَيْلُ) وَ (الْخَيْمُ). وَهُوَ يَخْرُجُ مِنَ التَّخْيِيرِ ثَوْبًا، (أَيْ: إِسْرًا) لَا مُخَالَفَةَ لَهُ
 وَالْأَوَّلُ هُوَ الثَّانِي، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتْ صِيَغَتَاهُمَا.

وَفِي الْبَيْتِ: (الْمُقَابِلَةُ)، وَ (الْمُطَابَقَةُ)^(٣)
 وَفِيهِ: (التَّزْيِيدُ): وَهُوَ أَنَّ تَأْنِيهِ الشَّاعِرِ بِالْمَقَالَةِ مُتَعَلِّقٌ بِمَعْنَى، ثُمَّ يَرْتَفِعُ

(1) الديوان: 19، المغار من الجبال: الشديد الفتل. يذبل: اسم جبل.
 (2) الديوان: 19. الشريا: نجم. المصام: المكان الذي لا تبرح منه، ومصام الفرس: مربيته. الأمراس: الجبال. الصم: الصلب. الجنديل: الصخر القاسي. ل/مصم، مرس، صمم، جنديل.
 (3) التلفيف: هو أن يقصد المتكلم التعبير عن معنى خطر له أو مثل عنه فيلف معه صم آخر يلازم كلمة المعنى الذي مثل عنه. ينظر: تحرير التعبير: 343/1.

بَيْتُهَا سَخْلَةً بِمَعْنَى الْحَرِّ فِي الْبَيْتِ تَحِيماً، أَوْ فِي قِسْمِ بَيْتٍ، كَمَا فِي قَوْلِ
زُهَيْرٍ: (بسيط)

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى صَلَاتِهِ قَرِيماً يَلْقَى السَّخَاةَ بَيْتاً وَشَيْءَ خُلُقٍ^(١)
فَلْيَلْقَ (يَلْقَ) بِ (مَرْمٍ)، ثُمَّ يَلْقَ (يَلْقَ) بِ (السَّخَاةِ)^(٢) وَالْزُّعْمُ^(٣) بِي
عَلَى الْبَيْتِ (يُخَوِّي) لِأَنَّهُ عُلِقَ الْأَوَّلُ بِ (الْخَيْلِ)، ثُمَّ عُلِقَ بِ (مَعَالِيقِ الْخَيْمِ)
وَفِي الْبَيْتِ مَعْنَى قِيلَ: (الْقِسْمُ) «وَلَوْ أَلَّا يَنْتَوِي الشَّاعِرُ شَرْحَ مَا
أَلَّى بِهِ تَحِيلاً وَقَلَّمَ نَجْمَةً قَدْ أَلَّى أَكْثَرَ مِنْ بَيْتٍ»، كَمَا عُلِيَ لَهَا إِنْ
فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ إِجْمَالاً، وَفِي الثَّانِي تَعْضُّ لِعَبْرَةٍ، وَفِي الثَّالِثِ تَبَايُ
شَافِيَا

وَفِي الْبَيْتِ مِنَ الْإِسْتِعَاذَةِ السَّيْفَةِ مَا لَا يَحْتَمِي، مِنْ جَعَلِهِ (الْمُعْتَبَرُ
وَالْمُتَّعِي) تَوَصُّلاً أَمَّا عَلَى زُهَيْرٍ (وَلَا تَغَارِقُكَ لُؤْلُؤُ)، فَلَا تُكْرِمُ الْإِسْتِعَاذَةَ
إِلَّا فِي الْإِسْنَاءِ، مِنْ كَلِمَةِ أَسْنَى الْغَارَةِ الْخَيْرَ وَالْقِي
(الْمُعْتَبَرُ) يُظْهِرُ مَعْنَى مِنْ قَلَامِ الْبَاقِي أَلَّا اسْمٌ لِلْمُتَّعِ نَعْدَ اسْتِحْصَانِهِ

(١) البيت في الديوان: 53 برواية: «إِنْ تَلْقَ × تَلْقَ»، الشعر والشعراء: 144/1 «منه»،
العمدة: 567/1 «من يلق منه»، كفاية الطالب: 194، على علته: على قلة مال أو
عدم. وهرم: هو هرم بن سنان المري من المشهورين بالجدود، (ت نحو 15 ق هـ).
ينظر: الشعر والشعراء: 144/1، جمهرة أنساب العرب: 252، العقد الفريد: 3/
351، الأعلام: 77/7.

(2) الكلام عن التريدي في: العمدة: 566/1 - 567. وينظر بحثه في: بديع ابن منقذ:
26، الطراز: 82/3، نهاية الأرب: 141/7، خزائن ابن حجة: 164/1، حسن
التوسل: 70.

(3) في الأصل: «التريد» والصواب ما أثبتناه.

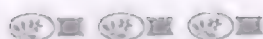
(4) الكلام عن التفسير في: العمدة: 567/1. وبحثه في: نقد الشعر: 155، الصناعتين:
345، سر الفصاحة: 318، بديع ابن منقذ: 37، المثل السائر: 279/2، خزائن ابن
حجة: 408/1، الطراز: 114/3، نهاية الأرب: 179/7، التبيان: 129، حسن
التوسل: 63.

وَالْمَرْ شَرَّاحٍ مَقَامَاتٍ الْحَرِيرِيَّ⁽¹⁾ "أَلَيْهَا إِنَّمَا تَكُونُ عِبْرَةً قُلُوبٍ سَلْبَةً، لَهَا
شَكْلٌ لَا تَكُونُ عِبْرَةً، وَلَعَنِي إِذَا مَكَّنِي مَا قَالَ غُلَّاءُ الشَّرَّاحِ أَهْلُهُ، لَا
إِذَا تَطَلَّعْنَا إِلَى سَلْبَتِهَا عِبْرَةً مِنَ الْغُورِ، وَتَوَّ الشَّرَّاحُ، فَلَا سَالَتْ مِنَ الْحَرِ
حَرَّتِ، وَتَعَاوَزَتْ مَحَلَّهَا

وَيَصِيحُ كَوْنُهَا سُمِّيَتْ عِبْرَةً مِنْ [...] الْعَيْنِ [...] ⁽²⁾ وَيُقَالُ: عَبْرَ الشَّرَّاحِ
وَالْغُرِّيَّ وَالْمَلَّةَ حَيْرًا، فَتَقَعُ فَالْتَمَعُ إِذَا خَرَجَ، وَالتَّهَمَرَ عَلَى الْخَدِّ، فَطَمَعَ
مَلْعَةً، وَخَرَجَ، وَغَرَّ الْبُلْبُلُ، أَيْ: فَشَرَّعَهُ، وَالتَّمَعُ مَقْشُورَةٌ لِمَا فِي الْقَلْبِ مِنَ
الْحَرَلِ، وَعَبَرَ عَبْرًا خَرَجَ، وَالْبَاقِي خَرَجَ، وَجَبَرَ الْكُتَاتِ عَبْرًا قَلْبًا
وَمَعَانِي هَذِهِ الْمَادَّةُ مُتَقَارِبَةٌ

(الطُّسْقِي) لَمَّا يُسَبِّ الْقَلْبِ

(الْمَاكِن) يَصِيحُ لِنَفْسِهِ وَيَصِيحُ (الْمَاكِن) لِحَقَاةٍ



(1) هو القاسم بن علي بن عثمان أبو محمد الحريري البصري، (ت 568هـ). انظر
في: (وفيات الأعيان: 1/109، آداب اللغة: 3/38، الخزائن: 6/245، الأعلام: 1/117)

(2) طمس لبعض كلمات لحق يمين الورقة 21.

لَعَلَّكَ تَكْفُرُ خُبْرًا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ بِهِ عَلَيَّكَ غُذُولُ النَّمْعِ وَالشُّقْمِ⁽¹⁾

شرح: قصد الناهم بهذا التيت تغيث المشكر، وتوربها على إنكاره، وإظهار ما أذاة من استبعاد أمره في طلب استناره، وما يتوَجَّع من اللوم على شلُّب جهود العدالة. وهذا المعنى اليوم موجود في كلام الناس، إذا أقصر أحد على أحد يدهوى، وأنكر المدعى عليه، ثم يظهر كذب التماس عليه، فتوربته التماسي، فيقول له: أين إنكارك؟ وأين استنار ما أزدت شراً؟ هل كنت إذ كنت شهوداً لا تفلد، فكيف تكذب؟ أو كنت بيتي بك الإنكار المنقضي بك إلى نصيحة سيوك؟ أما كان أولى بك الرجوع إلى الحل والإضافة بالرجوع إلى قول الصدق؟

وما أخرج قام الله على المشكر. لآلة لو قامت الشاة على من لم يقع من إنكار لحد أن يقول: هو حتماً قاتل الشاة، وتغيب بالشاة، فلم أحسن له من أخرج نصيحته بكليه، لما يقول المشركون يوم القيامة حين يقال لهم: أشركنكم بي، وعينكم أيضاً خبي. 1221 // والله ربنا ما كنا مشركين (الأنعام: 171)، فليهد عليهم حواشيهم. أذهبهم وأرجلهم - وهي الرث الأثياء، إليهم - مع أن تن ذلك وجر ما في البيت (تباركاً⁽²⁾) ما. وذلك أن أولئك الذين شهدت عليهم حواشيهم أنكروا أمراً تخطئة العالم بحيايات الأمور متهم، وما في تيت تلك بلهم السائل غداً، مع أن المسؤلون لما اعتبرت بموجب ما وقع به، خرج الأمر على خلاف ما ادعى السائل أنه هو الناصت إليك، ألا ترى أنه

(1) أموات: 191.

(2) في الأصل: «تبارك».

حَرَ اقْتَرَفَ الْحَرَّ أَنْ تَبْتَ ذَلِكْ خَيَالٌ مِّنْ يَهْوَاهُ، عَلَى مَا سَيَأْتِي تِلْكَ الْقَوْلُ
قَوْلُ بَعْضِ الْمُؤَلِّدِينَ: (كامل)

قَوْلُ لَمَّا بَحَثَ بَرٌّ مِّنْ تَعَشَّقَ أَوْ تَحَبَّبَ يَحْتَسِبُ وَالسَّامِعُ تَبْلُغُ^(١)
وَهِيَ الَّتِي مِنَ (السَّجَارِ الْإِمْرَاءِ) تَسْبِيَةُ الْمَنَعِ وَالسَّمُّ شَهْوَاً غَدُولاً
وَالْحَبَابُ^(٢) تَحْيَا وَلِإِكْفَةِ لَهَا، إِذْ هُنَا شَيْتَانٌ وَحُجَّتُ لَكِنَّ قَدْ يُرِيدُ أَنَّ الْأَلْوَابَ
إِذَا تَحَلَّتْ حَارَ الْحَمِّ، وَلَمَّا كَانَ تَوَقُّعُ الْكَمْعِ مُخْتَلِفاً مِّنْ أَنْصَبَ، وَهُوَ السَّائِرُ
فِي السَّيْلِ، وَالْحَمِّ وَهُوَ السَّيْلُ وَالْأَمُّ، تَعَلَّقَتْ الْوَالِدَةُ فَحَسَرَ الْحَمِّ
وَمِنْ أَلْوَابِ الْمَنَعِ مَعَهُ (الْحَمِّ) بَيْنَ (الْمَنَعِ) وَ(السَّمِّ) فِي مَعْنَى وَاجِدٍ
وَيُسَمَّى الْيَانِثُ (مَرَاةَ النَّظَرِ)^(٣) وَيُسَمَّى بَعْضُ الْيَانِثِ الثَّلَاثُ
وَالْأَشْرَافُ^(٤)، وَهُوَ أَنَّ يَحْتَمِلَ بَيْنَ أَمْرٍ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ بِالنَّصَابِ^(٥)، وَالْمَرَاةُ^(٦)
أَصْنَافٌ:

الْأَوَّلُ: الْيَلَابُ الْفَلْطُ وَالسُّرَى وَبَنُو لَوْلُ وَفِيهِ بَيْنَ أَبِي حُلَيْسٍ (قَوْلُ)
أَنَافِي سَفْعاً فِي مُعَرَّسٍ مَرْجَلٍ وَنُؤِيّاً كَجَذَمِ الْحَوْضِ لَمْ يَنْتَلِمِ^(٧)
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِزُبَيْعَهَا: أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَتَيْهَا الرَّبْعُ وَاسْتَدَّ

(١) يتعشق: من التعشق وهو المبالغة في العشق والهوى. ل/عشق.

(٢) في الأصل: «جمع» وتُعمل الأنسب ما أثبتناه.

(٣) ينظر: الإيضاح: 488، وفي الصفحة 490 يقول: «ومن مراعاة النظر ما يـ بعضهم تشابه الأطراف».

(٤) ينظر: نقد الشعر: 55، الموازنة: 28، الطراز: 144/3، خزنة ابن حجة: 437 أنوار الربيع: 142/3، تحرير التحيير: 194/1.

(٥) النص في الإيضاح: 488.

(٦) في الأصل: «هي».

(٧) الديوان: 7 برواية: «ونؤياً كحوض الجذم»، وألا أنعم». وفي شرح التبريزي: «العم». سفعاً: من السفعة: وهي مواد تخلطه حمرة. النؤي: حاجز يرفع حول البنية لكي لا يدخله الماء. جذم الحوض: حرفه وأصله. ل/سفع، جذم.

فَكَرَى فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِكُنُونِ مُعَايَةِ الْخَرَابَةِ بِالْفَائِدَةِ خَرِجَ، وَفِي الْبَيْتِ
الثَّانِي بِكُنُونِهَا عَرَبِيَّةً بِالْفَائِدَةِ مُسْتَعْمَلَةً.

وَالثَّانِي الثَّلَاثُ اللَّفْظُ مَعَ اللَّفْظِ وَفَعْلًا أَنْ يَكُونُ فِي الْخَلَامِ مَعْنَى تَصَحُّ
فِي مَعَانٍ. وَأَبْدَعُ مَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ رَشِيقٍ⁽¹⁾: (طويل)

أَصْحٌ وَأَقْوَى مَا سَفَعْنَا فِي النَّفْسِ مِنْ الْخَيْرِ الْمَالُورِ نَلَّ قَلِيمِ
أَصْحِيَّتْ تَرِيهَا السُّبُولَ عِي الْخَرَابِ عَمِي الْخَرِ عَمِي تَقْدِ الْأَمْرِ تَمِيمِ
لَقَدْ ثَلَاثَةُ عَطِيشَةٍ مِنَ الصَّخَةِ وَاللُّوْءِ وَالشَّعَاعِ وَالْحَرِّ الْمَالُورِ لَمْ
يَكُنْ السُّبُولُ وَالْخَرَابُ وَلَقَدْ تَمِيمِ، مَعَ مَا قَدْ بَدَأَ خَسَرَ التَّرْتِيبَ فِي التَّرْكِيبِ مَعَ
الْحَالَةِ الْمُتَعَدِّةِ

وَقَالَ أَبُو الْقَلِيبِ: (طويل)

رُبَّ حَوَاقِبَ عَمَرَ كِتَابَ لَعْنَتِهِ وَالْخَسْرَانَةَ لِمَشَاطِيرِ قَتَامِ⁽²⁾
حُرُوفُ هَجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ: جَوَادُّ، وَرُمُحُ ذَابِلُ، وَخُسَامُ
وَمِنْهُ فِي اثْتِلَافِ الْمَعْنَى مَعَ الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي الْقَلِيبِ: (بسيط)

لَا عَرَبٌ مِثْلُ الْكُفْرِ (مَكْدَرُ) وَالْمَدَامُ مُقَابِلَةٌ مِثْلُ مَعَ الْخُفْرِ⁽³⁾

(1) هو أبو علي حسن بن رشيق القيرواني، من كبار علماء عصره باللغة والشعر والنقد والبلاغة، (ت456هـ)، ترجمته في: (إنباء الرواة: 1/ 298، خريدة القصر: 2/ 230، الوافي بالوفيات: 3/ 97، فوات الوفيات: 2/ 255)، والبيان في: الديوان: 170، وفي الطراز: 3/ 147 برواية: «ما رويناه» و«عن جود الأمير»، جوهر الكنز: 240، نهاية الأرب: 7/ 158، والأمير: هو تميم بن المعز بن باديس بن منصور الصنهاجي، من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية. ترجمته في: (الخلاصة النقية: 49، النجوم الزاهرة: 5/ 198، البيان المغرب: 298، أعمال الأعمال: 30، الأعلام: 2/ 88). الحيا: المطر.

(2) الديوان: 3/ 397. القتام: الغبار.

(3) في الأصل: «الكردى»، وفي الديوان: 3/ 82 «الكدرى». والكدرى: هو نوع من القطلا، غير الألوان، رقص الظهور والبطون صغر الحلق، قصار الأذنان، مسكنها السهول. ل/ كدر

والأشياء هنا كثيرة، قال بعض الأتباء: (إلى أنواع هذا الاسم من السبب
أكثر أنواع معاني السبب).

وفي البيت: (الاستبعاد)، وهو جلي فيهِ. وجاء في كتاب الله عز وجل
تسراً فيهِ: ﴿كَيْدَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا صَفْوَاً أَفَقَدْ بَلَغَهُمْ أَكْثَرُ إِلَى
أَجْمِ الْأَيَّامِ هَذَا اسْتِعَاذَ لَهْدَائِهِمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْدَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَاسْتَغْنَى
أَمْرُكَ وَسَاسُطَةُ الْبَرِّ﴾ (١١٨)، كَيْدَ اسْتِعَاذَ الْكُفْرَ عَنْهُ بِتَحْقُوقِ قُدْرَةِ النَّارِ
سُبْحَانَهُ

(المخيل) في موضع الحال، وتفسيره: أمكراً أنت الحب بعد هذا
البيت؟

(وما): هُنا مَصْدَرِيَّةٌ، أي: بَعْدَ شَهَادَةِ عُدُولِ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ.



نعم، سرى طيف من الهوى لازلني والخب يغترض النذات بالالم⁽¹⁾

شرح: 123// في الكلام إضمار القول، ولحق سأل في كلام العرب
 رأوا الظهر فغلب القول لكان فيه نغماً، ولخروج عن ذنوب الفضاخ، وذلك أن
 السائل في الحقيقة قد لمس السؤل، وإنما الخرجة السب في قالب السائل
 من جهة التعنى، والتعالي من جهة اللفظ، بعدل الناظم بحرف التعني،
 مستقماً لمضامين إخبار السائل المتكلم إغناء، وتشمساً، ونصائياً من الوقوع
 في سواة المباهة.

وَنَعَ ضيقه لم يخرّ سطوي الهوى السائل، وإنما حج إلى ضيقه من
 طرف وعطفه من طرف، وذلك أن ذنوب السائل من أن السائل على نعمه
 تكثر الجوار، وغيوب الرياح والحقائق الشوق، فمن هذه الجهة كان خطاً
 السائل، وإضماره من جهة كون السؤل لم يقع هذا منه شدي، وإنما وقع
 لأمر ما، لكنه خلاف ما قلنا.

وكان السؤل أيضاً شحطاً كالتخاطب في إكراه ذلك كله، فلما رُحم
 عليه السائل وأقام عليه براهن قال: «الحق أحق أن يتبع»⁽²⁾ أي
 كنت الباعث حمله وتقبيلاً، وأتيتس إليها السائل بشر لم يتجر هو
 الباعث، وإنما أضيت في شيء، وحل منك شيء، نعم، سرى طيف من
 أفرى، لا الأمر كما قلت، وما قسحي لي ما كنت إلا نعي. (طول)

(1) الديوان: 190. وقبلة: «وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى × مثل البهار على خديك والعنم».

(2) «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع».

فَسْتُ وَلَكِنْ لَا جُزْءَ لِي أَذْهَبِي بِالْمُشَاهِدَةِ مَا زَمْتُ أَنْتُمْ خَيْرًا

لَخِيَّتْ وَلَا لِيَدُ السَّيِّئِ مَرَجَ ذَمِّي بِالذَّمِّ وَلَعَلَّكَ تَوَسِّي سَرِيَانِ حَيَاتِي مِنْ
أَجَلًا. فَلَمَّا رَأَيْتُ كَسَتْ لِي خَيْرَتُ يَوْضِيهِ. فَلَمَّا أَفْرَكِي الصَّرْحَ اسْتَقْبَلَتْ
لِلْمَوْتِ. فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ أَهْجًا (1) يَدَالِي (2) وَلَعَبْتُ نَوْمِي. لَكِنْ يُقَالُ: وَإِنْ كَرِهَ
لَمَّا طَلَّتْ. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَحْرِ عَنْ تَذَكُّرِي وَإِنْ كَانَ سَبَبُ بَكَائِهِ وَتَحْوِيلُهُ طُرُقِي حَيَاتِي
لِلْمَوْتِ.

لَكَلَّةٌ غَزَلٌ يَكَلُّهُ غَزَلًا دَقِيقًا رَقِيقًا. وَمَا دَفَعَ مِنْ شَأْنِ الشَّاهِدِ قُوَّةً مِنْ شَأْنِ
طُلُوبِ وَإِنْ عَلِمُوا مُوجِبَ الشَّيْءِ السَّلَوكِ عَدَا. فَيَتَجَرَّبُونَ مَا يَلْعَنُهُمْ مِنْ تَقْطُرِ
الْخَلْقَةِ يَسْتَمِعُونَ مِنَ الشَّخَاطِلِ يَحْسِلُ الظُّبَيْرُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الشُّوَالِ يَلْمُ.
وَسَمَلُوا بِالْمَارِيَةِ. وَتَقَرُّوْهُ حَتَّى يَنْظُرَ السُّورُ بِاللَّهْمِ عَرَفُوا الْوَاقِعَ بِهَا.

(وَأَسْرَى) لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ أَلْفَاظُهُ. وَهُوَ عُنَا يَغْتَرِي طَرَفًا. وَهِيَ بَدَنُ الشَّيْءِ
(وَأَسْرَى) عَلَى قَوْلِهِ (رَجِي) (وَأَسْرَى) عَلَى وَدَّيْنِهِ. (وَأَسْرَى) إِذَا جَمَعَ الشَّيْءَ وَالْمَرْوَعَةَ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (وَأَسْرَى)
وَسَرَاوَةٌ: إِذَا جَمَعَ الشَّيْءَ وَالْمَرْوَعَةَ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (وَأَسْرَى)

سَرَاةً بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَامَوْا عَلَى كَانِ الْمُسَوِّمَةِ الْعِرَابِ (3)

وَأَسْرَى (وَأَسْرَى) فَلَا تَلْبَلُ عَلَى وَدَّيْنِهِ (وَأَسْرَى) لَفْظُهُ بِاللَّيْنِ. (وَأَسْرَى)
شَخَاتٍ وَأَسْرَى إِذَا قَطَعَ السَّيَاءَ بِلَبِّ. فَهُوَ يَلْبُ. وَإِذَا قَطَعَتْ خَدِيجَةُ أَذْهَبَتْ
لِيَا. لَمَلَّتْ أَسْرَى الْكَيْفُ بِالْوَقْبِ وَالذَّلِيلُ بِالنَّاسِ. وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «سَمِعَ

(1) في الأصل: «فهاج».

(2) البلبال: شدة الهم والوسواس في الصدر. ل/بلل.

(3) البيت أنشده الفراء على زيادة كان عند قوله تعالى: «كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْهَيْمِ
حَيًّا» ولم يسه. ولم يعرف العلماء له قائلًا. وقال الكوفي: في شرح مبراد السبيعي
«أنشدوا للفززدق»، وروايته فيه: «جواد بني بكر تسمى». شرح ابن عقيل: 1/ 291
«له كان على السطيمة الصلاب» «سرا» «جواد وأخوه» «المسومة» التي لها علامة
تسميها. العراب: خلاف البراذين والبخاني.

فقد لزمها بسببه. لولا حركة الشعر العكس، إلى السجدة الأفضلية (الإسراء: 11)،
وقال في التلخيص: «أكثر بأفوك» (هود: 91، والحجر: 169، وقطاف
حسان⁽¹⁾ (مقدم)

إِذِ السَّيِّيرَةُ رُبَّةَ الْخِذْرِ أَشْرَتْ إِلَيَّ وَلَمْ تَكُنْ تُسْرِي
«ولا يكون الشري إلا بالي، فإذا ساروا ليلاً ولزوا، قيل: ساروا، وهو
(التأويل)، فإذا ساروا ليلاً ولزوا، فهو (الإدلاج)، يشكون الدال، فإذا ساروا
من آخر الليل، فهو (الإدلاج)، والكسر (24) // الدال المشددة، فإذا ساروا مع
الضح: فهو (التفليس)، فإذا نزلوا بالنهار للاستراحة، فهو (التفليس)، فإذا
نزلوا في نصف الليل للاستراحة، فهو (التفليس)⁽²⁾، (الشري) أعلم من هذا
نحو.

(الظليل) الخيال القاري في النوم، يطأه ليلته، فقال بن قلة: طاف
بكرامه وظيفه، أغنى في طيب الخيال، وتكون من طير الشيطان، ومن
الشيطان، فإذا كان من الشيطان فهو الكرم، ومن ثم الشيطان هو الظليل،
وأكثر ما يرد على العاير الفكرة بالحب دون الخلي منه.

وَيَأْتِي الظِّيفُ فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيراً؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (منسرح)

فَخَلَعَ يَدِي مِنْ خِيَالِهِ قَصِيراً ثُمَّ تَنَامَى فَأَنْقَشَتْ مُقَلَّصاً⁽³⁾

عَادَ سُرُورِي لَمَّا نَأَى كَدِيراً وَظَلَّيْتُ نَوْمِي مِنْ بَعْدِهِ سَهْراً

(1) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر رسول الله ﷺ، ت نحو
53 هـ. ترجمته في: (ط ابن سلام: 215/1، الشعر والشعراء: 305/1، خزنة
الأدب: 111/1، الأعلام: 175/2)، والبيت في: الديوان: 187 حي... ×
إليك...، شرح بانت سعاد لابن هشام: 53 حي العشية.

(2) فقه اللغة: 205 «إذا ساروا ليلاً ونهاراً: فهو الإساء. فإذا ساروا من أول الليل: فهو
الإدلاج. فإذا نزلوا بالنهار للاستراحة: فهو التفوير».

(3) تنامى: تباعد. منذراً: متزعجاً. كدراً: همّاً وغماً. ل/نأي، ذعر، كدر.

وَقَدْ هُوَ إِيَّانُ الْمُسْؤُولِ فِي وَاقِعَتِهِ، وَكَلَامُ الشَّائِطِ فِي نَسِيهِ، وَهُوَ مِنْ
الْمَقَامِ الْحَاضِي النُّظْمِ

وَقَالَ الْآخَرُ: (كامل)

تَلَفْتُ فِي نَوْمِي بِشَخْصٍ خَبَالِهِ
مُطَشَّتْ أَلْيَ نَعْدَةٍ مَتَّ حَجَرِهِ
حَتَّى انْتَبَهْتُ فَعُدْتُ مِنْ غِلْجَارِهِ
وَقَالَ الْآخَرُ: (خفيف)

زَارَنِي فِي غِيَاهِبِ الْعُسْقِ
أَكْسَبَتْ بَنِي إِحْدَاهُمَا قَلْعًا
وَأَتَيْتُ الْأُخْرَى عَلَى أَهْلِهِ
وَقَالَ الْآخَرُ: (خفيف)

يَا خَلَالَ قَحِيْبٍ أَفَعَيْتُ نَوْمِي
لِشَيْءٍ إِلَّا الْجَنَابِي قَالَتْ نَوْمِي
قَالَتْ فَارَحَ بِسَمْعِكَ لِكَيْ
عَلَّ جَقْوِي حَتَّى الْفَرَّ الشُّهَادَا

وَالشَّيْءُ فِي زُلَاةِ الْخَبَالِ عَلَى تَلَسُّقٍ قَسَمَ بَشَاءً، وَفَسَمَ بِشَخْصٍ بِزُلَاةٍ
وَكَلَّمَ زُلَاةَ النَّهْدِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ يَهْجُجْ عَلَيْهِ مِنْ الْأَشْوَابِ مَا أَفَاحَ عَلَى الْمُسْؤُولِ
عَنَّا، أَوْ لَأَنَّهُ ذَلِيلٌ سَوِيءٌ، لَأَنَّهُ لَا بَرَاءَةَ إِلَّا بِي رَحْمَةِ فَلَمْ تَخْشَوْهُ، وَالْمَلِكُ قَالَتْ
الشَّاعِرُ: (كامل)

لَا الْحُلُمُ خَادَ بِهِ وَلَا يَجْشَاهُ
أُولَا الْمَكَارِ وَصَالِيَهُ وَزُنَالَهُ

(1) متجهداً: مصدراً للمعناه: ل/نجد

(2) غياهب: أعماق. العسق: ظلمة الليل. ل/عسق. القاموس المحيط: 1/1188.

(3) اللمح: طرف العين. ل/لمح.

(4) الأبيات لأبي الطيب المتنبي في ديوانه: 3/53 ولولا أذكاري وداعه وزيامته

إلى السعيد لنا الشقام خياله كانت إفاضة خياله خياله
إني لأعجز عصف من أغنائه إذ كان تهشربنا زمان وضائه
فقد صرخ لنا الشاعر بأن الظيف لا تنور في رصن وصل الغيوب
ومنههم من يتلذذ به كقول الشاعر: (طويل)

على العث أحراماً عهدت بحرّها أما لأصيب الحاضر الحية⁽¹⁾
إلى ما الكرى أهلى إلى خياله شئ قرنه التبرج أو غداً الطفا
لهم أن مثليها ولا مثل شائنا جعلت إفاضة وسعهم لحفا
فهذا مشتبه زورة الخيال.

وقال الآخر: (طويل)

وإني لأعجز النوم من غير نعمة لعل لبقاء في المنام يكون⁽²⁾
// 120 // تخبرني الاغلام الي أراكم فيما كنت اغلام المنام بقر
وقال آخر: (طويل)

وإني لأستعشي بما في نفسي لعل خيالاً منك يملئ خيالها⁽³⁾

- = محاضرات الأدباء: 127/3. «لا الحلم جاء به × وداعه وزياله» وكانت عبارته خيال خياله، زهر الآداب: 755/2 «إني لأبغض». الزيال: المفارقة والتميز.
- (1) الأبيات لأبي عبادة البحتري في ديوانه: 670 - 671، زهر الآداب: 121/3 - 756 «عهدت بنجدها» و«نقع الصدى» و«قلم نر». ديوان الصبابة: 100/1 «عهدت خيالها». الطيف والخيال: 32. الأجزاء: الرمال الطيبة المنبت. الجو: ما انخفض من الأرض. ل/ جنع، جوى. الصدى: الظما. التبرج: شدة الأذى. ل/ صدا، برح.
- (2) البيتان لقيس بن ذريح في ديوانه: 149 - 150. وتنسب للمجنون ولعبد الله بن الدمينية. والبيت في ديوان جميل: 199. وفي مقاييس اللغة: 261/3 «لعل لقاكم في المنام يكون». وفي محاضرات الأدباء: 128/3 «من غير نفسه»، التذكرة السعدية: 371 «من غير حينه»، نهاية الأرب: 240/2 «لأستعشي × لعل لقاها». في الأغاني: 205/9، والحماسة المغربية: 924/2 «تحدثني»، التذكرة السعدية: 371 «تبشرني».
- (3) تنسب هذه الأبيات للمجنون وهي في: ديوانه: 315 - 316، وفي الشعر والشعراء: 573/2، الكامل: 294/1. «وأخرج من بين الجلوس» عيون الأخبار: 139/4.

أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ فِي السَّرِّ عَالِيَا
يَرِدُنْ فَلَا يَرْجِعُنْ إِلَّا صَوَادِيَا

وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعَلِّي
تُقَطَّعُ انْفَاسِي بِذِكْرِكَ انْفُسَا
وَالْقَطَائِي⁽¹⁾: (بسط)

فَكُرْ إِذَا نَامَ فِكْرُ الْخَلْقِ لَمْ يَمْ
فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَ مِنَ الْخُلُو

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا لَا بَلْ أَزَارَكَ
حَسْبِي تَلَطُّطُهُ لَهَا حَسْبِي لَهْ

وَلَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ هَانِي⁽²⁾: (طويل)

وَمِنْ الْحَيِّ الْمَالِكِ وَالْحَيِّ مَحْصُورِ
وَمِنْ الْخَرِيبَاتِ الْفِيلِ وَتَهْ خَسُوفِ
فَلَمْ يَلَمْ تَحْرُ مَا فَعَلَا رَجَا
فَلَا تَهْ فِي لَسَانِهَا وَخَسُوفِ
وَأَنَا يَلِيكُ وَالرَّحْمَةُ خَيْرُ

أَلَا طَرَقْتَنَا وَالشُّجُومُ رُكُودُ
وَقَدْ أَعْجَزَ الْفَجْرُ الْمَلَمَحُ خَطُوهَا
سَرَتْ عَاطِلًا غَضَبِي عَلَى الذَّرِّ وَخَدُهُ
فَمَا بَرِخْتُ إِلَّا وَمِنْ سِلْكَ أَدْمُعِي
أَلَمْ يَأْهَبْكَ كُتُوبُهُ عَنِ الْفُصَا

وَقَدْ أَوْدَعْنَا شَرَحَنَا الْكَبِيرَ أَطْرَافًا أَخْرَ تَرَكَّنَاهَا اخْتِصَارًا، وَلِلنَّاسِ فِي قَلْبِ
الْثَّانِ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ.

= الأُمَالِي: 215/1، وتنسب لقيس بن ذريح وهي في ديوانه: 160 - 162. تناسل
نفسه حين القاك أنسا × يرد فما يصدرن إلا صواديا، زهر الآداب: 6/3.
الحماسة البصرية: 488/2، وتنسب لقيس بن معاذ في: الكامل: 1/294، وفي
المعاهد: 54/3 «وإني لأستغني» بدون عزو. الإيضاح: 520.

(1) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، سبقت ترجمته ص: 23. والبيت في: الديوان
185/3، والحماسة الشجرية: 615/2. «لها لا بل أزارك × إذا نام فكر الناس»
وفي الحماسة البصرية: 164/2 «إذا نام فكر الخلو». وفي أمالي المرتضى: 1/542
«من آخر الليل».

(2) هو محمد بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي أبو القاسم بن هاني، متنبئ المغاربة.
ترجمته في: (وفيات الأعيان: 4/2، التكملة: 1/103، النجوم الزاهرة: 4/67، مطبوع
الأنفس: 74، المطرب: 122، دائرة المعارف: 1/289). الأبيات في: الديوان: 1/103
نفع الطيب: 4/44 «وهن هجود». طرقتنا: جاءتنا ليلاً. هجود: رقود. عمود الضم
ضوؤه. البة: وسط الصدر والمنحر، والجمع لباب ولباب. ل/طرق، هجد، عمد، لب.

وفي البيت: «الاعتذار»، «والخسرانة ما يفتله حذائق الشعراء» أن يذهب
به مصفاً لطيفاً، ويتعبد تفضلاً حقيقياً، ويعترف بحجب يأخذ بقلب المغفلين إليه،
ويخلف بسخ أقطابه وتستجيبه رصده، فيلطف إلهامه سرحاً في التصريح
والتحريك لمحو المستتر إليه، وإعادة النظر في الخطب عن ثوب الثاقب والحاسد،
ولتعالى في الاعتذار، ولذلك قال محمد بن علي الأصمعي⁽¹⁾ (سطر)

الغلل (بتحفة) الشخيت والكليل (ليس في غير ما يربحك لي أرب)

وقد اسأك وبالعنى التي سلفت (لا استأ بعني ما لة سبته⁽²⁾)

والشروط قد تلافت في الاعتذار، وهو في البيت وما بعده ملحق، وقد
أحسن في الاعتذاره على ما سيذكر.

وفي البيت: (الشري)، لأنه نسب الأول لليب، ولم يحل لاختياره، بل
بسبب الظيف الذي سرى.

«والنعم» من علامه: «يخيل أن تكون» (المرا⁽³⁾) «سنت سنة جواب
السائل، وقالة يقول: ما قلته هو غير الحق، لا (نعم) حرف تضيق لنا قال
السائل: ويخيل أن تكون ليس بحرف لما قلنا، بل حرف استعارة
يعني (الكبر)، وذلك لما لو قيل لك مثلاً: اشتريت بدرايسك قرصاً؟ فتقول
لها نعم، اشتريت أمة أي، لكني اشتريت أمة، والمستثنى الأول أتلف في
الاعتذار، إذ فيه تضيق السائل، وأما الثاني ففيه رد ما رجم السائل، لكن
لشدة الألم خفي عليه.

(1) اسم الشاعر في كفاية الطالب: 83 علي بن محمد بن علي الأصمعي، والبيان في:
كفاية الطالب: 84 «العدر يمحقه» و«الأمنت» العمدة: 855/2... فبالنعمي ×
إلا منت «وبلحقه». وفي الأصل: «تلحقه» و«منت» والأنسب ما أثبتناه. مطمح
الأنفس: 77.

(2) الكلام عن الاعتذار في: العمدة: 854/2 - 855 مع بعض التغير البسيط.

(3) في الأصل: «إقرار».

وَحَلَامُ الْمُظْلَمِ فَالضَّرِيحُ فِي أَنَّ دَعَاءَ تَوْبَةٍ كَمَا فِي حَرْبٍ مَالَهُ
 وَدَعَاءُ التَّوْبَةِ يَكُونُ مِنَ الشَّيْءِ اللَّاحِقِ، وَيَكُونُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ وَالْمَعْنَةِ بِمَا
 يَحْتَلُهُ بِمَوْضِعٍ مِنْ تَوْبَةٍ. فَالْأَوَّلُ: تَحَالُفٌ مِنْ لُوحْدٍ يَوْعِدُهُ، وَالثَّانِي: تَحَالُفٌ مِنْ
 سَهْرِ لِحَرْبٍ وَسَبَاحٍ مِمَّا تَمْتَلِكُهُ⁽¹⁾ السَّيِّغُ. وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ مِنْ
 شِدَّةِ الْحَرْبِ أَنَّ التَّوْبَةَ يَكُونُ مِنَ الْأَمْرِ. وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ شَتَاكَ عَلَى الْمَلِكِ
 أَخِي⁽²⁾ 126// إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّنَةَ أَمْنَةً يَنْتَهُ، فَكَانَ شَتَاكَ عَلَى⁽³⁾ لِحَرْبٍ
 عَلَيْكُمْ بِمَا عَدَّ اللَّهُ أَمْنَةً كَمَا يَحْتَمِلُ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ
 أَنْفُسُهُمْ⁽⁴⁾ (آل عمران: 154).

وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ يَكُونُ دَعَاءُ تَوْبَةٍ الْمُشْتَغَلُ بِشُرُورٍ طَلِيفٍ خَبَائِلِهِ، وَالْأَوَّلُ
 أَوْحَا. فَإِذَا كَانَ مِنْ شِدَّةِ الشَّيْءِ وَالْكَدِّ كَانَ الضَّرَرُ فِي بَقَائِهِ مِنْ لُوحْدِهِ، إِذَا كَانَ
 مِنْ شِدَّةِ التَّوَابُلَةِ التَّوْبَةِ، وَإِذَا كَانَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ وَالسُّرُورِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ
 سُرُورُهُ فِي تَوْبَةٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ شُرُّهُ أَيْضًا نَعْدًا يَنْقُصُهُ، لَكِنْ حَدَّثَ لَهُ فِي
 ذَلِكَ بِمَنْ حَزَنَ الشُّوقَ وَهُوَ لَا يَجِيعُ⁽⁵⁾ الْحُبُّ، وَمَنْعُهُمُ الْكَلَامَ الْقَلْبَ، فَانْقَلَبَ
 عَلَيْهِ بِأَلَمِ التَّذْكَارِ.

وَقَدْ يَكُونُ قَوْلُهُ: (وَالْحُبُّ يَغْفِرُخُ الْمُنَاتِ بِالْأَلَمِ) تَنْبِيْهُ⁽⁶⁾
 وَالْحُبُّ): بِضَمِّ الْحَاءِ. وَأَمَّا بِكَسْرِهَا: فَهُوَ نَفْسُ الْمَحْبُوبِ.

- (1) فِي الْأَصْلِ: «مَا يَسْتَدْلُهُ» وَلَعَلَّهُ تَحْرِيفٌ، وَالْأَنْسَبُ مَا اثْبَتَاهُ.
- (2) أَحَدُ جِبَلِ بَظَاهِرِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فِي شِمَالِهَا عَلَى مَقْدَارِ سِتَّةِ أَمْيَالٍ. يَنْفُذُ: مَسَحَ
 الْبِلَادَانِ: 109/1، الرُّوضُ: 13.
- (3) فِي الْأَصْلِ: «إِذْ يَغْشِيكُمْ النِّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ». وَهُوَ خِلَاطُ بَيْنِ
 الْآيَةِ/ 11 مِنَ الْأَنْفَالِ: «إِذْ يَغْشِيكُمْ النِّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ
 لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ»، وَالْآيَةُ 154 مِنْ آلِ عِمْرَانَ الَّتِي اثْبَتَاهَا.
- (4) الْمَحْرُوقُ لَعَجَ الْحُبِّ وَالْحُزْنَ فَوَادَهُ: اسْتَحَرَّ فِي الْقَلْبِ. ل/لَعَجَ.
- (5) التَّنْذِيلُ: هُوَ تَعْقِيبُ جُمْلَةٍ بِجُمْلَةٍ مُشْتَمِلَةٍ عَلَى مَعْنَاهَا لِلتَّأْكِيدِ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى
 «حَبِطَتْ بِهَا أَعْيُنُهُمْ» يَنْظُرُ الْحَقِيقَ عَلَى مَهَابٍ عَظِيمَةٍ 180/1.

واللذات) تابعة للملذذات، فهي الخس بها⁽¹⁾ والإشاد جامع
للشئ من القوى والغرائز، وتكل قوة غريزة، وتكل قهرية للذة، وأعلى اللذات
معرفة الله تعالى، وتكل تلبية لإجابها التي وهي القلب نور البصر، وهو العقل،
ويسمى: البصيرة الباطنة، وبها يدرك القلب المتعاني.

وفي البيت، (التغليل)⁽²⁾، وثقل مغير (التصريف) وقالة يحمر عن طيب
خيال مخويده خفيف (الذوق) قاصر به، فصره الخب الذي من شأنه الخواطر
اللذات بالألم.

وإن قيل: الخب إنما هو سبب لا سبب، لأنه سبب المحرقة،
والوهم سبب جلب الخيال، وإذا كان الخب سبباً⁽³⁾، فكيف يقول
سبباً لثور الخيال، إذ في ذلك جمع بين المتنافيين؟

قلت: وإن كان الخب سبب خليه، فلا يتخذ أن يثور له جهتان،
بل جهات:

من جهة تقوُّب التحدث للمخوي، فالخب ياهت على التذلل الحالب
للمخال، ومن حيث إن الخب سبب في عطفان القلب واضطرابه، وتحريك
لواحه، لتشتت قواه حتى يلبث غلة الأملاني، فتسجده فغاب الخيال الذي
سرى له في قومه (المزخلة)⁽⁴⁾ للذة الوصال، مع قلة تمكنه في توسل، إذ لو أنه من
أضلع صويت، ونفائته من أكثر من وجوده معاً، ويعد إزاءك تلك اللذة

(1) في الأصل: «بحبها» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(2) التحليل: وهو الذي يرد الحسنة لآخر حكم واقع أو متوقع فيقدم على ذلك صلة وقومه
لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول، ينظر: أسرار البلاغة: 257، سر الفصاحة:
257، الإيضاح: 518، خزائن ابن حجة: 1416، الطراز: 138/3، نهاية الأرب:
115/7.

(3) في الأصل: «سبب».

(4) في الأصل: «أدركه» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

يا ناس من النور والظلمة فغداً
 يخرج هذا النور من الظلمة في عهد علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا في عهد
 ١٩٤ لا يخرج من الظلمة في عهد علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا في عهد
 سنة ١٩٤ من عهد علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا في عهد
 من عهد علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا في عهد
 النوم، هل عليهما من غسل إذا رأته؟^(٣)

من عهد علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا في عهد
 ومينه قول الشاعر: (كامل)

لله يعلم ما أقول فإنيها
 جاهد الأليّة من مقيّر خاضع^(٤)
 ما لا يعلم من الظلمة والظلمة

انظر، هذا الاستغذار الحسن، في قوة قول الآخر: (وافر)

دعوت عليك لما ضاق صدري
 وقلبي قائل: يا رب لا

(١) الديوان: 191.

(٢) هي هند بنت سهل المعروف بابي أمية القرشي، المخزومية، من زوجات النبي عليه
 الصلاة والسلام، روت نحو 370 حديثاً. ترجمتها في: (الصفوة: 2/75، الإصابة:
 1309، الأعلام: 8/98).

(٣) البخاري: 1/308، مسلم: 1/250، الترمذي: 1/80، النسائي: 1/112،
 الموطأ: 79، مستند الشافعي: 1/18، شرح معاني الآثار: 3/43، نيل الأوطار:
 275/1.

(٤) البيتان لإبراهيم بن مهدي يعتذر فيها للمأمون وهما في: الأغاني: 10/115، من
 حنيف راكم. العمدة: 2/855، الألية: الاستطاعة. تاريخ الطبري: 1/151.

«قَدْ خَسِرَ» «وَقَدْ تَنَكَّرَ أَبُو عَلِيٍّ الشَّيْخُ»⁽¹⁾ مَلَعَتِ الْخُحَّةُ لِإِقَامَةِ الْقَلْبِ
بَعْدَ إِنْكَارِ الْجَنَائِدَةِ فَقَالَ: (مَنْسُوحٌ)

لَمْ أَجِنِ ذَنْبًا، فَإِنْ رَعَمْتَ بِأَنِّي جَنَيْتُ ذَنْبًا، فَعَيَّرُ مُعْتَمِدٌ
قَدْ يُظَرِّفُ الْكَفَّ عَيْنَ صَاحِبِهَا وَلَا يَرَى قُطْعَهَا مِنَ الرَّشِيدِ⁽²⁾

وفي اختيار المتعريف قد تَلَقَّطَتْ خَسِرَ، إِلَّا أَنَّ يَبْدُو لِنَحْنُ الْخَلَاءِ فِي
نَسْبِهِ إِيَّاهَا لِعَدَمِ الْإِنْصَافِ فِي لُومِهِ، وَلَا يَكُونُ عَلَامَةً صَحِيحًا إِلَّا لَوْ كَانَ
خَالِيًا بِمَوْجِبِ مَا وَقَعَ بِهِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ سَوَالَةً عَلَى جِهَةِ الْحَقِّ وَالشَّقَّةِ، لَا
عَلَى جِهَةِ الشَّيْخِ وَتَلَقُّفِ بَرِّهِ، تَكَلُّفًا لَمْ يَكُنْ فِي عِلَالِيهِ مَعْنَى (الْإِسْرَافِ)،
وَعَالَةً يُشِيرُ إِلَى أَنَّ عِلَّةً أَوْضَحَ مِنْ أَنْ يَخْطُرَ عَلَى السَّائِلِ، فَبَشَاءَ مَعْنَى
(الطَّلُوعِ)⁽³⁾ وَهُوَ إِذَا يُشَارَ بِهِ إِلَى الْمُنْقَلَبِ مِنْ تَعْدِيلِ مَعْنَى خَلَاءٍ، وَتَعْنِي
(الْعَيْدَ)، أَنْ يُنْقَلِ اللَّامُ إِلَى الْمَلُومِ بِوَسْطَةِ كَوَاوِمِ، وَبَشَاءَ أَيْضًا مَعْنَى
(الْعَتَابِ)⁽⁴⁾، إِلَّا أَنَّ الْعَتَابَ قِسْمَانِ مَعْنَى مَا يَرَى فِي أَمْرِ مُسْتَقْبَحٍ، فَيُؤَلَّوْ
إِلَى الْقَطْعِ (الْخَطِّ)، وَهَذَا إِذَا تَنَكَّرَ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ دَوَائِجِ الْأَلْفِ
وَالطَّحَةِ، وَهُوَ طَرُوفٌ خَفِيَ لِمُخْلَفَةٍ، فَمَعْنَى مَا يَسَارَحُهُ (الاستغفاف)، وَمَعْنَى
بِخُلَّةِ (الاحتياجِ) (الاحتضارِ)، وَقَدْ يَحْمِلُ فِي بَعْضِهِ (الْحَقُّ)
وَالْإِخْفَافُ

وَأَحْسَنُ النَّاسِ حِلَاقَةً فِي حَقِّ الْأَشْرَافِ مَا يَنْظُرُ الْمُنَاقِمَ فِي مَا (1)

(1) في العمدة: 855/2 «أبو علي البصير» وهو الفضل بن جعفر البصير، ويعرف أيضا
بالفضل النخعي، أصله من الأنبار، شاعر عباسي وكاتب مترسل بليغ، (ت 251هـ)
ترجمته في: (طبقات ابن المعتز: 397، نكت الهميان: 225). والبيتان ليسا في
شعر أبي علي البصير في مجلة المورد: ع 3/1972، وهما في كفاية الطالب: 11
العمدة: 855/2 «بأن جنيت» والثاني برواية: «قد تطرف».

(2) الكلام في العمدة: 855/2.

(3) ينظر: العمدة: 518/1.

(4) ينظر الكلام عن العتاب في: العمدة: 827/2 بتصرف.

من جهة المتكلم إلى السائل وقد قال أبو عبيدة البحرى⁽¹⁾ معاصياً على
 معصاة⁽²⁾: (متقارب)

مِنْهُنَّ الشَّرُّ تَأْتِي بِهِ وَأَنْهَى قَوْلَكَ أَنْ أَسْتَرِيحَ⁽³⁾
 وَأَكْرَهُ أَنْ أَتَمَادَى عَلَى سَبِيلِ اغْتِرَارٍ فَأَلْقَى شَعُوبًا
 أَقْبَلْتُ عَلَى بَأْسٍ لَمْ يَحْقَقْ وَمَا كُنْتُ أَهْبَهُ حَتَّى تَذُوبَا
 وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاجِدَةً لَمْ أَكُنْ أَلَمْ الْوُضْآنِ وَاسْتَوَى الْخَطُوبَا
 وَلَا بُدَّ مِنْ لَوْثَةِ الشَّجِي خَلَيْتُ بِهَا مَخْطَأً أَوْ مُصِيبَةً⁽⁴⁾

(وَجْهٌ وَخُورٌ لِلْقَدَرِ: السُّخَالُ وَفُورٌ مَا وَقَعَ بِلَهْ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مَا فُورَ
 بِشَاءٍ غَتًى وَوَضْعُهُ هَوَاءٌ 281) يَكُونُهُ قَدَرِيًّا، ثُمَّ لَهُ مَا قَعَدَ بِهِ وَخُورُ
 الْقَدَرِ، وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ تَهَيُّؤُ الْإِحْتِمَالِ، لِأَنَّهُ ثَمًا كَانَ حَيَّةً قَدَرِيًّا يَالِغٌ فِي
 الشَّرِّ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَتَرَأَى تَنَابُهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ فِي غِلْوَ شَاغٍ مِنْ حُبِّهِمْ مُدَّةُ
 اللَّيْلِ، حَتَّى يُلَاحِظَ بِهِمْ إِلَى الْمَوْتِ، وَإِذَا كَانَ مَقَامَهُمْ فِي قَوَائِمٍ ثَمًا مَعْلُومٍ،
 مَعَ حُبِّهِ عَلَى مَقَاسِ الْبَرِّ، وَمَحَافَظَتِهِ بِالْإِفْهَاءِ وَتَقْيِيهِ لَوْلَا الْبَحْثُ بِمَا لَا
 قُدْرَةَ لِي عَلَيْهِ مِنْ سِلَاقٍ فَلَعَنِي (تَحُولُ جَنَسِي) كَمَقْلَقَتِي لَمَلَّةً (الْبَحْثُ

فِي مَعْفُورَةٍ): خَيْرٌ مُبْتَدَأٍ مُضْمِرٍ.

(وَمِنْهُ): فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ، أَيُّ: مُتَوَجِّهَةٌ إِلَيْكَ.

وَالْإِلَاقَةُ تَعْلَقُ بِمَا تَسْخَرُونَ فِي مَحَلِّهِ وَتَصَحُّ تَعْلُقُهُ (مَعْفُورَةٌ) وَرَفَعُ
 (مَعْفُورَةٌ) أَحْسَنُ مِنْ تَطْيِئِهَا، عَلَى أَنَّ تَعْتِفَا سَالِغٌ، وَتَكُونُ الْعَامِلُ (مَعْفُورَةً)

(1) هو أبو عبادة البحرى الوليد بن عبد الملك بن يحيى الطائي، (ت 284هـ). ترجمته

في: (معجم الأديباء: 6/ 186، الأعلام: 6/ 253).

(2) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل والمقتول معه سنة: 247هـ. ينظر: معجم الأديباء: 6/ 186.

(3) الأبيات في ديوان البحرى: 1/ 152.

(4) الكلام في العمدة: 2/ 827 - 828.

مَسْلُومًا^(١) عَلَيْهِ مِنْ سَائِلِ الْعَلَامِ، أَيْ: أَقْبَلْ، لِحُجْرِ الزُّلْمِ أَقْوَى، إِذْ لَمْ يَكُنْ
 (مَعْدُومَةً) مَعَ الزُّلْمِ أَمْرٌ مَسْخُورٌ، وَانْتَبَهَتْ فِيهِ فَضْلُ الْمُضْطَرِّ، وَكَانَ اللَّامُ مَعَ
 إِسْمَارِ (أَقْبَلْ) أَوْ يَقُولُ: مَعْدُومَةٍ، لِحُجْرِ الْمُسْطَرَّةِ إِلَى قَضَائِهِ وَدَرْ السَّبِّ وَالْأَسْأَفِ
 حَاجَةً يَبْنِي إِلَى ذَلِكَ الْاضْطِرَارِ.

وَصَحَّحَ (مَعْدُومَةً) عَلَى أَنْ يَتَّخِذَ لُغَةً، وَيَكُونُ الْخَبَرُ فِي الْمَعْدُومَةِ
 الْمَقْدُومِ الدَّخِيمِ وَفَاءً يَقُولُ: لَا لَاحِي، أَمْرٌ مُتَعَدِّدٌ فِي الْقَوَى الْعُشْبِيَّةِ
 وَقَوْلُهُ: (يَلِي إِلَيْكَ)، أَيْ: يَخَافُكَ مِنْ مَا أَهْتَدَى بِهِ إِلَيْكَ أَنَّهُ فِي قَرْبِهِ
 عُذْرَةٌ فِي هَذَا الشَّانِ، وَلَا عُذْرَ أَكْبَرُ مِنْ كُؤُوبِي فِي دَرَجَتِهِمْ.

(وَأَمَّا جَاءَ - (الْوَاوِ) لِأَنَّهَا أَتَتْ عَلَى اللَّامِ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ بِالْقَاءِ، لِأَنَّ
 الْفَاءَ لَوْ جَاءَ بِهَا وَدَلَّتْ عَلَى السَّبِّ لَسَلَبَهُ عَنِ الْإِنْصَافِ بِلُومِهِ، وَخَطْمُ
 طَمْعٍ مَا سَأَلَ عَنْهُ، وَالْعَاصِي لِلشَّارِبِ أَجْمَلٌ مِنْ أَسْتَكْبَابِ مَا تَحْلِيهِ الْفُضَى
 بِهَ عِلْمِهِ، إِلَّا أَنْ قِيلَ أَنَّ الْمَسْئُولَ يَخْطَرُ مِنَ السَّائِلِ مَعْرِفَةُ الْعَمَلِ، وَنَظَرُ
 تَحْشُرٍ قَوْلُهُ: (وَلَوْ أَنْصَحْتَ لَمْ تَعْلَمِ)، وَكَانَتْ الْفَاءُ الْيَمَّةَ بِالْمَحَلِّ مِنَ الْوَاوِ
 وَهِيَ قَدْ سَمِعَ الْوَاوِ حَوْلَ تَحْشُرِ أَمْرِ الْخَبَرِ، كَذَلِكَ يَقُولُ: سَأَلْتُ عَنْهُ سَخَطُ
 جَلَّتْ، وَلَوْ أَنْصَحْتَ لَمْ تَعْلَمِ، لِأَنَّ السَّائِلَ مِنَ الشَّرَاءِ الْمَعْلُومِ يَتَّخِذُ لِأَحَدٍ
 الْمَرْبِي.

إِنَّمَا فَضْدُ قَضِيحَةِ الْمَسْئُولِ، وَتَوْفِيغِهِ عَلَى جَنَائِيهِ.

أَوْ يَتَّخِذُ مِنَ السَّائِلِ حُزْنًا مِنَ الْجَهْلِ، يَدَّ لَا يَسْأَلُ سَائِلًا إِلَّا بِطَمَعٍ
 يُخْطَرُ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ، وَالْعَاصِي أَلَّا يَقُولَ عَالِمًا، وَإِلَّا لَوْ كَانَ سَائِلًا خَاطِئًا
 لَكَانَ مَعْدُومًا فِي سُؤَالِهِ عَنْ حَالِهِ وَكَانَ اللَّامُ إِذْ ذَلِكَ أَوْ يَقُولُ: لَوْ عَرَفْتَ
 حَقِيقَةَ أَمْرِي، وَمَا انْقَلَبَ عَلَيْهِ مِرِّي، لَمْ تَعْلَمِ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «مَحْذُوفٌ مَدْلُولٌ».

وهي البيت شربة من معنى التضمين⁽¹⁾ وهو أن تُرد المحتار الكلام
لنر مذكوراً، لهذا يطمع على بعض، وتسهل استخراج قولها الشعر، إذا
كان كذلك، وتطفيه الضلعة، وتكتب البيت الذي يحوي به نية، وتوكله
وتعز على ثلاثة أقسام

أحدها ما وافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة من شعر البيت الأول،
نحو قول الشاعر: (كامل)

تلقى بالآية الأثر كأن هو لم يزل في حيتي (أي لا يقل عروضا)⁽²⁾
والآخر ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة من الآخر نحو قول
الشاعر: (طويل)

سبح إلى امر الغم بالمطم وجهه وليس إلى داعي التلى يسبح⁽³⁾
ويروى: (يشتم عروضا)، ف (سريع) في أوله وآخره، ومنه ما هنا.
والثالث: ما وافق آخر كلمة بعض ما فيه، كقول الآخر: (وافر)
عزيز بني سليم أقصدته سبام الموت وهي له سبام⁽⁴⁾ (5)
(28) // (اللائم) من (اللوم) يلف اللوم رافد المصنوع فهو (اللوم)
بالحسن تقول لا يوم لوما، سبام يلدوم سوما. وأما اللوم فهو نفس

- (1) بحث التصدير في: البديع: 97، الصناعتين: 385، المثل السائر: 252/1 تحت
اسم التجنيس معارضا الحانمي في فصله عن التجنيس، خزائن ابن حجة: 14/1.
- (2) البيت في: البديع لابن المعتز: 48 «تلقى»، العمدة: 572/1 «يلقى إذا ما الجيش ×
لا يضل». المنزوع البديع: 410، كفاية الطالب: 142، تحرير التحيير: 116 «إذا ما
كان يوم»، نهاية الأرب: 109/7.
- (3) البيت للأقيرس الأسدي في: ديوانه: 56، البديع لابن المعتز: 48، المنزوع البديع:
410، العمدة: 572/1، تحرير التحيير: 116، معالم الكتابة: 74 «يشتم عروضا».
- (4) البيت في: البديع: 48 «عميد بني سليم»، العمدة: 572/1، المنزوع البديع: 411
وبهامشه أنه لأشجع السلمي.
- (5) الكلام عن التصدير في العمدة: 572/1 باب التصدير.

الاسم: «اللائم» و«اللاجي» و«العاول» القاطن متراصة يسكن «الحي» ويختلف باختلاف: «أما «الواشي»: فهو الثمام، والخصر، وإذا كان من جنس الثمامين: سمي الخب، والمشتغل طائفة في الغيب العنقري من «اللائم». ويقال: إذا طلع ما يلام عليه، ولائم: إذا غلب عليه ولما كانت تربت الخب تتوارث، وأقوى مرتبة في الخب الغريم مرتبة من حلقة⁽¹⁾، خلية الثامم، ولذلك قيل: إذا استعد الخلق في الآخرة التواضع حياء لله

«الإضاف» العدل في الشيء، والرجوع إلى عين المارقة من غير مرد ولا جدال، ومنه إضاف الأحم: «هو إخطاء خلقه من غير مطلق ولا تراجع» والسعي على تركه أمور متعددة: من حب الرئاسة، أو من حسد يلهي الجاهل أن يقول الحق؛ ولذلك قال بعضهم: (بسط)

سهم لرب قلبه الإلصاف قاطعة بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم⁽²⁾ «الوا» من لئام الثامم، حرف الشجاج لوجوده، أن: أفسح الإلصاف لوجود النوم.

و(بلق): أنسام مذكورة في كتب أهل الصناعة النخوية⁽⁴⁾.



- (1) هم بنو عذرة بن سعد بطن عظيم من قضاة: جمهرة الأنساب: 419، صبح الأعشى: 396/14، معجم قبائل العرب: 768/2.
- (2) المطل: التسوية بالعدة والدين. ل/مطل.
- (3) البيت للمتبي في ديوانه: 161/4، ولو كانوا ذوي رحم.
- (4) ينظر: أوضح المسالك: 228/4، مغني اللبيب: 344/1.

عندك خالي لا سوي بمشفق
 عن الوشاة ولا داني بفلحسم⁽¹⁾
 شرح: هذا البيت من تمام (الكبير)، لأنه في معنى البيت المتقدم بزيادة
 ما فيه من الاستعطاف. والدعاء قبل المحاكمة من أدب التخاطب، كما يقول
 الطبيب: خالي - عافاك الله - كيئ وكيئ، فتصدّر بالدعاء قبل الشكوى.
 وفي البيت: رفع ما عسى أن يترتب غير⁽²⁾ المحاكمة من سبي اللسان إلى
 أن يثقل سماعة على المخاطب، فيعجز ما يقع باستعطاف ما سبّر. ويحوي
 الدعاء قبل المحاكمة نوعين: الدعاء الشكائي - يحسم الظاهر - فأبداً بما عسى أن
 يقع من غيب المخاطب - يفتح الظاهر - من خطورة الحكم. وقمر في الكلام
 التبعيض.

وقد يحدث أيضاً معنى عكس هذا المتقدم. وهو أن يحوي كلام
 المخاطب - يحسم الظاهر - إلا اقتضه بلي وتأملي يحدث في قلب المخاطب -
 يفتح الظاهر - أثناء الملاحظة بما يشأه غيب المخاطب - يحسم الظاهر - وقد
 قدّر الله جلّ وعزّاه. «حقاً الله حكيم» في أدب الهداية السرية (١٩٢) وقد استعمل
 الشعراء من لهذا المترع كثيراً⁽³⁾:

قَالَ بَعْضُهُمْ: (كامل)

يَا حَاجَ لَا لَاحَظَ لَدَيْكَ مُجَوِّدِي
 أَمِي ثَلَاثَ بِصَلَّةِ السَّعِيدُونَ⁽⁴⁾
 وَلَا تَأْخُذْ بِأَلْذِي حَدَّثْتُ بِهِ
 غُرُرَ مُنَوَّرَةٍ وَعَنْجُ عُيُونِ

(1) الديوان: 191.

(2) في الأصل: «من».

(3) في الأصل: «كثير»؛ ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(4) عنج العيون: ملاحظتها. ل/ عنج.

وَقَالَ الْآخَرُ: (رمل)

لَا بَلَاكَ اللَّهُ يَا صَاحِبَ مَا
يَنْقُذُ الصَّدَّ وَيُبْدِي مَقْلَهُ
عَاقِبِي مِنْ عَجْرِ طَيِّ أَعْيَدِ⁽¹⁾
بِرِصَالِي مِنْ عَدِ إِلَى عَدِ
وَهَذَا فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّدِينَ كَثِيرٌ.
وَقَوْلُهُ: (عَدَتَكَ خَالِي)، أَي: تَجَاوَزَتَكَ.

وَحِينَ أَنْ يَكُونَ قَصْدُهَا 3301// الصريح، لما يقال المائل الخليل
لجسك ما أصابني ومن كلام الخليل بن أحمد⁽²⁾ وحسن الله تعالى خبره
الخرق بالقسمة غرور الشعر قلاد، هل عقل أجي، فقال له الخليل: «سعد»
لو كنت تعلم ما القول علمني أو كنت تعلم ما تقول عدلتك
لكن جهلت مقالتي لعلمتني وعلمت أنك حامل لعلمك
وتحليل أن تكون قالها على جهة المحاسبة، وهو البتة بالنسبة،
والسبب لمحاسبة أهل الرأي الفضل والثواب. والمضى الأول ينظر إلى شعر
الأمم: «لا تنظروا إلى قلوب الناس فالحكم أرباب، وانظروا إلى قلوبكم فالحكم
عبد». إنما الناس مشغل ومغامر. فارتحسوا أهل البلاء. واسألوا الله
الْعَاقِبَةَ⁽³⁾.

(1) ينفذ: ينتهي وينقضي. الصد: الهجر. المطل: التسويف. ل/ صد. مقل، نفذ.

(2) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي الحمدي أبو عبد الرحمن،
من كبار أئمة اللغة والأدب، (ت 170هـ)، ترجمته في: (إنباء الرواة: 1/ 111)،
وفيات الأعيان: 1/ 172، الأعلام: 2/ 314. والبيان في: شعر الخليل: 16، له
النثر: 136 «لكن جهلت مقالتي فسيبني». لباب اللباب: 75 - 76، شرح مقامات
الحريري: 2/ 99، شرح ديوان المتنبي: 3/ 292، الكشكول: 148 «أو كنت أعلم
ما تقول عدلتك».

(3) الموطأ: 839، قال مالك بن نفع: «ومن كلام عيسى ابن مريم... الأثر...». مصنف
ابن أبي شيبة: 7/ 65، الترغيب والترهيب: 3/ 344، الزهد لنهاد: 2/ 532. شرح
الزرقاني: 4/ 519.

وَالْحَالُ: مُؤَنَّثَةٌ، وَتَرَادُفُهَا التَّالِ، وَالْحَالُ جِنْدُ الْمُتَكَلِّمِينَ مَعْنَى أَيْتَ
نَفْسُهُ، وَالتَّكْرَارُ الْخُرُودُ⁽¹⁾.

وَقَوْلُهُ: (لَا سِرِّي بِمُسْتَعْتَبٍ) يُشْمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ مَا خَالَطَ بِهِ
الشَّيْءَ، وَيُشْمَلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَقْدِيرِ سَوَالٍ ضَرَرٍ يُلْغِي لِقَوْلِهِ: (عَقَبْتُ خَالِي)،
عَلَى قَوْلِهِ لِمَالِكٍ: وَمَا خَالَكَ؟ لَقَالَ: لَا سِرِّي بِمُسْتَعْتَبٍ لِقَوْلِهِ: وَلَا فَاثِي
بِسَمِ: عَلَى الْأَوَّلِ، لَا يَتَقَوَّى الْغَرِيبُ بِالْوُشَاءِ لِلْمُخَاطَبِ الَّذِي قَرَأَ السَّائِلُ
الْأَهْلِي، وَعَلَى الثَّانِي: بِمَعْنَى تَعْرِيفِ الْغَرِيبِ مِنَ التَّضَرُّجِ، ثَمَّانَهُ يَقُولُ: إِنْ رَأَيْتَ
مَنْ حَذَرَ مِثْلَ أَنْ يَخَافَهُ؟ لَمْ يَلَمْ يَحَافِ، وَأَلْهَمَ مَا اشْتَرَى مِنْ أَسْرِ بِلَا طَبِي.

(الْوُشَاءُ): جَمْعٌ وَاقِي، وَهُوَ التَّكْلَامُ، وَلِحَافِ بِالسَّيْفَةِ فِي أَحْوَالِ
السَّحْرِ.

(السُّرُ): مَا أُخِذَ مِنْ سَرَارِ الْوَادِي، وَهُوَ نَقْنَانُهُ، وَتُسْتَعْمَلُ فِي الْأُمُورِ
الْخَفِيَّةِ، رَأَيْتُ السُّرِّيَّ الْخَلَاةَ، وَفِي مُقَابَلَةِ مَنْ لَوْفُ الْأَسْرِ عُلُفٌ، وَشَتَّى
الْخَلَاةَ سِرًّا لَخَطَّ بِقَضِيهِ الْأَعْظَمِ، قَالَ لَمْ تَعْلَمْ: «وَلَكِنْ لَا تَزِيدُهُنَّ سِرًّا»
السُّرُ: السُّرُ، أَيْ: بِخَافَةٍ، وَشَتَّى عَقَبْتُ الْإِسَاءَةَ سِرًّا، قَالَهُ يَعْقُوبُ بْنُ
السَّكَيْتِ⁽²⁾ فِي «إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ»⁽³⁾.

يُشْمَلُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ شَمًا جَاءَ بِهِدَ الْإِسَاءَةِ وَالْثَّلَاطِ فِي الْحَرَابِ
شَيْدًا لَمْ يُجِدْ أَنْ يَجْتَنِبَ بِهِ عَلَى السَّائِلِ يَسًا بِقَوْلِهِ يَعُذُّ مِنْ عِلْمِ شَمَاعِ قَوْلِهِ:

(1) ينظر تفصيل الكلام في المسألة في: شرح المقاصد: 366/1 - 381.

(2) هو يعقوب بن إسحاق بن السكيت أبو يوسف، لغوي نحوي كوفي، (ت 244هـ).
ترجمته في: (طبقات اللغويين والنحويين: 202، وفيات الأعيان: 309/1،
الأعلام: 195/8).

(3) في إصلاح المنطق: 21 «السُّرُ: النكاح». وفي تهذيب الإصلاص: 64 «والسر ذكر
الرجل». وكتاب إصلاح المنطق: كتاب جليل في بابه عليه عدة شروح. أخرجه دار
السكة العربية، كشف الظنون: 108/1، بروكلمان: 206/2.

وَارْتِكَابِ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ فِي صَمَمٍ عَمَّا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَهُ عَنِ
الْإِقْلَاعِ عَلَيْهِ. وَأَهْلُ الْهُوَى فِي هَذَا الشَّانِ عَلَى أَمْرَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يُسْرِعُ بِتَكْذِيبِ
الْوَشَاةِ، وَيُضْرَحُ⁽¹⁾ بِكَذِبِهِمْ لِلْمَحْجُوبِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (مديد)

كَذَبَ الْوَأَيْسِي الَّذِي نَقَلَا أَنْ قَلْبِي عَنْكُمْ انْتَقَلَا
وَادَّعَى فِي الْحُبِّ غَيْرَكُمْ لَا وَحَقَّ الْحُبِّ مَا فَعَلَا
كَيْفَ وَالْإِحْسَانُ يَمْنَعُهُ أَنْ يَرَى مِنْ حُسْنِكُمْ بَدَلَا

وَهَذَا الْمُنَزَّعُ لَا يَلِيقُ بِمَا صَدَرَ مِنْ هَذَا السَّائِلِ، إِذْ لَمْ يُنَمِّ عَنْهُ، وَإِنَّمَا
عَرَضَ بِمَا يَكْشِفُ حَالَهُ، وَهُوَ بِمَا يَشْرُدُ عَنْهُ الْمَحْجُوبُ، لِأَنَّ كَشْفَ السَّرِّ فِي
شَرِّعِ أَهْلِ الْهُوَى حَرَامٌ؛ وَلِذَلِكَ تَجِدُهُمْ يَكْنُونَ عَنْ أَحْبَابِهِمْ بِالشَّجَارِ
وَبِالظُّلُمَاتِ؛ أَلَا تَرَى قَوْلَ الشَّاعِرِ: (كامل)

إِنْ بُحْتُ بِأَسْمِكَ فَالْمَعَادُ جَرَاتِي إِلَّا إِذَا قُطِعَتْ لَطْفِي أَحْسَابِي⁽²⁾
[31]// فَاهُمْ مَا عِنْدِي إِذَا ذَكَرْتُكَ لِي أَبْدِي ضَوَارِفَ رَغَمِهِمْ وَأَرَاتِي
وَإِذَا أَقَامُوا شَاهِدًا مِنْ أَدْمَعِي وَأَوَارِ زُفْرَةَ دَاخِلِ الْأَحْشَاءِ
وَأَسْتَظْهِرُوا بِأَدْلَةٍ شَهِدَتْ لَهُمْ مِنْ مَقْتَضَى أَنْفَاسِي الصُّعْدَاءِ
أَخْفَيْتُ أَذْوَاءَ الْهُوَى وَأَخَذْتُ فِي إِظْهَارِ بَعْضِ ظَوَاهِرِ الْأَذْوَاءِ

فَهَذَا أَظْهَرَ تَجَلُّدًا عَلَى الْكُتْمِ، وَلَمْ يُوَافِقْ عَلَى أَنَّ مَا ظَهَرَ مِنْ شَوَاهِدِ
الْحَالِ عَلَيْهِ أَنَّهَا مِنْ أَجْلِ مَا زَعَمَ الْوَشَاةُ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ فُسُوقَ حُبِّ الْمَحْجُوبِ
يُسْقِطُ الْوَقَارَ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ: (رمل)

الصَّبْرُ أَوْلَى بِوَقَارِ الْفَتَى مِنْ قَلْقِ يَهْتِكُ سِتْرَ الْوَقَارِ⁽³⁾

(1) في الأصل: «تصرح»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(2) اللطفي: النار، وقيل: اللهب الخالص. زفرة: من الزفير وهو أن يملأ صدره غمًا ثم يزفره ويخرجه. ل/زفر، لظي.

(3) البیتان لغانم المخزومي المالقي في: مطمح الأنفس: 60 - 61، نفح الطيب: 3/ 398 «ملك»، «على حاله»، وفي 603/5 «من قلق».

مَنْ لَزِمَ الصَّبْرَ عَلَى حَالِهِ كَانَ عَلَى أَيَّامِهِ بِالْخِيَارِ
وَقَالَ آخَرُ: (طويل)

أَجُودُ بِمَكْنُونِ التَّلَادِ وَإِنِّي بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَأَلَنِي لَضْنِينَ⁽¹⁾
وَعِنْدِي لَهُ يَوْمًا إِذَا مَا اتَّمَنَّتْهُ فُوَادٌ بِسُودَاءِ الْفُوَادِ كَنِينِ
وَقَدْ بَلَغَ الْأَمْرُ بَعْضَهُمْ حَتَّى كَانَ مِنْ مُبَالَعَتِهِ فِي التَّسْتَرِ يُظْهِرُ مُعَادَاةَ
مُحِبُّوهِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (كامل)

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَرَدْتُ بِهَجْرِكُمْ إِلَّا مُسَاتَرَةَ الْعَدُوِّ الْكَاشِحِ⁽²⁾
وَعَلِمْتُ أَنَّ تَسْتَرِي وَتَبَاعُدي أَبْقَى لَوْصِلِكَ مِنْ دُنُوِّ فَاضِحِ
وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْأَسْلُوبِ الَّذِي سَلَكَهُ النَّاطِلُ؛ بَلْ مِنْ أَسْلُوبِ آخَرٍ، وَهُوَ
أَسْلُوبُ بَعْضِهِمْ: وَهُوَ الْإِفْرَارُ بَعْدَ الْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ. وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْإِفْرَارَ قَبْلَ
الْإِطْلَاعِ، وَالْإِبَاحَةَ بِالْمُحْبُوبِ سَفْسَفَةٌ وَخُرُوجٌ عَنِ شَرْعِ الْهَوَى. وَمَا زَالَتْ
الْأَكَابِرُ تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى قَبْضَ أَرْوَاحِهَا عِنْدَ الْإِطْلَاعِ عَلَى انْقِطَاعِهَا إِلَيْهِ. فَإِذَا
بَاحَ بِالسُّكْرِ مِنْ قَهْوَةِ الْمَحَبَّةِ كَانَ أَسْهَلَ مِنَ الْإِبَاحَةِ دُونَهَا. وَيُقَالُ: بَاحَ بِالسُّرِّ
وَأَبَاحَ، أَيُّ: أَبَاحَ هَتَكَ أَسْتَارَ الْمَحَبَّةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الْقَائِلُ: (طويل)

سَكَّرْنَا قُبْحَنَا فَاسْتُحِلَّتْ دِمَاؤُنَا أُيَقْتَلُ بَوَاحٍ بِسِرِّ الَّذِي يَهْوَى؟⁽³⁾
وَمَا السُّرُّ لِلْأَخْرَارِ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَكِنْ إِذَا رَقَّ الْمُدَامُ فَمَنْ يَفْوَى؟

(1) البيتان لقيس بن الخطيم الأنصاري في: ديوانه: 82 «أجود بمضنون... × ...»
عما سألني كنين» و«يكون له عندي إذا ما ضمنته × مقرر...» الأمالي: 202/2
«اتمتنتي × مكان... مكين». الحيوان: 183/5، المستطرف: 107/1 «لضنين»،
تفسير القرطبي: 242/19 «بمكنون الحديث». شرح الشافية: 185/4 - 186.

(2) البيان للعباس بن الأحنف في: ديوانه: 94 «إلا مصانعة العدو» و«إن تباعدي
وتستري × أوفى لوصلك». زهر الآداب: 1018/4. «أبقى لوصلك». مصارع
العشاق: 116/2 «إلا مساترة العدو» و«أدنى لوصلك»، الموشى: 63 - 64.

(3) المشهور أن البيتين ينسبان لأبي الحسين بن منصور الحلاج. لم أجدهما في ديوانه.
المدام: الشراب.

وفي البيت: (الجمع والتقسيم)⁽¹⁾، واستبعدته من وجوه أن أهل
 الصناعة اشترطوا في ذلك أن يكون أحد قسمي التقسيم المتقدم فبيئاً لا
 مجزئاً، وأما إن قدموه مجزئاً، ثم أوصحوه، كان (توضيحاً)⁽²⁾، والأمر
 في ذلك قريب. وجعلوا من التوضيح قول النبي ﷺ: «يُسَيِّبُ ابْنُ آدَمَ
 وَبِشْتِ مِثْلَ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ، وَحُبُّ الشَّيْبِ، وَيَتَوَثَّ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ.
 وَتُرَوَّى: وَاللَّهُ يَتَوَثَّ عَلَى مَنْ تَابَ - وَفِي بَوَايِئِ الْحَرَصِ وَالْأَقْلِ»⁽³⁾. وقال
 بعض الأشباح: إن قوله ﷺ: «يُسَيِّبُ ابْنُ آدَمَ وَبِشْتِ مِثْلَ اثْنَانِ: حُبُّ
 الْمَالِ وَحُبُّ الشَّيْبِ، وَاللَّهُ يَتَوَثَّ عَلَى مَنْ تَابَ»، إنه كان قرأناً ونسخت
 بلاؤه.

ومن التوضيح (طول)

سقني ليل شبيهة بشعرها مداماً كخديها بغير رقيب⁽⁴⁾
 لما رأيت في ليل شعر وظلمة وشفتين من حمرة ووجه حبيب
 أو التوضيح قريب من التقسيم، وعند التدقيق يقع الفرق بينهما فإن
 التقسيم لا يشترط فيه أن يكون المبحر الذي يقسم اثنين، بل قد يكون
 جماعة، كما قال الشاعر: (طول)

- (1) ينظر: العمدة: 599/1، الإيضاح: 505 - 512.
- (2) ينظر: البيان والتبيين: 1/115، نقد الشعر: 63، الصناعتين: 382، سر الفصاحة: 187، يديع ابن منقذ: 45، المثل السائر: 2/359، الطراز: 7/3، الإيضاح: 6/25، نهاية الأرب: 7/137.
- (3) البخاري: 22/206، مسلم: 2/725 و3724، الترمذي: 3/389 - 390، أحمد: 11699، كشف الخفاء: 2/528 - 537، شعب الإيمان: 7/266، الزهد لابن المبارك: 1/87، الفردوس: 5/519.
- (4) البيان لعبد الله بن المعتز في ديوانه: 2/40 وفيها عدة روايات، ينظر تحريجها في الديوان، ورواية الديوان:

سقني في ليل شبيهة بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
 فبت لدى ليلين بالشعر والدجى وصباحين من كأس ووجه حبيب

1321// فقال قريبُ القومِ لا، وفريقُهُم نَعَمْ، وفريقُ قال: ويحك ما نَدري⁽¹⁾
 هكذا أنشدَهُ ابنُ رَشِيْدٍ في كتابهِ المَوْسُومِ بـ (العُفْدَةِ)⁽²⁾. وَيُنْشِدُهُ بَعْضُ
 النُّحَاةِ: (طويل)

فَقَالَ قَرِيبُ الْقَوْمِ لَمَّا نَشَدَتْهُمْ نَعَمْ، وَقَرِيبُ يَمِينِ اللَّهِ مَا نَدْرِي⁽³⁾
 وَلَعَلَّهُمَا يَتَانِ لِشَاعِرَيْنِ. وَبِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)
 مَا كَمَدِي يَفْسَى وَلَا لِكَ رَقَّةٌ وَلَا غَنَّاكَ إِفْصَارٌ وَلَا فَيْكَ مَظْنَعٌ⁽⁴⁾
 وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ يَصِفُ فَرَسًا: (طويل)
 لَهُ الْبَلَا طَبِي، وَسَافَا نَعَامِيَّةٌ وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ، وَتَقْرِيبُ تَنْقُلٍ⁽⁵⁾
 وَهُوَ مِنَ الْبَدْعِ مَا جَاءَ مِنْ كَلَامِ الشُّعْرَاءِ فِي التَّقْسِيمِ، حَتَّى زَعَمَ
 الْفَرَزْدَقُ⁽⁶⁾ أَنَّهُ أَكْمَلُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ، أَوْ قَالَ: أَخْمَعُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ⁽⁷⁾
 وَمِمَّا يَفُحُّ بِهِ الْفَرْقُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ بَيْنَ التَّوْشِيحِ وَالتَّقْسِيمِ: أَنَّ التَّقْسِيمَ لَا
 يُقَدِّمُونَ فِيهِ الْحُكْمَ عَلَى الْمُجْمَلِ، بَلْ يَأْتُونَ بِالْحُكْمِ بَعْدَ تَفْصِيلِ الْمُجْمَلِ.

(1) البيت لنصيب بن رباح في ديوانه: 94 «أيمن الله ما ندرى». نقد الشعر 139،
 البدیع: 61، المنصف: 57. هذه رواية أهل البلاغة.

(2) العمدة: 600/1، باب التقسيم.

(3) سيوريه: 147/2، الجمل: 73، أبيات المغني: 268/2، وصف المباني: 43، ابن
 يعيش: 35/8 «أيمن الله»، وهذه رواية أهل النحو.

(4) البيت في كتاب الحارثي حياته وشعره: 67 «أيلى ولا لك رحمة»، حلية المحاضرة
 149/1، العمدة: 506/1، الحماسة البصرية: 114/2، المعاهد: 308/2،
 ونسب ليكر بن النطاح في: البدیع: 93 «تهدا ولا فبك رحمة»، التذكرة: 329،
 الأغاني: 105/19.

(5) الديوان: 21، حلية المحاضرة: 243/2 برواية: «وأرجل سرحان».

(6) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، ترجمته في (الشعر والشعراء).
 371، الأغاني: 324/9، الموشح: 99، معجم الأدباء: 297/19، وفيات
 الأعيان: 86/6، مرآة الجنان: 234/1.

(7) الكلام عن التقسيم في العمدة: 605/1 - 606 مع تغيير في الترتيب.

فَيَعْمَلُونَ كُلٌّ قِسْمًا مِنَ الْأَجْزَاءِ الْمُنْقَسِمَةِ. وَالتَّوَسُّيَةُ بِحُكْمٍ عَلَى الْمُجْمُوعِ
الْمُحْتَمِلِ حُكْمًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُفَضَّلُونَ، فَيَذْكُرُونَ كُلٌّ وَاحِدٌ مَقْرُونًا بِحُكْمِهِ الَّذِي
بِخَصَّةٍ. وَتَمِيلُ بَلِ الْحُكْمِ وَاحِدٌ، وَقَدْ قَدِّمُوهُ قَبْلَ التَّفْصِيلِ؛ انْظُرْ قَوْلَ
الشَّاعِرِ: (طويل)

وَكَلَّفْتُ حَاجَاتِي شَبِيهَةً طَائِرٍ إِذَا انْتَشَرَتْ فَلَتْ لَهَا الْأَرْضُ تَنْطَوِي⁽¹⁾
إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْعَتْ، وَإِنْ أَذْبَرَتْ كَبَتْ، وَتَغْرِضُ طَوْرًا فِي الْعَنَانِ فَتَسْتَوِي
انْظُرْ كَيْفَ حَكَمَ عَلَيْهَا أَوَّلًا، ثُمَّ فَضَّلَ، وَمَا فَضَّلَ كَانَ تَبَالًا لِمُجْمُوعِ مَا
حَكَمَ بِهِ أَوَّلًا.

وَقَدْ قَدِّمَ النَّاطِقُ قَدَمَ اسْتِهْتَارِ بَرِّهِ عَلَى عَدَمِ الْحَسَامِ دَانِهِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنْ
الدَّاءَ مَقْرُونًا عَمَّا⁽²⁾ وَغَرَّ فِي الضُّلَيْ، مِمَّا أَوْحَبَ الْأَكْتِنَامَ فَهُوَ مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ
السَّبَبِ عَلَى الْمُنْسَبِّ.



(1) البيتان لابن رشيق القيرواني في ديوانه: 233 باختلاف ترتيب. التنف: 83، العمدة:
1/ 603، أقعت: جلست على مؤخرتها. كبت: انكبت. العنان: سير اللجام.

(2) في الأصل: «عن ما».

مَحْضَتْنِي النَّضْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْغُذَالِ فِي صَمَمٍ⁽¹⁾

شرح: (مَحْضَتْنِي) فَلَنَا النَّضْحَ، أَي: أَخْلَصْتُهُ. وَيُقَالُ: أَمَحَضْتُهُ، فَيَسْتَعْمَلُ ثَلَاثِيًا وَرُبَاعِيًا وَيُقَالُ: مَحَضَ بِكَسْرِ الْحَاءِ وَفَتْحِهَا مُتَعَذِّيًا إِلَى وَاحِدٍ فَإِنْ قَصَدَتْ بِ (مَحِضَ) بِكَسْرِ الْحَاءِ: شَدًّا، كَانَ لَازِمًا.

و (النَّضْحُ) فِي اللُّغَةِ: الْإِخْلَاصُ. وَفِي اسْتِثْنَالِ الشَّرْعِ: بَذْلُ الْوُسْعِ فِي مَا يُتْلَعُ مِنَ اسْتِشَارِكَ، أَوْ مَنْ قَصَدَتْ نَفْعُهُ. وَتَقُولُ: نَضَحْتُ التَّوْبَةَ نَضَاحَةً، فِيهِ ضَوْحٌ، أَي: خَلَصْتُ بِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمُخَالَفَاتِ. وَنَضَحَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ، أَي: خَلَصَ. وَكَانَ الْمَسْئُولُ هُنَا أَخَذَ بِحِمْدِ السَّائِلِ بِظَاهِرِ الْحَالِ، وَكَانَتْ يَقُولُ: عَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَعْنِي فِي مَا قَصَدْتَ، وَلَا تَخْدَعُنِي فِي مَا بِهِ تَكَلَّمْتَ، لَعَنِي تَابِعَ مَا قَرَّرْتُهُ سَرِيعَةُ الْهَوَى مِنْ غَدَمِ سَمَاعِ الْغُذَالِ، فَإِنَّ أَهْلَ النُّحْبَةِ بِضَامٍ مِمَّنْ عَنْ سَمَاعِ نَضَحِهِمْ، فَأَنَا أَصَمُّ عَنْ سَمَاعِ نَضْحِكَ.

وقد فهم من قوله: (مَحْضَتْنِي النَّضْحَ) أَنَّهُ سَمِعَهُ لَكِنْ بِمُقْتَضَى اللُّغَةِ. وَقَوْلُهُ (لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ) يَعْنِي: عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحُبِّ وَالْهَوَى، فَيَكُونُ قَوْلُهُ (لَسْتُ أَسْمَعُهُ) عَلَى جِهَةِ الْمُبَالَغَةِ حَتَّى إِنَّهُ الْزَلَّ الْمُسْتَوْعُ مَنْزِلَةً مَا لَمْ يَسْمَعْ، فَلَا يَعْمَلُ بِمُقْتَضَاهُ، وَطَرُخَ الْعَمَلَ بِمُقْتَضَاهُ كَذَابٌ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا الْبَتَّةَ. وَلَمَّا اسْتَشْعَرَ تَوَجُّعَ سُؤَالِ عِتَابِي، إِذْ يَقُولُ لَهُ: أَصَمَّ بِكَ خَلْقَةً، أَمْ مَاذَا؟ عَلَّمَهُ فَقَالَ: إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْغُذَالِ فِي صَمَمٍ.

[133]// وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ أَهْلَ الْهَوَى فِي أَحْوَالِهِمْ مَعَ الْعَادِلِينَ [أَطْوَارًا]⁽²⁾:

(1) الديوان: 191.

(2) فِي الْأَصْلِ: «أَطْوَار».

مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَقِلُ مَعَ عَدَمِ سَاعَةِ عَذْلِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَلُومُ عَدْلَهُ وَيُخْطِلُهُ. وَمِنْهُمْ
مَنْ يَفْرُ لَه. وَيُضَدِّقُهُ فِي مَقَالِهِ. وَيَسْتَعْدِلُهُ عَنْ عَدَمِ إِفْلَاحِهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ (خفيف)

رَاحَتِي فِي مَلَامَةِ الْعُدَّالِ وَشَغَانِي سَوَّالَهُمْ عَنْ حَالِ⁽¹⁾
لَا يَطِيبُ الْهَوَى وَلَا يَخْسُنُ الْحُ
بِسَمَاعِ الْأَذَى، وَعَدْلِ نَصِيحِ،
وَعَنَابِ، وَمَخْرِبِ، وَتَغَالِ
وَقَالَ آخَرُ: (كامل)

خَلُّو الْعِنَابِ يُهَيِّجُهُ الْإِذْلَالُ لَمْ يَحُلْ إِلَّا بِالْعِنَابِ وَصَالِ⁽²⁾
لَمْ يَهْوِ قَطُّ، وَلَمْ يُسَمِّ عَاشِقًا
وَقَالَ الْآخَرُ: (طويل)

أَقُولُ لِأَصْحَابِي وَهُمْ يَغْدِلُونَنِي وَعَزْبُ جُفُونِي دَائِمُ الْعَبْرَاتِ⁽³⁾
بِذِكْرِ مَنَى نَفْسِي قَبْلُومًا إِذَا دَنَا
وَقَوْلُ النَّازِمِ: (إِنَّ الْفُحْبَ عَنْ الْعُدَّالِ فِي ضَمَمٍ) يَحْتَمِلُ وَحْشِينَ:

- الْوَجْهَ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ جَاءَ بِهِ تَفْرِيعًا لِمَا [فِي] ¹⁴⁴ قَلْبِ السَّائِلِ مِنْ عِلَّةِ
عَدَمِ سَاعَةِ نُصْحِهِ، هَلْ لِعَدَاوَةٍ بَيْنَ السَّائِلِ وَالْعَادِلِ حَتَّى إِنَّهُ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى
حَدَثِي فِي نَصِيحَتِهِ؟ لَكِنْ هَذَا لَا يَسْمُ، لِمَا قَدَّمَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ السَّائِلَ مُحَضِّضُ
النُّصْحِ، وَلَمْ يَخْدَعْ.

(1) الأبيات متسوية للتصوير في «زهر الآداب»: 44/1. «مقالة للعدال» وشغاني في
فيلهم بعد قال «والصب»، ديوان الصائفة: 218 يرواها «وشغاني في دولهم لا تغالي»
و«وعناب وكاشح ومطال»، نفحات الأزهار: 148.

(2) البيت في «زهر الآداب»: 45/1 «ولم يسم عاشق» قال الحصري. وشبه بيت علي
الآخر بيت أنشد في شعر روي لأبي نواس، ورواه قوم لعنان جارية الناطقي وهو:
«... وأورد البيت».

(3) البيتان بدون نسبة في: «زهر الآداب»: 49/1 «ودمع جفوني».

(4) لا توجد كلمة «في» في الأصل، ولعلها سقطت والأنسب للمعنى إثباتها.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَصَلَ عِنْدَ السَّائِلِ أَنَّ الْمُسْئِلَ قَدْ تَحَقَّقَ إِخْلَاصُ
نُصِيحِهِ، لَكِنْ تَشَوَّلَتْ نَفْسُهُ لِتَغْلِيلِ غَدَمِ سَمَاعِهِ - وَإِنْ كَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ صِدْقِهِ -
فَاجْتَمَعَ بِسُفْتَنَظِي شَرَعَ أَهْلُ الْهَوَى أَنْ السُّحْبَ لَا يَنْشَعُ نَصِيحَةً عَازِلٍ، وَإِلَّا
فَلَيْسَ بِسُحْبٍ، فَقَالَ: (إِنَّ السُّحْبَ عَنِ الْغُذَالِ فِي ضَمِّهِ). وَكَانَ اللَّائِي أَنْ
يَقُولَ: إِنَّ السُّحْبَ عَنِ النَّصَاحِ، لِأَنَّ مُرْتَبَةَ الْعَازِلِ دُونَ مُرْتَبَةِ النَّاصِحِ، وَقَدْ
سَنَاهُ أَوَّلًا مُخْلِصًا فِي نُصِيحِهِ.

وَمِمَّا قَوْلُهُ: (إِنَّ السُّحْبَ عَنِ الْغُذَالِ فِي ضَمِّهِ) زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ
(الْأَنْثَاءُ) ^(١)، لِهَذَا إِنْ قُصِدَ بِهِ (السُّحْبُ) نَفْسُهُ، وَأَمَّا إِنْ أَرَادَ أَنْ شَرَعَ أَهْلُ الْحُبِّ
أَنْ مَنْ يَتَّصِفُ بِهِ يَكُونُ فِي ضَمِّهِ عَنِ سَمَاعِ كَلَامِ الْغُذَالِ، فَلَا يَتَغَكَّرُ لَهُ
الْأَنْثَاءُ كُلُّ التَّمَكُّنِ.

وَالْأَنْثَاءُ: هُوَ (الْإِغْتِرَاضُ) عِنْدَ قَوْمٍ، وَمَسَاءُ الْخُرُونِ (الْإِسْتِعْرَاقُ)،
حِكَاةُ قِدَامَةٍ، وَسَبِيلُهُ: أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ آخِذًا فِي تَعَتُّي، فَيَغْرِضُ لَهُ عِبْرَةً،
فَيَعْتَدِلُ عَنِ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي، فَيَأْتِي بِهِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْأَوَّلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْلُ
بِالثَّانِي فِي شَيْءٍ، بَلْ يَكُونُ مِمَّا يَشُدُّ الْأَوَّلَ، كَقَوْلِ كُنَيْزٍ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
وَيَكْنَى أَبَا ضُمْرَةَ ^(٢): (وَإِذَا)

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْعِطَالَ ^(٣)

(١) حجة في: نقد الشعر: 58، بديع ابن المعتز: 160، العمدة: 636/1، الصنائع: 292،
بديع ابن منقذ: 6، المفتاح: 227، المثل السائر: 4/2، التبيان: 127،
روضة الفصاحة: 42، الطراز: 131/2، ابن حجة: 59/1، نهاية الأرب: 16/7،
حسن التوصل: 56.

(٢) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، شاعر غزل مشهور
(ت 105هـ). ترجمته في: (الشعر والشعراء: 419/1، الأغاني: 4/9، وفيات
الآعيان: 382/3، الأعلام: 219/5).

(٣) البيت في ديوانه: 507 مع الأبيات المفردة. وفي ص 517 مع الأبيات المفردة
القوافي: «العطايا» ينظر العمدة: 637/1، كفاية الطالب: 191، الشريشي: 2/234،
المطال: التسريف.

فَقَوْلُهُ: (وَأَلَتْ مِنْهُمْ) اغْتِرَاضُ كَلَامٍ فِي كَلَامٍ. وَجَعَلَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ (١)
هَذَا بَدَأً عَلَى حَدِيثِهِ (٢). وَهُوَ الَّذِي يُظْهِرُ بَادِيَ الرَّأْيِ، النَّظَرُ إِلَى قَوْلِ
الشَّاعِرِ: (وَأَفَرُ)

مَنْى كَانَ الْحَبَابُ بِدِي طُلُوحٍ سَقَبَتِ الْعَيْثُ ابْتُثَّهَا الْحَيَامُ (٣)
فَانْتَقَلَ مِنَ الْعَيْنَةِ إِلَى الْخَطَابِ، عَكَسَ مَا فِي بَيْتِ الْقَصِيدِ وَلَا شَكَّ أَنَّ
(الْإِلْتِفَاتَ) مِمَّا يُظْهِرُ الْمَسْمُوعَ فِي أُذُنِ السَّامِعِ.

وَتَشْبِيهُ مَا فِي الْبَيْتِ بِ (التَّغْلِيلِ) أَشْبَهُ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِ (الْإِلْتِفَاتِ). [34]
و (التَّغْلِيلُ) فِي كَلَامِهِمْ كَثِيرٌ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (سَبْطُ)

إِنْ كَانَ حَطْلُكَ ذُرًّا فَلَيْسَ ذَلِكَ نُحْرًا فَإِنْ كَفَّكَ بَحْرٌ وَالْبَحْرُ يَقْدَفُ ذُرًّا (٤)
وَمَا أُنْدَعَ هَذَا الْبَيْتَ، كَيْفَ عُلِّلَ وَأَفَادَ فِي نَفْسِ التَّغْلِيلِ صَدَقَ جَعْلُهَا
عُمْدَةَ التَّغْلِيلِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا قَضَدُ الْمُتَكَلِّمِ.

وَعَايَةً مَا فِي بَيْتِ النَّاضِمِ أَنْ تَعْلَنَ عَنِ التَّكَلُّمِ إِلَى الْعَيْنَةِ لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى
التَّغْلِيلِ، قَالَهُ مُقْصُودُ بَيْرُخْرَجِهِ إِنَّمَا هُوَ التَّغْلِيلُ، وَهُوَ فِي مَا تَرُخَّرُجَ إِلَيْهِ أُلْبَغُ مِمَّا
لَوْ عُلِّلَ مَعَ بَقَايِهِ عَلَى التَّكَلُّمِ. إِذْ قَدْ يُقَالُ: لَيْسَ هَذَا مِنْ دَأْبِ السُّجَّيْلِ، وَهِيَ
طَرِيقَةُ التَّكَبُّبِ وَلَمْ تُسَاعِدْ عَلَيْهَا، فَلَمَّا عُدِلَ إِلَى حَبِزِ الْعَيْثِ عَمَ التَّغْلِيلِ كُلُّ

(١) هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، خليفة شاعر
مبدع. ترجمته في: (الأغاني: 374/10، وفيات الأعيان: 285/1، أشعار أولاد
الخلافة: 107 - 296).

(٢) الكلام عن الالتفات في العمدة: 636/1 - 63.

(٣) البيت لحرير بن الخطفا في ديوانه: 385، وهو من شواهد الالتفات في: مجاز
القرآن: 246/2، كفاية الطالب: 191، العمدة: 639/1، المنصف: 224/1،
روضة الناصحة: 255. ومن الشواهد اللحوية في: المعني: 482، شرح المفصل:
33/9، الجنى الداني: 172، ذو طلوح: موضع في حزن بني يربوع بين الكوفة
وفيد. ينظر: معجم البلدان: 39/4.

(٤) البيت بدون نسبة في التبيان: 211.

مِنْ لَالَةِ الْوُصْفِ الْمُنَاسِبِ؛ إِذْ تَغْلِيظُ الْحُكْمَ عَلَى الْوُصْفِ الْمُنَاسِبِ مُشْعِرٌ بِعَيْتِهِ
ذَلِكَ الْوُصْفِ لِذَلِكَ الْحُكْمِ. وَلَمَّا عَلِقَ صَمَمَ السَّامِعِ عَنِ الْعُدَالِ عَلَى الْخُبِّ
دَلَّ عَلَى أَنَّهُ حُكْمٌ عَمَّ كُلَّ مَنْ اتَّصَفَ بِالْحُبِّ.

وَالْتغْلِيلُ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ وَالْمَوْلَدِينَ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (خفيف)

بِكُرٍّ صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ السَّجَاحَ فِي التَّجْكِيرِ⁽¹⁾

وَحَاءُ النَّظْمِ بِ (فِي) الَّتِي تَقْتَضِي الرِّعَايَةَ، فَاتَّقَصَّتِ اللَّفْظَةُ أَنَّ الصَّمَمَ عَنِ
الْعُدَالِ أَحَاطَ بِمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَأَنَّهُ مَظْرُوفٌ لِهَذَا الظَّرْفِ الَّذِي هُوَ
الضَّمُّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ: (يَا لَايْمِي فِي الْهَوَى الْغُذْرِي مُغْذِرَةٌ)⁽²⁾. إِنَّ
قُلْنَا إِنَّ (فِي الْهَوَى) [خَيْرًا]⁽³⁾ لَمْ (مُغْذِرَةٌ) وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الْوَادِي الَّذِي
أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ.

وَأَزْدَفَ النَّظْمُ الْجَمْلَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَتُسَيِّبُهُ بَعْضُهُمْ (تَذِيلًا).

وَقَوْلُهُ: (لَسْتُ أَسْمَعُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ) جُمْلَةٌ وَكَدَّتِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَفِي
مَعْنَاهَا: وَمِثْلُهُ: «وَقَدْ حَمَّ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ إِنَّ الْفَيْلَ كَانَ رَهْوَةً»⁽⁴⁾
(الاسم: 181). وَفِي الْإِثْنَانِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَقِبَ الْأُخْرَى فَايْدُهُ
عَقِبَتُهُ، لِوَلَا الْإِثْنَانِ بِهَا لَمْ يُفْهِمَ ذَلِكَ الْمَعْنَى: وَذَلِكَ أَنَّ النَّظْمَ لَوْ
اِخْتَصَى بِقَوْلِهِ: (لَسْتُ أَسْمَعُهُ) لَتَوَقَّعَ السَّامِعُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا اخْتَصَرَ بِهِ
السَّكَلُ، فَلَمَّا جَاءَ بِالْجُمْلَةِ عَقِبَهُ تَحَقَّقَ أَنَّ الْحُكْمَ عَامٌّ فِي جَنْسِ
الْمُحِبِّينَ، وَأَنَّ هَذَا شَأْنُ السُّجْبِ، كَمَا أَنَّ الرُّهُوقَ مِنْ شَأْنِ كُلِّ بَاطِلٍ
وَأَلْسَا بَيَّنَّتِ الْحَقَّ.

(1) البيت لشار بن برد في ديوانه: 170، دلائل الإعجاز: 197، نهاية الأرب: 147،
مفتاح العلوم: 172.

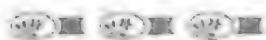
(2) الديوان: 191.

(3) في الأصل: «خبراً».

وفي البيت معنى آخر وهو (الاستخدام)⁽¹⁾ وهو أن يأتي الشاعر بكلمة تدل على معنى وتقع في أذن السامع، لكن لم يقرر بها الحكم المقصود من المتكلم، فإذا جاء بكلمة بمضنون ما قصد غلب السامع أن المعنى المقصود ما أفصح به الجملة الثانية. وذلك أن الناظم لما قال: (لست أسمع) حصل في أذن السامع أنه لم يسمع، فقد بطل أن من ألم حل ياله السمع فلما علل بقوله: (إن المحب عن الغدال في ضم) غلب الناصح أن كلامه قد حصل في أذن السامع، وإنما أراد بقوله: (لست أسمع) لا لعل في الأذن، بل لأمر آخر من شرع أهل الهوى، وهو يدعي.

وقد يستعمل (الاستخدام) في استعمال الجملتين في حالين فيكون اللفظ الأول: استعارة اللفظ، والجملة الثانية أوضحت معناه، فحللت الجملة الثانية الجملة الأولى في استعمال معناه واستنطاق نحوها.

[351]// والضمير المستفاد بـ (أسمع) يعود على (الناصح)، أي اللفظ الذي أوضحت به، إذ هو متعلق بالسمع.



(1) بحث الاستخدام في: بديع ابن مفيد: 42، التمهيد: 248، الإيضاح: 502، ابن حجة: 52/1، تحوير التعبير: 275، نهاية الأرب: 143/7، أنوار الربيع: 97/1، حسن التوسل: 71.

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذْلِي وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نَصِيحٍ عَنِ التَّهْمِ⁽¹⁾

شرح: هذا البيت من بعض ما أجاب به. وفيه معنى (التَّهْمُ) ⁽²⁾، وهو كثرته القليل. ما عملت إلا خيراً، ولكن اتركني ونفسي، ما اتعظت بالنصيح الذي لا تدركه تهمة، فكيف يكلامك؟ وأيضاً فإن المنصوح لما استشعر نرجه اللوم عليه لاستضعافه نصحه ورأيه في ما رأى، مع قوته في ظاهر الأمر، وجريه على قواعد النصيح المحمود، أخذ يشهد بالاستعداد خجلاً بما قال هنا، وما يقول في الذي بعده. أما ما قال هنا، فإنه يقول: قد نصحتي من لا الهة، وهو الشيب الذي هو نذير الموت، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَحَآكُمُ الْمَرِيءُ﴾ الماطر ⁽³⁾، إنه الشيب ⁽⁴⁾، وقد عصيته لأمر ركب في جبلتي، ولقد نكسني عابسي حتى عصيته. فكيف تظن أن يعمل نصحك في من عصي نصيح الشيب؟ ويدل على صحة ما هدى الشيب إليه، وما دل عليه: ضعف قواي، واختلال حسي، وكلاهما من ذواعي الهرم، والهرم قليل الموت؛ ومع قوة دلالة ما ذكرت عابسي النفس، لحب تنعيم أغراضها، وموافقة شهواتها، ومخالفة نصيح نصائحها فانزل الشيب منزلة الناصح.

وفي البيت: شيء من لحن الخطاب، إذ معناه: إِنِّي اتَّهَمْتُ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّهَمَ، وهو داخل في النصيح، وبعيد من الغش؛ وقد قال الله تعالى حكاية

(1) الديوان: 191 «عذل».

(2) اتَّهَمَ: من تهكمت البئر إذا تهدمت. وهو عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في موضع الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء ينظر حقه في: ابن حجة: 98/1، حسن التوصل: 89، أنوار الربيع: 195/1.

(3) ينظر: تفسير الطبري: 142/12.

عن إبراهيم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَتَرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ﴾ [الأنعام: 182] ما يجب
 الخوف، وهو إشراككم، فكيف أخاف ما لا ضرورة فيه، وهو تأمير الخوف؟
 وفيه أيضاً: حسن التخليص⁽¹⁾ من السبب إلى ما قصد من الوعظ الذي
 جعله سُلماً إلى الخروج⁽²⁾ إلى الممدوح.

وأشد (النضج) إلى (السبب)، وسناه (نذيراً)، والظاهر أنه استغارة،
 ولما كان السبب علامة على نقص عشر من حل السبب برأسه ولحيته، فقد
 علم أنه انتقص من عشره. وكذلك سناه عاذلاً، إذ قولة: (في عذلي)، أي:
 في عذله يأتي؛ فنبه المصنف إليه يدل على لحاق الحكم، إذ الأحكام تابعة
 لمعاليتها.

ويصح أن يكون هذا من باب تسمية الشيء بما يشبهه، كقولك في
 الرجل الكريم: يا حاتم، وفي الفصيح: يا زهير. ومن كلام أهل العصر: هذا
 لا يغة أهل زمانه، أي: فصيحها فيكون السبب لما كانت دلالة على ضعف
 القوى، وقرب الأجل، تقوم مقام من قال لرجل: قد ضعفت قواك، وقرب
 أجلك، فأسد إليه الاسم الذي يستحقه من هو يشبهه، وإن كانت دلالة السبب
 بسائر الحال، ودلالة ما شبه به بلسان المقال.

أو يقال: هو من باب ما يقع بين المتلازمين من تسمية المتسبب باسم
 السبب، والعكس والعلة باسم المغلول، واللازم باسم المتلزم، والعكس؛
 وذلك أن الصنوة تقطع السنة العاذلين، والسبب ينقط القول لهم؛ فكان وجود
 السبب سبباً في قول من يغلل ويلوم، فكان من باب تسمية السبب باسم
 المتسبب؛ قال الشاعر: (طويل)

(1) العمدة: 412/1، الإيضاح: 597.

(2) ينظر: ابن منقذ: 109، قواعد الشعر: 50، العمدة: 412/1، الصناعتين: 398،
 الطراز: 11/3، الإيضاح: 445، نهاية الأرب: 119/7.

وَلَيْسَتْ قَوْمِي أَحَدٌ الدُّفُرُ فِيهِمْ وَعَهْدُهُمْ بِالنَّائِبَاتِ قَرِيبٌ⁽¹⁾
 1361/ فَإِنْ بِكَ مَا قَالُوهُ حَقًّا فَإِنَّهُمْ كَرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتِ تَسُوبُ

وَلَمَّا كَانَ قَطْعُ الشَّاعِرِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْهُمْ أَلْهَمَ أَهْلَ صَبْرِ عَلَى التَّوَابِ.
 وَتَسَبَّحَهُمْ كَوْنُهُمْ [كِرَامًا]⁽²⁾، فَأَقَامَ سَبَبَ الصَّبْرِ مَقَامَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ
 مُرَادَهُ لَمَسَدَ الْمُعْصَى، إِذْ يَكُونُ التَّقْدِيرُ: كِرَامٌ عِنْدَ النَّائِبَاتِ. وَمَقْهُومُهُ أَنََّّهُمْ عِنْدَ
 غَيْرِ النَّائِبَاتِ لَيْسُوا كَذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَانْقِلَبَ الْمَدْحُ هَجْوًا، وَإِنَّمَا أَرَادَ
 أَنَّهُمْ كِرَامٌ، فَيَحْمَلُهُمْ كَرَمُهُمْ عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ النَّائِبَاتِ، إِذْ ذَاكَ مِنْ خِصَالِ
 الْكِرَامِ. وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ الْعَرَبِ: (رَغَبْنَا الْعَيْثَ)، لِأَنَّ الْعَيْثَ لَمَّا كَانَ سَبَبًا فِي
 نَائِبَاتِ النَّبَاتِ اسْتَدْلُوا رَغَبَتَهُمْ عَلَيْهِ. وَقَدْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي لَارِمٍ سَبَبِ الْمُسْتَبِ
 أَلَا تَرَى قَوْلَ الشَّاعِرِ: (وَأَفِر)

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَغَبْنَا قِيَامًا عَضَابًا⁽³⁾
 وَالْمُرَادُ - (السَّمَاءُ): السَّحَابُ، وَالسَّحَابُ حَاجِلُ الْعَيْثِ، وَالْعَيْثُ سَبَبُ
 النَّبَاتِ، فَذَكَرَ الشَّاعِرُ أَنَّ السَّرْعَى السَّمَاءَ، الَّذِي هُوَ السَّحَابُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ
 يَكُونَ هَذَا مِنْ بَابِ حَذْفِ الْمُضَافِ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ. أَيْ: رَغَبْنَا
 نَائِبَتَهُ، ثُمَّ حَذَفَ النَّبَاتَ، وَأَطْلَقَ الضَّمِيرَ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ.

(1) الجنان لجزء من صوار في شرح للمعزوقي 344/1، وشرح للششمري: 134/1
 «وحدثت x بالحادثات». «فإن بك حقاً ما أتاني».

(2) في الأصل: «كرام».

(3) البيت نسب في المعلقة: 456/1، وتحرير النخب: 458 لتحرير بن عطية وليس في
 ديوانه. ونسب في تاج العروس (سما) للفرزدق وليس في ديوانه. ونسب في:
 الفضليات: 697، والأصمعيات: 214 «إذا نزل السحاب»، والافتصاب: 320،
 وعيار الشعر: 84، والموشح: 245، وتفسير القرطبي: 1/216 لعمود الحكماء
 معاوية بن مالك وهو غير منسوب في: تأويل مشكل القرآن: 135، المقاييس: 3/
 98، الأماشي: 1/181، الأشباه والنظائر: 2/228 «إذا وقع الربيع»، والبرواية
 الكثرى فيه: «إذا سقط». وفي معجم الشعراء: 391 «إذا نزل الغمام».

والجسلة من قوله. (والشئب أبعد) حالة. والتقدير: والحالة في الشئب هذه. (أبعد) من أسماء التفضيل، فهو مرفوع. وأما من جعله صالحاً لأن يقرأ بفتح الدال بعيداً.

(انضح)، فنحز، ويصح بإضافته إلى ياء المتكلم، لكن تكبيره أعم، وأبلغ في وصف الشئب بالبعد عن التهمة.

(المضاف إليه) (الشئب) مخلوق، للعلم به، تقديره⁽¹⁾ والشئب أبعد شيء.

وفي هذا البيت: (الرجوع عن الاسترسال)⁽²⁾ وهو أن ينقطع المتكلم عن كلام له معنى إلى كلام يتأخر ما هو فيه. وذلك أنه أخير أنه اتهم الشئب ثم أخيراً بأن الشئب بعيد عن التهمة. ففيه تكذيب لنفسه، والرجوع عما قرره وهو معنى حسن يبلغ، وهو يأتي مفهوماً، ويأتي صريحاً:

أما الإتيان به مفهوماً: إما من الآية، وإما من اللفظ نفسه العاري عن الآية. أما ما هو مفهوم من الأداة، فكقول امرئ القيس: (طويل)

ألا زلت يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل⁽³⁾
لأداة تدل على التثليل، وسيأتي الكلام بذلك على أن هذا القليل كثير، لأنه في معرض التأخر.

(1) العبارة مكررة في الأصل هكذا: «تقديره التقدير».

(2) ينظر: ابن المعتز: 108، الصناعتين: 395، تحرير التعبير: 331، نهاية الأرب: 151/7، ابن حجة: 65، حسن التوسل: 76.

(3) الديوان: 10. ويروى بالحركات الثلاث في «يوم» وهو من الشواهد النحوية. يوم بدارة جلجل: من أيام العرب المشهورة، ينظر: مجمع الأمثال: 32/4، دارة جلجل: قيل بالحمى، ويغمر ذي عنده، وبين شعبي، وبين حسلات، وبين وادي المياه، وبين البرادان، وهي دار الضباب مما يواجه نخيل بني فزارة. ينظر معجم البلدان: 426/2.

وَمِنْ الصَّرِيحِ: (طويل)

الْبَيْتُ قَلِيلًا تَطَرُّهُ إِذَا نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ، وَكَلَّاءُ مِنْكَ لَيْسَ قَلِيلًا⁽¹⁾

وَقَدْ تَكُونُ الْقَلَّةُ وَالْكَثْرَةُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (كامل)

لَمَّا كُنْتُ أَفْنَعُ بِالتَّوَاضُّعِ مِنْهُمْ وَالْيَوْمَ أَفْنَعُ بِالْخَيَالِ الزَّائِرِ

فَلَمَّا كَانَ الْكَبِيرُ عِنْدَهُ قَلِيلًا بِحَسَبِ ظَفِيرِهِ بِالصَّخْبِ وَوَضْلِهِ، فَلَمَّا انْقَلَبَ

الرَّوَضُ مَجْرًا، وَالتَّوَرُّبُ بَعْدًا، فَنَعُ بِمَا يَزُودُ فِي السَّامِ، وَرَأَهُ كَثِيرًا بِحَيْثُ أَنْ يَكُونَ مَقْنَعًا بِهِ،

(عَنِ الثُّهْمِ): يَصِحُّ تَعَلُّقُ هَذَا الْمَجْزُورِ بـ (أَبْعَدُ)، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ

يَتَعَلَّقُ بِسُخْدُوفٍ عَلَى صِفَةٍ (نُضِجَ) إِذَا كَانَ مُتَكَرِّرًا.

(وَالْمَشِيبُ): مَا اخْرُجَ مِنَ الْاِخْتِلَاطِ، يُقَالُ: شَيْبَ اللَّيْلُ بِالنَّوْمِ، أَيْ:

خَلَطَ - وَمَتَّ - بِمَا يَدُورُ مِنْ شَيْءٍ، أَيْ: غَيْرِ مُخْتَلِطٍ. وَالشَّيْبُ وَالْمَشِيبُ شَيْءٌ

وَاحِدٌ. وَقَالَ الْأَصْبَعِيُّ⁽²⁾: «الشَّيْبُ» سِيَاحُ الشَّعْرِ، وَالْمَشِيبُ: دُخُولُ الرَّجُلِ

فِي حَدِّ الشَّيْبِ⁽³⁾. قَالَ الشَّاعِرُ: (مَجْزُوءُ الْبَيْتِ)

(137) تَضَبَّرَ وَأَتَى لَكَ التَّضَابُّيَ وَالرَّأْسُ قَدْ شَابَ الْمَشِيبُ⁽⁴⁾

(1) البيت لبريد بن الطثيرة في شعره: 87، الأمالي: 196/1. وقال الحصري: «أنشد

محمد بن سلام هذه الأبيات وزعم أنها لأبي كبير الهذلي. ورويت لبريد بن الطثيرة

وغيره». في الأغاني: 319/5. «أنها لأعرابي من بني عقيل». ونسب في السمت:

1/415 للعباس بن قطن. البديع: 120 «لكن».

(2) هم عبد الملك بن قريش بن أصمع الباهلي، أبو سعيد، راوية العرب وعالم لغتها

وشعرها وبلدانها. (ت216هـ). ترجمته في: (تاريخ بغداد: 410/10، وفيات

الآعيان: 1/218، نزهة الألباء: 150، الأعلام: 4/162).

(3) الكلام في: الصحاح للجوهري: 1/159.

(4) البيت لعبد الأبرص في ديوانه: 45 «فأنى» و«أنى» وقد راعك. وقال ابن بري في

النسب: 101/1 «زعم الجوهري أنه لعدي»، وبهامشه: «أننى الصاغاني في التكملة

نسبه إلى عدي بن زيد أو عدي بن الوقاع، وحقق نسبته إلى عبيد الأبرص».

وقد ذكر الناظم الشيب في هذا البيت وكأنه في بيت عنده يحكم
العربي، إذ ما قصد إلا تخطئة الصبح، وذكره بغد يأنقض الداعي، إذ قصد
به تخطئة نفسه في مخالفتها إياه وكأنه أشع على الصبح، وأياش له من قبول
سطه، إذ هو يقول: ما اتعظت بس لا يتهم في عفته، فكيف بك؟

وذكر في البيت المتأخر (التعريض)⁽¹⁾ بوجوب ضيافة الشيب وبروره،
وملاحظات بالأعمال الصالحة، وللناس في ذكر الشيب هي تسبهم طرق، وقد
أكثرُوا مِنْ ذَلِكَ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (خفيف)

يا زمان المشيب صيرت خدي علة خسر الخدود ميئاً وهراً
خلد منيما رائتي قلل سخفاً بغد أهلاً يقلنه لي وسهلاً
وهو كما قيل: إن جارية مر بها شيخ طامعاً في تزويجها، فرحبت به
وقالت: يا عم ما حاجتك؟ فاستخفى الشيخ، ولم يفتضح بخطبتها، وقال: (وافر)
أنا مل رجعة الشباب سفهاً وقد صار الشباب إلى ذهاب⁽²⁾
فلبت الباكيات بكل أزمير جمن لنا بشحن على الشباب
وقال: (سيط)

ما تنقضي حسرة بني ولا ندع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع⁽³⁾
أبكي شباباً سليتاه وكان وما توفي به قبسة الشبا ولا تسع

(1) ينظر: العمد: 510/1، تحرير التعبير: 550، ابن حجة: 117/1، أنوار الوبيع: 292/1.

(2) البيهقي لأبي الغصن الأسدي في: شعر بني أسد: 124/1، زهر الآداب: 704/3
«فتحن». وفي السمت: 337/1، ومعاهد التنصيص: 186/2 «سار الشباب».

(3) الأبيات لمنصور النمري في شعره: 96، الأغاني: 145/13، السمت: 336/1.
وفيه رواية: «ولا جزع». في أمالي المرنضى: 62/3 و 187/4 «كان ولا × توفي
بقيته». ط ابن المعتز: 245 «أودى الشباب». الأغاني: 151/13 - 153. خاص
الخاص: 89 «كنه غرته». أخبار أبي تمام: 27 «ما كنت أعطه». وفي الحماسة
الشجرية: 812/2 - 813، المحب والمحبوب: 251/4، طراز المجالس: 110،
وأحسن ما سمعت: 120 «حتى مضى».

مَا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ غُرَّتِهِ
وَقَالَ: (سريع)

لَا تُلَحْ مَنْ يَبْكِي شَبِيبَتَهُ
غَيْبُ الشَّبِيبَةِ يَخْفَى بِسَكْرَتِهَا
لَسْنَا لَرَأَاهَا حَقَّ رُؤُوسِهَا
كَالْشَّمْسِ لَا تَبْدُو فُضِيلَتُهَا
وَلَرُبَّ شَيْءٍ لَا يُبَيِّنُهُ
وَقَالَ: (بسيط)

إِنَّ الشَّبَابَ جَسُورٌ فِي تَصَرُّفِهِ
فَفِي الشَّبِيبَةِ أَخْلَاقُ السَّبَاعِ وَفِي
وَقَالَ الطَّائِي: (خفيف)

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالتَّمَارِقِ بَلْ جَ
يَا نَيْسَبَ [الشُّغَام] ذَنْبُكَ أَبْقَى
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلاً
وَقَالَ: (بسيط)

أَتَيْتُ شَبَابَكَ مِنْ لَهْوٍ وَمِنْ طَرَبٍ
فَحَيُّرُ عَيْشِ الْفَتَى رَيْعَانُ جِدَّتِهِ
وَقَالَ: (خفيف)

حَتَّى انْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعٌ

إِلَّا إِذَا لَمْ يَبْكِيهَا بِدَمٍ⁽¹⁾
مِقْدَارُ مَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ
إِلَّا أَوَّانَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
حَتَّى تُغَشَّى الْأَرْضُ بِالظُّلَمِ
وُجْدَانُهُ إِلَّا مَعَ الْعَدَمِ

وَالشَّيْبُ يَنْهَى وَيُبْدِي حِلْيَةَ النُّذْرِ
عُمْرُ الْمَشِيبِ نَذِيرُ الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ

لَمْ فَأَبْكِي لِمَاضِراً وَلِغُوباً⁽²⁾
حَسَنَاتِي عِنْدَ الْجِسَانِ ذُئُوباً⁽³⁾
جَاوَزَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْباً

وَلَا تُصَيِّحُ لِمَلَامٍ سَمِعَ مُكْتَرِبٌ⁽⁴⁾
فَالْعُمْرُ مِنْ فَضِيَّةِ وَالشَّيْبُ مِنْ خَبَثٍ

(1) الأبيات لابن الرومي في ديوانه: 102/6 - 103 «عول سكرتها» الحماسة الشجرية 2/

815 «إلا زمان الشيب والهزم» و«لرب فعل» الغول. الهلاك. وغلته الخمر. ذهبت بعقله

(2) الديوان: 158 - 161. تناصر ولعوب: أسماء نساء.

(3) في الأصل: «الشغاف». وفي جميع الروايات «الشغام»: وهو نوع من النبات إذا بيس
يشبه به الشيب.

(4) البيان لأبي الفضل المكيالي في زهر الأدب: 4/972. يتبسة الدهر: 1/227.

مَنِ سَنِيهِ سَمَانَةٌ لِعِدَانِي وَهُوَ نَاعٍ مُنْعَصٍ لِحَيَاتِي⁽¹⁾
 وَتَعِيبُ الْخِصَابِ قَوْمٌ وَفِيهِ لِي أَنْسُ إِلَى خُضُورٍ وَقَاتِي
 [38] // لَا وَمَنْ يَغْلُمُ السَّرَائِرَ مِنِّي مَا تَطْلُبْتُ خَلَّةَ الْغَانِيَاتِ
 إِنَّمَا رُمْتُ أَنْ يُعَيِّبَ عَنِّي مَا يُغَيِّجُ الْهُمُومَ وَالْحَسَرَاتِ
 وَهُوَ نَاعٍ إِلَيَّ نَفْسِي، وَمَنْ ذَا سَرَّهُ أَنْ يَرَى وَجُوهَ الشُّعَاتِ
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَنَّ الْخِصَابَ لَا يَعْنِي شَيْئًا، لَكُونِ الْجِلْدُ يَنْكَمِشُ
 وَيُكَذِّبُ الْخِصَابَ: (خفيف)

لَيْسَ تُغْنِي شَهَادَةُ الشَّعْرِ الْأَمْرَ وَدَ شَيْئًا إِذَا اسْتَشَرْتُ الْأَدِيمَ⁽²⁾
 أَقِيرْجُو مُسَوَّدٌ أَنْ يُزَكِّي شَاهِدُ الْخُصْبِ؟ أَيْنَ ظَلُّ الْخَلِيمِ؟
 لَا لَعْمَرِي مَا لِلْخِصَابِ لِيذِي الْأَبْرَ صَارَ إِلَّا الْكَذَائِبُ وَالشَّائِمِ
 يُدْعَى لِلْكَبِيرِ شَرِخُ شَبَابٍ فَذُ تَوَلَّى بِهِ الشَّبَابُ الْقَدِيمِ
 وَالشَّبَابُ الدَّعَى الْأَحْبَ الْكَدِيمِ بَأَ إِذَا كَذَّبَ السَّوَادُ الضَّمِيمِ
 وَقَالَ آخَرُ: (طويل)

كَمَا لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نُجِيلَ شَبَابَنَا مَشِيئًا وَلَمْ يَأْتِ الْمَشِيبُ تَعَذُّرًا⁽³⁾
 لَكَ بِمَعْنَى إِحَالَةِ شَبَابِ شَبَابًا إِذَا ثَوَّبَ الشَّبَابُ تَحَرُّرًا
 أَبِي اللَّهِ تَذْيِيرَ ابْنِ آدَمَ وَحْدَهُ وَأَتَى يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَّا مُدَبَّرًا
 وَلِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا لَا يُحْصَى حُرَّةً.

(1) الأبيات لعبدان الأصفهاني في زهر الآداب: 272 / 4 «منعص لي حياتي». المنتحل
 23، لباب اللباب: 117، البيعة: 310 / 3.

(2) الأبيات لابن الرومي في ديوانه: 170 / 6 برواية: «ليس تغني الشعر السود شيئاً»
 «الخطر» ولعله تصحيف «وقد تولى به الرمان الهيم» و«السواد المخطوب» وفي
 زهر الآداب: 972 / 4 برواية: «الخصب» و«إلا التكدب» و«السواد الدعي»

(3) الأبيات لابن الرومي في ديوانه: 204 / 3 برواية: «كذلك تعيينا» و«نفسه × وألا»
 وفي زهر الآداب: 973 / 4 برواية: «لم يأت» و«نفس × وأنى».

فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهزم⁽¹⁾

شرح: من هنا نزع الناظم عن مكابرة السائل، وتصدى لتحقيق حجتة، وإن الحق معه وإنما حملته على ذلك نفسه الأتارة بالسوء، فإن نذير الشيب لما كان أكبر واعظ، أخذته الناظم في عارضة دم النفس، وأنها أكبر حاهل، لأن نذير الشيب لا ينبغي لغافل ترك سماعه، فإنه يثبت الغافل، ويذكر الحاهل، (النفس): نفس: نفس أتارة بالسوء، وهي الشهوانية، التي هي من جند الشيطان، والنفس السطوتية، التي هي من جند الرحمن. وقد ذكر صاحب «المعارف»⁽²⁾ أن الخواطر متعددة، فذكر منها الخاطر الرباني، والملكوتي، وهذان الخاطيران لا يأمران إلا بالخير، والخواطر السلطاني بأمر بالرياسة وظلمها، والخواطر الشهواني يطلب ملاذ النفس، والخواطر الشيطاني يطلب مخالفة الأمور السخوة.

(الباء): متعلقة بـ (اتعظت). وبه تعلق (من) السفيضة معنى التعليل، وفي لانتها الغاية كقولك: أفاق من سكرته، واستيقظ من سته؛ وعلى هذا المعنى لا يلزم منه أن نذير الشيب عندها مجهول، بل قد يكون معلوماً، وإنما انهمكت في عيها جرأة وعمداً.

وأما إن جعلنا (بنذير) تعلق بـ (جهل) من قوله: (من جهلها)، أي:

(1) الديوان: 191.

(2) هو الإمام شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله الشهورزدي الغدادي الشافعي المتوفى 632هـ. واسم الكتاب كاملاً: «عوارف المعارف»، مطبوع فسطه، وصححه محمد عبد العزيز الخالدي. الطبعة الأولى 1999/1420. ينظر عوارف المعارف: 268.

يَكُونُهَا جَهْلُكَ بِذِي السَّبَبِ. وَتَكُونُ (مِنْ) مُتَعَلِّقَةً بِمَا فِي (هَا) مِنْ مَعْنَى النَّفْسِ؛ وَتَقِيْدٌ عَلَى هَذَا الْمَأْخُذِ مَعْنَى السَّبَبِ أَيْ: مِنْ سَبَبِ الْجَهْلِ لَمْ تَتَعَبَّطْ، أَيْ: السَّبَبُ فِي عَدَمِ عِظَمِهَا جَهْلُهَا بِذِي السَّبَبِ، إِذْ لَوْ عَرَفَتْ حَقِيْقَةَ نَذَارَةِ السَّبَبِ لَا تَعَبَّطَتْ [139] // بِالْهَيْوَمِ. وَهَذَا يُقَالُ: لَمَّا رَفَعَ الْأَصْبَاعَ دَهَبَتِ اللَّحَاجَةُ وَالْتِزَاعُ، صَادِقُ الْمَسْئُوْلِ السَّائِلُ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ كَثَمَانَةٌ تَحَانَ مُكَابَرَةً، وَأَنَّ تَصْبِيْحَهُ كَانَ مُصِيْبًا وَأَنَّ عَدَمَ اتِّعَاضِهِ إِثْمًا كَانَ لِسَبَبِ تَقْيِيْمِهِ الْأَمَارَةَ.

وَاتَّقَضَى تَعَزُّلَهُ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا حِمْلُ التَّخْلِصِ لِلْخُرُوجِ إِلَى التَّمْدُوحِ، فَبَعَثَ نَشَاةً أُخْرَى بِتَحَدُّثٍ فِيهَا فِي مِثَالِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ؛ فَهُوَ إِفْلَاحٌ مِنَ التَّغَرُّلِ الْهَزْلِيِّ إِلَى التَّنَجُّجِ عَلَى مَنَوَالِ الْحَدِّ بِوَضْعِهِ نَفْسُهُ بِصِفَاتِ الْقُصُورِ، لَا تَهْمَاكِهَا فِي مَا لَا يَنْبَغِي، وَتَرْكِهَا مَا يَنْبَغِي، فَتَخْلُصَ مِنَ الْهَزْلِ وَالتَّغَرُّلِ تَحْلُصًا حَسَنًا، وَهُوَ مِنْ قَنَاطِرِ شَعْرِ فُحُولِ الشَّعْرِ؛ إِذْ مِنْ حَسَنِ شَعْرِ الشَّاعِرِ رُقَّةٌ مَعْنَى الْمَنْدَرِ، وَحُسْنُ التَّخْلِصِ مِنْ وَادِي الْبِدَايَةِ إِلَى الْوَاسِطَةِ الرُّبُطِ بَيْنَ الْمَبْدِ وَالْمُنْتَهَى، وَحُسْنُ التَّخْلِصِ مِنَ الْوَاسِطَةِ إِلَى الْمَدْحِ، وَحُسْنُ التَّنْمِيمِ. وَهَذِهِ الْمَعْنَا فِي كُلِّهَا اسْتَوْعَبَهَا النَّاسِمُ بِكَلِمَةٍ، وَمَا ذَكَرَ مِنْ عَوَارِضِ نَفْسِهِ هِيَ أَحْوَالُ غَالِبِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَّا النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الْمَخْشُوفَةُ بِعِصْمَةِ اللَّهِ وَتَحْلُكِ.

وَقَوْلُهُ: (أَمَارَتِي): اتَّخَذَ هُنَا الْأَمِيرَ وَالْمَأْمُورَ، فَالْنَّفْسُ هِيَ الْأَمَارَةُ، وَهِيَ نَفْسُ الْأَمِيرِ، وَنَفْسُ الْمَأْمُورِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي يُحْسِنُ أَنَّ النَّفْسَ هِيَ الْأَمَارَةُ، وَهِيَ نَفْسُ الْأَمْرِ، وَنَفْسُ الْمَأْمُورِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي يُحْسِنُ أَنَّ النَّفْسَ هِيَ الْأَمَارَةُ وَالْمَأْمُورَةُ أَنَّ ذَلِكَ بِحَسَبِ الْخَوَاطِرِ؛ وَقَدْ قَدِّمْتُ أَنَّ الْخَوَاطِرَ مُتَعَدِّدَةٌ؛ فَإِلَّا نَسَانًا قَدْ يَخُومُ عَلَى إِيقَاعِ فِعْلٍ، ثُمَّ يَنْقُصُ لَهُ فِي طَرِيقِ الْعَزْمِ عَلَى الْإِفْدَامِ فَنُورٌ، وَيُظْهِرُ لَهُ مَوَازِيْعَ، فَتَرَاهُ يُحْسِنُ عَنِ الْإِفْدَامِ، فَهُوَ مِنْ حَيْثُ هُمْ كَالْأَمِيرِ، وَمِنْ حَيْثُ جَبَلٌ كَالْمَأْمُورِ [غَيْرِ الْحَازِمِ] ^(١) بِمَا أَمَرَ بِهِ الْأَمِيرُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْغَيْرِ حَازِمٍ»، وَالْأَنْسَبُ مَا أُثْبِتَ لِأَنَّ «غَيْرَ» لَا تَقْتَرِنُ بِأَلٍ.

فَإِنْ قُلْتُ: لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ لِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا جَاءَ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالشَّرِّ﴾ (يوسف: 53) فَالْمَأْمُورُ غَيْرُ مُعَيَّنٍ، وَالنَّاطِقُ غَيْرُ مُعَيَّنٍ هَذَا الْمَأْمُورُ.

لَكِنْ صَدَرَ الْآيَةُ بِدَلٍّ عَلَى الْإِتِّحَادِ، لِأَنَّ قَوْلَ الْبَشَرِ الْمُنَزَّه: ﴿وَمَا يُزِدُ نَفْسِي إِلَّا النَّفْسَ لَأَمَارَةٍ بِالشَّرِّ إِلَّا مَا رَجَعُ رَبِّيَ إِلَى رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف: 54) إِذَا يُعْطَى أَتَاهَا - أَغْنَى النَّفْسَ - مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ هَذَا شَأْنُهَا؛ وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ نَفْسَهُ هِيَ الْمَوْضُوعَةُ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْخَيْرُ أَنَّ هَذَا شَأْنُ النَّفْسِ، وَهُوَ مَعْنَى عَلَى جِهَةِ التَّوَاضُّعِ فِي الْكَلَامِ، وَعَدَمِ إظهارِ تَرْكِيبَةِ النَّفْسِ. وَإِنْ كَانَتْ نَفْسُهُ الرُّكْبَةُ مُبْرَأَةً مِنْ ذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتُ: قَدْ قُلْتُ: إِنَّ النَّفْسَ نَفْسَانِ: مُطَمِّئِنَّةٌ وَأَمَارَةٌ.

قُلْتُ: إِنَّمَا هُمَا خَاطِرَانِ عَلَى مَا بَيَّنَّتُ: فَخَاطِرُ الْعَزَمِ عَلَى مَا لَيْسَ بِصَوَابٍ هِيَ الْأَمَارَةُ بِالشَّرِّ، فَتَجَوُّزُ فِي تَسْمِيَةِ كُلِّ مِنَ الْخَاطِرَيْنِ نَفْسًا، وَإِنَّمَا هُمَا مَعًا لِلنَّفْسِ وَاحِدَةٌ.

فَإِنْ قُلْتُ: أَمَّا أَفْرَعُهَا بِأَحَدِ التَّوَعْنَيْنِ فَإِنَّهُ مُوجِبُ الْمَحْمَدَةِ عَلَى مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ، أَوْ الْمَذْمُومَةِ عَلَى مَا يُذَمُّ عَلَيْهِ، وَأَمَّا لَوْفُهَا عَلَى جَهْلِهَا فَنَبِيٌّ بَحْثٌ: وَهُوَ أَلْ يُقَالُ: الْجَهْلُ لَيْسَ مِنَ الْاِخْتِيَارَاتِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ مَقْدُورِ الْبَشَرِ؟

وَالْجَوَابُ: إِنَّ الْجَهْلَ جَهْلَانٍ: جَهْلٌ بَسِيطٌ، وَجَهْلٌ مُرَكَّبٌ. فَالْبَسِيطُ: الَّذِي خُلِقَ لَعَدَةِ الْإِنْسَانِ لَا مَقْلَمَةَ بِهِ، لَكِنْ تَلَحُّقُ الْمَذْمُومَةِ وَالْمَلَامَةِ عَلَى مَنْ قَامَ بِهِ عَلَى عَدَمِ التَّسَبُّبِ فِي انْتِقَالِهِ عَنْهُ إِذَا ظَهَرَ لَهُ مَا يُزِيلُهُ (140) كَمَا لَوْ اشتهرتْ طُرُقُ الشَّرِيعَةِ لَمْ نَمْ يَعْرِفْهَا، وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ بِمَعْرِفَتِهَا، فَتَرَاحِيهِ عَنْ إِزَالَةِ جَهْلِهِ الْبَسِيطِ يُوجِبُ ذَمَّهُ.

وَأَمَّا الْجَهْلُ الْمُرَكَّبُ: هُوَ الَّذِي يَخْذُلُ عَنْ الْاِغْتِنَافَاتِ الْفَاسِدَةِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّوْمُ عَلَى الْجَهْلِ نَفْسِهِ يَكُنْ عَلَى أَشْبَابِ دَوَائِمِهِ مَعَ مَنْ قَامَ بِهِ، وَعَلَى قَطْعِ

لنفسه عن الترقى إلى تعليم ما لا بُدَّ منه مما يدفعه به؛ ولذلك خلق الإنسان غير عارِفٍ وُجوه النظر والاستدلال، التي بها يصل إلى معرفة الله ويحفظ، وإن لم يكن بأدي الأمر عارِفاً، فهو مأثورٌ بأن يتعلَّم ما يصل به إلى معرفة أصول الدين من: ما يجب في حق الله ﷻ، وما يجوز عليه، وما يستحيل. وما يجب في حق الرسول ﷺ، وما يجوز عليه، وما يستحيل في حقه. فنحن إنما نقدر على أساليب الوصول إلى المطلوب: وهي الاستدلال والنظر. ولا شك أن جهل هذه المقدمات الموصلة إلى معرفة ما يجب منه، وبلا مَلازمه على عدم الأخذ في ما به يدفعه.

فإن قلت: تسمية (الشَّيْب) (نذيراً) هل هو على حقيقة تسميته، أو على تحوُّل؟

والجواب: إن تسميته (نذيراً) قد وردت على التَّحْمِلَةِ في أحد التأويلات في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُمْ التَّذِيرُ﴾ (المائدة: 117) قيل: القرآن العظيم. وقيل: الرسول ﷺ. وقيل: الشَّيْب (1).

فإن قلنا: إن التَّذِيرَ هو الشَّيْب نفسه، فتسميته تذكيراً باسم غيره الذي التَّسْبِيَةُ في حقه حقيقة، لكن سُمِّيَ هذا بذلك لعلاقة بينة وبين ما الاسم له حقيقة. والشَّيْب إنما سُمِّيَ تذكيراً لإفادته ما يفيد التَّذِيرَ؛ ألا ترى أن التَّذِيرَ إذا قال: قُرب أجلك، واستَعذت منه هذه العظة، قد تخصل لك حين ترى الشَّيْب والهَرَمَ: فإن الشَّيْب والهَرَمَ دليلان على ضعف قُوَى من حلا به كما لو رأينا الرُّوْعَ بعد نصارته قد يس، والتَّوْتُ أحنأ سُبُلِهِ، غلبنا أن رُوحَ حَيَاتِهِ ذَهَبَتْ، وأشرف على السُّقُوط، فهما إذن تذكيران بلسان حالهما، لا بلسان مقالهما.

(1) لا توجد النصية في الأصل.

(2) ينظر: جامع البيان: 141/12 - 142، البحر المحيط: 316/7، روح المعاني: 201/11.

و(الْهَرَمُ). هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ انْتِصَافِ ذَاتِ الشَّيْءِ بِأَدَلَّةِ الضَّعْفِ^(١) وَسُقُوطِ
الْقُوَّةِ مِنْ رِقَّةِ الْأَعْضَاءِ، وَانْتِصَافِ لَحْمٍ صِحْتِهِ، وَتَكَامُيشِ جُلُودِهِ، وَضَعْفِ
تَصَرُّهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَدَلَّتِهِ. وَفَعَلَ (الْهَرَمَ): (هَرَمَ) يَكْسِرُ الرَّأْيَ فِي الْمَاضِي
(يَهْرَمُ) بِمُشَاحَاةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَأَمَّا (هَرَمَ) بِفَتْحِ الرَّأْيِ فِي الْمَاضِي، فَهُوَ مَعْنَى
أَحْرَمَ، يُقَالُ: هَرَمْتَ الْإِبِلَ بِفَتْحِ الرَّأْيِ فِي الْمَاضِي، إِذَا أَكَلْتَ شَجَرِ الْهَرَمِ^(٢).
وَمِنْ أَلْبَيْتٍ مَعْنَى الْاِعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ: وَمَنْ أَمْتَالَهُمْ: الْاِعْتِرَافُ
بِإِنْصَافٍ.

وَفِيهِ: إِظْهَارُ النَّدَمِ عَلَى الَّذِي اقْتَرَفَ، وَالنَّدَمُ تَوْبَةٌ.

وَتَعَلَّقَتْ بَاءُ (بِالسُّوءِ) بِ (أَمَارَةٍ). وَ(السُّوءُ): ضِدُّ الْخَيْرِ
وَ(اتَّعَظْتُ): مُضَارِعُ (اتَّعَظَ).

وَصَمِيرُ (جَهْلُهَا) لُ (الْإِشَارَةُ) الَّذِي هُوَ تَعَتْ لِلنَّفْسِ الْمَفْهُومَةُ مِنْ سِيَاقِ
الْكَلَامِ.

وَأَمَّا فَلْنَا: إِنَّ الْعَامِلَ فِي (بِالنَّذِيرِ) (اتَّعَظْتُ). لِأَنَّ التَّعَلُّقَ بِ (جَهْلُهَا)
يَنْصَبُ فَضْرَ (جَهْلُهَا) عَلَى النَّذِيرِ، وَجَهْلُهَا أَعْمٌ مِنَ الْجَهْلِ بِالنَّذِيرِ وَبِمُتَصَالِحِهَا
جُمْلَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



(١) الضَّعْفُ وَالضَّعْفُ خِلَافُ الْقُوَّةِ وَقِيلَ: الضَّعْفُ فِي الْبَدَنِ، وَالضَّعْفُ فِي الرَّأْيِ
لِ/ ضَعْفٍ.

(٢) الْهَرَمُ: ضَرْبٌ مِنَ الْبَاتِ فِيهِ مَلُوحَةٌ، وَهُوَ مِنْ أَذَلِ الْحَمَضِ وَأَشَدِّهِ اسْتِبْطَاحاً عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ، وَالْوَاحِدَةُ: هَرْمَةٌ، وَفِي الْمَثَلِ: أَذَلُ مِنْ هَرْمَةٍ. الْعَيْنُ: 49/4.

ولا أعدت من الفعل الجميل قرى صيف ألم برأسي غير مُحْتَشِم⁽¹⁾

شرح: هذا من البيوت التي أشرت إليها أن الناظم ذكر السبب فيها. ورفع الناظم على خافر قول المتنبي في شطير من أقطار بيوت قصيدة له ميمية؛ قال المتنبي: (سبط)

صيف ألم برأسي غير مُحْتَشِم وَالسَّبَبُ أَحْسَنُ فَعَلًا مِنْهُ بِاللَّحْمِ⁽²⁾

ولنعلم أن الإمام النوصيري في أكثر من أن يقال فيه سرق شطراً للمتنبي: «ولنعلم أن تاب سرقه الشعر تات شمع، لا يقدّر أحد أن يدعي السلامة منه، وفيه أشباه غامضة إلا على البصير الحاذق بالصناعة، وأشباه واضحة لا تخفى عن الجاهل المتفعل

وقد أتى الحائسي⁽³⁾ في «جلية المحاضرة» بالقب محذرة، تدبرتها ليس لها محذور إذا خففت كالاضطراب، والاحتلال، والاختتام، والإغارة، والتمردة، والاستلحاق وكلها قريب من قريب، قد استعمل بعضها في مكان بغيره، وكثير لا يميز بين السرقة والغضب وبين الإغارة والاختلاس. وقال عبد الكريم⁽⁴⁾: السرقة في الشعر ما يُقِلُّ معناه دون لفظه، وبين

(1) الديوان: 191.

(2) الديوان: 150/4.

(3) هو محمد بن الحسن المظفر الحائسي، أدب لاقد بليغ من أهل بغداد (ت 388هـ) ترجمته في: (وفيات الأعيان: 362/4، الوافي بالوفيات: 343/2، بغية الوعاة: 87/1، سير النبلاء: 499/16).

(4) هو عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، شاعر كاتب ناقد، من المهديّة بإفريقية، (ت 404هـ). ترجمته في: (أنموذج الزمان: 140، نثر الأزهار: 36، سرور النفس: 89، بدائه البداهة: 307، عنوان التواريخ: 13).

الناس من يبعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس وظرفة، حتى لم يختلفا إلا في القافية، إذ أحدهما: (طويل)

وُلُوداً بها صحبي علي مطيبتهم يقولون لا تهلك أسي وتجلى⁽¹⁾

لامرئ القيس؛ وظرفة⁽²⁾: (طويل)

يَقُولُونَ لَا تَهْلِك أَسَى وَتَجَلَّى⁽³⁾

وقد قيل: إن السرق إنما هو في البديع المُمْتَرِع الذي يختص الشاعر به، لا في السعاسي المُشْتَرِكَة التي هي حارية في غاداتهم، ومُسْتَعْنَة في أمثلهم ومجاوزاتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال: إنه أخذه من غيره. وتكأن الشاعر على السرق بِلَادَة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل. ولكن المُمْتَرِع له أوسط الحالات.

فال بعض حذاق المتأخرين: من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارفاً، فإن بعض اللفظ كان سالحاً، فإن غير بعض المعنى بالخفية، أو قلته، كان ذلك دليلاً على حذقه، فإن أعجب الشاعر ببين من الشعر فيعريفه إلى نفسه، فإن كان على جهة السئل كان اجتلاباً واستلخافاً، وإن ادعاه جملة فهو التحال. ولا يقال مُتَجَلَّى إلا لمن ادعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر، أما إن كان لا يقول الشعر فهو مدح غير مُتَجَلَّى، فإن كان الشعر لشاعر [حي]⁽⁴⁾ أخذه منه غلبة فتلك إغارة وَغَضَب. وإن أخذه هبة فتلك مُرافضة، ويُقال لها استرافاداً. فإن كانت السرق في ما دون البيت فذلك الاختدام، ويُسمى أيضاً:

(1) الديوان: 9.

(2) من طرفه بن عبد بن سفيان بن سعد الكوفي الوائلي، أبو عمرو، من فحول الجاهليين. (ت نحو 569م). ترجمته في: (طبقات ابن سلام: 1/ 1381، الشعر والشعراء: 1/ 185، الأغاني: 3/ 149، السمت: 1/ 319).

(3) الديوان: 30.

(4) في الأصل: «حتى». وفي العمدة: 2/ 1039 «حي»، وهو الأنسب للمعنى.

النسخ. فَإِنْ تَسَاوَى الْمَعْنَيَانِ دُونَ اللَّفْظِ فَذَلِكَ النَّظَرُ وَالْمُلاحَظَةُ. وَكَذَلِكَ إِنْ
[تضاداً] ⁽¹⁾ الْمَعْنَيَانِ وَذَلَّ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّي هَذَا بِالْإِلْسَامِ.
فَإِنْ حَوَّلَ الْمَعْنَى مِنْ نَسِيبٍ إِلَى مَدْحٍ، أَوْ فُخْرٍ، أَوْ هِجَاءٍ، فَهُوَ الْإِخْتِلَافُ
[42]// وَيُسَمَّى أَيْضاً: نَقْلَ الْمَعْنَى. وَإِنْ أَخَذَ بِنَيْةِ الْكَلَامِ وَأَفْرَطَ فِيهِ السُّوَارَتَةُ.
فَإِنْ جَعَلَ مَكَانَ كُلِّ لَفْظَةٍ ضِدَّهَا فَذَلِكَ الْعَكْسُ. فَإِنْ صَحَّ أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَسْمَعْ
بِقَوْلِ الْآخَرِ، وَكَانَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ، فَتِلْكَ [السُّوَارَتَةُ] ⁽²⁾. فَإِنْ أَلْفَ الْبَيْتَ مِنْ
أَيَّاتٍ قَدْ تَرَكَّبَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَذَلِكَ هُوَ الْإِتِّقَاطُ وَالتَّلْفِيقُ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ
الْإِجْتِدَابَ وَالتَّرْكِيبَ ⁽³⁾.

وَقَدْ وَقَعَ فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا: أَلَا تَرَى قَوْلَ الشَّاعِرِ: (طويل)
وَكُنْتُ كَغُذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَاحِبِخَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الرِّمَانَ فَسَلَّتْ ⁽⁴⁾
بَيْتَ كَثِيرٍ. وَهُوَ مِنْ أَيْيَاتِ «الْجَمَلِ» ⁽⁵⁾. وَأَشَدُّ ابْنُ السَّيِّدِ ⁽⁶⁾: (طويل)

(1) في الأصل: «تضاداً»، والأنسب ما أثبتناه.

(2) في الأصل: «الموازرة». والأصوب «المواردة» كما في العمدة: 2/ 1040.

(3) الكلام في العمدة باب السرقاات وما شاكلها: 2/ 1037 - 1040.

(4) ديوان كثير: 99. ومن شواهد الإغارة في: حلية المحاضرة: 2/ 40. ومن شواهد
الاهتمام في: كفاية الطالب: 98، والعمدة: 2/ 1048. المنتخب في محاسن أشعار
العرب: 2/ 127.

(5) هو كتاب «الجمال في النحو» صنعة أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي
(ت 340هـ)، يتناول مجموعة من أبواب النحو، شرح عدة شروح، أهمها: شرح ابن
السيد البطليوسي، حققه علي توفيق الحمد. ينظر: كشف الظنون: 1/ 603. والبيت
فيه من شواهد البذل: بدل النكرة من النكرة. وفي البصائر: 2/ 530 شاهد على
المفصل من السجل. وقال البغدادي: 5/ 211 «يروى بالرفع على أنه بدل مقطوع»،
أشده سيويه في باب مجرى النعت على المنعوت والبدل على المبدل مه: 1/ 215.

(6) هو عبد الله بن محمد بن السيد أبو عبد الله البطليوسي، من العلماء باللغة والأدب
والنحو (ت 521هـ). ترجمته في: (الديباج: 140، الصلة: 1/ 282، القلائد: 193،
البيان المغرب: 1/ 385، بغية الوعاة: 788، غاية النهاية: 1/ 449). واسم شرحه على
الجمال كاملاً: «إصلاح الخلل الواقع في الجمل» مطبوع، وله كتاب آخر اسمه =

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَاهَا طَارِقُ الْحَدَثَانِ⁽¹⁾
فَأَمَّا الَّتِي شِلْتُ فَأَخْتُ عَرِينَةٍ وَأَمَّا الَّتِي صَحْتُ فَأَخْتُ عَوَانٍ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي نَوْعٍ مِنَ الْعَكْسِ: (طويل)

فَلَا تَلْتَفِتْ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ إِنَّهُ ضَلِيلٌ وَمَنْ ذَا يَهْتَدِي بِمُضَلَّلٍ⁽²⁾
فَفِي الْأَرْضِ أَحْبَابٌ وَفِيهَا مَنَازِلُ فَلَا تَبْكُ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

وَاسْتَخَرْتُ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ⁽³⁾ فِي قَصِيدَتِهِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ: (وافر)

صَدَدْتُ الْكَأْسَ عَنَّا أَمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا⁽⁴⁾

«الحلل في شرح أبيات الجمل» مطبوع. ينظر: كشف الظنون: 604/1.

(1) البيتان لقيس بن عمرو النجاشي الحارثي، البيت الأول في: كفاية الطالب: 119، والمعدة: 1048/2، والخزانة: 214/5 «رمت فيها يد الحدنان» وفي الخزانة: 2/386 «بها ريب من الحدنان» الحلل في شرح الجمل: 89، في الأغاني: 386/2 «فأما التي صحت فأزد شنوءة × وأما التي شلت فأزد عمان».

(2) البيتان في: المستطرف: 38/2 «ولا تسمع قول امرئ القيس × مضل...» مسويان للعصفي الحلبي، لم أعثر عليهما في ديوانه. وقال في معاهد التنصيص: 175/4 - 176: «وهذا المصراع الأخير: «تنقل فلذات الهوى في التنقل × ورد كل صاف لا تقف عند منهل» لأبي عبد الله محمد بن الفضل السلمي المرسي من أبيات، فأوردهما مع اثنين آخرين، والرواية فيه: «لا تعتبر... إنه × ضليل... يقتدي».

(3) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، أبو الأسود، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. ترجمته في: (الشعر والشعراء: 234/1، تاريخ الذهبية: 285/5، الأعلام: 84/5).

(4) يروي البيتان لعمرو بن عدي بن نصر الملقب بذي الطوق. ورواه أبو زيد القرشي: 390/1، والتبريزي: 109/1، والشنتمري: 174/2، والوزني: 239 لعمرو بن كلثوم. ولم يروه له ابن كيسان وابن الأنباري. وقال في الأغاني: 314/15 «زعم بعض الرواة أنها لعمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن نصر اللخمي». وقال في العدة: 1041/2 «إنها لعمرو ذي الطوق استلخها عمرو بن كلثوم». وفيه رواية «تصد» في: جمهرة الأمثال: 107/1، الفصول والغايات: 320. ورواية «صرفت» في: الجمهرة: 390/1، قطب السرور: 90، ورواية: «صبنت» في: شرح المعلقة للوزني: 239، تفسير القرطبي: 125/19. ورواية «عدلت» في: قطب السرور: 439. وفي الثاني رواية: «لا تصبحينا» في: رسالة الغفران: 278، الخزانة: 178/3 لعمرو بن -

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أَمَّ غَمْرٍو فَضَاجِبِكَ الَّذِي لَا تُضْخِجِنَا

وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ لَا يَرَى هَذَا عِيًّا.

وَقَدْ اسْتَلَخَ أَبُو تَمَامٍ أَيْتَانَا. وَأَخَذَ الْبُعَيْثُ⁽¹⁾ بَيْتًا لِلْفَرَزْدَقِ بِعَيْنِهِ، وَجَعَلَهُ فِي قَصِيدَتِهِ: [وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ هُوَ]⁽²⁾: (وافر)

إِذَا مَا قُلْتُ قَافِيَةَ شَرُودَا تَنَحَّلَهَا ابْنُ حَمْرَاءِ الْعِجَانِ⁽³⁾

وَالْأَمْرُ فِي بَيَانِ هَذِهِ الْمَعَانِي يَطُولُ بِهِ الْكَلَامُ، وَيُخْرِجُنَا عَمَّا قَصَدْنَاهُ مِنْ شَرْحِ كَلَامِ صَاحِبِ الْقَصِيدَةِ. وَالَّذِي أَقُولُ بِهِ فِي جَلْبِ صَاحِبِ الْقَصِيدَةِ شَطْرَ السُّنِّي: إِنَّهُ اسْتَلْحَقَّ، جَلَبَهُ وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَقْصِدِ الْإِسْنِدَادَ بِهِ، لَكِنْ كَانَ لَا يَلِيقًا بِمَحَلِّهِ هُنَا فِي الشَّيْبِ، فَأَخَذَهُ ظَاهِرًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْخُذَهُ مُغِيرًا أَوْ سَارِقًا.

فَقَوْلُهُ: (وَلَا أَعْدُثُ)، أَيُّ: لَمْ تُهَيِّ مَا تُضَيِّفُ بِهِ الشَّيْبَ.

وَالْقَرَى: هُوَ طَعَامُ الضَّيَافَةِ.

وَالنَّائِظُ جَعَلَ الشَّيْبَ نَذِيرًا أَوَّلًا، وَجَعَلَهُ فِي مُرْتَبَةٍ مِنْ اتِّهَمَةٍ فِي نَذَارَتِهِ، وَهَذَا يَجْرِي عَلَى قَوْلِ الْعَوَّامِ: «ظَلَمَهُ الشَّيْبُ»، أَيُّ: يَرَى نَفْسَهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَنْ يَكُونُ الشَّيْبُ فِي حَقِّهِ وَاقِعًا مَوْقَعَهُ وَإِنَّمَا كَانَ فِي حَقِّهِ خَارِقًا لِلْعَادَةِ، ثُمَّ

= كلثوم، و274/8 لعمرو بن عدي. نهاية الأرب: 26/3 و338 و316/15.

(1) هو خدّاش بن بشر بن خالد أبو زيد التميمي، شاعر أموي، وخطيب مجيد من أهل البصرة. ترجمته في: (طبقات ابن سلام: 535/2، الشعر والشعراء: 497/1، إرشاد الأريب: 173/3).

(2) العبارة في الأصل هكذا: (وهو قول الفرزدق وهو)، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) لا يوجد البيت في ديوان الفرزدق، وهو في: طبقات ابن سلام: 327، النقاظ: 125/1 «تنخلها»، كفاية الطالب: 117، العمدة: 1044/2، ل/نحل. وقال أبو عبيدة: تنخلها: انتخلها. وتنخلها: أخذ خيارها. القافية الشروذ: السائرة. والعجان: ما بين القبل والدبر بين الرجلين. وهي سبة عندهم.

الْزَجْرُ، وَأَدْرَكَهُ شَيْءٌ مِنْ نِدَارَةِ الشَّيْبِ؛ فَكَأَنَّهُ أَضْرَبَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى، وَنَسَبَ
نَفْسَهُ الْأَمَارَةَ بِالشَّيْبِ هِيَ الْمُحْطِئَةُ الَّتِي لَمْ تَعْمَلْ بِعِظَةِ وَاعِظِ الشَّيْبِ. ثُمَّ إِنَّهُ
نَسَبَهَا إِلَى فَسَادِ الرَّأْيِ مِنْ وَجْهَيْنِ: مِنْ كَوْنِهَا لَمْ تَتَعِظْ، وَمَعَ عَدَمِ اتِّعَاضِهَا لَمْ
تُعِدْ لَهُ ضِيَاةً وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ تُعِدَّ لَهُ ضِيَاةً، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى دَائِبِهَا الَّذِي لَمْ
تُتْلَعْ عَنْهُ.

لِكُنْ فِي كَلَامِهِ بَعْضُ التَّعَقُّبِ، إِذْ قَوْلُهُ: إِنَّ نَفْسَهُ لَمْ تَتَعِظْ، يَنْتَضِي
أَنَّ الشَّيْبَ وَافَاهُ. وَقَوْلُهُ: وَلَا أَعَدَّتْ لَهُ ضِيَاةً، يَنْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ، إِلَّا
أَنْ يَقُولَ: ثَمَّانَ يَنْبَغِي أَنْ تُعِدَّ الْقُرَى قَبْلَ وَضُولِهِ فَتُضَيِّفَهُ. [43]// لَكِنَّهُ مَا
أَضَافَهُ، وَلَمْ يَقْبَلْ نُصَحَّهُ؛ وَكَأَنَّ النَّاطِمَ تَخَيَّلَ مَعْنَى حَسَنًا اسْتِعَارَهُ لِمَا كَلَفَ
رَأْسَهُ مَحَلَّ سَكْنَى شَعْرِهِ الْأَسْوَدِ. وَوُرُودُ الشَّعْرِ الْأَبْيَضِ عَلَيْهِ كَوُرُودِ ضَيْفٍ
عَلَى مُضَيِّفٍ، وَإِذَا نَزَلَ ضَيْفٌ بِمُضَيِّفٍ وَجَبَ عَلَى الْمُضَيِّفِ الْقِيَامُ بِخَوِّ
الضَّيْفِ.

وَنَزَلَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ مَنَزَلَةً مَا تُقَامُ بِهِ الضِّيَاةُ مِنَ الْأَطْعِمَةِ، وَعُلُوفَاتِ
ذَوَابِّ الضِّيَافِ. وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ الشَّيْبَ إِنَّمَا هُوَ رَسُولُ الْأَجَلِ، وَالْعَمَلُ الَّذِي
هُوَ مَنَزَلُ مَنَزَلَةِ الطَّعَامِ لِلضِّيَافِ إِنَّمَا هُوَ مَا يُكْرَمُ بِهِ بَقِيَّةُ الْعُمْرِ؛ لَكِنْ لَمَّا كَانَ
الشَّيْبُ رَسُولَهُ كَانَ الْإِعْتِنَاءُ بِرَسُولٍ مَنْ أَرْسَلَهُ إِكْرَامًا لِلْمُرْسَلِ بِكُسْرِ السَّيْنِ،
وَالْمُرْسَلُ هُوَ الَّذِي تُعَدُّ لَهُ الضِّيَاةُ الْعُظْمَى.

وَفِي كَلَامِ النَّاطِمِ أَيْضًا بَحْثٌ: وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: قَوْلُهُ: (وَلَا أَعَدَّتْ مِنْ
الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى) ^(١) مَنَفِيٍّ بِ (لَا)، مُسْتَعْرِقٌ بِ (مِنْ)، فَكَأَنَّهُ اعْتِرَافٌ بِأَنَّهُ لَمْ
يَفْعَلْ فَعَلًا يَصْلُحُ لِضِيَاةٍ وَمَا يَصْنَعُ بِالْفَرَائِضِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ؟

فَالْجَوَابُ ^(٢): إِنَّ الضِّيَاةَ شَيْءٌ زَائِدٌ عَلَى الْمُعْتَادِ مِنَ الْأَقْوَاتِ الَّتِي لَا بُدَّ

(١) الديوان: 191.

(٢) اللفظة مكررة في الأصل.

منها لأهل المنزل. وقد يقال: لا يلزم من نفي ذلك عن النفس الأمارّة بالسوء نفيه عن النفس المظمنة.

والضيافة المغنبة هنا: التهجّد، والتؤدّة، والوقار، والتجافي عن دار الغرور، والتهيؤ لدار الخلود، والبكاء على ما أسلف من المذمومات.

و(القرى) بكسر القاف: الضيافة. وفتح القاف: الظاهر. وبضم القاف: جمع قرية.

و(ألم): معناه: نزل.

ووصف الناظم الشيب بأنه (غير مُحْتَشِم)، أي: لا يستحبي في طلب ضيافته، ولا في معاتبه رب المنزل إن بخل؛ وذلك أن الشيب لما كان طلبه العمل الجميل، فإذا لم يعمل عن حلّ الشيب برأيه عمل البر شئت به الشيب، ومزق عرضه بلسان خاليه، حتى كأنه ينادي به، ويشيع معانيه؛ فمن رآه على ضلالة، وعان به شيباً، دمه وقلاؤه؛ وكأنّ الشيب هو الذي تسلط عليه ألسنة الناس، فهو معنى يلغ في استعارته؛ ومنه قول بعضهم: (كامل)

وَالشَّيْبُ يَغْمِرُهَا بَأَنْ لَا تَفْعَلِي⁽¹⁾

يعني أنه لما رآته محبوبته أشيب، وراودها في الوصال كان شيبه يغمرها [ويقول]⁽²⁾ لها: لا تفعلي.

وقوله: (غير مُحْتَشِم): إن نظرت إلى ما قدّمناه من معناه، كان وضعه

(1) عجز هذا البيت في: ديوان عبد الله بن المعتز: 157/2. صدره: «فجعلت أطلب وصلها بتلطف». وفي ديوان دعل الخزاعي: 72، نهاية الأرب: 27/2 «فطلبت أطلب وصلها بتدل». وفي ديوان محمد بن حازم بن عمرو الباهلي: 143 «فجعلت... بتدل». وفي المحب والمحبوب: 376/4، المستطرف: 30/2، الأمالي: «بتعطف». النقد الأدبي في ق 8هـ قال: «وما أحسن قول خالد الكاتب في هذا... ثم أورد البيت». ص 137.

(2) في الأصل: «تقول»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

بما وصفه به من المجازات. وَإِنْ نَظَرْنَا إِلَى أَنَّهُ تَقِيٌّ - وَالنَّفْيُ فِي حَقِّهِ صَادِقٌ -
فَهُوَ مِمَّا لَا يَقْبَلُ الْإِحْتِسَامَ، وَمَا لَا يَقْبَلُ الْإِحْتِسَامَ يَصِحُّ وَصْفُهُ بِكَوْنِهِ (غَيْرُ
مُخْتَلِشٍ) حَقِيقَةً.

(وغيره): يَجُوزُ خَفَضُهُ عَلَى أَنَّهُ نَعَتْ لِ (ضَيْفٍ). وَيَصِحُّ نُسْبُهُ عَلَى
الْحَالِ.

يُؤْخَذُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ أَنَّ صَبْغَ الشَّعْرِ قَدْ يُسْتَعْمَلُ لِشَرِّ الْعَوْرَةِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي
تَغْيِيرِ الشَّيْبِ بِالْأَصْبَاغِ: فَكَرِهَهُ بَعْضُهُمْ. وَالْمُرَوِّىُّ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ ⁽¹⁾ رَحِمَهُ
«مَا سَمِعْتُ فِي الصَّبْغِ بِالسَّوَادِ شَيْئاً، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ» ⁽²⁾. وَالصَّبْغُ بِالْحِنَاءِ
وَالكَتَمِ ⁽³⁾ وَاسِعٌ.

وَفِي «الْبَيَانِ» ⁽⁴⁾: اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ تَغْيِيرِ الشَّيْبِ بِالصُّفْرِ، وَالْحِنَاءِ،
وَالكَتَمِ. وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا هَلْ تَرَكَهُ أَفْضَلُ؟ وَهُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ مَالِكٍ فِي «الْعُتْبِيَّةِ» ⁽⁵⁾،
وَوَظَاهِرُ «الْمَوْطِئِ» أَنَّ الصَّبْغَ أَحْسَنُ.



(1) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة
(ت 179هـ). ترجمته في: (الحلية: 316/6)، الصفوة: 99/2، تهذيب التهذيب:
5/10، شذرات الذهب: 289/1.

(2) ينظر: الموطأ: 330.

(3) الكتم: نبات فيه حمرة يخلط مع الوسمة للخضاب، ولا ينبت إلا في الشواهي. ل/
كتم.

(4) اسم الكتاب كاملاً: «البيان والتحصيل والنوحيه والتعليل في مسائل المستخرجة
المعروفة بالعتبية» لأبي الوليد بن رشد القرطبي (ت 520هـ) مطبوع، حققه محمد حجي
1984. ينظر: البيان والتحصيل: 285/4.

(5) «العتبية»: كتاب قيم في مسائل المذهب المالكي نسبة إلى صاحبها العتبي القرطبي،
محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي، فقيه الأندلس (ت 255هـ). ينظر: كشف
الظنون: 1125/1.

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ كَثَمْتُ سِرّاً بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكَثَمِ⁽¹⁾

شرح: جاء بهذا البيت رفعا لما وقع منه من اعتراف بتفريطه، وعدم انقياد نفسه، وأنها ما أعدت شيئا مما يجب إعداده؛ وكأنه يقول: ما كان ظني أن النفس تهمد⁽²⁾ حال صنعها، لأن الشيب وقار. وما عسى أن يكون من عناية النفس الأمازة بالسوء، وطغيانها على المظمنة، فإن المظمنة من جزب الرحمن، فإذا استنجدت [44]// المظمنة بجند يعينها: وهو ورود الشيب وضروء الهرم، قويت المظمنة، واضمحلت الأمازة؛ فإذا غتوها لم يزل، وطغيانها في زيادة وما هالها ما طرأ عليها من شيب وهرم، ولو غلب على ظني بقاء غتوها ما اجتهدت في نضوع شيبتي وظهوره، ولكنني أستر على نفسي وأخفيه، على حسب ما يصرح به في عجز البيت.

و(الكثم): ورَق السَلَم.

وفي البيت: (التجسس). وفي استعارة السر الفاشي بلاغة عظيمة، فإن الشيب لما لم يبد كان أمره مستترا باغضاء الناس عنه؛ فإن ذا الشيبة الأعين عنه كليله، وكل ما يعمل لا يستبج.

وعن عدم [استيقاؤه]⁽³⁾ عبر بالسر، فلما ظهر الشيب انكشف الغطاء، إذ الشيب يصير صاجبة كالعين يؤذيها القذى، والشيب صيره الناظم نذيراً ناصحاً يخبر بقرب الأجل. وتوقيع النذير الناصح هو: التواضع بين يديه، وقبول

(1) الديوان: 191.

(2) تهمد: تسكن وتهدا. ل/همد.

(3) في الأصل: «استقيانه» ولعله تصحيف.

نُصِجِهِ، وَشُكْرُهُ عَلَى مَا أُرْسِدَ إِلَيْهِ. وَبَرَّهَانَ بِرِّهِ وَقَبُولُ نُصِجِهِ: التَّجَرُّدُ لِلْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ. وَلَمَّا لَمْ يَعْمَلْ عِنْدَ ظُهُورِهِ عَمَلًا صَالِحًا كَانَ غَيْرَ مَوْقِرٍ وَكَانَ الشَّيْبُ
غَيْرَ رَاضٍ عَنْهُ. وَلَمَّا عَلِمَ مَا عَمِلَ مِنْ غَيْرِ إِكْرَامِ ضَيْفِهِ الَّذِي هُوَ الشَّيْبُ أَدْرَكَهُ
النَّدَمُ عَلَى مَا فَرَطَ فِي حَقِّهِ. وَ(الشَّيْبُ) يَجِبُ تَوْقِيرُهُ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ: مَا وَرَدَ
عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى الشَّيْبَ قَالَ: «يَا رَبِّ مَا هَذَا؟ قَالَ: هُوَ
وَقَارَ. قَالَ: رَبِّي زِدْنِي مِنْهُ»^(١).



(١) قال العجلوني في كشف الخفاء: ١ - 266 - 267 «أول من جزع من الشيب إبراهيم
حين رآه في عارضه فقال: يا رب ما هذه المشوهة التي شوهت بخليلك؟ فأوحى الله
إليه: هذا سربال الوقار، ونور الإسلام، وعزتي وجلالي ما ألبسته أحداً من خلقي
يشهد أن لا إله إلا الله وحدي لا شريك لي إلا استحبيبت منه يوم القيامة أن أنصب له
ميزاناً وأنشر له ديواناً وأعذبه بالنار. فقال: يا رب زدني وقاراً. فأصبح رأسه مثل
الشفامة البيضاء». وفي الجامع الصغير: 1/ 435 «أول من خضب بالحناء والكتم
إبراهيم».

مَنْ لِي بِرَدِّ جَمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا كَمَا تُرَدُّ جَمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجَمِ⁽¹⁾

شرح: هذا على تقدير سؤال؛ كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُوقِرَ الشَّيْبَ وَالنَّفْسَ نَفْسَكَ، وَتُوقِرَ الشَّيْبَ دَاخِلُ ثَحْتِ مَقْدُورِكَ، إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنْ وُقُوعِ تَوْقِيرِ الشَّيْبِ مِنْكَ مُحَالٌ؟

فَأَجَابَ بِأَنْ قَالَ: النَّفْسُ مَعَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ كَمَطِيَّةٍ جَمُوحَةٍ، وَإِنْ جُعِلَ فِي يَدَيَّ زِمَامُ الْكَسْبِ، غَلَبَنِي جَمَاحُ النَّفْسِ الْجَارِي بِرِيحِ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، فَمَنْ لِي كَفِيلٌ بِرَدِّ ذَلِكَ الْجَمَاحِ الْمُتَوَلِّدِ عَنْ غَوَايَةِ هَذِهِ الْمَطِيَّةِ؟ قَالَ رُوحٌ مَحْمُولَةٌ، وَالْجَسَدُ حَامِلٌ، وَالنَّفْسُ مُدْبِرَةٌ ذَلِكَ الْحَمَلِ بِتَدْبِيرِ مُرْتَبِطِ بَشَرَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَلَمَّا كَانَ الْفَارَسُ إِذَا رُزِقَ فَرَسًا كَرِيمَةً الْأَخْلَاقِ، إِنْ دَفَعَهَا انْدَفَعَتْ، وَإِنْ جَذَبَهَا انْجَذَبَتْ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَدَلَّةِ التَّوْفِيقِ، وَسَهُولَةِ الرُّزْقِ. وَتَنَسَّبَ إِلَى فَارِسِهَا الْفَرُوسِيَّةُ، وَمَحْمَدَةُ النَّجْدَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ ﷻ، وَإِحْسَانِهِ، وَتَفَضُّلِهِ عَلَى عَبْدِهِ بِالْفَرَسِ الدَّلُولِ. وَإِنْ بَلَى بِفَرَسٍ شَرِسَةِ الْأَخْلَاقِ، غَوَايَةُ الرَّأْسِ، جَمُوحَةٌ، دَمٌ فَارِسِيَّهَا، وَنَسَبَتْ إِلَيْهِ الْفُسُولَةُ⁽²⁾، وَالْعُكَالَةُ⁽³⁾، وَقِلَّةُ السَّعْرِ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْيَحْذَلَانِ يَغْدُلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِرَادَتِهِ.

وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي قَصَدَ النَّاظِمُ، فَجَعَلَ النَّفْسَ كَالْمَطِيَّةِ، وَالرُّوحَ الْمَحْمُولَةَ كَالْفَارَسِ الطَّالِبِ مِنْ فَرَسِهِ الْإِنْتِقَادَ إِلَى السَّبِيلِ الْمُرْضِيَّةِ، إِذِ الْفَرَسُ الدَّلُولُ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَا يُبَالِي فَارِسِيَّهَا بِأَيِّ سِيرَةٍ سَارَتْ: جَنِبًا أَوْ

(1) الديوان: 191 «كما يرد جماح».

(2) الفسولة: الفتور في الأمر. ل/فصل.

(3) العكالة: من عكل الشيء أي: جمع، وعكل الخيل والإبل: شد وسغ يده إلى عضه بجبل. ل/عكل.

غَفَاً^(١). وَإِنْ أُجْرَاهَا عِنْدَ طَلَبِ الْفِرَارِ بِهَا مِنَ الْمَكَارِهِ [45]// كَانَتْ سَبَباً فِي
إِنْقَادِهِ، مُسْتَبْعِداً مُجْرِبَتَهَا، آمِناً مِنْ جِمَاحِهَا وَعُثُورِهَا. فَإِذَا كَانَتْ غَيْرَ مُنْقَادَةً،
نَاقِصَةً الْجَرِيِّ، ذَاتَ جِمَاحٍ، إِنْ طَلَبَ الْفِرَارَ لِحَقِّقَتُهُ عِدَاتُهُ، وَإِنْ طَلَبَ التَّمِيلَ
عَنِ جِهَاتِ عِدَاتِهِ حَسَحَمَتْ^(٢) بِهِ، وَأَوْصَلَتْهُ إِلَى أَيْدِي عِدَاتِهِ، فَرَبَّمَا يَكُونُ سَبَبٌ
مَلَائِكِهِ طَلَبَ نَجَاتِهِ بِهَا؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: (منسرح)

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ عَنْ مَبْنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ فِرَاتِهِ يُصَادِفُهَا^(٣)

فَ (الْجِمَاحُ): مُرُورُ الْفَرَسِ عَلَى وَجْهِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَثْلُبُهُ لِبَاحِمٍ.

وَالْعَوَايَةُ: الْإِنْهَمَاكُ فِي الْمَعَاصِي.

فَإِنْ قُلْتُ: كَيْفَ شَبَّهَ (الْعَوَايَةُ) بِ (الْجِمَاحِ)، وَ (الْعَوَايَةُ) أَشَدُّ، لِأَنَّ جِمَاحَ
الْفَرَسِ يُمَكِّنُ أَنْ يَنْفُكَ عَنْهُ بِطَرْحِ الْفَرَسِ رَأْساً، وَعَوَايَةُ النَّفْسِ لَا يَسْتَطِيعُ
التَّحِيُّ عَنْهَا كَمَا يُتَحَيُّ عَنِ الْمُرْكُوبِ الْجُمُوحِ؟

قُلْتُ: هَذَا تَنْظِيرٌ. وَالتَّنْظِيرُ يَجُوزُ فِيهِ تَنْظِيرُ الْأَعْلَى بِالْأَدْنَى وَالْعَكْسُ؛ وَإِنَّمَا
حَصَلَ التَّنْظِيرُ فِي فَارِسٍ رَكِبَ فَرَساً جُمُوحاً، وَحَصَلَ فِي عِلَّةِ جِمَاحِهَا، كَمَا حَصَلَ
صَاحِبُ النَّفْسِ فِي عَوَايَتِهَا، فَكُلُّ مِنْهُمَا لَمْ يَجِدْ مُخْلِصاً لِنَفْسِهِ مِمَّا تَوَغَّلَ فِيهِ.

فَإِنْ قُلْتُ: فَهُوَ إِذَنْ تَمَنَّى قَاهِراً لِنَفْسِهِ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ حَتَّى تَسْتَوِيَ
السُّطَمِيتَةُ عَلَى تَذْيِيرِ الرُّوحِ، وَإِخْدَامِ الْجَسَدِ فِي طَاعَتِهَا، كَمَا تَقْهَرُ الْخَيْلُ ذَاتَ
الْجِمَاحِ بِاللُّجْمِ.

(١) الجنب: في السباق بالتحريك، أن يجنب فرساً غيرها عند الرهان إلى فرسه الذي
يسابق عليه، فإذا فتر المركوب تحول إلى المجنوب وذلك إذا خاف أن يسبق على
الأول. العنق: سير فسيح واسع. ينظر: المغرب للمطرزي: 2/ 85. ل/ جنب.

(٢) الحمحة: عر الفرس، وهو صوته دون الصهيل. ل/ حمحم.

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه: 421 «من × غراته يوافقها». سيبويه: 3/
161. المقاصد: 2/ 178. شرح الأشموني: 1/ 129، العمدة: 1/ 312 «يوماً على
غرة يوافقها».

قُلْتُ: هُوَ مُرَادُهُ، بَلْ وَفِيهِ اسْتِنْعَادٌ مُدَاوَاةِ جِمَاحِ نَفْسِهِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ:
هِيَ أُنْ جِمَاحِ نَفْسِي لَيْسَ كَجِمَاحِ الْخَيْلِ، فَلَسْتُ بِطَائِعٍ فِي ذِمَّابِ جِمَاحِهَا،
تَوَغَّلًا مِنْهُ فِي إِفْرَاطِ عِصْيَانِهَا وَغَدَمِ اتِّبَاعِهَا [...] ⁽¹⁾.

وفي البيت روايات: (كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ) يَفْتَحُ الْجِيمَ، وَ(يُرَدُّ) بِالْيَاءِ
وَالْبَاءِ لِمَا لَمْ يَسْمَ فَاعِلُهُ. وَيُرَوَّى: (تُرَدُّ) بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ لِمَا لَمْ يَسْمَ فَاعِلُهُ.
وَ(جِمَاحُ) بِكسْرِ الْجِيمِ: قِيلَ: يَفْتَحُ هُوَ الصُّدْرُ، وَبِالْكَسْرِ هُوَ جَمْعُ جَمُوحٍ.
وفيه رواية: (كَمَا يُرَدُّ) بِالْيَاءِ مَبْنِيًا لِمَا لَمْ يَسْمَ فَاعِلُهُ (جَمُوحُ) عَلَى الْإِفْرَادِ.
وقال بعضهم: وَيَصِحُّ فِيهِ: (مَنْ لِي بِرَدِّ جَمُوحِي) يُعْنِي بِهِ: النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ
بِالشُّرِّ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: جِمَاحُ خَيْلٍ رَاكِبِيهَا غَوِيَتْ بِاللُّجَمِ وَلَا مُدَاوَاةَ
لِجَمُوحِي [...] ⁽²⁾.

وَاللُّجَمُ): جَمْعُ لَجَامٍ.

وعلى رواية: (جِمَاحُ) بِكسْرِ الْجِيمِ جَاءَ فِي الْبَيْتِ تَجْنِيسُ مِنْ (جِمَاحِ)
بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكُسْرِهَا. وَعَلَى فَتْحِ جَاءَ مَعْنَى التَّرْدِيدِ.

وفي البيت: التَّشْبِيهُ: «والتَّشْبِيهُ صِفَةُ الشَّيْءِ بِمَا قَارَبَهُ وَشَاكَلَهُ مِنْ جِهَةٍ
وَاحِدَةٍ، أَوْ جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ، لَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، لِأَنَّهُ لَوْ نَاسَبَهُ مُنَاسَبَةً كُلِّيَّةً لَكَانَ
يَنَاءُ؛ أَلَا تَرَى قَوْلَهُمْ: خَذُ كَالْوَرْدِ، إِنَّمَا أَرَادُوا حُمْرَةَ أَوْزَاقِهِ، وَظَرَاوَتَهَا، لَا مَا
سِوَى هَذَا مِنْ ضَمْرَةٍ وَسَطِيهِ، وَخُضْرَةٍ كَمَا فِيهِ ⁽³⁾. وَكَذَا قَوْلُهُمْ: فَلَانٌ كَالْبَحْرِ،
إِنَّمَا يُرِيدُونَ كَالْبَحْرِ سَمَاحَةً ⁽⁴⁾. وَكَذَا تَشْبِيهُ الْبَيْتِ إِنَّمَا هُوَ فِي مُطْلَقِ الْجِمَاحِ،
لَكِنْ لَا مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، لِأَنَّ جِمَاحَ الْخَيْلِ يُدَاوَى، وَهَذَا شَيْءٌ عَسِيرُ

(1) طمس لبعض كلمات لحق يمين الورقة: 45.

(2) نفسه.

(3) الكم: جمعه كمائم، وهو الغطاء. ل/كم.

(4) الكلام عن التشبيه في العمدة: 1/ 488 - 491.

السُدَاوَةُ [...] (1). وَالتَّشْبِيهُ وَقَعَ [كَثِيرًا] (2) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَالْمَوْلَدِينَ؛ قَالَ
أَمْرُؤُ الْقَيْسِ: (طويل)

أَيْفُتْلَنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ (3)
وَالْأَبْيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَفِي الْبَيْتِ: (التَّفْرِيعُ) (4) أَيْضًا: «وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ (الِاسْتِطْرَادِ)، وَهُوَ
كَ (التَّذْرِيجِ) مِنْ (التَّشْبِيهِ)». وَذَلِكَ أَنَّ يَقْصِدَ الشَّاعِرُ وَصْفًا، ثُمَّ [يُفْرَعُ] (5) مِنْهُ
وَصْفًا آخَرَ، يَزِيدُ الْمَوْصُوفَ تَوْكِيدًا نَحْوُ قَوْلِ الْكُمَيْتِ (6): (بسيط)

أَحْلَانَكُمْ لِمَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةً كَمَا دِمَاؤُكُمْ يُشْفَى بِهَا الْكَلْبُ (7)
فَوَصَفَ [46]// شَيْئًا، ثُمَّ [فَرَعَ] (8) مِنْهُ شَيْئًا آخَرَ، لِتَشْبِيهِهِ شَيْئًا هَذِهِ بِشَيْءٍ
هَذِهِ (9). كَمَا شَبَّهَ الْمُؤَلِّفُ الرَّدَّ لِعَوَايَةِ النَّفْسِ بِالرَّدِّ لِمَجَاحِ الْخَيْلِ بِاللُّجَمِ.
وَذَكَرَهُ (اللُّجَمُ) مِنْ تَنْجِيمِ حُسْنِ مَعْنَاهُ. لِأَنَّ الْغَالِبَ فِي رَدِّ الْجَمَاحِ إِنَّمَا
يَكُونُ بِهَا؛ وَإِلَّا قَدْ يَرُدُّ الْجَمَاحُ بِضَرْبِ عَصَا، وَقَدْ يَزِيدُهُ الضَّرْبُ بِهَا زِيَادَةً فِي

(1) طمس بآخر لحق يسار الورقة 45.

(2) في الأصل: «كثير»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) الديوان: 33، وفي الكامل: 96/3 «أتوعدني». مسنونة: محدة.

(4) ينظر بحثه في: العمدة: 632/1، المصباح في علم المعاني والبدیع: 108، الطراز:

132/3، تحرير التحيير: 372، منهاج البلغاء: 59، نهاية الأرب: 160/7، ابن

حجة: 414/1، أنوار الربيع: 474/2.

(5) في الأصل «يفرع». ولعل الأنسب ما أثبتناه كما في العمدة: 632/1.

(6) هو الكميت بن زيد الأسدي أبو المستهل، شاعر أموي من الكوفة، (ت/ 126هـ).

ترجمته في: (الشعر والشعراء: 581/2، الأعلام: 92/6).

(7) شعر الكميت: 81/1، كفاية الطالب: 189، العمدة: 932/1، منهاج البلغاء:

59، همع الهوامع: 265/1 «تشفى من الكلب» المعاهد: 88/3، تذكرة النحاة:

51، الكلب: عضة الكلب الكلب. ل/ كلب.

(8) في الأصل: «فرع».

(9) الكلام عن التفریع في: كفاية الطالب: 188، العمدة: 631/1 - 632 بتصرف

جَمَاحِهِ، فَقَالَ: (بِالْجُمِّ) مَعَ أَنْ (كَمَا يُرَدُّ جَمَاحُ الْخَيْلِ) كَافٍ فِي الشَّيْبَةِ.
لَكِنْ نَصْرٌ عَلَى الرَّجْعِ الْحَسَنِ الَّذِي لَا يَكُونُ فِيهِ تَشْوِيشٌ عَلَى الْفَرَسِ وَلَا عَلَى
الْفَارِسِ. الْفَرَسُ تَرْدَعُهُ حَكْمَةُ اللَّجَامِ، وَالْفَارِسُ يُسْهَلُ عَلَيْهِ جَذْبُهُ مِنْ غَيْرِ
مُضَارَبَةٍ وَلَا مُضَارَعَةٍ مَعَهُ. وَلَيْسَ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ بِالْمَعْنَى الَّذِي لَا يُسْتَوْفَى
مَعْنَاهُ إِلَّا بِالْإِثْنَانِ بِالْمُتَّحِمِ. كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾
(الأعراف: 171)⁽¹⁾، فَإِنَّ الْجُمْلَةَ قَبْلَ الْإِثْنَانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾
(الأعراف: 171)⁽²⁾ لَا يُثْبِتُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَعْنَى كَيْفِيَّةِ التَّنَقُّ حَتَّى يَبَيِّنَ بِقَوْلِهِ:
﴿كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ أَي: كَمَا تَكُونُ الظِّلَّةُ مِنْ غَيْرِ دَعَامَةٍ. وَأَمَّا رَدُّ الْجَمَاحِ فِي الْخَيْلِ
فَإِنَّهُ يُدْرِكُ السَّامِعَ أَنَّهُ يُدْفَعُ بِكُلِّ قَامِعٍ. وَأَفَادَ (بِالْجُمِّ) الرَّجْعَ الْمُسْتَعْمَلَ فِيهِ
غَالِيًا، وَعَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ الرَّدِّ.



(1) التَّقِي: الزَّعْزَعَةُ وَالْهَزَقُ وَالْجَذْبُ وَالنَّقْضُ. ل/نَتَقُّ.

(2) الظِّلَّةُ: كُلُّ مَا أَظْلَكَ.

فَلَا تَزُرْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ⁽¹⁾

شرح: هَذَا حُكْمٌ وَعَظِيٌّ رَتَّبَهُ عَلَى مَفْهُومِ صِفَاتِ النُّفُوسِ الْأَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْقِيَادِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا وَقَعَ وَارْتَسَمَ فِي قَلْبِكَ، وَانْطَبَعَ فِي مِرَاةِ عَقْلِكَ ذَاءُ غَوَايَةِ نَفْسِكَ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ، فَكُنْ أَجْزَأَ فِي عِلَاجِهَا، وَإِيَّاكَ وَتَرْكُهَا عَلَى انْهِسَابِهَا فِي تَتَبُعِ شَهْوَاتِهَا، وَلَا تَنْظُرْ أَنَّكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَغَرَضْتَهَا، وَتَتَبَعَ شَهْوَاتِهَا، أَنَّهَا تَنْزِعُ عَنْ طَبْعِهَا، وَتُفْلِحُ عَنْ حَسَاسَتِهَا، بَلْ تَتَوَطَّنُ عَلَى مَا عَهَدَتْ وَتَسْتَرِيدُ، فَإِنَّهَا كَطَالِبِ الطَّعَامِ عَلَى الْجُوعِ الْمُرَكَّبِ فِي طَبْعِ الْجَانِعِ، فَهَمَّا أَكْثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَكْلَ رَادٌّ فِي طَلَبِ الطَّعَامِ.

وَالنَّهْمُ: اسْمٌ فَاعِلٍ مِنَ (نَهَمَ) كَ (أَسِرَ) فَهُوَ أَسِيرٌ، وَقَطَرَ فَهُوَ فَطِيرٌ. وَالنَّهْمُ: الْمُفْرِطُ فِي اشْتِهَاءِ الطَّعَامِ. وَالنَّهْمَةُ: الْمُبَالِغَةُ فِي تَحْصِيلِ مَطَالِبِ النَّهْمَةِ. وَالْمَنْهُومُ بِالشَّيْءِ: الْمَوْلُوعُ بِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْهُومانِ لَا يَشْبَعَانِ أَبَدًا: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا»⁽²⁾. أَي: مَوْلُوعَانِ بِمَا تَعَلَّقَا بِهِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِحَلَاوَةِ الْعِلْمِ، وَمَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِطَلَبِ حُطَامِ الدُّنْيَا.

وَقَوْلُهُ: (فَلَا تَزُرْ)، أَي: لَا تَظْمَعُ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَةِ النَّفْسِ عَنْ السَّعَاصِي، بَلْ لَا تَتَزَيَّدُ النَّفْسُ بِاسْتِرْسَالِهَا عَلَى الْمَعَاصِي إِلَّا رُسُوحَ تَوَلُّعٍ وَثُبُوتَ تَوَلُّعٍ.

وَالْمَعَاصِي: جَمْعُ مَعْصِيَةٍ. وَ(عَصَى) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يُرَادُّ بِهِ: خَالَفَ

(1) الديوان: 191.

(2) سنن الدارمي: 108/1، المستدرک: 92/1، مجمع الزوائد: 135/1، المعجم

الكبير: 180/10، شعب الإيمان: 271/7، كتاب الزهد لابن أبي عاصم: 1/

215، كشف الخفاء: 380/2، الإحياء: 232/3.

مَا أَمِرَ بِهِ. وَيَكُونُ بِمَعْنَى [قَسًا]⁽¹⁾، وَمَنَعَ نَفْسَهُ مِنَ اللَّيْنِ؛ كَقَوْلِكَ: عَضَى
النَّفْسُ، أَيْ: دَوَى وَيَبَسَ حَتَّى مَنَعَ نَفْسَهُ مِنَ التَّثْنِيَةِ وَالْإِنْعِطَافِ. وَيَكُونُ
(عَضَى) بِمَعْنَى: لَمْ يَأْتِ بِمَا أَمِرَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ تَرْكُهُ إِيَّاهُ عَلَى غَيْرِ تَعَسُّدٍ.

وَقَوْلُهُ: (فَلَا تَرُمْ): خِطَابٌ لِمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْوَصِيَّةِ، لَا أَنَّهُ خِطَابٌ
لِلْعَيْنِ؛ [وَهُوَ مِنْ كَلَامِ الْمَسْئُولِ، وَإِنْ أَرَادَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ كَلَامِ
السَّائِلِ، وَكَأَنَّهُ لَمَّا تَشَكَّى الْمَسْئُولُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ، وَأَنَّ جِنَاحَهَا فِي غَوَايِئِهَا
لَمْ يَجِدْ لَهُ حِيلَةً، كَأَنَّ السَّائِلَ قَالَ: عَلَتْكَ إِهْمَالُهَا أَوَّلًا، وَتَرَكْتُهَا وَشَهَوَاتِهَا،
فَإِنْ أَرَدْتَ مَذَاوِئَهَا فَلَا تَرُمْ وَإِنْ لَاحَ؛ لَكِنَّ الْأَمْرَ عِلَاقَةً، بَلْ هُوَ تَرْضِيَّةٌ مِنَ
الْمَسْئُولِ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: مَا مُصِيبَتِي إِلَّا تَرْكِي إِيَّاهَا وَشَهَوَاتِهَا، فَلَا تَرُمْ أَيُّهَا
السَّامِعُ.

(وَرَامَ): لَفْظٌ مُشْتَرِكٌ. يَكُونُ بِمَعْنَى: طَلَّتْ وَيَكُونُ بِمَعْنَى: بَعُدَ. قَالَ
الشَّاعِرُ: (وَأَفَرُ)

لِمَنْ ظَلَّلَ بِرَامَةٍ لَا يَرِيمُ⁽²⁾

(وَرَامَةٌ): مَوْضِعٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: التَّشْبِيهُ هُنَا قَاصِرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ (النِّهَمَ) وَإِنْ أَمِرَ بِقَطْعِ اسْتِرْسَالِهِ
عَلَى تَشْبِيهِ [47]// فَإِنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَبْقَى لَهُ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَقِيتُ بِهِ النَّفْسَ. وَإِنْ
أَعْظَمْنَا التَّشْبِيهَ حَقَّهُ خَرَجَ مِنْهُ: أَنْ يَتْرَكَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَعَاصِي شَيْئًا كَمَا تَرَكَ
لِلنِّهَمِ شَيْئًا، وَجِنْسُ الْمَعَاصِي كُلُّهُ مُحَرَّمٌ فَلَا يَتْرَكَ لِلنَّفْسِ مِنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ،
وَيَذُلُّكَ عَلَى أَنَّ النَّفْسَ لَا بُدَّ أَنْ يَتْرَكَ لَهَا حَقًّا مَا: قَوْلُهُ بَعْدَ: (فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ
شَرٌّ مِنَ الثُّخَمِ)⁽³⁾.

(1) في الأصل: «قسا» والصواب «قسا» من القسوة.

(2) البيت لزهير سبق تخريجه ص 48.

(3) الديوان: 192، صدره: «واخش الدسائس من جوع ومن شبع».

قُلْتُ: إِنَّمَا ذَلِكَ لِتَغَايِرِ الْجَنْسَيْنِ؛ لَمَّا كَانَ الطَّعَامُ فَسَادُهُ لَا مِنْ جِهَةٍ تَنَاولُ
الْجَنْسَ، بَلْ مِنْ جِهَةِ الْإِمْعَانِ عَلَى الْإِكْثَارِ مِنْهُ، وَمُفْسَدَةُ الْمَعَاصِي مِنْ جِهَةِ
الرُّكُونِ إِلَى جَنْبِهَا كَاتِبًا مَا كَانَ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ؛ فَالْتِّشْبِيهِ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الْقَدْرِ
الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ الْفُسَادُ، وَهُوَ الْقَدْرُ الْمُطْغِي الْمُخْرِجُ عَنْ حَدِّ الْإِغْتِدَالِ. وَقَلِيلُ
الْمَعَاصِي وَكَثِيرُهَا فِي التَّحْرِيمِ سَوَاءٌ. وَكَمَا أَنَّ النَّهْيَ يُتْرَكُ لَهُ مَا يُقِيمُ بِهِ الْأَوْدُ^(١)
وَيَحْفَظُ بِهِ النَّفْسَ عَنِ الرُّهُوقِ، فَكَذَلِكَ يُعَوِّضُ لِلنَّفْسِ مِنْ نَيْلِ لَذَائِهَا مَا يَقُومُ
مَقَامَهَا، لَكِنْ مَعَ مُخَالَفَةِ الْحُكْمِ، فَيُعَوِّضُ لَهَا عَوَضًا عَنِ الزُّنَا الْإِسْتِمْتَاعِ بِالْحَرِيمِ
بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ وَمِلْكِ الْبَيْمَنِ. وَمَا يَكُونُ مِنْ شَهَوَاتِهَا الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي لَا بَدَلَ لَهَا
بِالْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَهُمَا فَكَمَا يَكُونُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ مَا لَهُ بَدَلٌ، وَمَا لَا بَدَلَ لَهُ فِي
غَيْرِ السَّطَاعِمِ، كَذَلِكَ يَكُونُ فِي الْمَطَاعِمِ. وَقَوْلُهُ: (إِنَّ الطَّعَامَ): تَغْلِيلٌ، أَيْ:
إِنَّمَا لَا تُتْرَكُ لِأَجْلِ أَنَّ الْإِسْتِرْسَالَ يَقْوِي شَهْوَةَ الْمُسْتِرْسِلِ فِي مَا اسْتُرْسَلَ عَلَيْهِ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْأَمْرُ الْإِسْتِرْسَادِي، لِأَنَّهُ وَاعِظٌ، أَمَرَ بِالْخَيْرِ، هَادٍ إِلَيْهِ،
وَالنَّصِيحُ. وَالْأَمْرُ بِالْإِفْلَاحِ عَمَّا لَا يَنْبَغِي ذَا عِ شَرْعِيٍّ إِلَى التَّوْبَةِ.

فَإِنْ قُلْتُ: وَمَا الَّذِي حَرَّكَ النَّازِمَ إِلَى هَذَا التَّشْبِيهِ وَهَذَا التَّغْلِيلِ؟

قُلْتُ: تَوَهُّمُ أَنَّ الْمَعْتَرِضَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ النَّفْسَ أَقْلَعَتْ جَبْرًا عَنِ الْمَعَاصِي
قَبْلَ النِّهَايَةِ فِي اسْتِمْتَاعِهَا بِهَا لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى كَسْرِ التَّوْبَةِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى
الْمَعَاصِي الَّتِي لَمْ تُتْرَكْ حَتَّى تَصِلَ إِلَى مُنَاهَا بِبُلُوغِ الْأُمْنِيَةِ. قَالَ: لَا تَتَوَهُّمُ
ذَلِكَ، بَلْ طَالَمَا أُرْسَلَتْهَا زَادَتْ مَحَبَّةً وَوُلُوعًا. وَقَاسَ عَلَى الطَّعَامِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى
النَّهْيِ؛ وَكَأَنَّهُ يَنْفِي بِهِذَا مَا أَثْبَتَهُ الْوَهْمُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَهْمَ قَدْ يُثْبِتُ شَيْئًا فَيَنْفِيهِ
الْعَقْلُ، وَإِذَا عَارَضَ الْوَهْمُ الْعَقْلَ فَالْحَقُّ مَا أَثْبَتَهُ الْعَقْلُ لَا مَا أَوْرَدَهُ الْوَهْمُ.

وَفِيهِ الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ [...] (٢).

(١) الْأَوْدُ: العوج. ل/أود.

(٢) طمس بآخر لحق يمين الورقة 47.

وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهْمِلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقْطَعَهُ يَنْقُطِمُ⁽¹⁾

شرح: هذا في معنى تنبيه ثانٍ، وهو مؤكّد للتعليل المتقدم، وهو من أنواع التكرير الذي قدّمناه أولاً؛ فإن قوله في البيت أولاً في قُرّة قول من يقول: طالما أرسلت النفس على شهواتها زادت بها محبة، وفيها رغبة، ولا يدرّكها ملل، ولا غي الجنوح إليها كسل، كالجائع النهم، وإن شئت مثلت بالطفل.

و(الطفل): هو الصغير من أولاد الآدميين من حين انفصاله من بطن أمه إلى بلوغه. و(الطاء) منه مكسورة، و(الفاء) ساكنة. وأما (الطفل) ينشج الطاء والفاء: فهو عبارة عن الدخول في الشيء؛ قال الشاعر: (بسط)

سجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع والنفس إذا الضحى كالنفس في الطفل⁽²⁾

والتشبيه بالطفل في حالة الرضاع بالنفس أتم، لأن التهم إن قطعت عنه الطعام وأطعمته [...] ⁽³⁾ لكن ولو طال قطعه عن الطعام، لو أعدت الإكثار عليه لعاد إلى أكله لا كمثلي أكله الأول. والطفل إن أرسلته على الرضاع استرسل، وإن قطعت، وطالت مدة فطامه لا يعود للرضاع، ولا يستيه، فاتفقاً في ظرف الاسترسال، واختلفا في ظرف ترك العودة للحالة إن أعيد إليها، ويُعتبر من الناظم عزّل رقيق.

(1) الديوان: 191.

(2) البيت للطغراني، مطلع لامية العجم المشهورة، وهو في ديوانه: 63/1، جوهر الكنز: 528، الكشكول: 397/1، شرع: سواء. راد الضحى: ارتفاع الشمس. الطفل: ما بعد العصر. والطفل: آخر النهار. ل/شرع، راد، طفل.

(3) طمس في الأصل أسفل الورقة: 47.

فَإِنْ قُلْتُ: هَذَا حُكْمٌ عَلَى النَّفْسِ قَبْلَ تَصَوُّرِهَا، وَالْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ قَرَعٌ
عَنْ تَصَوُّرِهِ.

قُلْتُ: اسْمُهَا عِنْدَ النَّاسِ شَهِيرٌ [48]// وَمَا اسْتَهَزَ وَشَاعَ وَذَاعَ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى
تَبَايَلٍ وَأَوْصَافِ النَّفْسِ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَالْجَلَافَةِ⁽¹⁾ غَيْرُ خَفِيِّ، أَوْ أَنَّهَا لَا
يُذْرِكُ إِلَّا اسْمُهَا، فَلَا يُذْرِكُ [...] ⁽²⁾ وَإِنْ كَانَتْ حَقِيقَتُهَا هِيَ بِنَفْسِهَا غَيْرَ
مُعْتَوِلَةٍ لَشِدَّةِ خَفَائِهَا. وَمَا هُوَ كَذَلِكَ لَا يُعْتَرِضُ بِهِ عَلَى تَارِكِهِ. وَالْكَلَامُ فِي
النَّفْسِ مَبْسُوطٌ بِكَثْرَةِ، خِلَافَهُ فِي أَمَاكِينِهِ، وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ فِي شَرْحِنَا
الْكَبِيرِ. وَنَهَايَتُهُ مَا تَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهِ، فِي أَنْوَاعِهَا: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: «أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ
وَمُظْمِنَةٌ». وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: أَرْبَعَةٌ: «سَوَالَةٌ، وَلَوَامَةٌ، وَأَمَارَةٌ، وَمُظْمِنَةٌ».

وَأَمَّا حَقِيقَتُهَا فَقَدْ قِيلَ: «إِنَّ خِلَافَ النَّاسِ نَافَ عَلَى الثَّلَاثِمَائَةِ قَوْلٍ، وَلَمْ
يَقِفْ أَحَدٌ عَلَى حَقِيقَتِهَا»⁽³⁾. وَفِيهَا خِلَافٌ: هَلْ هِيَ وَالرُّوحُ مُتَبَايِنَانِ أَوْ
فَرَادَتَانِ؟ وَهَذَا فِي حَالِ الدُّنْيَا. وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَيُفْهَمُ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّفْسَ [شَدِيدَةً]⁽⁴⁾ التُّفُورِ مِنْ أُمُورِ الْخَيْرِ؛ قَالَ
الشَّاعِرُ: (بسيط)

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفِ فِي الشَّجَبِ⁽⁵⁾
فَقِيلَ: تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً وَقِيلَ: تُشْرِكُ نَفْسُ الْمَرْءِ فِي الْعَقْلِ

(1) الخلافة: الجلف الأعرابي الجافي. وفي المحكم: الجلف: الجافي في خلقته
وخلقته. ل/جلف.

(2) طمس بآخر لحق أعلى يسار الورقة 48.

(3) ينظر: إحياء علوم الدين: 1/ 880، مدارج السالكين: 1/ 278، الموافق في علم
الكلام: 257 - 299.

(4) في الأصل: «شديد».

(5) الأبيات للسنيني في ديوانه: 1/ 95 - 96 برواية: «تُشْرِكُ جِسْمًا» و«ومهجته × العجز
والتعب». شرح لامية العجم: 2/ 150 برواية: «بهمجتها × العجز والتعب». الشجب:
الحزن والهلاك. ل/شجب.

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَغَايَتِهَا أَقَامَهُ الْفَكْرُ بَيْنَ الْعُجْبِ وَالْعَجَبِ

قَالَ الْإِمَامُ الْقَوَارِيرِيُّ^(١): «الْأَمَارَةُ: هِيَ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْهَلَاكِ، الْمُعِينَةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْمُتَّبِعَةُ لِلْمَهْوَى، الْمُتَّبِعَةُ بِأَصْنَافِ الْأَسْوَاءِ». وَقَدْ أَقَامَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ فِي رِغَايَتِهِ^(٢) الْبُرْهَانَ عَلَى أَنَّهَا أَشَدُّ أَعْدَاءَ الْإِنْسَانِ، وَقَلَمًا يَنْفُكُ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِهَا عَنْ رِيَاءٍ، أَوْ كِبَرٍ، أَوْ عَجَبٍ. وَمَنْ كَشَفَتْ عَنْ حَقِيقَتِهَا تَحَقَّقَ أَنَّهَا هِيَ السَّبَاشِرَةُ لِأَسْبَابِ مِخْنَةٍ صَاحِبَتِهَا بِضُرُوبٍ مُعَاصِيَتِهَا. وَقَدْ بَسَطْتُ فِي «الشَّرْحِ الْكَبِيرِ» أَحْوَالَهَا، وَمَا يُقَرَّرُ أَعْمَالُهَا.

وَمَا قَرَّرَ الْمُؤَلَّفُ النَّازِمُ مِنْ تَغْنِيلٍ هُوَ بَيْنَ (الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ)^(٣) عِنْدَ أَرْبَابِهِ عِلْمِ الْبَيَانِ: «وَهُوَ أَنْ يُورِدَ الْبَلِيغُ حُجَّةً عَلَى مَا يَدَّعِيهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُسْتَكْمَلِينَ»^(٤). قَالَ تَعَالَى: «أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ»^(٥) وَصَرَّبَ لَنَا مَثَلًا وَلَيْسَ خَلَقْنَاهُ قَالَ مَنْ يُعَيِّ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ» [يس: 77، 78]. فَحَمَّهْم بِدَلِيلِ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ.

وَقَالَ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَوْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّ خَيْلًا تَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ، مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ»^(٦). فَلَمَّا أَقْرَأُوا بِصَدَقَةِ أَنْذَرَهُمْ.

(١) هو عبيد الله بن مسيرة أبو سعيد الجشسي مولا هم البصري القواريري، حافظ محدث، (ت235هـ). ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 350/7، تذكرة الحفاظ: 438/2، تهذيب التهذيب: 40/7، سير النبلاء: 442/11).

(٢) «الرعاية» كتاب في التصوف والسلوك وآداب القوم، مطبوع. ينظر: كشف الظنون: 908/1، ترجمته في: 280.

(٣) ينظر: بديع ابن المعتز: 101، العسدة: 692/2، لصناعتين: 410، تحرير التحبير: 119، الإيضاح: 516، نهاية الأرب: 114/7، حسن التوسل: 56.

(٤) النص في الإيضاح: 516.

(٥) البخاري: 34/18، مسلم: 193/3، السنن الكبرى: 330/4، دلائل النبوة لأبي نعيم: 217/1، الروض الأنف: 230/1.

وقال علي⁽¹⁾ عليه السلام يَوْمَ السَّقِيفَةِ⁽²⁾ لَمَّا قَالَتِ الْأَنْصَارُ⁽³⁾: «مِنَّا أَمِيرٌ،
وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ»⁽⁴⁾: «هَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «بِأَنْ تُحْسِنَ إِلَى
مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ»⁽⁵⁾ لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ
فِيهِمْ». وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ: (بسيط)

دَعِ النُّجُومَ لِطَرْقِي يَعْيشُ بِهَا وَبِالْعَزَائِمِ فَانْهَضْ أَيُّهَا الْمَلِكُ⁽⁶⁾
إِنَّ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَ النَّبِيِّ نَهَوَا عَنِ النُّجُومِ وَقَدْ أَبْصَرْتَ مَا مَلَكَوا

و(الرِّضَاعُ): بِكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا.

وَقَوْلُهُ: (شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ)، أَي: تَمَادَى، وَارْتَفَعَتْ حَالُهُ عَنْ
صَعْرِهِ. وَشَبَّ الْغُلَامُ شَبَابًا، وَالْفَرَسُ شَبَابًا وَشَيْبًا، وَشَبَّتِ النَّارُ [49] شَبًّا
وَشَيْبًا: وَقَدَّتْ. وَشَبَّ الْخِمَارُ وَجْهَ الْجَارِيَةِ: حَسَنَهُ. وَأَشَبَّ الرَّجُلُ: إِذَا شَبَّ

(1) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، رابع الخلفاء الراشدين
(ت40هـ). ترجمته في: (الحلية: 1/ 65، الصموية: 1/ 118، مروج الذهب: 2/ 39، الأعلام: 4/ 295).

(2) سقيفة بني ساعدة، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها. ينظر: معجم البلدان: 3/ 228 - 229.

(3) الأنصار: هم الأوس والخزرج، بطنان عظيمان من الأزد من القحطانية، أهل عز
ومنة، منازلهم بالمدينة. ينظر: الاشتقاق: 260، صبح الأعشى: 1/ 319، جزيرة
العرب: 235، معجم قبائل العرب: 1/ 51.

(4) ينظر: البخاري: 3/ 1341، المستدرک: 3/ 70، الأحاديث المختارة: 1/ 336،
مجمع الزوائد: 5/ 182.

(5) الوصية في: البخاري: 3/ 1383: «قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْأَنْصَارَ كُرْشِي وَعَيْتِي،
وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقْلُونَ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ». ينظر: مسلم:
4/ 1340، ابن حبان: 15/ 354، المستدرک: 4/ 89.

(6) البيتان وهما بدون عزو في التبيان: 318، عقود الجمان: 2/ 119، محاضرات
السيوطي: 1/ 245، أنوار الربيع: 4/ 361. البيتان لطفه بن إبراهيم بن أبي بكر كمال
الدين الهمداني الأربلي الشافعي في البداية والنهاية: 7/ 279. النجوم الزاهرة: سلطة
الملك السعيد.

وَلَدُهُ. وَأَشْبَّ لِلشَّيْءِ: إِذَا رَفَعَ طَرَفُهُ إِلَيْهِ وَنَظَرَهُ. وَأَشْبَّ اللَّهُ قَرْنَهُ: إِذَا دَعَوَتْ إِلَيْهِ.

وقوله: (سَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ): هُوَ جَوَابُ الشَّرْطِ، وَهُوَ الْمُبْرَهَنُ بِهِ عَلَى أَقْوَالِ النَّفْسِ.

و(فَطَمَتِ) الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا فَطَمًا وَفِطَامًا: إِذَا قَطَعَتْ عَنْهُ الرِّضَاعَ. وَفَطَمْتُ الرَّجُلَ عَنْ حَاجَتِهِ: إِذَا مَنَعْتَهُ.

و(يَنْفَظِمُ): مُطَاوَعُ فَطَمَ.

وفي البيت: (الْمُرَاوَجَةُ)^(١): «وَهُوَ أَنْ يُزَوِّجَ بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ»؛ قَالَ الْبُخْتَرِيُّ: (طويل)

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِهِ الْهَوَى أَصَاخَ إِلَيَّ الْوَأَشِي فَلَجَّ بِي الْهَجْرُ^(٢)
وَهُوَ مُوجُودٌ فِي كَلَامِهِمْ كَثِيرٌ.



(١) ينظر: الزهرة: 27، دلائل الإعجاز: 126، الموازنة: 80/2، نهاية الإيجاز: 286، منهاج البلغاء: 196، نهاية الأرب: 154/7، الإيضاح: 497، المعاهد: 255/2.

(٢) الديوان: 844/2 «فلج بي الهوى × أصاخذ... فلج بها». نهاية الأرب: 154/7 «لج بي». لج: تمادى وأوغل. أصاخذ: أنصت واستمع.

فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُثْلِيَهُ إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُضْمِ أَوْ يُصِمُّ⁽¹⁾

شرح: لِهَذَا الْبَيْتِ كَانَتِ التَّوْطِئَةُ بِالَّذِي قَبْلَهُ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي مَعْنَى التَّكَرَّارِ مَعَ مَا قَبْلَهُ لِكُنْ فِيهِ مَزِيدٌ مِثَالٍ وَتَوْطِئَةٌ لِهَذَا الْبَيْتِ.

وَفِي (الْفَاءِ) مَعْنَى السَّبَبِ؛ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: فَبِسَبَبِ أَنَّ النَّفْسَ كَمَا بَيَّنْتُ لَكَ مِنْ أَعْوَالِهَا فَاصْرِفْ هَوَاهَا. وَهَذَا مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْمُسَبَّبِ عَقِبَ ذِكْرِ سَبَبِهِ، وَلِذَلِكَ أَنَّ تَرْكَ النَّفْسِ وَهَوَاهَا يَزِيدُهَا طُغْيَانًا؛ قَالَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾⁽²⁾ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾⁽³⁾ [النازعات: 40 - 41]. وَالْجَنَّةُ غَايَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَطْلَبُ الْخَائِفِينَ.

وَعَنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ⁽³⁾ كَلَّمَهُ قَالَ: «خَطَرْتُ عَلَى مَالِكٍ كَلَّمَهُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَرَأَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾⁽⁴⁾ [النازعات: 40] وَيَخْوَرُ فِي الْبُكَاءِ، وَتَحَقَّقَهُ الْعَبْرَةُ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ حَالَهُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ عَلَيْهِ». وَفِي الْبَيْتِ رَوَايَتَانِ: (وَحَاذِرْ أَنْ تُثْلِيَهُ)، أَيْ: أَنْ تَجْعَلَهُ عَلَيْكَ وَآلِيًا. وَالرُّوَايَةُ الْأُخْرَى: (أَنْ تُثْوَالِيَهُ) مِنَ الْمُثْوَالَةِ. وَالرُّوَايَةُ الْأُولَى أَحْسَنُ، إِذِ الرُّوَايَةُ الثَّانِيَةُ تُشِيرُ أَنَّ تَرْكَ الْهَوَى وَالنَّفْسِ وَإِنْ لَمْ تُؤَالِ التَّرْكَ. وَأَمَّا الرُّوَايَةُ الْأُولَى فَهِيَ نَهْيٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ الْهَوَى عَلَيْكَ وَآلِيًا، أَيْ: حَاكِمًا، وَلَا يَتَأْتَى

(1) الديوان: 191.

(2) في الأصل: «نفسه» والصواب ما أثبتناه.

(3) هو عبد الرحمن بن مهدي، أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي، مولا هم البصري،

إمام ناقد مجود حافظ. ترجمته في: (تهذيب التهذيب: 279/6، تذكرة الحفاظ: 1/

329، النجوم الزاهرة: 2/159، شذرات الذهب: 1/355، سير النبلاء: 9/

192).

تَرْكُهُ عَلَى تِلْكَ الصَّنَةِ إِلَّا بِقَطْعِ غَلَائِقِهِ، وَاسْتِثْصَالِ جِزِيهِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ وَالِيًا
اسْتَوَلَى عَلَى الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، وَصَارَا تَحْتَ حُكْمِهِ.

وَلَمَّا أَنْ حَدَرَ، عَلَّلَ نَهْيَهُ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّ الْهَوَى إِنْ تَوَلَّى،
أَوْ تَوَالَى، لَا بُدَّ أَنْ يُحْدِثَ أَحَدَ أَمْرَيْنِ: إمَّا أَنْ يَقْتُلَ، وَإِمَّا أَنْ يَتْرَكَ عَيْبًا؛ فَإِنَّ
(أَضْمَى) يُضْمِي بِمَعْنَى: قَتَلَ يَقْتُلُ وَأَمَّا (وَصَمَ) يَصْمُ، أَيُّ: تَرَكَ فِي مَا وَقَعَ بِهِ
الْوَصْمُ عَيْبًا. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا شَأْنُ الْهَوَى إِنْ تَوَالَى أَوْ تَوَلَّى: إمَّا أَنْ يَقْتُلَ
ثَابِعَهُ، أَوْ يُحْدِثَ فِيهِ عَيْبًا؛ فَالْقَتْلُ هُنَا: الْخُرُوجُ عَنِ الْمِلَّةِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ،
وَالْعَيْبُ: هُوَ ارْتِكَابُ الْمَعَاصِي، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ مَذْمُومٌ.

وَقَالَ بَعْضُ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى النَّيِّبِ: «إِنْ مَعْنَاهُ: يَعْصُ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَضْمَى
الْفَرَسَ عَلَى اللَّجَامِ، أَيُّ: عَصَّ عَلَيْهِ». وَهُوَ بَعِيدٌ مِنْ قَصْدِ النَّاظِمِ. وَإِنَّمَا مَعْنَى
أَضْمَى: قَتَلَ؛ مِنْ قَوْلِكَ: أَضْمَيْتُ الصِّبْدَ، أَيُّ: قَتَلْتُهُ. وَوَصَمْتُ الشَّيْءَ، أَيُّ:
أَحْدَثْتُ فِيهِ وَصْمًا. فَفِي كَلَامِ النَّاظِمِ إِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ فِي قَطْعِ عَادَةِ هَوَى النَّفْسِ.

وَقَالَ الْقَائِلُ الْمَذْكُورُ: «إِنْ (أَوْ) هُنَا [50] // بِمَعْنَى: (الْوَاوِ)»، عَلَى
حَسَبِ مَا ارْتَكَبَ مِنَ التَّفْسِيرِ؛ كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنْ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يَعْصُ وَيَعِيبُ،
فَيَجْعَلُ الْعَصَّ سَبَبَ الْعَيْبِ. وَالَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَلَيَقُ بِكَلَامِ النَّاظِمِ، فَإِنَّ (أَضْمَى)
فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بَيِّنٌ، وَ(وَصَمَ) كَذَلِكَ، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ أَصْحَابُ كُتُبِ
الْأَفْعَالِ^(١).

و(الصَّرْفُ) فِي اللَّعَةِ: الرَّدُّ. يُقَالُ: صَرَفْتُ الشَّيْءَ صَرْفًا: رَدَدْتُهُ.
وَصَرَفْتُ الرَّجُلَ عَنْ إِزَادَتِهِ كَذَلِكَ.

و(هَوَى النَّفْسِ): شَهْوَتُهَا. وَفِعْلُهُ: هَوَى يَهْوِي هَوًى. نَحْوُ: عَمِيَ يَعْمَى
عَمًى. وَأَمَّا الْهَوَاءُ مَمْدُودٌ: فَهُوَ الْفَضَاءُ. قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: (مَجْزُوءُ الْكَامِلِ)

(١) ينظر: أفعال ابن القوطية، وعلي بن عمر الجباني، وابن الفطاع، والسرفسطي، وابن
مالك، وابن طريف: مادة/ وصم.

لَا تَرْكَنَنَّ إِلَى الْهَوَىٰ وَاحْذَرْ مُفَارَقَةَ الْهَوَا⁽¹⁾

وَمِنْ كَلَامِ الْقَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ⁽²⁾: (بسيط)

طَيْبُ الْهَوَاءَيْنِ: [مَسْدُودٌ وَمَقْصُورٌ]⁽³⁾

وَالْمُحَازَرَةُ: تَخْوِيفُ النَّفْسِ أَنْ تَقَعَ فِي السَّهَالِكِ وَمُكَارِهِ الْأُمُورِ. وَهُوَ مِنْ حَازَرَ يُحَازِرُ وَالْأَمْرُ مِنْهُ حَازِرٌ؛ لَكِنَّهُ جَاءَ بِهِ هُنَا اسْمٌ فَاعِلٌ مِنْ حَذَرَ يُحْذِرُ. وَحَازِرٌ يُحْذِرُ فَهُوَ حَذِرٌ، أَيْ: خَافَ مِنَ الْعَوَاقِبِ، وَهُوَ بِالدَّالِ الْمُعْجَمَةِ. فَإِنْ أَهْمِلْتَ الدَّالَ كَانَ بِمَعْنَى: اجْتِمَاعُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ. يُقَالُ: حَذَرَ فُلَانٌ حَذَرًا، أَيْ: اجْتَمَعَتْ خَلْقُهُ. وَحَذَرَتِ الْعَيْنُ حَذَارَةً، أَيْ: عَظَفَتْ، وَاتَّسَعَتْ فِيهِ حَذِرَةٌ. وَحَذَرْتُ الْجِسْمَ حَذَرًا، وَأَحْذَرْتُهُ حَتَّى حَذَرَ حُذُورًا: إِذَا تَوَرَّمَ. وَحَذَرْتُ السَّفِينَةَ فِي الْمَاءِ، أَيْ: رَمَيْتُ بِهَا فِيهِ. وَحَذَرْتُ الْعِمَامَةَ: فَتَلْتُ أَطْرَافَهَا. وَحَذَرْتُ الْقِرَاءَةَ: أَسْرَعْتُ بِهَا. وَالرُّبَاعِي فِي هَذَا كُلُّهُ لَعْنٌ زِدِيَّةٌ. وَمِنْ الْمُعْجَمَةِ بِمَعْنَى الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَجْعَلُونَ أَسْبَعُكُمْ فِي مَاذَا مِنْهُمْ مِنَ الْقَوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: 19]. ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: 102]. وَ﴿لِيَحْذَرَ الَّذِينَ﴾ [النور: 61]. وَ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ [الزمر: 9]. وَفِي الْمَضْعَفِ: ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [آل عمران: 28 و 30].

وَفِي الْبَيْتِ: (التَّجَنُّسُ).

وَفِيهِ: (التَّغَايُرُ)، وَهُوَ الَّذِي أَوْقَعَ مَنْ وَقَعَ فِي تَأْوِيلِ (أَضْمَى)

بِمَعْنَى: (عَضَّ)، لِأَنَّ التَّغَايُرَ⁽⁴⁾: «أَنْ يَتَضَادَّ الْمَذْهَبَانِ فِي الْمَعْنَى حَتَّى

(1) الديوان: 29 «اذكر مفارقة الهواء».

(2) سبقَت ترجمته، ص 5.

(3) عجز بيت مع بيت آخر في التبيان: 298. وهما:

طيب الهواء ببغداد يسوقني قدماً إليها وإن عاقت معاذيري

فكيف صبري عنها الآن إذا جمعت طيب الهواءين: ممدود ومقصود

(4) بحثه في: العمدة: 2/ 728، ابن حجة: 102، تحرير التخبير: 277، نهاية الأرب:

7/ 145، حسن التوسل: 172، أنوار الربيع: 264.

يَصِحُّ جَمِيعاً»^(١).

وفيه: (الاشتراك)^(٢) أيضاً، «وهو أنواع: ومنها ما يكون في اللفظ، ومنها ما يكون في المعنى، فالذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يكون اللفظان يرجعان إلى حد واحد، ومأخوذتين من أصل واحد، فذلك اشتراك مَحْمُودٌ، وهو من أنواع التجنيس.

والنوع الثاني: أن يكون اللفظ يَحْتَمِلُ تَأْوِيلَيْنِ: أحدهما: يَلَامُ المعنى الذي أنت فيه، والآخر: لا يَلَامُهُ، ولا دليل فيه على المراد؛ قال كثير: (طويل)

لعمري لقد [حبيب] كل قصيرة إلي وما تدري بذلك القصائر^(٣)
عنيت قصيرات الحجال ولم أريد قصار الخطى شر النساء البحائر

فأنت ترى فطنته لما أحسن من اشتراك لفظ (القصائر)^(٤)، وهو باب معروف: ومن النوع الثاني ما هو هنا، لكن ما تأولنا نحن (يضم) بضم الياء أصوب وأحسن.

وفي البيت: (الترييد)، فإن (فاضرف هواها إن الهوى) [ترديد]^(٥).

(١) النص في العمدة: 728/2.

(٢) ينظر بحثه في: العمدة. 728/2، ابن حجة 365، نهاية الأرب: 178/7، أنوار الربيع: 692.

(٣) في الأصل: «حبيب»، والصواب ما أثبتناه كما في جميع الروايات. والبيتان في: الديوان: 369 «وأنت التي»، كفاية الطالب: 105 «وما يدري». الحماسة البصرية: 589/2 «ولم تشعر لذلك». اللسان: 99/5 «قصورة»، إصلاح المنطق: 184 و274 «وأنت الذي» العمدة: 782/2 «عمري». في جمهرة اللغة: 358/2 «عنيت قصيرات الحجز». وفي مسالك الأبصار: «أريد قصيرات الحجال» قصار القنا، المعاني الكبير: 505 «البهاتر». وفي تهذيب إصلاح المنطق: 449. ويروي: «قصورات». الحجال: موضع يحجل للعروس.

(٤) الكلام عن الاشتراك في العمدة: 721/2 - 722.

(٥) لا توجد عبارة «ترديد» في الأصل، ولعلها سقطت سهواً.

«وَالْتَرِيدُ قَرِيبٌ مِنَ التَّصْدِيرِ، إِلَّا أَنَّ التَّصْدِيرَ - وَهُوَ يُكْسِبُ الْبَيَّتَ إِيَّاءَ وَدِيَابَجَةً - لَكِنْ التَّصْدِيرَ خَاصًّا بِالقَوَافِي فَتَرَدُّ عَلَى الصُّدُورِ، وَالتَّرِيدُ يَقَعُ فِي أَضْعَافِ الْبَيَّتِ»⁽¹⁾ كَمَا هُوَ هُنَا. وَرَبَّمَا سُمِّيَ هَذَا تَكْرِيرًا [51]// وَالتَّكْرِيرُ لِلنَّاطِمِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ كَثِيرًا، لَكِنْ مِنَ النَّوعِ الْمَحْدُودِ مِنْهُ.

و(مَا) فِي قَوْلِهِ: (مَا تَوَلَّى): شَرْطِيَّةٌ، مَفْعُولَةٌ بِقَوْلِهِ: (تَوَلَّى)

وَجَزْمٌ (يُضْم) عَلَى الْجَوَابِ. وَيَجُوزُ رَفْعُهُ حَتَّى يُقَالَ: يُضْمِي، إِلَّا أَنَّهُ يُجَلُّ بِالْوَزْنِ؛ فَإِنَّ فِعْلَ الشَّرْطِ إِنْ كَانَ مَاضِيًا جَازَ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ - الَّذِي يَقَعُ بِهِ الْجَزَاءُ - الرَّفْعُ وَالْجَزْمُ.

وَفِي الْبَيَّتِ: الْإِسْنَادُ الْمَجَازِيُّ: وَهُوَ إِسْنَادُ (التَّوَلَّى) إِلَيْهِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى كَوْنِ الْإِسْنَادِ إِلَيْهِ مَجَازِيًّا صِحَّةُ نَفْيِهِ أَنْ لَوْ نَفْيِي، لِأَنَّ مِنْ عَلَامَةِ صِحَّةِ كَوْنِ الشَّيْءِ الْمُثَبَّتِ مَجَازًا صِحَّةُ نَفْيِهِ فَقَوْلُكَ فِي الرَّجُلِ الشُّجَاعِ: أَسَدٌ، يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ فِيهِ: إِنَّهُ لَيْسَ أَسَدًا، لِأَنَّ وَضْعَهُ بِالْأَسَدِيَّةِ لِلْعَلَاقَةِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ الْمُفْتَرَسِ؛ فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِأَسَدٍ، فَإِنَّهُ صَحِيحٌ لِنَفْيِ حَقِيقَةِ الْأَسَدِيَّةِ الَّتِي هِيَ لِلْحَيَوَانِ الْمُفْتَرَسِ حَقِيقَةٌ.



(1) الكلام عن التصدير في: العمدة: 1/ 572 - 573 بتغيير لفظ.

وَزَاعِيهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلَا تَسِيمُ⁽¹⁾

شرح: هذا أيضاً من نوع التكرير. وحمل الناطم على استعماله هنا، لأن الموضع موضع إطناب، ومواضع الإطناب يحسن فيها التكرار، وقد جاء في الكلام الفصيح كثيراً. ويدل ذلك على أنه من باب التكرير كونه أمر ابتداء في البيت قبله بأن يصرف هواها، وأمره أيضاً بالمحاذرة، ومن صرف هواها، وحاذرها، فقد راعاها؛ لكنه كرر، وزاد فائدة، إذ ظاهر ما قال قبل: هذا من صرف الهوى، وهوى النفس مشتبهاتها، وذلك أمر ظاهر في الأمور المعتادة. فإذا صرف هواها، ولعبت عليه النفس، وأظهرت الإذعان للطاعة، وأنقادت على جهة ظاهرها أنقياد ظاهر المحمّدية، وهو يفضي إلى غرض فاسد. فلو اكتفى بصرف هواها، فلما رآها أذعنت سلم لها، بقي عليه النظر في ما أوردت من الأفعال على ظاهر موافقة الطلب، فحذره منها، فقال: وإن أذعنت للأعمال الصالحة فرايعها لئلا تلعب عليك، وتريك ما تخدعك به. فقد أفاد في هذا البيت معنى لم يكن في الذي قبله. فإن هنا للنفس أحبولة من حبايل الشيطان تتوصل بها إلى غرضها الفاسد. وقد خرج أبو عيسى الترمذي⁽²⁾ عن عبد الله بن مسعود⁽³⁾ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً يَابِنِ آدَمَ،

(1) الديوان: 192.

(2) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي من كبار العلماء بالحديث الشريف. (ت279هـ). ترجمته في: (الأنساب: 459/1، تهذيب التهذيب: 387/9، تذكرة الحفاظ: 187/2، ميزان الاعتدال: 117/3، الأعلام: 322/6).

(3) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، من كبار الصحابة فضلاً وعقلاً وقرباً من الرسول ﷺ، (ت32هـ). ترجمته في: (الحلية: 24/1، الصفوة: 145/1، غاية النهاية: 458/1، الإصابة: 4959، المحبر: 161، -

وَالْمَلِكُ لَمَّةٌ. فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ: فإِيْعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْخَيْرِ. وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ: فإِيْعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْديقُ بِهِ. فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَلْيَحْسِدِ اللَّهَ وَتَحَقَّقْ. وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»⁽¹⁾.

فَالْاِعْتِمَادُ عَلَى الْعَمَلِ فَقَرٌّ، بَلْ لَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ فِي الْأَعْمَالِ مُفْتَقِرًا إِلَى ذِي الْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ، لَا يَرَى لِنَفْسِهِ حَقًّا، فَصَارَتْ رُؤْيَةُ الْعَمَلِ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ» [البقرة: 1268]. وَلَا يَضْلِعُ عَلَى اللَّمْتَيْنِ وَيُمَيِّزُ الْحَوَاطِرَ إِلَّا مُتَشَوِّفٌ إِلَى ذَلِكَ تَشَوُّفِ الْعُظَمَاءِ إِلَى الْمَاءِ. وَقَدْ بَسَطْتُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى فِي «الشَّرْحِ الْكَبِيرِ».

[52]// وَمَعْنَى (رَاعِيهَا): رَاقِبَتُهَا، وَانْظُرْ إِلَى مُحَبَّاتِهَا. وَالرَّعَايَةُ وَالْحِفْظُ وَالْكَأَلُ وَالْمُرَاقِبَةُ بِمَعْنَى: رَعَيْتُ النُّجُومَ، أَيُّ: رَاقِبَتُهَا. وَرَعَيْتُ الْغَنَمَ، أَيُّ: حَمَلْتُهَا تَرْعَى فِي كَلِّ الْأَرْضِ، لَكِنْ تَحْتَ نَظَرِي. وَكُلُّ مَنْ وَكَّلَ إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي شَيْءٍ فَهُوَ رَاعٍ لَهُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»⁽²⁾. وَمَعْنَى أُرْعِي سَمْعَكَ، أَيُّ: انْظُرْ إِلَيَّ، وَاسْمَعْ كَلَامِي.

وَالسَّائِمَةُ: الرَّاعِيَةُ؛ وَمِنْهُ: «فِي الْغَنَمِ السَّائِمَةُ الزَّكَاةُ»⁽³⁾.

= (الأعلام: 4/ 137).

(1) الترمذي: 4/ 288، ابن حبان: 2/ 171، السنن الكبرى: 6/ 305، مسند أبي يعلى: 417/ 8، شعب الإيسان: 4/ 120، فيض القدير: 2/ 500، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير: 1/ 365 للنسائي، جامع كرامات الأولياء ليوسف النبهاني: 1/ 159، اللمة: الشيء المجتمع، واللمة واللّم كلاهما: الطائف من الجن. ورجل ملموم: أي به لمم ومم. ل/ لمم.

(2) البخاري: 6/ 15 - 16 و 24/ 193، مسلم: 3/ 1459، أبو داود: 3/ 130، الترمذي: 3/ 124، ابن حبان: 7/ 11.

(3) أبو داود: 2/ 96 - 97، الترمذي: 2/ 66، الموطأ: 209، مجمع الزوائد: 3/ 69، السنن الكبرى: 4/ 84، مصنف ابن أبي شيبة: 2/ 364، عون المعبود: 4/ 302، التحقيق في أحاديث الخلاف: 2/ 34.

وَمَعْنَى (وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ)، أَي: وَهِيَ جَائِلَةٌ فِي أَنْوَاعِ الْعَمَلِ،
كَمَا تَرَعَى الْمَائِيَّةُ سَارِحَةً فِي أَنْوَاعِ كَلَامِ الْأَرْضِ.

وَيَصِحُّ حَمْلُ (زَاعِيهَا) مِنْ كَلَامِ النَّاطِمِ عَلَى أَحَدِ مَعْنَيْنِ: إِمَّا عَلَى
الْجَوْلَانِ فِي الْأَعْمَالِ كَرَعِي الْبَهَائِمِ كَمَا قُلْنَا، فَيَكُونُ مَعْنَى الرَّعِي: الْإِنْطِلَاقَ
فِي الْمَرَاعِي. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْجَنْطِ، أَي: اخْتِطَافَهَا حَالَةَ سَوْمِهَا فِي
الْأَعْمَالِ.

فَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ مَعْنَى كَلَامِهِ: رِعَايَةَ رَعِي الْأَغْنَامِ، فَيَكُونُ فِي اللَّفْظِ
التَّوْرِيَّةُ⁽¹⁾: «وَهِيَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي أَبْعَدِ الْمَعْنَيْنِ، فَيُظْهِرُ لِلْسَامِعِ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَهُ
السُّكْلُمُ فِي الْأَقْرَبِ، وَهُوَ قَدْ قَصَدَ الْأَبْعَدَ. وَإِنْ مَوَّهَ بِمَا يُشِيرُ لاسْتِعْمَالِهِ فِي
الْأَقْرَبِ وَقَصَدَهُ الْأَبْعَدَ، كَانَتْ تَوْرِيَّةً مُرَشَّحَةً، وَإِلَّا كَانَتْ تَوْرِيَّةً مُجَرَّدَةً»⁽²⁾.
وَبَيَّتِ النَّاطِمُ يَحْتَمِلُ التَّوْرِيَّةَ وَيَحْتَمِلُ غَيْرَهَا، وَحَمَلَهُ عَلَى التَّوْرِيَّةِ أَبَدُوعٌ وَلَمَّا قَرَنَ
بِهَا (سَائِمَةً) كَانَتْ مِنْ قِبَلِ التَّوْرِيَّةِ الْمُرَشَّحَةِ.

وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي (الْأَعْمَالِ): إِنَّ قُلْنَا: لِلْعَهْدِ، جَارَ مَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ أَوَّلًا
مِنْ أَنْ مُرَادَهُ: مُرَاعَاتُهَا فِي أَعْمَالِ الْبَرِّ لِيَلَّا تُخْدَعَهُ. وَإِنْ قُلْنَا: الْأَلِفُ وَاللَّامُ
لِلْجَنْسِ، فَمَعْنَاهُ: رَاعَ نَفْسَكَ فِي كُلِّ مَا تَتَلَبَّسُ بِهِ، فَإِنْ رَأَيْتَ مَا يُضْلِحُهَا
أَقْرَبْتُهَا عَلَيْهِ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَا يَضُرُّهَا صَرَفْتُهَا عَنْهُ؛ كَمَا أَنَّ ضَاحِبَ الْعَنَمِ إِذَا
رَعَتْ مَرَاعِي مُخْتَلِفَةَ النَّبَاتِ، مُسْتَمِلَةً عَلَى مَا يُنَمِّي الْبَهَائِمَ وَيُسَمِّنُهَا، وَعَلَى مَا
يَقْطَعُ بِنَاقِهَا وَيُهْزِلُهَا، أَوْ يُوَرِّثُهَا مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُضِرَّةِ بِالْأَنْعَامِ، فَإِنَّهُ يَصْرِفُهَا
عَنِ الْمَضَرِّ إِلَى مَا لَيْسَ فِيهِ ضَرَرٌّ. وَهَذَا وَجْهُ صَالِحٌ لَأَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ الْبَيَّتُ،
وَالَّذِي بَدَأْنَا بِهِ أَدْقُ مَعْنَى، وَأَعْلَى دَرَجَةٍ فِي غَرَضِ النَّاطِمِ.

(1) ينظر: العمدة: 529/1، بديع ابن منقذ: 60، روضة الفصاحة: 16، مفتاح العلوم:
226، التلخيص: 248، الإيضاح: 499، ابن حجة: 39/2، الطراز: 62/3،
نهاية الأرب: 131/7، أنوار الربيع: 572.

(2) ينظر الإيضاح: 499.

وَعَلَى الْمَعْنَيْنِ يَخْتَلِفُ النَّظَرُ فِي قَوْلِهِ: (وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسَمُّ)^(١):

إِنْ قُلْنَا بِالنَّعْنَى الْأَوَّلِ: فَمَعْنَاهُ: فَرَاعِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَعْمَلُ أَعْمَالَ الطَّاعَةِ، وَإِنْ رَأَيْتَهَا اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَاتَّهَمَهَا، لَعَلَّهَا إِنَّمَا لَزِمَتْ مَا ظَاهِرُهُ الطَّاعَةُ، وَيُؤَوَّلُ أَمْرُهَا إِلَى مَعْنَى رِبَاءٍ وَسُمْعَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ الْمُفْسَدَةِ لِلْعِبَادَاتِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ: وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى الَّذِي حَمَلَتْهَا عَلَيْهِ فَلَا تَتْرُكُهَا مُهْمَلَةً فِي مَرَعَاهَا. يُقَالُ: سَامَ غَنَمَهُ: إِذَا تَرَكَهَا مُهْمَلَةً فِي مَرَعَاهَا. قَالَه النَّقَّاشُ فِي: «مُسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ» [هود: 83، والذاريات: 34] فِي الْحِجْرِ^(٢). سَامَتِ الْغَنَمُ: إِذَا رَعَتْ. وَأَسَامَهَا صَاحِبُهَا، أَيْ: أَوْصَلَهَا لِمَرَاعِيهَا فَلَا مَرَارَةَ أَوْصَلَهَا أَيْضاً. وَقِيلَ فِيهِ: يَكْلَأُهَا [...] وَيَحْسُنُ فِي مَعْنَى [...] ^(٣) وَيَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ: فَلَا تَتْرُكُهَا فِي الْمَرْعَى، وَلَا تُهْمَلُهَا وَتَتْرُكُهَا وَاخْتِيَارَهَا، بَلْ مَا تَزَالُ فِي رِعَايَتِكَ إِيَّاهَا. وَيَكُونُ (تُسَمُّ) بِفَتْحِ السِّينِ مِنْ سَامَ غَنَمًا إِذَا أَهْمَلَهَا، عَلَى مَا حَكَاهُ النَّقَّاشُ فِي سُورَةِ الْحِجْرِ.

و(سَامَ): بِمَعْنَى طَلَبَ شِرَاءَ السَّلْعَةِ؛ وَمِنْهُ: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يَسُومَ أَحَدٌ عَلَى سُومِ أَخِيهِ. وَ(سَامَ): بِمَعْنَى أَرَادَ؛ وَمِنْهُ: «يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْمَذَابِ» [البقرة: 149]؛ وَمِنْهُ مَا يَأْتِي لِلنَّاظِمِ بَعْدُ فِي قَوْلِهِ: (مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا)^(٤) الْبَيْتِ.

(١) الديوان: 192.

(٢) لا توجد الآية في سورة الحجر، والذي في الحجر هو قوله تعالى: «يَعْتَصِمُ إِلَهُ مِنْ أَلَمِكُمْ مُسُومِينَ». ينظر تفسير «مسومة» في: تفسير الطبري: 96/12. و«مسومين» في: تفسير القرطبي: 82/10.

(٣) طمس لبعض كلما لحق يسار الورقة 52.

(٤) الديوان: 195، والبيت:

«ما سامني الدهر ضيماً واستجزت به
إلا ونلت جواراً منه ولم أضم»

وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُهُمْ كَلَامَ النَّاطِمِ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: إِذَا اسْتَحْلَتْ أَفْعَالُ الطَّاعَةِ
فَلَا تَمَلَّ أَنْتَ. وَهَذَا بَعِيدٌ. وَيَذُلُّ عَلَى بُعْدِهِ مَا بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ: (كَمْ حَسَنْتَ
لَذَّةً) ⁽¹⁾ الْبَيْتُ. وَإِنَّمَا الْمَعْنَى: إِنَّ تَمَادَّتْ عَلَى فِعْلِ ظَاهِرَةِ الطَّاعَةِ فَاتَّهَمَهَا
خُشْيَةً مَا يَقَعُ [153]// فِي طَيِّ هَذِهِ الْمُطَاوَعَةِ مِنْ لَذَاذَةِ شُهْرَةٍ بِالطَّاعَةِ، حَتَّى
يُقَالَ: فَلَانُ صَالِحٍ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ؛ وَيَذُلُّ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي يَأْتِي.

وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُولِيَاءِ إِذَا اسْتَهَرَّ عَنْهُمْ مِنَ الْأَفْعَالِ مَا يُنْسَبُونَ بِهِ إِلَى
أَوْلِيَانِهِ تَجَدُّهُمْ يَنْتَقِلُونَ مِنْ تِلْكَ الْأَمَّاكِينِ، وَيَتَوَارَوْنَ عَنْ تِلْكَ الْأَفْعَالِ. فَيَكُونُ
عَلَى هَذَا الْمَأْخِذِ (فَلَا تُسِمِ) بِضَمِّ التَّاءِ: فَلَا تَدْعُهَا لِتِلْكَ اللَّذَاذَةِ الَّتِي تُصَحِّبُهَا
شُهْرَةٌ. وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ (تُسِمِ) مِنْ (سَامَ)، يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكُونَ اسْتَعْمَلَ (سَامَ)
كَقَالَ، مِنْ (سَامَ) الْمَهْمُوزِ كَسَالَ وَسَالَ.

وَمَعْنَى (اسْتَحْلَتْ) هُنَا: لَيْسَ الْمُرَادُ بِالسَّيْنِ الطَّلَبُ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهَا
وَجَدَتْ حَلَاوَةً مَا هِيَ تَرَعَاهُ.

وَفِي الْبَيْتِ: (التَّجْنِيسُ) إِنَّ غَايِرَنَا ⁽²⁾ بَيْنَ (سَامَ) وَ(تُسِمِ)، وَإِلَّا فَهُوَ مِنْ
(التَّصْدِيرِ) وَ(التَّرْدِيدِ) وَيَذْخُلُهُ (التَّشْكِيكُ) ⁽³⁾ بِالْمَعْنَى. وَكَذَا هُوَ مِنَ التَّجْنِيسِ بِـ
(زَاعِ) وَ(الْمَرْعَى).



(1) الديوان: 192. والبيت:

«كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم»

(2) عابر: يعابر معابرة: قدرهما ونظر ما بينهما. ل/عبر.

(3) ينظر بحثه في: العمدة: 2/ 670، تحرير التحبير: 563، جوهر الكثر: 204.

كَمْ حَسَنْتَ لَذَّةَ لَمَرٍّ قَاتِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذِرْ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ⁽¹⁾

شرح: مِنْ هَذَا الْبَيْتِ تَظْهَرُ رَاجِحِيَّةُ أَحَدِ الْمَعْنَيْنِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي (سَام) وَ(نُسِم)، وَأَنَّ رَغِيَّتَهَا فِي مَا ظَاهِرُهُ الطَّاعَةُ وَفِي طَيِّبِ مَا فِيهِ فَسَادٌ يُتَحَرَّرُ مِنْهُ، فَجَاءَ بِالْبَيْتِ لِإِظْهَارِ سِرِّ مَا حَضَّضَ عَلَيْهِ، فَأَشَارَ إِلَى عَدَمِ التَّوَقُّعِ بِالنَّفْسِ وَإِنْ أَظْهَرَتِ الْإِذْعَانُ، وَأَنَّهَا خَدَاعَةٌ، وَأَنَّهَا إِنْ لَمْ يُطْعَمِهَا الرُّوحُ فِي هَوَاهَا تَظْهَرُ لَهُ الْإِذْعَانُ سُلْمًا إِلَى التَّوَصُّلِ إِلَى مَا تُرِيدُهُ.

وَأَتَى بِ (كَمْ) الدَّالَّةِ عَلَى التَّكْثِيرِ إِشْعَارًا بِأَنَّ التَّجْرِبَاتِ فِي خَصَائِصِ النَّفْسِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ، وَأَنَّهَا لَمْ تَزَلْ تَأْتِي بِالْمُسْتَقْبَحَاتِ شَرْعًا فِي قَالِبِ الْإِحْسَانِ حَتَّى تُوقِعَ فِي مَهْوَاتِهَا، فَتَأْتِي صَاجِبَهَا مِنْ وَجْهِ النَّصِيحَةِ اسْتِحْوَاذًا مِنْهَا عَلَى الرُّوحِ مِنْ جِهَةٍ يَرَكُنُ إِلَيْهَا وَيَطْمَئِنُّ لَهَا، حَتَّى يَجِدَ لِمَا ارْتَكَبَتْهُ النَّفْسُ لَذَّةَ تُوَقَّعُ مِنْهُ مُوَافَقَتَهَا عَلَى مَا تَلَبَّسَتْ بِهِ، لِحُسْنِ مَا أَظْهَرَتْ، مَعَ جَهْلِ الرُّوحِ بِمَا انْطَوَى عَلَيْهِ ذَلِكَ الْفِعْلُ الْمَزِينُ فِي الظَّاهِرِ الْقَبِيحُ فِي الْبَاطِنِ، وَالنَّفْسُ عَالِمَةٌ بِقَصْدِهَا رَاجِيَّةُ الْوُصُولِ إِلَى مَا يُؤْوِلُ إِلَيْهِ عَمَلُهَا، لِكُونِهَا عَلَيْهِ بَنَتْ شِبَاكَهَا.

وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّدْبِيرَ فِي أَوَائِلِ الْأُمُورِ لَا يُورِدُ الْوُجُوهَ عَلَى حَقِيقَتِهَا [...] ⁽²⁾ وَالسَّلَامَةَ مِنْ عَوَائِيَّتِهَا، فَقَدْ يَذَرُكَ الْأَشْيَاءَ بِجُمْلَةٍ وَظَاهِرُهَا مَحْمُودٌ، فَتُحَسِّنُ النَّفْسُ لِلْمُورِدِ ذَلِكَ الشَّيْءَ لِمَا ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ ظَاهِرِهِ، ثُمَّ يَنْشَأُ عَنْهُ أَمْرٌ آخَرُ لَوْ تَبَيَّنَ أَوَّلُ الْأَمْرِ لَوَقَّفَ عَلَى حَقِيقَتِهِ [...] ⁽³⁾ قَوْلُهُ: (مِنْ حَيْثُ

(1) الديوان: 192 وفي الأصل: «من حيث لم تدرا».

(2) طمس بالأصل.

(3) طمس بالأصل.

لَمْ يَدْرِ عَلَى ظَاهِرِهِ لَكَانَ غَيْرَ مُوَاحِدٍ بِهِ، لَكِنْ عُذِرَ مِنْ جَهَةِ وَطُولِ مِنْ
أُخْرَى، وَالْمُوَاحِدَةُ أَبْعَدُ وَأَظْهَرُ لِعَدَمِ التَّثْبُتِ أَوَّلًا، وَهُوَ كَالْتَفْسِيرِ لِمَا قَدَّمَ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَعَبَّرَ بِاللَّذَّةِ لِأَنَّهَا عِبَارَةٌ عَمَّا يَسْتَعِذُّهُ الْمَرْءُ وَيَلَانِمُ طَبْعَهُ. وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ
اللَّذَّةُ جَسِيَّةً وَقَدْ تَكُونُ مَعْنَوِيَّةً: فَالْجَسِيَّةُ كَالَّتِي تَقَعُ وَتَتَكَرَّرُ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ
وَالْمَشْرُوبَاتِ وَسَائِرِ الْمَلَذُودَاتِ الَّتِي تُدْرِكُ لَذَاتُهَا بِالْحَوَاسِّ. وَالْمَعْنَوِيَّةُ الَّتِي
تُنَالُ لَذَاتُهَا بِالسَّمَاعِ؛ وَمِنْهُ تَشَعُّبٌ، وَتَصِلُ إِلَى النَّفْسِ لِأَخْلِ حَمَلِهَا عَلَيْهِ. فَإِنْ
كَانَ الْمَلَذُودُ طَاعَةً فِي التَّوَعُّنِ تَلْقَاءُ الرُّوحِ بِالْقَبُولِ، وَأَخَذَ فِي تَحْصِيلِهِ فَإِنْ كَانَ
عَلَى ظَاهِرِهِ، حَصَلَ لِلرُّوحِ بِجَبْرِ النَّفْسِ عَلَيْهِ. وَإِنْ كَانَ فِي طَبْعِهِ شَيْءٌ خَفِيَ عَلَى
الرُّوحِ كَانَتْ الْخَدِيعَةُ مِنَ الْوَاسِطَةِ الْخَدَاعَةِ، وَكَانَ الرُّوحُ فِي ذَلِكَ مَخْدُوعًا؛
لَكِنَّهُ حَصَلَ لَهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّغْرِيطِ لِكُونِهِ أَمَّنٌ مِنْ لَيْسَ يَحْسُنُ بِلَأَمَانَةٍ، إِذْ لَوْ
أَمْعَنَ النَّظَرَ، وَأَطَالَ التَّأَمُّلَ، وَانْتَهَمَ الْوَاسِطَةَ لَاظْلَعُ عَلَى مَا فِي طَبْعِ عَمَلِهَا قَبْلَ
اسْتِحْكَامِهِ.

أَمَّا [54]// الْمَلَذُودُ الَّذِي هُوَ مَخْضُوعٌ مَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ الرُّوحَ يَنْتَهَمُ لَهُ مِنْ أَوَّلِ
وَهْلَةٍ، وَبَقِيَ النَّظَرُ عَلَى حَسَبِ مَا يُمَكِّنُهُ مِنَ الْمُدَافَعَةِ: فَإِنْ كَانَ جَزْبُ اللَّهِ أَقْوَى
فِي الْعَالَمِ الْجَسَدِيِّ مِنْ جَزْبِ الشَّيْطَانِ رَجَعَتِ النَّفْسُ نَاكِصَةً عَلَى عَقِبِهَا،
وَتَمَكَّنَ مِنْهَا جَزْبُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ جُنْدُ الرُّوحِ. وَإِنْ كَانَ جَزْبُ النَّفْسِ الشَّيْطَانِيَّةِ
الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ غَالِبًا عَلَى جَزْبِ الرُّوحِ انْبَسَطَتِ النَّفْسُ لِتَحْصِيلِ لَذَّتِهَا، مَعَ
اِعْتِمَادِ الرُّوحِ لِعَدَمِ مُدَافَعَتِهِ جِزْبَهَا لِقِلَّةِ قُدْرَتِهِ وَضَعْفِ جُنْدِهِ.

وَالْمَرْءُ: الشَّخْصُ الْمَذْكُورُ مِنَ الْآدَمِيِّينَ. وَالْأُنْثَى: امْرَأَةٌ. وَيُقَالُ: مَرَّةً
وَامْرُؤًا. وَفِي الْأُنْثَى: مَرَّةً وَامْرَأَةً.

وَوَصَفَ اللَّذَّةَ بِأَنَّهَا قَاتِلَةٌ: إِمَّا حَقِيقَةً فِي الْأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسَاتِ كَالسُّمُومِ
الْقَتَالَةِ الْمُتَمَرِّجَةِ مَعَ الْأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ، فَيَغْتَرُّ الْإِكْلَ بِظَاهِرِهَا، فَيَتَأَذَى بِمَا

انطوت عليه في باطنها. وإما معنى وحكماء، كما لو تمكن الجسد بواسطة النفس الأمارّة بالسوء من فعل شيء مُحَرَّم.

وقوله: (من حيث لم يدر أن السم في الدسم)، بين به أن الروح ما أذعن لبيل تلك اللذة إلا بواسطة النفس، مع اعتقاده سلامة ذلك المَلذوذ من غائلة، لكن لبست عليه النفس حتى أوقعته في محذور محظور.

(والدسم): الودك. ويقال: دسم الشيء بكسر السين: إذا تودك. (ودسم) بفتح السين: إذا نبذ وطرح. دسم الشيء: إذا طرحه. (والدسم) بشكون السين: يستوي فيه الاسم والمصدر: وفتح السين: نفس الودك. وقيل: (الدسم) بشكون السين: مصدر (دسم) بفتح السين. ويقال: دسمت القارورة، أي: شدتها. وكذا الأذن عن سماع الفحشاء. ودسم الجرح: انسد.

فإن قلت: إذا كانت النفس هي المحسنة القائلة للمرء، والنفس هي المرء، فكأنها حسنت لنفسها قائلها؟

قلت: لما كانت النفس هنا هي الأمارّة بالسوء، الشيطانية، جعل اسم المرء هنا لذي الروح، بمعنى: أن الروح معظم البنية، فيحسن أن سعاية النفس في قساد الروح، فحصل التباين.

وسلك بعض الشارحين هنا مسلكاً بعيداً: يُشير أن النفس إذا كانت هي التي يقتلها الشيء المضّر، فكيف تستحسنه؟ إذ لا يستحسن شيء ما يقتله، وهام في بسط معنى هذا البيت مما ليس تحته طائل. وأولى ما يفسر به ما جنحنا إليه من نفس وروح؛ فإن الروح تطلب معالي الأمور، والنفس الأمارّة بالسوء تطلب سفاسفها. ولم يكن جمعا بين هذين لطالب واحد ولا الخادع

نَفْسُ الْمَخْدُوعِ. وَقَدْ بَيَّنَّ صَاحِبُ «الْمَعَارِفِ»⁽¹⁾ مَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ مُبَايَنَةِ مَطَالِبِ
النَّفُوسِ وَمَطَالِبِ الْأَرْوَاحِ. وَيُظْهِرُ أَيْضاً مِنْ كَلَامِ صَاحِبِ «الشُّعْبِ»⁽²⁾ شَيْءٌ مِنْهُ
فَافْتِنَهُ.



(1) ينظر عوارف المعارف للسهروردي: 253 - 264.

(2) هو عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي القرطبي أبو محمد
القصري المالكي، (ت 672هـ). ترجمته في: (نيل الابتهاج: 184، ط/المفسرين: 1/
265، إيضاح المكنون: 49/2، معجم المؤلفين: 74/5). واسم الكتاب كاملاً:
«شعب الإيمان» ينظر: إيضاح المكنون: 578/1، معجم المؤلفين: 252/8، دليل
مؤرخ المغرب: 427، ينظر شعب الإيمان: 153/1.

وَاحْشِ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ قَرَّبَ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخْمِ⁽¹⁾

شرح: هَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً مِنَ التَّكْرِيرِ، إِظْنَاباً فِي التَّحْذِيرِ، لِأَنَّ مَنْ يَرَاغِبُ نَفْسَهُ فِي أَعْمَالِهَا، وَعَلِمَ أَنَّ السَّمَّ فِي الدَّسَمِ، وَهُوَ غَيْنُ الدَّيْسِيَّةِ؛ لِأَنَّ مَا أُدْخِلَ عَلَى جِهَةِ الْخُفْيَةِ لِعَرَضِ خَدِيعَةٍ حَقٌّ لَهُ أَنْ يُفْحَصَ عَنْ غَوَائِلِ النَّفْسِ، فَكَانَ قَوْلُهُ: (وَاحْشِ الدَّسَائِسَ) تَوْكِيداً فِي التَّحْذِيرِ، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ يَخْشَى دَسَائِسَهَا لَمْ يَكُنْ مُرَاعِياً لَهَا.

وَيُرْوَى: (وَاحْشِ الدَّوَاخِلَ)، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى، وَأَشْهُرُ الرِّوَايَتَيْنِ: (الدَّسَائِسُ).

(الدَّسَائِسُ): جَمْعُ دَسِيسَةٍ. وَهِيَ كَلِمَةٌ تُسْتَعْمَلُ عِنْدَ الْعَامَّةِ، شَائِعَةٌ وَمِنْهُ: دَسُّ الْمَلَفِ، أَيْ: إِخْفَاءُ خِيَاطَتِهِ. وَدَسَّ الشَّيْءُ فِي الْأَرْضِ: غَيَّبَهُ. وَدَسَّ الْبَعِيرُ مَبْنِياً لِمَا لَمْ يَسَمَّ فَاعِلُهُ: إِذَا تَقَرَّحَتْ أَشَاعِرُهُ⁽²⁾. وَأَمَّا دَسُّ الرَّجُلِ بَعِيرَهُ، فَمَغْنَاهُ: جَعَلَ عَلَى أَشَاعِرِهِ الْهِنَاءَ⁽³⁾. وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: «لَيْسَ الْهِنَاءُ بِالْدَسِّ»⁽⁴⁾.

وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ (الدَّخْلُ) أَيْضاً فِي الْعُيُوبِ. وَيُقَالُ: رَغَمَرَانُ مَدْخُولٌ. وَفِي الْخَاوِدِ الْفَاسِدَةِ يُقَالُ: حَدٌّ مَدْخُولٌ، أَيْ: مَعِيبٌ. وَالدَّخُولُ بِضَمِّ الدَّالِ مُصْطَدَرٌ دَخَلَ. وَبِفَتْحِهَا: مَوْضِعٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ: (طويل)

(1) الديوان: 192.

(2) في اللسان: دس البعير: إذا ورمت أرفاغه. ودس البعير: إذا طلي بالهناء خفيفاً. والأشاعر والمساعر: أصول الآباط والأفخاد.

(3) الهناء: ضرب من القطران تُنْهَضُ بِهِ الْإِبِلُ. ل/هنا.

(4) مجمع الأمثال: 158/3. اللسان/دس.

بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْلِ (١)

و(الخُشْيَةُ): الخُوفُ والتَّقْوَى، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا يَتَّقِ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ هُمْ أَلْفَتُوا﴾ (فاطر: 28). وَالْأَمْرُ بِالْخُشْيَةِ أَمْرٌ بِأَنْ يَتَّقِيَ مِنْ نَفْسِهِ ذَسَائِسَهَا، يُقَالُ: خَشِيَ يَخْشَى خَشْيَةً: إِذَا اتَّقَى وَخَافَ. وَهُوَ فِعْلٌ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ. وَأَمَّا خَشُوَ بِالْوَاوِ، أَوْ خَشَا يَخْشُو خَشَوْاً: فَهُوَ مِنَ التَّحَوُّلِ؛ يُقَالُ: خَشَبَ النُّخْلُ تَخْشُو خَشَوْاً: إِذَا تَحَوَّلَ ثَمَرُهَا حَشَفًا.

و(الجُوعُ) وَ(الشَّبَعُ) مَعْلُومَانِ، وَلَيْسَا هُنَا مَقْصُودَيْنِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بَلْ عَلَى (التَّمْثِيلِ) (٢) فِي ظَلَبٍ تَوَسُّطِ الْأَمْرِ مِنْ كُلِّ مَقْطَبٍ، إِذْ خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا؛ فَيَكُونُ قَوْلُهُ هَذَا تَحْذِيرًا مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي طَرَفِي التَّرْكِ وَالتَّعَالِي، فَحَذَرُ مَنْ قَطَعَ مَلَذُوزَاتِ النَّفْسِ رَأْسًا، وَمُسْتَهْيَاتِهَا، وَمِنْ تَمَكُّينِهَا مِنْ كُلِّ مَا تَمَنَّتْ؛ بَلْ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَنْسَى نَصِيحَةَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا يَكُونَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ، بِحَيْثُ لَا يُحِلُّ بِالتَّرْكِ، وَلَا يُطْعَى بِالتَّمَكُّينِ، وَ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: 13). فَإِنْ قَطَعَهَا رَأْسًا فَذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى اضْطِحَالِ رَسْمِهَا، وَفَسَادِ مَا يُطْلَبُ مِنْهَا مِنْ أُمُورِ الطَّاعَاتِ. وَتَمَكُّينُهَا مِنْ كُلِّ الْمُسْتَهْيَاتِ يُخْرِجُهَا عَنْ سَبِيلِ الْإِسْتِقَامَةِ، إِذْ تَتَوَعَّلُ إِذْ ذَاكَ فِي عَشْقِ الْمُسْتَهْيَاتِ، وَلَا تُرَكِّزُ بَعْدَ التَّوَعُّلِ إِلَى قَطْعِ مَا عَوَّدَتْ.

وَمَثَلُ بِالْجُوعِ وَالشَّبَعِ لِأَنَّهُ مِمَّا يَذَرِكُهُ السَّامِعُ. «وَالْتَّمِثِلُ عِنْدَ الْبَيِّنَاتِ مِنْ ضُرُوبِ الْإِسْتِعَارَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ ابْتَكَرَ هَذَا الْبَابَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ؛ قَالَ: (طويل)

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَقْدَحِي بِسَهْمِيكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ (٣)

(١) سبق تخريجه ص 10.

(٢) بنظر بحث التمثيل في: نقد الشعر: 58، العمدة: 473/1، أسرار البلاغة: 90، سر الفصاحة: 273، الطراز: 2/2، ابن حجة: 299/1، نهاية الأرب: 60/7.

(٣) الديوان: 13، العمدة: 473/1، تحرير التعبير: 205 «لتضربي». لتقديحي: لتطعني وتمزقي. الأعشار: أعشار الجزور. المقتل: المدلل.

فَمَثَلَ عَيْنَيْهَا بِسَهْمِي الْمَيْسِرِ - يَعْنِي: الشَّعْلَى، وَلَهُ سَبْعَةُ أَنْصِبَةٍ،
وَالرَّقِيبِ، وَلَهُ ثَلَاثَةُ أَنْصِبَةٍ - فَضَارَ جَمِيعُ أَغْشَارِ قَلْبِهِ لِلسَّهْمَيْنِ اللَّذَيْنِ مَثَلَ بِهِمَا
عَيْنَيْهَا، وَمَثَلَ قَلْبَهُ بِأَغْشَارِ الْجُزُورِ؛ فَتَمَمَّتْ لَهُ جِهَاتُ الِاسْتِعَارَةِ وَالتَّمْثِيلِ. [وَمَا
قَصْدُهُ إِلَّا تَطْهِيرُ قَلْبِهِ وَعَيْنَيْهِ مِنْ... تَشْبِيهِ كُلِّ مِنْهُمَا... وَإِلَّا الْجَامِعُ...
قَصْدُ مِنَ اللَّهِ...]⁽¹⁾.

وَمِنْ قَوْلِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ⁽²⁾؛ (خفيف)

أَبُهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيًّا سَهِيلًا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ

يعني بـ (الثرياً): بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أُمَيَّةِ الْأَضْعَرِ⁽³⁾،
وَوُجِدَتْ نِهَائَةً فِي الْحُسْنِ وَالْكَمَالِ. وَسُهَيْلٌ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ⁽⁴⁾، وَكَانَ
غَايَةً فِي الْقُبْحِ وَالْدَّمَامَةِ. فَمَثَلَ بَيْنَهُمَا وَبَيَّنَ تَسْمِيَّتَهُمَا، وَلَمْ يَرُدْ إِلَّا بَعْدَ مَا بَيَّنَّهُمَا
وَتَفَاوُتَهُ خَاصَّةً، إِلَّا أَنَّ سُهَيْلًا الْيَمَانِيَّ لَا قَبِيحَ وَلَا ذَمِيمَ [وَرَشَّحَ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ...
إِلَى آخِرِهِ، فَأَوْهَمَ أَنَّ قَصْدَهُ... إِلَّا مَا بَيَّنَّهُمَا مِنَ الْبُعْدِ]⁽⁵⁾، لَكِنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يُكْرَ
إِلَّا التَّاءَهُمَا. وَالتَّمْثِيلُ فِي الْحَقِيقَةِ مِنَ التَّشْبِيهِ، إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ آلَةِ التَّشْبِيهِ⁽⁶⁾.

(1) لحق أسفل الورقة 55 طمس أغلبه.

(2) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة أبو الخطاب المخزومي القرشي، شاعر الغزل في
الحجاز، (ت نحو 93هـ). ترجمته في: (الشعر والشعراء: 2/ 553، الأغاني: 1/
61، وفيات الأعيان: 1/ 353 و 378، الأعلام: 5/ 51). لا يوجد البيتان في أصول
ديوان عمر وهما في القسم الثالث المنسوب له: 445. وهما في شعر النعسان بن
بشير الأنصاري: 117 «يجتمعان». تحرير التعبير: 268. في الكشكول: 42/ 1
«استهلت».

(3) ينظر: نسب قريش: 269، جمهرة أنساب العرب: 131، الشعر والشعراء: 2/
362، الأغاني: 1/ 125، نهاية الأرب: 1/ 65 و 7/ 131.

(4) نفسه.

(5) لحق أعلى يسار الورقة 56 أغلبه مطموس.

(6) النص في العمدة: 1/ 473 - 478 بتصرف.

وَلَمَّا كَانَ تَرَكَ الْمُشْتَهَى رَأْسًا مُخَلًّا. وَالْإِسْتِوْسَالُ فِيهِ رَأْسًا مُخَلًّا، وَكَانَ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْجُوعِ وَالشَّبَعِ ظَاهِرًا⁽¹⁾ فِي الطَّرْفَيْنِ ظُهُورًا بَيِّنًا، خَلْبَهُمَا النَّاطِقُ لِنُضْمَتِهِمَا ضَلَاخَ الْجِسْمِ، وَقَطَعَ عَلَانِي الشَّيْطَانِ، لَكِنْ لَمَّا رَأَى أَنَّ الْقَطْعَ الْكُلِّيَّ مَقْسَدٌ، وَكَانَ السَّبِيحُ يُرِيدُ إِلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَأْمُرُ بِإِبْقَاءِ حَظِّ النَّفْسِ. وَيَقُولُ: «لَا يُوَصِّلُ أَخَذَكُمْ»⁽²⁾، وَكَانَ الْإِفْرَاطُ فِي الْجُوعِ وَالْعَطَشِ أَقْرَبَ إِلَى الْخُرُوجِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَإِنَّ مَنْ زَادَ فِي أَكْلِهِ مَنَعَهُ إِفْرَاطُ شَبَعِهِ مِنَ الزِّيَادَةِ، ثُمَّ يَتَوَالَى عَلَيْهِ الْهَضْمُ، فَيَنْصَرِفُ مَا عَاقَهُ مِنْ شَبَعِهِ. بِخِلَافِ الْجُوعِ فَإِنَّهُ يُؤَوِّلُ بِصَاحِبِهِ إِلَى حُمَيٍّ وَنُشَافٍ. وَقَدْ اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ وَالْأَطْبَاءُ عَلَى دَمِّ الْإِفْرَاطِ فِي الشَّبَعِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِثُوا﴾ [الأعراف: 31]⁽³⁾. وَقَالَ لَكُمْ: «السَّعْدَةُ بَيْنَ الدَّاءِ، وَالْجَنِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ، وَأَصْلُ كُلِّ دَاءٍ الْبَرْدَةُ»⁽⁴⁾.

وَحَمَلَ بَعْضُ النَّاسِ كَلَامَ الْبُوصَيْرِيِّ عَلَى الْجُوعِ الْحَقِيقِيِّ وَالشَّبَعِ الْحَقِيقِيِّ، وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ وَأَقْرَبُ إِلَى بِلَاغَةِ الشَّعْرِ، وَأَقِيلُ إِلَى الْإِسْتِعَارَةِ وَالتَّشْبِيهِ الْحَسَنِ.

وَالْمُخَفَضَةُ: حَفَاءُ الْبَطْنِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ الْمُفْرِطِ، وَهُوَ آفَةُ التَّجَوُّعِ. وَالتَّخَمُّمُ: آفَةُ الشَّبَعِ. وَهُوَ بَيَانٌ مُرَتَّبٌ عَلَى حَالَتِي الْآفَتَيْنِ: فَ (الْمُخَفَضَةُ)

(1) فِي الْأَصْلِ ظَاهِرٌ.

(2) الْبُخَارِيُّ: 127/1. مُسْلِمٌ: 774/2 - 775 بِالْفَاظِ. أَبُو دَاوُدَ: 307/2. التِّرْمِذِيُّ: 138/2 بِلَفْظِ: الْمَوْطَأُ: 244.

(3) وَلَا تَوْجِدَ الْوَاوَ فِي الْأَصْلِ.

(4) قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ فِي زَادِ الْمَعَادِ: 104/4 «وَأَمَّا الْحَدِيثُ الدَّائِرُ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ... إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ طَبِيبِ الْعَرَبِ، وَلَا يَصِحُّ رَفْعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَعْمَةِ الْحَدِيثِ». يَنْظُرُ: الْمَقَاصِدُ الْحَسَنَةُ لِلِسَخَاوِي: 1035. الْجَامِعُ الصَّغِيرُ: 320/1، كَنْزُ الْعَمَالِ: 38/10، كَشَفُ الْخَفَاءِ: 1/146، النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: 18115، الْفَائِقُ: 1/102.

رَاجِعَةً لِلْحَضْرِ عَلَى الْمَنْعِ مِنْ إِفْرَاطِ الْجُوعِ. وَ(التَّخَمُّ) رَاجِعٌ إِلَى التَّحْضِيضِ
عَلَى الْمَنْعِ مِنْ إِفْرَاطِ الشَّبَعِ. وَالْأَوَّلُ لِلأَوَّلِ. وَالثَّانِي لِلثَّانِي عَلَى قَاعِدَةٍ نَوْعٍ مِنْ
نَوْعِي اللَّفِّ وَالنَّشْرِ.

وَفِي اللَّفِّ وَالنَّشْرِ طَرِيقَةٌ ثَانِيَّةٌ: وَهُوَ أَنْ يُعْطَى الْأَوَّلُ لِلثَّانِي وَالثَّانِي
لِلأَوَّلِ، وَهُوَ أَقْلُ فَضْلًا. فَإِنَّ فِي الطَّرِيقَةِ الْأُولَى فَضْلَيْنِ، وَفِي الثَّانِيَةِ فَضْلٌ
وَاحِدٌ. وَقَدْ بَسَطْتُ الْكَلَامَ فِي «الْكَبِيرِ» فَاشْبَعْ بِمَا ذَكَرْنَا هُنَا⁽¹⁾.

وَفِي الْبَيْتِ: إِفْلَاقُ السَّبَبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ. وَهُوَ مَعْلُومٌ مِنْ كَلَامِهِمْ؛
وَمِنْهُ: (طويل)

وَبُئِثْتُ قَوْمِي أَخَذْتُ الدَّهْرُ فِيهِمْ وَعَهْدُهُمْ بِالنَّائِبَاتِ قَرِيبُ⁽²⁾
فَإِنْ يَكُ مَا قَالُوهُ حَقًّا فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتِ تَنُوبُ

أَيُّ: يَصْبِرُوا، وَسَبَبُ الصَّبْرِ الْكَرَمُ، فَأَقَامَهُ مَقَامَ الصَّبْرِ. وَهَذَا أَكْثَرُ فِي
كَلَامِهِمْ مِنْ عَكْسِهِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُطْلَقُونَ الْمُسَبَّبَ وَيُرِيدُونَ السَّبَبَ إِلَّا نَادِرًا؛ كَقَوْلِ
الشَّاعِرِ: (رجز) [57] //

أَقْبَلَ فِي الْمَسِيرِ مِنْ رَبَابِهِ أَسْمَمَةَ الْأَبَالِ مِنْ سَحَابِهِ⁽³⁾
فَأُطْلِقَ الْمُسَبَّبُ عَلَى السَّبَبِ. فَإِنَّ أَسْمَمَةَ الْإِبِلِ نَاشِئَةٌ عَنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ،
وَنَبَاتِ الْأَرْضِ نَاشِئٌ عَنْ مَاءِ السَّمَاءِ؛ فَمَاءُ السَّمَاءِ سَبَبٌ فِي بُرُوزِ النَّبَاتِ،
وَالنَّبَاتُ سَبَبٌ فِي تَكْوِينِ أَسْمَمَةِ الْإِبِلِ، وَهُوَ قَلِيلٌ فِي كَلَامِهِمْ.

(1) طرة أسفل يسار الورقة 56 طمست أكثر حروفها. [وفي هذا اللَّفِّ... شرغ...
فهو... يلزم مع ملزوميه، لأنَّ (المُخَصَّصَةَ) مِنْ لَوَازِمِ الْجُوعِ، وَ(التَّخَمُّ) لَيْسَتْ
مِنْ... الشَّبَعِ كَالْمُخَصَّصَةِ مِنَ الْجُوعِ. وَهَذَا عَلَى أَنَّ فِرَاقَ الْبُظْلِ وَإِنْ... قُلْنَا:
(المُخَصَّصَةَ) تُكْسَرُ الْجُوعُ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ التَّرِيدِ].

(2) البيتان لجزء بن ضرار سبق تخريجهما ص 97.

(3) البيت للحجاج في: الفائق المفتاح: 596، الإيضاح: 273/2، التبيان: 222.
الآبال: جمع إبل. أسمنة: جمع سنام، وهو أعلى ظهرها. ل/سنم. الكامل في
اللغة: باب التشبيه: «الْمُسَنَّن».

وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّ مَقْصُودَ الْبَيْتِ عَدَمُ الْإِفْرَاطِ كَمَا أَسْلَمْنَاهُ. فَإِنَّ النَّفْسَ كَالْمِطْبَةِ تَفْتَقِرُ إِلَى رِيَاضَةٍ، وَلَا يَجْحَفُ بِهَا فِي رِيَاضَتِهَا، بَلْ يَطْلُبُهَا بِالطَّاعَةِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَعَاصِي، وَيَحْمِلُهَا جُهْدَهَا، وَلَا يَقْطَعُ عَنْهَا مَرَافِقَ النَّفْسِ جُمْلَةً، بَلْ يُمَتِّعُهَا بِبَعْضِ مَلَذُودَاتِهَا الْمُبَاحَةِ؛ فَإِنَّ تَوَالِي الْقَهْرِ عَلَى النَّفْسِ يُورِثُهَا التَّدَابُرَ وَالْجِمَاحَ.

«وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ⁽¹⁾ فِي جُمْلَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُمْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ عَنِ الدُّنْيَا وَتَحَدَّثُوا بِأَنْ يَخْبِسُوا أَنْفُسَهُمْ، وَيَلْبَسُوا الْمُسُوحَ، وَيَتَّبِعُوا فِي الْفِتْيَاءِ، يَأْكُلُونَ مِنْ عُسْبِ الْأَرْضِ. فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَقَفَتْ عَلَى دَارِ عُثْمَانَ، وَأَخْبَرَ أَهْلَهُ بِأَنْ يُخْبِرُوهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ مَا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُتِّي فَلَيْسَ مِنِّي. فَأَخْبَرَهُ أَهْلُهُ بِذَلِكَ فَأَقْلَعَ»⁽²⁾.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: «أَمَا أَنَا فَلَا أَنَامُ. وَقَالَ الْآخَرُ: أَمَا أَنَا فَلَا آتِي النِّسَاءَ. وَقَالَ الْآخَرُ: أَمَا أَنَا فَلَا أَكُلُ اللَّحْمَ؛ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَمَا أَنَا فَأَنَامُ، وَأَكُلُ، وَآتِي النِّسَاءَ، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُتِّي فَلَيْسَ مِنِّي. وَفِي بَعْضِهَا: أَمَا أَنَا فَأَصُومُ، وَأَطْعُرُ، وَأَصْلِي، وَأَرْقُدُ وَأَنْزَوِجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُتِّي فَلَيْسَ مِنِّي»⁽³⁾.

وَقَالَ: (فَرُبَّ مَخْفُصَةٍ): أَكْثَرُ أَحْوَالِ (رُبِّ) التَّثْلِيلِ. وَقَدْ تَأَيَّ فِي أَمَاكِنِ التَّعْظِيمِ وَالتَّفَاخُرِ كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ: (طويل)

(1) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي أبو السائب، صحابي جليل من كبار حكماء العرب في الجاهلية، أول من مات من المهاجرين بالمدينة. ترجمته في: (الحلية: 102/1، الصفوة: 178/1، الإصابة: 545/5، الأعلام: 284/4).

(2) ينظر تفاصيل الواقعة في: طبقات ابن سعد: 394/3، الحلية: 106/1، كنز العمال: 305/8.

(3) تنظر الروايتان في: البخاري: 54/17 - 55، مسلم: 1020/2 بالفاظ. ابن ماجه: 179/2، النسائي: 60/6، أحمد: 175/1 - 176، سنن الدارمي: 133/3، شرح السنة: 196/1.

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سَيِّئًا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ^(١)
فَإِنَّ هَذَا الْيَوْمَ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا فِي جَنْبِ الْأَيَّامِ لَكِنْ فِيهِ تَفَاخُرٌ، لِأَنَّهُ مَعَ
قَلْتِهِ لَمْ يُحِظْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ مِنْ قَوْمِهِ، وَهِيَ هُنَا لِلتَّخْلِيلِ؛ فَإِنَّ عَذْوَ
(الْمُخَمَّصَةِ) عَلَى الْجَانِبِ بِحَيْثُ تَكُونُ شَرًّا مِنَ (التُّخْمِ) إِنَّمَا هُوَ فِي نَادِرٍ مِنَ
الْأَمْرِ.

وَيَجُوزُ فِي (شَرِّ) التَّضَبُّ وَالرَّفْعُ؛ فَالتَّضَبُّ عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ^(٢) الَّذِي
يُجِبُ حَذْفَ كَانَ بِغَيْرِ شَرْطٍ مِنَ الشُّرُوطِ الَّتِي اشْتَرَطَ سِيبَوِيهٌ فِي جَوَازِ حَذْفِهَا؛
وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: قُرْبَ مَخْمَصَةٍ تَكُونُ شَرًّا. وَيَجُوزُ الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهَا خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ،
أَيُّ: هِيَ شَرٌّ، كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

نَشَابَةٌ يَوْمًا عَلَيْنَا فَأَشْكَلَا فَلَا نَحْنُ نُدْرِي أَيَّ يَوْمِيهِ أَوْلُ^(٣)
أَبَوْمُ نَدَاهُ الْعُمَرُ، أَمْ يَوْمُ بَاسِهِ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَعْرُ مُحَجَّلٌ
و (يَوْمُ نَدَاهُ): خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ لَمْ يَسْعِ الْمَحَلُّ ذِكْرَهُ، وَالتَّقْدِيرُ: أَهْوَى يَوْمُ نَدَاهُ؟
وَيَجُوزُ خَفَضُ (شَرِّ) أَيْضًا نَعَتْ لِلْفُظَّةِ (مَخْمَصَةٍ).

وَفِي الْيَبِّ: الرُّجُوعُ؛ وَهُوَ تَقْضُ مَا تَقَدَّمَ بِاسْتِثْبَاعِهِ بِتَقْيِضِهِ. وَهُوَ عِنْدَهُ
فِي مَوْضِعَيْنِ.

وَفِيهِ: اسْتِغْنَاءُ الْمُعْتَذِرِ عَنْ بَعْضِ مَا اسْتَهْزَتْ عَائِلَتُهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى

(١) سبق تخريجه ص 98.

(٢) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع، نحوي لغوي، درس على سيبويه،
ودرس كتابه، (ت نحو 221هـ). ترجمته في: (طبقات النحويين واللغويين: 72، إنباء
الرواة: 36/2، وفيات الأعيان: 208/1، الأعلام: 101/3 - 102).

(٣) البيهقي لمروان بن أبي حفصة في ديوانه: 89، وفي الموشح: 317، والعمدة: 2/791
«أي يوميه أفضل». أشكل: اشتبه والتبس. الغمر: الكثير الوسع. البأس:
الشدة. الأغر: الأبيض. المحجل: المحجل من الخيل أن تكون قوائمه الأربع
بيضاء. ل/شكل، غمر، حجل.

أَنَّ الْجُوعَ مُتَّفَقٌ فِي غَالِبِهِ عَلَى تَضَمُّنِهِ الْمَصَالِحِ، وَكَانَ أَمْرٌ مَفْسَدَتِهِ نَادِرًا،
كَانَتْ فِي حَيْزِ الْخَفِيِّ، فَاسْتَعْدَرَ عَنِ الْخَفِيِّ وَهُوَ قَبَاحَةُ الْإِفْرَاطِ فِي الْجُوعِ.
وَلَمْ [58] // يَتَعَرَّضْ لِإِظْهَارِ قَبَاحَةِ الشَّبَعِ لِظُهُورِ غَائِلَتِهِ، وَاتَّفَاقِ أَهْلِ الْفَقْهِ وَأَهْلِ
الطَّبِّ عَلَى أَنَّهُ مُفْسِدٌ؛ فَرَأَى أَنَّ الْإِحْتِجَاجَ عَلَيْهِ، أَوْ التَّنْبِيْهِ عَلَى قُبْحِهِ، إِعْلَامٌ
بِالْمَعْلُومِ، وَالْإِعْلَامُ بِالْمَعْلُومِ ضَرْبٌ مِنَ الْجَهْلِ.

وَفِي الْبَيْتِ: الطَّبَاقُ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ: (مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ)،
وَفِي عَجَزِ الْبَيْتِ مِنْ قَوْلِهِ: (قَرَبَ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخْمِ).

وَفِي الْبَيْتِ: التَّفْسِيرُ، لِأَنَّ مَفْسَدَةَ الْجُوعِ وَالشَّبَعِ تَفْسِيرٌ لِلدَّسَائِسِ الْمَأْمُورِ
باجتنابها.

وَالتُّخْمُ): جَمْعُ تُخْمَةٍ.



وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ اِفْتَالَتْ مِنْ الْقَحَارِمِ وَالزُّمِّ حَفِيَّةَ النَّدَمِ⁽¹⁾

شرح: رَبَّتِ النَّازِمُ طَلَبَ اسْتِفْرَاغِ دَمْعِ الْعَيْنِ عَلَى الْحَالَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ الْمُسْتَدْرِجَةِ تَحْتَ الْأَمْرِ بِاجْتِنَابِ الدَّسَائِسِ. وَفِيهِ مُنَاسَبَةٌ جَلِيَّةٌ، لِأَنَّهُ إِذَا أَجَاعَ نَفْسَهُ إِجَاعَةً مَقْصُودَةً لِيُطْلَبَ صَفَاءُ النَّفْسِ وَذَهَابِ فُضُولِ الْجِسْمِ ذَهَبَ كَدْرُ الْقَلْبِ، وَرَقَّ رَفَّةً تُسْتَدْعِي اسْتِفْرَاغَ الدَّمْعِ خَشْيَةً مِنَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ حِينَئِذٍ مَاتَتْ بِانْقِطَاعِ مَادَّةِ حَيَاتِهَا، وَحُجِبَتْهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا، وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ سِنَةِ غَفْلَتِهَا. وَإِذَا مَاتَتِ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ حَيَّتِ الْمُطْمَئِنَّةُ. فَلَا حَاجِبَ لَهَا إِذْ ذَاكَ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ فَتَقْلَعُ عَلَى مَا فَرَّقَتْ فِيهِ، وَتَتَخَلَّى عَلَى مَا أَسْلَفَتْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَمِرتْ بِتَرْكِهَا فَارْتَكَبَتْهَا وَالْأُمُورَ الَّتِي أَمِرتْ بِفِعْلِهَا فَاجْتَنَبَتْهَا؛ وَذَلِكَ كُلُّهُ يَسْتَدْعِي الْبُكَاءَ، وَاسْتِفْرَاغَ الْعَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ فَتَخْرُجَ الدُّمُوعُ؛ إِذْ لَا مُمْسِكَ لَهَا، لَا سِتْرَ خَاءٍ مَوَاسِكَ الشُّؤُونِ بِبُخَارِ نَارِ الشُّوقِ الصَّاعِدِ لَهَا مِنْ جَهَنَّمَ الْأَكْبَادِ، وَقَدْ انْحَلَّتْ أَوْكِيتُهَا. وَلِأَنَّهُ لَمَّا تَكَلَّمَ فِي اسْتِفْرَاغِ الْجَسَدِ مِنْ فُضُولِ الطَّعَامِ نَاسِبُهُ اسْتِذْرَاكَ اسْتِفْرَاغِ الْعَيْنِ؛ وَلِذَلِكَ جَعَلَ لِلْعَيْنِ أَيْضاً جِمِيَّةً، لِكِنْ [...] ⁽²⁾ جِهَةِ الْعَيْنِ. وَأَمَّا النَّدَمُ فَهُوَ عَامٌّ فِي جِمِيَّةِ الْجَسَدِ وَجِمِيَّةِ الْعَيْنِ. وَيُصْبِحُ أَنَّهُ عَائِدٌ لِلْجِمِيَّتَيْنِ: بِتَرْكِ فُضُولِ الطَّعَامِ وَتَرْكِ فُضُولِ الْعَيْنِ بِغَضْرِ الْبَصَرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهُوَ فِي فُضُولِ الطَّعَامِ حَقِيقَةٌ، وَفِيهِ جَاءَ الْحَدِيثُ وَفِي الْعَيْنِ مَجَازٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالْأَحْسَنُ كَوْنُ (اسْتِفْرَاغَ) هُنَا بِمَعْنَى: فَرَّغَ، لَا أَنَّهَا لِلطَّلَبِ، بَلْ

(1) الديوان: 192.

(2) طمس لبعض عبارات لحق يسار الورقة 58.

مَعْنَاهُ: بِالْبَلْغِ فِي تَفْرِيعِ مَا فِيهَا نَكَلًا كَمَا يُنْكَلُ مَاءُ الْبُثْرِ الَّذِي تُطْلَبُ تَفْرِيعُهُ
مِنَ الْمَاءِ الْفَاسِدِ، إِذِ الْعَيْنُ لَيْسَ أَصْلًا لِلدَّمْعِ وَإِنَّمَا هِيَ وَعَاءٌ لِمَا تَرْخِيهِ
الشُّؤُونُ فِيهَا، وَمَسَلَّتْ لِيُخْرِجَهُ عِنْدَ إِزْخَاءِ الشُّؤُونِ إِيَّاهُ، فَيَكُونُ طَلَبُ الدَّمْعِ
حَقِيقَةً.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ اسْتِعَارَةً، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: اسْتَعْمِلْ نَفْسَكَ فِي طَاعَةِ
رَبِّكَ حَتَّى تَرَى نَفْسَكَ أَهْلًا لِكِرَامَتِهِ، فَتَقَرَّ عَيْنُكَ، وَتَطِيبَ نَفْسُكَ؛ فَيَكُونُ
ارْتِكَابُ فِي التَّعْبِيرِ بِالْعَيْنِ وَاسْتِفْرَاحُ دَمْعِهَا نَوْعًا مِنَ التَّمَثِيلِ. وَعَلَى الْاِخْتِمَالَيْنِ
فَالْأَمْرُ إِنَّمَا هُوَ لَا لِمُعَيَّنٍ. وَهِيَ وَصِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ بِقَاعِدَةٍ كُلِّيَّةٍ.

فَإِنْ قُلْتُ: وَالْأَمْرُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ هَلْ هِيَ أَبْلَغُ مِنْ حَالَةِ الْمَسْئُولِ عَنْهُ
الَّذِي مَزَجَ الدَّمْعَ بِدَمٍ أَوْ هَذِهِ أَبْلَغُ، لِأَنَّهُ أَمَرُهُ بِاسْتِفْرَاحِ دَمْعِ الْعَيْنِ، وَإِذَا
جَفَّتِ الْعَيْنُ لَمْ يَبْقَ دَمْعٌ يُمَزَّجُ بِهِ الدَّمُ، فَتَكُونُ هَذِهِ الْحَالَةُ أَبْلَغُ مِنْ حَالِ
الْمَسْئُولِ؟

أَوَّلًا: لِأَنَّ الْمَسْزُوجَ لَمْ يَزَلْ سَابِلًا، وَلَمَّا كَانَ أَكْمَلَ [59]// الْإِنْسَانَ
أَطْعِمَةً أَخَذَتْ مَعَهُ أَلْسًا تَحْمِلُهُ عَلَى اسْتِفْرَاحِ مَا فِي الْبَطْنِ حِمِيَّةً عَلَى جِهَةِ
التَّدَاوِي، وَكَانَتِ الْعَيْنُ تَنْظُرُ الْمَحَارِمَ، وَيُؤَمِّرُ الثَّائِبَ بَعْضُ بَصَرِهِ، كُنِيَ عَنْ
كَثْرَةِ مَا أَسْلَفَتِ الْعَيْنُ مِنَ النَّظَرِ فِي مَا نُهِيتُ عَنِ النَّظَرِ فِيهِ بِكَوْنِهِ مَالِيًا لَهَا،
وَكُنِيَ عَنِ الْغَضِّ بِالْحِمِيَّةِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: غَضُّ بَصْرِكَ عَنِ النَّظَرِ فِي الْمَحَارِمِ،
وَأَجْعَلْهُ عَرَضًا عَنِ الْحِمِيَّةِ.

وَقَوْلُهُ: (وَالزَّمْ): خَشْيَةٌ أَنْ يُفْهَمَ الْأُمُورُ أَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَ بِالْحِمِيَّةِ،
وَالْمُخْتَمَى عَنْ طَعَامٍ لِأَجْلِ ذَوْلِ، إِنَّمَا يُؤَمَّرُ بِهِ مُدَّةً، فَأَمَرَ هُنَا بِالتَّزَامِ غَضُّ
البَصَرِ، وَلَمَّا كَانَ الْبَاعِثُ عَلَى الْإِفْلَاحِ النَّدَمُ عَلَى مَا أَسْلَفَ مِنَ الْمَعَاصِي
أَضَافَ الْحِمِيَّةَ إِلَى النَّدَمِ، وَكَأَنَّهُ قَصَدَ مُعَاقِبَةَ الْعَيْنِ بِالْبُكَاءِ عَلَى مَا اقْتَرَفَتْ مِنَ
النَّظَرِ إِلَى الْمَحَارِمِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (مقارب)

تُحُولُ وَفِي قَوْلِهَا حَشْمَةٌ
فَقُلْتُ: إِذَا اسْتَحْسَنْتَ غَيْرَكُمْ
أَتُبْكِي بِعَيْنٍ ثَرَانِي بِهَا؟⁽¹⁾
أَمَرْتُ الدُّمُوعَ بِتَعْذِيبِهَا
وَقَوْلُ الْآخِرِ: (سريع)

إِذَا نَظَرْتُ مُثْلَتِي غَيْرَكُمْ
مُحَقٌّ لِعَيْنٍ تَرَى غَيْرَكُمْ
أَجْرَحُ أَمَاقَهَا بِالْبُكَاءِ⁽²⁾
بِعَيْنِ الرِّضَى نَبْذَهَا بِالْعَرَاءِ
وَأَمْتِلَاءُ الْعَيْنِ مِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ مَجَازٌ. وَفِيهِ تَوْكِيدٌ.

وَقَوْلُهُ: (مِنَ الْمَخَارِمِ): إِشَارَةٌ إِلَى تَكْبِيرِ أَنْوَاعِ الْمَحَارِمِ الَّتِي افْتَلَأَتْ مِنْهَا، إِذْ أَنْوَاعُ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ كَثِيرَةٌ.

وَقَابِلَ (الِاسْتِفْزَاعِ) الَّذِي يَنْقُضِي إِخْلَاءَ وَعَاءٍ حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهِ شَيْءٌ بـ (الِافْتِلَاءِ) الَّذِي لَا يَبْقَى لِلْمُتَمَلِّئِ أَيْنَ يَسَعُ غَيْرُهُ مَعَهُ، وَالْمُسْتَفْرَغُ مِنَ الْبُطْنِ بَضَائِلُ الطَّعَامِ، وَلَيْسَ الدَّمْعُ مِنْ فَضَلَاتِ النَّظَرِ، لَكِنَّهُ مِمَّا نَشَأُ عَنِ الدَّمِّ، وَلِأَنَّهُ اسْتَفْرَغَ الْعَيْنَ مِنَ الدَّمْعِ حَصَلَ اسْتِفْرَافُهَا مِنْ آثَارِ الدَّمِّ؛ إِذْ لَا يَجْتَمِعُ كَثَرَةُ الدَّمْعِ مَعَ الْعُضَيَّانِ بِالنَّظَرِ، لِأَنَّهُمَا ضِدَانِ؛ فَبَيْنَهُمَا طَبَاقٌ⁽³⁾ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ مَعَ

(1) البيان في ديوان ابن المعتز: 325/2 فرقة × دموعي بتأديبها. ونسباً لسلم الخاسر في الشعر والشعراء: 204، وكتاب شعراء عباسيون: 94. وفي نهاية الأرب: 56/2 «بتأديبها». ونسباً لابن ثوبان في: نثر النظم وحل العقد: 185 «وفي أقوالها حشمة» و«بتأديبها». محاضرات الأدباء: 80/3 «قالت وفي قولها حشمة»، نفع الطيب: 2/30 «تقول وفي قولها حشمة» و«أمرت جفوني بتعذيبها». أزهار الرياض: 88/3، روضة التعريف: 663/2، أنوار التجلي: 849/3.

(2) أماقها: مؤق العين ومآقها لغة في المؤق والمآق، وجسعها أمواق وأماق، وهي مؤخرة العين. قال حسان:

ما بال عينيك لا تنام كأنما كحلت مآقها بكحل الإثمد). ل/مآق

(3) بنظر بحث الطباق في: قواعد الشعر لشعلب: 56، بديع ابن المعتز: 246، نقد الشعر: 51، الوساطة: 44، الصناعتين: 339، سر الفصاحة: 239، العمدة: 1/576، أسرار البلاغة: 14، الموازنة: 256، المثل السائر: 279/2، بديع ابن منجد: 36 تحت اسم التطبيق. الطراز: 377/2، روضة الفصاحة: 36، الإيضاح: 477، =

مُبَالَغَةٍ فِي كُلِّ ظَرْفٍ مِنْهُمَا. وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ جُمْهُورِ أَهْلِ عِلْمِ الْبَيَانِ، وَلَمْ يُخَالَفْ إِلَّا قُدَامَةُ وَمَنْ اتَّبَعَهُ، فَإِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الطَّبَاقَ: اجْتِمَاعَ الْمَعْنِيِّينَ فِي لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ مُكَرَّرَةٍ. وَيُسَمِّي قُدَامَةُ هَذَا النَّوعَ: تَكَافُؤًا وَلَيْسَ بِطَّبَاقٍ. وَلَمْ يُسَمِّ أَحَدٌ التَّكَافُؤَ إِلَّا هُوَ وَالنَّحَّاسُ^(١). وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: «يُقَالُ: طَابَقَتْ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِذَا: جُمِعَتْ بَيْنَهُمَا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ وَالصَّقَّتُهُمَا»^(٢)»^(٣).

وَمِمَّا أُتِّسِدَ مِنْ حُسْنِ الطَّبَاقِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (خفيف)

إِنْ حَسَوِ الْكَلَامَ مِنْ لُكْنَةٍ الْمَرْءُ وَإِيجَارُهُ مِنَ التَّقْوِيمِ^(٤)



= خزانة ابن حجة: 105/1، نهاية الأرب: 98/7، حسن التوسل: 49، معالم الكتابة: 74، التبيان: 125، جوهر الكثر: 84.

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري أبو جعفر النحاس، راوية مفسر أديب عالم بالعروض والنحو، كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري، (ت338هـ). ترجمته في: (طبقات النحويين واللغويين: 88، إنباء الرواة: 161/1، بغية الوعاة: 157، نزهة الألباء: 201، النجوم الزاهرة: 300/3).

(2) العبارة في: بديع ابن المعتز: 36... العمدة: 576/1، اللسان/طبق.

(3) الكلام عن المطابقة في: العمدة: 576/1.

(4) اثبت في العمدة: 576/1 منسوب للعنابي، ولا يوجد في شعره في مجلة المورد ع2 - 3 ص369، اللكنة: المعجمة والعي في اللسان.

وَخَالَفَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِيَهُمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصْحَ فَأَتَيْهِمَا⁽¹⁾

شرح: في هذا البيّت وإن تأخر عن الذي قبله تبيين له، إذ لا يتم له ما أمر به من استفراغ الدّمع بالبكاء وكثرة الندم إلا بعد الجزم بمخالفة النفس والشيطان؛ فإنه إن خالفهما وعصاهما تفكر في ما أسلف من المعاصي، وندم على ما قدم منهما، وتمكن من المطلوب فكأنه في قوة قول من يقول: ولا تمكن مما أمرتك به إلا بعد تحصيل ما أصف لك من مخالفة العدووين اللذين أورتاك الندم، وأوقعاك في زلة الندم.

ويحسن أيضاً أن يكون معناه: إذا فعلت ما أمرتك به من استفراغ الدّمع، والتزام الندم حاذر خدع النفس والشيطان، فإنهما يتصوران على اللسان، فإنهما إذا رأياه أفلح عن إثبات المعاصي أتياه في صورتني ناصحين، وختلاه، وربما زينا له ما [60]// يستحسنه في الظاهر فإذا فيه ما يتقى، فحذره من ذلك ليتم لهما إقلاعه.

وقدم النفس على الشيطان لأن المعلوم عند أهل البصائر أن مضرّة النفس أفسد للإنسان من الشيطان لوجوه منها: إن العبد المجتهد في صون الأعمال من الآفات قد يحصل له مقام المحو والإثبات. والمحو عند أكثرهم: هو رفع أوصاف العادة. والإقامة: إقامة أحكام العبادّة. فمن نفى عن نفسه الخصال الدميمة، واستعملها في الأحوال الحميدة، فهو صاحب محو وإثبات، أنشد الشيخ أبو حامد في منهاجه⁽²⁾: ((بسيط)

(1) الديوان: 192.

(2) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام، عالم =

تَوَقَّ نَفْسَكَ لَا تَأْمَنْ غَوَائِلَهَا فَالنَّفْسُ أَخْبَثُ مِنْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا⁽¹⁾

وَمِنْ كَلَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ⁽²⁾: «مَا الدَّابَّةُ الْجَمُوحُ بِأَحْوَجَ إِلَى اللَّجَامِ الشَّدِيدِ مِنْ نَفْسِكَ. وَالنَّفْسُ بَابُ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ إِذَا تَعَذَّرَ عَلَيْهِ - لَعَنَهُ اللَّهُ - الدُّخُولُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَخَافَ قُوَاتِهِ مِنَ الْحُصُولِ فِي أَشْرَاكِهِ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَيَسْلُطُ عَلَيْهِ مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ مَنْ يُشَوِّشُ عَلَيْهِ حَالَهُ بِمَا يُلْقِيهِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَبَاطِيلِ الَّتِي تَحْمِلُهُ عَلَى الْإِنْفِعَالِ وَالْإِسْتِعَالِ بِمَا بَصُرُهُ فِي الْحَالِ أَوْ الْمَالِ⁽³⁾. فَبَصُرَ النَّاطِقُ بِهَذِهِ الدَّقِيقَةِ، فَقَدَّمَ النَّفْسَ لِكُونِهَا بَابَ الشَّيْطَانِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مُعْظَمُ فَسَادِهِ هُوَ مَا يَقَعُ فِي النَّفْسِ، فَإِذَا خَالَفَ النَّفْسَ خَالَفَ بِالضَّرُورَةِ الشَّيْطَانَ؛ لِأَنَّ مُوَافَقَةَ الشَّيْطَانِ إِنَّمَا هُوَ بِمُوَافَقَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ. فَإِذَا تَعَطَّلَتْ نَزَعَاتُ النَّفْسِ بِمُخَالَفَتِهَا لَمْ يَبْقَ لِلشَّيْطَانِ أَثَرٌ فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الْمَرْءِ.

وَهَذَا كَمَا هُوَ فِي الطَّرَفِ الْأَسْفَلِ وَالْمَقَامِ الْأَعْلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا يَأْمُرُ بِمَا يَرْضَاهُ رَبُّ الْعِزَّةِ؛ فَإِذَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ كَانَتْ طَاعَتُهُ طَاعَةً لِلَّهِ: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» [النساء: 80]. وَمَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ أَحَبَّهُ اللَّهُ: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» [آل عمران: 31]. وَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا فِي الْجَنَابِ الْعَلِيِّ فَافْهَمْ فِي الْجَنَابِ الْحَبِيبِ أَنَّ طَاعَةَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ طَاعَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَعِضْيَانُهَا وَقَطْعُهَا عَنْ مُشْتَهَاتِهَا الْفَاسِدَةِ عِضْيَانُ لِلشَّيْطَانِ.

صوفي، له نحو 200 مصنف، (ت505هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 1/ 463، طبقات الشافعية: 4/ 101، شذرات الذهب: 4/ 10، الأعلام: 7/ 22 - 23)، اسم الكتاب كاملاً: «منهاج العابدين» رتبته على سبع عقبات: العلم، التوبة، العوائق والعوارض، البواعث، القواعد، الحمد، الشكر. قيل: هو آخر تأليف له، وقيل غير ذلك في نسبه إليه، وهو مطبوع. ينظر: كشف الظنون: 2/ 1876، مؤلفات الغزالي: 355.

(1) منهاج العابدين: 37.

(2) هو الحسين بن منصور المعروف بالحلاج. ترجمته في لسان الميزان: 1/ 335؛ طبقات الصوفية: 1/ 90.

(3) كتاب أخبار الحلاج: 75.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: (وَاعْصِيهِمَا) هَلْ هُوَ حَشْوٌ، لِأَنَّ مَنْ خَالَفَهُمَا فَقَدْ عَصَاهُمَا؟
وَإِذَا لَمْ يَظْهَرْ لَهُ مَعْنَى يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مِمَّا عَدَّهُ أَرْبَابُ عِلْمِ [الْبَيَانِ] ⁽¹⁾
مِنَ الْحَشْوِ وَفُضُولِ الْكَلَامِ ⁽²⁾، «وَسَمَاءُ قَوْمٍ [بِالْإِتْكَاءِ] ⁽³⁾»: «وَهُوَ أَنْ يَكُونَ فِي
دَاخِلِ الْبَيْتِ شَيْءٌ لَا يُعِيدُ مَعْنَى وَإِنَّمَا أَدْخَلَهُ الشَّاعِرُ لِإِقَامَةِ الْوِزْنِ فَقَطْ، فَإِنْ
كَانَ ذَلِكَ فِي الْقَافِيَةِ سَمَوُهُ اسْتِدْعَاءً. وَقَدْ يَأْتِي فِي حَشْوِ الْبَيْتِ مَا هُوَ زِيَادَةٌ فِي
حُسْنِ الْبَيْتِ وَتَقْوِيَّةٌ لِمَعْنَاهُ، كَمَا هُوَ فِي التَّثْمِيمِ وَالِإِتْفَاتِ وَالِاسْتِثْنَاءِ» ⁽⁴⁾. أُنْشِدَ
الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ ⁽⁵⁾ كَلِمَتَهُ وَهُوَ مِنْ رَأْسِ الْأَدَبَاءِ الْمَشْهُورِينَ: (خَفِيفُ)

لَمْ تَنْمِ مُقْلَتِي لِطُولِ بُكَاهَا وَلَمَّا جَالَ فَوْقَهَا مِنْ قَذَاهَا
[611] // فَالْقَذَى كُحْلُهَا إِلَى أَنْ تَرَى وَجْهَ لَهَا سُلَيْمَى وَكَيْفَ لِي أَنْ تَرَاهَا؟
أَسْعَدَتْ مُقْلَتِي بِإِدْمَانِهَا الدَّمْعَ عَ وَهَجَرَانِهَا الْكَرَى مُقْلَتَاهَا
وَلَعَيْنِي كُلَّ جَيْنٍ دُمُوعُ إِنَّمَا تَسْتَدْرِهَا عَيْنَاهَا

قَوْلُهُ: (أَسْعَدَتْ مُقْلَتِي بِإِدْمَانِهَا الدَّمْعَ) مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ: (لَمْ تَنْمِ مُقْلَتِي
لِطُولِ بُكَاهَا)، لَكِنْ زَادَ تَكَرُّرُهُ لِهَذَا الْمَعْنَى حُسْنًا، فَلَيْسَ مِنَ الْحَشْوِ الْمَذْمُومِ.
وَكَلَامُ النَّازِلِ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهِ حَشْوًا، فَهُوَ لَيْسَ مِنَ الْمَذْمُومِ، مَعَ أَنَّهُ
لَمْ يَنْفُتِ النَّظَرَ قَدْ يُخْرِجُهُ عَنِ الْحَشْوِ وَالتَّكَرُّارِ، إِذْ قَدْ يُخَالِفُهُ وَلَا يَكُونُ عَاصِيًا

(1) فِي الْأَصْلِ: «عِلْمُ الْكَلَامِ»، وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ مَا أُثْبِتَ.

(2) يَنْظُرُ بَحْثُهُ فِي: (كِفَايَةُ الطَّالِبِ: 203، سِرُّ الْفَصَاحَةِ: 170، الْعَمْدَةُ: 675/1، بَدِيعُ
ابْنِ مَنْقُذٍ: 142).

(3) فِي الْأَصْلِ: «الْإِنْكَارُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَالْأَنْسَبُ مَا أُثْبِتَ.

(4) الْكَلَامُ عَنِ الْحَشْوِ وَفُضُولِ الْكَلَامِ فِي: الْعَمْدَةُ: 675/1.

(5) هُوَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَصِينِ الْحَارِثِيِّ أَبُو عَلِيٍّ، كَاتِبٌ مِنَ
الشُّعَرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ، (ت 250هـ). تَرَجَمَتْهُ فِي: (الْأَغَانِي: 95/23، فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ:
1/367، السِّمَطُ: 1/506، الْأَعْلَامُ: 2/226)، وَالْأَبْيَاتُ فِي: الْعَمْدَةُ: 2/740
«فَلْعَيْنِي». الْأَغَانِي: 22/539، الْقَذَى: كُلُّ مَا يُوْذِي الْعَيْنَ مِنْ تَبَنٍ أَوْ غَيْرِهِ. وَهِيَ
لِزَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ فِي شِعْرِهِ: 125. «أَحْدَثُ».

لَمَّا بَطَّهَرَهُ لَهُ مِنَ الْمُخَالَفَةِ، مِمَّا يُسَاعِدُ غَرَضَ الْأَمْرِ؛ كَمَا لَوْ قَالَ الرَّجُلُ: أُرِيدُ أَنْ تَأْتِيَنِي بِقَفْسٍ مِنْ شَعِيرٍ أَعْلَفُهُ أَفْرَاسِي اللَّيْلَةَ لَتَعَذَّرَ عَلَيْنِهَا، فَجَاءَهُ بِقَفْسَيْنِ، فَقَدْ خَالَفَ مَا طَلَبَ، وَمَا زَادَهُ مُخَالَفَتُهُ إِلَّا خَيْرًا؛ وَكَمَا لَوْ أَمَرَ النِّقِيهَ رَجُلًا بِأَنْ يُلَازِمَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ صَلَاةَ رَكْعَتَيْنِ فَكَانَ يُصَلِّي سِتًّا، فَإِنَّهُ خَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَزَادَ بِمُخَالَفَتِهِ إِثْمًا تَقَرُّبًا لِلْأَمْرِ. فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ عَصَى خَالَفَ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ خَالَفَ عَصَى. فَعَلَى هَذَا فَتَأْخِيرُ الْعِضْيَانِ فِي الْبَيْتِ حَسَنُهُ، لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى زَانِدًا، إِذْ هُوَ مُتَمَتِّعٌ لِقُصْدِ النَّازِلِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ إِلَّا مُخَالَفَةً يَكُونُ بِهَا لَهُمَا عَاصِبًا.

وَأَيْضًا إِنَّ الْمُخَالَفَةَ قَدْ تَكُونُ طَاعَةً، وَقَدْ تَكُونُ مَعْصِيَةً؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: إِذَا تَكَلَّمْتُ شَيْخُكَ فَاسْكُتْ، فَخَالَفَتُهُ فِعْلُ التَّلْمِيذِ شَيْخُهُ طَاعَةً، فَحَسَنَ لِدَلِكِ الْإِثْبَانِ بِقَوْلِهِ: (وَاعْصِيهِمَا). وَفِي الشَّرْعِيَّاتِ الْمُكَلَّفُ أَمْرٌ بِالسَّوَالِكِ، فَلَوْ لَمْ يَسْكُتْ لَمَّا كَانَ عَاصِبًا. وَالْأَمْرُ فِي الْحَدِيثِ وَاضِحٌ^(١). وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ (وَاعْصِيهِمَا)، أَيُّ، وَاتَّبَعْتُ عَلَى مُخَالَفَتِهِمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَائُونًا) النساء: 136، أَيُّ: اتَّبَعُوا عَلَى إِيمَانِكُمْ.

وَقَوْلُهُ: (إِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصِيحَ فَاتَّبِعْهُمَا)، (إِنْ) هَذِهِ شَرْطِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ الْغَايَةِ؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ غَايَةً لَزِمَ أَنَّهُمَا لَوْ أَمَرَاهُ بِفِعْلِ طَاعَةٍ لَعَصَاهُمَا، وَخَالَفَ مَا أَمَرَاهُ بِهِ. وَإِنَّمَا أَرَادَ: وَتَبَيَّنَتْ أَنَّهُمَا أَمَرَاكَ بِشَيْءٍ مَحْمُودٍ خَشِيَّةٌ أَنْ يَكُونَ فِي طَبْعِهِ أَمْرٌ مَذْمُومٌ، وَهِيَ الدَّسَائِسُ الَّتِي أَمَرَكَ بِأَنْ تُخْشَاهَا.

وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي النَّصِيحِ وَالنَّصِيحَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ: (إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدْلٍ).

(هُمَا) مِنْ قَوْلِهِ: (وَإِنْ هُمَا): فَاعِلٌ بِفِعْلِ مُضَمَّرٍ تَقْدِيرُهُ: وَإِنْ مَحْضَاكَ

(١) ينظر الحديث في: البخاري: 2/ 682، مسلم: 1/ 220، المنتقى: 1/ 27، ابن خزيمة: 1/ 70، ابن حبان: 3/ 348.

هنا. وَلَوْلَا ضَعْفَةُ الْوِزْنِ لَأَكْتَفَى بِالْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ. وَكَانَ الْكَلَامُ: وَإِنْ مَحَضَّاكَ. وَلَوْلَا سَبْكُ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ لَتَحِيلَ أَنْ يَأْتِيَ بِتِلْكَ الْجُمْلَةِ وَحْدَهَا وَلَمْ يَرْتَكِبْ بَابَ الْإِسْتِغَالِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: فَأَعْلًا وَإِنْ مَحَضَّاكَ التَّضَحُّعَ فَاتَّهِمَ، وَزَالَ تَكَلُّفُ ارْتِكَابِ بَابِ الْإِسْتِغَالِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ تَعْوِضِ الضَّمِيرِ الْمُتَفَصِّلِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ، لِأَنَّ أَصْلَهُ: وَإِنْ مَحَضَّاكَ، فَسَنَعَهُ الْوِزْنُ مِنْ إِبْلَاءِ الْفِعْلِ لِلْفُطَّةِ (إِنْ)، فَحَذَفَ الْفِعْلَ، فَبَرَزَ الضَّمِيرُ.

وَالسَّأَلَةُ مِنْ بَابِ الْإِسْتِغَالِ، وَلَوْ سَلَكَ الْمَسْلُوكَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ لَكَانَ أَحْسَنَ، وَأَقْلَّ تَكَلُّفًا؛ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَكَ:

(وَخَالَفَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِيَهُمَا وَاجْهَدْ وَإِنْ مَحَضَّاكَ التَّضَحُّعَ فَاتَّهِمَ)

لَكُنْ مَا ارْتَكَبَهُ أَحْلَى فِي النَّظْمِ وَإِنْ عَدَلَ [62]// الْاِكْتِفَاءُ بِالْجُمْلَةِ [الواحدة] (1)، وَلَمَّا لَهُ فِي مَا ارْتَكَبَ مِنَ التَّوَكِيدِ الَّذِي [هُوَ] (2) تَمْكِينُ الْمَعْنَى فِيهِ نَفْسِ السَّامِعِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ مَا قَرَّرْنَاهُ، وَاكْتَفَى بِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَقَالَ: (وَاجْهَدْ وَإِنْ مَحَضَّاكَ التَّضَحُّعَ) لَكَانَتْ (إِنْ) غَائِبَةً، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنْ بَيْنَ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ رُبْعًا نَسْبِيًّا. فَلَوْ جَعَلْنَاهُ (إِنْ) إِذْ ذَاكَ شَرْطِيَّةً لَكَانَ الْجَزَاءُ مُنَافِرًا لِلشَّرْطِ، إِذْ مِنْ مَحْضِ التَّضَحُّعِ يَبْعُدُ فِيهِ أَنْ يُؤْمَرَ بِاتِّهَامِهِ. وَلَمَّا حَذَفَ فِعْلَ الشَّرْطِ وَ[الْتَقَى] (3) حَرْفُ الشَّرْطِ بِالضَّمِيرِ الْبَارِزِ ظَهَرَ مِنْ تَصَدِّيهِمَا لِلتَّضَحُّعِ دُونَ غَيْرِهِمَا؛ إِذْ فِيهِمَا خَدِيعَةٌ مُسْتَتْرَةٌ، فَحَسُنَ الْأَمْرُ بِاتِّهَامِهِمَا. وَهُوَ مَعْنَى دَقِيقٍ قَلَّ مَنْ يَتَمَطَّرُ لِهَذِهِ النُّكْتَةِ الْقَائِمَةِ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ مُبَاشَرَةِ (إِنْ) الْفِعْلِ، أَوْ مُبَاشَرَتِهَا لِلضَّمِيرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(1) في الأصل: «الواحد».

(2) لا توجد لفظة «هو» في الأصل والأنسب للمعنى إثباتها.

(3) في الأصل: «تلقا»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

وَذَلِكَ مِثْلُ مَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَتِي﴾^(١) رَقِي
 [إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا]^(٢)، أَي: ذَوَاتُكُمْ مَجْبُولَةٌ عَلَى
 الْبُخْلِ وَالْإِسْكَافِ، وَ (لَمْ) شَرْطِيَّةٌ لِمُنَاسَبَةِ الْجَوَابِ لِلشَّرْطِ. وَلَوْ كَانَ نَصُّ الْآيَةِ
 (لَوْ مَلَكْتُمْ لَأَمْسَكْتُمْ) لَصَارَتْ (لَمْ) غَائِبَةً.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: (وِخَالِفِ) هُوَ أَمْرٌ مِنْ خَالَفَ يُخَالِفُ، وَ(فَاعِلٌ) يَقَعُ مِنَ
 الثَّانِي؟

قُلْتُ: قَدْ يَتِمَّشَى هُنَا، لِأَنَّكَ إِنْ خَالَفْتَهُمَا بِالْفِعْلِ خَالَفَاكَ فِي الرِّضَى.
 وَجَاءَ الْمُؤَلَّفُ بِـ (إِنْ) دُونَ (إِذَا) لِأَنَّ (إِنْ) إِنَّمَا يُؤْتَى بِهَا لِتَغْلِيْقِ الشُّكُوكِ
 الْوُقُوعِ عَلَيْهَا. وَمَا جَاءَ مِنْهَا بِمَا عُلِقَ عَلَيْهِ الْمَقْطُوعُ الْوُقُوعِ فَمَتَّأَوَّلٌ، مِثْلُ:
 «وَأِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآجِقُونَ»^(٣). وَ«لَتَنخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»
 [الْفَتْح: 27]، عَلَى مَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي مَقَانِهِ.



(١) سقطت كلمة "رحمة" من الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) الموطأ: 53، مسلم: 662/2، أبو داود: 219/3، أحمد: 111/6، ابن حبان:

68/5 - 69، شرح السنة: 1/322، كنز العمال: 648/15.

وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمَا خُصْماً وَلَا حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخُصْمِ وَالْحَكَمِ

شرح: فِي هَذَا الْبَيِّنَاتِ أَيْضاً مَعْنَى يُخْرِجُهُ عَنِ التَّكْرِيرِ، لِأَنَّهُ بَادِئُ الْأَمْرِ بِرُحْمَتِهِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ أَمَرَكَ بِالسُّخَالَةِ وَالْعِصْيَانِ فَقَدْ أَمَرَكَ بِغَدَمِ الطَّاعَةِ؛ تَكْرُرُ السُّخَالَةِ وَالْعِصْيَانِ لِهَمَا جَهَنَّتَانِ: إِحْدَاهُمَا: أَنَّ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ يَأْمُرَانِ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، فَأُبْرِتُ بِسُخَالَتَيْهِمَا فِي مَا يَأْمُرَانِكَ بِهِ، وَإِذَا فَهِمْتَ مُقْتَضَى هَذَا بَقِيَ عَلَيْكَ أَمْرٌ آخَرُ: أَنَّ لَا تَسْمَعَ قَوْلَهُمَا وَإِنْ حَكَمَاكَ، لِأَنَّهُمَا أَذَلَّى كُلِّ مَلْهُمَا بِحُجَّتِهِ، فَأَيُّهُمَا ظَهَرَ بِحُجَّتِهِ عَلَى صَاحِبِهِ حَكَمْتَ لَهُ وَصَدَّقْتَهُ، وَحَكَمْتُكَ لَهُ وَتَصَدِّقُكَ إِيَّاهُ مُوَافَقَةٌ لَهُ. فَقَدْ حَصَلَ لِلْبَيِّنَاتِ الثَّانِي مَعْنَى يُخْرِجُهُ عَنِ التَّكْرِارِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَالتَّكْرِيرُ مِنْ مَعَانِي الْبَيِّنَاتِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْكَلَامِ الْفَصِيحُ؟

قُلْتُ: لَا نَصِيرُ إِلَى التَّكْرِارِ إِلَّا لَوْ لَمْ نَجِدْ لِنَعْدِدِ الْمَعَانِي مُسْتَقِلَّةً سَبِيلاً، لِإِذَا لَمْ نَلَفْ مَا نُرِيدُ بِهِ التَّكْرَارَ تَفَحُّصُ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي قَصِدَ بِتَّكْرَارِهِ^(١)، وَقَدْ أَلْفَيْتَاهُ، فَلَمْ نَحْمِلْ قَصْدَ النَّاطِلِ عَلَى قَصْدِ مَعْنَى وَاحِدٍ؟

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا، فَكَيْفَ يَكُونُ الْخُصْمُ وَالْحَكَمُ؟

قُلْتُ: أَمَّا كَوْنُ كُلِّ مِنْهُمَا خُصْماً، فَقَدْ يَتَأْتَى أَنْ يُتَخَيَّلَ لِلْإِنْسَانِ أَنَّ النَّفْسَ [63]// تُخَاصِمُهُ فِي مَنْعِهِ إِيَّاهَا مَا خَلَقَهُ اللَّهُ لِلْخَلْقِ.

وَكَيْفَ يَتَأْتَى أَنْ يَكُونَ الشَّيْطَانُ أَوْ النَّفْسُ حَكَمًا؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يُؤَسِّسُ لَهُ، وَيَقُولُ: أَنَا أَحْكُمُ عَلَى النَّفْسِ، أَوْ أَحْكُمُ لِلنَّفْسِ عَلَيْكَ، وَيُتَخَيَّلُ لَهُ تَضْوِيبُ مَا طَلَبَتِ النَّفْسُ مِنَ التَّمَكِّينِ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ: «تَكَرَّارُهُ»، وَلَعَلَّ الْأَصُوبَ: «تَكَرَّارُهُ».

لِلذَوَاتِهَا. وَرَبَّمَا أَنْ يُضَدِّقَ مَا يُلْقِيهِ فِتْنَاهُ بِأَنْ قَالَ: (لَا تُطْعِ مِنْهُمَا خَصْماً وَلَا حَكْماً).

فَإِنْ قُلْتُ: وَقَوْلُهُ: «[فَأَنْتَ]»^(١) تَعْرِفُ كَيْدَ الْخُضَمِ وَالْحَكَمِ، أَمَّا الْخُضَمُ فَكَذِبُهُ وَتَحْيِيلُهُ وَاصْخَافُهُ، فَإِنَّهُ يَطْلُبُ كَيْفَ يَتَحَيَّلَ عَلَى خَصْمِهِ، وَأَمَّا الْحَكَمُ فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ فِي جِهَتِهِ الْكَيْدُ وَالتَّحْيِيلُ؟

قُلْتُ: أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ تَحَيَّلَ الْحَاكِمُ أَنَّهُ يَقُولُ لِلْمُتَكَبِّرِ بَيْنَ يَدَيْهِ: يَا بُنَيَّ، الرَّخِيعُ إِلَى الْحَقِّ حَقٌّ، وَيُثَبِّتُ لَهُ الْقَوْلَ، وَيُرِيئُ لَهُ الرُّخُوعَ إِلَى الْإِقْرَارِ، حَتَّى إِذَا اعْتَرَفَ يَقُولَ لَهُ: فَالْصِّفْ خَصْمَكَ، فَيَقُولُ: يَا سَيِّدِي، أَنْظِرْنِي فَإِنِّي لَا شَيْءَ مَعِيَ الْآنَ. فَيَقُولُ الْحَاكِمُ: يَا بُنَيَّ، الْأَمْرُ لِمَا حَكَكَ، اسْجُودْ حَتَّى يَنْتَ عَدُوُّهُ أَوْ يَخْلُصَ خَصْمُهُ، فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ لِلْحَكَمِ أَيْضاً كَيْدًا وَتَحْيِيلًا. وَمَا أَنَّى يَقُولُهُ: «فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخُضَمِ وَالْحَكَمِ» إِلَّا عَلَى حِيَةٍ الِاسْتِدْلَالِ، كَالْمُسْتَعْنِي عَنْ إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَى مَا يُعْرِفُ بِالْبَدِيهَةِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ قِصَّةَ تَحْيِيلِ الْخُضَمِ بَدِيهَةٌ، وَتَحْيِيلُ كَيْدِ الْحَكَمِ فِيهَا تَلْفِيقٌ. إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى أَنْ تَكُونَ بَدِيهَةً، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا قَدَّرَ أَنَّهُ حَاكِمٌ عَلَى النَّفْسِ أَوْ لَهَا يُقْوِي فِي النَّفْسِ التَّحْيِيلَ لِنَابِهِ، وَهِيَ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، فَبِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ حُكْمُهُ تَحْيِيلًا. وَإِنْ أَبْدَى مَا يُشَبِّهُ الْقِيَامَ بِالْحَقِّ، فَإِنَّا نَقْطَعُ أَنَّهُ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِمَا اعْتَقَدَ، وَأَنْ تَحْتَ طَيِّ كَلَامِهِ إِنَّمَا إِخْمَادُ نَفْسِ الْمَحْكُومِ لَهُ حَتَّى يَغْفَلَ عَنْ حَقِّهِ. وَذَلِكَ هُوَ قِصَّةُ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّمَا أَنْ يَحْكُمَ بِمَا لَيْسَ بِحَقٍّ، فَيَلْبَسَ عَلَى الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ، فَيُظَنُّ أَنَّهُ مَقْبُولٌ بِالْحُجَّةِ، وَتَكُونَ الْحُجَّةُ إِنَّمَا هِيَ فِي الرَّدِّ عَلَى الْحَاكِمِ، لَكِنْ يَنْهَضُ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ إِلَى جَوَابِ.

وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَمَلَ عَلَيْهِ كَلَامُهُ أَنْ قَوْلُهُ: (وَلَا تُطْعِ مِنْهُمَا خَصْماً)

(١) فِي الْأَصْلِ: «وَأَنْتَ» وَالرَّوَايَةُ: «فَأَنْتَ».

وهي التَّنْزِيلُ. (وَلَا حَكَمًا) وَهُوَ الشَّيْطَانُ، وَقَوْلُهُ: (وَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخُضْمِ) وَهِيَ التَّنْزِيلُ، (وَالْحَكَمُ) وَهُوَ الشَّيْطَانُ، أَوْ الْعَكْسُ. وَاللَّامُ فِي (الْكَيْدِ وَالْحَكَمِ) لِلْعَهْدِ. وَيَكُونُ الْأَلْفُ وَاللَّامُ الشَّعَاقِبَيْنِ فِي الضَّمِيرِ، أَيْ: وَلَا تُطْعِمُ مِنْهُمَا أَحَدًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْعَهُ لَكُمْ الْآيُونَ﴾⁽¹⁾، أَيْ: أَبْوَابُهَا [...] ⁽²⁾ بِقَوْلٍ: وَالَّتِ تَعْرِفُ كَيْدَهُمَا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ (الْكَيْدُ) فِي (الْخُضْمِ) حَقِيقَةً وَفِي (الْحَكَمِ) عَلَى جِهَةِ التَّجَوُّزِ، وَفِي مَعْرِضِ الْمُقَابَلَةِ، وَهُوَ صَانِعٌ فِي الْكَلَامِ الْمَصْنُوعِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَكْدُونَ كَيْدًا﴾⁽³⁾ وَكَيْدُ كَيْدًا⁽⁴⁾ الطَّارِقُ 15، 118، أَيْ: وَأَجَازِيهِمْ عَلَى كَيْدِهِمْ، وَهُوَ مِنْ ثَابِ تَسْبِيعَةِ الْعَثْوَةِ بِاسْمِ اللَّامِ

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ (الْكَيْدُ) فِي جِهَةِ (الْخُضْمِ) حَقِيقَةً، وَمِنْ جِهَةِ (الْحَكَمِ) مُجَازًا وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَزَاءُ عَلَى الْفِعْلِ بَعْدَ النَّدَمِ [...] ⁽³⁾.

وَيْدِ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي حَقِيقَتِهِ وَمُجَازًا. وَقَدْ حَاءَ فِي الْمَصْنُوعِ (الْكَيْدُ) بِمَعْنَى: الْمُجَازَاةُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي الْبَيْتِ: (مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ): وَهُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مُتَنَاسِلَيْنِ أَوْ أَكْثَرٍ، وَمِنْهُ فِي قَوْلِ ابْنِ خَلْدُونَ⁽⁴⁾: (خَفِيفٌ)

(1) سورة ص: الآية 49.

(2) طمس بالأصل الورقة: 63.

(3) طمس بالأصل الورقة 63.

(4) هو عبد الرحمن بن خلدون بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحصري، الفيلسوف المؤرخ، (ت بالقاهرة 808هـ) ترجمته في (الصمد اللامع 145/4، نيل الابتهاج: 17، تعريف الخلف: 213/2، نفح الطيب: 414/4، الأعلام 330/3). والبيتان منسوبان لمحيي الدين بن عبد الطاهر في سرور النفس: 95 «خضب كفها وكحل العين»... نهاية الأرب: 265/2 «نسب الناس»، والفوات: 185/3، حلية الكميته: 296، روضة التعريف: 363/1 «خضبت كفها».

وَعَسُوا أَنْ لِلْحَمَامَةِ حُرْنًا وَأَرَاهَا فِي الْحُرْنِ لَيْسَتْ كَذَلِكَ
خَصَّتْ رَجُلَهَا وَطَوَّفَتْ الْحَبِيبَ بَدَّ وَغَلَّتْ وَمَا الْحَبِيبُ كَذَلِكَ
لَجَمَعَ بَيْنَ خُضَابِ الرَّحْلِ، وَتَطَوَّيْنَ الْجَيْدِ، وَالتَّعْنَى، وَهَذِهِ أُمُورُ

ثَنَائِيَّةٌ

قوله: (الخنق مع التثنية)⁽¹⁾: وَهُوَ أَنْ تُقْسِمَ، ثُمَّ تَجْمَعُ، أَوْ تَجْمَعُ، ثُمَّ
تَقْسِمُ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: (وَلَا تُطْلَعُ مِنْهُمَا خُضْمًا وَلَا حَكَمًا)، فَقَسَمَ، ثُمَّ قَالَ: (وَأَنْتِ
تَعْرِفُ كَيْدَ الْخُضْمِ وَالْحَكَمِ).

قوله: (الإيغال)⁽²⁾: وَهُوَ خَتْمُ الْكَلَامِ بِكُنْهٍ رَائِدٍ؛ إِلَّا نَرَاهُ قَالَ: (وَلَا
تُطْلَعُ مِنْهُمَا خُضْمًا وَلَا حَكَمًا)، ثُمَّ رَادٌّ فِي خَتْمِ الْكَلَامِ ذِكْرَ (كَيْدِ الْخُضْمِ
وَالْحَكَمِ).

وَيُسَمَّى مَعْنَى (التكميل)⁽³⁾: وَهُوَ أَنْ يُؤْنَى بِكَلَامٍ فِي فَرْقٍ، فَيُنْذَرُ
بِإِنْفَاصٍ، فَيَتَمُّ بِكَلَامٍ آخَرَ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا بَدَأَ بِالنَّهْيِ عَنْ طَاعَةِ الْخُضْمِ وَالْحَكَمِ [64]//
تَشَبَّهَ بِالْوَضْعِ الَّذِي لِأَجْلِهِ يَنْهَى عَنْ طَاعَتِهِمَا قَالَ كَعْبُ الْغَنَوِيِّ⁽⁴⁾ (مرويل)

(1) ينظر العمدة: 599/1.

(2) ينظر بحثه في: نقد الشعر: 192، حلية المحاضرة: 155/1، الصناعتين: 422،
العمدة: 654/1، سر الفصاحة: 259، تحرير التجبير: 232، نهاية الأرب: 7/
138، الطراز: 131/3، ابن حجة: 27/2.

(3) ينظر: سر الفصاحة: 333، تحرير التجبير: 357، نهاية الأرب: 157/7، الطراز:
108/3، ابن حجة: 374/1، حزن التوسل: 79.

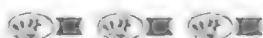
(4) هو كعب بن سعد بن عمر الغنوي. من بني غني، شاعر جاهلي من شعراء المراني
عند ابن سلام، (ت نحو 10 ق. هـ). ترجمته في: (ط ابن سلام: 204/1، معجم
الشعراء: 228، السمت: 771/2، الخزائن: 621/3، الأعلام: 82/6)، والبيت
ضمن مراثيته الرائعة في: الأصمعيات: 95، الأمالي: 149/2، الوساطة: 45،
جمهرة أشعار العرب: 707/2، كفاية الطالب: 74، ديوان المعاني للعسكري: 2/
178. وقال الفاي: «وبعض الناس يروي هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي،
وبعضهم يرويها لسهم الغنوي وهو من قومه وليس بأخيه، وبعضهم يروي شيئاً منها
لسهم، والمرئي بها يقال له: أبو المغوار واسمه هرم».

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْجَلْمَ زَيْنَ أَهْلَهُ مَعَ الْجَلْمِ فِي غَيْرِ الْعَلَوِ مُهَيَّبٌ
وَهَذِهِ الْمَعَالِي تَقَرَّبَ مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ أَنْ يَكُونَ الْجَمْعُ لَا بِالتَّضَادِّ، وَهُوَ
أَنْوَاعٌ:

١- التَّلَافُ اللَّفْظِيُّ وَالْمَعْنَى: وَذَلِكَ كَقَوْلِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى: (طويل)
الْأَبِي سَقْعاً فِي مُعَرِّسٍ مَرْجَلٍ وَلَوْلَا كَحِذَمِ الْخَوْضِ لَمْ يَنْتَلَمْ^(١)
لَنَا عَرْنَتْ الدَّارِ قُلْتُ لِرَبِيعَيَا: أَلَا عَمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الرِّبْعُ وَأَسْلَمَ
٢- وَيَكُونُ بِاتِّلَافِ اللَّفْظِ مَعَ اللَّفْظِ، وَبِاتِّلَافِ الْمَعْنَى مَعَ الْمَعْنَى، وَهُوَ
بَابٌ مُتَّسِعٌ أَغْنَى بَابَ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.

و(الْفَاءُ) فِي قَوْلِهِ: (فَأَنْتَ تَعْرِفُ) بِمَعْنَى (إِذَا)، تَفِيدُ التَّغْلِيلَ، أَيُّ: إِذَا
أَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخُصْمِ.

و(الْخُصْمُ) يَكُونُ الصَّادُ مُضْتَرّاً. وَيَقَعُ عَلَى مَنْ تَقَعُ عَلَيْهِ الْخُصُومَةُ،
فَيَكُونُ إِذَا عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيُّ: وَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ ذِي الْخُصْمِ. أَوْ أَنَّهُ
أَيُّ الشَّخْصِ مَنُزِلَةُ الْمُضْتَرِّ مُبَالِغَةً، وَيُلْعَقُ بِهِ حَيْثُ الْمُسْتَرْدُّ وَالْمُسْتَى
وَالْمُجْمُوعُ وَالْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ. و(الْخُصْمُ) بِكُسْرِ الصَّادِ: هُوَ الَّذِي تَصُدُّهُ مِنْهُ
الْخُصُومَةُ، وَسَيَأْتِي مِنْ قَوْلِهِ: (وَكَمْ خُصِمَ الْقُرْآنُ مِنْ خُصِمٍ)^(٢) بِكُسْرِ الصَّادِ.



(١) سبق تخريجهما ص 62.

(٢) الديوان: 199، سيأتي شرحه في ص 729.

اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ لَقَدْ نَسِيتُ بِهِ نَسْلاً لَذِي غَقَمٍ⁽¹⁾

شرح: عَوَّلَ التَّائِمُ عَلَى التَّخْلِيسِ مِنَ التَّغْزُلِ وَالنَّسَبِ، وَقَدْ جَاءَ تَكْلُفُهُ
بِالتَّغْزِيلِ وَالنَّسَبِ مُسْتَوْفَى، مَنْسُوحاً عَلَى مَنْوَالِ حَسَبٍ، وَأَخَذَ يَتَرَقَّى إِلَى
الرُّضُولِ إِلَى الْمَذْحِ، «وَالْمَبْدَأُ وَالْخُرُوجُ وَالنَّهْيَةُ مِنْ أَكْثَرِ صِنَاعَةِ الشُّعْرِ، وَلَقَدْ
قِيلَ لِنَفْسِهِمْ: قَدْ طَارَ اسْمُكَ وَاشْتَهَرَ فَعَلَّكَ فَقَالَ: لِأَنِّي أَخَسَّتُ الْحَزْرَ⁽²⁾،
وَطَقَّتُ الْمَفَاصِلَ⁽³⁾، وَأَصْبَحْتُ مَقَابِلَ الْكَلَامِ، وَقَرِطُسْتُ⁽⁴⁾ الْأَعْرَاضَ: بِحُسْنِ
الْحَوَائِمِ وَالْفَرَاحِ، وَحُسْنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَذْحِ وَالْهَجَاءِ، وَقَدْ صَدَقَ لِأَنَّهُ حُسْنُ
الْإِفْتِنَاحِ قَاعِبَةُ الْإِسْرَاحِ، وَقَطْلَةُ النِّجَاحِ، وَلِطَافَةُ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَذْحِ سَبَبُ
الزَّيْحِ الْمُسْتَوْجِ، وَخَاتِمَةُ الْكَلَامِ الْبَقَى فِي السَّمْعِ، وَالصَّوْرُ بِالنَّفْسِ، لِقُرْبِ
الْعَهْدِ بِهَا، فَإِنْ حَسَّتُ حَسَنَ وَإِنْ قَبِحتُ فَبِخٍ وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا⁽⁵⁾» كَمَا قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَالشُّعْرُ قُلٌّ، أَوَّلُهُ مِفْتَاحُهُ، فَيَتَّبِعِي لِلشَّاعِرِ أَنْ يَجْعِدَ أَوَّلَ شِعْرِهِ، فَإِنَّهُ
يَقْرَعُ السَّمْعَ أَوَّلًا، وَبِهِ يُسْتَدَلُّ عَلَى مَا عِنْدَهُ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ:
يَتَّبِعِي لِلشَّاعِرِ أَنْ يَتْرَكَ بَعْضَ الْكَلِمِ وَلَعَّ بِهَا بَعْضُ ضَعْفَاءِ الطَّبَعِ، مِثْلُ: (أَلَا)
الْإِسْتِغْنَاءِ، (وَالْخِلِيلِي)، وَإِنْ وَرَدَا فِي كَلَامِ الْمُحَرِّلِ، إِلَّا أَنَّهَا كَثُرَتْ حَتَّى

(1) الديوان: 192.

(2) الحز: من حز يحز احتزازاً، أي: قطع في علاج. ل/حز.

(3) طبق المفاصل: أصابه إصابة محكمة فأبان العضو من العضو. ل/طبق.

(4) قرطس: أصاب القرطاس، والقرطاس الغرض. ل/قرطس.

(5) البخاري: 23/14 - 15، مسلم: 4/2036 - 2042، ابن حبان: 1/277 - 268،

الفردوس: 1/342، شرح السنة: 1/150.

صَارَتْ غَكَّاراً لِلضَّعْفَاءِ^(١)، وَالْفَاطُ سَرَدَلَاهَا فِي «الْكَبِيرِ».

[651]// وَاسْتَغْفَارُ الْقَاطِمِ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَيْتِ لَوْلَا عَجْرُ الْبَيْتِ لَتَمَشَّى عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْتِغْفَارُهُ مِنْ أَخْذِهِ فِي الْعِنَابِ، وَالسُّؤَالُ عَنْ حَالِ غَيْرِهِ، وَاسْتِغْشَافُهَا؛ فَكَانَ اسْتِغْفَارُهُ [نُزُوعاً]^(٢) عَنِ اللَّوْمِ، وَرُجُوعاً إِلَى الْقَبُولِ لِعُذْرِهِ، وَاعْتِرَافاً بِأَنَّ الْجَمِيعَ فِي التَّقْرِيطِ سَوَاءٌ؛ لِأَنَّ الْعِنَابَ إِنْ كَثُرَ كَانَ سَبَباً فِي الْفُطَيْعَةِ وَالنَّجَسِ، وَإِنْ قَلَّ وَرَقَّ وَخَلَا كَانَ سَبَباً فِي الْأَلْفَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْإِنْصَافِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ هُوَ مِنْ كَلَامِ الْمَسْئُولِ أَوْ مِنْ كَلَامِ السَّائِلِ؟

قُلْتُ: يَتَمَشَّى عَلَى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْمَسْئُولِ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ السَّائِلِ. فَإِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْمَسْئُولِ، فَيَكُونُ اسْتِغْفَارُهُ مِنْ انْتِكَارِهِ الْمُسْتَلَمَ الْكُذْبَ وَاجْتِدَاءَ الْحَقِّ، أَوْ أَنَّ اسْتِغْفَارَهُ مِنْ كَوْنِهِ نَزْلَ نَفْسِهِ مَنَزِلَةَ الْمُخَاطَبِ وَلَا خِطَابَ. وَكَانَ يُجِيبُ إِبْجَاطَ مُضَادِّهِ، ثُمَّ اعْتَرَفَ بِشَيْءٍ أَيْضاً لَمْ يَكُنْ فِي الْخَارِجِ مِنْهُ شَيْءٌ، مِنْ كَوْنِهِ رَأَى خِيَالَ مَحْبُوبِهِ فَارْفَقَ اللَّمَحَ. إِذَا اخْرُجْنَا عَنْ السَّبَبِ يَكُونُ إِجْبَارُهُ عَنْ رُؤْيَةِ الْخِيَالِ، مَا رَأَى مِنْ خِيَالِ الذَّاتِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي يَسَبِّحُ زَيْنُهَا مَسْحَ مِنَ الْمَاءِ، وَذَهَبَ عَنْهُ مَا أَصَابَهُ، فَيَكُونُ جِبْتِيلاً مُتَكَلساً عَنْ حَقِيقَةٍ، وَيَكُونُ الرِّغْطُ كُلُّهُ مِنْ قَوْلِهِ: (يَا لَانْصِي) إِلَى قَوْلِهِ: (اسْتَغْفِرُ الله) مِنْ كَلَامِ الْمَسْئُولِ.

وَقَوْلُهُ: (مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ): إِمَّا مِنْ قَوْلٍ نَظَّمْتُهُ وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَإِمَّا جَلَمَةُ السَّبَبِ وَالْتِغَرُّلِ. أَوْ مِنْ وَغْظِي السَّائِلَ حَتَّى كَانِي مُزَكِّئاً، وَأَتِي فِي مَا وَغْظْتُ عَلَى حَقِيقَةٍ، وَيَكُونُ الْمَسْئُولُ هُوَ الْآمِرُ بِالْخَيْرِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: (اسْتَغْفِرُ الله مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ) مِنْ كَلَامِ

(1) الكلام في العمدة: 388/1 - 389.

(2) في الأصل: «نزع» ولعل الأنسب ما أفتناه.

السائل، لأنه لما سأل وعاتب وبزهن على عدم صحته إلكار المسؤول ندم على ذلك، إذ لا يصدر ذلك إلا من له ندم كبير، ونظر إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تُرْكُوا لِنَفْسِكُمْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا﴾ (النجم: 133) وكأنه [ملفتاً] ⁽¹⁾ أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا النَّاسَ بِالْهَوَىٰ وَنَسُوا نَفْسَكُمُ﴾ (البقرة: 164).

وقوله: (لقد نسيت)، (اللام) - جواب قسم مخدوف. وعبر به (النسول) عن أفعال الخير التي دل عليها وعظها.

و (ذو عقم) هو شبه أقواله بالنسل، وعدم اتصافه بتلك الأفعال التي تدل عليها كلمة عقيم، أي: خالي منها، لأن ذو العقم - من لا ينسل له من الرجال ومن لا تلد من النساء. ويقال فيه: (عقم) يكون القاف. و (عقم) عصبها، حتى كأنه يقول: قبلت عذرك، وأنا في الحقيقة في غنى عما ⁽²⁾ أحدث به عليك، وكيف لا؟ فإني مغشوش في ما هو أعظم مما أنا اليك عنه، وأنا أظهر عليك الشكر؛ وقد قال الشاعر: (كامل)

لا تله عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم ⁽³⁾

أو يكون تقدير كلام مخدوف، فقبل السائل عذره، وأقر بأن اللازم مشترك، وأنا مستغفر في ما صدر مني إليك. و (العقم) ليس بخاص بالآدميين، بل يعم الأشجار والآدميين، وقد تكون صفة للسؤال بكسر اللام، كقولك:

(1) في الأصل: «ملفتاً»

(2) في الأصل: «عن عما».

(3) المشهور أن هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي وهو في ملحقات ديوانه 130، الحماسة البصرية: 1232/2، القرطبي: 367/1، شرح ابن عقيل: 353/2، ونسب المتوكل اللبثي الكاسي في الأغاني: 39/11، المؤلف: 236، معجم الشعراء: 339، معاني الحروف للرماني: 62، الأزهري: 243، التذكرة الحسنية: 1/278، ونسب للأخطل ولا يوجد في ديوانه. وفي سيبويه: 42/3، المثل السائر: 3/262، ابن يعيش: 24/7، وفيل السيوطي في شرح شواهد المغني: 264 عن تاريخ ابن عساكر أنه لفظ ماح. ونسب الحاتمي في الحلية لسائق البربري. ونسب أيضاً للمازمي.

الريح (66) عقيم؛ فإنها تمنع ولادة الأشجار، وتضر بها. وتقول امرأة عقيم: وهي التي قام بها الوصف المؤذي. ويُقال: (عقم) يضم القاف كـ (حكت). ويُستعمل (العقم) في الحسيات، ويُستعمل في السعاني كما في الأشجان [غير المتجة]⁽¹⁾ بعض ضروريها لغروها عن شرائط الإنتاج.

سؤال: قوله: (استغفر الله)، صيغته صيغة خبر مضارع، وهو يفيد بصيغته الوعد بوقوع الاستغفار منه، وإذا كان كذلك، فالتأنيل (استغفر الله) لم يكن وقع منه استغفاراً، ولو قال: (استغفرت) لكان إخباراً عن ما مضى، فلا يكون في الماضي ولا في المستقبل - مع الاختصار على التثنية بالفعل - [استغفاراً]⁽²⁾.

الجواب: إن الشرع جعل على شعائره أعلاماً، يكون ذكرها علامة على حصول عمل، أو قول، وإن كانت صيغة صيغة الخبر. وكان بعض أشباخها يقول: قوله: (استغفر الله)، حكمة إنشائية مقننة: أفعلت عن المعاصي. وأحدث في تحصيل المبادرة للعقل، وتلبست بالندم على ما أسلفت من اللزيم؛ ألا ترى أن قول القاضي للشاهد: ما تريد؟ فيقول له: تشهد بكذا. فيقول له: حسن. فإن قال: شهدت، فلا يقبل منه، ولا يعمل بما قال؛ لأن الصيغة التي وضعت لأداء الشهادة إنسا جاءت بألف المضارع، لكن يفيد تحصيل ثبوتها أو وقوعها عند القاضي عكس ما تنقطع به العزمة؛ ألا ترى أن المطلق إذا قال لامرأته: نطلقك، فإنه لا يلزمه طلاق، فإذا قال: طلقك، لممة التخليق. ولو كان العمل على مقتضى الكلمة لكان كاذباً، لأن الصيغة تدل على أن الطلاق قد وقع، ووقوعه إنما هو بنفس اللفظ، لأنه أيضاً إنشاء، فافهمه، فإنه من دقيق التحقيق.

(1) في الأصل: «الغير متجة».

(2) في الأصل: «استغار»، ولعله تحريف، والأنسب ما أثبتناه.

وقوله: (من قول بلا عقل) على حقيقة الاصطلاح العربي. وإلا فقد جاء العمل شاملاً للقول والفعل كقوله تعالى: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»⁽¹⁾ فهو شامل للقول والفعل. وأعلم أن هذه الكلمة التي هي (استغفر الله) إنما تنفع قائلها إن قارنها إقلاعاً ونَدَمًا، وإلا كانت من توبة الكذابين.

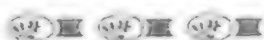
وتعلق المنجورُ بِ (من) بفعل الاستغفار.

و(بلا عقل) في موضع النعت للقول.

وفي البيت: معنى الوعظ.

وقبه: (الرجوع)، ومعناه: أن يكون الشاعر يذُكر شيئاً ثم يرجع عنه، وهو في الرجوع أنواع، إما - كما في قول الناطم بسعان - في أبيات متفرقة، وقد يكون ذلك في البيت الواحد كقول الشاعر: (وافر)

| | |
|-----------------------------|-------------------------------------|
| والخبراً حسبتهم ذروها | فكأنوها ولكن لا غادي ⁽²⁾ |
| وحللتهم سهاماً صلاب | فكأنوها ولكن في غادي |
| 671// وقالوا قد صحت ما قلوب | نعم صدقوا ولكن من وادي |



(1) البخاري: 17/1، مسلم: 1515/3 - 1516، ابن ماجه: 2127، أبو داود: 2/262، الترمذي: 1647، النسائي: 58/1، ابن حبان: 304/1، و7/180، شرح السنة: 5/1، وفي الحديث عدة ألفاظ.

(2) تسب هذه الآيات لاسي الرومي، ولأبي العلا المعري، ولعلي بن فضالة القيرواني. وهي في: البديع: 122، تحرير التعبير: 331/2، نهاية الأرب: 151/7، جوهر الكنز: 162، نزهة الأبصار: 185، حسن التوسل: 279، المعاهد: 185/3 - 186، أنوار الشريعة: 128، إخوان محدثهم: الإيضاح: 534، تهذيب الإيضاح: 1/227، أنوار التجلي: 1/270، كتاب قول على قول: 293/3.

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا انْتَهَمَرْتُ بِهِ وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمَّ؟⁽¹⁾

شرح: هذا نوع من (التفسير): وهو أن يأتي الشاعر بشيء فيه إجمال ما، ثم إنه يأتي بشرح ما أتى به مجملًا، أو بشرحه ما بقي عليه من إجمال ما قدم. ألا ترى أن اللأظم لما قال: (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بَلَا عَقْلٍ) إلى آخره، كان القول والعقل مجملًا، ففسره في البيت بعده وكأنه يقول: ذلك القول بلا عَقْلٍ هو كوني أَمَرْتُكَ وَلَمْ أَتَمِرْ، وَطَلَبْتُ مِنْكَ الْاسْتِقَامَةَ وَلَمْ أَسْتَقِمَّ

وبه معنى آخر: إنه قَسَرَ أَوَّلَ الْبَيْتِ الْمَتَقَدِّمِ بِأَوَّلِ الْبَيْتِ الَّتِي بَعْدَهُ؛ فَإِنْ قَوْلُهُ: (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ): هُوَ قَوْلُهُ: (أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا انْتَهَمَرْتُ بِهِ). وَقَوْلُهُ: (بَلَا عَقْلٍ) فَسَرَهُ بِقَوْلِهِ: (وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمَّ).

«قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي⁽²⁾»: (طويل)

مَنْ مَآ يَجِيءُ يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي بَجْدَ جُمَعَ كَفَّ غَيْرَ مِلْءٍ وَلَا صِفَرٍ⁽³⁾

(1) الديوان: 192.

(2) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي أبو عدي، فارس شاعر جاهلي ضرب به المثل في الجودة، (ت 96 ق هـ). ترجمته في: (الشعر والشعراء): 241/1، الأغاني: 92/16 - 105، السمع: 606، الحزانة: 491/1 و 162/2، الأعلام: 151/2.

(3) الأبيات في ديوانه: 46 «وارثي يستغي الغنى» و«أرمى». الأغاني: 234/22 «بجد نفس كف» وهي ضمن أبيات لعنتبة بن مرداس. العمدة: 622/1، ورواية الثاني في الأغاني: 234/22 «بجد مهيرة مثل القناة طميرة» وغضب إذا ما هو لم يروض بالهيرة. ولا يوجد البيت الثالث في الأغاني ضمن أبيات عنتبة، وهو في: الصحاح والتاج واللسان (ردى - رمى) برواية: «وقد أردى» وسبه في الجمهرة: 419/2 إلى حاتم برواية «قد أرمى». والطميرة: الفرس الجواد. الهيرة: قطع اللحم. الأسمر: الدمع. الحطبي: المنسوب إلى الخط وهو مرفأ للسفن بالبحرين. كعوبه: عقده.

بجهد فرساً مثل العُتَانِ وَضَارِماً
وَأَسْمَرَ خَطِيباً كَأَنَّ عُجْرَةَ
حَسَاماً إِذَا مَا هَزَّ لَمْ يَرَحْ بِالْقَهْرِ
نَوَى الْقَسْبَ فُذْ أَوْبَى ذِراعاً عَلَى الْعَشْرِ

وهذا من التفسير الصحيح السليم من ضرورة التظمين، لأنه لم يُعْلَظْ
للامنة بتيه يتوقف عليه كما فعل الفردوق وغيره في كثير من أبيات شعوره.

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ^(١): (طويل)

وَدِي أَمَلٍ يَرْجُو ثَرَانِي وَإِنَّمَا
وَسَالِي سَالٍ غَيْرُ دَرَجٍ وَمُعْطَرٍ
يُصْبِرُ لَهُ يَمَلِي عَمداً لِقَلِيلٍ^(٢)
وَأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ ضَقِيلٍ
وَأَسْمَرَ خَطِيبِي الْفَنَاءَ مَقْلَقَتْ
وَأَجْرَدُ غَرِيْبَانُ السَّرَاةِ طَوِيلٍ

وَدِي يُعْطِئُهُمْ: (وَأَبْيَضَ) (وَأَجْرَدُ) بِالْخَفْضِ، لِيَتَكُونَ (طويل) مُرْفُوعاً
عَلَى الْقَطْعِ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الْإِفْعَاءِ. لَكِنْ تَهْمَا وَحْدَ وَجْهٍ يُخْرِجُ بِهِ عَنْ غَيْبِ
السَّبَبِ صَبِيرٌ إِلَيْهِ^(٣)، وَالتفسير في كلامهم كثير، وَقَدْ أَشْفَيْنَا الْكَلَامَ فِي هَذَا
الْمَعْنَى فِي شَرْحِنَا الْكَبِيرِ.

= القسب: ضرب من الثمر غليظ النوى. أرمى أو أردى أو أربى: واحد بمعنى زاد
السمط: 882/2، الاقتضاب: 348.

(١) هو عروة بن الورد بن زيد وقيل ابن عمرو بن زيد العسي. شاعر جاهلي فارس من
الشعراء الصعاليك، ترجمته في: (الشعر والشعراء)، 675/2، الاشتقاق: 170،
الأغاني: 70/3 - 81، السمط: 823، الخزائن: 194/4.

(٢) لا نرجد الأبيات في ديوان عروة بن الورد. ونروي لأبي الأبيض العسي (شاعر كان في
أيام هشام بن عبد الملك). تنظر في: شعر بني عباس: 149، ش/ح للمرزوقي: 468/1
«وَدِي أَمَلٍ... وَإِنْ مَا» و«نوع حصينة» وأبيض من ماء الحديد ضقبيل» المترح البدع:
232 غير منسوب، العمدة: 623/1 «وإن امرأ... وإن ما» يصير له منه غداً، الوساطة:
242، جوهر الكنز: 172 «وَدِي أَمَلٍ يَرْجُو ثَرَانِي وَإِنْ مَا» له منه إدا، ديوان الشعر
العربي: 325 منسوب لأبي الأبيض في ش/ح/م وجوهر الكثر: «أَسْمَرَ خَطِيباً» وأجرد
غريبان السراة طويل، السغفر: ردد من الدروع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع بها
المسليح، وأصل الغتر الشفطية والستر، المتقف: المقوم. الأجرد الغرس القصير الشعر
متجرد الظهر من اللحم مشرف الهامة طويل القامة. والسراة: أعلى الظهر ووسطه.

(3) النص في العمدة: 622/1 - 623.

وَيُقَالُ: (أَمَرَ) إِذَا وَجَّهَ الطَّلَبَ إِلَى غَيْرِهِ. إِمَّا حَقِيقَةً إِنْ كَانَ الْأَمْرُ أَعْلَى مَرْتَبَةٍ مِنَ السَّامِعِ، أَوْ خُصُوعاً إِنْ كَانَ أَدُونَهُ، أَوْ التَّنَاسُلاً إِنْ كَانَ مُتَسَاوِياً لَهُ فِي الْقَدْرِ. وَأَمَّا (اِئْتَمَرَ) أَيُّ: عَمِلَ. وَمُقْتَضَى الْبَيْتِ: أَمَرْتُكَ وَلَمْ أَعْمَلْ بِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ. وَ(الْخَيْرُ): مَضْهُوبٌ بِـ (أَمَرَ) مُفْعُولاً ثَانِياً. وَهَذَا مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَعْدُو⁽¹⁾ لِلثَّانِي تَارَةً بِنَفْسِهِ وَتَارَةً بِحَرْفِ الْجَرِّ. وَ(الْأَمْرُ) هُنَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ: إِمَّا السُّؤَالُ وَإِمَّا السَّائِلُ. وَ(الْخَيْرُ) هُوَ مَضْهُوبٌ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: (فَاصْرِفْ هَوَاهَا)، وَ(اسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ) وَمَا فِي مَعْنَاهُ.

و(مَا) فِي قَوْلِهِ: (فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِم) اسْتِفْهَامِيَّةٌ، مُشْعِرَةٌ بِتَوْبِيخٍ مَا، وَإِنْكَارٍ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي وَغِظٍ مِنْ غَيْرِ غَاطِلٍ بِهِ؟ قَالَ الشَّاعِرُ: (كامل) فَبَدَأَ بِنَفْسِكَ فَاتَّيْنَا عَنْ غِيْهَا فَإِذَا بَدَأَتْ بِهَا فَاتَّتْ حَكِيمٌ⁽²⁾ وَمِنْ (أَمَرْتُ) وَ (اِئْتَمَرْتُ) تَجَسُّسٌ وَتَرَدُّدٌ. وَلَيْسَ (أَمَرْتُ) وَ (اِئْتَمَرْتُ) لَفْظاً 1687// (وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِم) لِاتِّفَاقِ اللَّفْظَيْنِ الْآخَرَيْنِ فِي الْمَادَّةِ وَالْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ، فَإِنَّهُمَا مُتَّفَقَانِ فِي اللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى. وَفِي الْبَيْتِ: (مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ) لِلْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ الْفَافِ الْجُسْلَتَيْنِ. وَفِيهِ تَفَرُّعٌ مِنَ (الْمُقَابَلَةِ)، لِتُقَابَلَةِ لَفْظَتِي الْعَجْزِ لِلْفُظْفِي الصَّدْرِ. وَقَوْلُهُ: (مَا اِئْتَمَرْتُ بِهِ): الضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ بِالْبَاءِ ضَالِحٌ أَنْ يَعُودَ لِلْخَيْرِ، أَوْ لِلْأَمْرِ.

و(لَكَ اسْتَقِم): فِي مَوْضِعِ نَضْبٍ بِوُقُوعِ الْقَوْلِ عَلَيْهِ.
و(قَوْلِي): هُوَ خَبَرٌ مَا الِاسْتِفْهَامِيَّةِ.

(1) فِي الْأَصْلِ: «يَعْدُو» ، وَالْأَنْسَبُ مَا أُبَيَّنَّاهُ.

(2) الْبَيْتُ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ فِي الدِّيْوَانِ: 130، الْمُسْتَقْصَى: 260/2، الْمُسْتَطَرَف:

48/1، شَرْحُ شَذُورِ الذَّهَبِ: 258، نَزْهَةُ الْأَبْصَارِ: 587، الْحِمَاسَةُ الْمَغْرِبِيَّةُ: 2/

12320، وَفِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ: 2/367 «وَبَدَأَ... فَإِنَّهَا × فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ...».

ولا تزودت قبل الموت نافلة ولم أصل سوى فرض ولم أضم

شرح: هذا من معنى التزديد، وهو من باب ذكر الحاصل بعد الغام. لأن الخبر المتقدم الذكر شامل لجميع أنواع الخير، فكرر (الصوم) و(الصلاة) لشرفهما، مع ما فيه من قصد إزالة شناعة ما صرح به، لأنه ما الشر ولا استقام، إذ يعطي ذلك الإطلااق إجمالاً ما كلفت به من الطاعات، فقال (الخير)، الألف واللام للاستعراق. وإذا لم أوف بذلك لأني إنما اقتصررت على فعل الواجب، ولو كُنت كاملاً لفعلت من الفعل ما فعله الذين وقفوا إليه. إذ التوافق هي المكملة لدرجة العاقل بعد أداء الفرائض.

فإن قلت: وهذا الاعتذار لم يزل فيه بحث. وهو أن يقال: وكيف أمر من اعترف أنه مقتصر على المفروض دون شيء ما من المنذوبات من الفرض والصوم؟

لكن يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ الْفُرْضَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ بِتَوَابِعِهِمَا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ: إِنَّهُ إِنَّمَا صَلَّى مَا وَقَعَ عَلَيْهِ لَفْظُ الْفُرْضِ، إِنَّمَا بَاضِلُ التَّكْلِيفِ أَوْ بِالذَّكْرِ، وَيَكُونُ لَهُ أَوْرَادُ أَوْجِبَهَا عَلَى نَفْسِهِ. وَجَاءَ بِهِ كَذَا مُحْتَسِلاً إِخْفَاءً عَلَى السَّامِعِ خَشْيَةً مَا يُلْحَقُهُ مِنَ الرِّبَا وَتَرْكِيَةِ النَّفْسِ، فَيَكُونُ صَادِقاً فِي مَا قَالَ، مُتَسْتَرّاً بِعَمَلِهِ، كَامِلاً فِي ذَاتِهِ بِكَمَالِ أَعْمَالِهِ.

فإن قلت: لو كان هكذا لكان ناسبة على التفريط الذي يظهر من قوة كلامه غير مطابق لما تمتعه في نفس الأمر.

فالجواب: إنه لما وقف بباب العبودية، وعلم حقيقة الرئوبية، اضمحلت

اعسالة في نظره، ورأى أنه مقتصر، ولم يذل الجهد في الطاعة، وهو ذاب
الانحياز، إنهم لا يرون لأنفسهم عملاً

و(الشُرُود) في اللسان: حقيقة ما يحملهُ المسافرون في أسفارهم
لأنفائهم، وخاء إطلاقه على أفعال البر التي يقدمها الإنسان للتسليم القبول
الموصول إلى الدار الآخرة، قال الله العظيم: ﴿وَكَزَوْدًا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ
التَّوَنُّ﴾ (البقرة: 197). وقد استعملت العرب (الشُرُود) على جهة من جهات
التهكم بالمتزود والافتخار في المتزود، مثل قولهم: «تزود منا هزينة فوق
أدوية» والقصد بـ (الزاد) ما يخفي المسافر إلى غاية سفره، وعناية سفر المتزود
الحبر الحقة، فإذا دخلها استغنى عن استعداد بزاد، إذ لا مسافة بعدها لتفتقر
إلى زاد، ومن فقد زاده قبل الوصول خشي عليه الضياع.

691// و(الناقلة) في اللغة: الزيادة، وعليه يحمل كلام الناظم. وفي
الكلام لغت مخذوف، أي: ولا تزودك قبل الموت لافلة، أي: مغشوة.
وحذف النعت في نصيح الكلام كثير، ومنه: «السن جنت بالحق» (البقرة: 171)،
أي: البئر. و«إنه ليس من أهيك» (هود: 46)، أي: اللاجين.

و(الفرض) في اللغة: التقدير، ومنه: «قد فرض الله لكم نعمة بتمسككم»
التحريم 12، وقولهم: فرض القاضي النفقة، أي: قدرها؛ ومنه: صدقة الفطر
سنة فرضها رسول الله ﷺ، أي: قدرها. وأما في الشرع: فهو ما يعاقب تاركه
ويحتمل فاعله، وله الفاظ [مترادفة] (1): الواجب، والعرض، والمحتوم،
والمكتوب، والحق.

و(الموت): يجوز تأنيبه وتذكيره، وهو وجودي بدليل هو: «أبى خلق
آلوت وألوية» (الملك: 12) خلافاً لمن قال: إنه عديمي. وذعب الغزالي إلى أن

(1) في الأصل: «مترادف».

أُصَوِّرَ عَنَارَةً عَنِ الْقَطَاعِ خِدْمَةَ الْجَسَدِ الرُّوحِ⁽¹⁾. «وَمَا جَاءَ مِنْ أَنَّهُ يُؤْتَى بِهِ عَلَى صِفَةِ كَبَشٍ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَحُودًا لَا مَوْتَ فِيهَا، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَحُودًا لَا مَوْتَ فِيهَا»⁽²⁾، مُتَأَوِّلٌ⁽³⁾. هَذَا هُوَ مُقْتَضَى كَلَامِ النَّازِمِ.

وَأُورِدَ بَعْضُهُمْ يَحْتَأً وَقَالَ: «كَيْفَ يَتَوَجَّبُ عَلَى النَّفْسِ ذَمًّا مَعَ التَّوْفِيقِ بِالْوَاجِبِ؟ ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ قِيلَ: قَدْ حَكَمَ الْأَمَّةُ بِجَرَحَةِ مَنْ تَرَكَ النَّوَائِلَ تَحْلِيهَا، بَلْ وَبُغْيَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مَنْ عَمَّ النَّوَائِلَ بِالتَّرُكِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بِفِعْلِ الْفَرَانِصِ، لِحَا يَظْهَرُ مِنْ اسْتِثْنَائِهِ بِالنَّوَائِلِ، ثُمَّ جَنَحَ إِلَى أَنَّ كَلَامَ النَّازِمِ فِي قَوْلِهِ (وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أَصُم)، قَالَ: هَذِهِ دَرَجَةٌ غَالِيَةٌ مِنَ الصَّدَقِ لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ. وَقَدْ أَوْحَتْ بِهَا بِحَقِّهَا الْجَنَّةُ لِلَّذِي سَأَلَهُ عَمَّا عَلَيْهِ فَقَالَ فِي سَوَالِهِ: «أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةَ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَمْتُ الْحَرَامَ وَلَمْ أَرِذْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا مِنَ الْحُلِّ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَعَنُ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرِذُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا»⁽⁴⁾.

قُلْتُ: وَفِي هَذَا تَفَرُّقٌ، لِأَنَّ حَدِيثَ الْأَعْرَابِيِّ هَذَا قَدْ تَأَوَّلَهُ النَّاسُ بِأَنَّهُ قَالُوا: لَعَنَهُ كَمَا قِيلَ مَشْرُوعِيَّةً⁽⁵⁾ غَيْرَ الْفَرَانِصِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ. وَقِيلَ: إِنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي حَوَّطَ بِهِ الْأَعْرَابِيُّ: «حَمَلْتُ صَلَوَاتِ كَتَبْتُهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ إِلَى

(1) ينظر الإحياء: 448/4 - 544.

(2) البخاري: 37/23 - 40، مسلم: 2188/4 - 2189، الترمذي: 95/4 - 96، الدارمي: 90، المستدرک: 156/1، الأحاديث المختارة: 49/7، التخويف من النار: 152، شعب الإيمان: 350/1، العظمة: 943/3.

(3) ينظر هذا الكلام عن الموت في النص الكامل لكتاب تعواصم من القواصم: 26 - 29.

(4) مسلم: 44/1 بالفاظ عدة. أحمد: 14220.

(5) في الأصل: «مشروعة».

أَحْرَمَ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ^(١). أَيْ: لَا أُغَيِّرُ تَحْدِيدَ الشَّرْعِ، لَا أَنْقُصُ مِنَ الْحَمْسِ وَلَا أَرِيدُ عَلَيْهَا. وَقِيلَ: سَعَى كَلَامُ الْأَعْرَابِيِّ: لَا أَرِيدُ فِي قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ الَّتِي بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَيْهَا، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهَا. وَأَيْضًا فَإِنَّمَا سَأَلَ الْأَعْرَابِيُّ هَلْ يَدْخُلُ الْجَنَّةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَمْ يَقُلْ: هَلْ أُحْرِمَ عَلَى الشَّارِ، أَوْ هَلْ أُعْصِمُ مِنَ النَّارِ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ يَنْفَالُ ذَرَّةً مِنْ إِيْمَانٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

وَقَالَ أَيْضًا هَذَا الشُّكْلُ عَلَى الْبَيْتِ: لَوْ قَالَ النَّاطِمُ: (لَمْ أَوْفِ بِتَكْلِيفٍ، وَلَمْ أَضْمِ) أَوْ نَحْوِ، هَذَا، لَكَانَ أَسْعَدَ بِقَصْدِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا كُلُّهُ يَجِبُ مِنْ قَصْدِ النَّاطِمِ، وَإِنَّمَا وَرَى النَّاطِمُ تَوْبَةً، وَبِإِلْدَعِهَا مَا قَالَ يَغْدُ فِي قَوْلِهِ: (ظَلَمْتُ سَنَةً مِنْ أَحِبِّي الظَّلَامِ)^(٢). هَذَا يُبَيِّنُ لَكَ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي الْقِرَاضَ وَغَيْرَهُ؛ لَكِنْ يَكُونُ الْوَرْدُ - الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِهِ - أَوْحِبُّهُ عَلَى نَفْسِهِ، لَكِنْ رَأَى أَنَّهُ تَرَكَ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا لِكُونِهِ لَمْ يَبْقَ حَتَّى تَرَمَ قَدَمَاهُ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (ظَلَمْتُ سَنَةً مِنْ أَحِبِّي الظَّلَامِ)^(٣)، لِأَنَّ تِلْكَ الدَّرَجَةَ هِيَ الَّتِي طَافَتْ، (170) // وَلَا يَتَأَوَّلُ عَلَى النَّاطِمِ غَيْرُ هَذَا. وَكُلُّ مَا قَالَ: مِنْ أَنَّ بَوَاقِيَهُ فِي الْكُذْبِ أَوْ لَا بَوَاقِيَهُ، شَيْءٌ نُسْتَعْنَى عَنْهُ. وَكَلَامُهُ أَوْصَحُ مِنْ أَنْ يُلْزَمَ عَلَيْهِ كَذِبًا.

وَقَوْلُهُ: (وَلَا تَزُوذْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ) هُوَ مِنَ (الْحَشْوِ)؛ وَقَدْ قَدَّمْتُ قَبْلُ «أَنَّ الْحَشْوَ قَدْ يَكُونُ مِمَّا لَيْسَ لَا يُفِيدُ مَعْنَى، وَإِنَّمَا أَدْخَلَهُ النَّاطِمُ لِإِقَامَةِ الْوِزْنِ، وَأَنَّهُ

(١) البخاري: 97/1 - 99 و 76/9 - 77 بالفاظ، مسلم: 40/1 - 41، أبو داود: 1/106، النسائي: 227/1 و 121/4، الموطأ: 175/1، ابن حبان: 4/3 و 116/3، الحداثق: 62/1 - 63، البغوي: 19/1.

(٢) الديوان: 192 وتماه:

(٣) ظلمت سنة من أحبي الظلام إلى أن اشتكت قدماء الضر من ورم نفسه.

إِنْ كَانَ فِي الْقَافِيَةِ سُمِّيَ اسْتِدْعَاءً وَقَدْ يَأْتِي مِنَ الْحَشْوِ مَا هُوَ زِيَادَةٌ فِي حُسْنِهِ وَتَقْيُّهُ لِمَعْنَاهُ⁽¹⁾، كَالَّذِي أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ قَبْلَ هَذَا، وَاللَّوْاحُ الْحَشْوُ بِحَسَبِ رِقَّةِ غَزَلِ النَّاطِمِ وَكَثَافَتِهِ.

وَكَلَامُ النَّاطِمِ هُنَا وَإِنْ كَانَ حَشْوًا فَإِنَّهُ مِمَّا زَادَ الْبَيْتَ حُسْنًا، أَوْ يُقَالُ: إِنَّهُ الْبَيْتُ لَيْسَ بِحَشْوٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الزَّادَ يُرَادُ لِلشَّعْرِ، وَالزَّادُ إِنَّمَا يَعْمَلُ لِلشَّعْرِ، وَالشَّعْرُ الَّذِي يَسْتَعْدُّ لَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ هُوَ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ؛ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَلَا بَادُوتُ بِعَمَلٍ زَادَ قَبْلَ أَنْ يَحْضُرَ⁽²⁾ الشَّعْرُ وَلَا أَحَدٌ زَادًا؛ فَقَوْلُهُ: (قَبْلَ الْمَوْتِ) تَبْيِهُ عَلَى مَا بَعُوثُ بِهِ عَمَلُ الْهَيَا، فَهُوَ إِنْ كَانَ مِنْ أَصْنَافِ الْحَشْوِ فَقَدْ زَادَ مَعْنَى عَظِيمًا، وَزَادَ الْبَيْتَ. وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ بِحَشْوٍ، فَلَيْسَ بِحَشْوٍ عَلَى التَّأْخِذِ الَّذِي يَبْنَاهُ

وَجَلَبَ بَيْنًا يَسْتَفْهِدُ بِهِ عَلَى حَشْوٍ كَلِمَةً فِي بَيْتٍ فَقَالَ: (طويل)

صَغِيرِينَ نَحْنُ لِمُرْعَى الْبَهْمِ بَيْنَنَا فَمَا لَيْتَ لَمْ نَكْبِرْ وَلَمْ نَكْبِرِ الْبَهْمِ⁽³⁾
فَأَنْشُدَهُ هُوَ:

صَغِيرِينَ نُرْعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَا إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبِرْ وَلَمْ نَكْبِرِ الْبَهْمِ⁽⁴⁾
فَأَنْشُدَهُ هَكَذَا لِيَجْعَلَ (إِلَى الْيَوْمِ) حَشْوًا وَلَيْسَتْ الرِّوَايَةُ إِلَّا عَلَى مَا أَنْشُدْنَاهُ لَكَ.

وَعَلَى تَقْدِيرٍ أَنْ تَكُونَ الرِّوَايَةُ كَمَا أَنْشُدَ، لَكِنَّهُ حَشْوٌ حَسَنٌ، فَإِنَّ فِي

(1) العمدة: 675/1.

(2) ينقض: من نضاً ينضو نضواً. ونضاً ثوبه: خلعه وجرده. ونضاً الخضاب: دُعب لونه وانقضى. ونضاً السهم: مضى.

(3) لم أعثر على هذه الرواية.

(4) البيت للمجنون قيس بن الملوخ في ديوانه: 235، الأغاني: 11/2، تزيين الأسواف: 799 ديوان الشعر العربي: 1/299 لم نكبر، الأملاني: 1/216، مصارع العشاق:

30 «إلى الآن»، الخزائن: 4/230 «صغيران لم نكبر ولم نكبر البهم».

قوله: (إلى اليوم) يشير إلى الوقت الذي نذكر فيه لذة الهوى والوصال. وأما
لو قال: (لم يكبر) وسكت عن قوله: (إلى اليوم) فقد تكون مبنية أن يبقى على
تلك الحالة صغيراً معها. وقد يدركه الموت ويصدق عليه (لم يكبر). وهو لم
يتصل الموت لعدم الكبر وإنما تملئ البقاء على هيئة الصغير إلى البرزخ، فيكون
صغيراً حجمه مساوياً لا يفرق بسببه بينة وبين خلقه وامتداد عمرهما إلى وقت لذة
الوصال، والله أعلم.

وقال: (نافلة)، بياناً لجنس الزاد، وإلا لزم قال: (وما تزودت) لكان
جنس الزاد مذهباً. ويروى أن يقال: كأن القيام بالفرائض ليس بزاد، فلا بد أن
يضم نعت، أي: نافلة زائدة على زاد الفروض، إذ كلها أزواد للأخرة.
فإن قلت: قوله: (ولم أضل سوى فرض ولم أضم) يفهم من قوله:
(ولا تزودت قبل الموت نافلة) إذ لم يلف إلا التزود بالنافلة، فيكون في
الكلام (التثيم)⁽¹⁾، وهو من بدیع المعاني.



(1) ينظر بحثه في: لفظ الشعر: 46، سر الفصاحة: 277، الصنائع: 434، العمدة
645/1، بديع ابن منقذ: 53، تحرير التحبير: 127، نهاية الأرب: 118/7، ابن
حجة: 271، الطراز: 104/3، جوهر الكثر: 132، التبيان: 137.

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَى الظَّلَامَ إِلَى أَنْ اسْتَكْتَحَقَّ قَدَمَاهُ الضَّرْمَ مِنْ وَرَمٍ⁽¹⁾

شرح: هذا البيتُ مُفسَّرٌ لِمَا قَبْلَهُ. وَمِمَّا تَعْلَمُ أَنَّ فِي كَلَامِهِ (تَوْرِيَةً)، وَأَنَّهُ لَا يَفْتَضِي كَلَامَةَ الإِخْلَالِ بِالتَّوَابِلِ تَمَّا فَسَّرَهُ بِهِ الْبَعْضُ.

و(ظَلَمْتُ) هُنَا بِمَعْنَى: نَقَضْتُ، وَمِمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَخْلُ مِنْهُ شَيْئًا﴾ (الذِّهَب: 183)، أَيْ: لَمْ يُلْقِضْ مِنْهُ شَيْئًا. وَلَيْسَ السَّرَادُ هَذَا: الظُّلْمُ بِمَعْنَى الْجَوْرِ.

و(السُّنَّةُ) هُنَا السَّرَادُ بِهَا: الطَّرِيقَةُ، أَيْ: نَقَضْتُ طَرِيقَةَ السَّارِعِ، وَمَنْ يَسْرِعُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهَا؟ فَبِهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ اعْتِرَافَهُ لَمْ يَكُنْ بِمَا يُلْقِضُ مِنْ قَدَرِهِ. وَنَدَّلَ عَلَى مَسْحَةِ هَذَا الْقَوْدِ قَوْلُهُ: (أَنْ اسْتَكْتَحَقَّ قَدَمَاهُ الضَّرْمَ مِنْ وَرَمٍ) 1711// كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَمْ أَجْتَهِدْ عَلَى أَفْتِنِي بِأَثَرِهِ ^{هَذَا} فِي الْوُضُوءِ إِلَى الْوُقُوفِ إِلَى أَنْ تَرِمَ الْقَدَمَانِ. وَمَنْ لَمْ يَفْصِلْ تِلْكَ الدَّوْحَةَ فَقَدْ نَقَضَ مِنْ طَرِيقَةِ مَتَّبِعَةٍ: وَهِيَ طَرِيقَةُ الْأَكَابِرِ: إِنَّهُمْ يَتَرَفَعُونَ إِلَى تَبَاعٍ مِنْ هُوَ أَهْلٌ لِأَنْ يُسَبَّحَ. وَقَدْ وَرَدَ عَنْ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ⁽²⁾ أَنَّهَا عَوْدُ وَاقِفَتْ. فَقُلْتُ ابْنُ عَطِيَّةَ⁽³⁾ فِي شَرْحِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ⁽⁴⁾.

(1) الديوان: 192.

(2) هي مريم ابنة عمران بن باسهم بن أمون بن منسى... بن سليمان بن داود. ينظر: تاريخ الطبري: 585/1، الكامل: 176/1، نهاية الأرب: 196/4.

(3) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي أبو محمد، فقيه مفسر، له شعر وعلم بالنحو، (ت/542هـ). ترجمته في: (الديباج: 174، بغية الوعاة: 259، قضاة الأندلس: 109، بغية الملتبس: 376، نفح الطيب: 59/3، الأعلام: 282/3).

(4) المحرر الوجيز: 81/3 - 83.

وَحَمَلَ كَلَامَ التَّوْحِيدِيِّ عَلَى تَقْصِصِ التَّوَافُلِ حَقِيقَةً بَعِيدَةً.

أَمَّا (السُّنَّةُ)، فَقَدْ يُقَالُ: الْمُرَادُ بِهَا الطَّرِيقَةُ. وَقَدْ يَتِمَشَّى عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَلَلُوْلَاتُ أَوَامِرِهِ وَأَفْعَالِهِ ^{عَلَيْهِ} الزَّائِدَةُ عَنِ الْأُمُورِ الْوَاحِدَةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ اسْتِغْنَاءَهَا مُتَعَلِّقٌ بِغَيْرِهِ ^{عَلَيْهِ}.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (أَخْيَى الظَّلَامَ)، فَسِرَةُ بَعْضِهِمْ بِأَنَّ قَالًا: «عَمَرَهُ بِأَفْعَالِ الْعِبَادَةِ مِنْ حَرَكَاتِهِ وَسَكَتَاتِهِ، فَإِنَّ رُوحَ الزَّمَانِ عِمَارَتُهُ». وَلَمْ يَتَنَقَّضْ لِأَنَّ هَذَا بِمَعَ الْمَطْلُوبِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: مَنْ أَدْمَتِ الظَّلَامَ سَنَاتَ عَيْنِيهِ، فَالظَّلَامُ أَحْيَاءُ، لَيْ: أَشْغَلَهُ بِالْعِبَادَةِ فِيهِ، وَلَمَّا أَطْلُقَ عَلَى السُّنُوتِ وَفَاءً، وَعَلَى التَّوَمِّ وَفَاءً، أَطْلُقَ عَلَى التَّبَعِ بَعْدَ السُّنُوتِ حَيَاةً، وَعَلَى الْإِفَاقَةِ مِنَ السَّنَامِ حَيَاةً؛ فَتَكُونُ فِيهِ اسْتِعَارَةٌ حَسَنَةً، وَهِيَ مِنَ (الْقَلْبِ) ⁽¹⁾ [فَإِنَّ مِنْ... الزَّمَانِ بِالْعِفْلَةِ عَنِ التَّحْرُكِ فِيهِ، وَالتَّحْرُكُ فِي الزَّمَانِ حَيَاةٌ لَهُ، فَيَكُونُ... وَلَوْ حَمَلَ عَلَى الزَّمَانِ لَنُتَوَسَّلَ إِلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ قَلْبٍ، فَتَقْصُصُ مَوْضِعَ (مَنْ) وَرَفَعَ (الظَّلَامَ)] ⁽²⁾ نَحْوُ: «فَمَا رَحِمَتْ يَحْرَثُهُمْ» (البقرة: 116). أَيْ، فَمَا رَحِمُوا فِي تَجَارَتِهِمْ.

وَفِي الْبَيْتِ: إِسْنَادُ (الإِخْيَاءِ) إِلَى (الظَّلَامِ)، إِنَّ قُلْنَا: إِنَّهُ مِنَ الْقَلْبِ. وَإِنْ فَسَّرْنَاهُ بِأَنَّهُ عَمَرِ الظَّلَامِ بِحَرَكَاتِ الْعِبَادَةِ كَانَ التَّجَوُّزُ فِي لَفْظِ (الإِخْيَاءِ) عَلَى (العِمَارَةِ) عِنْدَ قَوْمٍ، وَكَأَنَّ الْأَضْلَ: إِنَّ (الظَّلَامَ) أَحْيَاءُ لِكُونِهِ كَانَ قَانِمًا فِيهِ، فَسَمِعَهُ مِنَ الشُّبَاتِ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ: «يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا» ⁽³⁾. [.... فَهَوُ ...] ⁽³⁾.

وَأَضَافَ (الشُّكِّيَّةَ) إِلَى (الْقَدَمَيْنِ) مَجَازٌ ثَانٍ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الْعُدُولِ عَنِ

(1) ينظر مبحث القلب في: بديع ابن منقذ: 176.

(2) لحق أعلى يمين الورقة 71 طمست بعض كلماته.

(3) طمس لبعض كلمات لحق أسفل يمين الورقة: 71.

النسب إلى بلد عوارضه على نسبته. وذلك أن النسب هنا هو النوم.
والنسب التشكي.

و(القدمان) إن أريد بهما مجموع الرجلين كان من باب إطلاق اسم
الجزء على الكل مجازاً آخر.

وفي البيت: (مراعاة الطير)، لأنه جمع بين أشياء متناسبة من إحياء
القلام، وتشكي الأقدام، لأن (الورم) ينشأ عن القيام، و(التشكي) ينشأ عن
(الورم).

ويعني الناطم ب (من) في قوله: (سنة من) نسبي ب (من)، وكأنه أيضاً ارتكب
إشارة، وذلك أنه يشير إلى حديث المغيرة بن شعبة^(١) أنه قال صلى حتى
تورحت قدماؤه^(٢). وتعطشهم يحيي أيضاً عن عطاء^(٣) أنه سأل عائشة^(٤) عن
أحوال رسول الله ﷺ وأن تحذته عن العجب ما رأت من أفعاله، فقالت:
وأني شيء لم يكن من أفعاله^(٥) عجباً. وذكر ما رأت من صلاته بالليل حين
قالت: إنه سأل منها أن تتركه بتعمد قلنا قام قامت تتحس^(٦) أين هو فوجدته
يصلّي، ما ركع إلا بكى، ولا سجد إلا بكى. وكانت تلك طلته إلى أن

(١) هو المغيرة بن شعبة بن عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله، صحابي شهد الحديبية
وذهبت عينه بالرموك. (ت50هـ). ترجمته في: (تاريخ الطبري، 131/6، الكامل
182/3، الإصابة: 818/1، أسد الغابة: 406/4، الأعلام: 277/7).

(٢) البخاري: 96/18 - 97، مسلم: 2172/4، ابن خزيمة: 201/2، ابن حبان: 2/
9، النسائي: 89/3، ابن ماجه: 456/1، أحمد: 21/4.

(٣) هو عطاء بن أبي رباح الغنوي أبو محمد، الثعالبي المصري المحدث الفقيه، كان
يعرف بمفتي مكة، 115هـ. ترجمته في: (ط ابن سعد: 967/5، الحلية: 310/3،
وفيات الأعيان: 401/1، ميزان الاعتدال: 197/2، تهذيب التهذيب: 199/7،
الأعلام: 92/5).

(٤) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنه، ترجمتها في: (طبقات ابن سعد: 58/8 - 81،
الحلية: 43/2، الاستيعاب: 1881/4، الإصابة: 300/4، سير النبلاء: 135/2).

(٥) كلمة لم أتبين معناها جيداً، ولعلها «تتحس».

أُطِيعَ. وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَعَلَّامٌ لُتُغِبَ نَفْسُكَ؟ قَالَ: يَا غَائِثَةُ، إِنْ إِيَّاهِ مِنْ أَوْلَى الْعَزْمِ سَقُونِي، فَأَخَافُ أَنْ يَنْقُصَ حَظِّي بَيْنَهُمْ⁽¹⁾. وَفِي بَعْضِ طَرَفِهِ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»⁽²⁾. وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ عِبَادَتُهُ فَوَزِمَ الْأَفْدَامَ مِنْ لَوَازِمِ شِدَّةِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ وَفَدَّ الْيَهُودَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ أَشْيَاءَ، وَعَنِ الرُّوحِ، فَوَعَدَهُمْ إِلَى بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَنْصَرَفُوا، فَكَانَ عِندَهُ فِي عِبَادَتِهِ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ الْوَحْيُ أَيْامًا حَتَّى وَرَمَتْ قَدَمَاهُ مِنَ الْقِيَامِ فَتَزَلَّ جَبِيلٌ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: «وَسْتَخْلُوكَ عَنِ الرُّوحِ» [الْإِسْرَاءُ: 85] الْآيَةَ⁽³⁾. وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً»⁽⁴⁾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ الْكَهْفُ: 23 - 124 الْآيَةَ

و(مِنْ) فِي قَوْلِهِ: (مِنْ وَزِمَ) لِلتَّغْلِيلِ.

وَلِخُرُوجِ الْمُؤَلَّفِ [172] عَنِ هَذَا مِنَ النِّسْبِ إِلَى الْمَذْحِ بِهَذَا التَّخْلِيسِ الْحَسَنِ مِنْ أَيْدِىِ الْخُرُوجِ، وَهُوَ مِنْ بَرَاغَةِ الشُّعْرَاءِ، وَالتَّخْلِيسِ فِي صِنَاعَةِ الْخُرُوجِ كِبَرَاغَةِ الْاسْتِهْلَالِ عِنْدَ الْمَبَادِي. وَمِنْ حَسَنِ تَخْلِيسِهِ أَيْضاً أَنَّهُ خَرَجَ بِالْمَذْحِ بِذِكْرِ أَوْصَافِ الْمُتَمَذِّحِ قَبْلَ تَسْمِيَّتِهِ. وَأَطْنَبَ فِيهَا حَتَّى تُمَثِّلِيَ الْمَسَامِعُ مِنْ مَحَاسِنِ مَنْ قَصَدَ مَذْحَهُ، فَتَبْقَى النَّفُوسُ تَتَشَوَّفُ إِلَى تَسْمِيَةِ الْمُؤَصُوفِ بِهَذِهِ الْمَحَاسِنِ، وَجَبْتِذٌ يُفَصِّحُ بِهِ، وَهُوَ قُرْبُ عَظِيمٍ، وَمَعْنَى بَدِيعٍ. وَفَدَّ يُقَالُ عَنِ السُّلْطَانِ أَبِي عِثَانَ⁽⁵⁾ أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ كُتَيْبَةِ ابْنِ

(1) الشفا: 143.

(2) البخاري 2/63، و6/169، و8/124، مسلم 4/2171 - 2172، الترمذي 2/278، النسائي 3/219، ابن ماجه 1/456، أحمد: 4/251 - 252 و6/111.

(3) البخاري: 17/187 - 188، الترمذي: 4/366 باختلاف لفظ: وينظر تفسير

الطبري: 9/155، تفسير القرطبي: 10/323.

وينظر تفسير الطبري: 9/228. إن الآية نزلت فيمن سأله عن أصحاب الكهف، وليس

فيمن سأله عن الروح.

(4) هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب العربي أبو عثمان، من ملوك الدولة العربية.

الأحمر⁽¹⁾ يقال له: ابن جزي⁽²⁾، فخدم مع كتبة السلطان، وكان له مرتب ثلاثة دنانير ذهبية في الشهر، ما يُعني عنه مئتي، فقدم عليه بغض أصحابه الألدلسيين، فلم يجد ما يؤاسيه به، فأعطاه حصالة وكنوزة جُسعت، ولما وادعه الشد ابن جزي: (كامل)
 ذهبت خشاشة قلبي المنجوع بين السلام ووقفه التوديع⁽³⁾
 فأعلم السلطان بهذه القصيدة، فبعث إليه، فحضر بين يديه، وقال له:
 انشدي القصيدة، فأشده.

ذهبت خشاشة قلبي السوخج بين السلام ووقفه التوديع
 فقال له: لا، فإن تلج عكس وفل: (بين السلام ووقفه التوديع) يتشوف السامع لما وقع بينهما فتشول، (ذهبت خشاشة قلبي السوخج)، فأمر له بكنوزة ورسالة دينار ذهبية، وجعل مرتبة اثني عشر ديناراً ذهبية في كل شهر، وأشتهر أمر ابن جزي في كتبة المغرب.

(الوزم): نفخ الرجلين، أو غيرها من الأعضاء.

(الضر): خبذ اللعج والأشياء تُعرف بأضدادها.

= بويج في حياة أبيه ومات مقتولاً على يد وزيره. ترجمته في: (جذوة الاقتباس: 314 - 316، الاستقصاء: 102، الحلل الموشية: 134، الأعلام: 127/5).

(1) هو يوسف بن إسماعيل بن فرح بن إسماعيل أبو الحجاج الأنصاري الخزرجي النصري، سابع ملوك بني نصر بن الأحمر بالأندلس، بويج بغرناطة وقتل سنة 755هـ. ترجمته في: (اللمحة البدرية: 89، أعمال الأعلام: 350 - 352، الدرر الكامنة: 450/4، الحلل السندية: 229/2، الأعلام: 218/8).

(2) هو محمد بن محمد بن أحمد بن حزي الكلبي أبو عبد الله، شاعر من كتاب الدواوين السلطانية، استكتبه أبو الحجاج يوسف بن الأحمر النصري، ثم انتقل إلى فاس وحظي بعناية أبي عتات المريني. ترجمته في: (الدرر: 4/165، الإحاطة: 2/256، أزهار الرياض: 3/189، نفع الطب: 5/526، نثر فراند الجمال: 283، الأعلام: 37/7).

(3) البيت في: نثر فراند الجمال: 196، الإحاطة: 2/256، المصداق، الكتيبة الكامنة: 96، نفع الطيب: 5/533، المصداق، الغربة والحسين في الشعر الأندلس: 273، الحشاشة: روح القلب ورمق حياة النفس، ل/حشش.

وَشَدَّ مِنْ سَغَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحِي مُتَرَفِّفَ الْإِذَمِ⁽¹⁾

شرح: لَمَّا وَصَفَهُ بِطَوِيلِ الْقِيَامِ الدَّالِّ عَلَى الْعَزْمِ وَالْقِيَامِ بِحَدِّهِ مَعْبُودَهُ بِالْعِبَادَةِ النَّبَوِيَّةِ وَصَفَهُ بِالْجُوعِ وَالضَّبَرِ عَلَيْهِ، تَرْكاً لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَنَبَذاً لِهَمِّهِ. وَالْوَلَا أَنَّهُ هُنَا أَخَذَ مُمْتَلِئاً بِإِرْشَادِ رَبِّهِ إِيَّاهُ بِقَوْلِهِ: «وَلَا تَسَرَ نَصِيكَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ» [الفصيح: 77] لَمَّا عَرَّجَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا، لِيَكُنْ كَمَا فِي الْأَخْذِ بِخَيْرِ مِنْهَا إِقَامَةً لِلَّذِينَ الَّذِينَ بِهِ ثِقَامُ عِبَادَةِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ تَعْبَادُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ ظَوْعاً، وَالْإِطْلَاقُ عَلَى كُنُوزِهَا، عَلَى مَا حَرَّجَتْهُ أَبُو اللَّيْثِ السَّمْعَقَانِيُّ⁽²⁾. «وَلَحِيزَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَا مَلِكاً أَوْ بَيْنَا عَبْدًا، فَاحْتَارَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَا عَبْدًا»⁽³⁾. قَالَ: «أَكُلُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا، فَالْيَوْمَ الَّذِي أَشْبَعُ فِيهِ أَشْكُرُ دَمِي، وَالْيَوْمَ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ أَتَضَرَّعُ فِيهِ إِلَى رَبِّي»⁽⁴⁾. وَلَا شَكَّ أَنَّ الصَّوْمَ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ. وَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيكَ إِيمَانٌ، لَمْ يَكُنْ فِيكَ عَمَلٌ، لَمْ يَكُنْ فِيكَ إِحْسَانٌ، لَمْ يَكُنْ فِيكَ عِلْمٌ، لَمْ يَكُنْ فِيكَ حِلْمٌ، لَمْ يَكُنْ فِيكَ شَأْنٌ إِلَّا وَفِيهِ عِلْمٌ، فَإِنَّهُ إِذَا تَرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ

(1) الديوان: 192.

(2) هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمعقاني، الملقب بالإمام المهدي، علامة محدث من أئمة الحنفية، ومن الزهاد المتصوفين له تصانيف. (ت: 373هـ). ترجمته في: (الفوائد البهية: 220، الجواهر المضيئة: 2/ 196، الأعلام: 27/ 8. ينظر: تفسيره المسمى بحر العلوم: 2/ 175).

(3) أحمد: 7120. قال: «حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة قال: ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة، قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فظفر إلى السماء فإذا ملك يتزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما يزال منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال يا محمد أرسلني إليك ربك، قال: أملكاً نبياً يجعلك أو عبداً نبياً؟ قال جبريل تواضع لربك يا محمد، قال: عبداً رسولاً».

(4) الترمذي: 4/ 5 - 6. أحمد: 21166. الشافعي: 124/ 1، الجامع الصغير: 1/ 152.

أَجْنِي^(١). وَقَالَ **عَلِيٌّ**: الْخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ
الْبُسْكِ^(٢).

وَالسَّغْبُ^(٣): الْجُوعُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَطْغَىٰ فِي يَوْمٍ ذِي مَعْنَةٍ﴾^(٤)
بِمَا لَا مَقَرَّهَ^(٥) [اللد: ١٤، ١٥] فَالْمَشْعَبَةُ: السَّجَاعَةُ. وَتُطْلَقُ عَلَى نَفْسِ
الْجُوعِ مُبَالَغَةً.

فَإِنْ قِيلَ: مُحَمَّدٌ **عَلِيٌّ**... يُرَدُّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ النَّازِمِ (وَاحْشِ
الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبْعٍ) فَلَوْلَا أَنَّ الْمُحْصَصَةَ أَعْلَى رُتَبَةٍ مَا تَخَيَّرَهَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدَّمَهَا عَلَى الشَّبْعِ إِذْ لَمْ يَكُنْ خَوْفُهُ **عَلَيْهِ** مِنْ قَلْبِهِ، بَلْ كَانَ مِنْ زُهْدِهِ.
فَالْجَوَابُ: إِنَّهُ **عَلِيٌّ** قَدْ فَعَلَ، لِأَنَّهُ كَثِيرُهُ، إِذْ قَالَ: «أَبَيْتُ يُطْعِمَنِي رَبِّي
وَيَسْقِينِي»^(٦) [فَشَنَّانٌ مَا بَيْنَ...]^(٧).

وَالْأَحْشَاءُ: وَاجِدُهَا حَشَاءً، قَالَ الشَّاعِرُ: (متغارب)

أَعْرِضْ لِقَائِنَا هَصِيمَ الْحَشَا إِذَا مَا مَشَى حَطْوَةً يَنْتَهَرُ^(٨)
وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ^(٩): (أحز)

(١) البخاري: 78/9 - 87، مسلم: 806/2 - 807، النسائي: 163/4، ابن حبان: 179/5، الموطأ: 252، أحمد: 7181، الجامع الصغير: 235/2، شرح السنة: 223/6، وفيها الفاظ.

(٢) نسخة.

(٣) البخاري: الصوم 1965، والحدود: 1966، التي: 7242، والاعتصام: 7299، مسلم: الصوم: 1103، أحمد: 7122 - 7188 - 7490، الموطأ: 671، الدارمي: 1703.

(٤) طمس لبعض كلمات لحق أسف يسار الورقة: 72.

(٥) الهمضم: حصص الطون ولطف الكشح، والهمضم في الإنسان: فلة انفجار الجنين ولطافتها، والهمضم: اللطيف والضحيق والمنظم. البيت في المحمص لأن سبده: باب الشعث.

(٦) هو أبو النجم العجلي الفضل بن قدامة الرازي ترحمته في (ابن سلام 745/2، الشعراء: 603/2، الأغاني: 157/10).

فَأَنْ رَمَلًا مِنْ دِهَاسٍ وَجَنَى تَحْتَ الْحُشَا وَمَا مِنَ الْحُشَا⁽¹⁾

«الدهاس» من الرمل و«الجنى»: التراب المتخسع. و«الحشا»: ما بين صلح الخلف الذي يكون في آجر الخلب إلى الورك. و«الخلب»: حجاب القلب، وهو ستر بين الفؤاد والخلفوم. و«الحشا»: بين الضلع الذي في آجر الخلب إلى الورك. قاله ثابت في كتابه السعروف بـ (خلق الإنسان)⁽²⁾. و«الحشوة»: ما في البطن [73] من كبد وطحال وغيرهما. يقال: حشنته بالشف فانتثرت حشوته.

و«الخشخ»: ما بين الوركين. والجمع كشوخ وهو إلى خيال الإبط من المنكب؛ قال امرؤ القيس: (طويل)

وكشخ لطيف كأجدبل مخصر وساق كأنبوب السقي السدل⁽³⁾

و«الطشرف»: المنعم. ويروى بالسين المتعجمة (طشرف)، والأول أثبت والعلی. قال الله تعالى: ﴿كَلِمَاتٌ قَلِيلٌ مَّا تَدْرِكُ﴾ الواقعة 145.

و«الآدم»: باطل الجلد، يجمع فعيل على فعل بفتح العين إلا (أديم) و«أفيق»⁽⁴⁾. وهو الجلد الذي لم يكمل ذبغه. وإذا قلنا: إن (أدم) جمع، وهو السدل كور في البيت، فإن صبغة الجمع تعظيماً لجميع أجزاء جلده ~~بها~~. قال ابن عباس: «خلق الله آدم من أديم الأرض فسماه آدم، فعهد إليه فنبى فسماه عباس».

(1) الرجز في ديوانه: 245، كتاب خلق الإنسان: 262، وفي البيت رواية: «خلف الحشا».

(2) خلق الإنسان: 262.

(3) الديوان: 17. الجدیل: جبل من آدم أو شعر يكون في عنق البعير أو الناقة. مختصر: دقيق. الأنبوب: البردي. والسقي: النخل المسقي.

(4) في اللسان والآدم: اسم للجمع عند سيبويه، مثل: أفيق وأفق. وقال ابن سيده: وفيه بحور أن يكون الأدم حساً لهذا، بل هو القياس إلا أن سيبويه جعله اسماً للجمع ونظره بأفيق وأفقط.

إِنْسَانًا»⁽¹⁾. وَلَا شَكَّ أَنَّ أَدِيمَهُ عَلَيْهِ مُشَرَّفٌ وَمُتَرَفٌ.

وهذه الجملة التي استفتح اليث بها عطف على قوله: (أخيبي)، لا على قوله: (اشتكت)، لأنها معدودة من فضائله عليه السلام - وهي جملة مستقلة أفادت مدحاً آخر. وليس المراد أنه شد من سبب أحشاءه لأجل فدم الليل، ولا أنه قال به القيام إلى أن شد أحشاءه من سبب، إذ ليس قيام الليل سبباً في تشكيه - ولأن شد أحشاءه لا يصلح أن يكون غاية لإحياء الظلام، ولا تكون معطوفة على (اشتكت)، لأننا لم نعطفها على (اشتكت) - وهي جملة غائية - لئلا تكون غاية، لأن المعطوف على الغاية غاية.

والإشارة بهذا اليث إلى ما روي من أنه عليه السلام ربط حجارة على بطنه من شدة الجوع⁽²⁾ وفي حديث يوم الخندق⁽³⁾ حين رآه أبو طلحة الأنصاري⁽⁴⁾ رفع يديه بالمعول فتبهل له الحجر الصلد، فعاين تحسبه قد ربط عليهما حجارة، فمَرَّ إلى زوجته وأمرها بطبخ شيء من الطعام فكان طعام المعجزة الذي أظعم منه كل من حضر في الخندق⁽⁵⁾.

(1) أدب الكاتب، 18، الإنصاف في مسائل الخلاف: 809/2، بصائر ذوي التمييز: 2/131، ابن حبان: 11/8، مجمع الزوائد: 136/8.

(2) الترمذي: 15/4، مسلم: 1614/3، وعنده لفظ: عصب بطنه بعصاة.

(3) يوم الخندق: وتسمى غزوة الأحزاب، كانت في شوال سنة 5هـ. تاريخ الطبري: 2/551، الكامل: 146/1، ابن هشام: 385/4.

(4) هو زيد بن إسماعيل بن الأسود البخاري أبو طلحة الأنصاري، صحابي من الرماة الشجعان، شهد العقبة وبدراً، وكان له موقف عجيب يوم أحد، ترجمته في: (ملقات ابن سعد: 64/3، تهذيب ابن عساكر: 6/6، الصفوة: 195/1، الأعلام: 59/2).

(5) صاحب معجزة الطعام يوم الخندق هو جابر بن عبد الله وليس أبو طلحة الأنصاري. فالأبي طلحة معجزة طعام أخرى ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وليس في غزوة. تنظر معجزة جابر في: البخاري: 28/16، مسلم: 1610/3 - 1611، وتنظر معجزة أبي طلحة في: البخاري: 154/15، مسلم: 1612/3، الترمذي: 255/5.

و(شَدَّ) و(طَوَى). لَيْسَا بِمُتَرَادِفَانِ. (الشَّدُّ). الرِّبْطُ. وَ(الطَّيُّ). مَا يَنْشَأُ مِنْ الشَّدِّ. لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، خِلَافاً لِمَنْ قَالَ: إِنَّهُمَا مُتَرَادِفَانِ، فَإِنَّ (الشَّدَّ) مُتَادُ الْعَسَلِ، وَ(الطَّيُّ) نَاشِئٌ عَنْهُ وَبِذَلِكَ يَحْسُنُ اخْتِلَافُ التَّسْبِيَةِ، فَإِنَّ (الشَّدَّ) لَيْسَ إِلَى (الْأَخْشَاءِ)، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُتَطَوِّدَ بِـ (الشَّدِّ) كَسَرَ كَلْبَ الْجُوعِ مِنَ الْأَخْشَاءِ، وَالطَّيُّ بِالشَّدِّ حَصَلَ بِالْكَشْحَيْنِ.

وَالرَّوَايَةُ الْكَثْرَى. (كَشَحِي) تَنْبِيْهُ كَشَحٍ، فَاخْتَلَفَ السُّتَعْلِقَانِ بِالْخِلَافِ الْعَمَلِ وَالْعَامِلِ.

وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

إِذَا فَاتَتْ شَيْءَ أَذْنِهِ ذَلَّ الْفَتَى وَإِنْ فَاتَتْ غَيْبَهُ رَأَى بِالْمَسَامِعِ⁽¹⁾
فَمَعْنَاهُ: إِنَّ الْمُسَخِّرَ عَنْهُ بِهَذِهِ الصَّفَاتِ يَفْظَنُ الْحَوَاسَّ، يُدْرِكُ بِكُلِّ حَاسَّةٍ، حَتَّى أَنَّهُ إِذَا فَاتَهُ شَيْءٌ بِحَاسَّةٍ أَدْرَكَهُ بِأُخْرَى، كَأَنَّهُ إِذَا اسْتَعْمَلَهُ مِنْ اسْتَعْمَلَهُ أَدْرَكَ مِنْهُ قِصْدَهُ، إِنَّ فَاتَهُ بِسَمَاعِ الْأُذُنِ أَدْرَكَهُ بِالسَّمِّ، وَإِنْ فَاتَهُ بِرُؤْيَا الْغَيْبِ أَدْرَكَهُ بِالسَّمْعِ، فَسَبَّ الْقُوَّةَ إِلَى كُلِّ عُضْوٍ، كَمَا نَسَبَ الشَّاعِرُ إِلَى حَوَادِثِهِ أَنَّهُ يُظْهِرُ حَالَةَ الْهَدْوِ وَالْعَقْلِيَّةِ وَلَهُ مَا يَدُلُّ عَلَى الْيَقِظَةِ، فَقَالَ: (طويل)

بَسَامٌ بِأَحْدَى مُفْلَسِيهِ وَيَتَّقِي بِالْأُخْرَى السَّنَايَا فَهُوَ يَفْظَنُ هَاجِعُ⁽²⁾
وَفِي الْبَيْتِ: (مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ)، إِذْ جُمِعَ بَيْنَ الْمُتَنَاسِبَيْنِ: (الْأَخْشَاءِ)، وَ(الْكَشْحِ). وَ(الطَّبَاقِ)، إِذْ قَابَلَ بَيْنَ جُمْلَةٍ وَجُمْلَةٍ. وَ(التَّغْرِيبُ)، وَهُوَ لَمَّا قَالَ: وَطَوَى وَعَرَّضَ بِهِ لِلطَّوَى وَهُوَ الْجُوعُ. وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

(1) البَيْتُ لِلشَّرِيفِ الْعَرِيطِيِّ فِي دِيْوَانِهِ: 164، رَفَعَ الْحَجَبَ: 1/74، الْإِيضَاحُ: 379، الْمَعَادِدُ: 3/89، «إِذَا فَاتَتْ شَيْءَ سَمْعِهِ».

(2) الْبَيْتُ لِحَمِيدِ بْنِ ثَوْرٍ الْهَلَالِيِّ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ: 105، «بِأُخْرَى الْأَعَادِي» بِصِفِ ذُنْبٍ وَامْرَأَةٍ وَلَيْسَ فِي وَصْفِ جَوَادِهِ. وَالْبَيْتُ فِي الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ: 1/391 «السَّنَايَا بِأُخْرَى» فَهُوَ يَفْظَنُ هَاجِعُ وَقَالَ الْعَسْكَرِيُّ فِي جُمُوحَةِ الْأَمْثَالِ: 1/397 وَهَذَا مُحَالٌ لِأَنَّ النَّوْمَ يَأْخُذُ جُمْلَةَ الْحَيِّ. ابْنُ عَقِيلٍ: 1/259، الْخَزَانَةُ: 4/292.

وَقَالُوا غُرَابٌ فَالْغَرِيبُ أَطْنَمُ
 وَ(طَوَى) : سَمَعْنِي ثَنَى . وَ(الطَّوَى) مَعْرِفٌ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ الْجَوْعُ . وَفِي
 الْإِنْيَانِ - (طَوَى) دُونَ ثَنَى (تَعْرِيفٌ) لِمَا يُرَادُفُهُ وَيَتَوَافَقُهُ فِي الْمَادَّةِ ، فَقَدْ عَرَضَ
 بِـ (طَوَى) إِلَى الطَّوَى وَهُوَ الْجَوْعُ .



وَرَأَوْنَاهُ الْجِبَالَ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمٍ⁽¹⁾

شرح: في البيت مناسبة عظيمة، وفغنى عظيم. وذلك أنه لما ذكر غاية الخمر الذي شد منه أحشاءه، فكأنه استشعر سائلاً يقول: أمن عذم؟ قال: مبهات، بل ذلك من الزهد، ألا ترى [174]// أن جبال تهامة⁽²⁾ عرضت عليه ذهباً وفضة، فأبعدوها ولم يرضها.

وفي حديث الترمذي: «عرض علي ربي أن تجعل لي بطلحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، بل أشبع يوماً وأجوع يوماً»⁽³⁾ الحديث. وفي الحديث: «جبريل قال: ثبثك الله بالقول الثابت يا محمد». فأراد الناظم أن يخبرك أنه لو أراد أن يطلعهم أهل الدنيا لأطلعهم.

وقد قالت عائشة: «نحن آل رسول الله ما شبعنا الطعام منذ الفناء، ولو شللاً لأطلعنا أهل الأرض»⁽⁴⁾. وورد عنها «أنها بعد وفاة رسول الله ﷺ أطلع لها من مجلس البحرين جلي ماله، فصبتها أمامها، وأمرت جارية لها ففرقتها، ثم إن جاريته قالت: لو أمسكت لنا درهمين نشتري به لحماً، فقد قريت

(1) الديوان: 192.

(2) جبال تهامة: أولها من قبل نجد ذات عرق، وإذا حاوزت وجرة وغمرة والطائف إلى مكة فقد اتهمت. معجم البلدان: 63/2.

(3) الترمذي: 5/4 - 6، أحمد: 254/8، دلائل أبي نعيم: 595/2، الحلية: 8/246، الزهد لابن المبارك: 754/2، الطبراني في الكبير: 245/8، فيض القدير: 311/4، شرح السنة للبغوي: 246/14، الفردوس: 65/3.

(4) البخاري: 552/6، و7/295، و93/20، بلفظ مسلم: 2281/4، بلفظ الترمذي: 9/4، ابن ماجه: 1110/2، الشفاء: 278/1 - 279.

نُفِيسًا إِلَى اللَّحْمِ. فَقَالَتْ لَهَا: لَوْ تَهْتَمِّي عَلَى ذَلِكَ لَأَمْسَكْتَهُ لَكَ⁽¹⁾.

وَالْبَيْتُ يُشِيرُ إِلَى آتِهِ بِحُزْنٍ تَرَيْتِ لَهَ الدُّنْيَا، وَنَجَسْتِ بِنَهْجَتِهَا، وَتَعَرَّضْتِ
لَهَ بِغَيْرِ فَقَالَ: «إِلَيْكَ عَنِّي أَمْ تَنِي، فَلَسْتُ مِنْ رَجَالِكَ»⁽²⁾، فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَلَمْ
يَلْتَمِثْ إِلَيْهَا. وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ آلُهُ أَشَدُّ (مَجْرُوءِ الْكَامِلِ)

دَلِيلًا عَلَى تَعَرُّضِهَا أَوْ لَيْسَ أَعْرِفَ حَالَهَا⁽³⁾
مَدَّتْ إِلَيَّ يَمِينَهَا فَقَطَعْتُهُ وَشَمَالَهَا
عَرَضَتْ عَلَيَّ حَرَامُهَا فَتَرَكْتُهَا وَحَالَهَا

فَهَذَا عَلِيُّ رَهَدَ فِيهَا وَتَذَهَّا، فَكَيْفَ بِمَنْ عَلَّمَ عَلِيًّا؟

وَقَوْلُهُ: (مَنْ ذَهَبٍ)، إِنْ جَعَلْنَا (مَنْ ذَهَبٍ) تَعْلَقُ بِ (الشَّمِّ)، أَيُّ: اِرْتَفَعَتْ
اِرْتِفَاعًا حَتَّى صَارَتْ شَمَاءً، وَعَلَتْ كَمَيْتِهَا مِنْ جَنْبِ الذَّهَبِ.

وَهَلِ (الْجِبَالُ) الْأَلْفُ وَاللَّامُ فِيهَا بِالْمَعْنَى، فَتَكُونُ جِبَالٌ مُعَيَّنَةٌ انْقَلَبَتْ إِلَيْهِ
ذَهَبًا، فَلَمَّا تَبَدَّلَتْ وَرَفُطَتْ، غَاوَتْ لِلْحَجَرِيَّةِ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَتْ لَكِنْ هَذَا
يُضَلِّحُ إِنْ قُلْنَا: إِنْ (مَنْ ذَهَبٍ) فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ (الْجِبَالِ)، أَيُّ: رَأَوْذَنَهُ
حَالِ كَوْنِهَا مِنْ ذَهَبٍ، وَهُوَ وَقْتُ انْقِلَابِهَا ذَهَبًا - وَالْحَالُ مُنْقَلَبَةٌ - فَرَأَوْذَنَهُ، ثُمَّ
لَسَا لَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهَا رَجَعَتْ إِلَى جَوْهَرِيَّتِهَا. وَإِنْ قُلْنَا: إِنْ (مَنْ ذَهَبٍ) تَعْلَقُ بِ
(الشَّمِّ) لِيُمْكِنَ أَنْ تَكُونَ جِبَالًا تَكُونُ لَمْ تَكُنْ قَطُّ، حَتَّى خَلَقَهَا اللَّهُ، وَكَشَفَتْ
عَنْ حُضْرِهِ فَوَاقَهَا، وَأَنْقَضَتْهَا لَهُ، أَوْ فِيمَنْ مِنْ حَالِهَا أَنَّهَا جُعِلَتْ عَلَى حَسَبِ

(1) ينظر: حلية الأولياء: 49/2.

(2) المستدرک: 344/4، شعب الإيمان: 343/7، الترغيب والترهيب: 103/4،
الفردوس: 233/2، الرياض النضرة: 132/2.

(3) لم أعثر على هذا الشعر في ديوان الإمام علي كرم الله وجهه، وهو في شرح مقامات
الحريري: 87/4، البرهان المؤيد: 42، برواية:

دَلِيلًا لِحَادِثِي شَأْنِي لَسْتُ أَعْرِفُ حَالَهَا
مَعَ الْإِلَهِ حَرَامُهَا وَأَنَا أَجْتَلِبُ حَالَهَا

اختياره، فلما اختار القمر المَحْمُود - وهو الانقطاع إلى عبادة ربه - ورفض
الجمال، أخفاها الله ^{وَقَرَّ}. فإن جعلنا اللام كَمَا هِيَ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الشُّدَّةِ النَّاسِ
فِي زِيَادَتِهَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (رجز)

يَا عَدُّ أُمِّ الْعَصْرِ مِنْ أَسِيرِهَا خُفَارُ أَبْوَابٍ عَلَى قُصُودِهَا⁽¹⁾
وَقَوْلِ الْآخَرِ: (طويل)

وَجَعَلْنَا الْوَلِيدَ بِنَ الْبَرِيدِ مُبَارِكًا شَبِيدًا بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَمَا هَلَهُ⁽²⁾
نَعْبِيْنُ أَنْ جَبَالًا مِنْ ذَهَبٍ رَاوَدَتْهُ، تُكُونُ جَبَالًا غَيْرَ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ أَحَدٍ،
فَتَكُونُ (مِنْ) فِي مَوْضِعِ النَّفْثِ لِلْجَبَالِ الْمُسْكِرَةِ فِي التَّجْدِيدِ.

(وَالشُّمُّ): جَنَعَ أَشْمٌ. وَلُعِنَتْ بِهِ الْجَبَالُ دَلَالَةً عَلَى عَظَمِ الْجَبَالِ الَّتِي
فَرَسَتْ عَلَيْهِ. وَوَصَفَهَا بِالشُّمِّ لِيَكُونَ ذَلِكَ الْبَلْعُ فِي الْإِسْتِنَاعِ عَلَيْهِ، حَتَّى أَنَّهُ لَوْ
أَرَادَ أَنْ يُغْنِيَ أَهْلَ الدُّنْيَا مِنْهَا لَفَعَلَ، فَجَاءَ بِهَا جُشْعًا، وَمَوْضُوفَةً بِالشُّشُوحِ
وَالشُّهُوقِ، لِأَنَّ الشُّمَّ: هُوَ الارتفاعُ، وَمَعْنَى الْأَشْمِ الْأَنْفِ: وَهُوَ الْمَرْتَفِعُ قَضِيَّةً
الْأَنْفِ (75) // مَعَ اسْتِثْوَائِهِ. نَقُولُ: شَمَّ الْأَلْفَ وَالْجَبَلَ: إِذَا ارْتَفَعَ أَغْلَافَهُمَا.
أَنَا شَمَسْتُ الشَّيْءَ شَمًّا: فَلَعَرْتُهُ رَانَحْتِهِ. وَشَمَسْتُ الْأَمْرَ: أَيُّ: تَحَسَّنْتُ بِهِ
عَلَى مَا يَنْظُرُ مِنْ خَالِهِ. وَأَشَمَسْتُ الْحَرْفَ: أَيُّ: لَمْ أَتْلَعْ بِهِ عَايَةَ إِعْرَابِهِ. وَأَشْمُ
الْأَجَلُ: إِذَا رَفَعَ الْفَتْحَ مُنْكَرًا. وَأَشْمُ الْقَوْمُ: جَاؤُوا بِسِينًا وَشِئَالًا.

11 بيت لأبي النجم العجلي في ديوانه 243 وهو من الشواهد الحوية على زيادة اللام
في «العلم» ضرورة في: المقتضب: 49/4، المسائل الحلييات: 288، سر صناعة
الإعراب: 366، الأشباه والنظائر 189/3، أمالي ابن الشجري 580/2 «حراس
أبواب».

12 بيت لآل ميادة الرماح بن أبرد يمدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان،
وهو في: (سر صناعة الإعراب: 451/2، المفصل: 13/1، أمالي ابن الشجري:
236/1، الإيضاح: 179/1، شرح الشافية: 63/1، المقاصد: 218/1، شرح
الأسموني: 32/1، المعني: 75/1، الخزانة: 226/2، الأشباه والنظائر: 23/1
«رأيت × مطيقاً». اللسان/زيد «أحناؤ الخلافة» ونسب لجريز).

وَمَعْنَى (فَارَاهَا أَتَيْهَا شَمَمٍ)، أَي: تَرَفَّعَ عَنْهَا أَي تَرَفَّعَ، تَنْزِيهَاً، وَغْنَى
 قَلْبٍ، وَغَدَمَ اهْتِبَالٍ^(١) سَهًا، وَقَطَعَ نَظْرَ عَنْهَا، وَاسْتَعْمَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَقْرُونَةً بِـ
 (مَا) فِي قَوْلِهِ: (أَيْمًا شَمَمٍ) إِنَّمَا يُعْمَلُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ
 الْمَخْلُوقِ الْإِحَاطَةَ بِكُنْهَيْهَا.

وَمَا: زَائِدَةٌ دَخَلَتْ لِهَذَا الْمَعْنَى الَّتِي قَرَّرْنَاهُ.

و(أَي): صيغة خلت موصوفها، إِذ مَوْضُوفُهَا هُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي لـ
 (أَرَى)، أَي: أَرَاهَا شَمَمًا أَي شَمَمٍ، كَمَا تَرَاهُ فِي أَهْأَكِ شَيْءٍ، كَمَا زِيدَتْ مَعَ
 (مَا) الشَّرْطِيَّةِ، مِثْلَهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَبَا مَا تَدْعُوا لَهُ أَلْسِنَةً لَفْتَنِي﴾ [الإسراء: 109].
 وَ(أَيُّ) لَهَا أَقْسَامٌ^(٢)، هَذِهِ أَحَدُهَا. وَشَأْنُ (أَيُّ) الَّتِي هَذِهِ مِنْ قِسْمِهَا لَا
 تُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُضَافَةً إِلَى مَا يُوَافِقُ مَعْنَى مَوْضُوفِهَا.

وَفِي الْبَيْتِ: (الْمُبَالَغَةُ)، «وَرُبَّمَا شَمَمْتُ عَنْهُ نَعْصِيهِمْ بِالتَّبْلِيغِ: وَهُوَ
 إِسْفَافُهَا عَلَى أَشْرِ شَكْلِ غِلَاً وَتَكَادُ بِسْتَحْبِلٍ عَادَةً، حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا رَفَعَ خَارِقٌ
 لِلْعَادَةِ»^(٣)، وَمِنْهُ - أَغْنَى: مِنْ مَعْنَى التَّبْلِيغِ مَعَ غَيْرِ أَي - قَوْلُ الشَّاعِرِ وَقَدْ
 أَسْفَفْنَاهُ قَبْلُ: (طويل)

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلدُّوَادِ عَشِيَّةً وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نَظْرَةٌ تُشْنَعَمُ^(٤)

(١) الاعتبال: الاغتنام والاحتياال والاقتصاص. وفي الحديث: «من اهتبل جوعة أخيه»

أَي يَحِينُهَا وَيَغْتَنِمُهَا، مِنَ الْهَيْالَةِ: الْغَنِيمَةُ. ل/هـ ب.

(٢) ينظر: سيبويه: 136/1 و 398/2 و 56/3. رصف المباني: 213، الجنى الداني: 233، مغني اللبيب: 106 - 107.

(٣) ينظر بحث المبالغة في: (قواعد الشعر: 31، البديع: 65، نقد الشعر: 50، النكت: 96، الصناعتين: 514، العمدة: 1/649، سر الصناعة: 356، المحلى في وجوه النصب: 162، أسرار البلاغة: 257، سر الفصاحة: 313، بديع ابن منقذ: 104، نهاية الإيجاز: 214، تحرير التعبير: 147، نهاية الأرب: 7/124، جوهر الكنز: 135، الإيضاح: 514، الطراز: 116/3، ابن حجة: 2/7 - 16، حسن التوسل: 59).

(٤) البتان لمهيار الديلمي، سبق تخريجهما ص 16.

يَكُنْتُ عَلَى الزَّادِي فَخَرَفْتُ مَاءَهُ وَكَيْفَ يَحُلُّ الْمَاءُ أَكْثَرَهُ دَمًا
كَمَا قَالَ الْآخَرُ: (طويل)

وَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَسُورُ دِمَائُهَا بِدَجَلَةٍ حَتَّى مَا، دَجَلَةٌ أَشْكَلُ⁽¹⁾

وَمِنْهُ فِي شَرْحِنَا الْكَبِيرِ مَا يَلْذُ السَّامِعُ سَمَاعَهُ. وَبَابُ التَّبْلِغِ مِنْ بَدِيعِ
السَّبْعِ. وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى تَكُونُ الْجِبَالُ دَعْبًا لَهُ ^{بَدِيعًا}، فَإِنَّ الْعُقُولَ لَا تُخَيِّلُهُ،
وَالْقُدْرَةُ صَالِحَةٌ لَهُ وَلَا عَظَمٌ مِنْهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: (رواد) فاعِلٌ، وَالْمُفَاعَلَةُ لَمْ تَقَعْ مِنْهُ عَلَيْهِ⁽²⁾، وَأَصْلُهَا
فِي وَضْعِهَا أَنْ لَا تَقَعَ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ.

قُلْتُ: لَمَّا كَانَ مِنَ الْجِبَالِ الْمُرَاوِدَةُ، وَمِنْ النَّبِيِّ بِإِذْنِ إِرَاءَةِ الشَّمْسِ، حُسْنُ
وَأَفْرَحُ الْمُفَاعَلَةُ لَكِنْ يَرْجِعُ مِنَ التَّجَوُّزِ. وَالرُّهْدُ فِي زِينَةِ الدُّنْيَا وَرُخْرَفُهَا شَأْنُ
عِصَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَنَ اكْتَسَبَ مِنْهُمْ مَا لَا إِنَّمَا نَمَاءَ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ
وَمِنْ رَفْضِهِ الْبَيْتَةَ لَمْ يَغْبَأْ بِقَلِيلِهِ وَلَا بِكَثِيرِهِ؛ أَلَا تَرَى قَوْلَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَأَى
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَقَالَ ﷺ: «يَا صَفْرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ غُرًّا غَيْرِي»⁽³⁾ وَصَرَفَهُمَا فِي
مَصَارِفِهِمَا الْآخِرِيَّةِ. وَكَذَا قَالَ: «يَا دُنْيَا غُرِّي غَيْرِي»، لَكِنْ كَانَ مُعْلَمُ الْجَمِيعِ
مَنْ لَهُمْ فِيهِ الْأُسُوءَةُ الْحَسَنَةُ ﷺ.



(1) البيت لجبرير في ديوانه: 457، وهو من الشواهد في: الجنى الداني: 552، شرح
السفصل: 18/8، المقاصد: 376/4، المعنى: 183/1، شرح شواهد: 114/3،
المخصص: 100/1، التنبيه: 162/1، اللسان: 24/2، تمور: تموج وتضطرب.
دجلة: نهر ببلاد. ينظر: معجم البلدان: 440/2، الأشكل الأبيض: قال الخطابي
في غريب الحديث: 212/1 الشكلة: حمرة في بياض.

(2) العبارة مكورة في الأصل.

(3) ينظر: حلية الأولياء: 80 - 81.

وَأَحْدَثَ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَغْذُو عَلَى الْعِصْمِ⁽¹⁾

شرح: (176) // أَشْكَلَ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ الشُّهُورِيِّينَ بِالْحَلْفِ فِي الْأَدَبِ، الرَّاسِخِينَ فِي مِظَانِ الْقَلْبِ، وَوَجْهٌ مَا اسْتَشْكَلُوا أَنَّ النَّاطِقَ جَعَلَ الْبَائِعَ عَلَى نَبَذِ الدُّنْيَا مِنْ جِهَتِهِ ~~ثَلَاثَةً~~ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ. زُهْدَهُ فِيهَا، وَمَا جَبَلَ عَلَيْهِ مِنَ الضَّرُورَةِ، وَمَا حَضَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعِصْمَةِ، وَجَعَلَ الزُّهْدَ سَوْدًا بِالضَّرُورَةِ، فَكُنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ أَمْرٌ هَذَا الْبَيْتُ نَكَصَ عَلَى عَقِيهِ وَرُبَّمَا أَنَّهُ حِينَ تَكَلَّمَ عَلَيْهِ تَكَلَّمَ بِمَا لَا مَخْصَصَ لَهُ بِهِ، وَأَنَا أَقُولُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّرَافِ:

إِنَّ مِنْ كَالَتِ ضَرُورَتُهُ مُغْتَدِلَةً، وَحَالَتُهُ فِي مَلَكِيهِ مُسْتَقْبِئَةً، أَفْكَدَهُ مَا يُرِيدُهُ مِنَ السَّخَاسِ الْجَارِيَةِ عَلَى جِبِلَّتِهِ السَّخْطُوطَةِ مِنَ الْمِثْلِ إِلَى الْأُمُورِ السُّفْسَافَةِ. وَمِنْ كَانَتْ ضَرُورَتُهُ خَادِمَةً لِنَفْسِهِ الشَّهْوَانِيَّةِ - وَهُوَ الْبَائِعُ النَّفْسَانِي - زَعَدَتُهُ فِي الْأُمُورِ الشَّاقَّةِ [غَيْرِ الْمَلَامَةِ]⁽²⁾ لِمِظَالِيهَا، وَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ زُهْدٍ فِي مَلَاذِمِهَا وَشَهَوَاتِهَا، لِأَنَّهُ طَالَبَ مَا يَتَنَاقَضُ الضَّرُورَةُ - وَالْقَلْبُ لَيْسَ دَاخِلًا تَحْتَ مَقْدُورِهِ - فَتَكُونُ عَمْدُهُ أَعْمَالُ الْبَرِّ لَا تَقَعُ إِلَّا بِتَكْلُفٍ عَظِيمٍ، وَتَعَبٍ فَادِحٍ. وَضَرُورَتُهُ ~~تَحْتَ~~ بَرِيئَةٌ مِنَ التَّنَاقُضِ، سَالِمَةٌ مِنْ طَلَبِ الْأُمُورِ الدُّنْيَاوِيَّةِ الْقَادِحَةِ فِي كِمَالِ الْمَوَدِّ، مُسْرَهَةٌ عَنْ مُفْتَقِصِ مَا لَا يَلِيْقُ مِنْ مَحْبُوبَاتِ الشَّيْطَانِ، لِأَنَّهُ قَدْ أَخْرَجَ حَقْلَ الشَّيْطَانِ مِنْ قَلْبِهِ، فَكَانَتْ ضَرُورَتُهُ خَادِمَةً لِلشَّرْعِ، بَعِيدَةً عَنْ مُفْتَقِصِ الشَّهَوَاتِ الْمُخَالِفَةِ يُمْتَقِصَاءُ؛ فَصَارَتْ الضَّرُورَةُ هِيَ الْبَائِعَ عَلَى حِفْظِ الْمَنَاصِبِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمِطَالِبِ السُّنِّيَّةِ السَّيِّئَةِ، فَصَارَتْ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الْمُظْمَنِيَّةُ إِذَا طَلَبَتْ أَعْمَالُ الْخَيْرِ

(1) الديوان: 192.

(2) في الأصل: «الغير ملائمة».

وَأَحَدَتِ الصُّرُورَةَ خَادِمَةً لَهَا، مُعَيَّنَةً فِي اسْتِحْضَارِ مَظْلُومَاتِهَا، جُنْدًا مِنْ جُنُودِهَا
الْمُطْلَبَةِ مَقَارِ الرُّهْدِ مُؤَكَّدًا لِلصُّرُورَةِ لَا أَنَّ الصُّرُورَةَ هِيَ الْمُوَكَّدَةُ لِلرُّهْدِ.

أَوْ تَقُولُ: صَارَتِ الصُّرُورَةُ مُؤَكَّدَةً لِلرُّهْدِ، لِأَنَّ النَّفْسَ إِذَا جَرَسَتْ بِرُّهْدِ
بِلَادِ النَّفْسِ الْغَيْرِ مِنَ الشَّهَوَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ، أَغَالَتِ الصُّرُورَةَ النَّفْسَ عَلَى تَحْصِيلِ
مَا طَلِبَتْ، فَتَسْتَخِفُّ مَا كَانَ مِنَ الْعِبَادَةِ قَبِيلًا عَلَى الْغَيْرِ، نَظَرًا إِلَى نَتِيجَةِ الصُّرُورِ
عَلَى احْتِمَالِهَا، وَتَقْبَحُ مَا تَسْبُلُ إِلَيْهِ صُرُورَاتُ الْغَيْرِ مِمَّا يَحِلُّ بِنَظَرِ الشَّرْعِ، وَكَأَنَّ
الصُّرُورَةَ انْقَادَتْ بِإِثْمِ الْعِصْمَةِ، وَالصُّرُورَةُ السُّنْقَادَةُ بِإِثْمِ الْعِصْمَةِ لَا تُعْذَرُ عَلَى
الْعِصْمَةِ، لِأَنَّ الْعِصْمَةَ اقْتَضَتْ انْخَفَتْ عَنِ انْتِفَاضِهَا، وَالْجَهْدُ فِي طَلَبِ السَّعَالِي
وَهَذَا مِنْ مَدِيحِ مَا صَارَ إِلَيْهِ النَّاطِقُ^(١) وَلَوْ أَحَدًا فِي مَثَلٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَاخِ لَكَ
الْأَمْرُ. وَسَهِّلْ عَيْنَكَ الْمُسَاحِدَ، وَذَلِكَ أَنَّ^(٢) مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي كَلَّفَ اللَّهُ وَجْهَهُ
يَخْلُقُ بِهَا مَا هُوَ سَهْلٌ عَلَى النَّفُوسِ وَمِنْهَا مَا يَسْرُّ عَلَيْهَا فَالسَّهْلُ مَعَ مُطَارَاةِ
النَّفُوسِ وَالْهَدَايَةِ سَهْلٌ لَا تَقْرُبُهُ مِنَ النَّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ. وَالشَّاقُّ عَلَى النَّفُوسِ مِنْهُ مَا
رُحِصَ الشَّرْعُ فِي تَرْكِهِ إِلَى بَدَلٍ، وَمِنْهُ مَا لَا بُدَّ مِنْ فَعْلِهِ فَمَا يَجُوزُ تَرْكُهُ إِلَى
بَدَلٍ إِنَّمَا فِي الْحَالِ، وَإِنَّمَا فِي الْمَالِ: فَالَّذِي يَجُوزُ تَرْكُهُ إِلَى بَدَلٍ فِي الْحَالِ
لَا يَتِمُّ لِلتَّعْرِيفِ الَّذِي يَشُقُّ عَلَيْهِ اسْتِغْمَالُ الْمَاءِ، وَكَتَرَكَ غَسْلَ الرَّجُلَيْنِ بِالْمَسْحِ
عَلَى الْخُفَّيْنِ. وَالَّذِي لِلْمَالِ: كَالْفِطْرِ لِلطَّائِبِ. فَسَنُ تَحْمِلُ مَسْقَةً، وَتُرِكَ مَا
رُحِصَ لَهُ، مِنْهُ مَا يَكُونُ اِزْتِكَاتُ الرُّخْصَةِ أَفْضَلَ: كَتَقْصِيرِ الصَّلَاةِ وَمِنْهُ مَا

(١) طرفة يسار أسفل اليمين 76 طمس أعلاه. - [الكثير من الحلقى باستعمال الرُّهْدِ
فبينا لمضرة: بالنفس الشهوانية، فصار الرُّهْدُ جُنْدًا مِنْ جُنُودِ الدُّوَحِ فَنَظَّالُهُ
بِمَعَالِي الْأُمُورِ بِقَهْرِ الطُّرُورَةِ الْخَادِمَةِ لِلنَّفْسِ الشَّهَوَانِيَّةِ فَالدُّوَحُ يَعْبُرُ عَلَى قَهْرِ
الصُّرُورَةِ بِالرُّهْدِ، وَرُبَّمَا عَلَنَتِ الصُّرُورَةُ عَلَى الرُّهْدِ، وَالرُّهْدُ وَاحِدٌ فِي حَقِّهِ. -
فَالصُّرُورَةُ مُشَارِكَةٌ لِلرُّوْحِ فِي طَلَبِ مَعَالِي الْأُمُورِ. - فافهمه، لِقَابَةِ دَفِينِ النَّظْمِ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ، وَلَوْ لَمْ يَطْلُبِ الرُّهْدُ الصُّرُورَةَ لَحَصَلَ...].

(2) فِي الْأَصْلِ: «أَنَا» مَكْرُورٌ.

تَرْكُ الرُّخْصَةِ أَفْضَلُ: كَصُومِ رَمَضَانَ لِلْمُسَافِرِ. وَعَلَى الثَّانِي وَشَبَّهَهُ بِضَاعَفِ
الْأَجْرَ، وَتَغْلُو الدَّرَجَاتِ، حَتَّى أَنْ يَكُونَ أَجْرُ مَنْ يَغْسِلُ رِجْلَيْهِ، وَيَتَحَمَّلُ مُشَقَّةَ
تَجْرِيدِ الْخُفِّ، وَ[أَجْرًا] (1) الصَّائِمِ فِي السَّفَرِ أَكْثَرُ مِنْ أَجْرِ مَنْ أَخَذَ بِالرُّخْصَةِ،
بَلْ وَأَجْرُ الصَّائِمِ فِي السَّفَرِ أَكْثَرُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ فِي الْحَضَرِ، لِأَنَّهُ أَنْ شَدَّةَ
الْقَلَمِ بِصُومِ السَّفَرِ.

وَأَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ أَحَدُهَا. وَالنَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ مُجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ الرَّاحَاتِ
وَالنَّالَةِ اللَّذَاتِ وَتَجَنُّبِ الْمَشَاقِّ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَغَيْرِهَا، لِأَنَّ قَائِدَهَا لِلْعِبَادَاتِ
الشَّاقَّةِ وَارِثُ شَرِيعِيٍّ، وَإِنْ جَرَّ تَكْلِيفِيٍّ. [لَكِنْ لَا يَكُونُ أَشَقُّ الْعِبَادَاتِ أَفْضَلُ
مِنْ - - -] إِلَّا إِذَا لَمْ تَجِدْ سَبِيلًا لِمَا هُوَ أَسْهَلُ. وَأَمَّا إِنْ وَجَدَ الْأَخْفَ فَاِزْتَكَاةَ
الْفَضْلِ مِنَ الْأَشَقِّ قَالَهُ الْقَرَّافِيُّ (2) فِي (كِتَابِ الْقِيَامَةِ) مِنْ «شَرْحِهِ عَلَى
الْمَحْضُولِ» (3) وَعَنْوَانُهُ: (4)

وَإِذَا كَانَتْ لِنَفْسٍ الْبَشَرِيَّةِ رَغْبَتُهَا، وَلَهَا حُضُورَةُ تَرِيدُ الْعِبَادَةَ ثِقَلًا،
فَيَجْتَمِعُ عَلَى الْمَرْءِ طَلَبُ النَّفْسِ الْمَجْبُولَةِ عَلَى الْكُسَلِ، وَالضَّرُورَةُ الْمُوَافِقَةُ
لِلنَّفْسِ الْكُسَلَةِ، فَيُؤَكِّدُ الضَّرُورَةُ رَهْدَ النَّفْسِ فِي الْعِبَادَاتِ الشَّاقَّةِ، وَمِثْلُ النَّفْسِ
إِلَى شَهَوَاتِهَا وَغَفْلَتِهَا عَنْ مَثْوِيَةِ الصَّبْرِ وَمُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ فِي تِلْكَ الْعِبَادَاتِ
يَسَبِّبُ الضَّرُورَةَ الَّتِي أَثْقَلَتْهَا عَلَيْهَا، حَتَّى أَنْ الرَّاجِحَ عِنْدَهَا تَرْكُ مَا شَقَّ عَلَيْهَا
عَلَى مَا يَخْضُلُ بِسَبَبِ فَعْلِهَا. وَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ: مُجْبُولُ النَّفْسِ

(1) لا توجد لفظة «وأجره» في الأصل ولعل الأنسب إثباتها.

(2) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء بن إدريس بن عبد الرحمن بن
عبد الله القرافي، إمام علامة، انتهت إليه رئاسة الفقه المالكي له عدة مؤلفات، (ت/
684هـ) ترجمته في (الديباج 63، شجرة النور 177، الأعلام 94/1 - 95).

(3) هو كتاب «المحصول في أصول الفقه» صنفه فخر الدين الرازي. واسم شرحه
«نتيج الأصول في شرح المحصول»، مطبوع. ينظر: كشف الظنون 1615/2.

(4) لحق أعلى بسين الورقة 77 طُست بعض كلماته.

على الرُّهْد في الدُّنْيَا، والرُّغْبَة في العِبَادَات، فَكَانَتْ ضَرُورَتُهُ إِذَا انْضَمَّتْ إِلَى هَذِهِ النَّفْسِ الظَّاهِرَةِ السَّجُّوْلَةِ عَلَى رَفَضِ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْعِبَادَات، وَلَوْ ظَهَرَ بِهَا مَا تَفْتَضِيهِ الْعِبَادَةُ مِنْ قَهْرِ النَّفْسِ وَحَمْلِهَا عَلَى تَصَرُّفِ خَانِبِ الطَّاعَات، لَكُنْهَا لَقَطْعٍ يَمَّا يَحْمِلُ عَلَى ذَلِكَ الثَّقَلِ الْمُقْتَرِنِ بِالطَّاعَات: كَبْدُ النَّفْسِ فِي قِتَالِ الْحَمْرَةِ، وَالصَّرْمِ فِي الْهَوَاجِرِ، وَالْوُقُوفِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى أَنْ تَرِمَ الْقَدَمَانِ، فَتَسْرُفُ النَّفْسُ الْمُظْمَنَّةُ إِلَى تَحْصِيلِ نَتَائِجِ تِلْكَ الْمُقَدَّمَاتِ، فَتَكُونُ الضَّرُورَةُ سَاعِيَةً فِي تَحْصِيلِ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ حُبِّ الْعِبَادَات، وَيَسْهُلُ عَلَى النَّفْسِ كُلِّ عِبَادَةٍ شَاقَّةٍ، مَعَ أَنَّ الضَّرُورَةَ نَازِلَةٌ لَمَّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ.

وَلَمَّا اقْتَرَنَ بِالنَّفْسِ الْعِصْمَةُ كَانَتْ الضَّرُورَةُ مُتَّبِعَةً^(١) مُطْبِعَةً لَهَا، فَلَا تَعْدُو عَلَى الْعِصْمَةِ وَذَلِكَ قَوْلُ الْبَرْصِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَغْنُو عَلَى الْعِصْمِ)، أَيْ: لَا تَسْعَى فِي مُخَالَفَةِ النَّفْسِ الْمُظْمَنَةِ الْمَحْذُورَةِ عَلَى حُبِّ الْعِبَادَات، فَصَارَتْ الضَّرُورَةُ بِحَسَبِ الْخَلْقِ تَابِعَةً لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُمْ، فَإِنْ جُمِلَتِ النَّفُوسُ عَلَى الرُّهْدِ فِي الطَّاعَاتِ طَلَبَتِ الضَّرُورَةَ تَوْكِيدَ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ، حَتَّى تَزِيلَ الشَّارِكَ تَرْكَاً، وَإِنْ جُمِلَتِ النَّفُوسُ عَلَى الظُّهَارِ وَالْبِرَاعَةِ الْأَصْلِيَّةِ كَانَتْ الضَّرُورَةُ مُوَافِقَةً فِي طَلِبِهَا.

وَأَضَلَّ غَشَّ النَّفْسِ مِنْ حَضِّ الشَّيْطَانِ، فَإِنْ كَانَ مُعْلُوباً كَانَتْ الضَّرُورَةُ غَيْرَ صَارَةً، وَإِنْ كَانَ حُظُّ [178] الشَّيْطَانِ لَهُ شُفُوفٌ^(٢) كَانَتْ الضَّرُورَةُ زَائِلَةً فِي كَسْبَةِ كَسَلِ النَّفْسِ. وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَزَعَ مِنْ قَلْبِهِ حُظَّ الشَّيْطَانِ، فَلَا حُظَّ لِلشَّيْطَانِ عِنْدَهُ، فَصَارَتْ ضَرُورَةُ مُؤَكَّدَةً لِرُهْدِهِ وَكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ ﷺ، وَإِلَيْهِ أَمَارُ النَّازِلِ مُعْلَلًا، كَمَا أَنَّهُ يَقُولُ: وَإِذَا كَانَتْ ضَرُورَتُهُ مُؤَكَّدَةً لِرُهْدِهِ لَمْ يَلِمْهُ لِأَجْلِ الْعِصْمَةِ الَّتِي عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا أَثَرَ لِمُخَالَفَتِهِ، فَجَرَتْ الضَّرُورَةُ عَلَى حَسَبِ

(١) عبارة لم أثبتت معناها في الأصل ولعلها: «متبعة»

(٢) الشُّفُوفُ: جمع شَف، والشَف هو السَّر الرقيق. ل/شَقَف.

مَا جُهِتَ عَلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ طَلَبٍ مَا ظَلَيْتَ. فَصَارَتْ الضَّرُورَةُ لَا تُزْهَدُ فِي
الْعِبَادَاتِ، وَلَا تَدْعُو إِلَى مُخَالَفَةٍ.

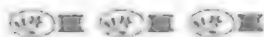
وَأَمَّا مَنْ قَالَ: «يَنْطَضُّ كَلَامُهُ أَنَّ الضَّرُورَةَ لَا تُزْهَدُ فِي الْعِبَادَاتِ، وَلَا
تَدْعُو إِلَىهَا، أَيْ: الْعِبَادَاتُ قَبِيحٌ، بَلْ لَا تُزْهَدُ، وَتُعِينُ النَّفْسَ الطَّالِبَةَ التَّرَفِّي
إِلَى الْعِبَادَاتِ بِتَسْيِيرِ تَحْمِلِ الْمَشَاقِّ فِي طَلَبِ تَحْصِيلِ تَضَاعُفِ الْحَسَنَاتِ وَغُلُو
الدَّرَجَاتِ.

وَقَوْلُهُ: (عَلَى الْعِصْمِ)، أَيْ: عَلَى ذَوِي الْعِصْمِ، أَيْ: لَا تَدْعُو عَلَى
تَعْصُومٍ.

فِي الْيَتِّ: (التَّغْيِيلُ) كَمَا تَقَدَّمَ.

وَفِيهِ: (التَّضْدِيرُ).

وَمِنْ ذَلِكَ عَدَمُ غُلُوِّ الضَّرُورَةِ عَلَى الْعِصْمِ شَيْئاً مِنَ (السُّذُوبِ الْكَلَامِيِّ).



وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةً مَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ⁽¹⁾

شرح: جاء بهذا البَيِّن [استدلالاً]⁽²⁾ على صحة دَعْوَاهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِبْعَادِ تَوْهَمِ دُعَاءِ ضَرُورَتِهِ إِلَى الدُّنْيَا. فَإِنَّ (كَيْفَ) فِي مِثْلِ هَذَا يُؤْتَى بِهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى الْإِنْكَارِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَالذَّلِيلُ عَلَى صَحَّةِ مَا قُلْتُمْ: مُتَّسِبَةٌ تِلْكَ الضَّرُورَةُ الْمُتَزَهِّةُ لِتِلْكَ الذَّاتِ الْمُطَهَّرَةِ، وَالنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ الْمُظْهِنَةِ؛ وَجَدِيرُ عَصْرَةِ الْمُقْضُودِ فِي أَضْلِ الْإِخْتِرَاعِ وَالْإِنْشَاءِ، فَالذَّاتُ الزَّكِيَّةُ، وَالصَّاقِبُ الْعَلِيَّةُ السَّامِيَّةُ السَّنْبَةُ السَّنِيَّةُ، فَهُوَ الْمُقْضَى وَالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ جُمْلَةٍ وَسَائِلِهِ الْمُفْدَمَةُ لِمَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ إِظْهَارِ حِصَالِ بَيْتِهِ، وَمُعْجَزَاتِ حَبِيبِهِ وَصَفِيِّهِ. فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الدُّنْيَا مُخْلُوقَةً بِسَبَبِهِ، فَكَيْفَ يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا، أَوْ تَدْعُو [ضَرُورَتُهُ]⁽³⁾ إِلَى مَا هُوَ مُخْلُوقٌ بِسَبَبِهِ. فَلَا يُتَوَهَّمُ أَنَّ ضَرُورَتَهُ تَدْعُو إِلَى الرُّكُوعِ إِلَى الدُّنْيَا بِرَاحَةِ نَفْسٍ، وَظَلَبِ شَهَوَاتٍ مُخَلَّةٍ بِالْقِيَامِ بِحَقِّ الْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا هِيَ الْمُخْتَاجَةُ إِلَيْهِ فِي أَضْلٍ وَجُودِهَا، وَبِدْيَةِ اخْتِرَاعِهَا؛ إِذْ بِسَبَبِهِ وَجَدَتْ.

وَوَجَدَ اخْتِیَاجَ الدُّنْيَا إِلَيْهِ أَنَّ الدُّنْيَا لَوْلَا النَّاسُ الَّتِي خَلَقْتَ لَهُمْ مَا وَجَدَتْ. وَأَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا أَوْجَدَهُمُ الْبَارِي تَعَالَى لِيُعْبُدُوهُ؛ كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ الْغَزِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ (الذاريات 56)، مَعَ اسْتِغْنَائِهِ جَلَّ وَعَلَا عَنْ عِبَادَتِهِمْ، إِذْ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَتُهُمْ، وَلَا نَظَرُهُ مَعْصِيَتَهُمْ، لَكِنْ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ. وَالْعِبَادَةُ لَوْلَا النَّبِيُّ ﷺ مَا وَجَدَتْ.

(1) الديوان: 192.

(2) في الأصل: «استدلال»، والأنسب ما أثبتناه.

(3) في الأصل: «ضررته»، والأنسب ما أثبتناه.

في نفسى: وكيف تدعو النبي ﷺ ضرورة إلى الدنيا، والدنيا إنما خلقت من أجله، وأخرجت من العدم إلى الوجود بوجوده.

ولقد سألتني بأغرناطة بغض طلبة ابن علاق⁽¹⁾ بأن قال: كيف يغفل أن الدنيا إنما خرجت من العدم إلى الوجود لسببه؟ فأجبتُه بعد أن رويته، وقلت له: استغرب هذا في جنب خصائص سيد الأولين والآخرين؟ فلما رجرتُه، وأراد فاضي غرناطة تأديبه على ما سأل عنه، إذ لم يُخبر السؤال، قلت: يَحْتَمِلُ كَلَامُ الْبُوصِيرِيِّ وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: ما ورد في بغض الآثار عن النبي ﷺ أن علياً بن أبي طالب عليه السلام قال: قلت يا رسول الله: من أي شيء خلقت الله؟ فأطرق برأسه عليه السلام، وعليه عرق كالخمران وقال: يا علي! لما عرج بي إلى السماء، وكنت بمنزلة قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلي ربي ما أوحى، فقلت: أي رب من خلقتني؟ قال: يا مُحَمَّدُ! وعزتي وجلالي، لولاك ما خلقت جنتي ولا نارِي. فقلت: يا رب من خلقتني؟ فقال: يا مُحَمَّدُ! إني نظرت إلى صفاء نور من النواير، الذي خلقتُه بقدرتي، وأبدعته بحكمتي، وأضفته شريفاً له إلى علمي، استخرجت منه جزءاً، فقسَّمته ثلاثة أقسام، فجعلتُك أنت وأهل بيتك من القسم الأول، وخلقْتُ أزواجك وأصحابك من القسم الثاني، وخلقْتُ من أحبكم من القسم الثالث. فإذا كان يوم القيامة عاد كلُّ حسب ونسب إلى حسبهِ ونسبهِ، ورددتُ ذلك النور إلى نوري، فأدخلتُك أنت وأهل بيتك وأصحابك ومن أحبهم جنتي برحمتي، فأخبرهم بذلك يا مُحَمَّدُ. نقله أبو

(1) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم بن علي بن علاق، الأندلسي العبراضي، حافظ غرناطة ومفتيها وخطيبها، وقاضي الجماعة بها أخذ عن ابن لب والمقري وابن مرزوق وأخذ عنه المنوري وابن السراج وأبو بكر بن عاصم. وله شرح على كتاب ابن الحاجب الفرعي في عدة أسفار، وله فتاوى بعضها في المعيار. (ت 806هـ) ترجمته في: (شجرة النور: 247، موسوعة أعلام المغرب: 6/186).

العباسي الشنبي⁽¹⁾ في كتابه المُسنّى بـ: [الدُرّ] المُنظَّم⁽²⁾، وهو حديث دالٌّ على شرف نسبنا مُحَمَّدٌ ﷺ، وقد تلقاه النَّاسُ بالقبُول. وقد ذكر أبو نعيم في (حقيقته)⁽³⁾، وغيره من الأئمة في مناقبه ﷺ ما لا يحصى كثرة.

وَوَجَدَ آخَرُ: إنَّ البوصيري قصد أن يُخبر [80]// بسبغه في زمنٍ كانت الدُّنيا عدماً. إذ اذلَّهت غياهبُ الشُّرك، فجاء ﷺ فأذهب غياهبه، وفرَّق كُتَيْبَه، وكسَّر الأُطْطام، وقرَّر قواعد الإسلام، فأوجد الله به الدُّنيا من العدم. أي: أظهر فيها دينة القويم. وهدى به صراطه المُستقيم فكان ذلك إخراجاً لها من العدم إلى الوجود.



(1) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عزة اللخمي العنزي السني أبو العباس، عالم زاهد أول من احتفل بالمولد النبوي بالمغرب، ألف كتابه الدر المنظم ولم يكمله وأتمه أبوه أبو القاسم العنزي ترجمته في: (ملء العيبة: 136/2، أزهار الرياض: 39/1، نفع الطيب: 36/2، نيل الابتهاج: 63، فهرس الفهارس: 826/2، برنامج الرعيني: 64/42).

(2) في الأصل «الدور»، وعنوان الكتاب كاملاً «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» كتاب يشتمل على مقدمات بتلوها واحد وأربعون فصلاً. ينظر: إيضاح المكنون: 1/451، معجم المؤلفين: 4/7، الأعلام: 322/5، والكتاب ثم تحقيقه بكلية الآداب بالرباط. ينظر نص الحديث في الدر المنظم: 35 - 113 - 168.

(3) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصماني أبو نعيم، حافظ مؤرخ من الثقات، له مصنفات جليلة، (ت430هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 26/1، ميزان الاعتدال: 52/1، لسان الميزان: 302/1، ط الشافعية: 7/3، شذرات الذهب: 245/3، الأعلام: 157/1)، وعنوان الكتاب كاملاً: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» موسوعة في تاريخ نساك هذه الأمة وزهادها، مطبوع. ينظر: الحلية: 50/1 - 153.

مُحَمَّدُ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالْثَّقَلَيْنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ⁽¹⁾

شرح: مُسَمَّى هَذَا الْإِسْمِ الْكَرِيمِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُشَوِّقُ النَّفْسَ إِلَى بَعْضِ صِفَاتِهِ الرَّكْبِيَةِ إِلَى سَمَاعِهِ. وَيَجُوزُ رَفْعُهُ، وَنُصِبُ دَالِهِ، وَخَفَضُهُ. أَمَّا رَفْعُهُ: فَعَلَى الْإِسْتِدَاءِ، وَيَكُونُ خَبْرُهُ (سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ). وَالْأَحْسَنُ كَوْنُهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٍ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَصِفُهُ بِالصِّفَاتِ الْعُلَا، كَانَ قَابِلًا قَالَ: مَنْ هَذَا الْمُسْتَدَوِّحُ؟ قَالَ (مُحَمَّدُ). وَهُوَ أَظْهَرُ مِنْ كَوْنِهِ مُبْتَدَأً، لِأَنَّهُ فِي الْإِسْتِدَاءِ إِنْشَاءٌ كَلَامٍ مُسْتَأْنَبٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَخْبَرَ عَنْهُ إِلَّا بِمَا بَعْدَهُ.

وَأَمَّا إِنْ جَعَلْنَاهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٍ، فَإِنَّهُ لَا يَقُوتُ وَضْعُهُ بِمَا أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ الْغَيْرَ خَبَرًا، وَيَنْقُضُ الرِّبْطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صِفَاتِهِ الْمَسْرُودَةِ، وَيَكُونُ (سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ) [نَعْتًا]⁽²⁾ لِمُجَرَّدِ الْمَدْحِ وَالْإِعْلَامِ بِرُتْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمَّا نَصْبُهُ، فَعَلَى الْمَدْحِ، أَوْ بِإِضْمَارٍ (أَغْنِي). وَهُوَ فِي وَجْهِي النَّصْبِ أَقْبَلُ، لِأَنَّهُ لَمَّا أَنَّ إِيَّاهُمْ عَلَى السَّمَاعِ بِتَأْخِيرِ الْمُسْتَدَوِّحِ، تَشَوِّقُ السَّمَاعُ فَقَالَ: هَذَا الْمُسْتَدَوِّحُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، مَنْ أَنْتَ تَعْنِي؟ فَقَالَ: أَغْنِي مُحَمَّدًا. فَأَجَادَ النَّاسُ فِي تَقْدِيمِ مَا قَدَّمَ، وَفِي تَشْوِيقِهِ إِلَى سَمَاعِ اسْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَيَعْدُ إِعْلَامُهُ بِاسْمِهِ، فَرَنَ بِهِ الصِّفَةَ الْجَامِعَةَ لِأَنْوَاعِ السِّيَادَةِ. إِشَارَةً إِلَى سَوَالِ مُقَدِّرٍ، كَأَنَّ سَابِلًا يَقُولُ: وَلِمَ انْقَرَدَ هَذَا الْمَوْصُوفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ حَتَّى رَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ دُعَاءً، فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَأَرَاهَا زُحْدَ النَّفْسِ الرَّكْبِيَةِ؟ وَمَا غَايَةُ أَمْرِهِ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ سَيِّدُ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ: الْكَوْنَيْنِ، وَالْثَّقَلَيْنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ.

(1) الديوان: 192.

(2) في الأصل: «نعت».

وَيَجُوزُ فِي إِغْرَابٍ (سَيْفٌ) وَحَوْءٌ مِنَ الْإِغْرَابِ. وَرَفَعَهُ عَلَى الْخَبِيرِ، وَنَضَبَهُ عَلَى الْمُسَدِّحِ وَبِإِضْطَارٍّ أَغْنَى، وَرَفَعَهُ عَلَى الْبَدَلِ وَالتَّغْتِ وَعَظَفَ الْبَيَانَ. وَنَضَبَهُ إِنَّ نَضَبَ الْأَسْمِ الْكَرِيمِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَعَلَى التَّغْتِ وَالْعَظَفِ وَالْبَدَلِ. وَعَلَى نَحْنُضٍ إِنْ حَفِضَ الْأَسْمُ الْكَرِيمِ. التَّغْتُ أَيْضاً وَالْعَظَفُ وَالْبَدَلُ.

وَالْكُونَانِ، الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ. وَالثَّقَلَانِ، الْإِنْسُ وَالْجَانُّ. وَ(الْفَرِيقَانِ). الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ. وَهَذَا مِنْ بَابِ غَطَفَ الْمُفْصَلُ عَلَى الشَّجَرِ؛ فَالْكُونَانِ: شَمَلُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَمَنْ فِيهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ عُلَوِيّاً وَمَسْفِيّاً. وَالْعَرَبُ: كُلُّ مُتَكَلِّمٍ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ. وَالْعَجَمُ: كُلُّ مَلُوكِي الْأَسَانِ. فَالثَّقَلَانِ بَعْضُ الْكُونَيْنِ، وَالْفَرِيقَانِ بَعْضُ الثَّقَلَيْنِ.

وَفِي الْبَيْتِ (التَّنْصِيمُ). وَفِي التَّنْصِيمِ عِلَّةُ الْبَيَانِ جَلَالَ: مِنْهُمْ مَنْ يَرَى اللَّهَ مُنْقَضَةً (81) // الشَّاعِرُ مَا يُرَاوُ، كَقَوْلِ بَشَّارٍ بِصِفِّ هَزِيئَةٍ: (طَوِيلُ)

سَوِيَّتْ يَلُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَتَدْرِكُ مَنْ تَحَى الْقِرَارُ مَقَالِيَهُ⁽¹⁾

وَيَأْسِرُ مَنْ يَرْصُ الْإِسَارَ، وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ، وَمِثْلُ لَاذٍ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ⁽²⁾

فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ قِسْطَانٌ، إِمَّا مَوْتُ، وَإِمَّا حَيَاةٌ تَوَرَّتْ عَاراً وَمِثْلِيَّةٌ. وَالْبَيْتُ الثَّانِي ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: أَسِيرٌ وَقَتِيلٌ، وَهَارِبٌ؛ فَاسْتَقْضَى جَمِيعَ الْأَقْسَامِ، وَلَا يُوجَدُ فِي ذِكْرِ الْهَزِيئَةِ زِيَادَةٌ عَلَى مَا ذَكَرَ⁽³⁾.

وَبَيْتُ الشَّاطِمِ لَيْسَ فِي الْمَوْجُودَاتِ السَّخْلُوقَةِ إِلَّا كُونَانٌ وَثَقْلَانٌ وَفَرِيقَانٌ؛ فَالْكُونَانِ: حَامِعٌ لِجَمِيعِ مَا أَدْرَكَهُ التَّنْصِيمُ. وَمَا تَغْدُو جَاءَ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَا

(1) البَيْتَانِ فِي الدِّيَوَانِ: 46 «بُضْرِبُ × وَتَدْرِكُ». حَلِيَّةُ الْمَحَاضِرَةِ: 147/1، كَفَايَةُ الطَّالِبِ: 190، وَالْعَمْدَةُ: 599/1.

(2) فِي الدِّيَوَانِ: 46 «فَرَاخُوا»، الْعَمْدَةُ: 599/1 «فَرَاخُ»، السَّعَادَةُ: 308/2 «وَرَاخُوا»، الطَّرَازُ: 107/3 «فَرَاخُ × وَقَسَمَ لَاذٌ».

(3) الْكَلَامُ فِي: الْعَمْدَةُ: 599/1.

قصد تخصيصه لمعنى طلبة فهو نوع من التقسيم عجيب. لأن التقسيم في بيت
 شار تقسيم قاهية إلى أنواعها، فالهزينة كالمهاية المركبة، وأنواعها ما عدده،
 وبيت الناظم قطف فيه من (الكونين) ما قطف، وكانت بعض أنواعها المذكورة،
 وسكت عن باقي الأنواع لخروجها عن معنى التفصيل بينها وبين من قصد
 إحصاء رفعة على من سواه؛ إذ لا يقال فلان سيد الحجر، ولا سيد الماء،
 ولا سيد الوحش؛ ولذلك قصفت المؤلف (الثقلين) لتعميم من يشود من
 سائرهم، و(الفريقين) لغوم الجنس العام للأشخاص الشريرة، ففيه مترع بديع
 من علم البديع.

إبان قلت: لعل (الكونين) بعد حذف، وكأنه يقول: الكونين من غريب
 وعجم و(الثقلين) من غريب وعجم، و(الفريقين) من غريب وعجم، فلا يكون
 بين الجمل المتعددة عموم ولا خصوص.

قلت: إنما أحمل كلمة الناظم على القول الذي يقول: النبي محمد ﷺ
 الفصل من كل مخلوق كائن ما كان، نبياً كان أو ملكاً. ويدل على ذلك أن
 بعض الناس قال بتفضيل ثقاة آدميين، ولو لم يكونوا أنبياء على الآدميين
 من وجوه:

الأول: إنه تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]. وهذا إنما
 فيه تكرمهم. وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110].
 وهذا خاص بمحمد وأمتيه. وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البقرة: 7].
 والضمير راجع للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

فإن قلت: دخلت الملائكة. قال ابن العربي⁽¹⁾: «بل هو خاص بغيرهم
 لدليل قوله تعالى: ﴿جَزَاءُهمْ عند ربهم﴾ [البقرة: 18]. والجزاء إنما هو لغير

(1) أي: القاضي أبو بكر ابن العربي. ينظر: الوافي بالوفيات: 431/1، طبقات
 الحفاظ: 95/1.

الملائكة^(١) وقد ذكر الإمام فخر الدين^(٢) في كتاب «الأربعين»^(٣) حُجَجاً
مبسوطةً للتفريق بين، والأولى الوقف إلا في النبي محمد ﷺ، فإنه أفضل
المخلوقات على الإطلاق، وعليه يُحملُ مذهب الناطم، ومن أراد أن يجعل
الحمل مُترادفةً فضعيفُ المعارضة، مُقتصرٌ في حق من وجب تفضيله
وتعظيمه ﷺ.



(١) النص الكامل للعواصم من القواصم: 240.

(٢) عمر محمد بن عمر بن الحسين النجفي الكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي، إمام
مفسر وحيد في المعقول والمنقول، (ت 606هـ)، ترجمته في (الوفيات 474/1،
طبقات الأطباء 23/2، طبقات الشافعية: 33/5، لسان الميراث 426/4، البداية
والنهاية: 55/3، الأعلام: 313/6).

(٣) اسم الكتاب كاملاً «الأربعين في أصول الدين» ألفه لولده محمد، ورثه على أربعين
مسألة من مسائل علم الكلام، بروكلمان. 667/1. طبع بحيدر آباد 1353هـ وبمصر
بنظر: الأربعين: 125.

نَبِيُّنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَخَذَ أَبْرَ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَم⁽¹⁾

شرح: هَذَا نَوْعٌ مِنَ النُّوَاحِ التَّفْسِيرِ، لِأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَوْصَافَ مَنْ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ، وَتَشَوَّفَتْ النُّفُوسُ إِلَى بَيَانِ اسْمِ هَذَا الْمُوصُوفِ، قِيلَ: هُوَ مُحَمَّدٌ. وَكَانَ هَذَا الْقَدْرُ كَافِيًا، لِأَنَّ هَذَا الْاسْمَ [82]// الْعَظِيمَ إِذَا أُطْلِقَ بِمَا يُفْهَمُ أَنَّهُ مِنْ حَسَنِ الْأَنْبِيَاءِ، عَلِمَ أَنَّهُ خَاتَمُهُمُ الَّذِي لَا يَبْقَى فِيهِ مَا يَبْقَى فِي الْأَغْلَامِ مِنَ الْأَشْرَاطِ الْعَارِضِ حَتَّى يَدْخُلَهُ الشَّيْءُ، بَلْ هُوَ كَمَا غَلَبَ عَلَيْهِ مَا غَلَبَ: كَالْمَدِينَةِ فِي دِي الدَّلَامِ، وَالْكِتَابِ، وَالْعَقَبَةِ، وَالذِّيَّانِ، وَكَأَنَّ عَمَرَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَابْنَ عَسَى عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَإِنْ كُلُّ لِهَمَّا أَخْوَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، كَانَ قَوْلُهُ: (نَبِيُّنَا) إِنَّمَا جَاءَ بِهِ لِتَجَرُّدِ الْمَذْحِ وَإِنَّمَا قَالَ: (نَبِيُّنَا) وَلَمْ يَقُلْ: (رَسُولُنَا) لِأَنَّ لَفْظَةَ رَسُولٍ اسْتَعْمِلَ غَيْرُهَا فِي مَنْ لَيْسَ شَيْءٌ كَرَسُولِ الْمَلِكِ. وَلَمْ []⁽²⁾ فِي عَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ، فَكَانَ لَفْظُ نَبِيِّ أَوْلَى، لِأَنَّهُ دَالٌّ بِاشْتِقَاقِهِ عَلَى الرَّفْعَةِ. وَقَدْ خَطَأَ الْمَعْرِي فِي قَوْلِهِ: (طويل)

نَبِيٌّ مِنَ الْغُرَبَانِ لَيْسَ عَلَى شَرَع⁽³⁾

وَيَصِحُّ كَقَوْلِهِ مَغْطُوفًا عَلَى لَفْظِ (مُحَمَّدٌ) مَعَ إِسْقَاطِ حَرْفِ الْعَطْفِ، وَكَانَتْ لِمَا أَنَّ تَشَوَّفَ النَّفْسُ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ الْمُوصُوفِ بِالصِّفَاتِ الْعَلَا، وَكَانَ إِزَالَةَ ذَلِكَ التَّشَوُّفِ بِأَحَدِ اللَّفْظَيْنِ كَافِيًا، فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ: (نَبِيُّنَا) لَعَلِمَ أَنَّهُ (مُحَمَّدٌ)، وَلَوْ أَقْنَصَ عَلَى قَوْلِهِ: (مُحَمَّدٌ) لَعَلِمَ أَنَّهُ (نَبِيُّنَا)، لَكِنَّ الْمَوْضِعَ مَوْضِعَ إِضْطَابٍ،

(1) الديوان: 193.

(2) طمس لبعض كلمات لحق أعلى الورقة: 82.

(3) سقط الزند: 42، وعجزه: يُخْبِرُنَا أَنَّ الشُّعُوبَ إِلَى الضُّدِّعِ.

فجاء بالاسم وجاء بالصفة التي لم تكن في محل الغرض، لكن الجمع بينهما

فإن قلت ولم حذف النظم حرف العطف

قلت. لأنه لو جاء بحرف العطف أدى إلى عدم التمكن من الوزن، أو إلى طول الكلام فأسقط حرف العطف، وهو من باب الفضل. وقد قال بعض النحويين

«مُعْظَمُ الْبَيَانِ مَعْرِفَةُ الْفَضْلِ وَالْوُضْلِ»⁽¹⁾

وَوُضِعَ حَرْفُ الْعُطْفِ بَيْنَ الْجُمْلَةِ مِنْ بَابِ الْوُضْلِ، وَاسْتَوْطِنَ مِنْ بَابِ الْفَضْلِ. وَتَشِيرُ مَوَاقِعُ الْعُطْفِ بَيْنَ الْجُمْلَةِ الَّتِي لَمْ تَسْهَدْ فِيهَا الْأُصُولُ عَسِيرٌ جِدًّا، وَبَلَغَ فِي الْعُمُوضِ إِلَى حَيْثُ اقْتَصَرَتِ الْبَلَاغَةُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ. وَإِنَّمَا أُسْقِطَ حَرْفُ الْعُطْفِ هُنَا لِأَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمَ مَا يَتَوَقَّعُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَيْهِ إِلَّا أَحَدُ الْجُمْلَتَيْنِ: إِمَّا الْمُصَدَّرَةَ بِاسْمِ الْاسْتِغْنَاءِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: (وَكَيْفَ تَدْعُو)، أَوْ الْمُصَدَّرَةَ بِحَرْفِ الْامْتِنَاعِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: (لَوْلَا لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ). وَالْعُطْفُ عَلَى الْأَوَّلَى لَا يَصِحُّ، لِأَنَّهُ يَرُدُّ فِي عِطْفِ الْجُمْلَةِ الْإِنشَائِيَّةِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ، وَهُوَ مُسْلُوعٌ. وَلَا يَصِحُّ أَيْضًا الْعُطْفُ عَلَى الْمُصَدَّرَةِ بِحَرْفِ الْامْتِنَاعِ، لِأَنَّهُ فِي صِلَةِ الْمَوْضُولِ، وَهُوَ (مَنْ) مِنْ قَوْلِهِ: (وَكَيْفَ تَدْعُو الدُّنْيَا ضَرْوزَةً مَنْ). وَالْمُعْطُوفُ عَلَى الصِّلَةِ صِلَةٌ وَالْجُمْلَتَانِ: الْمُصَدَّرَةُ بِ (مُحَقِّدٌ) وَالْمُصَدَّرَةُ بِ (نَبِيئِنَا) لَا يَصِحُّ عُطْفُ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، إِذْ لَا يَضِلُّحُ أَنْ تَكُونَ صِلَةً لِ (مَنْ).

(وَالنَّبَوَّةُ): مَا خُودَةُ مِنَ النَّبَا، وَهُوَ الْخَبَرُ. وَالْأَنْبِيَاءُ هُمْ نَبَاؤُهَا أَخْبَارُ اللَّهِ لِحَالَتِهِ. وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الرَّفْعَةِ، وَهُمْ أَرْفَعُ الْخَلْقِ. وَالنَّبَوَّةُ وَضْعُ شَرِيفٍ، وَالْأَوْصَافُ الشَّرِيفَةُ مِمَّا يَتَفَاخَرُ بِهَا الْمُفْتَخِرُونَ. وَالتَّفَاخُرُ مِنْ شَأْنٍ

(1) النص في العمدة: 421/1، ونسبه الجاحظ في البيان والبيان: 37/1 للفارسي.

الناس. وكانوا يتفاخرون بما حُصوا به من الصفات المَحْصُودَةِ: ألا تُرى أنَّ
الْفَرَزْدَقَ قَالَ: (كامل)

إِن الِيدي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا نَسْنَا دَعَائِمَهُ أَعْرُ وَأَضُولُ⁽¹⁾
وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ: (بسيط)

مَا يُبَكِّرُ النَّاسَ مِنَّا حِينَ تَمْلِكُهُمْ كَالُوا عِبِيداً وَكُنَّا نَحْنُ أَرْبَاباً⁽²⁾
وَقَالَ دِغِيلُ⁽³⁾: (كامل)

بِشْرٍ بَلَرِ إِذْ يَرُهُ وَجُوهُهُمْ جَبْرِيلُ نَحْتِ لِبَازِنَا وَمُحَمَّدُ
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ أَيْضاً: (طويل)

بَرَى النَّاسَ مَا سَرْنَا بِبَيْرُونٍ خَلَفْنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْثَانًا إِلَى النَّاسِ وَقَفْنَا⁽⁴⁾
وَقَالَ بَشَارُ: (طويل)

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُصْرِئَةً هَتَكُنَّا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دُمَا⁽⁵⁾

(1) البيت في الديوان: 155/2.

(2) الديوان: 279 ضمن زيادات ملحق الطوسي، العمدة: 799/2.

(3) هو دِغِيلُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ رَزِينِ الْحِوَارِيِّ أَبُو عَلِيٍّ، شاعر هجاء أصله من الكوفة. (ت246هـ). ترجمته في: (الشعر والشعراء: 350/1، تاريخ بغداد: 382/8، الأعلام: 339/2). والبيت ليس لدِغِيلِ بْنِ عَلِيٍّ الْحِوَارِيِّ. وإنما هو لكعب بن مالك الأنصاري في: ديوانه: 191 من قصيدة يرثي فيها حمزة بن عبد المطلب، والنص في العمدة: 799/2 هكذا: «وقال دِغِيلُ بْنُ عَلِيٍّ: أفخر الشعر قول كعب بن مالك».

(4) البيت في ديوان الفرزدق: 567/2 وديوان جميل: 138. وفيه رواية «أوبأنا» في: مصابيح اللغة: 83/6، واللسان: 190/1. وقال في الأغاني: 96/8 «البيت لجميل سرقه الفرزدق». وهو من شواهد الإغارة في: كفاية الطالب: 117، العمدة: 799/2 و1044، حلية المحاضرة: 332/1، نهاية الأرب: 400/3، الخزانة: 263/2.

(5) البيت في الديوان بشار: 163 رواية «أو نمطر الدما». ونسبه الأُمَدِيُّ في المتنلف: 129، ومجموعة المعاني: 113 للتحفيظ بن حمير العقيلي. وقال أخذ بشار هذا البيت وضمنه شعره. الأشباه والنظائر: 212/2 «قناع الشمس أو مطرت».

إِذَا مَا أَعَزَّنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ دُرًّا مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

1831// وإذا كان الناس يفتخرون بما لا مفعول عليه من حطام الدنيا وأعراسها، فكيف لا يفتخر بنبوة من ختم الله به النبوة والرسالة والندارة ببره؟ وكذلك قوله (الأمير الناهي)، وقد وصف الله نبيه ﷺ بذلك حيث قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: 110). وأشرف هذه الأنواع النبوة، إذ هي أشرف وضيق وجد في نوع الإنسان.

وأما (الأمير والناهي) فوضعاان محمودان، ويقتضيان تفصيل الأمر والناهي على التأمر والنهي مطلقاً على رأي، وإعالياً على رأي، لكن حيث يوصف به من ظهرت سيادته ولو لم يأمر ولم ينه، فوضعة بهما أو بأحدهما، وصف يقتضي تشريفه على التأمر والنهي. وهذا حيث يكون مستنداً لرياسة قدم إليها من أي جهة، وأما من استند أمره ونهيته إلى الجهة الرئاسية فالإجماع تعتقد على أنه أشرف من التأمر والنهي.

وأما (بره في لا ونعم) فكلام يقتضي صدقه في كليهما كليهما، فإنه إن سئل فأجاب بنفي ما سئل عنه، فلا يوجد إلا منياً، وإن أجاب بـ (نعم) في شيء فلا يوجد إلا كما قال.

فإن قلت: صدقه في نعم من الكلم التي تدخل تحت (لا) و(نعم). قلنا: أوامره بدخل تحتها ما يأمر به على جهة الوجوب، وعلى جهة النذب، وعلى جهة الإرشاد، وغير ذلك من محامل صيغة (افعل). أما ما كان حسراً يقتضي أمراً، وكذا في صيغ النفي والإخبار تدخل بالمعنى في مقتضى

المستطرف 1/ 132 إذا ما صلتا صولة مضربة. وفي اللسان/ حجب قال: أنشد الأزهري للغنوي... البيت.

(لا) و(نعم). فإنه أخبر عن معنى منفي، كأنه قال: لم يكن. والآخر كأنه يقول: لا بُدَّ وأن يكون. فهو من معنى (لا) و(نعم) الذي قصد الناظم. فكان دلالة في قوة من قال: لا أبر منه في كل ما يقع به التخاطب من أمر ونهي وخبر، والله أعلم.

فإن قيل: عادة الشعراء أنهم يتدخون ويتدخون بـ (نعم)، ويسلبون عن السدوح قول (لا)؛ ألا ترى أن الشاعر قال: (كامل)

بحرُ تصدق واحتاه لسانه فجوابه أبداً نعم للسان
حتى كأن لسانه لم يذر لا وسماحه لم يذرها من قابل
ثم إن العرب تفتخر بتحقيق الوعد وخلف الإيعاد. فإذا قال: (نعم) وفي، وإذا قال: (لا) أخلف إيعاده وأعطى؛ ولذلك قال الشاعر: (طويل)

فَأَخْلَفَ مِيعَادِي وَأَنْجَزَ مَوْعِدِي⁽¹⁾

فالجواب: إن الافتخار بـ (نعم) و(لا) يختلف بحسب اختلاف النسب والإضافات. فإذا كان في معرض الكرم حسن وصف السدوح بقول (نعم) لسأله، واجتناب قول (لا). وإذا كان في معرض الإخبار عن حقائق الوقائع كالتمدح بالصدق في قول (لا) في الثنات، ويقول (نعم) في الثنات. ثم يقول: أما التمدح باختلافه الإيعاد ففي غير أخبار من يستحيل عليه الخلف في شيء أو إثبات فافهمه، فإنه مرلة قدم عند من لم يطلق ذلك؛ ألا ترى أنه اعترض على [84]// ابن نباتة⁽²⁾ في خطبة قال فيها: «الحمد لله الذي إذا وعد

(1) البيت لعامر بن الطفيل في ديوانه: 58.

«وإني إن أوعدته أو أوعدته لأخلف إيعادي وأنجز موعدي»

وفيه رواية: «المخلف إيعادي ومنجز موعدي» القرطبي: 318/4، العمدة: 1/

589، درة الغواص: 87، وفي اللسان: ختاً «الأمين ميعادي ومنجز موعدي»، وفي

غريب الحديث للخطابي: 257/2، «ليكذب إيعادي ويصدق موعدي».

(2) هو عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الخطيب، كان مقدماً في علوم الأدب.

وقى، وإذا أوعد تجاوز وعى، يكلام مبسوط في كتب الفقهاء.

وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ (لَا) فِي مَحَلِّهِ فِي كَلَامِهِ ^(١) فِي كَلَامٍ لَا يَضْلُخُ فِيهِ (نَعَمْ)؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الَّذِي قَالَ: أَيْجُوزُ بَيْنَ الرُّطْبِ بِالنَّسْنِ فَقَالَ ^(٢) «أَيْنَقُصِرُ الرُّطْبُ إِذَا جَفَتْ؟» قَالُوا لَعَمْ. قَالَ ^(٣) «لَا إِذْ» ^(٤) أَيْ: فَلَا يَجُوزُ إِذْ عَلَى مَا قَالَهُ الْمَالِكِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ^(٥): «فَلَا يُمْنَعُ إِذْ».

وَقَدْ تَقَعَّ (نَعَمْ) فِي مَوْضِعٍ يُنْفَعُ سَمًا الْأَمْرُ، كَمَا لَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْبَسَ عَلَيْنَا كَذَا؟ فَيَقُولُ: «نَعَمْ»، فَكَانَتْ يَقُولُ: أَفْعَلُوهُ

وَرَجَعَ قَوْلُهُ: (فِي قَوْلٍ لَا) عَامَّةً لِقَوْلِهِ: (النَّاهِي). وَقَوْلُهُ: (نَعَمْ) لِقَوْلِهِ (الْأَمْرُ). وَيَكُونُ الْأَوَّلُ لِلثَّانِي، وَالثَّانِي لِلأَوَّلِ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَعْنَى كَلَامِهِ: لَا أَخَذَ أَصْدَقَ مِنَ النَّبِيِّ ^(٦) لَا فِي نَفْيٍ وَلَا فِي إِثْبَاتٍ.

فَإِنْ قِيلَ: لِمَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ^(٧) لِيَذِي الْيَدَيْنِ ^(٨)، كُنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ^(٩)؟

= والخطابة، سكن حلب واجتمع بالمتنبي في خدمة سيف الدولة. ترجمته في (الوفيات: 1/ 283، الأعلام: 3/ 347).

(1) الترمذي: 2/ 348 بلفظ: النسائي: 7/ 268، أبو داود: 3/ 251، ابن ماجه: 2/ 761، الموطأ: 521، السنن الكبرى: 5/ 295.

(2) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي الكوفي مولى بني تميم الله بن ثعلبة صاحب المذهب. ترجمته في: (الجرح والتعديل: 8/ 449، وفیات الأعيان: 5/ 415، تهذيب التهذيب: 4/ 98، ميزان الاعتدال: 4/ 265، مرآة الجنان: 1/ 309، النجوم الزاهرة: 2/ 12، الجواهر المضية: 1/ 61، سير النبلاء: 6/ 390).

(3) ذو اليدين رجل من بني سليم يقال له: الحرياق، حجازي شهد النبي ﷺ وعاش حتى روى عنه المتأخرون. ينظر: (الاستيعاب: 2/ 475، الإصابة: 2/ 179).

(4) مسلم: 1/ 404، ابن خزيمة: 2/ 119، ابن حبان: 6/ 26، المستدرک: 3/ 181، سنن الكبرى: 1/ 208، النسائي: 2/ 299، أحمد: 2/ 459، الموطأ: 1/ 94، المعجم الكبير: 9/ 299.

فَقَدْ يُجَابُ عَنْهُ بِأَن مَفْتَاهَهُ لَمْ يَجْتَمِعِ الْأَمْرَانِ، بَلْ كَانَ أَحَدُهُمَا
 وَحْدَهُ فِي نَسْيَانِهِ عنه مَبْسُوطٌ فِي كُتُبِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْأَصُولِيِّينَ،
 فَلَيَقِفَ عَلَيْهِ مَنْ أَرَادَ اسْتِعَابَهُ. وَإِنَّ عنه لَا يَقْرَأُ عَلَى يَسْمَانَ [مَا] ⁽¹⁾ أَمَرَ بِتَبْلِيغِهِ
 عَلَى جَهَةِ الشَّرِيعَةِ؛ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُقَيِّطَ وَيَتَّبِعَ إِلَيْهِ. وَمَا جَاءَ فِي بَابِ الْإِيمَانِ مِنْ
 آدَمَ عنه قَالَ: «إِنِّي لَا أَخْلِفُ بَيِّنًا عَلَى شَيْءٍ فَأَرَى خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا كَفَرْتُ عَنْ
 يَجِيبِي، وَآتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ» ⁽²⁾، فَهَذَا بِمِثْلِ أَمْرِهِ بِهِ أَنْ يُسَرِّعَهُ لِأُمَّتِهِ، تَوْسِيعَةً
 عَلَيْهِمْ وَرَفْقَةً بِهِمْ ﴿وَمَا يَتْلُقُ عَنِ الْمَوْتِ﴾ ⁽³⁾ [النجم: 3]. وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ ذَلِكَ فَلَا
 يَسْأَلُ ذَلِكَ مَا يَذْكَرُ فِي خَلْفٍ (لَا) وَ(نَعَمْ) بَلْ هَذَا كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي الصَّدَقِ.



(1) لا توجد لفظة «ما» في الأصل.

(2) البخاري: 90/23 - 91 و 147، مسلم: 1269/3، النسائي: 9/7، أبو داود: 3/

229، ابن ماجه: 681/1، باختلاف لفظ.

هُوَ الْخَبِيثُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوٍّ مِنَ الْأَهْوَالِ مُفْتَحَمٌ⁽¹⁾

شرح: (الخبِيثُ): من أَسَمَاهُ عَنِ، وذلك أَنَّ النَّاظِمَ لَمَّا ذَكَرَ الصَّفَةَ الَّتِي مِنَ اللَّهِ بِهَا عَلَيْهِ، الَّتِي [لَا] تَكُنُّ بِاجْتِهَادٍ وَلَا جِدْمَةٍ، وَإِنَّمَا يُخْتَصُّ اللَّهُ بِهَا مِنْ بَشَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ، لِكُنِّ فِي اسْتِلَاقٍ نَدِيعٍ صَنِيعٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ التَّبَوُّعَ أَغْتَبَلَهَا بِمُضْمَلَيْنِ يُقْتَضِيَانِ رِسَالَتَهُ، لِأَنَّ النَّبِيَّ إِنَّمَا بَأْتِي بِأَخْبَارٍ غَيْبٍ فَيُحَدِّثُ النَّاسَ بِهَا، فَإِذَا أَمَرَ وَتَهَيَّأَ لِسَرِّهِ، وَكَانَ مُرْسُولاً، وَلَمْ يُعَيَّنِ الْمَأْمُورُ بِهِ فَذَلِكَ عَلَى غُصُونِ رِسَالَتِهِ، وَأَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عُصُوماً، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ فِي مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ صَادِقٌ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِأَنَّهُ مَخْضُوضٌ بِالصَّحْبَةِ فَقَالَ: (هُوَ الْخَبِيثُ). وَتَكْرَرَتْ (خَبِيثاً) هُنَا عَلَى الْعُصُومِ، فَإِنَّ حَيْثُ اللَّهُ، وَحَيْثُ أُمِّيَّةُ.

(خَبِيثٌ): فَعِيلٌ، سَمْعِي مَفْعُولٌ، أَي: مَحْبُورٌ، وَخَصِرٌ بِكَوْنِهِ عَرَفَ الْحَسْرَةَ، أَي: لَا حَسِبَ لَنَا لِرُحْمَا شَفَاعَتَهُ إِلَّا هُوَ. وَإِنْ كَانَ لَنَا أَحَدٌ جُمْلَةً، وَهُمْ كُلُّ مَنْ أَحَبَّ نَبِيّاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ.

(الَّذِي): نَعَتْ لـ (خَبِيثٌ)، وَبِهِ يَتِمُّ الْحَقَرُ فِي الْحَسْرِ، أَمَّا لَوْ جَعَلْنَاهُ حَسْرَةً مُبْتَدَأً أَوْ خَبيراً بَعْدَ حَسْرِ (185) // لَمْ يَكُنْ يُلْخِصُ نَعْتاً، فَلَمْ يُغْزِ إِذْ ذَاكَ حَضَرًا، وَلَوْ كَانَ مُعَرَّفاً.

فَإِنْ قُلْتُ: قَوْلُ النَّازِمِ: (الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ)، إِنْ عَنَى بِهَا الشَّفَاعَةَ الْكُبْرَى فِي الْمَوْقِفِ فَهِيَ شَفَاعَةٌ خَاصَّةٌ بِهِ عَنِ، وَإِنْ عَنَى مُطْلَقَ الشَّفَاعَةِ فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ عَنِ: إِنْ هُنَاكَ مِنَ الشَّافِعِينَ مَنْ تُسْنَدُ إِلَيْهِ شَفَاعَةٌ: كَالْمَلَايِكَةِ

(1) الديوان: 193.

(2) لا يوجد حرف الا، في الاصل

وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالصَّيِّئَةَ فِي آبَائِهِمْ⁽¹⁾.

وَالْجَوَابُ - إِنَّ الشَّفَاعَةَ الْعَامَّةَ الَّتِي جَاءَ فِيهَا الْخَيْرُ الْمَشْهُورُ: «مَنْ مَرُورُ
الْحَمَلِ لِأَدَمَ وَلُؤْلُجٍ، وَلِإِبْرَاهِيمَ، إِلَى أَنْ يَصَلَ بِهِمْ عَيْسَى لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَإِذَا
كَانَ هَذَا هُوَ الْمَعْنَى صَحَّ الْحَضَرُ. وَأَنْهَا لَا تُرْجَى إِلَّا لَهُ⁽²⁾. وَيُصَحِّحُ أَنَّ
هَذَا هُوَ الَّذِي قَصَدَ النَّاطِقُ قَوْلُهُ: (كُلُّ هَوٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحِمٌ). وَقَوْلُهُ: (كُلُّ
هَوٍ)، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الْعُشُومُ بِلَفْظِ (كُلِّ)، لِأَنَّهُ يَنْتَضِي الْإِحَاطَةَ وَالْعُشُومَ، فَإِنَّمَا
يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ خَاصٌّ بِهَوٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

لِأَنَّ قَوْلَ: لَفْظِ (كُلُّ هَوٍ) يَنْتَضِي أَنَّ الْأَهْوَالِ مُتَعَدِّدَةٌ.

قُلْتُ لَا شَكَّ أَنَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَهْوَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَمَوَاقِفٌ شَتَّى، وَسَانِطَرٌ
مَعْظَمُهَا أَغْظَمُ مِنْ بَعْضٍ، وَأَضْعَفُ مِنْ أُخَرٍ الْأَهْوَالِ. وَلَبَسَ قَوْلُهُ: (مِنْ الْأَهْوَالِ)
حَسْبًا كَمَا بَرَأَهُ الْغَيْرُ. وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (مِنْ الْأَهْوَالِ)، الَّتِي فِي خَارِقَةِ
الْمُعَادَاتِ، فَكَانَ التَّلَامُ لِلْمُعْتَبَرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّا زَلَّلْنَا الْأَرْضَ (زَلَّلْنَاهَا)
الْإِزْلَازِلَةُ 11، أَيْ: الزَّلْزَالِ الْخَارِقِ لِلْعَادَةِ. وَكَذَلِكَ الْأَهْوَالِ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ الَّتِي
لَمْ يَرِ مِثْلُهَا فِي أَهْوَالِ الدُّنْيَا، فَلِذَلِكَ تُرْجَى شَفَاعَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالرَّجَاءُ: تَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِمُظْمَرٍ يَحْصُلُ فِي التَّسْتَقْبَلِ مَعَ الْاِخْذِ فِي
عَمَلٍ مُحْظَرٍ. وَهَذَا لَا يَنْفَعُ الرَّجَاءُ إِلَّا بِالدُّخُولِ فِي دِينِهِ، وَإِظْهَارِ
مُحِبَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْمُقْتَحِمُ: الْفُطُوحُ الْعَظِيمُ. وَ(الْفُحْشَةُ) الشَّدَّةُ وَالضَّغْطَةُ.

(1) البخاري 196/25، مسلم 169/1 - 171 وفيه الملازمة والنبيين والمؤمنين،
النسائي: 181/2، أحمد 94/3، ابن ماجه: 1440/2، وفيه: «الأنبياء والعلماء
والشهداء».

(2) البخاري: 4/17 - 5 و196/25، مسلم: 180/1 - 186، ابن ماجه: 1442/2،
أحمد: 116/3 - 244.

و(من الأحوال): في موضع الثَّغْب المَهْزُول، لآثَة بعد نكرة. وكذلك (مُقْتَحِم) هو لَعَتْ. وتَقْدِيمُ الثَّغْبِ المَهْزُولِ عَلَى الثَّغْبِ الصَّرِيحِ فِيهِ غَرَضَان: أَحَدُهُمَا: اِهْتِمَامُ النَّاطِقِ بِتَعْظِيمِ المَهْزُولِ بِأَنَّهُ مِنَ الْأَهْوَالِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. وَلِأَنَّ (مُقْتَحِمًا) فِيهِ قَافِيَةُ الْبَيْتِ.

وَأُورِدَ بَعْضُهُمْ عَلَى الْمُؤَلِّفِ ذِكْرَ (الْحَبِيبِ) قَبْلَ قَوْلِهِ: (تَرْجِي شَفَاعَتُهُ) وَقَالَ: «رَجَاءُ الشَّفَاعَةِ هُوَ السَّبَبُ». وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا قِسَادًا مِمَّنْ تَقُلُّ عَنْهُ، وَإِلَّا فَهُوَ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ مِنَ الشَّارِحِ، وَلَا أَذْرِي كَيْفَ جَعَلَ (تَرْجِي شَفَاعَتُهُ) سَبَبًا فِي الْمَحَبَّةِ؟ لَأَنَّهُ إِنْ قُلْنَا: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (هُوَ الْحَبِيبُ) أَيُّ: حَبِيبِ اللَّهِ، وَهِيَ صِنْفَةٌ اخْتَصَرَتْ فِيهَا سَهَابَةُ الْمَحَبَّةِ، لِأَنَّ حَبَّ اللَّهِ عِنْدَهُ هُوَ الرِّضَى عَنْهُ، وَتَقَرُّبُهُ مِنْ مَقَامَاتِ الْكَرَامَاتِ الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا غَيْرُهُ.

وَقَدْ تَعَدَّ حُلًّا وَعَلَا فِي مَقَامَاتِ الْحُسْنِ وَالسُّعْنَى: أَمَّا الْحُسْنُ فَقَدْ أُطْلِعَهُ بِالْإِسْرَاءِ إِلَى أَنَّ نَالَ مَقَرَّةً مِنَ السُّعْنِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى أَسْرَارِ بَلَدِيَّةٍ مَا نَالَهَا أَحَدٌ. وَأَمَّا مِنَ السُّعْنَى فَلِأَنَّهُ قَدْ خَصَّهُ بِصِفَاتٍ لَمْ يَخُصَّ بِهَا أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَأَبَاحَ لَهُ مَا لَمْ يَبَحْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ: «أَبَاحَ لَهُ الْعَنَانُ وَجَعَلَ لَهُ الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَظَهْرًا». وَبَعَثَ كُلَّ نَبِيٍّ إِلَى قَوْمِهِ وَبَعَثَ هُوَ ﷺ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ⁽¹⁾، وَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.

وَإِنْ عَنَى هَذَا الشَّارِحُ بِأَنَّهُ سَخَوْتُ، أَيُّ: نَحْبَةٍ [86]// أَمْتُهُ، فَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ سَبَبَ مَحَبَّتِهِمْ إِيَّاهُ مَا يَرْتَجُونَ مِنَ الشَّفَاعَةِ، وَكَيْفَ؟ وَقَدْ سَبَقَ مَا يُوجِبُ مَحَبَّتَهُ ﷺ، مِنْ كَوْنِهِ هُوَ سَبَبُ الْهِدَايَةِ أَلْفَعْدَ اللَّهُ بِهِ الْخَلْقَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى. وَلَوْ عَكَسَ الْأَمْرَ لَكَانَ أَضْرَبَ، وَيَجْعَلُ أَنَّ حَبَّ أَمْتِهِ فِيهِ حَقِّقٌ رَجَاءُهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ. فَالْحُبُّ سَبَبٌ فِي قُوَّةِ رَجَائِهِمْ، لَا أَنَّ رَجَائِهِمْ

(1) ينظر: البحاري 335، الترمذي: 1553 بلفظ: الساني 432، أحمد: 2737 -

27497 - 20792، الدارمي: 2367.

(سبب) ⁽¹⁾ في الحب، بل اتباعهم له حتى حُبهم فيه، قال الله العظيم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، فاتباعه من شرح الله صدره للإسلام، واتباعه حصل له حب الله إياه. واتباعه الذي هو سبب حصول حب الله للمُتَّبِعِينَ أدل دليل على حُبهم رسول الله ﷺ.

وأراد أن يجعله من باب: ﴿وَرَوَدَتْهُ آلَىٰ هُرَّىٰ بَيْتَهَا﴾ [يوسف: 23]، قال: «إنه من باب تقديم المُسَبَّب على السَّبب، لأن سبب مُراودتها إياه كونه في بيتها».

وفيه أيضاً نظراً، بل السبب في مُراودتها إياه حسنة الذي ملاً شغافها، فلما أحبر غلة الصادق من أنه: ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: 30]، أي: وصل حبه إلى شغاف قلبها. وأما كونه في بيتها فبفيه نظراً: إذ هي امرأة العزيز ⁽²⁾، وكلُّ مُسْتَفْرٍ له ونعيه من خدمتها ومساليكها، فهو بيت لها، فمن أين يتبعين أن البيت المذكور في الآية هو بيت سُكناها مع العزيز، وأن يوسف كان مأواه في البيت نفسه؟ فجعل أن تقديم المُراودة من باب تقديم المُسَبَّب على السَّبب. وجعل قول الشاعر: (كامل)

أفلاً بسبب من لي قهاشم من دوحه المجد سمي مُتسبباً ⁽³⁾
وسرحباً بالنسب الإمام الذي جدل في يوم اللقاء من صبا
إذ جعل سبب ترحيبه به كونه من نسل عليٍّ عليه السلام، وإذا نُقِلَ البيت، فقد

(1) في الأصل: «سبباً»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(2) قيل: اسمها راعيل، وقيل: زليخة. والعزيز: اسمه: قطمير أو أظفير بن روحب، قيل: كان على خزائن مصر، والملك يومئذ هو الديان بن الوليد رجل من العماليق. ينظر: الطبري: (1/336، الكامل: 1/81، نهاية الأرب: 13/136).

(3) البيتان لأبي الحسن بن الجباب الغرطابي الرليسي. في ملحق شعره في كتاب ابن الجباب الغرطابي حياته وشعره. 438. وفي: رفع الحب: 1/156 «جدل يوم خير مريحياً»، قال الشريف: «وكتب إلي شيخنا إمام البلغاء في وقته، وصاحب القلم الأعلى أبو الحسن بن الجباب ثلاثة مهتأ لي بمولود من قصيدة...».

سَبَبُ التَّرْجِيحِ وَهُوَ كَوْنُهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَإِنَّمَا زَادَ فِي التَّضَرُّيحِ بِالْإِمَامِ
 رِبَادَةُ مُوجِبَةٍ لِلتَّرْجِيحِ. وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ: (جَدَلٌ فِي يَوْمِ الْلِقَاءِ مِنْ ضَبَا)، وَيُرْوَى
 (مَرَحِبًا) بِالْعَاءِ لَا بِالضَّادِ. وَهُوَ الْيَهُودِيُّ الَّذِي ظَلَبَ الْبِرَارَ، وَاسْمُهُ مَرَحِبٌ.
 وَيَكُونُ فِي الْبَيْتِ التَّخْيِيسُ بِـ (مَرَحِبًا) الْعَلَمُ وَ(مَرَحِبًا) الَّذِي هُوَ سَعْنَى صَادَقَتْ
 مَكَانًا رَحْبًا، أَيْ: مُتَّسِعًا لِمَحَبَّتِكَ وَإِكْرَامِكَ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَصْلَ تَقْدِيمُ الْأَسْبَابِ عَلَى مُسَبِّبَاتِهَا. أَنَا فِي الْوُجُودِ فَلَا
 شَكَّ فِي ذَلِكَ. وَأَنَا بَعْدَ حُضُورِهَا مَوْجُودَةٌ، فَإِنْ قُدِّمَ السَّبَبُ ذِكْرًا عَلَى مُسَبِّبِهِ
 فَطَابَتْ بِالْإِجْبَارِ حَالُ الرُّخُودِ، وَإِنْ عَكَسَ فَلَا يَثْقُلُ ذَلِكَ حَقِيقَةً، وَلَا يَخْلُ
 بِدَقِيقَةٍ. بَلْ يَكُونُ فِي تَقْدِيمِهِ اغْتِيَاءٌ بِالْمَقْصُودِ بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ، فَالْأَوَّلُ هُوَ ذِكْرُ
 الْمُسَبِّبِ لَا ذِكْرُ سَبَبِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَفْسِكُونَ بِهِ مُسْتَفْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ⁽¹⁾

شرح: قصَّدَ النَّاطِمُ فِي هَذَا الْبَيْتِ بَيَانَ الْوُضْلَةِ الَّتِي يَسَبِّحُهَا ارْتَجِي الشَّمَاعَةُ رَاجِعُهَا فَقَالَ: اسْتَمْسَاكُهُمْ بِهِ، وَإِحَابَتُهُمْ⁽²⁾ دَعْوَتُهُ بِإِذْنِهِ، فَلَمَّا أَجَابُوا دَعْوَتَهُ حَمَى حُوزَتَهُمْ وَأَجَادَ مَنَعَتَهُمْ فَصَارَ مَا عَلَّقُوا قُلُوبَهُمْ بِهِ مِنْ رَجَاءِ شَفَاعَتِهِ مُسَيِّئًا عَنِ إِحَابَتِهِ، (87) // مُسْتَفْسِكِينَ بِأَذْيَالِهِ؛ فَأَخْبَرَ النَّاطِمُ بِمَا حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَلْتَبِثَ عَلَيْهِمُ الرَّجَاءُ فِي مَا قَدَّمَ مِنَ الْقَطْعِ فِي الشَّفَاعَةِ. وَلَمْ يَذْكُرْ مَفْعُولَ (دَعَا) لِيُذَلَّ عَلَى غُضُومِ دَعْوَاهُ. وَاسْتَمْسَاكَ مِنْ اسْتَمْسَاكَ بِهِ إِنَّمَا اسْتَمْسَاكَ عَنْ بَقِيَّةِ بَرَاهِيمٍ [قَاطِعَةٍ]⁽³⁾، وَمُعْجَزَاتٍ شَاطِعَةٍ، إِذْ لَمْ يَكُنْ انْقِيَادُهُمْ لَا عَنْ دَلِيلٍ، حَتَّى كَانَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ لَوْ لَقِيَ أَبَاهُ أَوْ ابْنَهُ غَيْرَ مُنْقَادٍ لِأَمْرِهِ فَتَنَزَّاهُ عَنْهُ؛ فَالدَّلِيلُ الَّذِي ذَلَّلَهُمْ عَلَى صِدْقِهِ هُوَ الْمُعْجَزَةُ الْحَارِقَةُ لِلْعَادَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَلَمْ لَمْ يَذْكُرِ النَّاطِمُ الْمُعْجَزَةَ عِنْدَ ذِكْرِ الدَّعْوَى؟

قُلْتُ: مَنْ كَانَ يَدْعُو بِغَيْرِ مُعْجَزَةٍ لَيْسَ بِدَاعٍ؛ فَتُسَبِّحُهُ إِتَاءَ دَاعِيٍّ، وَإِخْبَارُهُ بِهِمْ اسْتَمْسَكُوا بِهِ، وَأَنْ مَنْ اسْتَمْسَاكَ بِهِ اسْتَمْسَاكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، الْمُسْكِنِ عَلَيْهَا - (حَبْلِ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ) فَاسْتَمْسَاكُهُمْ دَلِيلٌ عَلَى مَا ظَهَرَ لَهُمْ مِمَّا أَوْجَبَ مَحَبَّتَهُ، وَقَدْ خَاطَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْرَبْتُمُوهَا وَبُحَارٌ تَحْتَونَ كَذَابًا وَمَسَكِينٌ تَرِضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ. وَاللَّهُ لَا

(1) الديوان: 193.

(2) العبارة مكررة في الأصل.

(3) في الأصل: «قاطعا»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

يَهْدِي الْقَوْمَ الْمُفْسِقِينَ ﴿٢٤﴾ (التوبة: 24)، فتوَعَدَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «أَلَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١). وَتَدْخُلُ فِي النَّاسِ أَجْمَعِينَ: الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالْأَوْلِيَاءُ. وفي الحديث أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «مَنْ وَجَدَ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»^(٢) فَصَدَقَ مَحَبَّةَ أَمْتِهِ إِيَّاهُ دَلِيلٌ عَلَى ظُهُور آيَاتِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ. فَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: دَعَا إِلَى اللَّهِ بِالْمُعْجَزَةِ فَظَهَرَ حَقُّهُ، وَبَشَّرَ وَحَدَّثَ، فَعَلِمُوا مِنَ الْمُعْجَزَةِ صِدْقَهُ، فَعَلِمُوا فِي مَا نَشَرَّ بِهِ، وَخَافُوا مِمَّا حَدَّرَ مِنْهُ، فَاسْتَسْكَنُوا بِإِجَابَتِهِمْ إِيَّاهُ. وَهُوَ الْحَبْلُ الَّذِي عَبَّرَ بِهِ عَلَى وَصْلَةِ تِلْكَ الْإِحَابَةِ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَعَبَّرَ بِالْحَبْلِ عَنْ كُلِّ مَا يَكُونُ مُوَصَلًا إِلَى مَقْلَبٍ.

وَلَوْلَا: (غَيْرُ مُنْقَصِمٍ)، الْإِنْقِصَامُ: الضَّلْعُ وَالْقَسْرُ، وَقَدْ يَكُونُ كِنَايَةً عَنِ الْكُسْرِ، وَإِنَّمَا قَالَ: (غَيْرُ مُنْقَصِمٍ) مُبَالَغَةً فِي وَثُوقِهِ.

وَيُرْوَى (بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ)، وَ(الْإِنْقِصَامُ): الْإِلْقَاطُ. وَرِوَايَةُ (غَيْرِ مُنْقَصِمٍ) أَحْسَرُ، لِأَنَّ مَا لَيْسَ بِمُنْقَصِمٍ لَيْسَ بِإِنْقِصَامٍ؛ لِأَنَّ (الْإِنْقِصَامَ) انْقِصَاعُ، وَ(الْإِنْقِصَامُ) الْقِطَاعُ، فَعَدَمُ الْإِنْقِصَامِ أُلْبَغَ فِي وَصْفِ مَا اسْتَمْسَكَ بِهِ. وَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ (الْإِنْقِصَامَ): الْكُسْرُ، فَيَكُونُ اسْتِغْسَالُهُ فِي (الْحَبْلِ) [مَجَازًا]^(٣). لَكِنْ خَسَنَ كَوْنُ (الْحَبْلِ) [مَجَازًا]^(٤) أَيْضًا فِي الْاسْتِغْسَالِ؛ بَلْ هُوَ وَصْلَةٌ وَوُثُوقٌ، فَيُخَسَّنُ فِيهِ نَقْيُ الْإِنْقِصَامِ، وَنَقْيُ الْإِنْقِصَامِ.

(١) البخاري: 98/1، مسلم: 68/1، الترمذي: 84/2، النسائي: 271/2 - 274، ابن حبان: 202/1، أحمد: 207/3، الديلمي: 153/5، البغوي: 50/1، المانوي: 9939، زاد المعاد: 37/1.

(٢) البخاري: 99/1، مسلم: 66/1، الترمذي: 84/2، النسائي: 96/8، ابن ماجه: 23.

(٣) في الأصل: «مجاز» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(٤) في الأصل: «مجاز» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

وفي البيت استعارات: منها الاستشساک الذي هو حبس محسوس
محسوساً على جهة الوثوق بما به احتبس؛ وهو هنا عبارة عن ركون القلب
لاحداً من خواف غفيرة يوم القيامة، ومنها الحبس، ومنها الانقيصام [...] (1)

والاستعارة.

وأعلم أن الاستعارة على سبعة أقسام: إما تشبيه محسوس بمحسوس،
كشبيهه (1881) // الشجاع بالأسد في شدة البطش وكمال الإقدام. أو استعارة
تحيلية، كشبيهه السبية بالسبع في اغتيال النفوس بالفهر والغلبة. أو استعارة
بالكناية، كما أن تأتي بالمشبه وتذكر شيئاً من لوازم المشبه به، كما تقول:
فإذا السية أنشبت أظفارها، أو كسفت أنيابها، أو مثل قولك: قد نطق بهذا
لسان الحال، وزمام الأمر في يد فلان. والاستعارة الأصلية: هو أن يكون
الاستعار اسم جنس ويكون المستعار له كذلك. ومنها الاستعارة التبعية: وهي
ما يقع في الأفعال والصفات (2).

و(المستفسكون): الذين فيه ليس للقلب، وإنما هم بمعنى:
المستسكون، وهم المهتدون بهديه (3).

وعبر الناظم هنا بـ (الحبل) وهو يريد العروة، يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ
أَشْمَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (البقرة: 256، لقمان: 22)، لكن لما لم يتأتى له الإتيان هنا
بالعروة عبر بـ (الحبل). ولما كان لفظ (الحبل) المقصود منه ما يصل به المتوصل
إلى حاجته، كان في معنى العروة من ذلك ومن كونها لا تنفقت عنها، ولما جاء

(1) طمس بالأصل مقدار كلمة لم أتبينه.

(2) ينظر بحث الاستعارة في (البيان والتبيين: 1/ 152، قواعد الشعر: 47، البدع: 19، نقد الشعر: 104، الوساطة: 34، الصناعتين: 295، العمة: 1/ 460، سر
الفصاحة: 170، أسرار البلاغة: 47، النكت: 17، ابن منجد: 41، نهاية الإيجاز: 231، المثل السائر: 1/ 355، المفتاح: 3/ 19، البيان: 9، تحرير التحبير: 97،
نهاية الأرب: 7/ 49، الطراز: 1/ 197، ابن حجة: 1/ 109).

فيها «لا انفصام لما في» البقرة 1256 قال هنا الناطم: (غير مفصم). وإذا لوحظ هذا المعنى لا يكون (الانفصام) بعيد السأخذ لئلا يقال: (العروة) يليق ذكر (الانفصام) الذي هو الانكسار والانصداع معها، وأما (الحبل) فلا يوصف بالانفصام، لأن (الحبل) هنا منزل منزلة العروة، فهو كناية عنها.

وفي البيت بحث آخر، وهو أن يقال: شرط الخبر أن يكون مغايراً للمبتدأ، وهنا نفس الخبر هو نفس المبتدأ؟

فالجواب: إن معناه: فالمستنسكون به على جهة الانقياد والهداية به مستسكون بحبل غير منقسم، وتظيرة: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ما هاجر إليه»⁽¹⁾ أي: من كانت هجرته نية وقصدًا فهجرته حكمًا وشرعًا.

وقه: معنى التشبيه، وكأله يقول: الذين استنسكوا بهديه كمستنسبك بإحدى سلسلة من حبل الانقطاع. ويأتي (الحبل) بمعنى العضمة، قال الله تعالى «ضربت عليهم الذلة أين ما نفقوا ولا يحول من أمرهم وبآؤهم عصي من الله وضربت عليهم الذللة ذلك بما عصوا وكانوا يكفرون»⁽²⁾ يتأنت الله ويستنود الأئمة، بقية حتى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون⁽³⁾ 4 آل عمران 112⁽⁴⁾، ف (الحبل) هنا بمعنى: العضمة.

وقه: (الترديد)، لاختلاف متعلقي المستنسكين []⁽⁵⁾ فيها معنى السبب، أي: قيسب أنه دعا إلى الله حسن استنساكهم، ولذلك قيل: فيه حسن التشبيه.

والمطلوب من (دعا) مجرد ثبوت المثاله في استعمال نفسه في الدعوة الربانية، ولو قصد به تعيين المحل لكان مقلوباً، ولذلك حذف.

(1) سبق تخريجه: ص 172.

(2) وفي الأصل: «وضريت».

(3) طمس بالأصل لم أتمكن من تبينه.

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانود في علم ولا حرم⁽¹⁾

شرح: لَمَّا ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِهِ ﷺ أَنَّهُ (سَيِّدٌ، وَآمِرٌ، وَنَاهٍ، وَخَبِيرٌ)،
(وَدَاعٍ) إِلَى اللَّهِ بِأُذُنِهِ، أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ نَتِيجَةَ خُصُوصِيَّةِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ. فَقَالَ:
(فاق النبيين). وَمَعْنَى فَاق، أَي: سَمَّا مَرْتَبَةً عَلِيًّا لَمْ يَنْلُهَا غَيْرُهُ مِنَ النَّبِيِّينَ.

وَقَوْلُهُ: (فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ)، أَي: فِي الصِّفَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالصِّفَاتِ
الْبَاطِنَةِ. فَصِفَاتُهُ الْمَذْكُورَةُ بِالْجِسْمِ مِنْ أَغْضَائِهِ، عَلَى الْجَمْعِ وَالتَّقْرِيبِ، فَلَا غَضْو
مِنْ أَغْضَاءِ جَسَدِهِ إِلَّا وَقَدْ فَاقَ فِي الْحُسْنِ الْمَذْكُورِ فِي مُحَاسِنِ الْوَاصِفِينَ.
(وَالْخُلُقُ): الصِّفَاتُ الْمُعْتَرِيَّةُ، كَمَا قَالَ ﷺ: «بُعِثْتُ [89]// لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ»⁽²⁾

وَقَوْلُهُ: (فاق) لَا يُقَالُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَّعِ الْإِشْرَاقُ. وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيَّينَ
سَلَى اللَّهُ عَلَى بَيْنِنَا وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ قَدْ اتَّصَفُوا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، إِذْ كُلُّ نَبِيٍّ
سَيِّدٌ، وَكُلُّ مُرْسَلٍ آمِرٌ، وَنَاهٍ، وَدَاعٍ وَحَسَنُ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ، وَأَرْفَعُ قَوْمِهِ نَسَبًا،
وَأَعْلَاهُمْ حَسَبًا، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ زَادَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ.

وَأَمَّا ذِكْرُ النَّاطِلِ (النَّبِيِّينَ) لِعُضُومِ الْوُصُفِ بِالنَّبَوَةِ، إِذْ كُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ،
وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا، فَسُنَّ سَادَ الْأَنْبِيَاءِ كَافَّةً سَادَا الْأَرْسَالَ كَافَّةً. وَاللَّامُ فِي
(النَّبِيِّينَ) يُفِيدُ الْعُمُومَ. لِأَنَّ الْجَمْعَ السَّخْلَى بِاللَّامِ يُفِيدُ الْعُمُومَ. وَلَمَّا كَانَ
الْأَرْسَالُ وَالنَّبِيُّونَ أَشْرَافَ الْآدَمِيِّينَ، وَسَادَهُمْ، النَّبِيُّ ﷺ سَادَ جَمِيعِ الْجِنْسِ.

(1) الديوان: 193.

(2) البخاري: 1/273، الموطأ: 788، الحاكم: 2/613، الهيثمي: 8/188، البغوي:
13/202، العجلوني: 1/244. وفيه عدة ألفاظ.

لأنَّ الأَشْرَفَ مِنَ الأَشْرَفِ أَشْرَفُ الْجَمِيعِ. وَعَلَى الْمَشْهُورِ مِنْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ
وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلُ مِنَ السَّالِكَةِ يُؤْخَذُ مِنَ الْبَيِّنِ غُورِ الْأَفْضَلِيَّةِ، لِأَنَّ مَنْ فَاقَ
السَّيِّدَ فَاقَ الْمَسْرُودَ. فَقَوْلُهُ: (فَاقَ النَّبِيِّينَ) مَعْنَى: فَاقَ سَائِرَ الْجِنْسِ، إِذْ فَاقَتْ
الْأُصْلَى فَاقَتْ مَنْ دُونَهُ.

وَالنَّبِيِّينَ: جَمْعُ نَبِيٍّ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَنْبَاءِ، لِأَنَّهُمْ يُخْبِرُونَ عَنِ اللَّهِ وَيُنْذِرُونَ
وَيَسَلِّغُونَ الْخَلْقَ أَنْبَاءَهُ. وَقِيلَ: مِنَ الِارْتِفَاعِ، يُقَالُ: نَبَأَ: إِذَا ارْتَفَعَ. وَاللَّابِقُ
بِالِاسْتِنَاقِ مِنَ الْأَوَّلِ أَنْ يُقَالَ: نَبِيٌّ بِالْهَمْزَةِ. وَمِنَ الثَّانِي لِبَيِّ التَّضْعِيفِ. وَقَدْ
بَصَحَ مِنْ مَادَّةِ الْهَمَزِ بِنَاءُ لِبَيٍّ بِغَيْرِ هَمْزٍ عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْبَدَلِ، وَوَجِهُ مَنْ وَجِهُ
التَّضْرِيفِ.

فَإِنْ قُلْتَ: التَّخْصِصُ تَفْرِقَةٌ بَيْنَ الْجَمِيعِ، وَقَدْ أَمْرًا أَنْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ

بِهِمْ ٢

فَالْجَوَابُ: أَمْرًا أَنْ لَا يُدْمِنَ بَعْضُ وَتُكْفَرُ بَعْضٌ، وَأَمَّا التَّفْصِيلُ فَقَدْ
صَحَّ اللَّهُ وَشَهِدَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ عَلَى جَوَازِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿لَكَ الرُّسُلُ فَصَلِّتْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ﴾ الْفَرْدُ: 1253. وَلَمَّا كَانَ قَوْلُهُ: (فَاقَ النَّبِيِّينَ) عَلِمَ أَنَّهُ رَادَتْ مَرْتَبَتَهُ
عَلَى مَرَاتِبِهِمْ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ مُحْتِمِلًا أَنْ تَكُونَ زِيَادَةً مَا، جَاءَ تَكْلِيفُهُ بِقَوْلِهِ: (وَلَمْ
يُدَانُوهُ)؛ إِلَّا أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُغْظَيْنِ [مُتَضَمِّنٌ] (١) بَيَانًا لِمَا فِي الْآخِرِ، لِأَنَّهُ
لَمَّا قَالَ: (فَاقَ)، وَمَا بِهِ فَاقَ مُحْتِمِلًا الْكَثْرَةَ وَالْقَلَّةَ، أَفَادَ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَدَانُوهُ، إِذْ
الْفُرْقُ فَوْقَ كَثِيرٍ. وَلَوْلَا ذِكْرُ (وَلَمْ يَدَانُوهُ) لَمَّا فُهِمَ ذَلِكَ مِنَ اللَّفْظِ. وَأَمَّا لَوْ
اقْتَصَرَ عَلَى (لَمْ يَدَانُوهُ) وَلَمْ يَذْكُرْ (فَاقَ النَّبِيِّينَ)، فَالرَّاجِحُ أَنَّهُ يُفْهِمُ، أَيْ:
لَمْ يَدَانُوهُ فِي غُلُوِّهِ؛ لِأَنَّ السِّيَاقَ يُفَسِّرُهُ، إِذْ وَهُوَ فِي مَعْرِضِ السَّدْحِ، لَكِنْ زَادَ
غُلُوَّهُ: (فَاقَ) بَيَانًا شَافِيًا، وَكَانَتْ عَدَمُ مَدَانَتِهِمْ - لِمَا فَالَهُمْ بِهِ - مِنَ الْفُرْقِ
الْكَبِيرِ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «مُتَضَمِّنًا»، وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ مَا اثْبَتَاهُ.

فإن قلت: إنما قوله: (ولم يدانؤد في علم ولا حرم) ذكر خاص بعد
ذكر عام. لأن العلم والكرم من الصفات التي أخبر عنه أنه فاق فيها؟

قلت: أما (الخلق) بفتح الخاء فقد بينا أنه راجع لوصف المحاسن
المدحكة بالحواش (الخلق) للصفات الباطنة؛ لكن قد يقال: وإن كان كذلك،
فالموضع موضع إطناب (190) // وإن (فاق)، يكون أنه فاق في الخلق والخلق،
والعلم والكرم. وكذا (لم يدانؤد) في علم ولا حرم، ولا في خلق ولا لخلق؛
وقال حسنة من الجنتين خذف معها ما أظهر فهي صاحبتها.

وبعد الأنبياء والأرسل بسطناه في «الشرح الكبير» ذكرنا كم من
عبد، وكم من الشريطين، وكم من بني إسرائيل، ومن أول الأنبياء
والأرسل، وهو آدم، وأجرهم محمد ﷺ.

وفي البيت: الجنس في (الخلق) و (الخلق).

والتظير؛ في نسق القافيتين ونسق اليمين.

ومراعاة التظير: لجمع الأمور المتناسبة.

والمبالغة في المدح.

أما حلقه: فكان أحسن الناس. وجعله الله في غاية الجمال ليشتد حث
الحل في، لأن سب المحبة الجمال والإحسان. وقد أحسن الله النبا. فإنه
سب إسان الجميع. وقتل العقول بالهداية، وكان رحمة للعالمين.

أما جمال ذاته الظاهرة الظاهرة فقد ألقت الحث في تفسيرها،
والفصيلها، وما اشتملت عليه من محاسنها. وقد أحسن القاضي امر
الفصل (1) رحمه في جمع كثير من مثاله. وكان يوسف بن أوني شظير

(1) هو القاضي عياض بن موسى (ت 544) عمراكن. ترجمته في طقات الحفاظ /1
96، وفيات الأعيان: 483/3.

الحسن. أي حسن آدم، وكان رسول الله ﷺ أبهى حسنة على حسن جميع الناس⁽¹⁾.

فإن قلت: فلم اقتل من اقتل يحيى يوسف ولم يقتل ذلك عنه؟
 قال جواب: إن حسنة ﷺ كان محجوباً بالهيبة. كان حسن ليوسف⁽²⁾
 كالنمر، تتمكن العيون من النظر إليه، وحسنة ﷺ كالتلّس لا تتمكن العيون
 من النظر إليه. وقد جاء أن عائشة رآها لقطت إبرة في ليلة ظلام بضياء أسارير
 وجهه ﷺ⁽³⁾. أو كانت إذا أرادت الحضور مع صواحبها جثت من عرق
 جبينه ﷺ وتغلبت به، فتغلب رائحة عرقه كل طيب⁽⁴⁾.

فإن قلت: التأمل بالتدقيق في كلام الناصب يخرج الغير عن المشاركة في
 العلم والكلام؟

قال جواب: أما على ما قلناه من أنه خلاف من الأول ما أثبت في الثاني،
 وفي الثاني ما خلاف من الأول، فقد وقعت المشاركة. لكن فافهم قولاً كبيراً
 حسناً. وإن قطعنا النظر عن الخفلة الأولى وأخذنا الثانية فستألف، مبنًى النظر
 في قوله (ولم يدانوه) هل لم يفرقوا منه؟ أو (لم يدانوه) من المدانة
 وهي عرق من الحرق، فتكون استعارة، أي لم يحاربوه. ولفظ (المحاربة)
 تستعمل في أماكن تفاوتت المعالي كثيراً، يقال: فلان ما يحاربه أحد في فقه
 لا شك أنه حصل للأشياء العلم الكبير، والكرم الكثير؛ لكن كان رسول الله ﷺ
 فيهما سبيحاً وحيداً، (191) ولا يلزم من حضور المشاركة حضور المساواة،

(1) الدر المنظم: 277.

(2) سقطت لفظة: «يوسف من الأصل»

(3) ينظر: الدر المنظم: 275 - 292.

(4) ينظر مسألة عرقه في: البخاري: 2316/5، مسلم: 1815/4، الترمذي: 1938،
 ابن حبان: 383/10، أحمد: 12968، 12996، 29177، وفيها جميعاً أن النبي
 كانت تفعل ذلك هي أم سليم.

«وَقَدْ كُنِيَ بِعِلْمِ عَلِيٍّ إِبْرَاهِيمَ (١٧٦) إِلَّا أَنَّ الْعِلْمَ عَلِمَانِ: عِلْمُ
السَّعَادَاتِ، وَعِلْمُ الْأَسْرَارِ: فَأَمَّا عِلْمُ الْمَعَارِفِ: فَمَا خَلَا نَبِيًّا وَلَا مُرْسِلًا عَنْهُ.
لَا إِلَهَ أَعْلَمُ الْخَلْقَ بِسَعْرِقَةِ اللَّهِ، وَيَعْلَمُونَ مَا عِلْمُهُمْ اللَّهَ وَأَمْرُهُمْ بِتَبْلِيغِهِ وَالْعَمَلُ
بِهِ. وَأَمَّا عِلْمُ الْأَسْرَارِ: بِالْإِطْلَاحِ عَلَى مُعْتَبَاتِ الْمَلَكُوتِ. فَقَدْ اخْتَصَّ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُخْتَصَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، كَالْأَسْرَارِ الَّتِي أَطْلَعَ
عَلَيْهَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ.

وَأَمَّا الْكَرَمُ أَيْضًا فَإِنَّهُ أَيْضًا قِسْطَانٌ: كَرَمٌ بِالسُّخُودِ الْمُتَحَسُّسِ. وَكَرَمٌ
نَعْتَوَلُ.

فَالْمُتَحَسُّسُ: كَانَ الْأَنْبِيَاءُ صُلُواتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مُجْتَوِلِينَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا
لَمْ تَكُنْ تُسَاوِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَفُوضُوا، وَقَدْ بَلَغُوا فِيهِ مَبْلَغًا عَظِيمًا. وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْقُطْبِ الْأَوْحَدِ، حَتَّى حَرَّجَ عَنْهَا رَأْسًا يُعَدُّ أَنَّ غُرُوضَ عَلَيْهِ
عِصْمَةَ سَكَّةٍ وَحِمَالَهَا ذَهَبًا، فَأَعْرَضَ عَنْهَا. وَبَيْنَهَا أَوْ مَا كَانَ يَحْيَى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ
الْعَنَانِ، وَخُطَامِ الدُّنْيَا، كَانَ يَضْرِفُهُ فِي مَصَاحِحِ أَمْنِهِ. وَالْعُظْمَى مَا شِئَتْ مَدَامَتْ تَبْنِ
حَسْرَةٍ، وَتُخَوِّسُ سَبْعِينَ رَافَةً بِالْحَذْبِيَّةِ، وَفَرَّقَ الْمَالَ بَيْنَ مُجْمَعِ النَّحْرَيْنِ حَتَّى فَرَّقَ
عَلَى الْحَجَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

وَأَمَّا الْمَعْقُولُ: فَاخْتَصَّ بِمَا لَا يُخْتَصَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، مِنْ كَرَمِهِ
عِنْدَ أَنَّهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يَقُولَ: «اللَّهُمَّ لَا أَسْأَلُكَ نَفْسِي وَلَا فَاطِمَةَ النَّتِيِّ، وَأَنْتَ
أَسْأَلُكَ أَمَنَةً أُمْنِي، وَالسَّقَاعَةَ الْعُظْمَى فِي الْمَرْقُوفِ» (٢). وَتَعَدُّ شَفَاعَاتِهِ فِي
مِرَاطِلِهَا. وَحِرْصُهُ عَلَى نَجَاةِ أَمْنِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْكَرَمِ، قَالَ اللَّهُ تَبَّحَانَهُ: «لَقَدْ

(١) مسلم: 1806/4، ابن خزيمة: 70/4، ابن حبان: 287/14، البيهقي: 19/7، أحمد: 259/3.

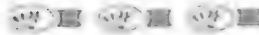
(٢) نادرة الفرطبي: 403/1. ونص الحديث فيه: «أرب أمني أمني، لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي».

حَدَّثَكُمْ رَسُولُ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ مَا عَشَقَ خَرِيفٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِ
 مُؤَدِّ رَجِيمٍ ﴿١١٨﴾ النُّورُ: ١١٨. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَصَفْنَا بِهِ وَهُوَ فِي مُحْكَمِ
 كِتَابِهِ.

وَقَوْلُهُ خَرِيفٌ (فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ) مُنْكَرٌ دَلَالَةٌ عَلَى سَعَةِ عِلْمِهِ وَكَرَمِهِ. ثُمَّ
 قَالَ تَسِيمًا لِمَا فِي الْحَرِّ رَجِيمٌ [١١٨].

وَفِي الْبَيْتِ: (التَّجْنِيسُ) فِي (خَلَقٍ) وَ (خُلِقَ).
 وَفِيهِ مَرَاغَاةُ النَّظَرِ وَهُوَ لِحُجْمِ بَيْنِ الْعُنَاسِيَّاتِ: (الْعِلْمُ) وَ (الْكَرَمُ)،
 وَ (الْخُلُقُ) وَ (الْخُلُقُ).

وَفِيهِ التَّرْصِيعُ: كَلِمَتَيْنِ بِشَافَيْنِ، وَكَلِمَتَيْنِ بِمِيمَيْنِ.



(١) طمس بالأصل لم أتكز من تبينه.

وَعَلَّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسُونَ غَرْفًا مِنَ الْبُخْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيمِ⁽¹⁾

شرح: فَمَا فِي هَذَا لَيْبٍ زِيَادَةٍ تَسِيمٍ فِي الْمَدْحِ، إِنَّهُ لَمَّا أَحْبَبَ اللَّهُ شَرَفَ قَالِي اللَّيْبِ فِي (خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ) ظَهَرَ الْأَشْرَافُ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ، زَادَ هُنَا اللَّهُ مَعَ كَوْنِهِ فَاقَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَالَّذِي خُطُّوا بِهِ [مُسْتَمِدًّا]⁽²⁾ مِنْ نُورِهِ هُوَ، إِذْ نُورُهُ أَضَلُّ الْأَنْوَارِ، وَاللَّهُمَّ بَعْدَ حُضُورِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْوَارِ الْمُسْتَمِدَّةِ مِنْ نُورِهِ طَالِبُونَ لِلَّهِ مَا يَفُودُ عَلَيْهِمْ مِنْ آثَارِهِ، وَمُلْتَمِسُونَ مِنْ وَجَاهَتِهِ عِلْمَهُ، وَاجْتَابَهُ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، كَأَحْتِيَاجِ نُوحٍ⁽³⁾ إِلَى شَهَادَتِهِ وَشَهَادَةِ أُمَّتِهِ فِي الْمَعَارِفِ حِينَ انْكَارِهِمُ التَّبْلِيغَ، وَيَقُولُونَ: مَا جَاءَ مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، كَمَا جَاءَ أَنَّ أُمَّةَ نُوحٍ حِينَ يُنْكِرُونَ يَقُولُ الْجَبَلِيلُ حُلَّ حَلَالِهِ: يَا جَبْرِيلُ، أَتَلْعَتُ لِرُوحٍ مَا أَمْرُكَ بِتَبْلِيغِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَسْأَلُ لِرُوحٍ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلْعَنِي جَبْرِيلُ - وَأَلْتَ أَعْلَمُ - وَيَلْعَتُ قَوْمِي مَا أَمْرُكَ بِتَبْلِيغِهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ وَتَبْلِيغُ الْقَوْمِ (192) لِنُوحٍ: أَتَلْعَكُمُ لِرُوحٍ مَا أَمْرُكَ بِتَبْلِيغِهِ؟ فَيَقُولُونَ: مَا تَلْعَنَّا لِرُوحٍ شَيْئًا، فَيَقُولُ اللَّهُ وَتَبْلِيغُ: يَا نُوحُ، إِذْ أَمْرُكَ أَنْكَرُوا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لِي عَلَى التَّبْلِيغِ شَهَادَةٌ، يَقُولُ اللَّهُ وَتَبْلِيغُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ يَقُولُ: أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ، فَتَأْتِي أُمَّةُ مُحَمَّدٍ فَيَشْهَدُونَ لِنُوحٍ أَنَّهُ بَلَّغَ، فَيَقُولُ أُمَّةُ نُوحٍ: يَا رَبِّ وَمَنْ أَبْنِ عَرَفُوا التَّبْلِيغَ وَهُمْ مُتَأَخَّرُونَ بِالزَّمَانِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ وَتَبْلِيغُ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ إِنَّ أُمَّةَ نُوحٍ حَاجُوكُمْ وَقَالُوا: مَنْ أَبْنِ أَذْرَكْتُمْ أَنَّهُ تَلْعَنَّا لِرُوحٍ رَسَالَتِي؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا،

(1) الديوان: 193.

(2) في الأصل: "مستمد".

(3) هو نبي الله نوح عليه السلام، أول نبيء نبى بعد سيدنا إدريس عليه السلام. ينظر: (المعارف: 10، تاريخ البعقوبي: 1/13، تاريخ الطبري: 1/179، مروج الذهب: 1/50).

لَعَنَ أَجْرَ الزَّمَانِ نَبِيَّكَ مُحَمَّدٌ الَّذِي جَعَلْتَهُ حَاتِمَ نَبِيِّاتِكَ وَرَسُولَكَ. فَأَمَّا بِهِ.
وَأَلْزَمْتَ عَلَيْهِ كِتَابَكَ الْحَكِيمَ. وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا فَصَّصْتَ عَلَيْهِ فِيهِ فَضْلَ نَبِيِّكَ
نُوحٍ وَفَضْلَ قَوْمِهِ مَعَهُ. وَأَخْبَرْتَ عَلَيْهِمْ مَا فَعَلُوهُ مَعَ لَبِيئِهِمْ. فَبَيْنَهُ نَبِيُّا الْبِنَاءِ
لَمَرْمَاهُ وَغُلَامَاهُ عَلِمَا بَيْنَا. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: حَسْبُ عَبْدِي جِبْرِيلُ أَلَمْ يَلْغِ نُوحًا.
وَمُسَدَّقُ عَبْدِي (النُّوحُ) ⁽¹⁾ أَنَّهُ يَلْغِ قَوْمَهُ. وَصَدَقْتَ أُمَّةَ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ فِي مَا شَهِدُوا
بِهِ. فَجِئْتَنِي تَتَوَجَّهُ الْحُجَّةُ عَلَى قَوْمِ نُوحٍ ⁽²⁾

أَلَمْ أَحْتَاجِ الْأَلْيَاءَ كُلَّاهُ وَلِلشَّعَاةِ الْعَامَّةِ الَّتِي فِي التَّوَقُّفِ. فَيَسْأَلُهَا
النَّاسُ مِنْهُمْ. فَكُلُّ يَقُولُ: لَسْتُ لَهَا. ثُمَّ يَرْفُؤُونَ الْأَمْرَ فِيهَا إِلَى مُحَمَّدٍ ⁽³⁾

(وَالْإِتِّصَافُ) الْظَلْتُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَافِيَةً عَنِ الْجَنِّ. ⁽⁴⁾ وَلَا لَمَّا أَلْتَمَأَ
مَوْجُهَا مَلَقَتْ حَرَا شِدَا وَشَبَا ⁽⁵⁾ (الْحَرُ) 18. وَقَوْلُهُ: لِلْأَعْرَابِ. التَّسْلُ
لَمْ حَاتِمًا مِنْ حَبِيدٍ ⁽⁶⁾ فَالْمُتَّصِلُ وَالْإِتِّصَافُ. الْظَلْتُ.

لَمْ يَلْغِ. وَقَلْبُ التَّسْلُو.

قُلْتُ: لِأَنَّهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ عَرَفَتْ حَاجَتَهُ عِنْدَ رَبِّهِ. وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ
عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ الْيَوْمَئِذِ بِهِ وَلَئِنْ شَرَّهٗ ⁽⁷⁾ وَقَدْ أَخْبَرَ بِهِ مُوسَى. وَنَبَّأَ بِهِ عِيسَى.
وَقَالَ: ⁽⁸⁾ يَسْأَلُ بَادٍ مِنْ عَمَلِ تِلْكَ أَخَذَ الْخَصْفَ 17.

(وَالْفُرُوفُ) مَضْرُوعُ غُرَفٍ. تَقُولُ: عَرَفْتُ الْمَاءَ غُرْفًا. أَيْ: أَحَدَةً بِيَدِكَ.
وَتَكُونُ عَرَفَ أَيْضًا يَضَعِي. جَرَّ عَرَفْتُ النَّاصِيَةَ: خَرَرْتُهَا. وَعَرَفْتُ الْأَدِيمَ.

(1) في الأصل: «نوحا».

(2) يظن: البخاري: 232/13 - 233، الترمذي: 275/4.

(3) البخاري: 1226/3، مسلم: 182/1، المستدرک: 595/2.

(4) البخاري: 70/19، الترمذي: 290/2 - 291، النسائي: 113/6، أبو داود: 2/

236، الموطأ: 435، الجامع الصغير: 237/1. وفيه ألفاظ.

(5) إشارة إلى نص الآية 80 من آل عمران: ⁽⁶⁾ وَإِذْ لَمَسَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ
حَسْبُ وَحُكْمُهُ ثُمَّ حَاطَهُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ تَتُومِنُ بِهِ. وَلَئِنْ شَرَّهٗ.

إلى «دَعْنَهُ بِالْغَرَفِ»¹¹، وَهُوَ شَجَرٌ. وَأَمَّا (غَرْف) بِكَسْرِ الرَّاءِ، فَمِنْ الشَّكِيِّ
يُقَالُ: عَرَفْتُ الْإِبِلَ بِكَسْرِ الرَّاءِ غَرْفًا يَفْتَحُهَا فِي السُّطْرِ أَي: اسْتَكْتَبَ بِطَوِيلِهَا
غَرْفَ أَكْلِ الْعَرْفِ. وَأَعْرِفَ الْأَسَدَ، أَي: دَخَلَ غَرْفَهُ، وَهُوَ غَرْبُهُ.

وَأَمَّا (الرُّشْفُ): فَهُوَ مَصُّ الْمَاءِ بِالشَّفَتَيْنِ.

لَوْ فِي (الْغَرْفِ) وَ(الرُّشْفِ) ... دَقِيقَةٌ ... عَائِدَةٌ عَلَى مَا بَأْتَمُسُوهُ مِنْ
سَحَابٍ عَالِيَةٍ. وَ(الرُّشْفُ) عِبَارَةٌ عَلَى مَا يَلْتَمُسُوهُ مِنْ دِيمٍ كَرِيمَةٍ. وَجَعَلَ (الْغَرْفُ)
مِنْ سَحَابِ الْعِلْمِ لاجْتِمَاعِهِ فِي قَفَرٍ وَاحِدٍ. وَ(الرُّشْفُ) لِلدَّيْمِ، لِأَنَّهَا ... عَلَى
حَسَبِ مَا فَعَّ مِنْ الْعِلْمَةِ. وَإِنْ ... فَهُوَ يَتَرَاكُمُ لَتَرَاكُمُ الْمُرْنِ.

وَفِيهِ الْكُفُّ وَالنَّشْرُ ... رَالِحَةً. فَلَدَبَرَةٌ، قَالَتْهُ مِنْ دَقِيقِ النَّظَرِ¹²

فَإِنْ قُلْتَ: هَذِهِ الْمُبَالَغَةُ أَفْضَتْ إِلَى تَقْلِيلٍ مِمَّا سَأَلْتَهُ، أَوْ إِلَى تَقْلِيلٍ مِمَّا
الْعُظَامُ مِنَ الْمَسْأُولِ فَتَقْوَةُ الْمُبَالَغَةِ إِلَى تَقْصِيرٍ، كَمَا اعْتَرَضَ أَعْلَى¹³ حَسَنًا فِي
ثَابِتٍ فِي قَوْلِهِ: (طَوِيلٌ)

لَا الْجَفَنَاتُ الْعُرَى يَلْسَعْنَ بِالطَّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرُونَ مِنْ سَجْدَةٍ دَعَا¹⁴

فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ: أَرَدْتُ تَفَاخُرًا فَوَضَعْتُ قَوْلَكَ، فَإِنَّكَ قُلْتَ: (الْجَفَنَاتُ)
وَهُوَ جَمْعُ قَلَةٍ، وَقُلْتَ: (أَسْيَافُنَا) وَهُوَ جَمْعُ قَلَةٍ.

لَكِنْ أَجِيبْ عَنْ حَسَنٍ بِأَنَّ (الْجَفَنَاتُ) مُعْرَفَةٌ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ، وَالْجَمْعُ إِذَا
حَرَفَ أَفَادَ الْعُسُومَ، وَكَذَلِكَ (أَسْيَافُنَا) أَضِيفَ، وَالْجَمْعُ إِذَا أَضِيفَ أَفَادَ الْعُسُومَ.

(1) الغَرْفُ: قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: هُوَ شَجَرٌ يُدْبَغُ بِهِ الْجِلْدُ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْمَرْفُ:
الشَّامُ، وَهُوَ الْمَرْفُ إِذَا بَسَّ. ل/غَرْف.

(2) لَحَقَ يَمِينُ وَأَسْفَلَ الْوَرَقَةَ: 92 طَمَسَتْ بَعْضَ الْفَاطَةِ.

(3) لَا تَوْجِدُ «عَلَى» فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهَا سَقَطَتْ.

(4) الدِّيَارُ: 427. وَفِيهِ رَوَايَةٌ «فِي الضَّحَى»: سَبِيحِيَّةٌ. 181/2. الْمَفْتَضِلُ: 188/2.

الْحَصَانُص: 206/2. الْبَدِيعُ: 146. وَفِيهِ رَوَايَةٌ: «مِنْ شِدَّةِ نَقْطَةِ الدَّمَا» فِي ابْنِ

يَعْنَى: 10/5، الْعَيْنِي: 227/4.

وقد تترك (الجفنت) و(الأسياف) على القلة، ويُعْظَمُ التفاضل. أما (الجفنت) فبأنه وإن كانت قليلة، لكن يعظم إكرامها حتى أن جفنة يقطع 1931// منها الجُمُ العبير، فيقع التفاضل بالجفنة الواحدة على هذا المعنى فكيف بالجفنت؟ مع أنه لا يقال الجفنة إلا للمخارقة العادة في ما تحمل تسمية من الحقن الذي هو المَرَكَبُ⁽¹⁾. وأما المعتادة عند العرب فهي فصاع. وأما فلة الأسياف على تقدير أن تقطع تنظر على معنى عموميتها بالإضافة، لأنه يريد مع فلانها تقابها الجسوع الكبيزة، كما قال الشاعر: (طويل)

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكرمين ذليل⁽²⁾

وأما الجوار من اللطم في قوله: (جارنا) و(ثقتا) فليس المراد تقليل المتناول، وإنما المراد تكثير المتناول منه، والتقليل مضروب إلى عدم تأثير السأخود من كثرة السأخود منه، كما يقال في الجمع الكثير إذا وقع بالنسبة إلى الجوار المتعددة: (كشامة في جلد بعير) ومعناه أن المطلوب كثرة لون الجلد بالنسبة إلى إضافة الشامة إليه. ومعنى كلامه: إن البحر لو اجتمع أهل الأفاق يعرفون من سانه. ويسألون أوعيتهم بقدر طاقتهم، فإنهم لا يظهرن قصاً في سانه، مع كثرة ما ترعوه. وكأنه يقول: نسبة ما اختوت عليه الأنبياء صلوات الله عليهم ولا تزال صلى الله عليهم بالنسبة إلى ما احتوى عليه كتبه من فتح الله عليه، وأطلعه عليه، كنسبة عرفة من بحر، ونسبة رثيب من ديم الشهاب

(1) العبارة هكذا في الأصل.

(2) البيت للسموال بن عدياء اليربوعي في ديوانه: 35، الأغاني: 315/6، وش/ح للمرزوقي: 112/1. وفي: ش/ح للأعلم: 262/1، ح/البصرية: 41/1. منسوب للحلاج الحارثي عبد الملك بن عبد الرحيم. ينظر مجلة مجمع الشام: م/32 ح 3 ص 401 وح 4 ص 561 بحث عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي للأستاذ مردم بك. ينظر مسأله انتقال شعر السموال في كتاب إبراهيم طوقان. 94 للبديري المثلث.

و(الذيم) جمع ديمة، كقوله: قيسة رقيم. و(الذيم) المياه الهاطلة لغوياً
 من السيل، وكلهم لفظة مفردة. لكن لما أصيبت إلى ضمير الجمع أفاد الاحاطة
 والشمول.

و(فلتتمس) مراعاة لإفراد لفظه.

و(غرفاً) لا يصح أن يكون هو المفعول به (فلتتمس)، بل يصح كقول
 (فلتتمس) إنما المطلوب منه مجرد صورة الفعل من غير نظير إلى محله الواقع عليه
 الانعكاس. ويكون (غرفاً) كلام آخر على جهة التفسير لما أتت به. لا يقال فيه
 القطع بعد التهيئ. لأن ذلك إنما يكون في غير ما قصد فيه صورة الفعل. قال الله
 تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ (الزمر: 19). أي: هل يستوي من له
 علم ومن لا علم له؟ فلا يطلعت هنا للفعل مفعول، فيكون على هذا (غرفاً) خبر
 عن مكانة قول. ومع كثرة التماسيس لطالبيين كان ذلك كله لراً ١١

و(من البحر): في موضع الصفة.

وفاعل (فلتتمس) هو ضمير مستتر، ولما كان اسماً طاهراً شقراً عاد
 تفسيره مفرداً. وكذا عادة العرب في مخاطباتها. وكذلك يجوز في الاختار
 من كل ما له لفظ [أو] معنى مراعاة لفظه فيفرد، أو مراعاة معناه فيجمع.
 وكذا في التذكير والتأنيث، ألا ترى أنك تقول: يا نسوة من يخرج معي
 والجمع. أو تقول: ويرجع بالناء المنقوطة من فوق، وبالممنقوطة من أسفل.
 وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ شَيْئاً وَرَسُولَهُ﴾ (الأحراب: 131). راعى
 - (يفعل) لفظ (من) وبـ (تفعل) معناه: إلا أنه إن روعي اللفظ بأول ضمير
 حار في الذي تعدد المراعاة للوجهين: اللفظ أو المعنى، ولو روعي بالضمير
 الأول المعنى لا يجوز أن يرجع إلى مراعاة اللفظ.

(1) لحق مطموس.

(2) لا يوجد حرف الواو في الأصل.

وأما الناطق فقد راعى أولاً اللفظ بقوله: (مُلْتَمَسٌ)، وراعى في البيت
 بعدة معناه فقال: (وَوَاقِفُونَ) على ما سيأتي⁽¹⁾ وهذا حكم ما له لفظ ومعنى.
 فإذ راعى مرة هذا، ومرة هذا (194) وكذلك العيبة والخضير، فإذا كان
 اللفظ صالحاً لهما فإنه يراعى مرة عيبة، ومرة خضيراً، لكن إن كان الضمير
 يعود على ظاهر، أو على ما هو في حكم الظاهر، فيكون الضمير غالباً، وإن
 خولف به كان قليلاً، كقول عليّ نصر الله وجهه: (رجز)

أنا الذي سميتني أسي حيدر⁽²⁾

فإن الأصل سمته؛ ومنه قول الشاعر: (طويل)

أنت الهليلي الذي كنت مرة سمعنا به، والأحوي المقلب⁽³⁾

فراعى مرة حالة الخصور، فقال: (كُنت)، ثم رجع إلى حال العيبة،
 فقال: (سمعنا به)، ولو تمادى على الخصور لقال: (سمعنا بك)، وكذلك في
 المذكر، الثالث: فإن اللفظ إذا كان (مذكراً)⁽⁴⁾ حال هوذا الضمير شيئاً ومذكراً
 إذا كان واقعاً على مؤنث، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْتَ مَكْرًا﴾ وتعمل
 صليحاً (الاحزاب: 13)، إلا أن القاعدة أن اللفظ إذا كان مذكراً للفظ، وبُدى
 فيه عود ضمير المذكر ولو كان واقعاً على مؤنث جاز إعادة ضمير المؤنث
 عليه، كما في الآية في قوله تعالى: ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾ ولو بُدى فيه بلفظ
 المؤنث كما لو قالت الآية: (وَمَنْ تَفَلَّتْ مَكْرًا) بالناء المنقوطة من فوق، لم
 يحل أن يأتي (وتعمل) بالناء المنقوطة من أسفل، وكذلك بالعكس

(1) ينظر: ص 241.

(2) الديوان: 34 وتامه: «كليت غابات غليظ القصرة».

(3) الهليلي نسبة إلى اسم القبيلة البيت بدون نسبة في البحر المحيط: تفسير الآية 1
 من الفاتحة تفسير الباب في علوم الكتاب لابن عادل: تفسير 55 من الفاتحة شرح
 جمل الزجاجي: باب الفاعل والمفعول به. إعراب المحيط لابن سيدة: المقدمة.

(4) في الأصل: «مذكر».

وَأَمَّا الْإِفْرَادُ وَالْحَمْلُ فِي قَوْلِهِ: (وَكُلُّهُمْ)، ثُمَّ اخْتَبَرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: (فَلْتَمَسْ)، وَقَالَ فِي النَّبْتِ بَعْدَهُ: (وَوَاقِفُونَ)، فَهِيَ عَلَى الْقَاعِلَةِ الْمُسْتَهْدَةِ. وَلَمْ يَأَلْ فِي الْأَوَّلِ: (فَلْتَمَسْشُونَ) لِمَا صَحَّ إِلَّا (وَوَاقِفُونَ) وَرَغِمَ بِقِصَصِ الْأَصْحَابِ: «أَلَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ لِمُرَاعَاةِ اللَّفْظِ بَعْدَ مُرَاعَاةِ فِي الضَّمِيرِ الْأَوَّلِ السَّمْعِيِّ». وَهُوَ فِي غَايَةِ الْخُسُولِ، وَإِنْ ثَبِتَ مَثَرًا مَثَرًا، فَإِنَّ شَأْنَهُ يُحْفَظُ مَا جَاءَ مِنْهُ وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ.

وَمِنَ النَّبْتِ: «التَّظْفِيرُ»، لِأَنَّهُ لَقَرَّ مَا عِنْدَ غَيْرِهِ بِمَا يَمْتَنِيهِ مَا اخْتَمَعَ مِنْ غَرَفٍ مِنَ الْبَحْرِ، وَمَا عِنْدَهُ يَحْرُ، لَا أَنَّ الْغُرْفَ مِنْ نَفْسِ الْبَحْرِ، وَإِلَّا يُوَدِّي إِلَى أَلَّهُ يُلْقِصُ عَنْهُ شَيْئًا مَا. وَهَذَا مِثْلُ مَا قَبِلَ فِي قَوْلِ الْخَصِيرِ: «لِمَوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ» أَنْتَدِرِي مَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ فِي عِلْمِ اللَّهِ مِثْلُ مَا يُلْقِصُ ذَلِكَ الْقَدَارُ مِنْ ذَلِكَ الْبَحْرِ»⁽¹⁾. وَعَلِمَ اللَّهُ مُتَرَدِّدًا عَنِ الْتَقْصِصِ مِنْ قَبِيلٍ أَوْ [كَثِيرًا]⁽²⁾، وَلِذَلِكَ قَالُوا: «مَعْنَاهُ مِنْ مَعْلُومَاتِ اللَّهِ»، فَكَانَ كَلَامُ الْبَحْرِ فِي مَعْنَى أَنْ مِنْ نَظَرٍ مَا عِنْدَهُمْ لِمَا عِنْدَهُ. فَكَانَ كَمَنْ قَابَلَ شَيْئًا تَابَهَا بِالسَّبَبِ إِلَى الْبَحْرِ. وَبَالَغَ فِي الْعُرْفَةِ عَلَى طَرِيقِ التَّمَثِيلِ. وَالَّذِي أَغْطَى اللَّهُ الْبَيَّانَةَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ كَثِيرٌ، لَكِنْ ذَلِكَ بِالسَّبَبِ إِلَى مَا أُغْطِيَ مِنْهُ شَيْئًا نَافِعًا قَلِيلٌ. وَلَوْ ضُرِبَ مِثَالُ فِي الْخَارِجِ عَنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ لَكَ: لَوْ أَنَّ سَلَكًا مِنَ الْمُلُوكِ يَعْرِفُ لَعَبِيدَهُ أُغْطِيَتْ. فَأُغْطِيَ الْعَامَّةُ مَا أُغْطِيَ. وَأَجْزَلَ أُغْطِيَتْ أَسْفَرِينَ بَعْدَهُ كَثِيرَةٌ، وَخَصَّ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ وَأَعَزَّهُمْ عَلَيْهِ بِأَنْ فَتَحَ لَهُ مَخَارِجَ أَرْزَاقِ الْحُلِيِّ، وَمَعَادِنَ قَالِهِ وَخَرَانِئَهَا، وَبَسَطَ يَدَيْهِ فِيهَا؛ وَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْأُغْطِيَاتِ الْجَرِيلَةِ فِي غَايَةِ الْإِكْرَامِ بِمَا أُغْطُوا، لَكِنْ بَيْنَهُمْ - إِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَنْ بَسَطَتْ يَدُهُ فِي مَخَارِجِ الْمَلِكِ - نِسْبَةُ الْغُرْفِ مِنَ الْبَحْرِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(1) ينظر: تاريخ الطبري: 1/365، نهاية الأرب: 13/240.

(2) البحاري: 52/14 و 17/191 - 192، مسلم: 4/1847، الترمذي: 4/373. وفيه

روايات تتباين لفظاً وطولاً.

(3) في الأصل: «كثير».

وفي البيت: (التخيير) في التمثيل إن شئت، مثل شئ ما أعطي معاً
 أعطى غيره بالعرف من البحر، أو بالرشف من الذئب، ونعم دأباً في جنس
 التثنية ونسبة أيضاً (الإيعال) لأن الإيعال هم حتم الكلام بكتبة (الندوة).
 وذلك أن قوله: (وكلهم من رسول الله فلتقص) كلهم بالسن من (خاصة نوره
 حله) وقوله: (غزفاً من البحر) أي ومع كثرة التثنية فليس ينقص شيء
 من ذلك شيئاً من ما أوتي. ونسبة ما أوتي خمسة العرف من البحر، أو الرشف
 من الذئب.



وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم⁽¹⁾

شرح: (واقفون) حذر بعد خبر وأفاد كل من الحريين معنى غير ما أفاد الآخر. إذ الخبر الأول [95] تضمن ذكر أن الأنبياء صلوات الله عليهم لما نالوا ما نالوه من بركاتهم. وذلك أنوارهم صلوات الله عليهم مستمدة من نورهم. واكتسبوا ذلك من الكتب المنزلة، وما يوحى إليهم، وما أخذ منهم من الميثاق. إن من أدرك زمانه آمن به، ومن لم يدرك زمانه يؤمن بما أخبر به عنه. وبأمر أمته بفاعله، والإيمان به. فقد علموا أنه دجيرة الله في الرسل. وخاتم أنبيائه ورسله، ووسيلتهم العظمى في الموقف الذي يختص فيه المقام المحمود، واللواء المعقود والشفاعة العامة. وأفاد الخبر الثاني أنهم وقفوا عند الحدود التي حدث لهم، قبلوا ما أمروا به وأنذروا من يُعصوا إليه، وعلموا ما خضوا به.

و(من نقطة العلم) متعلق بـ (حدهم). وعبر عن مقاماتهم بالنسبة إلى مقام محمد ﷺ. (نقطة) على طريق التنزيل، وكأنه يقول: فكان مقام كل منهم في العلم الذي خضوا به وعلموه مما علمهم الله من مقام علوم رسول الله ﷺ ستة نقطة الحرف من الحرف. والنقطة يأتي لبيان حقيقة الحرف، متوجساً عليه. به يفرق بين حرف وحرف. فهو ترجستان عن منزلة الحرف وحقيقته. وقد كانوا صلى الله عليهم وسلم يحور علم، ويحور حكمة؛ لكن بالنسبة إلى علوم رسول الله ﷺ كانت النسبة هكذا. مع أن الحرف يغني عن النقطة، ولا يستقيم النقطة إلا بوجود الحرف. فرسول الله ﷺ سر الوجود.

والمقصود المقصود. والحرف حامل والنقطة محمول والنقطة تابع والحرف متبوع. وهو الله في موقف الحشر عليه ينشر لواء الحمد. ويستقبل تحته كل من أحسن آدم فعل دولة، وإليه يرجع في الشفاعة العامة. وقد نص الله سبحانه على تفاوت درجات النبيين فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمُ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: 128)، ولا يحد من الأفضل يختص بدرجة تثبت له بها الأفضلية. فكلهم فضلاء وهو غنى أفضلهم.

وجعل للعلم النقطة، لأن النقطة يقع بها معرفة الحروف ونسبها، فإنهم سائر الله عليهم كانوا قبل مبعده يخبرون به، ويأمنون به، ويستترون بمبعثه وجعل مقامهم في الحكم مقام الشكل مع الحرف. ولا شك أن الحكمة بها يصح الحكم الأشياء في مواضيعها، كما أن الزخرفة والنقشة والتمصصة بها تعرف المشكول بها من فاعلية، ومفعولية ومخبرورية. وبما أن الله خلق الأشياء من الحكم عرفوا حقيقة رتبته، وقدموه إماماً، وثبت له الإمامة في بيت المقدس⁽¹⁾، وله الإمامة في الموقف يوم القيامة.

والفرد (العلم) ويجمع (الحكم)، أمّا (الحكم) فآلة جنس لا . . . وإلا . . . تقع على القليل والكثير، وإن كان بصح جمعة إذا فصلت أفراد . . . يجمع لأجل فهم . . . ⁽²⁾ وقدّم (العلم) على (الحكمة) لغسوم (العلم)، فهو من باب تقديم العام على الخاص، إذ (الحكمة) فرع من فروع (العلم) وفرد من أفراد (العلم) (الحكمة) نتيجة (العلم)، والنتائج مؤخرّة عن مقدماتها . . . (النقطة) التي أراد: النقطة الخطية. وأراد بغطهم . . . ⁽³⁾ والمشمول الأول أولى، والله أعلم.

(1) بيت المقدس مسجد بناء سيدنا سليمان بن داود وهو بإيليا والمقدس المظهر والمنزه. ينظر: (معجم البلدان: 166/5، الروض: 556).

(2) طمس لبعض الفاظ لحق بعين الورقة: 95.

(3) طمس في الأصل مقدار ثلاث كلمات.

وفي البيت: التَّسْهِيمُ⁽¹⁾، أو يُسَمِّيهِ قُدَادَةُ التَّرْشِيعِ. وقيل: إنَّ الذي سَمَّاهُ
تَسْهِيمًا عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ السَّنْجَمُ⁽²⁾. قَالَ الشَّاعِرُ: (وافر)
إِنَّ أَرْزَنَ الْحَصَى، قَرَرْتُ قَوْمِي وَجَدْتُ حَصَى طَرِينَهُمْ رَزِينًا⁽³⁾
وَالْمَاضِمُ وَإِنْ نَسَبَهُ عِلْمٌ غَيْرُهُ سَنَنْبَةً عَلَيْهِ، وَكَرَمٌ غَيْرُهُ بِكَرَمِهِ فَرُوحُهُ
نَسَبَتُهُ [...] ⁽⁵⁾ فِي ذَلِكَ أَوْفَى حَقًّا وَأَرْجَحَ وَزَنًا.
وَفِيهِ: (مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ) لِجَمْعِهِ يَتَنَ (الْعِلْمُ) وَ (الْحِكْمُ).
وَوَقَعَ فِيهِ (التَّكْمِيلُ) لِمَا قَبْلَهُ.



-
- (1) ينظر بحث التسهيم في: (البيان والتبيين: 115/1)، قواعد الشعر: 71، نقد الشعر: 191، الصناعتين: 425، العمدة: 616/1، سر الفصاحة: 187، ابن منقذ: 127، تحرير التعبير: 263، نهاية الأرب: 142/7، الإيضاح: 492، حسن التوسل: 71.
(2) هو علي بن هارون أبو الحسن المنجم، راوية للشعر، من ندماء الخلفاء.
(ت352هـ). ترجمته في: (معجم الشعراء: 296، الأعلام: 183/5).
(3) البيت للراعي السبيري في الديوان. 153، نقد الشعر: 191، كفاية الطالب: 180، العمدة: 617/1.
(4) الكلام عن التسهيم في: العمدة: 616/1 - 617.
(5) طمس لبعض كلمات لحق.

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَغْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ⁽¹⁾

شرح: في هذا البيتَ مَعْنَيَانِ: الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُخْبِرَنَا عَمَّا سَمِعَهُ مِمَّا كَلَّمَ بِهِ جَبَلِي، وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تُخْبِرَ عَمَّا⁽²⁾ سَمِعْتُكَ لَكَ تَفَضُّلاً مِنْ كَمَالِ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ، وَكَمَالِ عِلْمِهِ، وَحِكْمِهِ، وَكَرَمِهِ، وَكَأَنَّهُ قَدَّمَ لَكَ مِنْ شَيْءٍ فِي صِفَاتِهِ قَبْلَ هَذَا عِبَرَةً لَعَلَّكَ إِنْ شِئْتَ بِأَلِّ تَقُولُ: هُوَ الَّذِي تَمَّ مَغْنَاهُ وَصُورَتُهُ، فَقَوْلُكَ: (تَمَّ مَغْنَاهُ وَصُورَتُهُ) فِي قُوَّةِ قَوْلِكَ: كَمَلَتْ خِلَافَتُهُ وَخُلُقُهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الْخِلَاقَ النَّاسَ وَجَلَقْتَهُمْ مَتَّفَعَةً الدَّرَجَاتِ وَالْعُلَى دَرَجَةٍ فِي تَمَامِ الْحَلَقِ وَالْحُلُقِ هِيَ الَّتِي تَمْنَحُهَا تَحْمِيدُهُ⁽³⁾، فَلَا دَرَجَةَ فِي الْحَلَقِ وَالْحُلُقِ أَنْتَ مِنْ دَرَجَةِ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ؛ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: تَمَلَّكَتْ الْخِلَافَةَ وَخُلُقَهُ كَمَالاً مَا وَرَدَ مَرَّتِي (و: مَغْنَاهُ) رَاجِعٌ لـ (خُلُقِهِ) بِمَعْنَى الْحَيَاءِ وَالْإِلَامِ، وَ(صُورَتُهُ) لـ (خُلُقِهِ) بِمَنْحِ الْخَاءِ وَسُكُونِ الْإِلَامِ؛ لِهُوَ مِنْ تَوَجُّعٍ مِنَ الْأَوَّاعِ (التَّائِبِينَ)⁽⁴⁾، فَتُفَسَّرُ بِالْأَوَّلِ الثَّانِي، وَبِالثَّانِي الْأَوَّلُ.

فَبِإِنْ قُلْتَ: بَقِيَ عَلَى النَّاطِقِ تَحْدِيدُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ بِأَنَّهُ تَمَّ مَغْنَاهُ وَصُورَتُهُ، فَكَيْفَ أَيْنَ يَعْلَمُ التَّفَرُّدَ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ تَتَّبِعُ؟

قُلْتَ: يُؤْخَذُ مِنَ الْبَيْتِ وَمِمَّا قَبْلَ الْبَيْتِ: وَأَمَّا مَنْ قَبْلَ الْبَيْتِ: فَمِنْ قَوْلِهِ: (فَاقِ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ)⁽⁵⁾، وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيِّينَ أَكْمَلُ النَّاسِ خُلُقاً وَخُلُقاً، وَهُوَ⁽⁶⁾ فَامِنْهُمْ خُلُقاً وَخُلُقاً، فَلَا يُسَائِلُهُ أَحَدٌ فِي خَلْقٍ وَلَا فِي خُلُقٍ.

(1) الديوان: 193.

(2) في الأصل: «عن ما».

(3) التلخيص: سبق بحثه: ص 58.

(4) الديوان: 193، سبق في: ص 227.

فذلك (فهو الذي تم مغناؤه)، أي: هو الذي انغرد بتمام الصورة والمعنى -
 والمنا تصفية أحد ذلك من الببب: فمن حقه الحضر الذي بذل عليه تعريف
 المستدل الذي تم (فهو الذي)، أي: فهو المستند بتمام الخلق والخلق لا غيره
 وهذا كله مأخوذ من الشطر الأول. وأما الشطر الثاني، فهو راجع للتناظر
 بالاضطفاء، وأسباب التناظر فيه واضحة لأن من هو أمر ناه أضدق الناس
 نسبة، وأدعهم جدلاً وبهجة، وهو مقام في مقام المحبة، وتعلقت الأمال
 بشاعته، ووافق كل الناس في كل وصف حسن، وهذا عين التفاضل.

(وأشار أيضاً بالببب إلى - لأن - مغناه وضورته... بكمال خلقه
 وحلته. والشطر الآخر راجع لقوله بعد: (... الذي تزجى شفاعته)⁽¹⁾، فبفه
 معنى الفت والنشر... كل كيسة مما سبق من الخلق والخلق... فتدبره. فإنه
 واضح. والحمد لله⁽²⁾

لكن يقال: ولم جاء الناطم - (تم) التفتيشية الترتيب، وتأخر زمن
 المستطوف عن زمن المستطوف عليه، فقال: (ثم اضطفأه)، فكان الاضطفاء
 شاملاً لتأخره عن حصول هذه الصفات فلما حصلت اضطفأه بعد تراخ من
 حصولها؟

والجواب: إن الاضطفاء له معنيان: الاضطفاء الذي حصل له في الأزل
 قد سبق به علمه وإرادته. والاضطفاء الثاني هو حصول النبوة. فإن كان
 الأول: فالعناية الربانية حصلت له ^{في الأزل} وأدم متجدد بين السماء والطين⁽²⁾
 وإن كان الثاني: فحصول الصفات مقدم على حصول النبوة (1971) إذ كان
 متصوفاً بحسن الخلق والخلق قبل البعثة حتى بلغ أشده أوحى إليه، فتنبأ به
 وقد يقال: إنما قصد الناطم ترتيب بروز إظهار العناية الربانية في

(1) طرة يمين الورقة: 96 طمست أغلب كلماتها.

(2) تخريجه في ص 646.

الخارج. وأما الاضطفاء في نفس الأمر فهو قدم على بُروره وعلى زمن
لونه ^(١) فتكون أدلة الاضطفاء ظهرت بعد حصول الصفات، لأن جمال
الذات يقترن بروره من الأرحام، وحصول محاسن الأخلاق ظهرت له في
جميع تصرفاته قبل النبوة حتى كان ينشئ مع أنتاج سنه من الصفة بالصادق
الأمين [...] ليكون المراد أنه سبحانه جعله [...] ^(٢).

وقد أبعد الثبوت ^(٣) من قال: بعد أن كمل عقله اضطفاء، إلا أن يريد
(اضطفاء) نبأه، وإلا فالاضطفاء من الضم، وهو افتعال، إلا أنه تصرف
فيه بالبدل لقرب مخرج السدل من السدل منه، وبيان الاضطفاء «فإن الله
سبحانه اضطفى من القبائل قريناً» ^(٤)، ومن قرين بني هاشم ^(٥) ومن بني هاشم
نبينا [محمداً] ^(٦) ^(٧).

وقال الخليل: إن (ثم) لترتيب الواقع في الأزمنة، يعني اضطفاء: عبته
لتشريع الدين وحمل الخلق على مراعاتهم. أو يكون لترتيب محاسن الخلق،
وقال يقول: خلقه الله في أحسن صورة، ثم جعله على محاسن الأخلاق، ثم
نبأه، كقول الشاعر: (رمل)

ثم زادوا أنهم في قومهم غفر ذنبهم غير فخر ^(٨)

(١) في الأصل: «فيكون».

(٢) طمس لبعض كلمات الحق.

(٣) الثبوت: اسم من الانتجاع، وهو المذهب في طلب الكلا. ل/تجع.

(٤) قرين: قبيلة عربية عظيمة، اختلف في تسميتها. ينظر: معجم القبائل: 10/3، معجم
ما استعجم: 115/1.

(٥) بنو هاشم: بطن من قرين من العدنانية. ينظر: معجم القبائل: 1207/3، الأنساب:
587/2، نهاية الأرب: 358/2.

(٦) في الأصل: «محمداً».

(٧) مسلم: 1782/4، الترمذي: 245/5، مجمع الزوائد: 214/8.

(٨) البت لطرفة بن العبد في ديوان: 72، شعراء النصرانية: 309/1 «فخر».

و(الباري): اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى. (وَفَسَّرَهُ بِغُضُّهُمْ بِالْخَالِقِ، وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ^(١) فِي «الْمَقْصَدِ الْأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى»: «إِنَّ لِكُلِّ لَفْظٍ مِنَ (الْخَالِقِ) الْبَارِئِ الْمَقْصُورَ مَعْنَى غَيْرِ مَا لِلْآخِرِ»^(٢). فَتَفَتْ عَلَيْهِ. [... آ...]

وقال بعض شراح القصيدة: «إِنَّ النَّظْمَ عَنَّا عَنْ ذَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالْبَارِئِ، قَالَ: لِيُضَرَّوْرَةُ الشُّعْرِ، قَالَ: وَلَوْ قَالَ عَمُوساً مِنْ هَذَا: ذُو الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ، أَوْ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

وفي هذا الاعتراض نظر؛ لأنَّ (بارئ النِّسَم) فيه (العظمة، والفضل، والكرم، لأنَّ إيجاد الأرواح - وهي نَسَم - قُدْرَةٌ مَتَّة، وَبَعْدَةُ أَعْمَ بِهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِنْسَانِ فِي تِلْكَ النَّسَمَةِ، وَعِظْمَةُ لَأَلَّةٍ خَلَقَ خَلْقاً، عِبَاداً مَسْلُوكاً، يُسَبِّحُهُ وَيُغَدِّدُهُ، وَتَعْرِيفُ رُتُونَتِهِ، وَبِقَرِّ بَقَرِّ نَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيِ بَارِيهِ، فَلَا أَثَرَ لِهَذَا الْإِعْزَازِ فِي (النِّسَمِ) هِيَ الْأَرْوَاحُ، وَلَسَا كَالَّتِ الْأَرْوَاحُ الشَّرَفُ مِنَ الْأَشْيَاحِ ذِكْرُهَا فِي الْحَسَنَةِ الْمُصَافِ أَحَدِ جُزْئَيْهَا إِلَيْهَا، وَهُوَ خُصُوصٌ أَرِيدَ بِهِ الْعُمُومُ، إِذْ هُمُ بَارِئُ النَّسَمِ وَغَيْرِهَا مِنَ السَّخْلُوقَاتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ السَّمْعَى (١٥٦)﴾ (النجم: 49)، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ.

وقول هذا المتعريض: «لَوْ قَالَ: (ثُمَّ اضْطَفَادُ حَبِيباً لِلْفِعَالِ)، وَلَا شَكَّ (بَارِئِ النَّسَمِ) بِمُتَّخِذِي هَذَا الْمَعْنَى، إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ عَلَى خَلْقِ الْأَرْوَاحِ إِلَّا الْفَعَالُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْفِعَالِ، وَبِالْخَالِقِ وَبِالْبَارِئِ وَبِالْمَقْصُورِ، وَبِالَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ»^(٣).

(١) سبقت ترجمته: ص 157.

(٢) المقصد الأسنى 52.

(٣) لحن مطبوع من الورقة: 97.

(١) قال تعالى في هود 107: ﴿إِنَّ رَبَّنَا قَتَلَ لَمَّا يَرِيدُ﴾. وفي المحشر 24: ﴿هُوَ أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي فَصَّرَ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى﴾. وفي السلك: 2: ﴿الَّذِي عَلَّمَ الْقَوَامَ وَالْحَقَّ يَتَلَوَّنَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ عَمَلًا﴾.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «إِنَّمَا ذَلِكَ لِضُرُورَةِ الشَّعْرِ». لَا ضُرُورَةٌ هُنَا، بِذَلِيلِ أَنَّهُ لَوْ
 قَالَ // (1981) // لَمْ أَطْفِئْهُ لَمْ تَوْجُودِ وَالْكَرَمِ) لَحَرَجَ عَنْ ذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لِجَمْعِهِ بَيْنَ الْمُتَنَاسِبَاتِ.

وَفِيهِ التَّمْيِيزُ: أَوْفَرُ مِنَ الْأَشْفَادِ كَالنَّارِ بِحِجَابِ التَّقْسِيمِ، وَذَلِكَ أَنَّ
 يَمُودَ الشَّاعِرِ وَضَعًا... ثُمَّ يَفْرُغُ مَعَهُ وَضَعًا آخَرَ، يَرِيدُ الْمَوْضُوفَ تَوْكِيدًا؛ قَالَ
 الشَّاعِرُ: (كامل)

فَكَأَنَّ حُمْرَةَ لَوْنِهَا مِنْ خَدِّهِ وَكَأَنَّ طَيْبَ نَيْمِهَا مِنْ نَشْرِهِ⁽¹⁾
 حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمَزَاجُ تَبَسَّثَ عَنْ نَعْرِهَا فَحَسِيئَتُهُ مِنْ نَعْرِهِ⁽²⁾
 وَفِيهِ: الْجَمْعُ بَعْدَ الْمُتَفَرِّقِ.

وَفِيهِ: التَّرْقِي: وَهُوَ أَنْ يَذْكَرَ مَعْنَى ثُمَّ يَتَرَقَّى لِمَا هُوَ [..] وَفَقَدْ
 تَرَقَّى. [1]⁽¹⁾



(1) السَّيِّئَانِ لَعِبَدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ فِي دِيْوَانِهِ: 114/2 «وَكَانَ × وَكَانَ طَيْبَ رِيَاحِهَا». فِي
 قَطْبِ السَّرُورِ: 154 «كَأَنَّ حُمْرَةَ خَدِّهِ مِنْ لَوْنِهَا». وَفِي أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ: 79. «فِي
 خَدِّهِ × مِنْ نَشْرِهِ»، الْمُتَرَقِّعُ الْبَدِيعُ: 467 «صَبَّ الْمَدَام».

(2) الْكَلَامُ فِي: الْعُمْدَةُ. 1/ 632 - 633.

(3) طَمَسَ لِبَعْضِ أَلْفَاظٍ لِحَقِّ يَسَارِ الْوَرَقَةِ: 98.

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكِ فِي مُحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ⁽¹⁾

شرح: لَمَّا عَدَّ هَذِهِ الْمَحَاسِنَ الْعَظِيمَةَ النَّامَةَ الْكَامِلَةَ، اسْتَشْعَرَ سُؤَالَ: رَغِبَ أَنْ يُقَالَ لَهُ: لَا شَكَّ، وَلَا رَيْبَ فِي شَرَفِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، لَكِنْ قَدْ اتَّصَفَ بِهَا مِنْ خِصَّةِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ بِالنَّبُوَّةِ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُعْتَوْنَ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِمْ، وَهُمْ أَحْمَلُ آبَاءَ زَمَانِهِمْ، وَزُرُقُوا مِنَ الْعِلْمِ بِصِفَاتِهِ بَارِيهِمْ مَا لَمْ يَرَزُقَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، وَكَمَلَتْ صِفَاتُهُمْ، أَخَذَ يَنْتَهِ النَّاطِلُ عَلَى أَنَّ الشُّمَارَكَةَ وَإِنْ وَقَعَتْ فِي الْأَسَاءِ وَالتَّسْمِيَّاتِ تَبَايَنْتْ فِي الْكَمِّيَّةِ، فَإِنَّ الَّذِي أُوتِيَهُ عَنِ الْمَحَاسِنِ الْمُدَاخِلَةِ مَا سَاوَاهُ أَحَدٌ فِيهَا، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي مَا أُوتِيَ: إِمَّا بَعْدَ مُسَاوَاةِ الْكَمِّيَّةِ فِي أَكْثَرِ الصِّفَاتِ خَلْفًا وَخَلْفًا أَوْ فِي حُسْنِ الشَّيْءِ نَفْسَهُ كَمَا بَيَّنَّا: وَمَا خَصَّ بِهِ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ فِي الْمُنَافَعَةِ الْفُضْصَى الْعَامَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا قَبْلَ⁽²⁾ وَمَا خَصَّ بِهِ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ فِي الْمُرْتَبَةِ الَّتِي مَا أَدْرَكَهَا أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَلَا تَالَهَا أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ عِنْدَهُ، وَمَا يَكُونُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَوْنٍ لِرِوَاءِ الْحَمْدِ بِيَدِهِ، يَسْتَظِلُّ تَحْتَهُ كُلُّ حَامِلٍ آدَمَ فَصَنَ ذُوئِهِ ذِكْرُهُ الْفَضْصَى⁽³⁾ فِي «الشَّعْبِ»⁽⁴⁾ وَغَيْرِهِ.

وَاللَّوَاءُ: الْعِلْمُ، وَهِيَ الرِّيَاضَةُ الَّتِي تُقَامُ بِمَوْضِعِ الْإِمَامِ فَتَقْصِدُ النَّاسَ إِلَيْهِ. وَيَكُونُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ وَالْهَيْبَةِ، وَيَلْبَسُ خِلْعَ الْكِرَامَةِ.

(1) الديوان: 193.

(2) ينظر: ص 234.

(3) هو عبد الحنبل بن موسى بن عبد الحنبل الفصري الأندلسي المالكي سبغت ترجمته ص 144. وعنوان الكتاب كاملاً «شعب الإيمان» مطبوع، حققه أيمن صالح شعبان - سيد أحمد إسماعيل، القاهرة، دار الحديث 1996. ينظر: الإيضاح المكنون: 2/

49، معجم المؤلفين: 74/5.

(4) شعب الإيمان: 475/2 - 479 - 509.

وخلعات الجود، ويكُونُ في رجليه لقلال من نورٍ يُسمع صريرُهُما بين الصائغين، ويكُونُ تحت البُرْق، نَوَّة كالزرق، والتَّكَلُّ يسألُوه السَّفاغة. فكلُّ رُوحٍ أحقُّه انْتَلَفَتْ مَعَ رُوحِهِ الْكَرِيمِ فِي عَيْبِ الْعَيْبِ. وَفِي الْحَبَرِ: «إِنَّ الْأَرْوَاحَ حَيَّةٌ مُجَنَّدَةٌ مَا تَعَارَفَ مِنْهَا التَّلَفُ وَمَا تَنَازَعَ مِنْهَا الْخُتْلَفُ»⁽¹⁾. ولذلك جاء في الحديث: «إِنَّ مُحَمَّدًا يُحَلِّسُهُ اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ فَيَكُونُ يُشْرِفُ عَلَى الْوُجُودِ كُلِّهِ. لِأَنَّهُ مِنْ نُورِهِ اسْتَنَارَ، وَكُلُّ حُسْنٍ فِي الْوُجُودِ مِنْهُ»⁽²⁾، وعلى ذلكَ كُلِّهِ يَدُلُّ قَوْلُهُ بعد:

رَجُلٌ إِذَاكَ مَا أُولِيَتْ مِنْ رُتَبٍ وَعَزْزٍ مِقْدَارُ مَا أُولِيَتْ مِنْ نَعَمٍ⁽³⁾
فَمَقَسَى (مَنْزُورَةً)، أَي: شَرِيفٌ، حَرِيفٌ، تَعَبُّدٌ عَلَى شَرَاكَةِ الْعَبْرِ إِيَّاهُ فِي عِبَادَةٍ.

والإضافة في (مُحَاسِنِهِ) تُخْرِجُ مَا شَارَكَ الْعَبْرَ فِيهَا، فَمَا شَارَكَ الْعَبْرَ فِيهَا رَقَمَتِ الشَّرْكَاءُ وَتَنَابَهَتْ بِكَلِمَةِ الْكُتُبَةِ، وَالْمُحَاسِنُ الْعَاصِمَةُ لَمْ يَصِفَتْ بِهَا عِبْرَةٌ.

وَمَقَرَّةُ 1991 // (فَجَوْهَرُ الْخُسْنِ). (الْجَوْهَرُ): دَالٌّ عَلَى الْحُسْنِ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَمِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، لِأَنَّ (الْجَوْهَرُ) عَتَدُفُهُمْ. هُوَ الْجُرْءُ الَّذِي لَا يَنْفَسِمُ، وَهُوَ أَهْلُ الْجُسْمِ، وَأَهْلُ الشَّيْءِ: أَحْسَنُهُ. وَكَذَلِكَ (الْجَوْهَرُ) عِنْدَ الْعَامَّةِ، فَإِنَّهُ هُوَ أَشْرَفُ الْأَحْجَارِ حَتَّى أَتَاهُمْ يَمْتَلِئُونَ بِهِ الْفُجُورُ الْحَسَنَةُ، فَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ عِبَارَةٌ

(1) البخاري: 230/13، مسلم: 2037/4، أبو داود: 260/4، ابن حبان: 16/8، أحمد: 295/2، زاد المعاد: 269/4، الهيثمي: 87/8، البغوي: 56/13، كشف الخفاء: 121/1، الفردوس: 123/1.

(2) ينظر مسألة جلوسه ﷺ على العرش في: مصنف ابن أبي شيبة: 305/6، السنة لاس أبي عاصم: 305/1، السنة للخلال: 213/1.

(3) الديوان: 198 برواية: «وجل إدراك ما وليت من رتب * وعز مقدار ما أوليت من نعم»

عن كل ميسر، وهو بالجملة دال على كل ما فيه حسن، فقوله: (فجوهر
الحسن)، أي: فأحسن الحسن وأنفسه، وهو كما قال: فالحسن مشترك،
والحسن الحسن غير مشترك، وذلك أن الله تعالى أهبه وأرساله بأنواع من
الحسن ذاتاً وحقائق

والحسن رسول الله ﷺ بما لم يشاركه فيه أحد، «فحلية العنانم، وحمل
الأمس له ولأخته متجداً وطهوراً، ونظرة بالرقب شسيرة شهرين، وبالأسراء،
والإسلام في [نبلة]»¹¹ الأسراء على آيات تحري، وأوحى إليه ما أوحى، وكان
قاب قوسين أو أدنى»¹²، فهذه الصفات التي لم يشاركه فيها أحد هي التي
نرى عليها التوحيد في (جواهر الحسن)، أي: عبته، وأعظمه، وأرفعه
الآن ترى أنك تقول في من اتصف بسعائير مفضوفة من أبناء جنسه، فهذا جواهر
سي دلالة، وتارة الجواهر يستعمل في كل حسن، فقال الناظم: جواهر
العوازم، أي: الجواهر التي قصرت عنه الجواهر، ولم تتصف بصفته.

لعمري بعض شراح النظم أن معنى قوله: (مُنْزَلة عن شريك في محاسنه)،
أي: لا يشاركه أحد في استيفاء هذه المحاسن، وليس المراد أن الذي لم تقع
فيه المشاركة ما أشاد به مما لم يؤت أحد من العالمين، والراجح أن المراد
الخاص، لم يشاركه أحد في محاسنه الخاصة به - وهي كثيرة¹³ - لا ما وقع
فيه الاشتراك، والله أعلم، فافهمه.

ولما كان جوهراً أهلي العلم الكلامي لا يلقيه حسنة الثورية، وتصلح
أن تكون من الاستعارات المجردة.

فيه أيضاً ضرب من التشبيه: «وهو وصف الشيء بصفة ما قاربه وشاكله

(1) في الأصل: «يلى» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(2) البخاري: 1/86، مسلم: 1/370 - 371.

(3) في الأصل: «كثير» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لئلا يكون هو
 هو⁽¹⁾. فإذا جعلنا هذا الذي قال الناظم من الاستعارة فالجامع الاسم بين
 الاستعارة والتورية، إذ هذا هو هو عند المتكلمين، وهذا هو هو عند اللغويين.
 وكل منهما شريف، فقد وقع الشبه في الاسم والصفة.

وقد تأتي النسبة بالآلة وبغير الآلة، والآلة كالكاف وكأن. والذي بغير الآلة
 إنما تأتي بجامع بين النسبة والشبه به «ورغم قدامته أن الفضل للنسبة لما وقع
 بين شيئين مشتركين في أكثر صفاتهما حتى بلغنا من حال الاتحاد؛ وأشد بيت
 امرئ القيس: (طويل)

لأنه أظلم ظلماتي وسادى لعمامة⁽²⁾

البيت. لأنه شدة أغصاه بأغصاه⁽³⁾، كما شبه هنا الناظم الجوهر
 بالجوهر، فهو من حيث الحس والأصالة والنسبة، ولذلك قال بعضهم: «هو
 بغير آلة أبلغ، لأنه يصير إيجاباً وتحقيقاً».

[100]// قَالَ أَبُو تَمَّامٍ: (خفيف)

وَلَمَّا يَأِيكَ إِنَّهَا إِغْرِیضٌ وَلَآلٍ ثُمُومٌ، وَبَرْقٌ وَمِیْضٌ⁽⁴⁾

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَرِيرِيُّ⁽⁵⁾: (بسيط)

(1) الكلام عن التشبيه في: العمدة: 488/1، وهو مكرر هنا ينظر ص 120.

(2) سبق تخريجه: ص 87.

(3) النص في العمدة: 492/1 - 493.

(4) الديوان: 287/2، في العمدة: 497/1، وجوهر الكنز: 68 برواية «ولال بيض».

الثاني: أسنان مقدم الفم. الإغريض: الطلح والبرد. التومة: اللؤلؤة العظيمة.

(5) هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو القاسم الحريري الحراني صاحب

المقامات المشهورة. (ت 16هـ). ترجمته في: (المنتظم: 241/9، إنباء الرواة: 3/

23، نزهة الألباء: 162، وفيات الأعيان: 63/4، معجم الأدباء: 261/16)،

والبيد في شرح المقامات: 1/1، عدالة التسيهات: 145، السحاب في

المعاني: 119، تحرير التحبير: 163، الطراز: 173، روضة الفصاحة: 83،

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِشُعْرِ رَاقٍ مُبَسِّمُهُ وَرَأْنَهُ شَنْبٌ، نَاهِيكَ مِنْ شَنْبٍ
بَنَدُ عَنْ لَوْلَايَ وَهَبٍ، وَعَنْ بَرْدٍ، وَعَنْ أَفَاحٍ، وَعَنْ طَلْحٍ، وَعَنْ حَبِيبٍ
كَأَنَّهُ حَقَّقَ الدَّعْوَى، وَكَأَنَّ كُلَّ مَا قَالَ: هُوَ الشُّعْرُ.

أَمَّا بَيِّنٌ لِي تَسَامٍ فَالْحَاكِمُ فِيهِ انْتِصَالُ الْكَافِ وَاتِّصَالُهُ، فَإِنْ زُيِيَ عَلَى
مُدَّةِ السَّخَابِ فَهُوَ كَمَا قِيلَ: مِنْ غَيْرِ آلَةٍ، وَإِنْ جُعِلَ حَرْفٌ تَشْبِيهٍ، وَلُفَّتْ
قَمَرَةٌ (إِنَّ) كَانَ مِنْ قَبِيلِ مَا يُشَبَّهُ بِالْآلَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُ الدَّظْمِ: مُنْزَعٌ عَنْ شَرِيكَ لَا يُفِيدُ الْحَضَرَ، وَلَوْ أَرَادَ
الْحَضَرَ لَجَاءَ بِالتَّنْفِي الْمُسْتَعْرِقِ.

قُلْتَ: قَدْ أَوْقَعَ بَعْضُ الْأَصْحَابِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا، فَذَكَرَ وَغَفَلَ مَا ذَكَرَ
لَهُ، فَمَرَّةً قَالَ: (مُنْزَعٌ)، تَكْرَرًا، وَالتَّكْرَرُ تَقْتَضِي الْعُمُومِ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى التَّنْفِي،
وَالْمُسْتَعْرِقُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى التَّنْفِي سَاوَاهُ فِي الْحُكْمِ، وَغَفَلَ، وَإِنَّمَا الْحَسَنُ أَنْ
يَقُولَ: الَّذِي أَفَادَ الْعُمُومَ قَوْلُهُ: (عَنْ شَرِيكَ) فَإِنَّهُ فِي قِيَّةٍ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي
مَحَاسِنِهِ، فَلَمْ يَأْتِ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ (مُنْزَعٌ) إِلَّا بَعْدَ عَمَلِهِ فِي قَوْلِهِ: (عَنْ شَرِيكَ)،
أَيَّ عَنْ شَرِيكَ قَا، فَأَفَادَ الْعُمُومَ. وَ(مُنْزَعٌ) لَمَّا كَانَ مَعْنَاهُ: مُعَيَّدٌ، وَدُرِّعٌ،
تَقْتَضِي مَعْنَى مُزَاوَاةِ الشَّرِيكَ عَلَيْهِ، وَبَعْدَهُ مَعْنَى:

وَقَوْلُهُ: (فِي مَحَاسِنِهِ) هَذِهِ الْإِضَافَةُ تَقْتَضِي اخْتِصَاصَهُ بِتِلْكَ الْمَحَاسِنِ،
وَلَمْ يَحْتَاجْ مِثْلًا فِي الْمَحَاسِنِ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: (فِي الْمَحَاسِنِ) لَا تَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ
يُشَارِكْ أَحَدٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَحَاسِنِ الْبَيِّنَةِ بَلِ الَّذِي لَمْ يَقَعْ فِيهَا اشْتِرَاكٌ مَحَاسِنُهُ
الَّتِي حَصَّهُ اللَّهُ بِهَا.

وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ عَلَى هَذَا فِي قَوْلِهِ: (فَجَوْهَرُ الْخُسْنِ) إِنَّمَا لِلْعَبِيدِ، أَوْ
يَكُونُ (الْخُسْنُ) هُنَا وَقَعَ الظَّاهِرُ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِّ، إِذْ مَعْنَاهُ: فَجَوْهَرُهَا، أَيْ:

= الشنب: الماء القليل الجاري على الأسنان. الطلح: أول حمل النخلة.

جَوْهَرٌ تِلْكَ الْحَبَابِ الْخَاطِئَةُ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ، أَيُّ كُلِّ وَاحِدَةٍ جَوْهَرٌ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ.
 أَوْ أَرَادَ (الْجَوْهَرُ) اسْمُ الْحُسْنِ، وَهُوَ قُوَّةُ الْجَمْعِ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: فَجَوْهَرُ
 الْحُسْنِ الْخَاصُّ بِهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ، لَكِنْ لَمَّا أَفْرَدَ الْجَوْهَرُ الْحُسْنَ عَنَهُ بِالنَّفَرِ
 (الْفَاءُ) فِي (فَجَوْهَرُ) سَبَّحَهُ مِنْ قَوْلِهِ (فِي مُحَاسِنِهِ) جَوْهَرُ الْحُسْنِ،
 فَقَدْ عُلِقَ الْحُسْنُ عَلَى...⁽¹⁾.

وَمِنْ أَلْبِيتِ التَّوْرَةِ: رُئِيسُ الْإِيهَامِ: وَهُوَ أَنْ تُفْلَقَ لَعْنَةُ تَحْتَمِلِ
 مَعْنَى قُرْبَتِ وَتَعِيدَةٍ وَتَزَادُ الْعَبْدُ مَتَلَمَّامًا لَكُنْ هُنَا []⁽²⁾ وَمِنْ أَلْبِيتِ
 التَّوْرَةِ: (كَامِلٌ)

نَقَلَ الْأَرَاكَ بِأَنْ رِيكَةً تُعْرِضُهَا مِنْ خُمُرَةٍ مُرَجَّتٍ بِمَاءِ الْكُوْثِرِ⁽³⁾
 قَدْ ضَحَّ مَا نَقَلَ الْأَرَاكَ لِأَنَّهُ يَرْوِيهِ ثَقْلًا عَنْ صِخَاخِ الْجَوْهَرِيِّ



(1) طمس لبعض ألفاظ لحق أسفل ويسار الورقة: 100.

(2) طمس لبعض ألفاظ لحق يسار وأعلى الورقة: 100.

(3) البيتان بدون نسبة في: التبيان: 299 «نقد... ريقة»، طراز الحلة: 456 «نقل... ريقة»، أنوار التجلي: 1/336، وفي المستطرف: 24 منسوبان للصالح الصفدي.

عند الله كتم كل ما دم خلقكم من ثراب⁽¹⁾ (ال عمران: 130) فابتدأوا إلا السلاحة⁽²⁾ حتى دعا لهم⁽³⁾ إلى المناهضة⁽⁴⁾ التي أمره الله بها في قوله: ﴿فَقُلْ نَعَالُوا نَدْعُ النَّامُ وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ (ال عمران: 161) الآيات إلى آخرها، فأسرا من الانتهال وخافوا. وَالْقِصَّةُ تَوَلَّاهَا الْمُفَسِّرُونَ⁽⁵⁾. انتهى قول الشارح للبيت.

وقد نقل ابن عطية⁽⁶⁾ وقائع أهل تحران الذين قدموا المدينة، وكان من شأنهم ما هو مسطور فيه⁽⁷⁾ وفي كتاب الثعالبي⁽⁸⁾ لكن بقي على الشارح أنه قال: ﴿قُلْ مَا شِئْتُ إِلَّا بِهُتُورِهِ وَلَا يَتَّبِعِي أَنْ يُقَالَ إِلَّا: قُلْ مَا شِئْتُ إِلَّا مَا كَفَرَ بِهِ النَّصَارَى وَغَيْرُهُمْ. فَيَدْخُلُ قَوْلُ الْيَهُودِ: ﴿غَيْرُكُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (سورة البقرة: 130)، ويدخل منع المادح أيضاً بأن يقول: الخ، أو إنز عم، أو غير ذلك مما هو محل في حجاب الرؤية⁽⁹⁾.

والجواب عن الأول أن يقال: إنما قال الشارح (دع ما ادعته النصارى)، لأنهم الذين ثبتوا على هذه الدعوى الباطلة. وإنما اليهود فقد أقروا بال من تمت على هذه الدعوى منهم، أو من غيرهم، فهو كافٍ. وإنما ما سوى هذه الدعوى فلما سكنت الشاظم عن ذكره لإجماع الجميع - من مؤمن وكافر - أن الله سبحانه قديم، غير مفتتح الوجود، ولم يَسْب لهُ أَحَدُ النَّامُ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ من الاستحيات النسبية إلا دعوى النصارى لعنهم الله وبالضرورة إن

(1) الملاحة: من لح في الأمر؛ تمادى على رأي لا ينصرف عنه والملاحة: التمادي في الخصومة.

(2) المباهلة: الملاعة. والابتهاال: التضرع والاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره.

(3) ينظر الطبري: 295/3، القرطبي: 103/4، الكشف: 431/1، ابن كثير: 1/

347، مطايع العجب: 81/4، المحرر الوجيز: 107/3.

(4) سقت ترجمته ص 182.

(5) أي في تفسيره: المحرر الوجيز: 107/3.

(6) اسم الكتاب كاملاً: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» مطبوع، حققه عمار الطالبي

1985. ينظر: الجواهر الحسان: 142/1.

لَمْ تَسْتَحَالَةَ الْوَلَدُ تُثَبِّتِ اسْتِحَالَةَ الصَّاحِبَةِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا نَفَى عَنْهُ الْوَلَدَ حَلًّا وَعَلَا
لَا اسْتِحَالَةَ اقْتِفَارَهُ إِلَى الصَّاحِبَةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ غُلُوبًا كَبِيرًا.

(وَالنُّصَارَى) جَمْعُ نَصْرَانٍ، وَالْأَنْثَى تَنْصَرَانَةٌ. وَأَكْثَرُ الْعَرَبِ يُلْحِقُ الْبَاءَ
فَيَقُولُ: تَنْصَرَانِي وَنَصْرَانِيَّةً.

وَقِيلَ: (وَاحْكُمُ)، أَيُّ: الْخَبْرُ، لِأَنَّ السُّخَيْرَ يَخْبِرُ عَنْ شَيْءٍ يُقَالُ لَهُ
خَادِمٌ وَالْمُسْتَدُّ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ، وَالْخَبْرُ مَحْكُومٌ بِهِ، وَكِلَاهُمَا قِصَّةٌ جُمْلِيَّةٌ.

وَالنَّقِصَةُ (مَذْحَا) عَلَى التَّخْيِيرِ. وَإِذَا جَعَلْنَا (الْحُكْمُ) بِمَعْنَى: افْدَعْ، كَانَ
(مَذْحَا) مُضَدًّا نَوَكِيْدِيٍّ مِنْ مَعْنَاهُ لَا مِنْ لَفْظِهِ. وَالتَّخْيِيرُ (أَوَّلَى) ⁽¹⁾ لِإِزَالَةِ مَا فِي
(مَا) الْمَجْزُورَةِ بِالْبَاءِ مِنَ الْإِنْهَامِ.

(وَفِيهِ): بِصَحِّحٍ أَنْ يَكُونَ يَتَعَلَّقُ بِـ (الْحُكْمُ)، وَتَعَلُّقُهُ بِـ (مَذْحَا) أَوَّلَى، وَلَا
يَكُونُ فِي مَوْضِعِ تَعَبٍ لـ (مَذْحُ)، وَإِنْ كَانَ مُجْزُورًا وَقَعَ بَعْدَ نَجْوَةٍ، لِأَنَّهُ تَعَلَّقَ
بِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ.

وَمَعْنَى (اِحْكُمُ)، أَيُّ: إِنْ أَخْبَرَكَ مُخْبِرٌ بِأَمْدَاحِهِ [فَتَقْبَلْ بِهِ، وَتَلَقَّهِ بِالْقَبُولِ،
وَمَنْ سَأَلَكَ عَنْ مَحَاسِنِ صِفَاتِهِ فَأُخْبِرْهُ... إِضَافَةُ شَرْفَيْنِ لَهُ... وَإِنْ أَخْبَرَ
وَحَكَمَ عَلَيْهِ... فَأَحْكُمُ] ⁽²⁾. وَأُخْبِرَ أَنْتَ بِمَا أُخْبِرْتَ بِهِ.

(وَدَعُ): أَمْرٌ مَتْرُوكٌ مَاضِيهِ وَمُضَدُّهُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعَرَبِ. وَجَاءَ فِي قِرَاءَةٍ:
«مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ» (الطُّحَى 3) بِالتَّخْفِيفِ ⁽³⁾؛ وَجَاءَ فِي الشُّعْرِ أَيْضًا (وَمَلِ)
لَبِثَ شُعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي غَالَهُ فِي الْخُبِّ حَتَّى وَدَعَهُ ⁽⁴⁾

(1) فِي الْأَصْلِ: «أَوَّلَى» وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ مَا أُثْبِتَ.

(2) لَحَقَ يَمِينُ الْوَرَقَةِ: 101 طُمَسَتْ بَعْضُ كَلِمَاتِهِ.

(3) يَنْظُرُ قِرَاءَاتُ الْآيَةِ فِي: رُوحِ الْمَعَانِي لِلْأَلُوسِيِّ: 198/15 - 199.

(4) يَرَوِي هَذَا الْبَيْتَ الْأَسَدُ الدُّوَلِيُّ وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ: 63 - 64، قَالَهُ ابْنُ بَرِّي فِي
التَّنْبِيهِ. مَقَايِيسُ اللُّغَةِ: 96/6، وَهُوَ فِي اللِّسَانِ: (وَدَعُ) مَنْسُوبٌ لِسُوَيْدِ بْنِ أَبِي كَاهِلٍ =

وَأَمَّا الْمُتَضَدَّرُ فَفِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الْحَدِيثِ: «فَأُحْرِقَ عَلَيْهِمْ نَبُونُهُمْ لِرُدْعِهِمُ الضَّلَاةَ»⁽¹⁾ (دَقْع) وَإِنْ كَانَ أَمْرًا بِالْمَرَكِ، لَعَلَّاهُ لَا تَطْلُرُ مَا قَالُوهُ، لَعَلَّاهُ الْمُثْقَى.

وَلَمَّا سَبَّ (الشَّوَرِيعَ) وَبَسَّتْهُ النَّفَرِينِ: وَهِيَ أَنْ يُحْكَمَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ سَبْتَيْنِ مُتَعَقِبَيْنِ فِي مَعْنَى بِحُكْمٍ بِضَادِّ الْآخَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الصِّفَاتِ الْمَذْحِجَةَ (102) // اتَّفَقَتْ فِي الْعُضْلِ وَالْكَدَالِ إِلَّا أَنَّهَا قَسَمَتْ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي حَقِّ الْمَخْلُوقَاتِ مُنَاسِبَةٌ لِأَصْدِفِهِمْ فِي الْمَذْحِجِ بِهَا، وَسَوَاءٌ كَانَتْ تُقَدِّدُ النَّحَاقَ بَحْرًا مَسْدُوحًا، وَإِلَى مَا تَكُونُ مَذْحَا فِي حَقِّ مَسْدُوحٍ، مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ مَسْدُوحٍ آخَرَ، إِلَّا لَرَى أَنَّ الصِّفَاتِ هُنَا تَنَوَّعَتْ إِلَى: مُسْتَحِيلٍ فِي حَقِّ مَسْدُوحٍ، جَالِزٍ فِي حَقِّ آخَرَ وَاسْتَحَالَتْهَا: كَالشَّرَةِ لِمَنْ تَرَاهُ عَنْ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَةِ وَلِذَلِكَ حَذَّ بَعْضُهُمُ النَّفَرِينَ بِأَنَّ قَالَ: «هُوَ يَقْدَحُ تَبَايَ بَيْنَ الْفَرَسِ مِنْ سَرَّحٍ وَاحِدٍ»⁽²⁾.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ⁽³⁾: (مَسْرُوحٌ)

الْيَشْكِرِي، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ فِي التَّهْذِيبِ: 133/3 أَمَّا لِأَسْنِ بْنِ زَيْبِ الْمَيْثِيِّ، وَمِنْ الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ: 729/2، عِيُونَ الْأَخْبَارِ: 156/3، وَحَمَامَةُ الْبَحْتَرِيِّ: 373 لِأَسْنِ بِرَوَايَةٍ: «سَلْ أَمِيرِي مَا الَّذِي غَيْرَ لِي» عَنْ وَصَالِي الْيَوْمِ حَتَّى وَدَعَهُ، وَفِي الْخَزَائِفِ: 471/6 لَهُ وَلَعِيدُ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ، وَفِي شَرْحِ شَافِيَةِ ابْنِ الْحَاجِبِ: 131/1 رَوَايَةٌ: «سَلْ أَمِيرِي مَا الَّذِي غَيْرَهُ» عَنْ وَصَالِي الْيَوْمِ حَتَّى وَدَعَهُ، إِنْحَافٌ ذَوِي الْأَرْبِ: 168.

(1) الْبُخَارِيُّ: 36/5 - 37، مُسْلِمٌ: 452/1، النَّسَائِيُّ: 107/2، ابْنُ مَاجَهَ: 259/1، أَبُو دَاوُدَ: 16/1، الدَّارِمِيُّ: 292/1، الْمُوْطَأُ: 266، الْبَغْوِيُّ: 344/3.

(2) الْإِبْرَاضُ: 505.

(3) هُوَ أَبُو الْفَرَجِ الْوَأَوَاءُ الْغَسَّانِيُّ الدَّمَشْقِيُّ، شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ، مِنْ نَدَمَاءِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ، (نَحْوُ 336هـ)، تَرَجَمَتْهُ فِي: (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ: 405/3، وَفَاتُ الْوَفَيَاتِ: 240/3، الْأَعْلَامُ: 204/6، مُقَدِّمَةُ دِيَوَانِهِ: 9)، وَالْبَيْتَانِ فِي الدِّيَوَانِ: 222، وَفِي خَاصِ الْخَاصِ: 151 «بَيْنَ شَيْئَيْنِ» وَ«هَامِعِ الْعَيْنِ»، نَثَرَ النِّظْمَ: 110 «دَامِعِ الْعَيْنِ»، لَطَائِفُ اللَّطَفِ: 148، رِسَائِلُ الثَّعَالِبِيِّ: 93، أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ: 126، الْإِعْجَازُ وَالْإِيحَارُ: 220 «بَاكِيِ الْعَيْنِ»، الْمَرْقُصَاتُ: 56، نَهَايَةُ الْأَرْبِ: 218/3، أَنْوَارُ الرَّبِيعِ: 4/4، 620، الْوَافِي بِالرِّفَايَاتِ: 243/3 «بَيْنَ اثْنَيْنِ»، التَّلْخِصُ: 363.

من قاس جندوك بالعمام فما
أنت إذا جُدَّتْ ضاحكُ أبدأ
انصف في الحكم بين شكلين
وهو إذا جاد دأبع العين
وقد يأتي الجمع والتفريق كما قال البحتري: (طويل)

ولما التفتنا والتقى موعد لنا
لمن لؤلؤ تحلوه عند ابتسامها
لعجب رائي الدر من لافطة⁽¹⁾
ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطة
وقال مروان بن أبي حفصة: (طويل)

لست بمائة علينا قانقلا
أيوم نذاه القمر، أم يوم نأسيه؟
فما نحن ندرى أي نسيه أفضل⁽²⁾
وما منهنما إلا أغر محجل
وقال الفخر عيسى⁽³⁾: (طويل)

تشابه ذمنا غداة فراقنا
لرجلتها تكسر المدام حمرة
مشابهة في قبضة دون قضني
ودمعي بكسر حمرة لؤلؤ اختني
وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَتَوَفَّ الْأَنْفُسَ مِنْ مَوْنَهَا وَالَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي
مَوْنَهَا فَمِنْكُمْ الْيَوْمَ الْقِيَامُ عَلَيْهَا الْمَوْتُ وَزِيلَ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (4) التيسر: 142، جمع النفس في حكم
شوقي، لم يرق من جهتي التوفي في الحكم بالإمساك والإرسال، أي: الله

(1) الديوان: 1230/2 «رائي الدر حسناً ولاقطه»، أخبار البحتري: 122، وزهر
الأدب: 52/1 «اللولي»، الموازنة: 108/2، ديوان المعاني: 238/2: «تبين رامي
الدر من لؤلؤ»، المعارف: 53 «نسيه»، نهاية الأرب: 1/2 «اللمنا
التفتنا»، المعاهد: 4/3 «النوى»، وفي: الموازنة: 109/2، أحسن ما سمعت:
113، أمالي المرتضى: 158/2 «تحنه عند ابتسامها»، والنقا: القطعة من الرمل،
وهي هنا موضع.

(2) سبق تخريجهما: ص 151.

(3) الفخر عيسى: هو علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، منشئ، مترسل وشاعر.
(ت 692هـ). ترجمته في: (فوات الوفيات: 57/3، الأعلام: 318/4). والبيتان
في: التذكرة الفخرية: 136، المعاهد: 4/3.

نم في النفس التي تُفَضَّر، والنفس التي لم تُفَضَّر، فليسك الأولى ويُرسل
الأخرى.

والفريق في السبت الذي أوردته الناطم أن صفات السدح كلها تامة كُلتها
في ثلثها مدحا، لكن منها ما يحكى لجنس الإنسان كالبؤنة، ومنها ما يستحيل
علا للإنسان وغيره كالنبوة التي ادعت النصارى لعيسى عليه السلام، واليهود الغزاري.

وفي البيت التحذير في بعض الصفات، والتخصيص على بعضها، كما
في قول الشاعر في أغصان تمايلت: (كامل)

حارث عقول الناس في إلهامها السكرها أم سُكرها تناوذاً⁽¹⁾
فيقول أرباب البطالة: تلتني، ويقول أرباب الحقيقة: تسجد
فالقولار متصادان، وحكم يحول منهنسا بحكم، لأن أرباب البطالة
والأرباب الحقيقة ثلثهم إثنان فتناوب القريظان في نسبة الملكية أو
الاستحقاقية، وإن اختلفت الجهتان من وجه آخر.

وفي البيت أيضاً «الاستنباط»⁽²⁾: «وهو أن يتبع المثلج بفتح آخر،
1103// فلا أتبع المتكلم وضماً بوصف آخر إما مدحاً، أو ذمّاً، فهو
استنباط» قال المتنبي: (طويل)

(1) البيتان لأبي زيد الغزاري في: نفح العنبر: 122/4 قال: «قال أبو البركات القميحي
أنشدنا أبو العباس ابن مكنون وقد رأى امتزاز الشار وتمايلها مرتجلاً... قال: قال
ابن رشيد: غلط المذكور في نسبة البيت لابن مكنون وإنما هما لأبي زيد الغزاري من
قصيدة أولها.

نعم الإله بشكره تقييد فالله يشكر في النوال ويحمد
مدح إله أكلها محاجة فأسألها من حمدة ما تعهد
وعما في: روضة التعريف: 263/1 «انظر إلى الأغصان في حركاتها»، رفع
الحجب: 248/2 منسوبان لابن العريف.

(2) ينظر بحثه في: نقد الشعر: 57، العمدة: 533/1، الصنائع: 375، تحرير
التحرير: 207، ابن حجة 2/394، أنوار الريح: 723.

سَمِعْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهَيْئَتِ الدُّنْيَا بِأَنْكَ خَالِدًا⁽¹⁾
 مَذْحَجُهُ بِصَفَةِ الشَّجَاعَةِ عَلَى وَجْهِ اسْتَبْعٍ مَذْحَجُهُ بِكَوْنِهِ سَبَبًا لِصَلَاحِ الدُّنْيَا،
 حَيْثُ جَعَلَتْ قَهْنَاءَهُ يَحْلُدُهُ. وَقَالَ أَبُو بَكْرِ الْخَوَارِزْمِيُّ⁽²⁾ (تَقَامَرُ)
 سَمَحَ الْبَلِيَّةُ لَيْسَ بِمَيْكَ أَضَلُّهُ فَكَأَنَّمَا الْفَاضَةُ مِنْ عَالِهِ
 مَذْحَجُهُ بِدَلَاةِ الْمَنْطَرِ عَلَى وَجْهِ اسْتَبْعٍ السَّمَاحَةِ. وَقَالَ أَبُو الرُّومِيِّ (سَمِعَ)
 لَيْسَ كُنْهَا تَفْشَلُ جَلَّاسُهَا لِقُرْبِ مَحْشَاهَا مِنَ السُّفْسَاءِ⁽³⁾
 فَجَاهَا بِالْبَحْرِ⁽⁴⁾ ثُمَّ اسْتَبْعَ هَجْوًا آخَرَ بِالتَّقْصِيرِ.

وَوَجْهُ الاسْتَبْعِ مِنْ بَيْتِ النَّاطِمِ أَنَّهُ أَبَاحَ لِلْعَادِجِينَ أَنْ يَسْتَدْحُوا بِمَا
 أَدْنَاهُمْ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ مِنْ غَيْرِ حُجْرٍ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ أُنْعَمَ بِصَفَةِ مَذْحَجِ الْخَرَى
 وَهُوَ تَقْيِيدُ ذَلِكَ الْإِطْلَاقِ بِأَنْ أَمْرَهُمْ يَوْضَعُ مَذْحَجِ الْخَرَى وَهُوَ أَنْ يَمَذْحَجَهُ بَأَنَّهُ عَبْدٌ
 مِنْ عَبْدِ اللَّهِ، مَقْرُوتٌ، مَقْرُوتٌ رُبُّهُ عَنِ الْإِفْتِقَارِ إِلَى الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ، وَرُبَّمَا أَدْنَى
 إِلَهًا فِيهِ التَّقْيِيدُ لِمَا يَرْفَعُ فُسَادَ الْإِطْلَاقِ، فَإِنَّهُ قَالَ (أَحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَذْحَجًا
 فِيهِ وَاحْتَكُمْ) لَا أَنَّكَ تَدْعِي مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى. وَقَدْ قَدَّمَ هُنَا الْقَيْدَ دَفْعًا لِمَا
 يُنْزَعُ قَبْلَ إِبْرَادِهِ أَنْ لَوْ قَدَّمَ الْمُظَلِّقُ، وَهُوَ مِنَ السَّرِّ الدَّقِيقِ، تَقْدِيمَ دَفْعِ مَا
 عَسَى أَنْ يُنْزَعُ مِنْهُمَا بَقْعٌ، كَمَا بَأْتِي نَعْدَ وَقُوعِ مَا يُوهَمُهُ، فَيَرْفَعُهُ كَمَا يَرْفَعُ
 الْاسْتِثْنَاءُ مَا يُعْطِيهِ عُمُومُ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ أَنْ لَوْ لَمْ يَرِدِ الْاسْتِثْنَاءُ.

(1) الديوان: 277/2.

(2) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي لغوي ونسابة وشاعر مشهور، عاصم
 صاحب بن عباد. (ت 383هـ). ترجمته في: البتيمة: 4/194، وفيات الأعيان: 4/
 400، الأعلام: 52/7، والبيت في: الديوان: 1/161، العمدة: 1/635 «لفظه»،
 المنزعة البديع: 469 «ليس»، المعاهد: 3/91 و133 «ليس يمسك لفظه».

(3) الديوان: 3/1193 «مفساها من المحشا»، التبيان: 310 «محشاها من المفسا»،
 عقود الجمان: 2/129.

(4) البحر: تغير رائحة الفم، وقيل: نثر الفم وغيره. ل/بحر.

وفي البَيِّنَاتِ ثَجِييْسَانِ مِنْ تَوَعِيْنٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْجَنَاسِ : فَإِنَّهُ جَنَسَ بِفِعْلِ أَمْرٍ وَمَصَارِفٍ، وَبَيِّنَ أَمْرًا بِـ (دَعِ مَا أَدْعُهُ) هُوَ الْأَوَّلُ. وَ(أَحْكَمْ وَاحْتَكَمْ) هُوَ الثَّانِي

فصل في إقامة أدلة المسلمين على فرق النصارى - لعنهم الله - في ما به كفروا في شأن عيسى. مع ألهم - لعنهم الله - لا علم لهم بحقيقته، ولا علمهم فيه ذللاً، وإنما أخذوا دينهم الفاسد عنمن لا يؤمن به، وبسوءه على الكاذب، ومما صاب. وأقرب لا تصح، ولذلك سماهم الله **يَهُودَ** **وَنَصَارَى** (الفتاحة: 17).

من دغاويهم الكاذبة وهم فرق: منهم من قال: ما أخبر الله به عنهم أنه قالوا: **«الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ»** (البقرة: 130)، وكما قال عنهم في قوله سبحانه: **«وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا»** (البقرة: 116). ومنهم من قال: إن المسيح هو الله. وقد حكاها الله سبحانه عنهم في قوله: **«لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»** (المائدة: 172). ومنهم من قال بالتثليث كما قال تعالى: **«لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ»** (المائدة: 171). تعالى الله عن مرتبتهم علواً كبيراً. وقد سطلنا القول في «الشرح الكبير» على إطلال أقوالهم سطلاً قليلاً.



وَأَنْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتُ مِنْ شَرَفٍ وَأَنْسَبَ إِلَى قُدْرِهِ مَا شِئْتُ مِنْ عَظَمٍ⁽¹⁾

هذا البيت في معنى التكرير، إذ مُقتضاه مُقتضى البيت الأول، لأن من أمر
 بالبحكم ويحكم بما شاء من مدحه ^{في} شوق له أن ينسب إلى ذاته وقدره ما
 كان. لكنه من التكرير المحمود، إذ فيه معنى لم يكن في الذي قبله، [104]
 وهذه تضمير المكرر معنى (الدا حسن التكرير؛ وذلك أن هذا البيت الذي
 جاء هنا، فيه تبيين للمدح على أنه وإن أطلق إليه في المدح أن يحكم ويحكم
 ما كان عارفاً بما ينسب للذات وما ينسب للقدر، ويحتاج أن يفيد أيضاً هذا
 الإحلاف بما في البيت الذي قبله، لأنه يريد: فلما يلزم أن ينسب إليه [أخذ ما]⁽²⁾
 من أن ينسب إليه ما يكون به أيضاً قائماً على طريق الصواب. فإرادة تقييده
 واضحة، لكن استغنى عن تكرير التثيد لأنه لما جاء بالبيت عقب الذي قبله كان
 في معنى قول القائل: فإذا احتببت ما نهيتك عنه فإن ما شئت من صفات الشرف
 لهنه، وما شئت من صفات العظمة بقدره. وهو أيضاً تكرير مع البيت المتقدم
 قبل، وهو: (افاق النبئين في خلق وفي خلق)⁽³⁾، لأن من فافهم في الخلق
 الخلق حصل له شرف الذات وعظم القدر، لكن خصوصاً جُملياً. وهذا هنا تبيين
 أن يأتي بذلك إثباتاً تفصيلياً، كما فعل عياض⁽⁴⁾ في «الشفاء». ولولا أنه أطلق
 هنا وقال: (ما شئت) لزم أن مدحه لا يكون إلا بصفتي توفيقية، فلما أطلق
 له، كأنه يقول: فإن كان ما يقتضي كمالاً غير مشترك بما يافضة

(1) الديوان: 193.

(2) عبارة طمس وسطها، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) الديوان: 193.

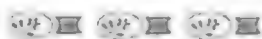
(4) ينظر: كتاب «الشفاء» للقاضي عياض.

وفي البيت: (الأكثفاء): وهو أن تحذف من الأوائل لدلالة الأواخر،
 ومن الأواخر لدلالة الأوائل. فحذف هنا ما نهاء عثة في البيت قبله اكثفاء
 ينهيه المتقدم. كما أنه أحمل في (ها) من قوله: (ما شئت) في البيت المتقدم،
 وفُضِّلَ هنا في (ها) التي ذكرَ أيضاً، وبهذا كُلُّه حُسْنُ التَّكْوِيرِ.

وفي البيت: (التفسير): وهو أن يستوفي الشاعر شرح ما أتى به مجملاً،
 وفل ما يأتي ذلك إلا في بيتين. كما فعل الشاطم هنا، فإنه استوفى في البيت
 الثاني ما أتى به مجملاً في البيت الأول.

وفي البيت: (المقابلة): فإنه قابل بجملة العجز جملة الصدر.

[... وتحملة جعل الشرف مما يُنسب إلى الذات، و(العظم) مما يُنسب
 إلى القدر، فيكون (الشرف) مما يُنسب إلى الذات، جساً كمحاسن البدن،
 ومعنى كصفات الكمال المطبوعة الذات عليها، من الكرم، والشجاعة،
 الفصاحة، والآداب الفرعية، وأعضم المعزية، التي تُنسب له من الحلالة...
 إلهاً، ونضرة بالزُّعب، وما حُصِرَ به من مكانة... في ثل... وغلوا مجدداً"]



فإن فضل رسول الله ليس له حدٌ فيغرب عنه ناطق بفهم⁽¹⁾

شرح: جاء الناطق بـ (الفاء) و(إن) للتغليل، كأنه يقول: وإنما أبحث لك أن أشت ما شئت من شرف لذاته، وما شئت من عظم لبقدره، فإنك وإن ألغت في نسبتك لا تصل إلا بغض البعض من شرفه، وتغض البعض من عظمه، إذ لا حد لفضله، إذ لا يستطيع أحد أن يفي بما قام بذاته من شرف، ولا بما قام بقدره من عظم.

وجاء الناطق بقوله (ليس له حدٌ) مبالغة في التعبير عن الأفضلية ومعنى فظماً أن عبارته هذه أبلغ مما نرى قال: إنه الفصل البشر، لأن في قولك الفصل البشر، يشعر بالمشاركة، إذ (افعل) إنما يأتي غالباً في الجنس المشترك، وقد قدم أن جواهر الجنس فيه غير منقسم، وإذا كان غير منقسم فلا اشتراك، لكن للحاجة هنا منها ما شورك فيها، لكن لا يساوي حظه أحد. (1051) ومن لحاحه ما ليس لأحد فيها شراكة، فكان قول الناطق: (ليس له حدٌ) أبلغ والمراد بـ (الحد) الطرف والغاية. والمراد به: إن فضله لا يدخل حصراً تحت فهم أحد من الخلق، والذي تقع فيه المشاركة الأحوال البشرية، فإنه يجوز عليه ما يجوز على البشر مع أنه أفضل الخلق في حضور تلك الأحوال عنه فإن قلت: وكيف يكون الطرف الذي كنى عنه بالحد؟

قلت: من الطرف عن الشيء في الشخصيات يكون على وجهين: لا حد له لكثيره أو لا حد له لاجتماع طرفيه في الأشكال المستديرة، لأنك لو فرضت حلقة مستديرة فبذلك لا تجد لها طرفاً، فإن لخطوط الدوائر لا تدرك لها

طرفاً لا لتعام طرفي الخط. فالمستدير ولو لم يكن له طرف، فإنه مُتناوٍ،
 ويُدرك لثاهيه، ولو لم يُوَفَّتْ على طرف منه، لكن كميته معقولة الشاهي حساً
 وعقلية. وأما المقروص على هيئة الاستطالة وهو ما لا يُدرك الشأئيل طرفه
 لثخنته وهو الذي أراد الناطم، فكانه ينزل. فضل رسول الله ﷺ لكثرتة لا
 يستطيع عقل أن يحضرة وما لا تحيط به العقول كيف يعرب الناطم عن مقدار
 كميته. إذ لا يحصر اللسان بالإغراب عنه إلا ما يُحيط به العقل في بواعه، إذ
 اللسان تُرْجَمَانُ القلب.

ويصح في ناء (يغرب) النصب بإسما (أن) بعد الفاء الواقعة بعد
 النسي. ويصح فيها الرفع والأول أوجه. وقوله: (بفهم)، جلبة تركيداً، من
 لحظ المستحسن، إذ يعلم أن النطق لا يكون إلا بالفهم، كقولك: يطير
 حناجيه. (والإغراب) هنا يعني السيل، من قوله ﷺ: (والفَيْبُ تعرب عن
 نفسها⁽¹⁾). والعامل في التجويز (يغرب)، والأحسن تعلُّقه بـ (ناطق)
 ليخص صفة النطق باللسان، إلا أن تجعل (النطق) عبارة عن تحصيل العلوم
 بالخط، فيكون السجور: [إذ ذاك] متعلقاً⁽²⁾ بـ (يغرب).

فإن قلت: لم لم يعمم الناطم عدم استطاعة السُغَرِيِّين في حق كل شيء، فإن
 الله عليهم السلام لا يستطيع أحد من الخلق أن يغرب عن مخبره فضليهم؟
 قلت: لما كان قصد الناطم بيان صفات ممدوحه، ورأى أن ما هو يُخبر
 عنه من أول إحصاءه، إنما هو علمه ﷺ، أفردة بالذکر. والبيان الله كلهم عليهم
 السلام وإن تفاوتت درجاتهم في التفصيل لا يحصر فضليهم عمل، ولا يحيط
 بالإغراب عنه لسان.

وهي البيت المذهب الكلامي (106) // وهو أن يورد السليح حجة على ما

(1) ابن ماجه: 1/ 602، أحمد: 4/ 162. تعرب: تظهر وتكشف عن نفسها.

(2) هي الأصل «متعلقاً»

سجد عليه على طريقة المتكلمين⁽¹⁾. قال تعالى: «قَالَ مَنْ يُغْنِي عَنْكَ الْعِظَمُ وَهِيَ رَمِيَتْ إِلَى قَوْلِهِ «عَلِيمٌ» (س: 78، 179). أَلْحَقْنَهُمْ بِدِيلِي الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ. وَقَالَ بِمَنْزِلَةِ مَا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ. لَوْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّ خِيَلًا تُظَلِّغُ عَلَيْكُمْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ⁽²⁾. وَلَمَّا أَفْرُوا بِصَدَقَةِ النَّذِيرِ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَزِمُ السَّفِيهَةَ لَمَّا قَالَتِ الْأَنْصَارُ: «مَنْ أَمِيرٌ وَمَنْكُمْ أَمِيرٌ». «فَلَا اخْتِجَحْنُمْ عَلَيْهِمْ بِرُوصِيهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» «بِأَن تَخْسِنَ إِلَى مُخْسِنِهِمْ وَتَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ، لَوْ كَانَتْ إِمَارَةُ بِهِمْ لَمْ تَكُنْ التَّوَصِيَةُ فِيهِمْ»⁽³⁾. وَهُوَ تَرَعٌ عِنْدَ أَزَبِ عِلْمِ الْبَيَانِ بِدِيْعٍ قَالَ الْوَلِيدُ⁽⁴⁾ لَا إِلَهَ إِلَّا أَقْرَبُ⁽⁵⁾ «أَتَشْكِي قَوْلَكَ فِي الْحَمْرِ، فَأَنْشُدْ» (طبري) تَمَيَّتْ إِذَا مَخْتَةً فِي الْكَأْسِ وَرَدُّهَا لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبٌ⁽⁶⁾

(1) الإيضاح: 516.

(2) البخاري: 34/18، مسلم: 193/1، السنن الكبرى: 7/9.

(3) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: 417/2.

(4) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم يكنى أبا العباس ولقب بالبطيخ وخليع بني مروان. ترجمته في: (فوات الوفيات: 256، الوزراء والكتاب: 68، الخزانة: 328/1).

(5) هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب، شاعر فانتك صعلوك. ترجمته في: (الأغاني: 158/13 - 173).

(6) البيتان للأقشیر الأسدي في: شعر بني أسد: 165. برواية:

تريك القذى من دونها وهي دوته لوجه أخبها في الإناء قطوب
كميت إذا فضت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيب
ونب لابين الأقرب في الأغاني: 55/7 برواية: «شجت»، «تريك القذى من دونها وهي دونه». وفي: 171/13 والأول بعد الثاني برواية:
تعر وتستحلي على ذاك شربها لوجه أخبها في الإناء قطوب
كميت إذا صبت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيب
وفي الأغاني: 269/11 مسويان للأقشیر الأسدي «قصت». وفي المحب والسحب: 153/4 مسويان للأقشیر القبي مطامع الدور: 139/1 «تريك القذى من دنها». حلية الكميت: 16 «تريك الندى من دنها». أنوار الربيع: 360/4 =

لربك الذي من دليها وهي دولة نوحه أحبها في الإثاء قُطوب
 قال الوليد: شربتها وزب الكعبة، فقال ابن الأقرع: لئن كان وضي لها
 كنت لقد ربي معرفتك بها^(١)، والناظم لما قال: (فإن فضل رسول الله
 ليس له حد)، وإذا كان ذلك فكيف يُعرب عن ما لا حد له؟
 (وبه أيضاً) (مراجعة النظر)، لجمعه بين المتناهين: ذاته وقدره،
 وبين صفتيهما وهما: (الشرف والعظم).

(ارسلوا الله) في كلامه الناظم كان عمر على عهد الله، وابن عباس
 على عهد الله، فيكون قوله: (فإن فضل رسول الله) كقولك: (فإن فضل
 أحمد)، فكان إضافة (فضل) لما هي تعلم فتكون إضافة تحريفة، وإن أريد
 رسول الله بسمة كلية، كان فيه تنازع الإضافة، وتنازع الإضافات إن كثر ليس
 بذلك عند الشعراء ولا عند أرباب علم البيان، لكل استحقوا إضافتين، قال الله
 تعالى: ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَلَيْهِمْ وَكُنَّا بَرًّا﴾^(٢)، أميم ١٢، وقد استحقوا ما زاد
 على إضافتين إذا كانت المتضافات مفعولة يُعرب المضاف بمخضع أجزاء
 المضافات إليها، كقول الشاعر: (طويل)

خَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَعِي^(٣)

(إضافات الآية نصيحة بديعة، لأن الذكر والرُحمة والإضافة للرب، كل
 ذلك يُفيد معنى بليغاً، وليس في قول الناظم هذا المعنى الكافي إلا إضافتان لا
 غير، وعلى الغلبة إضافة واجدة.

= شمس إذا شجت لدى الماء مرة.

(١) القصة في الأغاني: 55/7 و 269/11 و 171/13، المحب والمحبوب: 135/4.

(٢) البيت لابن بابك الشاعر المشهور، وتماهه: «فأنت بمرأى من سعاد ومسبح» وهو
 في: الطراز: 58/3، التلخيص: 32، المعاهد: 59/1، تزيين الأسواق: 98،
 الجرعاء: الرملة الطيبة المنبت لا وعوة فيها. حومة القتال: معظمه، الجندل:
 الحجارة. السجع: هدير الحمام.

لَوْ نَاسَبَتْ قُدْرُهُ آيَاتُهُ عَظَمًا أَضَى اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسُ الرَّمَمِ⁽¹⁾

شرح: هذا البيت جليلة النظم تنميماً لما قدم من أن فضيلة **دارس** ليس له مدح ومقصد الشظم أن يُخبر أن ما أوتي النبي **ﷺ** من المعجزات - مع شرفها - أنها جارية لإظهار صدقه في ما ادّعاء من نبوته **ﷺ**. وقد وردت من قوة للعادة متعددة، ألهاها بعضهم إلى ألف معجزة، ولم يَف بها **ﷺ** لكن لم جاءت مناسبة لقدره لافتضى قدره أن يقع خرق العادات، بأعظم مما وقع. حتى إنه لو ذُكر اسمُه على العظام النجزة لَحَيَّتْ.

فَ (الآيَات) الَّتِي أَرَادَ هُنَا: الْمُعْجَزَات.

و(الدارس) و(الدائر) - المُتَسَحِّلُ الرَّمَمِ، من قولهم: دَرَسْتُ الدَّائِرَ إِذَا حَنَنَ.

و(رَمَ) الْحَبْلَ إِذَا عَفَنَ، وَبَلَّغَ شَيْءٌ ذُو الرَّمَمَةِ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: «مَنْ يُحْيِ الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمَةٌ» إيس 178 - وفيه رواية (دارس الأُمَم)، و(دارس الرَّمَمِ) أَشْهُرُ.

والمُعْجِزَةُ، هِيَ شَاهِدٌ مُدَّعِي النُّبُوَّةِ، وَهِيَ مَاخُودَةٌ مِنَ الْإِعْجَارِ، وَهِيَ مُضَادُّ الْعَجْزِ يُعْجِزُ بِإِعْجَازٍ، وَاسْمُ الْفَاعِلِ مِنْهُ مُعْجِزٌ، وَهِيَ عِبَارَةٌ جَارِيَةٌ عَلَى الشُّوْعِ وَالتَّحْوِزِ، فَإِنَّ فَاعِلَ الْمُعْجِزَةِ هُوَ الْمُعْجِزُ، وَالْمُعْجِزَةُ غَيْرُ فَاعِلَةٍ لِلْعَجْزِ. وَالسُّعْيُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْخَالِقَ سَنَحَانَهُ يَمْنَعُ الْخَلْقَ عَنْ مُعَارَضَتِهَا، كَمَا يَمْنَعُ عَلَيْهِمْ كَسْبُ الْأَفْعَالِ عِنْدَ قِيَامِ الْعَجْرِ بِهِمْ. وَتُسَمَّى الْقَاصِرِينَ عَنِ السُّعَارِصَةِ

(1) الديوان: 193.

(2) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان: 263 / 1، ومعتزك الأقران: 3 / 1.

عَجْرَةٌ شَجَارٌ أَحْرٌ. لأن العاجر من قام به العجز وكان شجاراً للتعجل الذي كان
العجز عجزاً عنه. ولو كان الاسم جارياً عليه حقيقة، وتسمية من افتتح عليه
المعل عاجر حقيقة، تكالت السجزة قد فعلت فيه عجزاً كان به عاجراً،
وكانت المعارضة قائمة به. وهو عاجز عنها، لأن من ضرورة العجز مقارنة
بالمعل المستحور عنه. ولما كان الأمر بخلاف ذلك، علم منه صحة ما بيناه.
وهو أن السعجز على الحقيقة هو فاعل العجز، وهو الله تعالى، وأن إطلاق
العجز على انتفاء القدرة مجازاً. وللمعجزة شروط ستة^(١):

أَنْ تَكُونَ فَعْلُ اللَّهِ تَعَالَى. أَوْ مَا يَسْتَوِلْ سَوَلَةُ الْفِعْلِ. إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ
صِفَةً قَدِيمَةً. لِأَنَّ مِنْ شَرِطِهَا أَنْ تَكُونَ مُحْتَظَةً بِشَايِعِي السَّوَاءِ. فَإِنَّهَا إِنْ لَمْ
يَكُنْ لَمْ تَكُنْ مُعْجِزَةً لَهُ. فَأَوَّلَى مِنْ غَيْرِهِ. وَيَسْتَوِي فِيهَا الضَّادُ وَالْكَادُ.
وَالْأَوَّلُ أَحْصَاءُ الطَّبَقَةِ الْقَدِيمَةِ بِوَاحِدٍ عَلَى التَّعْيِيرِ تَعْيِيرُ أَنْ الشَّعْخِرَةَ فَعْلُ
يَهْدُ عَلَى ذَلِكَ

والشرط الثاني أن تكون حارقة للعادة، ومحال أن تنحرف العادة
بالقديم. وكل ما يقع للعند اكتساباً إذا لم يكن بكل معتاداً، ووقع حارقاً للعادة،
فهو معجزة إذا تكاملت شروطه، كالنسي على الماء، والصفود على الهواء،
وبسبب ذلك، لأن شحذ تلك الأفعال هو الله تعالى. ولا خلاف أن القدرة
على هذه الأفعال معجزة، إذ هي من فعل الله وليست من مخلوقات البشر.
وقد تكون المعجزة ابتداءً، فعل، كما لو قال نبي في زمن تجويز وجود النبوة:
المعجزني! أن أمسح أفل هذا الإقليم القيام. فإن قيل: (108) // الصفود
معتاد، والمعجز حارق للعادة؟ قلنا: الصفود مع امتناع محاولة القيام من قوم
سحب عليهم الشواظ على مثله معجزة، لأنه حارق للعادة.

(١) ينظر: شرح المقاصد: ١١/٤ - ١٥، الموافق في علم الكلام: ٣٣٩ - ٣٤٠.

(2) في الأصل: "معجزة" ولعل الأنسب ما اقتناه.

الشَّرْطُ الثَّلَاثُ: أَنْ يَتَحَدَّى النَّبِيُّ بِالْمُعْجِزَةِ، وَيَتَّعِ عَلَى وَفْقِ دَعْوَاهُ؛
وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ: رَلْطُ الدَّعْوَى بِالْمُعْجِزَةِ، فَإِنْ وَقَعَتْ لَمْ يَكُنْ مُوَافِقَةً لِدَعْوَاهُ لَمْ
تَذَلْ.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: أَنْ تَقَعُ مُقْتَرِنَةً بِالتَّحْدِي. لِأَنَّ وَصْفَ دَلَالَتِهَا عَلَى الصَّدَقِ
لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْاِقْتِرَانِ بِالتَّحْدِي.

الشَّرْطُ الْخَامِسُ: أَنْ تَكُونَ سَالِمَةً مِنَ الْمُعَارَضَةِ.

الشَّرْطُ السَّادِسُ: أَنْ تَكُونَ فِي زَمَنِ نَصْحٍ فِيهِ النُّبُوَّةُ. وَأَمَّا بَعْدَ خُتْمِ
النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ بِسَيِّئَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَا وَزَادَ بَعْضُهُمْ أَنْ لَا تَظْهَرُ عَلَى أَيْدِي
الْمُخَلَّاتِينَ، كَمَا يَأْتِي مِنَ الدُّجَانِ وَغَيْرِهِ، الَّذِي تُحْرِقُ لَهُ عَادَاتُ، لَكِنْ لَا يَدْعِي
شَيْئًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَدْعِهَا مَا خَرِقَتْ لَهُ عَادَةُ، لَكِنَّهُ يَدْعِي الرُّبُوبِيَّةَ وَصِدْقَهُ قَائِمَةً بِهِ
تَذَلُّ عَلَى تَكْذِيبِهِ.

وَإِذَا نَفَرُوا لَكَ هَذَا الطَّرْفُ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْمُعْجِزَةِ عَلَى سَبِيلِ الْاِحْتِصَارِ،
وَلَمْ يَظْهَرْ لِسَيِّئَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُعْجِزَاتٌ، وَتَبَيَّنَ صِدْقُهُ بِعَدَمِ مُعَارَضَةِ أَحَدٍ مُعْجِزَةٍ مِنَ
مُعْجِزَاتِهِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ النَّفْلُ الْمُتَوَاتِرُ. وَإِذَا ثَبَتَ الْمُعْجِزَةُ، وَتَبَيَّنَ صِدْقُ مَنْ يَدْعِي
النُّبُوَّةَ، جَارَ لَهُ أَنْ يَدْعِي مَا هُوَ مُقَدَّرٌ عِنْدَهُ، وَصِدْقُ فِي كُلِّ مَا يَدْعِيهِ؛ كَمَا لَمْ
قَالَ أَلَا أَكْرِمُ الْأَنْبِيَاءَ عَلَى اللَّهِ، لَصِدْقٍ، إِذْ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ الْمُعْجِزَةُ بِالصَّدَقِ
فَمَا أَحْبَبْنَا شَيْئًا مِنْهُ بَعْدَ ظُهُورِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ مُعْجِزَاتِهِ
بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرٌ»⁽¹⁾؛ فَمَدْحُهُ النَّاسَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ

(1) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الْمُنَاقِبِ: 247/5، وَفِي: 245 يَلْفُظُ: «أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى
رَبِّي وَلَا فَخْرٌ». وَفِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: 270/2، ابْنُ مَاجَهَ: 1440/2، أَحْمَدُ
رَقْمَ 10564، دَلَالَةُ النُّبُوَّةِ لِأَبِي تَعِيمٍ: 64/1، الْفَرَدُوسُ لِلدَّيْلَمِيِّ: 43/1، وَالشَّافِعِيُّ:
325/2، الْمُسْتَدْرَكُ: 124/3، إِيْتِخَافُ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ: 36/2 يَلْفُظُ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ
آدَمَ وَعَلِيِّ سَيِّدِ الْعَرَبِ». الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ: 95/3، كَنْزُ الْعَمَالِ رَقْمَ: 33006
وَالْخَفَاءُ: 234/1، مَجْمَعُ الزَّوَانِدِ: 372/10.

مُعْجَزَاتُهُ مُنَاسِبَةٌ لِقُدْرِهِ لَكَانَتْ فِي خَرْقِ الْعَادَاتِ أَعْظَمَ مِمَّا وَقَعَ بِهَا؛ وَلَكَانَتْ إِذَا ذُكِرَ اسْمُهُ عَلَى عَظِيمٍ رَسِمٍ لِحَبِيٍّ بِقُدْرَةِ اللَّهِ ﷻ، وَلَكَانَتْ آيَاتُهُ أَعْظَمَ الْآيَاتِ. وَإِتْيَادُ النَّاسِ بِمَدْحِ عَقِبِ مَدْحِ يُقَالُ لَهُ: ((الاسْتِبَاحُ))، وَقَدْ قَدَّمْنَا حَقِيقَتَهُ قُلْ^(١).

فَإِنْ قُلْتَ - فَلَوْ وَقَعَتْ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ لِلنَّبِيِّ آيَةٌ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ مَا تَحْدَى بِهِ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيََاءِ اللَّهِ ﷻ، هَلْ يَدُلُّ كَوْنُ آيَةِ أَكْبَرُ الْآيَاتِ أَنْ يَكُونَ هُوَ أَكْبَرُ الْأَنْبِيََاءِ؟

قُلْتُ: أَمَّا عَظِيمُ الْآيَاتِ، فَيُخَوِّزُ الْعَقْلَ أَنْ تَفْعَ عَلَى يَدَيْ كُلِّ نَبِيٍّ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِ النَّبِيِّ، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيََاءِ، إِخْبَارُهُ - تَعْدُّ ثَبُوتَ صِدْقِهِ - أَنَّهُ أَكْبَرُهُمْ، كَمَا قَالَ عَنَّا عَنْ نَفْسِهِ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرًا»^(٢). فَعَلَى هَذَا فَلَا دَلَالَةَ عَلَى كَوْنِ الْمُعْجِزَةِ الْمُضَادَّةِ عَنْ نَبِيٍّ - إِذَا قَافَتْ مُعْجِزَاتُ سَائِرِ الْأَنْبِيََاءِ - دَالَّةً عَلَى كَوْنِهِ أَفْضَلَ مِنْ آدَمَ، وَكَذَا أَيْضاً يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ كُلُّ مُعْجِزَةٍ أَمَّا [بِهَا]^(٣) نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيََاءِ لَيْسَتْ مُنَاسِبَةً لِقُدْرِهِ، أَيْ نَبِيٍّ كَانَ، فَهُوَ مَدْحٌ مُتَحَقِّقٌ الْمَقْصِدِ بَيْنَ الْمَعْنَى، لَكِنْ عَلَى مَا قَرَرْنَاهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَذَا كُلُّهُ يَصِحُّ مَعَ سَائِرِ الْآيَاتِ، وَكَيْفَ يَتَضَخُّ كَلَامُ النَّاسِ مِنْ قَوْلِهِ: (لَوْ تَنَاسَبَتْ قُدْرَةُ آيَاتِهِ عَظَمًا)^(٤) الْبَيِّنُ، وَمِنْ آيَاتِهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، [109]// وَهُوَ أَخَذَ الْإِشْكَالَ الَّذِي يُورِدُهُ النَّاسُ هُنَا، إِذْ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ مِنْ مُعْجِزَاتِ مُحَمَّدٍ، وَالْبُوصَيْرِيُّ جَعَلَ قُدْرَةَ اللَّهِ ﷻ أَكْبَرُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، فَيَكُونُ قُدْرَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَكَيْفَ وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَصِفَتُهُ قَدِيمَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، قَائِمٌ بِنَفْسِهِ؟

(١) ينظر بحثه في ص 260.

(٢) بطر: البحاري: 133/14، مسلم: 1828/5، أحمد: 80/4، الشافعي: 200/1.

(٣) في الأصل: «أني به» ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) الديوان: 123.

وَالْجَوَابُ عَنْهُ بَيْنَ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: إِنَّ مَعْنَى مُعْجَزَاتِهِ، أُعْجِي قَوْلُهُ: (لَمْ نَسْبِثْ قُدْرَةَ آيَاتِهِ)^(١)، يَعْنِي آيَاتِهِ الَّتِي يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى اكْتِسَابِهَا، وَإِنْ كَانَ اخْتِرَاعُهَا مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ جَنْسٍ مَا لَا يَدْخُلُ عَادَةً فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ، فَتَحْسُلُ الْإِضَافَةُ فِي قَوْلِهِ: (آيَاتُهُ)، وَالْقُرْآنُ لَيْسَ هُوَ مِمَّا اكْتَسَبَهُ، وَإِنَّمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ، وَيَتَلَى عَلَيْهِ، وَيُدَارِسُهُ جِبْرِيلُ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَهُ إِيَّاهُ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْآيَاتُ الَّتِي أُجْرَاهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَلَهُ فِي إِبْرَازِهَا سَبَبٌ، كَقَوْلِهِ لِلْغُثْبِ: «مِنْ أَنَا»^(٢)، وَكَقَوْلِهِ لِلْعَصْبِيَّةِ: «مِنْ أَنَا»^(٣)، «وَاللْبَعِيرُ»^(٤)، «وَدَعَانَةُ الْأَشْجَارِ»^(٥)، «هَاتَتْ ظِلَافَتَهُ»^(٦)، وَرَمِيهِ الْحَصَى فِي وَجْهِهِ الْكُفْرَةِ قَالَ: «شَهِدَتْ الْوُجُوهَ»^(٧)، وَ«أَمَرَهُ لِعَلِّي أَنْ يَأْمُرَ الْجَذَعَ الْبَيَاسَ أَنْ يُطْعِمَهُ مِنْ ثَمَرِهِ، فَأَمَرَهُ فَأَتْبَعَ»، وَ«جَعَلَ يَدَهُ فِي فِي الْقَرْيَةِ، فَفَارَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ»^(٨)، وَ«أَمَرَهُ لِلْقَمَرِ بِالْإِنْشِقَاقِ وَالنُّشُوقِ»^(٩)، وَ«أَمَّا وَلِيُّهُ عَكَاشَةُ»^(١٠) عَوْدًا فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا

(١) الديوان: 193.

(٢) رواه أبو نعيم، 378/2، والبيهقي، 36/6 - 38، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 292/8 «رواه الطبراني في الصغير والأوسط».

(٣) ينظر الشفا: 1/274 - 275، ومجمع الزوائد: 8/293.

(٤) رواه أبو نعيم: 378/2، والبيهقي: 38/6، والحاكم في المستدرک: 2/618.

(٥) رواه مسلم، 4/2306، ابن حبان، 8/158، الحاكم، 2/617، وأبو نعيم، 2/390، وقال في مجمع الزوائد: 9/16 «رواه أحمد والحاكم ووافقه الذهبي» ابن أبي شيبة رقم 11085.

(٦) أخرجه مسلم في غزوة حنين: 3/1402، ابن حبان، 8/158، الحاكم، 3/38، الشفا: 1/291، الحداثق: 1/216، مجمع الزوائد: 8/228، وقال: رواه أحمد بإسنادين. كنز العمال 10/388. وقال المغوي في شرح السنة. رواه الطبراني عن شيبة بن عثمان وعن حكيم بن حزام، وأنه قاله يوم بدر، ورواه الحاكم عن ابن عباس، وأنه قاله لقريش بمكة.

(٧) رواه البخاري في المناقب: 14/150 - 153، ومسلم: 4/1783 و4/2279 و4/2307، والترمذي: 5/256 - 257، الموطأ: 45، الشفا: 1/259.

(٨) رواه البخاري: 6/178، مسلم: 2/280 و4/2158، أحمد: 3/124، الترمذي: 5/72 - 73، الحداثق: 1/209.

(٩) هو عكاشة بن محصن الأسدي حليف قريش، من السابقين الأولين البدرين، استعمله

يُقَاتِلُ بِهِ^(١١) «وَرَدَهُ عَيْنُ قَتَادَةَ^(١٢) فَعَادَتْ أَحْمَلُ مَا كَانَتْ^(١٣)، وَ«مُسْجِهَ السَّعْفَةِ^(١٤) فَالْبَرَقَتْ مِنْ يَدِ مَنْ كَانَتْ بِيَدِهِ^(١٥)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَعَجَزَاتِهِ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَكَانَ يَرُنُّ عَلَيْهِ فَيَقْرَأُ وَيَحْفَظُهُ بِحَفَظَةٍ، فَحَفِظَتْهُ وَحَفِظَتْهُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ هَذَا، فَأَيَّاتُهُ: الْقُرْآنُ بِهَا الْخُصْرُصُ لَا الْغُصُومُ، فِي مَا كَانَ لَهُ فِيهِ مَدْخَلٌ كَسَبِيٌّ، لَا فِي مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ كَسَبٌ، وَإِلَّا فَيَمُنْ آيَاتُهُ الْإِغْلَامُ بِالْغَيْبِ، وَالْإِغْلَامُ بِالْغَيْبِ إِنَّمَا هُوَ بِوَحْيٍ يُوحَى إِلَيْهِ فَيُخْبِرُ بِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ جِبْرِيلُ.

وَكَانَ بَعْضُ أَشْيَاخِنَا يَقُولُ: «إِنَّ الْقُرْآنَ يُظَلَّقُ وَيُرَادُ بِهِ: كَلَامُ اللَّهِ الْقَائِمُ بِدَاتِهِ، الَّذِي هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، وَيُظَلَّقُ وَيُرَادُ بِهِ: الْفَاعِلُ الْفَارِصُ الْخَارِصُ الْحَادِثُ الَّذِي وَقَعَ بِهَا إِنْجَارُ أَهْلِ الْقَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةُ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ أُتْرِلَ

= النبي ﷺ عَلَى سِرِّيةِ الْغَمْرِ، تَرْجُمَتُهُ فِي: (طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ: 64/3، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ 12/2، الْجَوْحُ وَالتَّعْدِيلُ: 39/7، الْاِسْتِيعَابُ: 112/8، تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ 338/1، الْإِصَابَةُ: 32/7، سِيرُ النَّبَلَاءِ: 307/1).

(1) الْخَيْرُ عِنْدَ ابْنِ هِشَامٍ: 637/1، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي السِّيَرَةِ: 447/2، وَأَسَدُ الْغَابَةِ: 3/564 - 565، وَمَجْمَعُ الزَّوَادِ: 304/9.

(2) هُوَ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَامِرٍ أَبُو عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ الظُّفَرِيُّ الْبَدْرِيُّ، مِنْ سَجَاءِ الصَّحَابَةِ. وَهُوَ أَخُو أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لِأُمِّهِ كَانُ مِنَ الرَّمَاةِ، (ت 23هـ) بِالْمَدِينَةِ. دَعَا لَهُ الرَّسُولُ ﷺ لَمَّا مَاتَ بِدَعَاءٍ: «اللَّهُمَّ اكْسِهْ جَمَالاً». تَرْجُمَتُهُ فِي: (طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ: 187/1، طَبَقَاتُ خَلِيفَةَ: 81 - 96، تَارِيخُ خَلِيفَةَ: 153، التَّارِيخُ الْكَبِيرُ: 7/184 - 185، الْاِسْتِصَارُ: 254 - 257، تَهْذِيبُ الْكَمَالِ: 1123، الْإِصَابَةُ: 8/138، سِيرُ النَّبَلَاءِ: 331/2).

(3) الْحَبَرُ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ: 187/1 - 188، سِرُ هِشَامٍ: 30/3، وَالسِّيَهْفِيُّ فِي الدَّلَائِلِ: 447/2، وَأَبُو نَعِيمٍ: 484/2، وَقَالَ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ: 297/8 «أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ وَابْنُ شَاهِينَ وَالطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو يَعْلَى».

(4) السَّعْفَةُ: قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الرَّأْسِ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: السَّعْفَةُ يُقَالُ لَهَا: دَاءُ الشَّعْبِ، تَوَرَّثَ الْقُرْعُ. وَالسَّعْفُ وَالسَّعَافُ: شَقَاقٌ حَوْلَ الظُّفْرِ، وَقَدْ تَسَعَّفَتْ يَدُهُ سَعْفًا وَسَفَّتْ. وَالسَّلْعُ الشَّقُّ فِي الْجِلْدِ. وَالسَّلْعُ: آثَارُ النَّارِ بِالْجَسَدِ.

(5) نَظَرُ قِصَّةِ شَرْحِ بَيْلِ الْحُفَيْفِيِّ وَسَلْعَةُ يَدِهِ فِي: دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِأَبِي نَعِيمٍ: 176/2، أَسَدُ الْغَابَةِ: 260/2، الْإِصَابَةُ: 200/3.

الستهم⁽¹⁾ وهو المعنى في كلام الناظم، لأنها الفاظ مخلوقة وقع الإعجاز بها بلاغتها، ومضاحتها، ودلالاتها على المعاني القديمة؛ فليست المعاني القديمة هي آياته عليه السلام وإنما آياته المذلول به على تلك المعاني. ولا إشكال أن قدرته عليه السلام أعظم من تلك الألفاظ الحادثة، ويكون كلامه على الغنوم. ولا يلزم عليه إشكال، والحمد لله.

وقد بحث بحواب آخر: أن يكون قوله: (لو ناسبته قدره آياته عظمت). أي: كثرة والكثير عظيم في كميته، لأن العرب ترفع التعظيم بالكثرة، وتوقعه بمعنى الجلالة، ألا ترى أن قولك: السلطان أعظم من وزيره، أي: أجل منه؛ وقولك: العبد أعظم من الدرة، أي: أكثر جواهره؛ فيكون معنى كلام الناظم: (لو ناسبته قدره آياته عظمت)، أي: لو جرت آياته في الكثرة مناسبة لقدره، لكثرت كثرة توجب أن لو ذكر اسمه (110) // ليثبت لحيي. وإذا كان المراد أحد هذه الأخوية فلا أثر للإشكال التثنية. وبذلك على ذلك أن هذا أثبت في معنى التكرير مع قوله:

فإن فضل رسول الله ليس له حد لميعرب عنه لاطق يفهم⁽²⁾
وزاد هنا مع ما تضمن من معنى البيت ما تضمنت الجملة الافتتاحية. والذي يقال هنا: الثلاث يفدوه العظيم وفخره العسيم أن يكون التوسل باسمه سلعاً لمن مقصده، حتى أن ذكره على الرسوم الدائرة والعظام الرميم النخرة لحييت، لولا أن الله سبحانه أذخر له لدار البقاء لفانس الكرامات وجلال العناية.

فإن قلت: وهل لإخفاء كثرة الآيات حكمة؟

(1) الديوان: 193.

(2) في الأصل: «كلامه» ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) الديوان: 193، سبق في: ص 265.

قُلْتُ: نَعَمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ الدَّارَ الدُّنْيَا دَارَ تَكْلِيفٍ، وَبِئْسَ
التَّكْلِيفُ أَنْ يَكُونَ مَا يَكْلَفُ بِهِ الْعَبْدُ مُغَيَّبًا؛ فَلَوْ أُجْزِيَ اللَّهُ بِهَذَا الْآيَاتِ عَلَى
سَنَةِ الْقَدْرِ الْعَظِيمِ لَاسْتَحَالَ وَجُودُ الْكَفَرِ فِي زَمَنِ وَجُودِهِ لِأَمْرَيْنِ
أَحَدُهُمَا: إِنْ الْكَافِرَ لَوْ اسْتَفَاضَتْ عَنْهُ الْآيَاتِ اسْتِفَاضَةً يُعْلَمُ مِنْهَا أَنَّ
اسْمَ مُحَمَّدٍ ﷺ آتَى لَوْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ لَحَيٍّ، اسْتَحَالَ ضِدُّورُ التَّكْلِيفِ مِنْهُ، إِذْ
لَوْ حَيٍّ بِاسْمِهِ مَيِّتٌ لِأَخْبَرِ أَهْلَ الدُّنْيَا بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ: فَكَانَ مَنْ سَمِعَ إِخْبَارَهُ
لَا يَنْصَعُهُ إِلَّا الْإِيمَانُ، وَيَكُونُ إِيْمَانُهُ عَلَى وَجْهِ الْإِلْجَاءِ.

الْأَمْرُ الثَّانِي: إِنْ الْكَافِرَ لَوْ تَمَرَّدَ بِكُفْرِهِ، وَتَعَلَّى بِطُغْيَانِهِ، وَشَدَّةِ مَكْرِهِ
وَلُكْرِهِ، لَذَكَرَ السُّؤْمُنُ اسْمَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ فَاحْتَرَقَ. وَقَدْ سَبَقَ الْقَدْرُ، وَاقْتَضَتْ
الْإِرَادَةُ الْقَدِيمَةُ، عِمَارَةَ قَارِيْنٍ، ثَمَّ دَارَ لَهَا قَوْلُهَا؛ فَاقْتَضَتْ حُكْمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
أَنْ يَكُونَ التَّكْلِيفُ بِالْأُمُورِ الْمُعَيَّنَةِ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا إِحَا لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ الْبَقَرَةُ: ١٨ الْآيَةُ. فَالْإِيْسَانُ عِنْدَ الْإِلْجَاءِ وَكُشْفِ
الْعِظَاءِ لَا يَنْفَعُ، وَلِذَلِكَ لَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ مَنْ غَرَّغَ وَاطَّلَعَ عَلَى أُمُورِ الْآخِرَةِ. فَظَهَرَ
مِنْ هَذَا كَلَمَهُ أَنَّ مَا يُنَاسِبُ قُدْرَةَ مِنَ الْآيَاتِ أَدْخَرَتْ لَهُ، لِعَسَابَاتٍ، وَغَلُّو
فَرَجَاتٍ، وَأَوَّلَ ظُهُورِهَا فِي الشَّفَاعَةِ الْعَامَّةِ، وَجِي شَفَاعَةِ الْمُؤَقَّبِ، عَلَى مَا هُوَ
مَذْكُورٌ فِي مَحَلِّهِ.

وَفِي النَّبِيِّ: (تَغْرِيفُ الْعَارِفِ) بِمَا خَفِيَ عَنْهُ مِنَ السَّعَارِفِ، وَأَكْثَرُ مَا
يُتَطَوَّرُ هَذَا النَّوعُ مَعَ الْقَضَايَا [الْمُصَدَّرَةُ] ^(١) بِ (لَوْ)، وَالتَّغْرِيفُ بِمَا مِنْ هَذَا
النَّوعِ عَلَى مَرَاتِبٍ: مِنْهَا مَا يُوقَعُ فِي قَلَمِ تَخْصِيلِ مَا عُرِفَ بِهِ الْمُخَاطَبُ - مَعَ
إِتِّكَانِ تَخْصِيلِهِ - مَعَ الْأَخْذِ فِي أَسْبَابِ الْحُطُوبِ، كَقَوْلِكَ: لَوْ وَافَقْتَ فُلَانًا
عَلَى مَا نَدَبَكَ إِلَيْهِ لَفَعَلَ مَعَكَ كَذَا، فَإِنْ هَذَا مِمَّا يُسَكِّنُ الْوُضُوءَ إِلَيْهِ بِمُوَافَقَةٍ
فُلَانٍ عَلَى تَقْلُوبِهِ مَعَكَ. وَمِنْهَا مَا يَكْسِبُ الْمُخَاطَبُ عِلْسًا بِمَا خَفِيَ عَنْهُ، وَإِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْمُسَدَّرَةُ» وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ مَا أُبَيِّنَاهُ.

لَمْ يُمْكِنْ تَحْصِيلُهُ، إِمَّا لِنَفْسِهِ لَعْدَمِ وَقُوعِهِ فِي الْحَالِ، وَإِمَّا لَغَيْرِهِ. فَالْأَوَّلُ:
كَقَوْلِكَ لِلْكَافِرِ: لَوْ آمَنْتَ بِسُحُودِ ~~بِهِ~~ لَنَجَوْتَ مِنَ النَّارِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحْصُلُ
عَاجِلًا بِإِيمَانِهِ. وَأَمَّا مَا هُوَ لَغَيْرِهِ: كَهَذَا النَّسْطِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ كَقَوْلِكَ: لَوْ
أَخْلَعْتَ عَلَى مُلْكِ مُحَمَّدٍ فِي الْآخِرَةِ لَرَأَيْتَ مُلْكًا عَظِيمًا. وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَذْخَرَهُ
مَا يَنْسَبُ قُدْرُهُ مِنَ الْآيَاتِ لِلْآخِرَةِ لَكَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ آيَاتِهِ الْكِبَرَى مَا يُخَيِّبُ اللَّهَ
بِذِكْرِ اسْمِهِ الْمَوْتَى كَمَا فِي بَيْتِ النَّاطِمِ.

وَلَمْ) أَفْسَامٌ مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ النَّحْوِ، وَفِي شَرْحِنَا الْكَبِيرِ بَسْطُهَا.
(وَقُدْرُهُ): مَفْعُولٌ، وَ(آيَاتُهُ): فَاعِلٌ، وَ(أَخْبَى): جَوَابٌ لَمْ) (1111) //
(وَأَسْمُهُ): فَاعِلٌ أَخْبَى، وَ(دَارِسُ): مَفْعُولٌ، وَ(الرِّزْمُ): مُضَافٌ إِلَيْهِ،
(وَالرِّزْمُ): جَمْعُ رِمَّةٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

[وَفِيهِ التَّلْوِيحُ⁽¹⁾]⁽²⁾



(1) ينظر بحثه في: كفاية الطالب: 174، العمدة: 517/1، نقد الشعر: 55،
الصناعتين: 383، ابن منقذ: 99، سر الفصاحة: 243، وتحرير التحبير: 200،
ونهاية الأرب: 140/7، والإيضاح: 589، ونهاية الإبحار: 288، ابن حجة: 1/
307، حسن التوصل: 70.

(2) لحق أعلى الورق 111 لم أتمكن من قراءته.

لَمْ يَفْتَحْنَا بِمَا تُغْنِي الْعُقُولُ بِهِ حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهْمْ⁽¹⁾

شرح: هذا نوع آخر من المدح، وتسط غير التسط الذي فرغ الناظم منه. إذا كان أولاً يذكر مفاخر ذاته، ومفاخر [صفاته المعنوية]⁽²⁾، وأخذ الآن يذكر كيفية دفعته للخلق، وظهور براهينه لهم، من غير أن يحملهم ما لا قدرة لهم عليه من التكليف، ولا يحاطبهم بما لا تسع عقولهم، بل كان يحاطبهم بلعنهم، مع اختلاف الستانهم، ويقيم لهم من الأدلة ما يدركونه، من غير مشقة ولا تعب، فلم يحاسرهم شك في تخلف براهينه ولا ريباً لوضوحها. ولم يلحقهم تعب ولا نصب. لسهولة ما دلل لهم من سبل هدايته. وقد قال الله: «بَعَثْنَا بِالْبَيِّنَاتِ الْبَيِّنَاتِ»⁽³⁾، كما قال الله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ حَرْجٍ أَلْهَبْنَا الْخَبْرَ»⁽⁴⁾، وقد وصقه الله في مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْعَرَبِ بِالرِّبَاةِ وَالرَّحْمَةِ، فقال جل ثناؤه وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: «لَقَدْ مَنَّكَم رُسُلَاتُ بِنِ الْفَيْكُم عَزِيرُ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ»⁽⁵⁾ فَإِنْ قَوْلُوا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ⁽⁶⁾ [النوبة: 128 - 129].

(وَحِرْصاً): مَفْعُولٌ مِنْ أَخَذَ، وَالْعَامِلُ فِيهِ الْفِعْلُ الْمَجْرُومُ بِ (لَمْ). وَحَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ مَعْنَى التَّقْيِ الَّذِي تَصْنَعُهُ حُرُوفُ التَّقْيِ، فَإِذَا كَانَ

(1) الديوان: 193.

(2) العبارة في الأصل: «المعنوية صفاته». ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) في الحديث عدة روايات تنظر في: البخاري: 160/1، الترمذي: 246/4، أحمد: 366/5 و6/116، الجامع الصغير: 486/1، زاد المعاد: 9/3، كشف الخفاء: 1/251، الفردوس من حديث: عائشة رضي الله عنها في الحبشة ولع بهم ونظروها إليهم، بلفظ: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة وأناي بعث بالحنفية السمحة».

أُسْفَعُولٌ مِنْ أَخْذِهِ وَقَعَ مُنَاسِباً لِلْفِعْلِ قَبْلَهُ كَانَ الْعَامِلُ فِيهِ نَفْسُ الْفِعْلِ، نُحُوْ لَمْ أَقْتُلْ زَيْداً خِيَاءً مِنْ سَهْ، لَكَانَ الْعَامِلُ فِي التَّفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ مَعْنَى التَّقْيِ لَا لَلْفِعْلِ الْفِعْلِ.

وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ (فَلَمْ تَرْتَبْ) أَفَادَتْ مَعْلَى السَّبَبِ، أَيْ: فَبِسَبَبِ عَدَمِ مَنَحَايَةِ إِتَانَا لَمْ تَرْتَبْ وَلَمْ نَهْم، أَيْ: لَمْ تَشْكُ، وَلَمْ نَهْم. فَانْتِفَاءُ الشَّكِّ وَالْهَيَامِ مُسَبَّبٌ عَنْ دَعْوَتِهِ السَّهْلَةِ وَسَبِيلِهِ السَّمْحِ.

وَمِنَ الْبَيِّنَاتِ: مُرَاعَاةُ التَّظْهِيرِ، لِأَنَّهُ جَسَعَ فِي الْبَيِّنَاتِ بَيْنَ مُنَاسِبَاتٍ. وَهِيَ عَدَمُ الْإِفْتِحَاحِ بِمَا يَنْبَغِي الْعُقُولُ عَنْ فَهْمِ الْخُطَابِ، وَإِذَا لَمْ تَغْيِ الْعُقُولُ، رَسَبَ ذَلِكَ خُضُورُ الْفَهْمِ، وَالنَّفَاءُ الرَّيْبِ وَالشَّكِّ؛ وَإِذَا انْتَهَى الشَّكُّ، وَسَهَّلَ الْخُضُورُ، فَلَا هَيَامَ لِسَهُولَةِ فَهْمِ الْخُطَابِ، وَلَا شَكَّ لَخُضُورِ الْعِلْمِ عِنْدَ خُضُورِ الْفَهْمِ. وَذَهَابَ الشَّكُّ بِرُجُوعِهِ آخِرَ مِنَ الْإِطْلَاحِ عَلَى مَقْطَبِهِ سَهْ، إِذْ لَمْ يَحْدِ الْمُخَاطَبُ مِنْ طَلَبِهِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ شَيْئاً مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يُحْضَرُ عَلَى مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمَدْعُو إِلَى الْآخِرَةِ.

وَالْعُقُولُ: جَمْعُ عَقْلٍ، وَهُوَ النَّظَرُ الْعَقْلِيُّ، وَهُوَ قُوَّةٌ فِي النَّفْسِ يَقْبَلُ بِهَا مَا هِيَ الْأُمُورُ الْكُلِّيَّةُ وَالْجُزْئِيَّةُ يَقْبَلُهَا جُزْئِيَّةً. وَالْعَقْلُ الْعَقْلِيُّ قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ، مَبْدَأُ تَحْرِيكِ الْقُوَّةِ التَّشْرِيقِيَّةِ إِلَى مَا يُرِيدُهُ مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ^(١). وَذَكَرَ أَبُو يَحْيَى أَنَّ هَذَاكَ عَقْلاً آخَرَ سَمَّاهُ بِالْهَيُْولَانِيِّ، [112]// قَالَ: «وَهُوَ كَأَسْتَعْدَادِ الصَّبِيِّ بِالْقُبُولِ. وَالْحَلَكِيِّ: وَهُوَ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى حَدِّ التَّسْيِيرِ، حَتَّى إِذَا عَرِضَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَحَدَّهُ بِهِ عَارِفاً. وَالْفِعْلِيُّ: وَهُوَ الذِّكْرُ. وَأَمَّا الْمُسْتَفَادُ: وَهُوَ مَا حَصَلَ وَاسْتَقَرَّ وَلَمْ يَنْتَقِرْ إِلَى مَادَّةٍ^(٢). قَالَ فِي «الْقَوَاصِمِ»^(٣): «وَأَمَّا^(٤) الْعَقْلُ الْفِعَالُ: فَهُوَ

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم: 160 مع بعض التغيير.

(٢) نفسه: 161 مع بعض التغيير.

(٣) نفسه: 161.

(٤) العبارة مكررة في الأصل.

كُلُّ مَاهِيَةٍ مُجَرَّدَةٌ فِي ذَاتِهَا عَنْ عِلَاقِ الْمَادَّةِ، وَهِيَ مَاهِيَةٌ كُلُّ مَوْحُودٍ. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ أَبُو يَحْيَى فِي «قَوَاصِمِهِ» قَوْلُ فَلْسَفِيِّ.

وَاللَّيْسَ فِي حَدِّ الْعُقُولِ رُسُومٌ كَثِيرَةٌ، اسْتَوْفَيْنَا أَكْثَرَهَا فِي «الشَّرْحِ الْكَبِيرِ». وَأَمَّا الْإِمَامُ أَبُو الْمُعَالِي فِي «الْبُرْهَانِ»⁽¹⁾ فَلَقِلَّ عَنِ الْقَاضِي⁽²⁾ حَدًّا، وَقَالَ فِيهِ لَقَطٌ، ثُمَّ قَالَ: وَمَا حَوْصَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِنَا غَيْرَ الْحَارِثِ الْمُحَاسِنِيِّ تَحْلَةً⁽³⁾ فَرَنَّهُ قَالَ: «الْعَقْلُ غَرِيزَةٌ يَتَأَثَّرُ بِهَا ذَلِكَ الْعُلُومُ، وَلَيْسَ سِوَاهَا»⁽⁴⁾. وَقَالَ هُوَ عَقِبَ حَدِّ الْمُحَاسِنِيِّ: «وَالْقُدْرُ الَّذِي يَحْتَمِلُ هَذَا التَّجَمُّوعَ وَذَكَرَهُ اللَّهُ صِفَةً إِذَا تَنَبَّهَتْ تَأْتِي بِهَا التَّوَصُّلُ إِلَى الْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي هِيَ مُسْتَنْدُ النَّظَرِيَّاتِ»⁽⁵⁾. وَهُوَ كَالْمُضْلِحِ حَدِّ الْمُحَاسِنِيِّ، لِيَكُونَ حَامٍ وَلَمْ يَحْمِلْ. فَظَاهِرٌ لِعَلَامِهِ أَنَّ مَنْ جَعَلَ الْعَقْلَ مِنَ الْعُلُومِ لَمْ يُصِبْ، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ فَخْرُ

(1) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الطائي السبسي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي، صاحب جد ووقار واجتهاد، له مصنفات جليلة، (ت478هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 1/287، شذرات الذهب: 3/358، طبقات الشافعية: 5/288 - 289، سير النبلاء: 11/137، الأعلام: 4/160)، واسم الكتاب كاملاً «البرهان في أصول الفقه» تأليف أبي المعالي الحارثي يشتمل على عدة مقدمات في مبادئ العلوم ومسائل في أصول الفقه وأدلته، حققه د عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء (ط الثالثة - 1412/1992).

(2) هو القاضي أبو بكر نصري، عبد الكبير بن عبد المجيد، من أئمة الحديث، وفقه أحمد ابن حنبل، ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 7/299، التاريخ الكبير: 6/126، الجرح والتعديل: 6/62، تهذيب التهذيب: 6/370، شذرات الذهب: 1/12).

(3) هو الحارث بن أحمد المحاسيني أبو عبد الله، من كبار أئمة الصوفية، أصولي واعظ، ومن أوائل المتكلمين من أهل السنة (ت243هـ) تصانيف جيدة في الزهد والورد إلى المعتزلة وغيرهم. ترجمته في: (حلية الأولياء: 10/73، صفوة الصفوة: 2/207، تهذيب التهذيب: 2/134، شذرات الذهب: 2/103، الأعلام: 2/153).

(4) البرهان: 1/95.

(5) البرهان: 1/95 - 96. والعبارة فيه "... تأتى بها التوصل إلى العلوم النظرية ومقدماتها من الضروريات التي هي مستند النظريات".

الذين^(١) خلافه، لأنه جعله بعض العلوم الضرورية. وقد بسطته قبل^(٢) بسطاً
 عيماً وأظهرت لك كيفية كونه منها بالسبر والتقسيم الذي تسلسله العقول
 السليمة.

و(حزماً): مضد حرم يفتح الرء وكسرهما، والفتح أفصح. وهو من
 الترغيب في الشيء، وتقدم قبل عند قوله: (إن قلت استيق بهم)^(٣). ما هو
 (الهيأ؟) إنه من الذهاب، يقال: هأم: إذا ذهب عقله.
 وفي البيت: مراعاة الظير.



(١) هو فخر الدين الرازي سقت ترجمته: ص 210.

(٢) لعله يقصد هنا بسطه الكلام في هذه المسألة في «الشرح الكبير»، ولا يوحد فيما تقدم
 حديث عن هذا الموضوع.

(٣) الديوان: 190.

أَعْيَى الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَخِمٍ⁽¹⁾

شرح: يَرَى: (فيه)، وَيَرَى: (منه)، وَيَرَى: (مُنْفَخِمٌ) بِالْحَاءِ الْمَقْطُوعَةِ مِنْ قَوْفٍ وَبِالْحَاءِ السُّبُوتِ. وَمَقْصُودُ هَذَا الْبَيْتِ لَعْنَةُ الْمُتَأَمِّلِ - بِإِذْنِ الْأَمْرِ - كَالْمُتَأَمِّلِ مَعَ الَّذِي قَبْلَهُ، لِأَنَّهُ سَاطِعٌ الْبَيْتُ قَبْلَهُ أَنَّهُ حَادِثًا بِمَا لَا تَكُنِي حَقِيقَةً عَنَّا، وَلَا تَعْبَى الْعُشْرُ فِي فُتْمِهِ، ثُمَّ قَالَ: (أَعْيَى الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ) وَلَا يَعْبَى مِنَ الْوَرَى غَيْرَ عَقُولِهِمْ مَعِي فُتْمِ الْمَعْنَايِ.

وَالْجَوَابُ: أَنْ لَا تَنَاقُضَ، إِذْ لَا يَفْعُ التَّنَاقُضُ إِلَّا بِتَوَلُّفٍ شَرْطِيٍّ، مِنْ أَلْحَادَاتٍ دَقَّرَهَا السُّطُوفِيُّونَ كَالْكَتِفِ وَالْكَفِّ وَالزَّمَانِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَبْنُوعٌ فِي ثَنِيهِمْ، وَالْجَبَّةُ هُنَا مُتَعَدِّدَةٌ لِأَنَّ قَوْلَهُ: (لَمْ يَفْتَحْنَا)، بِمَعْنَى: فِي الْأُمُورِ التَّكْلِيفِيَّةِ الَّتِي طَلَبْنَا بِعَقُولِنَا وَالْإِيمَانِ بِمُقْتَضَاهَا.

وقوله: (أَعْيَى الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ)، أَي: فَهُمْ مَعْنَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَوْنِهِ شَرًّا. ثُمَّ إِنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى مَا لَمْ يَحْظُظْ لِلْبَشَرِ مِنْ سَبَبٍ يَقْطُرُ عَنْهَا أَهْلُ الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ مِمَّا اقْتَلَعَ عَلَيْهِ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ، وَمَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ الشَّرْفِ، وَكَيفَ كَانَ بِكُلِّمْ كُلِّ وَقَدْ بَلَغَتْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَالِفَ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ النَّافِيَةَ عَنْهُ، وَمَا يُخْبِرُ بِهِ مِنَ الْعُيُوبِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَأَ عَلَى شَعْلَمٍ، وَلَا سَافِرٍ إِلَى أَقْيَاسِ عِلْمٍ مِنْ عَالَمٍ.

وَالْوَرَى: قَالَ شَارِحُ⁽²⁾

(1) الديوان: 193.

(2) هو محمد بن أحمد بن محمد الحسيني أبو القاسم المعروف بالشريف العرابي، فاضلي الدلي من الفضلاء ومشاهير الأدباء، ولد ونشأ بسنة، وولي ديوان الإنشاء ثم

المَقْصُورَةُ حَازِمٌ⁽¹⁾ // (1131) (الوَرَى): إِنَّهُمْ الْعُقْلَاءُ مِنَ الْخَلْقِ. وَلَمْ
بَغْضُهُمْ قَوْلَ الْحَضُورِيِّ: (طويل)

وَأَبَتِ الْوَرَى عَنْ دَرَسِ عِلْمٍ تَأَخَّرُوا فَقُلْتُ لَعَلَّ النَّظْمَ أَحَقُّ مِنَ الشِّعْرِ
بِالْأَنَامِ. وَلَا يُرِيدُ بِهِمْ إِلَّا مَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُمْ دَرَسُ الْعِلْمِ.

وقوله: (ليس يرى في القُرْبِ والبُعدِ فيه أو منه غيرُ مُنْقَضِ)
أحواله كلها التي هي راجعةٌ للخلق أو للخلق، كلها رقيقةٌ مُعْظَمَةٌ، ولا
يرى أحدٌ من شأنه إلا [مُنْفَحِمًا]⁽²⁾ مشهوراً في القُرْبِ وفي البُعدِ
وأحواله كلها على العموم والإطلاق على أرفع مقام، وأكمل نظام، ثم إن
في (القُرْبِ والبُعدِ) احتمالات: قد يكون (في القُرْبِ)، أي: إلى أهل
الإيمان، و(البُعدِ) بالنسبة إلى أهل الكفر، فأحواله مُحَقَّقَةٌ الكمال عند
الجميع، ومن كفر لا يجهل فضله، ولا يتحمل على ما هو عليه إلا
الحسد ويحتمل أن يكون (في القُرْبِ والبُعدِ) بالنسبة إلى الزمان، فهو
الذي عرف من أحواله في بداية أمره من إخلاص عبادته لربه، وانقطاع
إليه، وتوكله عليه، ورفعة قدره وحظوة عند الخلق، هو الذي فارق الدنيا
عليه؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (بسيط)

الفضاء والحظوة، له ديوان شعر وشروح في الأدب والنحو، (ت 760هـ)، ترجمته
في (فضاء الأندلس 171، الإحاطة: 129/2، الديباج: 290) واسم الشرح
"رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة"، حققه: د. محمد الحجوي. طبعة
وزارة الأوقاف 1997.

(1) هو حازم بن محمد بن حازم القرطاجني: أبو الحسن، أديب بلاغي من أهل
قرطاجة. رحل إلى إشبيلية، ثم هاجر إلى مراكش، ومنها إلى تونس. له ديوان شعر،
ومنهاج البلغاء. ترجمته في: (بغية الوعاة: 1/214، أزهار الرياض: 3/172، نفح
الطيب 1/627، الأعلام: 2/159). والمقصورة قصيدة شعرية مشهورة في مدح
السلطان، عارضها المكودي بمقصورة في مدح الرسول ﷺ، وعاب على حازم
وعلى ابن دريد صنيعهما.

(2) في الأصل: «منفحاً» ولعل الأنسب ما أئتمناه.

مُجَدِّي أَخْبِرًا وَمُجَدِّي أَوَّلًا شَرَعَ وَالشُّنْسُ إِذَا الضُّحَى كَالشُّنْسِ فِي الْقَفْلِ⁽¹⁾

أَيُّ: حَالِي حَالِ الْإِبْتِدَاءِ كَحَالِي عِنْدَ الْإِنْتِهَاءِ؛ فَأَهْلُ الْعَصْرِ الْأَوَّلِ يُعْظَمُ، وَأَهْلُ الْعَصْرِ الْآخِرِ تُثْنَى عَلَيْهِ وَتُعْظَمُ؛ فَخَرُّهُ كَانَ قَبْلَ وَلَادَتِهِ مَذْكُورًا فِي التَّوَارِثِ وَالْإِتِّحَالِ، وَبَعْدَ مَبْعَثِهِ فِي الْفُرْقَانِ وَمُتَوَاتِرًا مُتَوَالِيًا جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ؛ وَكَذَلِكَ فِي الْأَمْكَنَةِ، كَانَ بِالْمَدِينَةِ يُعْظَمُ الْحَاضِرُونَ، وَتَرَدُّ عَلَيْهِ شَوْقًا إِلَيْهِ وَفُودُ الْغَائِبِينَ.

يُقَالُ: (أَغْيَى) الْأَمْرَ وَالذَّاءُ: إِذَا لَمْ يَجِدْ لَهُ أَحَدَ دَوَاءٍ، وَأَغْيَانِي أَمْرُهُ، أَيْ: لَمْ أَسْتَطِعْ لِحَالِهِ اسْتِصْلَالَ، وَالضَّمِيرُ فِي (مَغْنَاهُ): رَاجِعٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ. وَالْعَاءُ فِي (فَلَيْسَ): لِلرِّبْطِ وَاللَّسْبِ، وَدَخَلَتْ عَلَى مُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، أَيْ: فَهُوَ لَيْسَ يُرَى.

فَإِنْ قُلْتَ: وَلِمَ لَمْ تَقُلْ لِلسَّبَبِ؟

لَا لِصَرَحِي بِسَبَبٍ لَقِيلَ: فَلَوْلَا سَبَبُ الْإِغْيَاءِ مَا رُنِيَ الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ مَا رُنِيَ (وَفِيهِ) أَوْ (مِنْهُ) عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ: فَلَيْسَ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنْ أَحْوَالِهِ غَيْرُ مُتَحِمٍّ بِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ أَوْ مِنْ أَغْدَايِهِ غَيْرُ مُتَحِمٍّ بِالْحَاءِ السُّهْمَةِ. وَفِي الْبَيْتِ: (مُرَاعَاةُ النُّظِيرِ)، لِمُنَاسَبِ (الْقُرْبِ) وَ(الْبُعْدِ)، لِكُونِهِمَا ضِدَّانِ كَانَ الطَّبَاقُ.



(1) البَيْتُ لِلطُّفْرَانِيِّ فِي شَرْحِ لَامِيَةِ الْعَجَمِ 1/ 63 - 87، حَوْصِلُ الْكُنُوزِ: 528، الْكَشْكُولُ: 1/ 398.

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ صَغِيرَةٍ وَتَكِلُ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ⁽¹⁾

شرح: هذا من باب التشبيه والإشارة: أما التشبيه: فهو ظاهر، وهو من التشبيه بالآلة لأنه أدخل حرف التشبيه وهو الكاف. وأما الإشارة: فهي إلى ما اشتملت عليه الشمس من جلاء الظلمة، وإفادة الضياء الواضح، وإصلاح ما يقتضيه إلى التجفيف. وهذا كله بالنسبة إلى جهة من آمن به وصدقته واتبع سبيله. والجهة الأخرى أن من كفر به وختم الله على قلبه، فيصبح أيضاً أن ينالهم شيء من التشبيه: إنهم يروونه في عالمهم على حسب ما يرون من شأنه الأعمى، وهو على صفة لا يراها عليه إلا من كشف له العطاء. كما [114]// أن الشمس يراها الرائي كالقرص صغيرة في جرمها، ومبلغ عليه منها أنه عاين نورها المنتشر على أهل الأرض، وتجفيف ما يقتضيه إلى التجفيف، ولم يحط بتفاصيلها على ما هي في السماء الرابع من عظم جرمها، وأنها قدر الدنيا ثلاثة وسبعين مرة، حتى لو كان ينفردة منها لما أحاط بسعة عرضها وطولها. ولا كملت بصره. والنبى ﷺ غاية ما يرى منه الرائي حسن خلقه، وحسن خلقه. وما ظهر له من الآيات، وأيد به من المعجزات، وما جبل عليه من حسن العبادات، رؤيته جميلة، ولو اطلع على ما أوتي من المعراج وما أطلع الله من الآيات الكبرى، وما أوحى إليه مما أوحى، وأنزله منزلة قاب قوسين أو أدنى، مما لا يحضره فكر ولا يدركه وهم.

وهذا التشبيه الذي جلبه الناظم إنما هو تشبيه حال بحال، لأن الشمس في حالها في نظر الناظر بظن أنه أحاط بأطرافها، لكن في بُعد عنها، فلو

(1) الديوان: 193.

فَرَبَتْ مِنْهَا لَمَّا أَحَاطَ بِصَرِّهِ بِأَقْطَارِهَا كَمَا أَنَّ حَالَةَ عَالَمِهِ لِرَأْيِهِ بَيْنَ الْخُلُقِ يَرَى
 ضَوْرَهُ بَشَرٍ وَلَمْ يَدْرِكْ مِنْ أَحْوَالِهِ إِلَّا مَا انْتَشَرَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي
 قَامَتْ أ... ⁽¹⁾ هِدَايَةً مِنْ هِدَاةِ اللَّهِ ع. وَأَمَّا حَالَةُ النُّفُوسِ عَنِ الْخُلُقِ فَإِنَّهَا بَحْرٌ
 لَا سَاحِلَ لَهُ، فَحُسْنُ لَهُ الْقَلْبِيَّةُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَنُفُوسُ الشُّمُسِ قَدْرٌ مَا سَوَاهَا
 لِأَنْوَارِهَا: إِنَّهَا سِرَاجٌ، وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ ع. وَمِنْهَا: إِنَّهَا مِنْ نُورِهِ.
 وَمِنْهَا: إِنَّهَا خَلَقَهَا اللَّهُ لِمَحَرِّ الظُّلُمَةِ الْحَسْبِيَّةِ، وَهُوَ بَعْنَةُ اللَّهِ لِسَحْرِ الظُّلُمَةِ
 السَّعْيِيَّةِ. وَلَئِنْهَا أَشْرَفَ النَّبَرَاتِ كَمَا أَنَّ ع. أَشْرَفَ الْخُلُقِ. وَهَذَا الشَّرْعُ مِنَ
 التَّشْبِيهِ هُوَ بِالْأَلَةِ، وَهُوَ الْكَافُ، وَقَدْ أَشْلَفْنَا أَنَّهُ يَكُونُ بِأَلَةٍ وَيَعْبَرُ إِلَهُ.

وَقَوْلُهُ: (كَالشُّمُسِ): حَرٌّ مُبْتَدِئٌ مُخْذِلٌ، تَقْدِيرُهُ: هُوَ كَالشُّمُسِ
 وَقَوْلُهُ: (تُظْهِرُ) إِلَى آخِرِهِ: تَفْسِيرُهُ لَمَّا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ السَّعْيِ الَّذِي
 لِأَجْلِهِ شُئِيَ بِهَا فِي حَالِهَا.

إِنَّمَا قُلْتُ: وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قُلْتُ، فَقَدْ حَسِبْتُ أَنَّ ذُلَّةَ تَوَاسُتِهِ
 الْعَصَارُ الْكَثْرَةُ؟

قُلْتُ: لَعَلَّ فِي عَيْنِ بَصِيرَةِ النَّاطِلِ لَا فِي السَّنْظُورِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الشُّمُسَ
 لِشِدَّةِ ظُهُورِهَا حَنَيْتَ عَنْ أَعْيُنِ الْخُفَافِيثِ. وَقَدْ نَبَّهَ النَّاطِلُ عَلَى ذَلِكَ بَعْدُ حَيْثُ
 يَقُولُ:

فَذُنُكِرَ الْعَيْنُ ضَوْءُ الشُّمُسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكَرُ الْفَمُ طَعْمُ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ ⁽²⁾
 وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

إِذَا حَفِيَ السَّنْظُورُ فِي عَيْنِ نَاطِلٍ وَكَانَتْ خَلَى السَّنْظُورِ أَعْيُنُ الشُّمُسِ
 فَذَاكَ دَاءٌ حَلَّ فِي الْعَيْنِ قَادِحٌ أَحَلَّ بِإِدْرَاكِ التَّبْصِيرَةِ وَالنَّفْسِ

[115]// وَقَدْ يُحْمَلُ كَلَامُ النَّاطِلِ عَلَى أَنَّ تَظْيِيرَ نَظَرِ الشُّمُسِ مِنْ بُعْدِ

(1) خرم في الأصل.

(2) الديوان: 197، وسيأتي في: ص 596.

عظم الكافر فإنه لم يترك من النبي ﷺ إلا جلالاً ونوراً، ونصرة برغب أعاديه،
 وسر هدايته لمن تبعه وأمن به وما ظهرت له من الآيات والمعجزات. والذين
 رأوه من أمم، أي: من قُرب، هم المؤمنون، فإنه ظهر لهم من نصوص القرآن
 العظيم ما أعد الله له من اللواء المغمود، الذي يستظل تحته من تبعه من آدم
 من دونه، والمقام المغمود، والشفاعة العامة، وأن الله سبحانه أخبر عباده
 سقاجه فعابروا ظاهره بالعبان وباطنه بالبرهان. ولا تنوهم أن الناظم قصد أن
 الشمس لما ظهرت شعورهاين: ظهور صغير وظهور إكلالٍ للأنصار، أن النبي ﷺ
 ظهر أنصافاً هو بحال صغير وبحال إكلالٍ بل لم ير ﷺ في ظاهر أمره إلا على
 أكمل الأحوال، كما يقول بقوله:

تجاسة وهو فرء من جلالته في عنكر جيل تلقاء وفي حشم¹¹
 ومع ذلك فالذي ادخر له، والذي حفي عن عيان رايه. هو ما لا
 تحضره العقول، ولا تكيفه الأوهام.
 وقوله: (من بعد) بضم العين يقال: بعد وبعد بالضم والسكون في غير
 (بعد).

و(تكل) بضم التاء، أي: تُعبي. يقال: تكل بكل كلاً، أي: عبي
 وأكله الأمر، أي: أغياه.

و(الطرف): البصر، لا جزم العين.

و(امم) بغير ألف، أي: من قُرب، ومقابلته. وأما (أمام) بالألف: فيضد
 خلف، ظرف من الجهات الست.

وفي البيت: الطباق، والمقابلة، والتشبيه، والإشارة؛ التشبيه في
 الحائنين. والإشارة: للكمال من مخر الطللمات، وتورانية الذات، وكمال

(1) الديوان: 194، ميانى في: ص 319.

الضدات. والتضاد الذي عنده في القَبَاق: جَمْعُهُ بَيْنَ (صَغِيرٍ) وَمَا عَبَّرَ بِهِ عَنْ
كَبَرِ جَرْمِهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَتَكُلُّ الطَّرْفُ)؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ (الْبُعْدِ) وَمَا عَبَّرَ بِهِ
عَنِ الْقُرْبِ، وَهُوَ (الْأَمَمُ). والتضاد فيسَمَانِ: صَرِيحُ الضدِّ، وَمَا تَضَمَّنَهُ أَوْ
بِإِدْوَاهِ. وفي البَاقِينَ قَابِلٌ بِمَا يَتَضَمَّنُ الضدَّ، وَهُوَ عَلَى كَقَطْمِ الْقَبَاقِ، حَتَّى لَا
يَشْعُرَ بِهِ إِلَّا مَنْ لَهُ قَدَمٌ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وفيه: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لِجَمْعِهِ الْمُتَنَاسِبِينَ.



وكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ قَوْمٌ بِنِيَامٍ تَسْلَوْنَ عَنْهُ بِالْحُلُمِ⁽¹⁾
 شرح: هَذَا هُوَ بَيْتُ الْبُوصَيْرِيِّ، وَهُوَ الَّذِي [...] ⁽²⁾ عَلَى مَا رَوَيْنَاهُ.
 بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ هُنَا بَيْتًا قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ يَقُولُ:

لَمَّا بَاغَيْنَهُمْ مِنْ عِلَّةٍ مَنَعَتْ ظَهْرُهَا فَهُمْ فِي أْظَلَمِ الظُّلُمِ⁽³⁾
 يعني: إِنَّمَا ظَهَرَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْيُنِهِمْ صَغِيرَةً [116]// لِدَاءٍ فِي أَعْيُنِهِمْ،
 وَهَذَا يَحْسَنُ، لَكِنْ بِنَاوِيلٍ أَنَّهُ رَاجِعٌ لِبُرُوتِهِمُ الْمَشَبَّةِ لَا الْمَشَبَّةِ بِهِ، وَعَلَى تَأْوِيلٍ
 أَنَّ الَّذِينَ⁽⁴⁾ رَأَوْا ذَلِكَ، مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ بِهِ فَرَأَوْا مَا بَرَزَ مِنْ
 كَسَالَتِهِ بِالْعَيَانِ، وَمَا أَذْخَرَ لَهُ بِالْبُرْهَانِ وَنُصُوصِ الْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الْأَصْلِيِّ: (وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ)⁽⁵⁾ إِلَى آخِرِ
 الْبَيْتِ (كَيْفَ): يُؤْتَى بِهَا عَنَى هَذَا الْمَسَاقِ لِلِاسْتِنْعَادِ، أَيْ: بَعِيدٌ أَنْ يُدْرِكَ
 حَقِيقَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مَعَهُ غَفَلَةٌ، لَشَغْفِهِ بِذَاتِ نَفْسِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ وَالْدُّنْيَا أَضْعَافُ
 الْخُلَامِ، فَالْمُتَشَبِّهُ بِهَا مَشْغُولٌ بِهَا فِي حُلُمٍ. وَإِنَّمَا ذَكَرَ النَّازِمُ الدُّنْيَا لِمَعْنَى لَا
 يُغْبِضُهُ السُّكُوتُ عَنْهَا، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: كَيْفَ يُدْرِكُ ذَلِكَ قَوْمٌ يَتَسَلَّوْنَ عَنْهُ بِالْحُلُمِ
 لَنَزِمَ مِنْهُ أَنَّ هُمْ لَا يَعْرِفُونَ لَهُ حَقِيقَةَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. وَكَيْفَ؟ وَأَهْلُ
 الْآخِرَةِ كَافِرُهُمْ وَمُؤْمِنُهُمْ يُدْرِكُ الْآخِرَةَ مُلْكًا عَظِيمًا لِنَبِيِّنَا ﷺ، حَيْثُ يَنْكَشِفُ
 الْغَطَاءُ عَنْ أَعْيُنِ الْغَافِلِينَ، وَيُظْهَرُ لَهُمْ مِنْ شَرَفِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَا لَا

(1) الديوان: 193.

(2) لحق مطموس بالورقة 115.

(3) لا يوجد البيت في رواية الديوان.

(4) في الأصل: «الذي» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(5) الديوان: 193.

يُخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْمُؤَقِفِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُدْرِكُ أَحَدٌ حَقِيقَتَهُ عَلَى الْوَفَاءِ
وَالنِّعَامِ إِلَّا اللَّهُ وَتَعَالَى. وَلَيْسَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَى مُغْرَضٍ لِيُشْرَحَ الْبَيِّنُ ظَانًّا أَنَّ
قَوْلَهُ (هِيَ الدُّنْيَا) حَقٌّ، وَرُبَّمَا قَالَ: كَوْنُهُ فِي الدُّنْيَا مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّهُمْ فِي غَفْلَةٍ،
أَوْ سَحَرٍ هَذَا. وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلِ الْغَفْلَةُ وَالْحُلُمُ إِنَّمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا، وَلَوْ لَمْ
يَذْكُرِ الدُّلِيلُ لِلدَّمِ أَنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَ لَهُ حَقِيقَةً حَقِيقَةً فِي الْآخِرَةِ.

إِلَّا أَنَّهُ يُقَالُ: مَا الْمُرَادُ بِالْحَقِيقَةِ؟ إِنْ كَانَ الْحَقِيقَةُ الْجَسَدِيَّةَ، فَهِيَ الَّتِي
عَمِلَ عَنْهَا الْكَافِرُونَ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ فَلَيْسَ لَهُمْ أَذْرُكُوا أَنَّهُ خَاتَمُ
النَّبِيِّينَ، وَرَبُّهُ الْمُرْسَلِينَ، وَذَخِيرَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَإِنْ كَانَتْ الْحَقِيقَةُ التَّفْصِيلِيَّةَ
فَلَا يَغْنَمُ لَهَا أَحَدٌ مِنَ الشَّرِّ غَايَةً، وَلَا يَعْلَمُهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.
وَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّاطِطِمْ، مِمَّا يَفِيقُ كَلَامِهِ، إِنَّمَا جَاءَ بِهِ فِي مُغْرَضٍ الدَّمِ لِيَسَّرَ غَفْلًا؛
وَإِذَا تَنَبَّهَ لِكَ ذَلِكَ، فَلَيْسَ هُوَ عَامٌّ فِي الْأَشْخَاصِ، وَلَا الْمُرَادُ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي لَا
يَقْلَعُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ.

لِإِنْ قُلْتُ، فَقَدْ قُدِّمَ قَبْلَ هَذَا مَا يُشْعِرُ بِأَنَّ الْمُرَادَ الْمُعْصُومَ فِي الْأَشْخَاصِ،
وَهُوَ قَوْلُهُ: «أَغْنَى الْوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ»⁽¹⁾ الْبَيِّنُ.

قُلْتُ: هُوَ أَيْضًا رَاجِعٌ لِمَا قُلْنَا، إِنَّمَا مَعْنَى كَوْنِ الْوَرَى أَعْيَانُهُمْ فَهْمُ مَعْنَاهُ،
لَمْ يَأْتِ بِهِ فِي مُغْرَضِ الدَّمِ لِلْعَافِيَيْنِ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِهِ فِي مُغْرَضِ الْمَذْحِ، فَيَكُونُ
مَعْنَاهُ: إِنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَ لِلْحَقِيقَةِ التَّفْصِيلِيَّةِ غَايَةً، وَأَمَّا الْحَقِيقَةُ الْجَسَدِيَّةُ فَقَدْ عَرَفْنَاهَا
أَصْحَابُهَا عَرَفُوا مَسْرَلَتَهُ، وَشَرْفَهُ⁽²⁾، وَمَا وَرَدَ مِنْ حُرُوقِ الْعَادَاتِ عَلَى بَدَنِهِ.
فَلَيْسَ مَعْنَى الْبَيِّنِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْ مَعْنَى هَذَا، وَلَا الَّذِي يَلِيهِ. وَهُوَ (كَالْشَّشِ)⁽³⁾،
فَلْيَتَأَمَّلِ الْمُتَأَمِّلُ هَذَا، فَإِنَّهُ يَخْفَى عَلَى مَنْ رَاحَتَهُ، وَقُدِّمَ عَلَيْهِ بَغَيْرِ تَأَمُّلٍ.

(1) الديوان: 193.

(2) في الأصل: «وشرفهم» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) الديوان: 193.

وَوَصَفَهُ الْقَوْمُ بِأَنَّهُمْ نِيَامٌ، كَمَا قَالَ بَعْضُ النَّاسِ نِيَامٌ إِذَا مَاتُوا
 اسْتَيْقَظُوا⁽¹⁾ (وَنِيَامٌ): جَمْعُ نَائِمٍ، وَيُجْمَعُ عَلَى (نَوْمٍ)، وَعَلَى (نِيَامٍ) عَلَى
 لِقَالِ بَعْضِ الْفَاءِ وَتَضْعِيفِ الْعَيْنِ، وَهُوَ أَضْعَفُ جُمُوعِهِ. وَاسْتَعْمَالُ النَّوْمِ فِي
 الْغَلَّةِ مَجَازٌ، وَإِنَّمَا خَصَّ بِعَدَمِ النَّوْمِ الْحَقِيقِيِّ، وَالْمَجَازُ فِي الْأَصْلِيِّ الَّذِي هُوَ
 الْقَلْبُ الْإِنْسَانِي، 1171// كَمَا قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: «نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ تَنَامُ أَعْيُنُنَا وَلَا
 نَنَامُ قُلُوبُنَا»⁽²⁾. وَحَقِيقَةُ النَّوْمِ فِي الْقَلْبِ، وَنَوْمُ الْعَيْنِ دَلِيلٌ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ
 الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ: سَنَةٌ، وَنُعَاسٌ، وَنَوْمٌ؛ فَالْسَّنَةُ فِي الرَّأْسِ.
 وَالنُّعَاسُ فِي الْعَيْنِ، وَالنَّوْمُ فِي الْقَلْبِ. هَكَذَا قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ فِي «فَقْهُ
 اللَّغَةِ وَسِرِّ الْعَرَبِيَّةِ»⁽³⁾. فَيَكُونُ فِي الْحَدِيثِ: «تَنَامُ أَعْيُنُنَا» أَطْلَقَ النَّوْمَ عَلَى
 نُعَاسِ الْعَيْنِ، «وَلَا تَنَامُ قُلُوبُنَا» تَقَلَّ النَّوْمَ عَنِ الْقُلُوبِ حَقِيقَةً

وَيُخْتَصِلُ أَنْ يَكُونَ أَطْلَقَ النَّوْمَ عَلَى الْأَعْيُنِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: عَدَمُ إِدْرَاكِهَا
 السُّحُوسَاتِ عِنْدَ غَلَقِهَا. وَيُذَلِّكُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا طَلَعَتْ
 الشَّمْسُ فَتَحَ عَيْنَهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَذْكُرُ بَنُو الْقَلْبِ، فَالْقَلْبُ يَفْطَنُ وَإِنْ كَانَتْ
 الْعَيْنُ مُغْلَقَةً. فَقَوْلُ الْبُوصَيْرِيِّ: (قَوْمٌ نِيَامٌ). يَعْني: غَافِلُونَ عَنِ الْحَقَائِقِ.
 وَبِئْسَ هُمُ (الْوَرَى) الْمَذْكُورُونَ قَبْلَ⁽⁴⁾؛ بَلِ السُّعْنَى: إِذَا أَعْيَى فِهْمُ مَعْنَاهُ عَلَى
 غَلِّ الْوَرَى، لِأَنَّ مِنْ مَعْنَاهُ مَا اسْتَأْثَرَ بِهِ مِمَّا اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَكَيْفَ لِأَهْلِ الرَّيْغِ

(1) قال العجلوني في كشف الحفاء: 312/2 «هو من قول علي بن أبي طالب، وعزاء
 الشعرائي في الطبقات الكبرى: 61/1 لسهل النستري، ولغظه عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن كلامه
 الناس نيام، فإذا ماتوا انتهبوا، وإذا ماتوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم»
 وقال الأناسي في سلسلته 137/1 «لا أصل له، رَوَاهُ الْعَوَالِي فِي الْإِحْيَاءِ 20/4
 مَرْفُوعاً، وَقَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ، وَتَبَعَهُ السَّيْكِيُّ: 170/4 «لَمْ أَجِدْهُ مَرْفُوعاً. وَإِنَّمَا
 يَعُزَى إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: 154/9، وَالتِّرْمِذِيُّ: 403/1، وَأَحْمَدٌ مُسْنَدُ سَيِّدِ هَاشِمٍ رَفَعَهُ
 2353، وَالسُّيُوطِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ: 387/1.

(3) فقه اللغة: 181.

(4) ص 282.

وَالضَّلَالِ الْمُسْجُوبِينَ عَنِ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْحَقَائِقِ إِذْكَ حَقِيقَتِهِ ^(١)؟ وَفِي
 أَنْهَسَكُوا بِالدُّنْيَا وَأَحْوَالِهَا، وَيَشْهَوَاتِ نَفْسِهِمْ، وَتَسَلَّوْا عَنِ الْحَقِّ بِالْخُلْمِ، لِأَنَّ
 الدُّنْيَا أَضْعَافُ أَحْلَامٍ.

وَالْتَسْلِي: اِسْتِعْثَالٌ بِمَا يَلْقِيهِ الْمُسْلِمُ، يُقَالُ: سَلَا فُلَانٌ فُلَانًا، فَتَسْلَى.
 فَهُوَ اِسْتِعْثَالٌ مِنْهُمْ بِمَا حَجَبَهُمْ عَنِ الْوُضُوعِ إِلَى حَقِيقَةِ مُرْشِدِهِمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ.
 وَلَبَسَ كُلُّ الْوَرَى تَسَلَّوْا عَنْ ذَلِكَ بَلْ مَنْ سَنَعَتْ لَهُ سَابِقَةُ الْحَسَنِ غَشِيَتْهُ أَنْوَارُ
 الْإِنْسَانِ، فَرَأَى فِي مِرْآةٍ عَلَيْهِ حَقِيقَةُ الْمُرْشِدِ، فَعَلَّقَ الْمُؤَلَّفُ عَدَمَ إِذْكَ الْحَقِيقَةِ
 عَلَى التَّسْلَى، وَهُوَ وَصَفٌ مُتَنَاسِبٌ، إِذْ مَنْ تَسَلَّى عَنْ شَيْءٍ بِغَيْرِهِ أَشْغَلَهُ ذَلِكَ
 الشَّيْءُ عَنْ إِذْكَ ذَلِكَ الْغَيْرِ، فَكَانَ الْمُؤَلَّفُ يَقُولُ: فَإِذَا كَانَ الَّذِينَ تَسَلَّوْا
 بِالْخُلْمِ مُشْغُولِينَ بِهِ فَكَيْفَ لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى الْحَقِيقَةِ؟ كَمَا حُجِبَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ
 إِحْمَالِهِ عَنِ الْهَدْيَةِ. قَالَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: «كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا قَدْ لَبَسَهُمْ
 وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ» [آل عمران: 186]. وَهَذَا الْقَوْلُ يَنَالُ مَنْ رَأَى أدَلَّةَ صِدْقِ
 الْفَضَائِقِ، ثُمَّ أَشْغَلَ قَلْبُهُ بِخَطَامِ دُنْيَاهُ، وَشَهْوَةِ نَفْسِهِ، وَلَمْ يَرَلِ النَّاسَ يُضْرِبُونَ
 الْأَمْثَالَ بِأَنْوَاعٍ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: «مَنْ أَهْمَلَ وَصِيَّةَ الصَّدِيقِ ثَمَاءً عَنْ سُبُلِ
 التَّحْقِيقِ» وَيَقُولُونَ فِي الْمُنْحَى الْأَوَّلِ: «إِذَا جَارَ الْحَبْنُ صَسَّتِ الْأُذُنُ وَعَمِيَتْ
 الْعَيْنُ» ^(٢). فَإِذَا غَابَتْ الْقُلُوبُ عَنْ جِهَاتِ مَحْبُوبِهَا، اسْتَعْرِقَتْهَا شَهْوَاتُ
 النَّفْسِ، وَتَرَعَّاتُ الشَّيَاطِينِ، فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْوَارِ الْحَقَائِقِ بَسُورٌ، وَخَاضُوا
 فِي ظُلُمَاتٍ، وَحُجِبُوا عَنِ السِّرِّ الَّذِي بِهِ يُعْلَمُ الْحَقُّ؛ فَأَذْبَتِ الشَّرِيعَةُ التَّعَلُّقَ
 بِأَحْكَامِ الْعِلْمِ.

فَقَوْلُ النَّازِمِ: (فَكَيْفَ يُذْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ؟) مَذْهَبٌ كَلَامِيٌّ عِنْدَ
 أَرْبَابِ عِلْمِ الْبَيَانِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ يَمَامَةَ بِنْتِ مُرَّةَ ^(٢): (بسيط)

(١) مجمع الأمثال: 1/ 31، بلفظ: «إِذَا جَاءَ الْحَيْنَ حَارَتِ الْعَيْنُ».

(٢) هي يمامة بنت مرة، قيل: اسمها عترة، وأنها من بنات لقمان بن عاد، جارية زرقاء، =

وَكَيْفَ تَجْتَمِعُ الْأَشْجَارُ وَالْبَشَرُ

وذلك أنها كانت في سرّيب قومها، فكيف لهم ما يأتي من الغوازي،
وكانت تنظر على مسيرة ثلاثة أيام، وكان حسان بن تبع⁽¹⁾ عزم على غدر
قومها، وعلم أنها تنذرهم بقوة نظرها، فأمر جيشه أن يأخذ كل واحد منهم
شجرة يستظل بها، ففعلوا، فرأت ذلك بنامة، فأشدت قومها بعد أن أغلستهم
بما رأت: (سيط)

خذلوا لهم حذرهم يا قوم ينفعكم فليس ما قد رأيت الآن يختف⁽²⁾
إني أرى شجراً من خلفها بشر وكيف تجتمع الأشجار والبشر؟
فقلها: (وكيف تجتمع الأشجار والبشر)، من المذهب الكلامي، إذ
جاءت به في معرض الاستدلال؛ وملة قول الآخر: (والفر)
ألا يا قومنا جدوا وسيروا فلو ترك القضا لبلا لسان⁽³⁾
ولذلك جاء القائل حين سمع قولها بقوله: (الوافر)
إذا قالت خدام فصدفوها فإن القول ما قالت خدام⁽⁴⁾

= من بني جديس، يضرب بها المثل في حدة النظر يقال لها: زرقاء البمامة، وزرقاء
جوه، لزرق عينيها. ينظر: معجم البلدان: 4/ 442 - 446، القاموس المحيط/ يمم.

(1) هو حسان بن أسعد بن تبع أو بن تيان بن كرب الحميري، من عظماء تبابعة اليمن
في الجاهلية، كان أكثرهم غارات، اتخذ من مأرب وظفار سكناً له. ترجمته في:
(تهذيب ابن عساكر: 3/ 342، التيجان: 297، الأعلام: 2/ 175).

(2) البيتان في معجم البلدان: 4/ 446. مروج الذهب: جديس.

(3) البيت لبمامة بنت مرة، وهو في ثمرات الأوراق: 157 برواية: «وأنزلوا وسيروا»،
وعبره في لفتح الطيب. 6/ 277، وفي اللسان/قطا، قول على قول 2/ 242.
والقطا/ ظاهر يسمى بذلك لثقل مشيه، وأحدته فطاة، والجمع قطرات وقطبات،
ومثيها القطيطاء.

(4) قبل: إنه لدسيم بن طارق أحد شعراء الجاهلية، وقيل: إنه للجم بن صعب. وهو
في: سيبويه: 1/ 435 - 441، ومعاني القرآن للفراء: 1/ 215، والكمال: 2/ 71، =

والمذهب الكلامي من مصيح السعالي. وهو في بيت البومبيري واضح
فصيح.

و(كثيف). اسم استفهام في ترويض نطش على الحال من (قوّم). لأنه
نخضض بالتعب. أو على الطرفة على مذهب سيويه. والعامل فيه: (يذكر).



= 414، والمقد الفريد: 18/3، والخصائص: 178/2، والاشتقاق: 188، وفي
التنبية: 175/1، وأبيات المغني: 329/4 برواية «فأنصوها». شرح ابن عقيل: 1/
105، شرح الأشموني: 537/6، شرح المفصل: 64/4، أمالي ابن الشجري:
115/2.

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ [118] // وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ⁽¹⁾

شرح: هذا نَزَعٌ يُقَالُ لَهُ: (الاعتذار)⁽²⁾. وهو أيضاً من بلاغة الفصحاء، إن السادح أو اللام إذا أظنّب في سرّ صفات السدح أو في سرّ صفات اللّه بلقي السّلاح ويقول: ما عسى أن أصل بوصفي؟ الأمر أعظم من هذا كُله والمّاظم قدّم نحو العشرين بيتاً، بسط فيها بسطاً لم يتقدّم مثله لآخر من المظهير، لكن وجد أن كل ما تصل إليه فكرته من السنخضار أمداحه أدو ما اشتملت عليه ذاته الشريفة. ثم إنه رأى أن غاية جزيه يوصله لا إلى غاية، وأن الوصول إلى الغاية من أمداحه مستحيل، وأله كما قال قبل في (اغبي الوري)، وهو من الوري. وكان متربّحاً طامعاً في إدراك ما يقرب. فجده من السنخضار ما علم، ثم لأح له العجز من نفسه فألقى السّلاح وقال: الوصول إلى التفصيل متعذر، وإنما المقدور عليه الإخبار بأوصافه بأمر جملي، فقال (فمبْلَغُ الْعِلْمِ). وجاء بالالف واللام ليُعْلَمَ أن ذلك غاية البشر في مدح سيد البشر. إنه كما أخبر عن نفسه حيث قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»⁽³⁾. فب. قيل: لا يخلو (القوم) في قوله: (قوم نيام)، إن كان على ما هو، أنه علوم رجع البيت إليه، ويكون ألف واللام هو الذي يكون متعاقباً للضمير في قول الفارسي⁽⁴⁾ في مثل قوله تعالى: «مُفْتَحَةُ لَمَّ الْأَوَّلِ» (ص: 150، أي: مفتحة لهم أبوابها. ويكون معنى (فمبْلَغُ الْعِلْمِ). أي: فمبْلَغُ عِلْمِهِمْ.

(1) الديوان: 194.

(2) ينظر بحثه في العمد: 854 / 1.

(3) سبق تخريجه: ص 272.

(4) الإيضاح العضدي: 140.

وَأَمَّا إِنْ قُلْنَا: إِنَّ النَّبِيَّ الْأَوَّلَ [عُمُومٌ] (1) فِي جَمِيعِ النَّبِيِّينَ، وَهَذَا بِمِثْلِهِ،
لَدَرَمٍ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ مَا عَلِمَ، لِأَنَّهُ وَرَدَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَأَلَهُ بِمَحْضَرِ أَنَاسٍ مِنْ
أَصْحَابِهِ مِمَّنْ خَلِيفَتُهُ وَقَدْ قُلْنَا ذَلِكَ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ خَلَقَ مِنْ نُورٍ - فَقَدْ عَلِمُوا
حَقِيقَةَ مَادَّتِهِ، إِلَّا إِنْ أُرِيدَ بِالْحَقِيقَةِ حَقِيقَةُ الْمَنْزُوعَةِ، وَمَا أُذْخِرَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ
الْكِرَامَاتِ فِي دَارِ الْكَرَامَةِ، فَيُحَرِّكُهَا قَالَ: إِذْ لَمْ يُظَلِّغْ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا
عِلْمٌ، لَكِنَّ مَبْلَغَ عَلَيْهِمُ مَا ذُكِرَ.

فَإِنْ قُلْتُ: (خَيْرٌ) بِتَقْضِي التَّفْصِيلِ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى
أَجِي يُونُسَ بْنِ مَتَّى» (2)، وَجَاءَ بِمِثْلِهِ فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْجَوَابُ: إِنَّ ذَلِكَ [قَبْلُ] (3) أَنْ يَعْرِفَ مَنَزَلَتَهُ، فَلَمَّا أَعْلِمَ بِهَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرُ» (4).

فَإِنْ قُلْتُ: هَذَا الْحَدِيثُ إِنَّمَا فِيهِ السِّيَادَةُ عَلَى وَلَدِ آدَمَ، فَمِمَّنْ [أَيْنَ] (5)
يُؤْخَذُ أَنَّهُ خَيْرٌ خَلَقَ اللَّهُ كُلَّهُمْ؟

قُلْتُ: قَدْ يَسْتَلْظَنُ قَبْلَ الْكَلَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ: (عَرُفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ
الدِّيمِ) (6)، وَعِنْدَ قَوْلِهِ: (مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ سَكْنَةِ الْحُكْمِ) (7)، وَقَدْ أَعْلَمْنَاكَ أَنَّ
لِلنَّاسِ فِي بَابِ التَّفْصِيلِ خِلَافٌ. قِيلَ: إِنَّ نَبِيَّ آدَمَ أَفْضَلُ الْمَخْلُوقَاتِ. وَقِيلَ:
الْمَلَائِكَةُ أَفْضَلُ مِمَّا عَدَا الْأَنْبِيَاءَ. وَقِيلَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ الْمَخْلُوقَاتِ،
وَالْمَلَائِكَةُ أَفْضَلُ مِمَّا عَدَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَقِيلَ بِالْوُفْقِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا ارْتَكَبَهُ النَّاطِقُ هُوَ

(1) فِي الْأَصْلِ: «عُمُومًا».

(2) الْبُخَارِيُّ: 62/14 - 64، مُسْلِمٌ: 1840/4، ابْنُ مَاجَهَ: 1429/2، الدَّارِمِيُّ: 2/309.. 13، أَحْمَدُ: 1/205 و242، الشَّافِعِيُّ: 116.

(3) فِي الْأَصْلِ: «قَدْ» وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ مَا أُبْتِنَاهُ.

(4) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ: ص 272.

(5) لَا تَوْجِدُ لِفِظَةِ «أَيْنَ» فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ إِبْتِنَاهَا.

(6) الدِّيَوَانُ: 193.

(7) الدِّيَوَانُ: 193.

المشهور المشهور في أقاويل الناس، والإمام فخر الدين⁽¹⁾ خلاف الناس في المسألة، واستوفى احتجاجات الجميع، فمن أراد الوقوف عليه في أحر السفر الأخير فليفعل.

وجاء الناظم بقوله: (خلهم) تأكيداً لئلا يتوهم أن كلامه على العموم المخصص، فإن التوكيد تمكين المعنى في نفس السامع، وإثبات الحقيقة، ورفع الشك. وقوله: (أنه بشر) لتحقيق مذهب [المسلمين]⁽²⁾ حذراً من مذهب النصارى عنهم الله، ولقوله ﷺ: «إنما أنا بشر»⁽³⁾.

11191// (فبلغ). مفعول من البلوغ، وهو قصارى الشيء ونهايته. وهو من الألفاظ التي لا تستعمل إلا مضافة. والألف واللام هي التعاقبة للضمير، وكأنه يقول فبلغ عندهم. والضمير في (فيه): عائد على النبي ﷺ. وباقي البيت واضح الإعراب.



(1) الأربعين في أصول الدين: 125، الملل والنحل: 20/5.

(2) طمس في الأصل، ولعله «المسلمين».

(3) البخاري 64/1 و26/11، مسلم: 400/1، الترمذي 398/2، النسائي 93/3.

أبو داود: 202/1، ابن ماجه: 380/1، ابن حبان: 113/1 و262/7 - 263، الجامع الصغير: 270/1. ولفظ هذا الحديث في مناسبات عدة.

وَكُلُّ آيِ الرُّسُلِ الْكَرَامُ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ⁽¹⁾

شرح: هذا البيت ينبي أنهم مغناة على (أن) في الموضعين من البيت الذي قبله: إما (أنه بشر)، فهو مفتوح الهزئة من غير تردّد فيه. وإما (وأنه) يختل أن يكون معظوماً على (أنه) فتكون الهزئة مفتوحة، ويكون (مبلغ علمهم) (أنه بشر)، وكأنه يقول: وهم في غفلة عما فاق به البشر، أما علموا أنه خير خلق الله كلهم؟ وإن كان بشراً كما أدركوا مع غفلتهم عن كونه أفضل جميع الخلق ساءة كانوا بشراً أو ملائكة. ويكون على هذا قوله: (وكل آي اتى الرسل الكرام بها)، أما علموا أنها إنما اتصلت بهم من نوره؟ وهذا منزع بريء، وما أخذ عند التأمل يدع، فيكون مغناة: إن جميع المعجزات [التي]⁽²⁾ جاء بها الأنبياء وإن اختلفت ألوانها على حسب ما خص به كل نبي كالتفلق السحري لموسى⁽³⁾، وتسجير الريح لسلیمان⁽⁴⁾، ولين الحديد لداود⁽⁵⁾ والتفخ والتسوية في خلقه الطير، وإحياء الموتى لعيسى⁽⁶⁾، إنما اتصلت بهؤلاء الأنبياء

(1) الديوان: 194.

(2) في الأصل: «الذي» ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) هو نبي الله موسى بن عمران بن قاهت بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. ينظر: تاريخ الطبري: 1/ 65، قصص الأنبياء: 262.

(4) هو نبي الله سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نخشون بن عمينا أدا بن إرم بن حصرون بن قارض بن يهود ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. ينظر: تهذيب ابن عساکر: 5/ 190، قصص الأنبياء: 432.

(5) هو نبي الله داود بن إيشا. (هامش 4) ينظر: تاريخ الطبري: 1/ 36، قصص الأنبياء: 420.

(6) هو نبي الله عيسى ابن مريم ابنة عمران. ينظر: المعارف: 24، مروج الذهب: 1/ 76، الكامل: 1/ 171، تهذيب الأسماء واللغات: 2/ 44.

مِنْ نُورٍ مُحَمَّدٍ؛ لِأَنَّ نُورَهُ ﷺ سَبَقَ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، فَكَانَ مِنَ الْأَسْرَارِ الْعَظِيمَةِ، إِذْ سَنَّ نُورُهُ سَائِرَ الدُّوَابِّ، وَأَوْدَعَهُ اللَّهُ نَبِيَّتَا آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ. وَكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ ظَهْرِ ظَاهِرٍ إِلَى بَطْنِ ظَاهِرٍ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي بَطْنِ آمِيَّةٍ، ثُمَّ أَوْرَثَهُ اللَّهُ لِلْوُجُودِ.

كَمَا أَنَّ اسْمَهُ ﷺ كَانَ سَابِقًا عَلَى وُجُودِ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ آدَمَ ﷺ تَوَسَّلَ بِهِ لِرَبِّهِ، وَهُوَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ: «الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ»⁽¹⁾، إِذْ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ عِنْدَكَ إِلَّا مَا غَفَرْتَ لِي. فَقِيلَ لَهُ: وَمَنْ أَيْنَ نَعْرِفُ مُحَمَّدًا؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي مَا مَرَرْتُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتُ فِيهِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. فَعَلِمْتُ أَنَّ الْإِسْمَ الَّذِي قُرِنَ بِاسْمِكَ عَظِيمٌ عِنْدَكَ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ هَبْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، أَخْتِمُ بِهِ الشَّيْثَانَ وَالنَّاسُوتَيْنِ. فَقَالَ آدَمُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْ ذُرِّيَّتِي مَنْ تَوَسَّلْتُ بِهِ إِلَى رَبِّي فَعَفَرَ لِي»⁽²⁾؛ وَلِلَّذَلِكَ قِيلَ: «إِنَّهُ ﷺ لَمَّا اجْتَمَعَ بِآدَمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ قَالَ لَهُ آدَمُ: مَرَحَبًا بِالْوَلَدِ الصَّالِحِ أَبِي رُوحِي، وَابْنِ جَسَدِي»⁽³⁾.

وَالرُّسُلُ: جَمْعُ رُسُولٍ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ لِلْعُمُومِ. إِلَّا أَنَّهُ ﷺ خَارِجٌ عَنِ ذَلِكَ الْعُمُومِ.

وَالضَّمِيرُ مِنْ (نُورِهِ) عَائِدٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَنَّ جَمِيعَ مَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ السَّعْجَرَاتِ مَا اتَّصَلَتْ إِلَّا مِنْ نُورِهِ بِهِمْ، أَيْ: لَمْ تَنْفَصِلْ بِهِمْ مُعْجِزَةٌ مِنْ غَيْرِ نُورِهِ، بَلْ مُعْجِزَاتُهُمْ كُلُّهُمْ اتَّصَلَتْ بِهِمْ مِنْ نُورِهِ. وَلَيْسَ مَعْنَى الْبَيِّنَاتِ أَنَّهَا مَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ إِلَّا بِهِمْ، بَلْ

(1) ينظر: تفسير القرطبي: 1/ 322، الطبري: 1/ 643، ابن كثير: 1/ 82.

(2) المستدرک: 2/ 272، مجمع الزوائد: 8/ 253، المعجم الأوسط: 6/ 314، المعجم الصغير: 2/ 182.

(3) البخاري: 4/ 2 - 3، مسلم: 1/ 148، أحمد: 20327.

اتَّصَلَتْ بِهِمْ، وَعَسَتْ بَرَكَاتُهُ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ. وَأَذَاةُ الْخَضِرِ وَهِيَ (إِنَّمَا) تُغْطِي فِي
 الْيَبْتِ مَعْنَى. وَلَكِنْ إِنْ قَدَّمْتَ مَا آخِرَ ظَهْرِ لَكَ مَا قَصِدَ، [120]// لَأَنْتَ لَوْ
 قُلْتَ: إِنَّمَا اتَّصَلَتْ بِهِمْ مِنْ نُورِهِ كَأَنَّ هَذَا هُوَ مُرَادُهُ، وَإِنَّمَا آخِرَ لَأَجْلِ الْغَافِيَةِ،
 فَالْمُسْتَحْصِرُ هَذَا الْفَاعِلُ فِي الْمَعْنَى، أَيُّ فَمَا اتَّصَلَتْ بِهِمْ إِلَّا نُورُهُ، أَوْ فَإِنَّمَا
 اتَّصَلَتْ بِهِمْ الْمُعْجَزَاتُ مِنْ نُورِهِ بِخِلَافِ لَوْ جَعَلْتَ الْمُسْتَحْصِرَ الْمَفْعُولَ فِي
 الْمَعْنَى لَكَانَ التَّقْدِيرُ: فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ الْمُعْجَزَاتُ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ، أَيُّ مَا اتَّصَلَتْ
 إِلَّا بِهِمْ. فَالْمَقْصِدُ، فَإِنَّهُ يَنْبَغُ عَنْ فِكْرِ مَنْ لَمْ يُحَقِّقِ الْمَوْضِعَ غَايَةَ التَّحْقِيقِ.

وَإِنَّمَا قُلْتَ لَكَ: إِنْ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ لِتَصِلَ إِلَى الْمَعْنَى الَّتِي
 أُرِيدُ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الْآخِرَ مِنَ الْوَاقِعِ نَعْدَ (إِنَّمَا) هُوَ مَحَلُّ الْخَضِرِ، وَكَذَا بَعْدَ
 (إِلَّا)، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: مَا صَاحِبَتْ إِلَّا زَيْدًا فَالْمُسْتَحْصِرُ زَيْدًا، وَأَنْتَ لَمْ
 تُصَاحِبْ غَيْرُهُ، وَصَحْبُكَ مَحْضُورَةٌ فِيهِ، بِخِلَافِ قَوْلِكَ: مَا صَاحِبَ زَيْدًا إِلَّا
 أَمَّا، لِزَيْدٍ مَا صَاحِبَةٌ أَحَدٌ غَيْرُكَ، وَأَنْتَ لَمْ تَكُنْ أَنْ تَكُونَ صَاحِبَةً وَصَاحِبَتْ
 غَيْرُهُ. وَذَلِكَ الدَّلِيلُ هُنَا عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: مَا اتَّصَلَتْ إِلَّا مِنْ نُورِهِ بِهِمْ، أَوْ مَا
 اتَّصَلَتْ الْمُعْجَزَاتُ بِهِمْ إِلَّا مِنْ بَرَكَاتِهِ. وَلَيْسَ مَا اتَّصَلَتْ إِلَّا بِهِمْ، لِمَا أَسْلَفْنَاهُ
 مِنْ إِنْطِلَالِ عُلُومِ التَّصَوُّلِ بِهِمْ ذَلِكَ؛ فَتَوَرَّعَ سَبَبُ اتِّصَالِ الْمُعْجَزَاتِ بِهِمْ حَتَّى
 أَتَوْا بِهَا، لَا أَنَّ إِثْبَانَهُمْ بِهَا هُوَ سَبَبُ اتِّصَالِهَا بِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَتْ هَذِهِ الْمُعْجَزَاتُ بِهِمْ مِنْهُ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُعَاصِرْهُمْ،
 وَهُمْ مُتَقَدِّمُونَ عَلَيْهِ بِالزَّمَانِ، وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ عَنْهُمْ؟

فَالْجَوَابُ: مَا أَسْلَفْنَاهُ مِنْ اتِّصَالِ الْمُعْجَزَاتِ الْمُتَأَخِّرَةِ عَنْ سَقِيَّةِ نُورِهِ.
 أَوْ نَقُولُ: قَدْ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ تَصَوَّبَ الْخَلْقَ فِي صُورِ الْهَبَاءِ قَبْلَ دُخُولِ
 الْأَرْضِ وَرَفْعِ السَّمَاءِ، فَأَشَاعَ نُورًا مِنْ نُورِهِ فَلَمَعَ قُبْسٌ مِنْ ضِيَاءِهِ، فَسَطَعَ، ثُمَّ
 اخْتَصَمَ النُّورُ فِي وَسْطِ تِلْكَ الصُّورِ، فَوُفِّقَ صُورَةُ بَيْنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى: أَنْتَ السُّخْتَارُ الْمُسْتَحَبُّ، وَعِنْدَكَ مُسْتَوْدَعُ نُورِي، وَتَكُونُ هِدَايَتِي. ثُمَّ

نصب العرش، ثم أنشأ السلافة من أنوار الهندعيا، وقون توحيد بنوته،
 فعدت له النور قبل كل شيء. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾
 إلى قوله: ﴿تَقُولُ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّكَ إِنَّمَا رَسُولٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [ال عمران 81]. فهو أبو الأرواح،
 والمقدم على جميع الخلائق. ونور الشمس والقمر والعرش والكروبي
 والسموات والأرض واللوح والقلم والأبصار من نوره. وإذا فهمت هذا هان
 عليك فهم اتصال أنوارهم بهم من نوره.

فإن قلت: عليك أن نفهم ما قررت على ما بسطت، لكن تلك اتصال
 أنوار فائضة من نوره على أرواحهم، والآي: جمع آية، وهي المعجزات،
 وفوق بين اتصال الأنوار بهم من نوره، وبين اتصال المعجزات بهم من نوره؟
 قلت: صدور معجزاتهم على أيديهم مشروط بصدقهم، إذ لا تصدر
 المعجزة على يد كاذب، كما هو مبين عليه في فضل بعثة الأنبياء. وصدق
 الصادق إنما هو لصفاته ذاته وتوحيدها فصار الصدق من لوازم صفاته الذات
 وطهارتها عن ذمات الصفات. والمعجزة من لوازم الصدق [121]// ولازم
 لازم الشيء لازم لذلك الشيء، فحسن كون الآيات إنما اتصلت بهم من
 نوره.

فإن قلت: الاتصال والانفصال من خصائص الأجسام، والآيات معانٍ،
 فما معنى اتصالها بالأنبياء؟

قلت: الاتصال يكون تارة بمعنى: التلاصق والاختلاط، وهو الذي
 تختص به الأجسام. وقد يكون الاتصال بمعنى: الخطول. كما يقال: اتصل
 بنا هذا العلم من جهة كذا. وكما يقال: من أين اتصل فلان بهذا السال؟ أي:
 من أين حصل له؟ فالانفصال هنا بالمعنى الثاني. وقد يكون الاتصال بمعنى:
 البلوغ إلى غاية ما يطلب. كما يقال: فلان اتصل، أي: نال ما طلب. فقد
 يكون هنا أيضاً الاتصال من هذا المعنى، ويكون التثنية: إنما خضوا بتلك

الذوات الثابتة لصدور الكرامات عنها، وظهور الآيات منها، مما أفيض عليهم من نوره ^(١)، فلما حصلت لهم من نوره نورانية الذوات كانت ذواتهم أهلاً لصدور الآيات، وظهور المعجزات.

(الآتي) جمع آية، وأصل آية: آية، فتحركت الباء، وكان ما قبلها مفتوحاً، فقلت ألفاً ولم يفعل ذلك في الأخرى لئلا يتوالى على الكلمة إغلا لا ن. و(آية) و(آي): من قبيل ما بينته وبين مفردة ثاء تأنيث: كتمرة وتسر. فالسفرة بالشاء، والجمع محرّد عنها. وهو قياس هذا السب. وورد قليلاً بالعكس: ككساة وكما، فكما مفرد، جمعة: كما.

ودخلت الفاء في قوله: (فإنما اتّصلت)، لما تضمن المبتدأ معنى الشرط دخلت الفاء في الخبر.

وفي البيت الذي قبله (لاستبّاح)^(١): وهو أن يتبع الشاعر مدحاً مدحاً حقّه.



(١) سبق بحثه: ص 260.

فَبَإَنَّهُ شَفِئْتُ فَضْلِي هُمْ كَوَاجِبُهَا يُظْهِرُونَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ⁽¹⁾

شرح: جاء بهذا البيت تعليلاً لما ذكر في البيت قبله - فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ: إِنَّ
الْأَيَّ إِنَّمَا اتَّعَلْتُ بِهِمْ مِنْ نُورِهِ، قِيلَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ نِسْبَةَ نُورِهِ النُّضُوءِ
الْمَكُونِ - الْمُتَقَدِّمِ خَلْقُهُ عَلَى خَلْقِ الْمَخْلُوقَاتِ كَافَّةً - كَنِسْبَةِ الشَّمْسِ، وَنِسْبَةِ
دَوَاتِ الْأَنْبِيَاءِ نِسْبَةَ دَوَاتِ الْكَوَاكِبِ. وَلَمَّا كَانَ الْكَوَاكِبُ الظَّاهِرَةُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ
مِنْ أَشْعَةِ الشَّمْسِ الْفَائِضَةِ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ الشَّمْسُ لَيْسَتْ بِظَاهِرَةٍ لِأَهْلِ
الْأَرْضِ، فَكَذَلِكَ دَوَاتِ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا ظَهَرَتْ فِي الْوُجُودِ اسْتَنَارَتْ مِنْ أَشْعَةِ النُّورِ
الْمَكُونِ الْفَائِضَةِ عَلَيْهَا. وَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ غَلَبَ صِبَاؤُهَا كُلَّ نُورٍ كَانَ فِي
الْكَوَاكِبِ. وَعَادَتِ الْأَنْوَارُ كُلُّهَا لَهَا فَلَمْ يَظْهَرْ بَعْدَ ظُهُورِهَا كَوَاكِبُ، وَكَذَلِكَ لَمَّا
ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَسَخَّرَتْ شَرِيعَتُهُ سَائِرَ الشَّرَائِعِ [122]// وَلَمْ يَبْقَ دَبٌّ يُعْبَدُ
بِهِ اللَّهُ وَظَنَّ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ هُوَ ﷺ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ بِمَدْحِ مُلْكِهِ مِنْ
الْمُلُوكِ: (طويل)

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَاكِبُ⁽²⁾

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا التَّمْثِيلُ هَلْ يَجْرِي مَعَ كَوْنِ السُّنَاءِ ثَوْرِيَّةً، أَوْ عَلَى كَوْنِهَا
بَسِيطَةً؟

قُلْتُ: قَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَرْضُ بَسِيطَةٌ.

(1) الديوان: 194.

(2) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه: 56. نقد الشعر: 108، والكامل: 33/3 «فإلك»،
الصناعتين: 91 و218 «بأنك»، وفي: الشعر والشعراء: 171/1، والعقد: 289/1،
أمالي المرتضى: 487/1 و17/2، المعتمد: 1791/2، والحمامة المغربية: 127/1
«كأنك».

وَالسَّمَاءُ مُطَبَّقَةٌ عَلَيْهَا كَالْفُسْطَاطِ الْمَضْرُوبِ. وَقَالَ آخِرُونَ: إِنَّ الْأَرْضَ حُرَّةٌ لَا بِنَاءَ عَلَيْهَا مُعْتَمِدَةٌ عَلَى شَيْءٍ غَيْرِهَا، وَالْهَوَاءُ أَحَاطَ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا، وَالنَّارُ مُحِيطَةٌ بِالْهَوَاءِ، وَالسَّمَاءُ مُحِيطَةٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ هُوَ مَذْهَبُ الْجَنَابِلِ الْأَعْظَمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ^(١). وَعَلَيْهِ ذَلَّتِ النُّصُوصُ الْوَارِدَةُ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَاسْتَدْوَأَ بَنَاتُ التَّأْوِيلِ. وَقَالَ بِالْقَوْلِ الْآخِرِ بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَتَأَوَّلُوا مَا وَرَدَ مِنَ النُّصُوصِ الْمُفْتَضِلَةِ الْمَذْهَبِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْهَيْئَةِ ثَاقِفَةٌ. وَأَهْلُ هَذَا الْمَذْهَبِ الثَّانِي قَالُوا: إِنَّ جُزْمَ الْقَمَرِ غَارٍ عَنِ النُّورِ مِنْ دَاخِلِهِ، وَأَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ النُّورَ مِنْ ضِيَاءِ الشَّمْسِ، وَاسْتَدْلُوا عَلَى ذَلِكَ بِالْحُسُوفِ الْوَاقِعِ بِهِ جَبِينَ تَشُعُّ الْحَيَلُولَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُورِ الشَّمْسِ فِي مُتَنَصِفِ الشَّهْرِ أَوْ قَرِيباً مِنْهُ.

وَقَالُوا فِي قَوْلٍ مِنْ مَا قَالُوهُ: إِنَّ نُورَ الْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ فَيْضَانِ نُورِ الشَّمْسِ عَلَيْهَا وَلَوْلَا مَا يَبْقَى عَلَيْهَا مِنْ ضِيَاءِ الشَّمْسِ مَا أَبْرَزَتِ الْكَوَاكِبُ. فَإِذَا أَبْرَزَتِ الشَّمْسُ بِالْأَرْضِ، وَغَابَ عَنِ النَّاسِ قُرْصُهَا، بَقِيَ نُورُهَا فَانْضَأَ عَنْ حَوَالِبِ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَاصْبَدَأَ إِلَى السَّمَاءِ. مُخْلِماً رَادَ ارْتِفَاعِهِ تَقَارُبَ بَعْضَةٍ مِنْ بَعْضٍ، لِكُونِ جُزْمِهَا عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ سَبْعِينَ سَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ. فَلَا يَبْزَالُ النُّورُ بِتَقَارُبِ حَتَّى يَلْتَقِيَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، وَيَنْتَقِطِعَ ظِلُّ الْأَرْضِ. فَلَا يَلْحَقُ النُّورُ بِالْفَلَكَ الْمَكْرُوكِ وَهُوَ الْفَلَكَ الثَّامِنُ، ثُمَّ يَعُودُ الْأَمْرُ عَلَى مَا كَانَ. وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا تَجِدُ انْكَسَافاً لِلْكَوَاكِبِ بِخِلَافِ الْقَمَرِ فَإِنَّهُ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَصِلُهُ مَحْرُوطُ الظِّلِّ قَبْلَ انْقِطَاعِهِ، وَبِهَذَا يُفْهَمُ كَيْفَ تَطْهَرُ الْكَوَاكِبُ لِلشَّمْسِ فِي الظُّلَمِ حِينَ غَيْبُوتِ الشَّمْسِ، فَتَمُتِلُ النَّازِمُ مَا تَقَدَّمَ بِالشَّمْسِ وَالْكَوَاكِبِ.

وَيُؤْخَذُ مِنْ كَلَامِ النَّازِمِ - عَلَى مُفْتَضَلِ تَشْبِيهِهِ - أَنَّهُ يَرَى الْأَرْضَ كَوَرِيَّةً، وَهُوَ قَوْلُ الْأَقْلَى مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْهَيْئَةِ، فَنُورُهُ هَبَّةٌ فَانْضَأَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَيَصَانُ نُورُ الشَّمْسِ عَلَى الْكَوَاكِبِ. وَالْأَنْبِيَاءُ [123]// هَدَّوْا النَّاسَ،

(١) ينظر: المواقف في علم الكلام: 217.

وَنَفَعُوهُمْ بِنُورِهِ ^١، وَهُوَ لَمْ يَبْرُزْ لِلْوُجُودِ بِصُورَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ الْمُسَارَكَةِ، كَمَا
 أَظْهَرَتْ الْكَوَاكِبُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ وَهِيَ غَائِبَةٌ عَنِ النَّاسِ، فَلَمَّا بَرَزَ ^٢ خَبِثَتْ
 سَائِرُ الْمَنَاطِلِ الْمُتَقَدِّمَةِ. وَتَسَخَّتْ شَرِيعَتُهُ ^٣ سَائِرَ الشَّرَائِعِ، كَمَا تَسَخَّتْ
 لِنَفْسِ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ حِينَ تَبَرَّزَ لِلْوُجُودِ وَتَظَلَّعَ عَلَى النَّاسِ
 وَفِي الْجَمْعِ بَيِّنٌ: تِلْكَ الشَّمْسُ، وَالْكَوَاكِبُ، وَالْمُشَبَّهَةُ بِهَا، مُرَاعَاةُ
 التَّظْلِيلِ.

وَفِيهِ أَيْضاً: الطَّبَاقُ، لَجَمْعِهِ بَيْنَ الْمُتَضَادِّينَ: النُّورِ وَالظُّلَامِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ
 امْرِئِ الْقَيْسِ: (طويل)

كَأَنَّ قُلُوبَ الظُّلَمِ رَطْباً وَيَابِساً^(١)

فَجَمْعُهُ بَيْنَ الرُّطْبِ وَالْيَابِسِ طِبَاقٌ.

وَأُخِذَ مِنَ التَّشْبِيهِ أَنَّ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اسْتَفَادُوا الْأَنْوَارَ مِنَ نُورِ
 النَّبِيِّ ^٢ وَاسْتَفَادَ أَفْعُهُمْ مِنْهُمْ مَا يَبْنُوا لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ الْمُبَارَكِ، ثُمَّ
 حَادَ ^٣ فَانْتَهَتْ إِلَيْهِ الْهِدَايَةُ الْعَامَّةُ. وَهَذَا مِنَ التَّقْرِيقِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا حَقِيقَةَ
 التَّقْرِيقِ قَبْلُ^(٢)؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (هزج)

كَانَا غُصْنٌ شَطْبٌ قَدْ بَالٍ وَذَا رَطْبٌ^(٣)

فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا فِي الْحُكْمِ - وَهُمَا نَوْعٌ وَاحِدٌ - فَحَكَمَ لِهَذَا بِحُكْمَيْنِ
 مُتَبَايِنَيْنِ: الْبَلَاءِ وَالرُّطُوبَةِ.

وَأَنشَدَ بَعْضُ النَّاسِ هُنَا بَيِّنًا زَادَهُ عَقِبَ هَذَا الْبَيْتِ فَقَالَ:

حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ فِي الْأَفُقِ عَمَّ هَدَى لِلْعَالَمِينَ فَأَخْبَنِي سَائِرَ الْأُمَمِ^(٤)

(١) سبق تخريجه: ص 47.

(٢) ينظر ص 258.

(٣) البيت لديك الجن في ديوانه: 32، وفي رفع الحجب: 57/1.

(٤) لا يوجد هذا البيت في رواية الديوان.

وإن كان مُناسِباً لِتَمَامِ الْمُقْضُودِ مِنَ التَّشْبِيهِ، لِأَنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ غَمَّ
 ضَوْؤُهَا الْأَفَاقَ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْأَنْوَارِ بِطُلُوعِهَا، وَكَذَا لَمَّا كَانَتْ هِدَايَةُ الْمُرْسَلِينَ
 لِأَمَمِهِمْ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ غَمَّتْ بِرِسَالَتِهِ الْأَسْوَدُ وَالْأَخْضَرُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ.
 وَهَذَا الَّذِي قَعَّدَ هَذَا التَّنْسِيمَ فَإِنَّهُ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى غَيْبَةِ الْكَوَاكِبِ عِنْدَ طُفُورِ
 الشَّمْسِ وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُقْضُودُ، وَلَكِنْ تَنْصِبُهُ عَلَى ذَلِكَ الرَّجْهِ أَيْضاً. وَالْبَيْتُ
 الَّذِي أَسْلَفْنَاهُ لِمَادِحِ مَلِكِهِ أَبْدَعَ فِيهِ حَيْثُ قَالَ:

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالسُّلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَنْدُ بِنَدِّ مَشْهُورِ كَوَاكِبِ (١)
 وَلِتَرْجِعْ لِبَيْتِ الْأَضَلِّ وَهُوَ مَا قَالَ:

(١) البيت للنابغة الذبياني، سبق تخريجه: ص 303.

اَكْرَمَ بِخُلُقٍ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ بِالْخُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِرِّ مُتَّسِمٌ⁽¹⁾

شرح: هذه الكلمة من الصيغتين اللتين وضعت العرب للتعجب، وجاء الناطم بهذه الصيغة للتفاخر بصفات نبيه ﷺ، وبذاته المستسيلة على تلك الصفات، وإن كانت الصيغة صيغة التعجب. وظاهر اللفظ أنه تعجب من خلقه ﷺ، وإنما قصد الإغلام بأن هذه الذات وما اشتملت عليه لم يُعهد مثلها في البشر، كما جاء من قوله نساء زليخة⁽²⁾: «ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم» يوسف: 101. فالتعجب إذن إنما هو من جمال خلقته وبهاء حسنه. (T124) // ويدل عليه قوله: (بالخُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِرِّ مُتَّسِمٌ)⁽⁴⁾.

وقد وهم بعض الأصحاب لإجراء صيغة (أفعل) من كلام الناطم على مقتضى صيغ التعجب عند النحاة، وقال: «إنَّ الكرم ليس من أوصاف الخلق». ولم يعلم أنَّ الكرم يستعمل في بذل التواجد، ويُستعمل في شرف الذات وكمال أصلها، كما يقال: أرضٌ كريمة. أي: طيبة التربة سليمة من غريب البقاع. وإذا كان ذلك كذلك كان في معنى (أخسِن).

ولنعلم أن إشارة الناطم إلى معنى عظيم: وذلك أنه لما ذكر أنه (فاق النبيين في خلق وفي خلق)، والخلق الذاتية مربية بالعباد، فأخذ في ذكر بعض خلقه وصفاته، المستسيلة تلك الذات عليها، فذكر أشياء لا تدل على تحديده، ولا على إدراك غايته، بل جاء بها إثباتًا جمليًا، دالًا على كمال كلّي.

(1) الديوان: 193.

(2) هي زليخة امرأة العزيز. ينظر: المعارف: 35، نهاية الأرب: 105/12.

(3) وفي الأصل: «ما هذا بشر...».

(4) الديوان: 194.

سئل قوله: (لَمْ يَدْنُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ)⁽¹⁾. وقوله: (غَرَفًا مِنَ الْبُخْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيمِ)⁽²⁾. وقوله: (فَإِنَّمَا اتَّصَلْتُ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ)⁽³⁾. فَلَمْ يُحَظْ بِالنُّورِ الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ أَنْوَارِهِمْ. فَلَمَّا أُجْتَمِلَ ذَلِكَ بِغَايَةِ لَا تُذْرَكُ، فَقَالَ: أَكْرَمَ سَأَ فَاقَ هَذَا السَّيِّئِ الْأَمِيِّ الْخَلْقَ، لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ فَأَقَرُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْبَشَرِ عَدَاءَهُمْ، وَهُوَ قَدْ فَاقَهُمْ، وَمِنْ فَاقِ الْمُنَازِقِ كَانَ قَابِلُهُ فَاثِقًا لَهُ وَلَمَّا فَاقَ فَخَرَجَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ، فَاقَ الْجَمِيعَ. فَتَفَاخَرَ النَّاسُ بِهَذَا الْبَيْتِ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: تَسْبَحُوا وَتَعْجَبُوا سَأَ زَيْنَ اللَّهِ خَلَقَ لِيَتَبَهَّ بِهِنَّ مِنَ السَّحَابِ الشَّرِيفَةِ وَالْخَلْقِ الْمُنِيفَةِ، وَكَأَنَّهُ التَّعَجُّبُ مِنْ عَدَمِ الْمُسَارَكَةِ، إِذْ حَوَّضَ الْخُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْتَسِمٍ كَمَا قَدَّمَ

(وَزَانَهُ) الْفُسْطَيْمُ مِنْهُ عَائِدٌ عَلَى (الْخُلُقِ) وَيَصُحُّ عَوْدُهُ عَلَى (نَبِيِّ)، فَتَكُونُ الْخَمَلَةُ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِـ (نَبِيِّ)، وَعَوْدُهُ عَلَى (نَبِيِّ) أَحْسَنُ، لِكَوْنِهِ أَقْرَبَ مَذْكُورٍ، وَلِأَنَّهُ تَكْرَرٌ، وَالْخَمَلَةُ فِي الرَّصْبِ بِهَا تَكْرَرٌ، وَإِنْ كَانَ (خُلُقٌ) مُضَافًا إِضَافَةً لَا تُكْسِبُ الْكَلِمَةَ تَعْرِيفًا بِاللَّفْظِ، وَإِنْ أَفَادَتْهُ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى، مُبَاحِظٌ ذَلِكَ. لِأَنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ ذَلَّ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ (الْخُلُقُ)، اعْرِفْ مَعَارِفَ هَذَا النَّوعِ، لَكِنَّ الْحُكْمَ الْإِعْرَافِيَّ يُحْمَلُ عَلَى مُفْتَظِلِ أَحْكَامِ الْقَوَاعِدِ الْخَوِيَّةِ.

(وَمُسْتَمِلٍ) (وَمُنْتَسِمٍ) أَيْضًا وَضَمَّانٌ أَخْرَأَ عَنِ السَّجُورَيْنِ اللَّذَيْنِ تَعَلَّقَا بِهِمَا لِإِلْحَاحِاجِ إِلَى آخِرِي الشَّطْرَيْنِ فَاقِيَّةً وَوَرْنًا. وَكُلُّ وَضْعٍ مِنْ (مُسْتَمِلٍ) (وَمُنْتَسِمٍ) تَحْمَلُ ضَمِيرًا مَرْفُوعًا مُسْتَرًّا، فَإِنْ جَعَلْنَا الْفُسْطَيْمَ الْمُنْضَوْبَ بِ (زَانٍ) عَائِدًا [عَلَى] ⁽⁴⁾ (خُلُقٍ)، وَكَانَ الْفَاعِلُ بِ (مُسْتَمِلٍ) (وَمُنْتَسِمٍ) عَائِدًا عَلَى (نَبِيِّ) حَصَلَ فِي الْبَيْتِ مَعْنِيَانِ: خَلَقَهُ، وَذَاتَهُ؛ وَوَزَعَ ضَمَائِرَهُ عَلَيْهِمَا، فَكَانَ أَوَّلُ

(1) الديوان: 193.

(2) الديوان: 193.

(3) الديوان: 194.

(4) لا توجد «على» في الأصل ولعلها سقطت سهواً.

الصَّامِتِ لِلْخَلْقَةِ، وَمَا بَعْدَهُ لِلذَّاتِ. وَهَذَا يُسَمَّى عِنْدَ الْبَيِّنِينَ اسْتِخْدَامًا⁽¹⁾،
وَفِيهِ نَظَرٌ مَا؛ لِأَنَّ الاسْتِخْدَامَ الْحَقِيقِيَّ إِنَّمَا يَتِمَّكُنْ فِي الْأَلْفَافِ الْمَشْتَرَكَةِ، فَيَأْتِي
الشَّاعِرُ بِلَفْظٍ مُشْتَرَكٍ، وَيَأْخُذُ عَلَى مَعْنَاهِ الْحَقِيقِيَّ لِأَحَدٍ مَعَانِيهِ، ثُمَّ يُعِيدُ عَلَيْهِ
مَسِيرًا صَالِحًا لِيَتَعَيَّ آخَرُ يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (وَأَمْر)

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِيْنَاءُ وَإِنْ كَانُوا عِضَابًا⁽²⁾

و (السَّمَاءُ) فِي الْمَاءِ مُجَارٌ، فَهُوَ أَخَذَ مُجَازَاتِ السَّمَاءِ، مِنْ مُجَازِ
الْحَذَبِ، أَيِ: إِذَا نَزَلَ مَاءُ السَّمَاءِ، فَأَعَادَ الضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ: (رَعِيْنَاءُ) عَلَى وَجْهِ
مُجَازِيٍّ، وَهُوَ مُجَازُ التَّجَارِ. فَإِنَّ إِطْلَاقَ السَّمَاءِ عَلَى الْمَاءِ مُجَارٌ، وَإِطْلَاقُ
الرَّغِي عَلَى الْمَاءِ مُجَارٌ، إِذِ الرَّغِي النَّبَاتُ، وَالنَّبَاتُ إِطْلَاقُ السَّمَاءِ عَلَيْهِ مُجَارٌ
مُجَارٍ، فَكَانَ فِيهِ الاسْتِخْدَامُ مُتِمَّكِنًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَأَمَّا مَا فِي الْبَيْتِ لَمْ تَعُدِ
الضَّمَائِرُ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ كَمَا فِي بَيْتِ الشَّاعِرِ، بَلِ الضَّمِيرُ الْمُنْطَوِّبُ عَلَى
(الْخُلُقِ)، وَالضَّمِيرَانِ الْمَرْفُوعَانِ عَلَى (نَبِيِّ).

وقوله: (بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ) رَاجِعٌ لـ (الْخُلُقِ) بِسُكُونِ اللَّامِ.

وقوله: (بِالنَّبَرِ مُنْثَمٍ) رَاجِعٌ لـ (الْخُلُقِ) بِضَمِّ الْخَاءِ وَاللَّامِ.

وَجَعَلَ (الْحُسْنَ) رِدَاءً لِبَيْتِهَا جَسِعَ أَعْضَائِهِ ^{لِلْإِسْمِ}، فَفِيهِ الاسْتِعَارَةُ
الْعُضْمَةُ، وَ(الْحُسْنُ) عَمَّ كُلَّ مَا تَتَّصِفُ بِهِ الْأَعْضَاءُ الظَّاهِرَةُ مِنَ الْمَحَاسِنِ.

وقوله: (بِالنَّبَرِ مُنْثَمٍ)، أَيِ: عَلَيْهِ عَلَامَاتٌ تَذُلُّ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ
النَّبَرِ. وَعَلَى رِوَايَةِ (بِالنَّبَرِ)، النَّبَرُ أَيْضًا يَذُلُّ عَلَى: طَلَاقِ الْوَجْهِ، وَالْإِقْبَالِ
عَلَى السَّائِلِينَ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُحْتَاجِينَ وَالسَّعْيِ فِي مَصَالِحِ الْخُلُقِ أَجْمَعِينَ.
وَلَقَدْ أَحْسَنَ حَسَنًا⁽³⁾ فِي قَوْلِهِ: (طَوِيل)

(1) سبق بحثه: ص 94.

(2) سبق تخريجه: ص 97.

(3) البيتان لبياحسان، ولا يوجدان في ديوانه؛ وهما في: الأغاني 14/224 - 227، -

تَرَاهُ إِذَا مَا حَمَلَتْهُ فَسَهْلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ^(١)
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلَيَسَّيَ اللَّهُ سَائِلُهُ^(٢)
وَقَدَّمَ النَّازِغُ الرُّضْفَ بِالْجُمْلَةِ عَلَى الرُّضْفِ بِالْمُفْرَدِ، وَمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا
إِلَّا الْخِيَاخَةُ لِتَأْجِيرِ الْمُفْرَدَيْنِ؛ فَإِنَّهُ لَوْ أَخَّرَ الْجُمْلَةَ لِلزُّمَةِ أَخَذَ أَفْرُسًا - إِمَّا تَعَطُّلًا
فَاقْبِيهِ، أَوْ جَعَلَ الرُّضْفَ بِالْجُمْلَةِ فِي بَيْتٍ آخَرَ، وَالْإِيجَارُ وَالْإِخْتِصَارُ أَوْلَى،
وَيَكُونُ تَقْدِيمُ الرُّضْفِ بِالْجُمْلَةِ مَعَ تَخْصِيلِ قَائِمِ الْمَضْلَحَتَيْنِ أَوْلَى. وَهَذَا إِذَا
كَانَتِ الْجُمْلَةُ وَضْفًا لَ (نَبِيٍّ)، وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَيْهِ وَإِنْ أَعَدْنَا الضَّمِيرَ عَلَى:
(خُلُقٍ) لَمْ يَقَعْ لَهُ ذَلِكَ.

(الْخُلُقُ) وَ(الْخُلُقُ) تَحْسِينٌ

وَحُكْمُهُ بِ (الْحُسْنِ) عَلَى (الْخُلُقِ)، وَ (الْبِرِّ) أَوْ (الْبِشْرِ) عَلَى (الْإِتْسَامِ)
مِنْ بَابِ التَّقْسِيمِ وَالتَّوْزِيعِ.

وَفِيهِ قِرَاعَاتُ النَّظْمِ، لِحُسْنِهِ بَيْنَ الْمُسَامَسَاتِ فِي الْمَعَالَى وَقَدْ اسْتَلَفْنَا
مِنْ كَلَامِ الشُّعْرَاءِ مَثَلًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.



= والمعاهد: 312/3، والخزاة: 265/2. لعبد الله بن الزبير في مدح أسماء بن
خارجة.

(١) المشهور أن هذا البيت لزهير في مدح حصين بن حذيفة وهو في ديوانه: 142،
عيون الأخبار: 341/1، الشعر والشعراء: 139/1، نقد الشعر: 97، البديع:
289، زهر الآداب: 422/2، العمدة: 777/2، الحماسة البصرية: 426/2،
الحماسة المغربية: 134/1، وينسب في: الفوات: 80/1 لبكر بن النطاح.

(2) المشهور أن هذا البيت لأبي تمام في مدح المعتصم، وهو في: ديوانه: 29/3، وفيه
رواية (.... نفسه x نائله)، التبعة: 213/3.

كَالرَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبُذْرِ فِي شَرَفٍ وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هَمٍّ⁽¹⁾

شرح: ذَكَرَ بَعْضُ الْأَصْحَابِ أَنَّ النَّاطِمَ سَبَّهَ ذَاتَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَهْجَةِ ضَوْوِهِ وَتَنْعِيمِهَا وَطِبِّ رَاحَتِهِ، وَفِي شَرَفِهِ، لِلْبُذْرِ، وَإِنْ حَدَا حَدُّ اللَّفْظِ، لَكِنَّهُ نَعَدَ عَنْ قَصْدِ النَّاطِمِ، وَإِنَّمَا قَصْدُ النَّاطِمِ خَضِرَ التَّعَاقُبِ بِالْمَعْنَى الْمُنَاسِبِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: النَّبِيُّ ﷺ بِصِفَاتِهِ السُّبِّحَةِ، وَصِفَاتِهِ الشَّرِيفَةِ نِسْبَةً إِلَى سَائِرِ الْخَلْقِ فِي شَرَفِ الْمَنَازِلِ وَأَعْرَاضِهَا، كَنِسْبَةِ الرَّهْرِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ أَرْهَارِ الْأَكْثَامِ فَلَا تَحُدُ اللَّيْنُ وَلَا أَضْمَى [126]// وَلَا أَمْلَحُ وَلَا أَفُوحٌ مِثْلُهَا، فَكَذَلِكَ لَا تَحُدُ ذَاتًا أَمْلَحُ وَلَا أَفُوحٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَإِذَا وَقَعَ التَّشْبِيهُ بِهَذِهِ النَّسَبَةِ لَا تَكُونُ صِفَانَةً وَلَا ذَاتَةً مَحْمُولَةً عَلَى أَلْيَا حَوَتْ مَا حَوَى الرَّهْرِ، بَلْ لَا تُقْبَلُ ذَاتُهُ ذَاتَ الرَّهْرِ، وَلَا صِفَانَةُ صِفَاتِ الرَّهْرِ، إِذْ ذَاتُهُ لَا تَحْسِلُ، وَصِفَانُهُ أَيْمٌ وَأَكْمَلُ، وَهَذَا كَمَا نَرَى قُلْتُ: الْعَالَمُكَ مَعَ رَعِيَّتِهِ كَرِثَ النَّبِيِّ مَعَ عِيَالِهِ، فَقَدْ اشْتَرَكَا فِي سَبَبِ قِيَامِ كُلِّ رَاغٍ بِرَعِيَّتِهِ، وَشَتَانُ مَا بَيْنَ الْمُقَامَيْنِ، وَكَذَا تَفْهَمُ قَوْلُهُ: (وَالْبُذْرُ فِي شَرَفٍ)، لَمَّا كَانَ الْبُذْرُ فِي تَبَلُّهِ كَمَالِهِ تَامَ النُّورَانِيَّةِ، جَلَاءَ لظُلْمَةِ الرُّمْنِ، الَّذِي - لِزُلَاةِ - هُوَ مَحَلُّ الظُّلْمَةِ، فَكَانَ ظُهُورُهُ جَلَاءَ لِلْأَمَةِ كَظُهُورِ الْبُذْرِ عَلَى الْأَفَاقِ.

فَبِإِنْ قِيلَ: وَلِمَ لَمْ يُمَثَّلْ بِالشَّمْسِ؟

قُلْتُ: لِكُونِهِ ﷺ ذَارِثًا بِأَصْحَابَةِ الْخُلَفَاءِ كَأَكَابِرِ النُّجُومِ، وَمِنْ دُونِهِمْ كَسَائِرِ النُّجُومِ وَلَمْ يُوجَدْ ذَلِكَ فِي التَّمَثِيلِ بِالشَّمْسِ، وَلِمَا بَيْنَ الْقَمَرِ وَبَيْنَ قَلْبِهِ مِنَ النَّسَبَةِ الْأَشْقَاقِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ أَقْسَمَ بِهِ أَيْضًا، وَلِمَا فِيهِ مِنَ اللَّيْنِ، وَعَدَمِ إِخْرَاقِ الرُّجُوحِ، وَقَدْ وَصَفَ ﷺ السُّؤْمِينَ بِأَنَّهُ: «مَبِينٌ لَيِّنٌ كَالْجَسَلِ الْأَنْوَفِ، إِنْ فِيدَ

لنقاد، وإن أُلحِقَ على صخرة استنسخ⁽¹⁾. وقد استعمل الناظم التشبيه بالبذر هنا. وفي القسم به، وفي الإصرار، حيث قال (كحسا سزى البذر في داج من الظلم)⁽²⁾ على ما سيأتي إن شاء الله.

وقوله: (والبحر في كرم) أخذه بعض من تكلم على القصيدة مأخذاً معه فيه قصور فقال: إنما مثل البحر في الكرم لغنوم متعته، لأنه يُعطي ما لا يُعطي غيره. فكانه حصر التمثيل في عطية الله؛ بل قصد الناظم أعم من هذا، ألا ترى أن القرس الجوز يقال فيه لستة جزية: بحر. وفي الحديث أنه لما سئل عن فرسٍ فقال: «هو بحر»⁽³⁾. وكذلك يقال في العلم: فلان بحر. ولذلك في الجود والكرم، يقال فيه: بحر. فمراد الناظم أنه عطا في كل فن من فنون الكمالات بحر.

فإن قلت: قال: (في كرم؟)

قلت: (الكرم) قد مر أنه توصف به الأرض الكريمة، وتوصف به الطباع التي لا ينشأ عنها إلا السخامة. فهو عطا في جميع كمالاته [بحر]⁽⁴⁾. وإن قال الغالب من إطلاق الناس (البحر) في مدحهم في إعطاء النوال، وبذل الأنوال، [لكن]⁽⁵⁾ حمله على الغنوم أولى وأعلى. والبحر فيه من المنافع المتعددة ما حملنا على طلب الغنوم في كلام الناظم، منها: إنه يوصل إلى

(1) الحاكم: 96/1، ابن ماجة: 16/1، أحمد: 126/4، شعب الإيمان: 276/6، الزهد لابن أبي عاصم: 130/1، الزهد لابن المبارك: 387، الفردوس: 188/4، وفي الحديث عدة أفاظ.

(2) الديوان: 197.

(3) البخاري: 140/12 و143 و146، مسلم: 1802/4 - 1803، ابن حبان: 14/284، ابن ماجة: 926/2، مجمع الزوائد: 261/5، الجامع لمعمر بن راشد: 358/11، معاصر المختصر: 146/1.

(4) في الأصل: «بحر».

(5) في الأصل: «لكنه» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

الأغراض العظيمة في طي البلاد. وتبلغ السفار أبايذ المقاصد. والسراد
ويحملنا الله سبحانه على ظهره بالرياح الملائمة حتى تصل إلى ما لا تقطعه
الخبيل والجبال إلا في الأرملة البعيدة. ومعلوم أن هذه الضفة تنبع من
صغاته ⁽¹⁾، فإن ذوي الحاجات يتوصلون به إلى المطالب التي لا مفرح لهم
في قضائها لولادة. وفي البذل كذلك أغطى ما شئت سدت بين جبلين. وسحر
بالحذيتي للمساكين سبعين ناقة. وفرق المال في مجمع البحرين حتى أعطاه
للأحجار. مع ما زاد الله في عطايته: من تكثير القليل، وتبع الماء من بين
أصابعه في مواضع قلة الطعام والماء. وكان بخرأ في شجاعته.

فإن قلت: إذا كان البحر يوصل إلى ⁽²⁾ الأغراض، فكذلك تحدث معه
من الأغراض ما توصل إلى الهلاك والأمراض؟

قلت: (1271) // ولا شك أنه بركة نعمة على من آمن بالله ورسوله. ونعمة
على من كفر وألحد في آيات الله؛ وكانت العرب تتفاخر بملك الضفتين؛ قال
الشاعر: (طويل)

وإن لساني شهدة يشتهى بها وهو على من صبه الله علقم⁽³⁾

فهو بحر كرم على المؤمنين، وسوط عذاب على الكافرين؛ فحسن
التشبيه بالبحر. وقد من الله سبحانه بالبحر على عباده في كتابه العزيز حيث
يقول: «وَهُوَ الْبَرِّ سَحَرُ الْخَرِّ» (النحل: 114) إلى آخر الآية⁽⁴⁾.

(1) لا توجد «إلى» في الأصل، ولعلها سقطت.

(2) هذا البيت استشهد به جماعة من متقدمي النحاة منهم: الفارسي وقطرب واللبث
ولم ينسبه واحد منهم إلى قائل معين، وأكثر ما قيل في نسبته أنه لرجل من همدان.
بطر - المغني: 567. أوضح المسالك: 1/ 177. شرح الأشموني: 1/ 81، الجمع
1/ 61 و 2/ 107، العيني: 1/ 451، ابن يعيش: 3/ 96، الجني الداني: 474،
والدرر: 1/ 37 و 2/ 216، التصريح: 1/ 148، الخزانة: 5/ 266.

(3) وفي الأصل: «وهو الذي سخر لكم البحر»، والصواب ما أثبتناه.

وقوله (والذَّهْرُ فِي هَمَزٍ)، الذَّهْرُ: عبارة عن مجموع الزمن المُستمر من الأعوام المُركبة من الأشهر المُركبة من الأيام والليالي المُركبة من الساعات، وهو المُحكى عنه بالأبد. ولتعلم أن الذَّهْرَ مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَقْلُقُ فِيهِ، حَتَّى إِنْ نَعِظُهُمْ كَانُوا يُعْتَقِدُ أَنَّ الْفَعَالَ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَمِنْهُمْ طَوَائِفُ الذَّهْرِيَّةِ، حَتَّى إِنْهُمْ جَادَلُوا فِي ذَلِكَ مُجَادَلَةً مُحَالٍ. وَقَدْ أَحْبَبَ اللَّهُ عَنْ قَوْمِهِمْ ذَنْبَهُمْ فِي قَوْلِهِمُ الْمُحْكِي عَنْهُمْ: ﴿وَمَا يَهْلِكُ إِلَّا الذَّهْرُ﴾ (الحاقة: 124). وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنَ الشَّرَوِيِّ: «لَا تَسْأَلُوا الذَّهْرَ فَإِنَّ الذَّهْرَ هُوَ اللَّهُ»⁽¹⁾، مُضَاهَاةٌ لَا نَعْتَقُدُ أَنَّ الذَّهْرَ هُوَ الْفَعَالُ، فَتُسَوَّى، فَإِنَّكُمْ إِنْ سَبَّحْتُمُ الْفَعَالَ بِاِغْتِنَادِكُمْ أَنَّهُ هُوَ الْفَعَالُ فَقَدْ كَفَرْتُمْ، إِذِ الْفَعَالُ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ تَعَالَى. وَلَقَدْ جَاءَ بَعْضُ الْإِسْلَامِيِّينَ فَقَالَ - وَهُوَ ابْنُ دُرَيْدٍ -: (وجز)

بِالذَّهْرِ إِنْ لَمْ تَكْ عُنَى قَاتِنًا فَإِنَّ إِرْوَاذَكَ وَالْعَنَى سُورًا⁽²⁾

وَقَالَ وَمُحَاطَبَتُهُ مَعَهُ: (وجز)

مَارَسَتْ مِنْ لَزَامَاتِ الْأَفْلَاكِ مِنْ جَوَانِبِ الْجَوَانِبِ عَلَيْهِ مَا شَكَ⁽³⁾

جَزِيًّا عَلَى مَا تَسَامَحَ الشُّعْرَاءُ فِي عَنَائِهِ، حَتَّى كَادَ أَنْ [يَشْتَبِهُوا]⁽⁴⁾ الْفِعْلَ لَهُ. وَفِي السَّنَةِ الْعَاقِبَةِ: الْأَيَّامُ تَرْفَعُ وَتَضَعُ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي مَذْحٍ مِنْ مَذْحِهِ: (طويل)

(1) البخاري: 41/22، مسلم: 1862/4، الهيثمي: 71/8، كشف الخفاء: 276/2، الفردوس: 10/5، جمع الجوامع: 824/1.

(2) نيوانه: 117، شرح المفصورة: 28، رفع الحجب: 43/2، العتبي: الرضى وهو الرجوع إلى الممراد الإرواد: الرفع والمهل، من أروء يروء إرواداً فهو مروء؛ ومثله قوله تعالى: ﴿أَمْنَهُمْ رُؤْيَا﴾.

(3) نيوانه: 117، شرح المفصورة: 29، تفسير القرطبي: 259/9، السعادي: 32/3، ومارست: من الممارسة، وهي المعالجة، أي: عالجت وخالطت، أو قاسيت.

(4) في الأصل: فيتسبون.

لَهُ هَمٌّ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمُّهُ الصَّغِيرُ أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ⁽¹⁾
 وَلَمَّا كَانَ الدَّهْرُ يَتَبَدَّلُ مِنْ يَتَبَدَّلُ، وَيَتَغَيَّرُ مِنْ يَتَغَيَّرُ، وَتَدْخُلُ سَائِرُ
 السُّجُودَاتِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ وَالْأَيَّامُ عَلَى حَالِهَا، فِي حَالِ دَوْرَانِهَا وَالتَّغَالُفِ.
 دَقَائِقُ سَاعَاتِهَا بِحَسَبِ أَرْجَمَتِهَا، لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، بَلِ الْيَوْمُ دَقَائِقُهُ فِي
 هَذِهِ السَّنَةِ هِيَ دَقَائِقُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَذَلِكَ اللَّيَالِي، فَاسْتَعْمَلْنَهُ الْعَرَبُ لِذَلِكَ
 مُؤْصِوفاً بِعَدَمِ مُبَالَاةِ بَسْمِ رَاحٍ أَوْ غَدَا، كَمَا قَالَ الْمُعَرِّي⁽²⁾ فِي نُجُومِ السَّمَاءِ
 فَقَالَ: (حَنِيف)

مَاتَ مَنْ مَاتَ وَالْأَرْضُ أَرْضًا وَالسَّمَاءُ السَّمَاءُ وَالْعُفْرُ عُفْرٌ
 وَنُجُومُ السَّمَاءِ تَضْحَكُ مَنًا كَيْفَ تَبْقَى مِنْ بَعْدِنَا وَنُسْرُ
 وَقَالَ: (وَالدَّهْرُ فِي هَمِّ) وَلَمْ يَقُلْ: (فِي هَمِّ)، تَكْثِيرًا لِلْعَظِيمِ هَمِّهِ فَانْتَبَهَ
 لِكُلِّهِ كَانَ فَرْدًا فِي مَبْدَأِ مَبْتَعِهِ، وَلَمْ تَزَلْ هَمُّهُ سَنِيَّةَ الْمَقْدَارِ إِلَى حَتَّى بَلَغَهُ اللَّهُ
 السَّيَاقَةَ الْعَظَمَى، وَالزَّلَّ عَلَيْهِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
 وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وَجَاءَ النَّاطِمُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مَعْظُوفَةً بِعُضْهَا عَلَى بَعْضِ بَوَارِ الْعَظْفِ
 وَالْكَافُ التَّشْبِيهِيَّةُ مُضْمَرَةٌ قَبْلَ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْكَلِمِ الْأَرْبَعِ. وَلَوْ كَرَّرَهُ عِوَضًا مِنْ
 وَاوِ الْعَظْفِ لَكَانَ أَنْسَبَ لِلْإِظْنَابِ لِأَنَّ السُّوْجِعَ مُوْضِعُ إِظْنَابٍ، [128]// وَلَا
 يَخْلُ لَهُ بِالْوِزْنِ، لِأَنَّ كَافَ التَّشْبِيهِ فِي [وِزْنٍ]⁽³⁾ وَاوِ الْعَظْفِ، لِأَنَّهُ حُرِفَ مَحْرُوكٌ

(1) قيل: البيت لحسان ولا يوجد في ديوانه. وقيل: هو ليكر بن النطاح ينظر: الأغاني
 2/ 2 - 17 و 155/ 17، المصباح في المعاني: 39، تاريخ دمشق: 4/ 125،
 المعاهد: 208/ 1.

(2) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التبريزي، أبو العلاء المعري، شاعر وفيلسوف
 (ت 449هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 1/ 32، معجم الأدياء: 1/ 101، سير
 أعلام النبلاء: 4/ 77) البيان في سطر الزيد: 241، شرح لامية المعجم: 4/ 420
 'راح من راح' و'نجوم السماء تعجب منا'.

(3) في الأصل: 'وزان' ولعل الأنسب ما أثبتناه.

بِفَتْحَةٍ. وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّهُ لَوْ جَاءَ بِهِ لَكَانَ لَهُ أَنْسَبُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ فَاصِلًا لِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْ الْآخَرَى، وَالْفَضْلُ فِي بَابِ الْإِظْنَابِ أَتَذَعُ وَاللُّغُ. وَالزَّوَا يُصَيِّرُ الْمَغْطُوفَاتِ مُتَّصِلَةً مُتَدَاخِلَةً بِغَضَبِهَا فِي بَعْضٍ. وَأَمَّا سُقُوطُ الزَّوَا فَتُشْعِرُ بِفَضْدِ بَسْطِ الْمَدْحِ وَطُولِ الْكَلَامِ، لِأَنَّ الْمَدْحَ طَالَمَا تَعَدَّدَتْ جُمْلَةٌ حَسَنٌ. وَحُرْفُ الْعِظْفِ يُصَيِّرُ الْمَغْطُوفَاتِ مَعَ الْمَغْطُوفِ عَلَيْهِ كَجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَفِي تَكْرِيرٍ لَهُذَا الْجُمْلِ تَرَقُّ، لِأَنَّهُ بَدَأَ أَوَّلًا بِمَا يَرْجِعُ لِلذَّاتِ، وَالذَّاتُ مَشْبُوعَةٌ وَالْأَوْصَافُ تَائِبَةٌ، فَبَدَأَ بِالْمَشْبُوعِ، هـ (الشَّرَفُ) مِنْ صِفَاتِ الرَّهْدِ الْمَشْرُوبِ مِثَالًا لِلذَّاتِ. وَ(الْبَذَرُ) أَيْضًا فِي شَرَفِ جَامِعِ بَيْنَ وَضْفِ الذَّاتِ وَالصِّفَةِ، لِأَنَّ بَهْجَتَهُ وَكَمَالَ ذَاتِهِ تُشْبِلُ لِمَعَانِ الذَّاتِ، وَنُورُ الْبَيْتِ وَنُورُهُ غَضًّا لِمَا أَتَّصَتْ بِهِ تِلْكَ الذَّاتُ هـ (الرَّهْرُ) وَ(الْبَذَرُ) دَلَالًا عَلَى مَا يَرْجِعُ لِلخَلْقِ. وَ(الْبَحْرُ) وَ(الذَّهْرُ) دَلَالًا عَلَى مَا يَرْجِعُ لِلخَلْقِ، فَفِيهِ التَّرْقِي مِنْ اثْنَيْنِ إِلَى اثْنَيْنِ، وَبِذَلِكَ الْفَتْحُ وَجَدَ التَّرْقِي بَيْنَ الْأَرْبَعِ، لِأَنَّ (تَرْفَ الرَّهْرُ) مَحْسُوسٌ، وَ(شَرْفُ الْبَذَرِ) مَعْقُولٌ، وَ(كَرَمُ الْبَحْرِ) كَالْمَحْسُوسِ، وَ(هِفَّةُ الذَّهْرِ) مِنَ الْمَعْقُولِ، فَهُوَ مِنَ التَّرْقِي الْحَسَنِ.

وَفِي الْبَيْتِ أَيْضًا شَيْءٌ مِنَ التَّقْسِيمِ، لَكِنْ تَأْخُلُ، مِنْ قَبِيلِ قَوْلِ الشَّاعِرِ (مَجْزُوءَ الْكَامِلِ)

سَلِيسٌ مُقَلَّدُهُ، أَسِيلٌ لِي خَدُّهُ، مَرِيعٌ جَنَابُهُ⁽¹⁾

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ شَاسٍ⁽²⁾: (خَفِيفٌ)

(1) البيت للأعشى الكبير ميسون بن قيس وهو في: ديوانه: 335 من قصيدة يمدح فيها رجلاً من كندة يقال له: ربيعة بن حيوة، العمدة: 1/ 606، سلس: سهل الانتقاد. مقلده: عنقه، أي: موضع القلادة منه. أسيل: ليس أملس. مرع: كثير الكلا. الجناب: الفناء.

(2) هو أبو عرار عمرو بن شأس بن عبيد الأسدي، شاعر مخضرم كثير الشعر. ترجمته في: (طبقات ابن سلام: 1/ 180، الشعر والشعراء: 1/ 425، معجم الشعراء: 212).

مَدْمَحٌ، سَابِغُ الضُّلُوعِ، طَوْدُ الشَّحْرِ حَمْرٌ، حَمْلُ الشَّوَى، مُمْرُ الْأَعْيَالِ
وَلِلْإِيَادِي أَبِي [دَوَادٍ]⁽¹⁾: (مُقَارِب)

سَعِيدٌ مَدَى الظَّرْفِ، حَاطِي الضَّمِيعِ مُمْرُ الْمَطْيِ، مُمْهَرِي الْعَصَبِ
وَفِيهِ الْمُقَابِلَةُ: مُقَابِلَةُ (الْخُلُقِ) وَ(الْخُلُقِ)، لِأَنَّ هَذِهِ السَّعَائِي رَاجِعَةٌ
لِلْمُتَقَابِلَيْنِ.

وَفِيهِ: التَّنْوِثُ فِي الْأَوَاقِ مُتَبَايِنَةٌ لَا يُقَاسُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ؛ وَهَذِهِ قَوْلُ
الشَّاعِرِ: (إِجْر)

صُبْحُ بَدَا، بَدْرٌ هَدَى، طَوْدٌ عَلَا، بَحْرٌ حَلَى⁽²⁾
غَيْثٌ هَمَا، لَيْثٌ صَمَا نَجْمٌ سَرَى، سَيْفٌ فَرَا
رُكْنٌ سَمَا، حِصْنٌ حَمَا رَوْضٌ ذُكَا، غُصْنٌ رَكَا
وَفِيهِ: التَّمَاثُلُ⁽³⁾ وَهُوَ مُسَائِلَةُ الْكَلِمِ فِي وَرَبِّهَا وَعَدَدِ حُرُوفِهَا وَحَرَكَاتِهَا

- الأغاني: 186/11 - 193)، والبيت في العمدة: 606/1 من شواهد التقسيم.
المدمح: المحكم التام. عبل: من عبل عبلا وعبل عبولا: إذا كان ضخمًا.
والشوى: البدان والرجلان. والممر: اسم مفعول وهو الجبل المفتول قتلاً شديداً.
(1) في الأصل: «داود» والصراب ما أنشأه وهو أبو دؤاد حنظلة بن الشرفي أو حاربه بن
الحجاج على خلاف في اسمه، شاعر جاهلي قديم من وصف الخيل. ترجمته في:
(الشعر والشعراء: 237/1، الأصمعيات: 185، الأغاني: 91/15 - 96، الخزانة:
4/190). والبيت في شعر أبي دؤاد ضمن كتاب «دراسات في الأدب العربي»
لغوستاف غرونباوم: ص 291 برواية «ممر القوى، مشهر العصب»، وفي الوساطة:
48 برواية: «سمهري العصب»، وفي العمدة: 606/1 برواية: «القصب». خطأ
يخطئ: أكثر وسمن. البضيع: اللحم. ممر المطي: قوي الظهر مفتوله. السمهري:
نرمج السرب إلى سمهري وأسمهري الأمر إذا اشتد
(2) شعر لحارم القرطاجي في رفع الحب 66/1. رواية (البيت سطا)، والشعر فيه هكذا:
صبح بدا بدر هدى طود علا بحر حلا غيث هما ليث سطا
نجم سري سيف فراكن سما حصن حمى روض ذكا غصن ركا
(3) التماثل: بحثه في: الصناعتين: 389، تحرير التحبير: 297، خزانة ابن حجة: 1/
293، أنوار الربيع: 639.

وسكناتها، كقول الحريري⁽¹⁾ «الكرم - ثبت الله حينئذ شعورك - بزين، واللؤم
- غش الدهر جفن حُودك - يثين»⁽²⁾.

والبيت المتقدم فيه أيضاً التمثيل.

وفيه: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ.

وفيه: التَّرْصِيعُ. [وهو⁽³⁾ ختم الكلمتين الأوليين بالناء. والكلمتين
الأخريتين بالميم. وهذه الصفات المذكورة كلها مجرورة⁽⁴⁾] - (في)، لجر
لَوْ سَقَطَ حَرْفُ الْجَرِّ لَكَانَتْ مِنَ التَّمْيِيزِ.

و(الشرف) من النعمة. «كأنوا قد ذك متروكة»⁽⁵⁾ الرفع. أي: في

نعمية



(1) هو أبو الفاس الحاريري. مبيقت له حسنة: ص 252.

(2) شرح المقامات: 209.

(3) في الأصل: «وهي» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(4) في الأصل: «مذكورات... مجرورات».

كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِي جَلَالَتِهِ فِي عَشْكَرٍ حِينَ تَلْقَاءُ وَفِي حَشَمٍ⁽¹⁾
 شرح: هذا البيت من تمام معنى الذي قبله، وهو أمس بأخر ترصيعه منه،
 لأنه لما ذكر أنه (كالظهر في همم) أراد أن يذكر خزانة من جريبات همته.
 قال: من همته أنه إن كان خاطراً في موضع وخده، ولقيه من لقيه، إن كان
 من المؤمنين [129]// يجد إجلالاً، وتعظيماً، وهيبةً وهيبةً، حتى كأنه في
 عسكري من العساكر من جنوده خلفه، وكأن الأرض ملئت بين يديه خدمةً
 وحشماً، وإن كان الذي لقيه من الكفرة يجد رعباً من لقاءه، وخوفاً شديداً،
 حتى كأنه لقي عسكرياً جرأاً يطلبه، وملكاً يسأل عنه، بين يديه خدمةً وحشماً،
 وهذه من أعظم الهمم التي يفتن بها القريب والبعيد، والعلو والحبيث.
 فقصّد الناظم أن يبين بعض ما يُظفر من همته ^{منه}، ولأن التشبيه بـ
 (الزهر) يذكّر معناه عرفاً⁽²⁾ ومجسةً⁽³⁾ ولوناً. و(البخر) يُعرف قُدرة رَفعة
 وحياة وإذهاباً للظلم. و(البخر) تُعرف سعة أقطاره، وأنه مشا لا تنزخه الدلاء
 ولو جاء البعض للبعض على نزجه ظهيراً؛ فلم يخف من كلبه إلا ظهور الهمة
 التي شبه فيها بالذهر، فجاء بهذا البيت مظهرًا به بعض ما يفهم به كيفية
 الهمة

وقوله (وهو فرد): جملة حالية، أي: كأنه والحالة هذه

و(في جلالته): الضمير عائِدٌ على نبيِّنا ﷺ.

(1) الديوان: 194.

(2) الغرف: الريح طيبة كانت أو خبيثة. وفي المثل: لا يعجز مسك السوء عن عرف
 السوء. ل/عرف.

(3) المجسة: الجس هو المس. ل/جس.

وَتَعَلَّقَ الْمُجْرُورُ بِمَا فِي الْكَافِ مِنْ مَعْنَى التَّشْبِيهِ.

وَنَحْبَرُ (كَأَنَّ): (فِي عَسْكَرٍ).

وَالْعَامِلُ فِي الْحَالِ الَّذِي الْجُمْلَةُ حَلَّتْ مَحَلَّةَ كَافِ التَّشْبِيهِ أَيْضاً، كَمَا

عَمِلَ فِي الْحَالِ الْمُفْرَدَةِ مِنْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ: (طويل)

كَأَنَّ قُلُوبَ الظَّيْرِ رَطْباً وَنَابِئاً

وَهُوَ الْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ مِنَ الْيَتِّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (لَدَى وَكُرْهَا).

وَالْبَسَ (جِئِن تَلْقَاؤُ) (إِلْدَا) لِإِقَامَةِ الرِّزِّ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْبَعْضُ، بَلْ فِيهِ

مَعْنَى كَيْفِيَّةِ الظُّهُورِ، إِذْ لَا يَظْهَرُ إِلَّا بِذَلِكَ.

(تَلْقَاؤُ) هُنَا سَعَى تَنْظُرُهُ، وَلَا يَخْضُلُ فِي الْقَلْبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ إِلَّا

بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، لِإِذَا رَئِيَ فِي مَخْلَبٍ أَوْ طَرِيقٍ رَنَى عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ الْمُعْبِدَةِ هَذِهِ
الْهَيْئَةِ.

وَأَسْتَنْجِ النَّاسُ قَوْلَهُ (فِي عَسْكَرٍ) بِقَوْلِهِ (وَفِي حَشَمٍ)، لِأَنَّهُ تِمَامٌ لِمَا

قُدِّمَ، لِأَنَّ الْعَسَاكِرَ الْخَالِيَةَ مِنْ رَئِيسٍ لَا تَكُونُ مَعَهُ خِدْمَةٌ وَلَا حَشَمٌ، لَا يَتَّبِعُ

فِي النَّفْسِ مَتَابَعًا مَا يَتَّبِعُ مَعَ وُجُودِ الْعَسْكَرِ وَالْخِدْمَةِ وَالْحَشَمِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ

الْهَيْئَةَ بِالْعَسْكَرِ، وَهِيَ أَزِيدُ مَعَ وُجُودِ الْخِدْمَةِ وَالْحَشَمِ.

وَذِكْرُ (الْعَسْكَرِ) وَ(الْحَشَمِ) مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.

وَيُسْتَعْمَلُ (الْعَسْكَرُ) مَجَازاً فِي غَيْرِ حَيْشِ الْأَدَمِيِّينَ: كَعَسْكَرِ الْخَوَاتِ

وَالْحَرَامِ. وَيُسْتَعْمَلُ فِي بَعْضِ الْأَلْبِيَةِ الْمُخْرَجَةِ عَلَى الطَّرِيقَاتِ وَالْأَلْبِيَةِ، وَحَقِيقَةِ

فِي حَيْشِ الْأَدَمِيِّينَ، وَهُوَ يَنْتَوِعُ إِلَى: الْجَرِيدَةِ: وَهِيَ الْحَقْدَاعَةُ تَنْجَرُودُ لِرُوحِهِ مِنْ

مَصَالِحِ الْجَيْشِ، وَهِيَ أَقْلُ الْعَسَاكِرِ. وَنَعْدَهَا: السَّرِيَّةُ. وَهِيَ مِنْ خُسْبِينَ إِلَى

أَرْبَعِ مَائَةٍ. ثُمَّ الْكُتَيْبَةُ: وَهِيَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ. وَالْجَيْشُ: مِنْ أَلْفٍ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ.

وَكُلُّ ذَلِكَ: الْقَبْلِيُّ وَالْجَحْفَلُ. ثُمَّ الْخَوَيْسُ - وَإِلَيْهِ أَشَارَ فِي مَا بَعْدَ - وَهُوَ مِنْ

أَرْبَعَةِ آلَافٍ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا. وَالْعَسْكَرُ: بِجَمْعِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ كُلِّهَا، قَالَ أَبُو

وأما أسامي القطع بحسب ما تُضاف إليه يُقال: (كوكبة) من الفرس. و(حوقة)⁽²⁾ [130] // من الغلمان. و(خاصب) من الرجال. و(ككبجة) من الرجال⁽³⁾. و(لقة) من النساء. و(رعيل) من الخيل. و(صزمة) من الإبل. و(قطيع) من العنم. و(عوجلّة)⁽⁴⁾ من السباع. و(سزب) من الأطباء. و(عصابة) من القنير. و(رجل) من الجراد. و(خشوم) من النحل. و(جيل) من الناس.

وأما وصفه من الكثرة: كتيبة (رجزاجة). وجيش (لجب). وعسكر (جراز). وجحفل (لهام). وخميس (عزموم)⁽⁵⁾.



(1) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. أبو منصور الثعالبي النيسابوري الأديب. ترجمته في الوافي بالوفيات: 256/6، الأعلام: 163/4.

(2) في لغة اللغة: 226 حزقة، وفي اللسان: الحوقة الجماعة المخزقة. قال ابن الأعرابي: الحوق: الجمع الكثير. والحاقة: القطعة من كل شيء. قال الجوهري: الحزق والحزقة: الجماعة من الناس والطير وغيرها، وفي الحديث: في فضل القرية وآل عمران: (كأنهما حزقان من طير صواف). ل/حزق - حوق.

(3) في فقه اللغة: 226. «خاصب من الرجال وكسبة من الرجال»، والرجال: الذين يمشون على أرجلهم.

(4) في لغة اللغة: 227. «عرجلة» والعرجلة الجماعة والقطيع، ولا يقال عرجلة حتى يكونوا جماعة مشاة.

(5) فقه اللغة: 226 - 227.

كأنما المولودُ الفكنونُ في صدفٍ من معدني منطلقٍ منه ومُبْتَسَمٍ⁽¹⁾
 شرح: لَمَّا وَصَفَ النَّاطِمُ خَلْقَهُ عَجَبًا وَخُلُقَهُ، فَالْحَلَقُ يَفْتَحُ الْخَاءَ يَظْهَرُ
 بِالْعَيْنِ، وَيَضُمُّ الْخَاءَ وَاللَّامُ يَظْهَرُ بِالسَّوَادَةِ وَالشَّوْبَيْنِ، وَآتَى بِالنَّبِيِّينِ كَالْجَامِعِ
 لِحَلْقِهِ وَخُلُقِهِ.

أو التشبيه من أشرف كلام العرب. وكلما كان التشبيه ألفت كان الشعر
 أعرق، وكلما كان إلى المعنى أشق كان بالخلق ألين. - والتشبيه قسمان:
 تشبيه الأشياء في ظواهرها وألوانها وأفرادها، كما شبهوا اليد بالعضن،
 والوجه بالذئب، وال... بالياقوت في رقة الواسع وباليص في صفاء إنساره
 ونقايتها، كما قال الشاعر: (بسيط)

كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحٍ جميعها إذا اجسلاهنَّ فيطَّ ليلته ومدا⁽²⁾
 وقال الآخر: (طويل)

أبا شبه ليلتي لا تراع فإلسي لك اليوم من بين الوخوش صديق⁽³⁾
 لعينك عبثها وجيدك جيدها ولكنَّ عظم الساق منك دقيق
 في المعاني: كتشبيه الشجاع بالأسد، والجواد بالبحر، والخس
 الوجه بالذئب، وكما شبه الله سبحانه أعمال الكافرين بالسراب... ومن لا

(1) الديوان: 194.

(2) البيت للراعي النميري في شعره: 163.

(3) الشان لقيس بن الملوح في ديوانه: 206 أسرى أن عظم، وهو الأديب 409/2،
 الأشياء والظواهر 125/2، وفي الأملاني: 82/2 برواية «لا تراعي» من وحشية
 لصديق، نقد النشر: برواية: «فمينك» خلا أن عظم، ذيل الأملاني: 63 برواية:
 «ولكن عظم».

يَنْتَفِعُ بِمَوْعِظَةٍ بِالْأَصَمِّ . . . وَمَنْ ضَلَّ عَنْهُ الْهُدَى بِالْأَعْمَى . . . [١].

وقصد بتشبيهه بيان هيئته بضروب مثل في نسبتها إلى جنسها . وأما أن
يصل هيئته منزلة عن ذلك ، بل هو العظيم وأعظم . وإنما ذلك كما مثل الله تعالى
نوره بشكاه فيها مضباح . إلى آخر ما ذكر في الآية الكريمة [٢] ؛ فلما هو بيان
لما يطلع في سمع السامع ، فيضع حينئذ عقله كلاً على ما يليق . والمثل إنما
المطلوب منها أرواحها . إلا أنه لما ذكر أن من يلقاه يراه على ما وصفه من
هيئة الهيئة والحلاوة ، ثم الذي يلقاه صامتاً أو متكلماً ؛ فمن رآه صامتاً أذركته
الهيئة حتى كأنه في عسكر ، أو يراه صامتاً . وإنما كان ملائمة . لا يستطيع
لفظاً ، فلا يقدر على التلويح إلا جواباً كنتكلم حانث من ذي سلطان . وإن لقيه
متكلماً متبسماً ، فيتردد إن سمع كلامه أعجوبة في حكم يتكلم بها ، لأنه لا
أدنى جوامع الكلم . وإن تبسم رأى تعراً منظوماً حتى كأنه يتسم عن جمان .

(اللؤلؤ) : هو الحجار يخرج من الحجر ، وهو النفس الدرة . وإنما مثل
بما حوت عادة الناس أن يسئلوا ، فإن الجوهر النفس الجواهر الأرضية ، هو
النفس من الناقوت ؛ إذ لو وجدت جوهر جوفها جوف ياقوتة لكانت تساوي
أصناف ما يساوي حجر الناقوت ، وإلا فجواهر كلسه ، وجواهر نقره ، لا
يعاينها جواهر ولا ياقوت ؛ يتلشى لهما كل جوهر مضمون مكنون ، فهو
الكاين الذات الكامل الصفات . فالتألم بحاله لما ذكر ما يسمع السامع من
محاسن خلقه وخلفه ، جاء بما خشي أن يتو عن فكر السامع ؛ فجاء بحاله بما
بالهيئة المستقصية جلاله الذات والقدر ، وبصفة الكلم والفكر الذي لا يندو غالباً
لمر عاين طاهر الذات ، فقال : إن تكلم أو تبسم أظهر لؤلؤاً من معدين .
وذكر المكنون ، لأن اللؤلؤ المكنون في أضداده لا يشابهه جواهر من جواهر

(١) لحق بسار وأسفل الورقة ١٣٠ من الأصل طمس بعض كلماته

(٢) ونص الآية : ﴿مَنْ لَوْ رَوَى كَيْشَكُورَ فِيهَا وَمُضْبَحٌ﴾

الأرض ولأنه عند خروجه من الأضداد شديد التباين عليه يفيض وروث.
وجعل التثنية [131] // بما هو في الصدف، لأن ما خرج من الأضداد قد
نظراً عليه عوارض الانتفال في الأيدي وثقه لاستعماله.

ويروى: (من معدني) بالذال المهملة، ويروى: (من معدني) من
العدوية - وهي الخلاوة - بالذال المعجمة. وإنما شبه أيضاً الناظم على
حسب ما بيناه من قصده.

و(الصدف): حافظ اللؤلؤ. وإنما مثل الكلم والجوهر ولم يمثل معدني
الكلم والشعر بالصدف: لأن المتخيل فيه الحسن اللؤلؤ لا الصدف. و(في
صدف): تعلق بالمكنون.

و(من معدني): تعلق بالخبر، أي: بارز منهما.
وفي البيت التثنية بالأداة.

و(منطوق) و(مبتسم): تفصيل، كأن أضلها البدئية من بدل المفصل من
السجمل، وكان التقدير: من معدني شئبي: منطوق، ومبتسم. و(منطوق)
منعاً، محل التقى. و(مبتسم): محل الانشام.
ومنه: التثنية على ضحكه الذي لم يكن إلا تبسماً. وفي البيت:
نوع من التثنية.

و(اللؤلؤ): مبتدأ، لأن (كان) مكشوفة به (ما).



لا طيب يغدل ثزباً ضمَّ أعظمه طوبى لمنثشيق منه وملتثم⁽¹⁾

شرح: هذا من الناظم من حسن تشبيهِ المدح لتكميل بعض محاسن الممدوح. وله فيه قصد عظيم بحلته، وكأنه يقول: كم من ممدوح يمدح بخالٍ هو عليها، وقد يتقدم في بعض أزمته وجود شيء ما من تغيرات الأغراض الدائمة والأحوال [غير المستقيمة]⁽²⁾، إما في حال تقدمت عنه ولم يترق إلى صفة ممدوحه حتى تلبس بضدها، أو عاقبه بعد محاسبته ما يلزم، ولا تستمر الحالة المحسودة له. ومحاسن هذا الممدوح ^{بـ} متواليّة من مبدئها إلى حين انتقاله إلى دار القرار، كلُّها كسالات، فترّة عن كل وصف قبيح. وكذا كثير من الأموات إن ظال مُقامته في الأرض حدثت في بقع خلولهم ديدانٌ وصديدٌ وتقرُّ، وهذا الممدوح ^{بـ} طاب حياً وميتاً واكتسبت الأرض من حسنه الظاهر راحة تفوق من طيبها كل طيب. إنّما قصد الناظم معنى عظيماً: إنه يشير إلى أنّ الذات الظاهرة يستحيل عليها التغيرات التي تنظر على الأموات، فلا يحسن جلب ذلك إلا في ما (...) ⁽³⁾ شيء قينى، فكأنه يقول: إنّما الغرض: لما اكتسبت الأرض من أرايح ذاته الظاهرة. وأما النظر لما ينقش عن الذات من تغيرات الأموات إنّما هو بمثابة من مدح ملكاً بصدقة فيراط، فإنه يؤخذ عليه بأن يقال: كرم الملك بخر لا يقاس عليه (...) ⁽⁴⁾، إذ من يعطي الجوانر العظيمة يمدح بمثل هذا المدح، فعُدل إلى الأرض وما اكتسبت. فقصد الناظم

(1) الديوان: 194.

(2) في الأصل: «الغير مستقيمة»، لأن غير لا تقرن بال.

(3) طمس لبعض كلمات لحق يمين الورقة: 131 من الأصل.

(4) نفسه.

أَنْ يَذْكُرَ هُنَا كَرَامَةَ الْأَرْضِ الَّتِي دُفِنَ بِهَا جَسَدُهُ الظَّاهِرُ، فَذَكَرَ أَنَّهَا بَعْدَ حُلُولِهِ بِهَا لَا يُسَبِّحُهَا طَيْبٌ فِي ذِكَاكِهَا وَرَائِحَتِهَا.

وَالطَّيِّبُ: مَا لَهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ.

وَالْأَيُّ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى نَكْرَةٍ اسْتَعْرِفْتَ، وَغَسَّتَ، فَلَا طَيْبَ يُعَادِلُ ثَرِيَّةَ قَبْرِهِ الْمُعْظَمِ. وَالْأَيُّ هُذِهِ: الَّتِي لِلتُّفَى وَالتَّبَرِّيَّةِ.

وَيَصِحُّ فِي (يُعْدَلُ) وَجِهَانِ: أَنْ يَكُونَ تَعْنًا لـ (طَيْبٍ)، وَالْخَيْرِ مُخْلَوِّثٍ، وَالتَّقْدِيرُ: لَا طَيْبَ مُعَادِلًا لثَرِبِ قَبْرِهِ فِي الْوُجُودِ، أَيْ: لَمْ يَكُنْ فِي الْوُجُودِ مَا يُعَادِلُ ثَرِيَّةَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ (يُعْدَلُ) هُوَ الْخَيْرِ، أَيْ: لَا طَيْبَ مُعَادِلَ لثَرِبِ قَبْرِهِ، وَلَعَلَّ التَّحَرِّيَّ النَّصْرِيَّ (132) بِالْخَيْرِ وَيَحْوِزُونَ حَذْفَهُ، وَبُنُو تَمِيمٍ لَا يُظْهِرُونَهُ أَضْلًا.

وَالضَّمُّ اعْظُمَةً: حُسْنُهُ فِي مَوْضِعٍ مَفْدٍ قَوْلُهُ (ثَرِبًا) وَالْإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنْ مَوْضِعَ الْقَبْرِ أَفْضَلُ بِقَاعِ الْأَرْضِ كُلِّهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَفِي الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدَيْهِمَا - فَأَهْلُ مَكَّةَ يَقُولُونَ: الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ: الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ أَفْضَلُ، وَبِهِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَهُوَ مُذَقَّبٌ بِمَالِكٍ بَعْدَهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي اخْتَارَ اللَّهُ لِإِقَامَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَالْمَسْجِدِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مَحَلًّا لِإِبْقَاعِ عِبَادَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ مَسْجِدَ مَكَّةَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، كَمَا لَا خِلَافَ أَنَّ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَفْضَلُ مِنْمَا عَدَا مَسْجِدَيْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ.

وَالْأَعْظَمُ: إِنَّمَا ذُكِرَتْ مَعَ أَنَّ جَسَدَهُ ﷺ كُنْزٌ عَظِيمٌ طَيِّبٌ لِمَنْ اسْتَشَقَّ ثَرِيَّةَ وَمِنْ النَّسَبِ. وَإِنَّمَا حُصِّنَ الْأَعْظَمُ بِأَنَّهَا الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أُسَجَّدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمٍ»⁽¹⁾، وَهِيَ: الْجَبْهَةُ، وَالْيَدَانِ، وَالرِّجْلَانِ،

(1) البخاري: 167/5، مسلم: 354/1، الترمذي: 170/1، النسائي: 208/2 - 209،

وَالرُّكْبَتَانِ، وَالْأُتْفُ تَبَعٌ لِلْجَنَّةِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَشْهُورُ أَنْ مَنْ اقْتَصَرَ فِي الشُّجُودِ عَلَى الْجَنَّةِ أَجْزَاءَهُ دُونَ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى الْأُتْفِ. وَفِي الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ، يُجْزَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ، وَعَكْسُهُ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالْأُتْفِ: تُجْزَى الْجَنَّةُ عَنِ الْأُتْفِ وَلَا يَنْعَكْسُ، وَلَآنَ الْإِنْسَانُ إِذَا اسْتَلْقَى وَمَدَّ يَدَيْهِ وَرُحْلَيْهِ، كَانَتْ هَذِهِ الْأَعْظَمُ دَائِرَةً مُحِيطَةً بِحَسْبِ الْحَسَدِ، مَعَ مَا فِي ذِكْرِهَا مِنَ التَّشْبِيهِ عَلَى شَرَفِهَا؛ كَمَا قِيلَ فِي أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ فَإِنَّهَا أَيْضًا، وَلَمْ يُخْرَجْ مِنْهَا إِلَّا الرُّكْبَتَانِ.

وقوله: (طوبى لمن تشقى منه ومُلْتِم) ⁽¹⁾، (طوبى): قيل: إنه نوع من شجر الجنة. وقال الثعلبي ⁽²⁾: «إِنَّ شَجَرَةَ طُوبَى شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، لَوْ مَرَّ الرَّابِثُ مَا قَطَعَ مَسَاحَةً أَرْضٍ أَضْلَحَهَا فِي سَبِيلِ طَائِلَةٍ. وَهِيَ شَجَرَةٌ يَقُولُ اللَّهُ وَطَّأَهَا مَا طُوبَى تَقْتَنِي لِأَوْلِيَائِي عَمَّا شَاؤُوا، فَتَنْتَقِلُ لَهُمْ عَنِ الْكُسُوفَاتِ مُحِيطَةً، وَعَنِ الْحَيْلِ مُنْزَحَةً، وَعَلَيْهَا طُيُورٌ كَالْبُخَايِرِ، يَأْمُرُهَا بِالْإِتْيَانِ فَتَنْزِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَكْلٍ مِنْهَا فَيَذِيذُ وَمَشُوبًا وَمَزُوجًا» ⁽³⁾. وَتَقَطِّرُ كَمَا كَانَتْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَطَّأَهَا. وَعَلَيْهَا أَرْفَازٌ، وَنَمَارٌ، وَتَوَارٌ مِنْ كُلِّ مَا لَا رَأَتْ أَعْيُنٌ، وَلَا سَمِعَتْ أُذُنٌ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ؛ وَأَنَّهَا ظَلَلَتْ عَلَى دُورِ الْجَنَّةِ وَمَا مِنْ دَارٍ إِلَّا وَعَلَيْهَا غُضُنٌ مِنْ أَعْضَائِهَا بِكُلِّ نَوْعٍ مَعَ ذِكْرِ. وَفِي أَضْلَحِهَا غَيْثُ السَّلْسِيلِ، وَهِيَ فِي دَارِ

ابن ماجة: 286/1، الدارمي: 302/2، الجامع الصغير: 250/1. كشف الحفا: 229/1، ابن خزيمة: 320/1، الفردوس: 397/1.

(1) الديوان: 194.

(2) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، الإمام الحافظ، شيخ التصير، له: «الكشف والبيان» و«عرائن السجاس» (ت427هـ) ترجمته في (تذكرة الحفاظ: 1090/3، غاية النهاية: 100/1، ط. المفسرين للسيوطي: 5/1، وط: المفسرين للدودي: 65/1، ووصات الجنات: 68، هدية العارفين: 75/1، سير النبلاء: 436/17).

(3) مزوجاً: مقروناً بعضه ببعض، ل/زوج.

مُحَمَّدٍ ^ص، وَدَارُ مُحَمَّدٍ وَدَارُ عَلِيٍّ دَارٌ وَاحِدَةٌ فِي الْحَنَّةِ، وَلِذَلِكَ جَاءَ أَنَّ عَيْنَ
السَّلْسِلِ فِي دَارِ مُحَمَّدٍ ^ص، وَجَاءَ أَنَّهَا فِي دَارِ عَلِيٍّ ^ص ^{١١}

وَالْمُنْتَشِقُ: بِكُسْرِ الشَّيْءِ: هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَنْتَمِي تِلْكَ الرُّوَاغِ الْعُطْرَةِ.

وَالْمُنْتَشِقُ: هُوَ الْمُشْتَمُّ بِعَيْنِهِ.

وَعَالِمُكُمْ: هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ ذَلِكَ الثَّرْبَ، بِكُسْرِ الشَّيْءِ الْمَقْرُونَةِ ثَلَاثَةً.

وَالْمُتَلَتِّمُ: يَفْتَحُ الثَّانِي: هُوَ الْمُقْبِلُ بِفَتْحِ الْبَاءِ.

وَالْأَوَّلُ: فِي قَوْلِهِ: (لَا طَيْبَ)، الْمُنْفِي وَالنَّهْيُ، فَتُسْتَعْرِفُ جَمِيعُ أَنْوَاعِ

الطَّيْبِ. وَالْأَوَّلُ: وَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، قَبْلَ فِي مَوْضِعِ مُتَلَتِّمٍ مَرْفُوعٍ. وَقِيلَ: الْأَسْمُ

وَالْخَيْرُ لَهَا. وَيَحْتَمِلُ خَيْرُهَا وَجْهَيْنِ

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ مَحْذُوفًا مَخْرُورًا، تَقْدِيرُهُ: لَا طَيْبَ فِي الْوُجُودِ

بَعْدَ ثَرِيَةٍ وَكَهْنٍ حَمَلَةٍ (يَعْدُلُ ثَرِيًّا) فِي مَوْضِعِ التَّعْتِ لِقَوْلِهِ: (لَا طَيْبَ).

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: إِنَّ الْجَمْلَةَ الْمُضَدَّةَ بِ (يَعْدُلُ) هِيَ نَفْسُ الْخَيْرِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ: (133) // إِنَّ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ: نَفْيُ عَيْنِ الطَّيْبِ

السُّعَادِلِ لثَرِيَةٍ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ، فَالْثَّانِي مُتَوَجِّعٌ تَخَوُّ وَجُودِ الطَّيْبِ

الْمُتَصِفِ بِالسُّعَادِلَةِ، وَإِنْ وَجَدَتْ أَنْوَاعُ مِنَ الطَّيْبِ، لَكِنْ لَيْسَ فِيهَا مَا يُعَادِلُ

ثَرِيًّا ضَمَّ جِسْمَهُ الظَّاهِرَ. وَأَمَّا الْوَجْهُ الثَّانِي: فَإِنَّمَا يَتَوَجَّعُ فِيهِ النَّفْيُ إِلَى عَدَمِ

اتِّصَافِ طَيْبٍ مِنَ الطَّيْبِ بِسُّعَادِلَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِنَفْيِ أَغْيَانِ الطَّيْبِ. فَعَلَى

الْأَوَّلِ: إِنَّ الطَّيْبَ السُّعَادِلَ لثَرِيَةٍ لَا وَجُودَ لَهُ. وَمَعْنَى الْوَجْهِ الثَّانِي: لَا شَيْءَ

مِنَ الطَّيْبِ يَعْدُلُ ثَرِيَّةً. وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ جَائِزٌ وَقَعَ فِي كُلِّ اللُّغَاتِ، وَأَمَّا

(١١) الكشف والبيان: الورقة 90، تنظر أحاديث شجرة طوبى في: ابن حبان: 421/16،

الجامع الصغير: 183/2، فيض القدير: 282/4، الدر المنثور: 62/4، العظمة:

1067/3، تفسير الطبري: 148/8 - 150، تفسير القرطبي: 315/9 - 317، تفسير

ابن حبان: 388/5 - 390، تفسير الطبرسي: 172/4 - 173.

التَمِيسُونَ فَلَا يَتَلَفُظُونَ بِخَيْرٍ (لَا) الْبَيْتُ. قَالَ أَبُو غَضْرَوِي: «وَبِتَو تَمِيسٍ لَا يُظْهِرُونَهُ أَطْلَافًا»⁽¹⁾، لَكِنْ يُرِيدُ: إِلَّا أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا أَوْ مَجْرُورًا.

وَيَصِحُّ فِي (طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ) إِلَى آخِرِهِ، وَجِهَانِ: أَنْ يَكُونَ عَلَى طَرِيقِ الْإِخْبَارِ. وَأَنْ يَكُونَ عَلَى طَرِيقِ الدُّعَاءِ بِصِغَةِ إِنشَائِيَّةٍ. وَالتَّقْدِيرُ الْفَائِي أُولَى. لِأَنَّا إِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى أَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْخَبَرِ طَلَبَ النَّاطِمُ بِمَحَلِّ نَفْلِهِ، وَذَلِكَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِنَصِّ عَنِ النَّاقِلِينَ أَوْ بِوَحْيٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَلَعَلَّ النَّاطِمَ أَطْلَعَ عَلَى نَصِّ اسْتِنْدٍ إِلَيْهِ، وَعَدَمُ الْوُجْدَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الْوُجُودِ؟

قُلْتَ: لَا شَكَّ أَنَّ الْحِفَاطَ إِذَا حَلَّوْا عَنْ لَقْلِ فِي مَسْأَلَةٍ، مَعَ أَطْلَاعِهِمْ عَلَى مَطْلَانِ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ، وَصَدَرَتْ مِنْ شَيْخٍ لَيْسَ فَمَّاوٍ لِبَعْضِهِمْ فِي الْإِطْلَاعِ. كَانَ الْعَمَلُ عَلَى مَا عِنْدَ الْجَسَاعَةِ. فَإِنْ حَفِظَ النَّاطِمُ شَيْئًا، وَأَعْلَمَ بِأَنَّهُ حَفِظَهُ، وَنَفَلَهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ حَسَنٌ. وَمَنْ نَقَلَ حُجَّةً عَلَى مَنْ لَمْ يَنْقُلْ، وَأَمَّا كَوْنُهُ عَلَى جِهَةِ الدُّعَاءِ وَالْإِنْشَاءِ، فَلَا يَتَوَهَّمُ فِي ذَلِكَ مَانِعٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا يُعَيَّنُ مُرَادُ النَّاطِمِ، وَأَنَّهُ قَصَدَ أَنْ تُرْتَبَ أَطْيَبُ مِنْ كُلِّ طَيِّبٍ، فَإِنَّ الْجُمْلَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا مِنْ خَارِجِ سِيَاقِ الْمَدْحِ تُحْتَمِلُ أَنْ لَا شَيْءَ مِنَ الثَّرْبِ يَغْدُلُ الطَّيِّبَ، أَوْ لَا شَيْءَ مِنَ الطَّيِّبِ يَغْدُلُ الثَّرْبَ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: (لَا طَيِّبٌ يَغْدُلُ ثَرْبًا)، فَإِذَا كَانَ لَا يَغْدُلُ الطَّيِّبُ فَهَلْ لَطِيبُ الطَّيِّبِ أَوْ لَطِيبُ الثَّرْبِ؟

قُلْتَ: يُعَيَّنُهُ مَا كَانَ أَجْدَا فِيهِ مِنَ الْمَدْحِ. وَأَمَّا لَوْ حِيلَ عَلَى صَدِّ مَا فُسِّرَ بِهِ لَانْعَكَسَ الْمَدْحُ دُمًا، وَأَيْضًا إِنْ قَوْلُهُ: (طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُنْتَنِمٍ)⁽²⁾ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلطَّيِّبِ أَوْ لِلثَّرْبِ، بَاطِلٌ أَنْ يَكُونَ لِلطَّيِّبِ، إِذْ لَا يَتَوَهَّمُ أَنْ

(1) ينظر سيبويه: 275/2 - 279، المفصل: 29، وصف المباي: 337، مغني اللبيب.

313 - 314.

(2) الديوان: 194.

بقول: طوبى لمن ألتئم القلب، إذ التعظيم الذي يوجب الانتقام إنما هو كون
 المعظم يتبرك بملكه، ويُعدُّ قربةً. والمُعْتَبَران في لئيم القلب مُتَبَيَّنَان، إذ مُرْتَبَةُ
 النخبة لا جُرْمة، وذلك لا يحتاجُ عليه دليل، ولأنه إنما قصد مدح
 رسول الله ﷺ، فشرَّف (السَّائِم) لكونه سَمَّ الأعظم الشريفة لا لذات التَّوْب،
 وذلك في حلس القلب مفقود. ومع هذا كله إن من كان معه أدنى شيء من
 الإسلام، ويرى أنه مغدود من أمة النبي ﷺ، لا يخطر بباله أن يكون مقصود
 الناظم هذا الهوس؟ أن يكون القلب المذكور هو الذي ينال ما ينال مُلْتَمِئَةً أو
 مُتَشَفِّةً، فكيف يُظَنُّ برجل من أكابر المسلمين، وشيخ من شيوخ الصوفية
 العارفين؟ معاذ الله أن يتوهم هذا في حق أحد من المسلمين عموماً، والقرائن
 اللفظية دالة على مراد الناظم، والمُفَصَّحة بقصده محتملة، إنما أراد أن يقول بكلمة:
 ما القلب، وما رانحة، مع توب رسول الله كما قال الشاعر: (كامل)

ما المُرُون في رَمَى الرَّبِيعِ وَوَلَّيْهِ كَسَوَالِ نَسِ جَعْفَرٍ وَنَدَاهُ
 هَامَةُ الصُّرَانِ أَنْ يَسِيلَ بِمَاءِ (1341) // وَأَنْ يَخِيَّ بِعَسَجِدٍ رَاخَاهُ
 أَي: تَسِيلُ بِالْعَسَجِدِ، وَالْعَسَجِدُ: الذَّهَبُ: وَيُثَلَّثُ قَوْلُ الْآخِرِ (حقيق)
 مَا لَوَالِ الْعَمَامِ وَفَتِ رَيْبِ كَسَوَالِ الْأَسِيرِ جِئِنَ سَخَاوِ⁽¹⁾
 فَسَوَالِ الْأَمِيرِ بَلَوَةِ عَيْنِ وَسَوَالِ الْعَمَامِ قَطْرِ مَاءِ

وَلَوْلَا الْبَيِّنَاتُ الثَّانِي لَكَانَ فِي الْبَيِّنَاتِ الْأَوَّلِ إِجْمَالٌ.

ودلالة سباق الكلام في بيّن الناظم أدلُّ على المعنى المقصود من دلالة
 في البَيِّنَاتِ الذي قدح به الأمير، وإن كان قد يتلخَّص المقصود على تأمل، لكن

(1) البَيِّنَاتُ لمرشيد الدين الطوطا وما في ديوانه. 24، نهاية الإبحار. 295، حدائق
 السحر. 178، الطراز. 141/3، الإيضاح. 505، نهاية الأرب. 182/7،
 المعاهد. 300/2، أنوار التجلي. 452/2، نفحات الأزهار. 137، تهذيب
 الإيضاح. 162/1.

الْبَيْتُ الثَّانِي أزال ما فيه من الإحتمال والسطر الثاني من بيت الناظم زاد بياناً
على ما دل عليه سياق الكلام، والله أعلم. وهذا يدغونه التقرين. وهو إيقاع
تَبَايُنَ بَيْنَ أَقْرَبَيْنِ مِنْ نَرَجٍ وَاحِدٍ؛ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ⁽¹⁾: (مسترح)

مَنْ قَامَ جُدُوكَ بِالْعَسَامِ فَمَا النِّصْفُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَلْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكاً أَسْداً وَهَوَّ إِذَا جَادَ سَاكِنُ الْعَيْنِ
وَمِنْهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ يَتَمَجَّدُ الثُّعْمَانُ بَيْنَ الْمُنْدَرِ⁽²⁾: (طويل)

أَلَا يَلْعَنُ الثُّعْمَانُ عَشِي رَسُولَهُ فَسَجْدَكَ حَوْلِي، وَلَوْ أَنَّكَ قَارِخُ⁽³⁾
أَرَادَ: مَجْدُكَ خَادِتْ وَلَوْ أَنَّكَ قَدِيمٌ.

وَلَا يُقَالُ: إِنَّ الْبَيْتَ يَحْتَمِلُ التَّوْجِيهَ⁽⁴⁾: «وَهَوَّ أَنْ يُوْرِدَ النَّاطِمُ الْكَلَامَ
لِحُكْمٍ وَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى جُكَايَةَ عَنِ الْيَهُودِ: «وَأَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمِعٍ
وَرَأَيْنَا» (النساء، 46)، وَقَوْلُهُ: «غَيْرَ مُسْمِعٍ» يَحْتَمِلُ: الذَّمَّ أَيْ: أَسْمَعَ لَا
سَمِعْتَ، أَوْ مَذْهُوراً عَلَيْكَ بَلَا سَمِعْتَ، أَوْ أَسْمَعَ كَلَاماً لَا تَرْضَى بِهِ أَوْ لَا
تَرْضَاهُ. وَالْمَذْهُوعُ، أَيْ: غَيْرُ مُسْمِعٍ مَكْرُوهاً، مِنْ قَوْلِكَ: أَسْمَعْتُ فَلَاناً، أَيْ:
سَمِعْتُهُ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «رَأَيْنَا»، أَيْ: أَرَقْنَا، أَوْ كَلَسْنَا سُرِّيَالِيَةً لِلْسَّبِّ. وَمِنْهُ

(1) هو أبو الفرج الرازي، سبقت ترجمته: ص 258. والبيان في ديوانه
222، لغت اللفظ: 148، رسائل النعماني: 93، الإعجاز والإيجاز: 220،
المعقبات: 56، أنوار الربيع: 260/4، عقود الجمان: 118/1 قال: «قول
القرحي»، وفي 39/2 قال: «قول بن هندوا».

(2) هو عمرو بن هند بن أمية بن الحارث بن عمرو الكندي أكل العراء. وأبو المنذر بن
امرئ القيس ملك الحيرة، ينظر: (المعارف: 283، المعجزة: 202، جمهرة أنساب
العرب: 400).

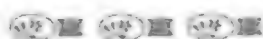
(3) البيت لعمرو بن كلثوم في ديوانه 89، الصنائع: 313، شرح مقامات الحريري
228/2 باللفظ: «أبلغ». حولي: أي حلبه الحول. القارخ من دي الحافر كالبالز من
البعير، لا ينزل إلا إذا طعن.

(4) ينظر: خزنة ابن حجة: 302/1.

فَوَلَّيْتُ أَبِي نَكْرَ الصَّدِيقِ فِي الْمُهَاجِرَةِ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا رَجُلٌ يَهْدِينِي السَّبِيلَ»^(١)، وَهُوَ رَدِيقُهُ: لِكَيْ يُخْرِجَ بَيْتَ النَّازِمِ عَنِ التَّوْجِيهِ سِيَاقَ الْكَلَامِ، وَالشُّطْرُ الثَّانِي: وَلَا يُسَمَّى التَّوْجِيهُ إِلَّا طَالَمَا بَقِيَ مُخْتَبِلاً لِلْمَعْنَيْنِ.

وَفِي لَفْظِ (طَلِبَ) وَ(طَلَبِي) تَجَنُّسٌ، لِانْتِمَاقِهِمَا فِي أَكْثَرِ حُرُوفِهِمَا.

وَفِي بَيْتِ النَّازِمِ: (مُتَشَقِّقٌ)، وَالْفَرْقُ بَيْنَ (مُتَشَقِّقٌ) وَ(مُسْتَشَقٌّ): فَإِنْ (مُتَشَقِّقٌ) شَاءَ وَلَوْ لَمْ يَطْلُبْ اسْتِشْقَافًا. وَ(مُسْتَشَقٌّ): طَالِبُ الرَّائِحَةِ؛ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرَّائِحَةَ الَّتِي تَحْصُلُ^(٢) مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ أَعْمٌ وَأَفْضَلُ؛ كَمَا هِيَ فِي تَرْبَةِ قَبْرِ الْكَلْبِ، وَغَسَّتْ رَوَاحُ تَرْبَةِ الْقُبْرِ الْحَسَنِيِّ وَالْمَعْتَوِيِّ ﷺ.



(١) البخاري: 125 / 15.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «يَحْصُلُ» وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ مَا أُبْتِئَاهُ.

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طَيْبِ عُصْرِهِ يَا طَيْبُ فُبْتَدِ مِنْهُ وَمُخْتَتَمٌ⁽¹⁾

شرح: كما فعل في الطَّرَفِ الأوَّلِ فَعَلَ فِي الطَّرَفِ الثَّانِي، لَمَّا أَعْرَضَ عَنْ... عَلَى الذَّاتِ الظَّاهِرَةِ، وَأَخَذَ يُبَيِّنُ مَا اكْتَسَبَتْ الْأَرْضُ [...] ⁽²⁾ الْأَظْفَالِ مِنَ التَّغْيِرَاتِ، لِأَنَّهَا قَدْ تَنْتَفِي عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَاشْتَعَلَ بِمَا هُوَ خَاصٌّ بِهِ... وَوُصِفَ بِهَذَا الْبَيْتِ تَوَظُّعًا لِلذِّكْرِ مَا ظَهَرَ بِالْمَوْلِدِ.

وَلَمَّا تَكَلَّمَ بِحُجَّةٍ عَلَى طَيْبِ تَرْبٍ ضَمَّ أَعْظَمَهُ، تَضَمَّنَ كَلَامُهُ اسْتِضْحَابَ رِيحِهِ الْعَطَرِ الْمَعْهُودِ فِي حَيَاتِهِ، الْمُسْتَرْسَلِ حَتَّى لِيُوفَاتِهِ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ فِي قَبْرِهِ... وَهُوَ أَخَذَ طَرَفِي الْمَخْلُوقِ الْمَوْجُودِ فِي الْوُجُودِ الدُّنْيَاوِيِّ، فَأَخَذَ يَذْكُرُ الطَّرَفَ الأوَّلَ: وَهُوَ أَوَّلُ بُرُوزِهِ إِلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ بِجَسَدِهِ الظَّاهِرِ، وَبَعْدَ مَرَاغِهِ مِنْهَ بَأْتِي بِالطَّرَفِ الْآخِرِ نَصًّا، وَإِنْ كَانَ قَدْ اسْتَفِيدَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ مَفْهُومًا. وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ عَلَى طَرَفِي وَجُودِ جَسَدِهِ الظَّاهِرِ فِي الْأَرْضِ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْ حَالِهِ الثَّالِثَةِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ زَمَنِ الْإِبْدَاءِ وَزَمَنِ الْإِنْتِهَاءِ، لِأَنَّهَا الْحَالَةُ الَّتِي تَخْسُنُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِينَ يَنَالُهُمُ التَّغْيِيرُ فِي الْإِبْدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ هَذَا آخَرَى أَنْ تَكُونَ الْحَالَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ عَلَى الصِّفَةِ النَّامَةِ الْحُسْنِ وَالْكَمَالِ، فَاسْتَوَتْ أَحْوَالُهُ... كُلُّهَا بَدْءًا، وَخُتْمًا، وَمَا بَيْنَهُمَا.

(وَأَبَانَ)، بِمَعْنَى: أَظْهَرَ مَوْلِدُهُ الْكَرِيمِ طَيْبِ عُصْرِهِ، وَهُوَ أَضْلُهُ الَّذِي صَوَّرَهُ اللَّهُ مِنْهُ: أَمَّا أَضْلُهُ الرُّوحَانِيُّ: فَالْثَوْرُ الْمُسَخَّرُونَ الْمُكُونُونَ الْمُتَقَدِّمُ وَجُودُهُ عَلَى وَجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَهُوَ مِنْ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ... وَأَمَّا أَضْلُهُ

(1) الديوان: 194.

(2) طمس لبعض الفاظ لحن يسار الورقة: 134.

الحسنائي: فكان نبيًا من ظهير [135]// طاهر، ثم يلتقي أحد من آباءه فقد على
سماح⁽¹⁾، ثم استقر الثور الذي كان آخر ظهير استقر فيه ظهره عند الله في بطن
أمته. فلما حملت أمه به ظهر من عجايبه أن كانت إذا حملت بين القريبات
هي مخيل من النساء وتكلمت يخرج من بين ثناياها ثور يخطف⁽²⁾ الأبقار؛
حتى كان سنة قريش يجتمعن معها لسجود رؤيته ما يلوح من نور على وجهها،
وما يخرج من بين ثناياها. ثم ظهر عند مولده من العجايب ما لا يحصى.
ولذلك جاء الناظم بطيب الغنصر بإخبار شبيهم. لأن العرب إذا أردت الإخبار
عن شيء عظيم جاءت به قبهسا، دلالة على أنه مسأ لا يكاد يخضره الراصف
ولا يحصيه.

فإن قلت: قد أخبر عن الغنصر أنه عبارة عن سلالته من آباءه وأجداده
على [ما]⁽³⁾ وصفت، ولعل الناظم يشير إلى تربيته الذي فرغ من ذكره، وهو
المراد بمقتضيه. فإن قلت: وكيف يسمى مولده عن تربيته مع أن تربيته عند الولادة
غير متعين ولا معلوم؟

قلت: لما قيل: إن الإنسان لا يذوق إلا في الشرب الذي هو أصل
سلالته، فإذا كان الشرب الذي يذوق فيه هو أصل الشرب الذي خلق منه، فقد
أبان مولده عن شرف هذا الغنصر الذي تربيته التي خلق منها منه، لأنه لما
خلق طاهرا مظهر فواحا علم أن ذلك لأصل طيبته الظاهرة الطيبة.

وهذا المستخرج في أن المولود أبان عن طيب الغنصر - أي الاحتساليين

(1) ينظر مجمع الزوائد: 214/8 و 303/6، مصنف عبد الرزاق: 303/7، المعجم
الأوسط: 80/5، الفردوس: 180/2، البيان والتعريف: 294/1، الخصائص: 1/
37، فيض القدير: 37/3.

(2) يحطف من حلف يحطف، وهي اللغة الجيدة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْطِفُ أَسْرِهِمْ﴾،
وقرأ الأخفش: يحطف، وهي لغة رديئة قليلة. ل/خطف.

(3) لا توجد «ما» في الأصل ولعل الأنسب للمعنى إثباتها.

المذكورين - يخرج كلام بعض شراح هذا البيت عن قصد الناظم؟ فإن بعض الشراح قال: «فأعجب ذلك وأشهره تكثر الشهب الراجعة» وكلام الناظم إنما يتناول طيب الأطل الذي نشأ عنه هذا الفرع العظيم وتكثير الشحوم الراجعة تؤخذ منا وقع في يوم الولادة، دالة على معانٍ عظيمة خارجة عن الدلالة عن السلالة؛ إذ المعنى الذي رجعت لأجله الشياطين بالشهب هو منعهم من اشتراق السمع على ما تتراء. وأما طيب الغنصر فدل عليه جمال الخلق وحسن الأحوال السطارية لخروجه ويرويه إلى الدنيا من الزوال الفاتحة الأنوار اللابحة، حتى كشف ليصر أمه عن قصور بصري⁽¹⁾، وخروجه تحنو من غير مضاحمة دم ولا قدر. ويأتي الكلام على أمر الشهب عند قوله: (وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب)⁽²⁾ البيت.

وكذلك حين تكلم على قوله: (يا طيب مُبتدئاً منه ومُختتم). أخذ يفسر الاختتام بالنصرة في الناس القليلين على الجيوش العظيمة، وهذا إنما تحدث فيه الناظم في موضع آخر. وأما هنا فما تعرض إلا لطيب التراب الذي ضم أعظمه، لكون التراب المحتسب من الأعظم ذلك، ولكونه أصل الغنصر لما قرأناه. وطيب مبتدئ: نقافته وطهارته حالة بُروره إلى تسيط الأرض، والمختتم: حين وفاته، إذ لم يظهر عليه شيء من التغيرات التي تظهر على الأموات، ولذلك قال علي⁽³⁾ حين تولى غسله: «صلى الله عليك، طبت حياً، وطبت ميتاً»⁽³⁾.

والبيان من قوله: (يا طيب مُبتدئاً) الأحسن أن تكون حرف تشبيه، لأن

(1) قصور بصري: قصور بأرض الشام. ينظر الحديث في: المعجم الكبير: 214/24.

شعب الإيمان: 136/2، فيض القدير: 577/3.

(2) الديوان: 195، وتماه: «منقضة وفق ما في الأرض من صنم».

(3) من ماجه: 1/471 بلفظ: سيرة ابن هشام: 4/662 بلفظ: مجمع الروايات: 26/9.

السيرة الحلبية: 473/3.

ملهم خذاف السحاب النخوين أن كل حرف دخل على ما لا يصلح أن يكون
لنادي أن يكون حرف تنبيه لأن المنادي هو المطلوب إقباله بحرف نائب متاب
«أدغم» لفظاً أو تقديرًا، كالحروف التي تدخل على حروف التنقي، كقولك: يا
ليت قومي، أي: تنتهوا ليت قومي، ولا يفتقر إلى أن يقول: يا قوم ليت
قومي. وهذا (طبيب) لا يثنائي أن يكون منادى حقيقة، فيكون معناه التثنية،
وعلى هذا المتعرج نية ابن مالك بحلة وارتضاء مذهبا، وهو واضح، وليس مما
يقتضد العرب في مثل قولهم: (وافر)

ألا يا سحلة من ذات عراقي عليك ورخصة الله السلام⁽¹⁾

لأن لهم هناك كتابات عن العقلاء فيخفون أسماءهم، فالتداء بها
سكراً

قوله: (يا طبيب مبتدأ 136) منه وضعتهم، أي: طاب مي يدايت وتماديه
واحتمايه. قال بعض الشعراء العراقيين⁽²⁾ في قصيدته لأمية مشهورة (سيط)

مجددي أخيراً ومجددي أولاً شرح والنفس رأذ الضحى كالنفس في الظل

معناه: لم أتكلف مجدداً لم يكن في طبيعتي ولا في أصالة مادتي، بل أنا
شريف البداية ولم أزل موصوفاً بذلك الشرف إلى النهاية. فقوله: (شرح)،
أي: سواء، وضرب العفل بالشمس، إذ هي حال طلوعها كهي حال غروبها.

(1) البيت للأحوص في: شعره: 190، مجالس نعلب: 197، المسائل البصريات لأبي
علي القالي: 636/1 - 685، الجمل: 159، ونسبه الأمدى لذي الأصبع في
المختلف والمتنلف: 118، كشف المشكل 521/1، المنهاج 460، الخزانة:
192/1.

(2) هو أبو إسماعيل الحسن بن علي بن محمد بن عبد الصمد العشي الطغرفي الشاعر،
صاحب اللامية المشهورة بلامية العمم، ترجمته في: (اللباب: 263/3، مرآة
الزمان: 56/8 - 58، مرآة الجنان: 220/3، سير النبلاء: 454/19). وسبق
نحريج البيت: ص 284.

أما بدايته ^(١) التورائية فقد تقدم الكلام عليها. وأما مولده السعيد فهو من أشرف أيام الدنيا، ويجب على المسلمين معرفته. قال الشيخ أبو محمد بن قتيبة ^(٢) في «كتاب المعارف»: «هذا كتاب حمفت فيه ما يجب على كل من أنعم الله عليه يشرف المترلة، وخرج بالتأديب عن طبقة الحشرات، وفضل بالعلم والبيان على العامة. أن يأخذ نفسه بتعلم المولد السعيد، ويرودها على تحفظه. إذ لا غنى له عنه في مجالس الملوك إن جالسهم، ومحاصر الأشراف إن عاشهم». وحلق أهل العلم إن ذكروهم ^(٣). وكذا قال جماعة من العلماء.

ويبقى أن نقدم باختصار ذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب ^(٤)، وذكر النذر، والغرة التي كانت في وجه عبد الله قبل الوقاع على أمته، وذهاب ذلك من وجهه بعد الوقاع عليها حين حصلت برسول الله ^(٥). روى أبو بكر بن أبي مريم ^(٦) عن سعيد بن عمرو [النصارى] ^(٧) عن أبيه ^(٨) قال: «صحبت كعب

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، من كبار أئمة الأدب واللغة (ت 276هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 1/ 251، الأعلام: 4/ 137).

(٢) المعارف: 2، واللفظ فيه: «... ما يحق على من أنعم... وأخرج عن طبقة الحشرة... إذ كان لا يستغنى عنه... ومحافل الأشراف...».

(٣) هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو قثم الهاشمي القرشي الملقب بالديبع. ترجمته في: (إمتاع الأسماع: 1/ 5، سيرة ابن هشام: 1/ 85، الروض الأنف: 1/ 103، الكامل: 2/ 2، تاريخ الخميس: 1/ 182، الأعلام: 4/ 100).

(٤) هو الإمام المحدث أبو بكر عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي، شيخ أهل حمص، ضعفه أحمد بن حنبل وغيره من قبل حفظه. (ت 156هـ). ترجمته في: (المجروحين: 3/ 146 - 147، تهذيب التهذيب: 6/ 26، لسان الميزان: 3/ 357، سير النبلاء: 64/ 7).

(٥) هو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أحيحة الأموي المدني نزيل الكوفة (ت 126هـ). ترجمته في: (طبقات حليفة: 286، تهذيب التهذيب: 11/ 403، تهذيب ابن عساكر: 6/ 167).

(٦) هو عمرو الأشدق، تملك دمشق زمن أمية بن عبد الملك وغدر به فذبحه. ينظر: (تاريخ الطبري: 6/ 140 - 145، سير النبلاء: 5/ 200).

الأخبار⁽¹⁾ وهو يريد الإسلام، أو قال: يريد الشيء فلما أراد رجلاً أوصفت
للسيئة منه، مع أنه لم يره إذ ذلك، وصفت خاتم نبوته صلى الله عليه وآله والخلافة في
حديث طويل⁽²⁾

وكان من خير عبد الله آله خرج لصبيته وحيداً، وأصاب أخبار اليهود به
الخلوة، فأخذوا به ليقتلوه، فرآه وهب بن عبد مناف الأزهمي⁽³⁾ أبو أمية، وهو
حدّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فأدركته الحمية وعصية العرب وقال: سبغون رجلاً
يخدقون برجل واحد من أهل مكة يقتلونه ولا ناصر له! فركب جواده وحمل
عليهم، فقتلهم وكشفهم عن عبد الله، فلما وصل أهله قال: لزوجي المظلي إلى
عبد المظلي والعربي عليه ابتك لعله أن يزوج عبد الله إياها قبل أن يتيقنا
إليه أحد بن الساس فتكون الحسرة الكبرى فجاءت برة⁽⁴⁾ أم أمية
عبد المظلي، فقرخ بها، وزوج ابنته من ابنتها⁽⁵⁾.

وحدث القاضي أبو يحيى شحمه بن عبد الله السعادي المعروف بابن
العربي⁽⁶⁾ بسند متصل إلى أبي بكر بن إسحاق المظلي⁽⁷⁾ (أن عبد المظلي

(1) هو كعب بن مانع الحميري اليماني العلامة الحبر، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولقد أسلم في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أطراف ابن
سعد: 445/7، المجبر: 131، تهذيب الأسماء واللغات: 68/1، الإصابة: 3/315، سير النبلاء: 489/3.

(2) طبقات ابن سعد: 55/1 - 57، سيرة ابن هشام: 136/1، الدر المنظم: 106 - 113.

(3) هو وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة من قريش، سيد بني زهرة قبيل
الإسلام. ترجمته في: (رغبة الأمل: 204/2، المجبر: 129، الأعلام: 125/8).

(4) هي برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار. ينظر: جمهرة أنساب العرب: 127.

(5) الخبر أخرجه الحاكم: 701/2، وأبو نعيم: 129/1، والسيروطي: 99/1،
والهيثمي: 231/8، اختلاف لفظ. ينظر: الدر المنظم: 108.

(6) ترجمته في: شجرة النور الزكية: 237.

(7) هو أبو بكر بن إسحاق بن يسار المظلي مولاهم، أخو محمد بن إسحاق صاحب
المغازي، روى عن عبد الله بن عروة بن الزبير ومعاذ بن عبد الله بن حبيب. ترجمته
في: تهذيب التهذيب: 23/12.

بصرف أخذاً بيد عبد الله ولده، فمرو به في ما يزعمون على امرأة من بني
أسد بن عبد العزى⁽¹⁾ وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: إلى
ابن يذهب بك أبوك يا عبد الله؟ هل لك في مثل الإبل التي لجرث عليك،
رفع علي الآن؟ قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خلافة ولا فراقه. فخرج
عبد المطلب حتى أتى به وهباً وهو سيّد بني زهرة⁽²⁾ نسباً وشرفاً، فعقدوا على
الولدين، فزعموا أنه دخل عليها حين ملك بها مكانه، فوقع عليها، فحملت
رسول الله ﷺ. وذكر أن عبد الله كان قبل أن يقع عليها كان يجنبته غرة من
نهر مثل غرة الفرس، فلما وقع عليها زالت تلك الغرة⁽³⁾. //1371// وذكر
سفي⁽⁴⁾ أن وهباً كان عنده علم بأنه يخرج من نسل عبد المطلب نبي،
فلذلك شد في التزويج⁽⁵⁾.

والمرأة التي أرادت أن يقع عليها: فاطمة بنت مر⁽⁶⁾، وكانت من أجسل

(1) بنو أسد بن عبد العزى هم: الحارث والحويث وحبيب والمطلب ونوفل وخويلد.
ينظر: (جمهرة نسب قريش: 2، الاشتقاق: 96، جمهرة أنساب العرب: 117).

(2) بنو زهرة هم بنو من بني مرة بن كلاب من قريش من العدنانية. كان لهم من
الولد: عبد مناف والحارث وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف المبرر
بالحكمة، ومنهم أمينة بنت وهب أم رسول الله ﷺ، وذكر الحمداي منهم جماعة في
بلاد الأشمونيين وما حولها من صعيد مصر. ينظر: (جمهرة نسب قريش: 128 -
135، جمهرة أنساب العرب: 128 - 129، الاشتقاق: 33).

(3) أخرجه ابن سعد في الطبقات: 39/1، وأبو نعيم في الدلائل: 130/1 - 132،
والسيوطي في الخصائص: 100/1 - 103، وابن هشام في السيرة: 156/1، وابن
الجوزي في الحقائق: 159/1.

(4) هو أبو إسحاق إبراهيم بن الفياض عبد الرحمن بن عمرو القرقي، مولى سباء، ويقال
مولى رعين، من أصحاب عبد الله بن وهب حدث عن أشهب بن عبد العزيز مناكير.
(ت245هـ).

(5) ينظر: الخصائص: 39/1، الروض الأنف: 178 باختلاف لفظ.

(6) هي فاطمة بنت مر الحنظلية، شاعرة كاهنة جاهلية من أهل مكة. ينظر: (أمثال
الميداني: 34/2، الدلائل لأبي نعيم: 130/1 - 132، الخصائص: 39/1 - 40).

النساء وأغفيم. لَكُنْهَا كَانَتْ مِمَّنْ قَرَأَ الْكُتُبَ الْقَدِيمَةَ، فَرَأَتْ نُورَ النُّبُوَّةِ فِي وَجْهِ عَبْدِ اللَّهِ، فَدَعَتْهُ إِلَى نِكَاحِهَا، فَأَبَى. وَذَكَرَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ أَنَّ الْمَرْأَةَ خُتَمَتْ، وَقِيلَ «رَقِيقَةٌ أَثَرَتْ وَرَقَةً بَيْنَ يَدَيْهَا»⁽¹⁾. وَلِلنَّاسِ هُنَا طَرِيقُ أَصْرَيْنَا عَنْهَا حُشِيَةُ الْإِكْثَارِ، وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا تِلْكَ الطَّرِيقَ فِي «الشَّرْحِ الْكَبِيرِ».

وَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ «أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَ رِضْوَانَ أَنْ يَفْتَحَ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَيُنَادِيَ مُنَادٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: أَلَا إِنَّ الثَّوَرِ الْمُحْرَمِينَ الْمَسْكُونِ الَّذِي تَكُونُ مِنْهُ النَّبِيُّ الْهَادِي تَبَرُّهُ هَذِهِ اللَّيْلَةُ مِنْ ظَهْرِ آيَةٍ وَيَسْتَقَرُّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»⁽²⁾.

وَحَصَلَ لِأَمَةٍ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ فِي بَطْنِهَا حِمَالٌ عَظِيمٌ، وَأَصْبَحَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ أَسْمَامَ الدُّنْيَا تَحُلُّهَا مَتَكْرِسَةٌ، وَأَنْتَكَسَ عَرْشُ إِبْلِيسَ غَدَوَ اللَّهُ، فَجَمَعَ لَعْنَةُ اللَّهِ خَلْدَهُ وَالْخَيْرُ هُمْ بِالرَّافِعِ، وَأَوْفَعَ بِهِمْ دُلًّا وَصَغَارًا⁽³⁾. وَقَدْ نَسَطَ الْأَيْمَةُ ذَلِكَ فِي حِكَايَاتِ طُوبَلَةٍ.

وَذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ عَنِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّبَسَابُورِيِّ⁽⁴⁾ فِي كِتَابِهِ «الْكَبِيرِ»⁽⁵⁾ بِأَسَانِيدٍ مُتَّصِيَةٍ «أَنَّ أَمَةً حَدَّثَتْ عَنْ نَفْسِهَا وَقَالَتْ: أَتَانِي آيَةٌ مِنْ رَبِّي جِئْتُ مِنْ بَيْتٍ مِنْ حِمْلِهِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ وَرُكْلِي فِي الْمَنَامِ بِرَجْلِهِ، وَقَالَ لِي: يَا أَمَةُ، حَمَلْتُ

(1) سيرة ابن هشام: 155 / 1 - 157، الدلائل: 131 / 1، الخصائص: 102 / 1، الروض: 178 / 1 - 180، السيرة الحلبية: 62 / 2 - 63، وفي رواية أخرى: إنها قتيلة، وقيل: هي ليلة العدو، قاله ابن قتيبة في غريبه.

(2) الدر المنظم: 35 - 113.

(3) تنظر بعض الطرق في الدلائل لأبي نعيم: 135 / 1، السيرة الحلبية: 75 / 1 - 80.

(4) هو الإمام القدوة أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان بن محمد بن إبراهيم النبسابوري الرابطة، ويُلَفُّ بِالْحَرُوكِيِّ، وَخَرِيوك سَكَّةَ نَبَسَابُورٍ، لَهُ كِتَابُ التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ وَدَلِّلُ النُّبُوَّةِ وَالزَّهْدِ. تَرْجَمْتُهُ فِي: (الأنساب: 93 / 5 - 94، تبیین كذب المقنني: 233، المنتظم: 276 / 7، الباب: 436 / 1، طبقات السبكي: 222 / 5، سير النبلاء: 17 / 256).

(5) كتاب «الكبير» هو كتاب في تفسير القرآن الكريم يعرف بالتفسير الكبير. ينظر: هدية العارفين: 625 / 1.

خَيْرُ الْعَالَمِينَ أَجْمَعِينَ، فَإِذَا وَلَدَتْهُ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا، وَاکْتُمِي شَأْنَكَ، فَلَمْ تُخْبِرْ
 أَحَدًا مِنْ قَوْمِهَا، وَإِنَّمَا لَوَجِيدةٌ فِي السَّنَةِ؛ فَلَمَّا حَامَاهَا الْمَخَاضُ، وَأَخَذَهَا
 وَجَعَ الْوِلَادَةِ وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، وَإِذَا بِهَا سَمِعَتْ وَجِيةً عَظِيمَةً،
 وَأَمْرًا شَدِيدًا، وَذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، فَرَأَتْ كَأَنَّ جَنَاحَ طَائِرٍ أَبْيَضَ مَسَحَ عَلَى
 فُؤَادِهَا فَذَهَبَ عَنْهَا الرَّغَبُ وَكُلُّ وَجَعٍ وَرَأَتْ شُرْبَةً بَيَاضًا - وَهِيَ وَخَدَهَا فِي
 السَّنَةِ - فَشَرِبَتْهَا؛ ثُمَّ رَأَتْ نُورًا مَلَأَ عَلَيْهَا الْبَيْتَ، وَرَأَتْ نِسْوَةً دَخَلْنَ عَلَيْهَا،
 لَهْنَ طُولَ كَالنَّخْلِ، كَانَهُنَّ مِنْ بَنَاتِ عَبْدِ مَنَافٍ⁽¹⁾ أَخَذْنَ بِهَا، فَتَعَجَّبَتْ مِنْ أَيْنَ
 عَلِمْنَ؛ ثُمَّ اشْتَدَّ أَمْرُ الْوِلَادَةِ عَلَيْهَا، وَإِذَا بِدِيحٍ أَبْيَضَ قَدْ مَرَّ بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ وَقَابِلٍ يَقُولُ: اخْذُوهُ مِنْ أَغْنِي النَّاسِ. قَالَتْ: وَرَأَيْتُ رَجُلًا قَدْ وَفَّقُوا
 بِي الْهُدَى، بِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيقُ مِنْ فِضَّةٍ، وَأَنَا يَرْتَشِحُ مِنِّي عِرْقُ كَالْجَمَانِ، أَطِيبُ
 مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، فَقُلْتُ: يَا لَيْتَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ قَدْ دَخَلَ عَلَيَّ.
 وَعِنْدَ الْمُطَّلِبِ نَاءٌ غَنِي. وَرَأَيْتُ قِطْعَةً مِنَ الطَّيْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَشْعُرُ قُرْتُ مِنِّي
 حَتَّى غَطَّتْ حَجْرِي، مَنَاقِيرُهَا مِنَ الزُّمُرُودِ وَأَخِيحُنْهَا مِنَ الْيَاقُوتِ. وَكَشَفَ اللَّهُ
 عَنْ بَصَرِي، قَالَتْ: حِينَئِذٍ تَشَارِقُ الْأَرْضُ وَمَغَارِبُهَا؛ وَرَأَيْتُ عِلْمًا بِالشَّرْقِ،
 وَعِلْمًا بِالمَغْرِبِ، وَعِلْمًا فِي ظَهْرِ الْكُفَّةِ. وَحِينَ أَخَذَ بِي الْمَخَاضُ، وَاشْتَدَّ بِي
 الْأَمْرُ، كَانِي مُسْتَنَدَةً إِلَى أَرْكَانِ النِّسَاءِ، فَوُلِدْتُ مُحَمَّدًا، فَإِذَا بِي رَأَيْتُهُ سَاجِدًا،
 قَدْ رَفَعَ أَصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ كَالْمُتَضَرِّعِ الْمُتَبَهِّلِ. ثُمَّ رَأَيْتُ سَحَابَةً بَيَاضًا قَدْ
 أَقْبَلَتْ تَنْزُلُ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى غَشِيَتْهُ، فَغَيَّبَ عَنْ بَصَرِي، فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي
 (138) // وَيَقُولُ: طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبُهَا وَبَحْرَهَا لِيَعْرِفَهُ أَهْلُ
 الدُّنْيَا بِاسْمِهِ وَتَعْبَتِهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ سُمِّيَ بِالْمُنَاجِي، لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الشَّرْكِ إِلَّا
 يُسْحَى بِهِ فِي زَمَانِهِ. ثُمَّ تَجَلَّتْ عَنْهُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ، فَإِذَا أَنَا بِهِ مُذْرجًا فِي ثَوْبٍ

(1) عبد مناف بطن من قريش، وهم بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب. يظن: الاشتقاق
 (90 - 156، جمهرة أنساب العرب: 125 - 126، نهاية الأرب: 311 - 312).

من صوب أبيض أشدّ بياضاً من اللبن، ونخته خبيرة خضراء، وقد قضى على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض، وقابل يقول: قبض محمد ﷺ على مفتاح الطيرة ومفتاح الذكّر ومفتاح النبوة⁽¹⁾ وللناس في هذا النمط أحاديث كثيرة⁽²⁾.

وولد محمد مَحْمُوداً. قال الإمام ابن الجوزي⁽³⁾ في كتابه المسمى «المجتبى»⁽⁴⁾: «أسماء من ولد مَحْمُوداً من الأنبياء: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإسم، ويهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ويوسف، وموسى، وإسحاق، وإسماعيل، وعيسى، وحفظة بن صفيان نبي أصحاب الرّسّ ومحمد ﷺ، سبعة عشر نبياً. ونقله الفاكهاني⁽⁵⁾ في «شرح عمدة الحديث»⁽⁶⁾، فعلى هذا يكون الختان ما عدّ من الفظة إلا فعلة. فأوّل من

(1) الدر المنظم: 115.

(2) وتنظر بعض طرق هذه الحادثة في: دلائل النبوة لأبي نعيم: 1/ 136، سيرة ابن هشام: 1/ 158، الروض الأنف: 180، شرح المواهب للزرقاني: 1/ 113، السيرة الحلبية: 1/ 75 - 80.

(3) هكذا العبارة في الأصل، ولعل الأصوب هو ابن الجوزي.

(4) هو كتاب «المجتبى في أنواع العلوم»، هو مختصر للشيخ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. ولم أعثر في ما تناولته من كتب التراجم والفهارس على كتاب اسمه المجتبى لابن الجوزي. ينظر كشف الظنون: 2/ 92 - 105.

(5) هو عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللحسي الإسكندري تاج الدين الفاكهاني، عالم بالحديث والفقه والأحكام والأصول والسحر من كبار علماء السلفية. له مؤلفات جيدة. ترجمته في: (البداية والنهاية: 14/ 168، الدرر: 178، شجرة النور: 204، بغية الوعاة: 362، الديباج: 186، شذرات الذهب: 6/ 76).

(6) اسم الكتاب كاملاً هو: «رياض الأفيام في عمدة الأحكام في الحديث» وهو مخطوط قيد التحقيق. والعمدة هو كتاب للشيخ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن مسرور السندسي الحنبلي (ت 600هـ)، وتعرف بعمدة المحدثين أو عمدة الأحكام أو عمدة الحديث. وعليها عدة شروح أوفاهها شرح ابن دفين العيد وابن مرزوق والفاكهاني. ينظر: شجرة النور: 237، كشف الظنون: 2/ 1164 - 1165.

(7) شرح عمدة الحديث: الورقة 88.

سبى بفعله إبراهيم. وأما من ولد مخنونا فتلك خاصة من الله وتلك فتكون أمة
 محسنة ^{عليه} اقتدوا بإبراهيم، بفعله. وفيه حكمة، لكون إبراهيم ^{عليه} لم يكن
 من ولد مخنونا ليكون قدوة في فعله يتبعه فيه بشوة، فله هذه الدرجة العظيمة.

وقد اختلف في يوم ولادته ^{عليه}: فقبل المئتين لشهر ربيع الأول.
 وقيل لثمان خلون منه وقيل: لعشر. وقيل: لاثني عشر خلون منه. وعليه
 عور أهل المغرب في إقامة مولده الكريم ⁽¹⁾. ونسب ^{عليه} ضحى يوم الاثنين.
 أي: ظهرت نبوته في الدنيا لبني آدم لاثني عشر خلون من ربيع الأول. وقدم
 السيدة مهاجراً لمثل ذلك من ربيع الأول. وتوفي ^{عليه} ضحى يوم الاثنين
 لاثني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشر من الهجرة ⁽²⁾.

وأما في أي موضع ولدته؟ فقال الزبير بن بكار ⁽³⁾: «ولد ^{عليه} بمكة
 شرقها الله في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف الثقفي ⁽⁴⁾ أخ الحجاج.
 وقيل: ولد بشعب بني قاشم ⁽⁵⁾. وروى أسامة بن زيد ⁽⁶⁾ ^{عليه} أنه قال: «أما

(1) ينظر بسط هذا الاختلاف في: سيرة ابن هشام: 158/1، سيرة ابن كثير: 198 - 200، السيرة الحلبية: 92/1 - 100.

(2) الدر المنظم: 116.

(3) هو أبو عبد الله بن أبي بكر بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، العلامة الحافظ السابة، قاضي مكة، صاحب كتاب «جمهرة سب قریش»، ترجمته في: (تاريخ بغداد: 467/8، وفيات الأعيان: 311/2، الحرج والتعديل: 585/3، تهذيب التهذيب: 232/1، تاريخ ابن كثير: 24/11، سير النبلاء: 312/12، مقدمة الجمهرة: 11، تحقيق شاکر).

(4) هو محمد بن يوسف الثقفي أخ الحجاج بن يوسف الثقفي، استعمله الحجاج والبا على صنعاء. ينظر: (تاريخ الإسلام للذهبي: 51/4، تاريخ الخلفاء: 313/2، رغبة الأمل: 30/5 - 35، الأعلام: 147/7).

(5) ينظر الاختلاف في مكان ولادته مستوفى في: البداية والنهاية: 260/2، عيون الأثر: 26/1، الكامل لابن الأثير: 123/1، نهاية الأرب: 67/16، شرح المواهب: 1/136، السيرة الحلبية: 100/1 - 103.

(6) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس.

رَسُولُ اللَّهِ أَتَرَأَى فِي ذَارِكِ بَيْتِكُمْ؟ فَقَالَ: وَمَنْ تَرَكَ لَنَا عُقْبِلَ⁽¹⁾ مِنْ دَارٍ أَوْ رَيْحٍ⁽²⁾، وَكَانَ عُقْبِلٌ وَرَثَ أَبِي طَالِبٍ⁽³⁾ هُوَ وَأَخُوهُ طَالِبٌ⁽⁴⁾، وَلَمْ يَرِثْ عَلِيٌّ وَلَا جَعْفَرٌ⁽⁵⁾ مِنْ مَشْرُوكِهِ شَيْئاً. وَفِي تَمَكَّةَ الْيَوْمَ دَارٌ تُعْرِفُ بِدَارِ السُّوَيْدِ، وَتُسَمَّى الرُّفَاقُ⁽⁶⁾ كَذَلِكَ، يُقَالُ لَهُ: رُفَاقُ السُّوَيْدِ.

قَالَ عِكْرِمَةُ⁽⁷⁾: «لَمَّا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَضَعَتْهُ تَحْتَ ثِيَابِ كَمَا تَفْعَلُ الْعَرَبُ، فَانْقَلَبَتِ الثِّيَابُ فَتَنَظَّرَتْ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَدَّ بَصَرَهُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَلَمَّا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ بَعَثَتْ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَجَاءَ مَعَ أَنَاسٍ، فَأَخْبَرَتْهُ بِكُلِّ مَا رَأَتْهُ، فَسَرَّ بِهِ، وَأَدْخَلَهُ الْكَعْبَةَ، وَحَمِدَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ، وَأَنْشَدَ: (بسيط)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَغْطَانِي هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ⁽⁸⁾

= حب رسول الله ﷺ ومولاه. ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 61/5 - 72، الاستيعاب: 75/1، أسد الغابة: 79/1، الإصابة: 54/1، سير النبلاء: 496/2 - 507).

(1) هو عقيل بن أبي طالب الهاشمي، شهد بدرًا مشركاً فأسر ففداه عمه العباس. ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 1/4 - 28، الاستيعاب: 108/8، أسد الغابة: 63/4، الإصابة: 31/7، تهذيب الأسماء واللغات: 337/1، سير النبلاء: 218/1، الأعلام: 242/4).

(2) مسلم: 984/2، ابن ماجة: 912/2، السيرة الحلبية: 101/1.

(3) هو أبو طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة عم رسول الله ﷺ. ينظر: الجمهرة: 14 - 15.

(4) هو طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أخ سيدنا علي عليه السلام وجعفر وعقيل. ينظر: الجمهرة: 14.

(5) هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب صاحب جيل من الشجعان، حمل الراية يوم مؤتة، مات شهيداً. ترجمته في: (حلية الأولياء: 114/1، صفة الصفوة: 205/1، الإصابة: 237/1، الأعلام: 125/2).

(6) الرُّفَاق: السكة، والرُّفَاق: الرق والوعاء. ل/زق.

(7) هو عكرمة بن أبي جهل لما قتل أوه تحولت رئاسة بني مخزوم إليه ثم أسلم وحسن إسلامه. ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 329/5، المعارف: 234، الاستيعاب: 116/8، الإصابة: 36/7، تهذيب التهذيب: 257/7، سير النبلاء: 323/1).

(8) الشعر لعبد المطلب مع أبيات أخرى باختلاف رواية في الروض: 184/1، نهاية الأرب: 71/16.

قد ساد في السُّهْدِ عَلَى الْعُلَّاسِ أَعْبَلُهُ بِالتَّبَيُّتِ دِي الْأَرْكَانِ⁽¹⁾

فِي آيَاتٍ عِدَّةٍ. وَالْكَلَامُ فِي سِيرَتِهِ عَنِ بَحْرِ لَا سَاحِلَ لَهُ.

وَقَدْ أَسْلَفْنَا أَنَّ (يَا) [139] // حُرُفُ تَنْبِيهِ، فَلَوْ جَعَلْنَاهَا حُرُفَ نِدَاءٍ فَلَيْسَ (طَيْبٌ) مُنَادِي وَإِنَّمَا السُّنَادِي مَخْدُوفٌ. وَ(طَيْبٌ): مَفْعُولٌ، وَالتَّقْدِيرُ: يَا مُتَأَمِّلًا نَاقِلَ طَيْبٍ، أَوْ الظُّلْمَ. وَيَصُحُّ أَنْ يَكُونَ (طَيْبٌ) مُنَادِي تَقْدِيرُهُ: يَا طَيْبَ السُّنْدِ وَالسُّخْتَمِ الْفَحْرُ بِرَاحَةِ قَافَتِ طَيْبٍ كُلِّ طَيْبٍ، فَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَسَعَّ فِي مِثْلِ هَذَا كَمَا قِيلَ فِي (أَرْحَرِ)

يَا عَجَبًا مِنْ هَذِهِ الْفُتَيْقَةِ⁽²⁾

أَيُّ يَا عَجَبٌ أَحْضَرُ. عَلَى جَعْلِهَا لِلنِّدَاءِ، وَأَمَّا عَلَى كَوْنِهَا لِلتَّنْبِيهِ فَوَاضِحٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَفِي كِتَابِ اللَّهِ سُبحَانَهُ: ﴿قُلْنَا يٰنَارُ﴾ [الأنبياء: 10] وَ﴿يٰجِبَالُ أَوِي مَعَهُ﴾ [سبا: 10]؟

قُلْتَ: إِنَّ النَّارَ وَالْجِبَالَ يَصُحُّ أَنْ تُكُونُ هِيَ السُّنَادَةُ، فَيُحَلِّقُ اللَّهُ لَهَا إِذْرَاكَاً فَتَسْمَعُ النِّدَاءَ.

وَفِي النَّيْتِ: تَوَرُّعٌ مِنَ التَّجْنِيسِ: وَهُوَ تَكَرُّارُ لَفْظِ (الطَّيِّبِ).

فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ يَتِمَّ شَرْطُ التَّجْنِيسِ، إِذْ لَا يَكُونُ تَكَرُّارُ اللَّفْظِ بَعَيْنَهُ الدَّالُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ تَجْنِيسًا.

قُلْتَ: بَلْ هُنَا مَعْنَتَانِ فِي اللَّفْظِ الْوَاحِدِ يُصَحِّحَانِ مَعْنَى التَّجْنِيسِ، فَإِنَّ (الطَّيِّبِ) السُّنْفِيَّ بـ (لَا) الَّتِي لَتَفِي الْجَنْسِ الطَّيِّبِ الَّذِي يُنْظَفُّ بِهِ. وَ(الطَّيِّبِ) فِي

(1) ينظر طبقات ابن سعد: 1/ 63 - 64، الحدائق: 1/ 163 - 164، نهاية الأرب

17/ 16، السيرة الحلبية: 1/ 110، الدر المنظم: 120.

(2) سبق تخريجه: ص 8.

قوله: (يا طيب مُبْتَدِئُ مِنْهُ وَمُخْتَتَمٌ) طيبٌ قاصِرٌ على ذاته ^{الطاهر}، فهو أرفعُ
 درجة، لأن ما يُتَطَيَّبُ به تُسْرَعُ إليه ^{إلا الله} عَمَلٌ تَطَيَّبَ به، وطيبٌ هذه الذات
 الظاهرة ليس بما يزول، ولا يتقل، ولا يُعارى، ولا يتبعض، فيستعملُ الغيرُ
 بعضه، فتمَّ معنى التَّجَنُّيسِ، وهذا يُخْرِجُ اللَّفْظَيْنِ عَنِ السَّوَابِغِ إلى أن يصير
 اللَّفْظُ مُشْكِكًا، وهو في الطيبِ القائم بذاته ^{الطاهر} أبلغ، فيكون بينه وبين الطيبِ
 المستعمل ما بين نور الشمس ونور القنديل فهو أولى من تسميته طيباً من تسميته
 المسك ونحوه طيباً، والذي حملهُ على أن تكررهُ من باب التوكيد بعيد، لأن
 القِيبَ الأولَ غيرَ الطيبِ الثاني. والتوكيد اللفظي: هو تكرار اللفظ بعينه مع
 اتحاد الدَّاتِ، كقولك: زَيْدٌ زَيْدٌ قام. وما استدللَّ به أيضاً بعضهم أنه وردَ
 التَّجَنُّيسُ بِالسَّوَابِغِ فِي تَحْوِي قَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

إِذَا الْحَبْلُ خَابَتْ فَصَطَلَ الْحَرْبُ صَدْعًا صُدُورُ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَابِ⁽¹⁾

فيه نظير، وليست (الصُّدُورُ) الأولى ههنا (الصُّدُورُ) الثاني، ولا من
 السَّوَابِغِ، بل هو من المُشْتَرَكِ إِنْ فُتِحَ إِنْ أَحَدَ الصُّدُورَيْنِ مَضْمُونًا وَالْآخَرُ
 جَمْعٌ، أَوْ أَنَّ الصُّدُورَ فِي الْعَوَالِي حَقِيقَةٌ، وَفِي الْكُتَابِ مَحَاوِرٌ، فَيَحْسُنُ عَدُّهُ
 مِنَ التَّجَنُّيسِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



(1) البيت لأبي تمام في ديوانه 1/ 207 برواية: «فصطل الحرب»، الطراز 2/ 358.

الإيضاح: 536، نضرة الإغريض: 128.

فصل في اللسان القسطل والفصل العبار الساطع صدغوا غيبوا وحطموا
 العوالي: الرماح.

يَوْمَ تَفْرُسُ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ قَدْ أُنْذِرُوا بِخُلُولِ النَّاسِ وَالنَّقَمِ⁽¹⁾

شرح: هذا من جملة ما أبان مولده، لكن من جهة الحقيقة لا من جهة الحكم الإغرابي إن (أبان) في البيت الأول غير عامل في (يَوْم) المصدر به هذا البيت، حتى أنا لو نصبناه لم يتمعن معنى يقرأ العين. والأظهر رفع (يَوْم) الأول: إما على البدل من (مولد) في قوله: (أبان مولده) ويكون ذلك: أبان يوم مولده. فاليوم الأول هو اليوم الثاني.

ويصح على أن يكون مستنداً، وتكون الجملة بغده حياً، والرباط بين الجمليتين والمستند الطيمير المتجوز. وإن نصبنا (يَوْم) يكون حينئذ ظرفاً، فيكون ظرفاً للولادة، فيكون مولده في ذلك اليوم. وليس بالمتعدي مثل الشكر. اللهم أل ينفل أن الولادة كانت قبل انصرام الثلث الأول من الليل يصح انصاف تسمية اليوم عليه إلى ذلك الوقت، فيكون اليوم قبل ليلة الولادة [140] // قبل وقت الولادة.

ويصح على جعل (يَوْم) منصوباً أن يكون مفعولاً ر (أبان)، ويكون (مولده) بمعنى ولادته. أي: أظهرت ولادته هذا اليوم الذي ظهرت فيه أدلة على شرف هذا المولود فيه، فيكون (أبان) متعدياً.

(والفراسة): هي ما يُنخبَل في نفس المتفكر، ومنه: «انقروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»⁽²⁾. وهو في حق المؤمن ما

(1) الديوان: 194.

(2) الترمذي: 360/4، الحدائق: 346/3، الجامع الصغير: 29/1، تحفة الأشراف: 420/3، فتح الباري: 346/12، جامع بيان العلم: 37/2، بلفظ: «إياكم وفراسة».

بُنْتُثُ^(١) فِي رُوعِهِ^(٢). وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَرْوَعُونَ فَمِنْهُمْ ضَمَرٌ»^(٣)، وَلَكِنَّ الَّذِي يَقَعُ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ يَكُونُ لَا لِقِيَامٍ دَلِيلٍ وَلَا لَا فِتْرَانِ قَرِينَةٍ، كَمَا وَقَعَ لَعَمْرُ عَلَى الْمُبْتَدِعِ جَيْنَ قَالَ: «يَا سَارِيَةُ الْجَبَلِ»^(٤). وَأَمَّا مَا يَقَعُ مِنْ غَيْرِ الْأَوْلِيَاءِ فَإِنَّهَا أَخْوَالُ تَذُلُّ عَلَيْهَا فِرَائِنُ وَمَقْدَمَاتُ يُسْتَنْبِطُ مِنْ أَوَائِلِهَا مَا يُتَوَقَّعُ عِنْدَ أَوَاخِرِهَا؛ كَمَا إِذَا رَأَى إِنْسَانٌ بِنَاءً يُبْنَى، فَأَسَسَ لَا عَلَى صَلْبٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَرَأَى أَسْفَلَ «ضَعِيفاً»^(٥)، وَأَعْلَاهُ «تَقْبِلاً»^(٦)، وَرَأَى فِيهِ «الْحِرَافَةَ»^(٧)، يَقُولُ: هَذَا الْحِدَارُ يَخُوفُ. أَوْ يَرَى رَحْلَيْنِ بَيْنَهُمَا فِتْنَةٌ طَائِعِيَّةٌ، وَلَهُمَا حَقٌّ^(٨)، كُلُّ مِنْهُمَا يُحَاوِلُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَهُمَا مُتَنَائِبَانِ، فَيَقُولُ الْمُتَقَرِّبُ: لَا بُدَّ لِأَحَدٍ هَذَيْنِ أَنْ يَمُوتَ.

وَمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ الْفُرْسِ مِنْ خِرَابٍ مُلْكِيهِمْ مِنَ الْقَرَانِ الَّتِي افْتَرَنَتْ وَالْأَدَلَّةُ الَّتِي ظَهَرَتْ وَفِرَاسَتُهُمْ ذَلَّتْهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ أَغْلَسُوا بِحِرَابٍ مُلْكِيهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «أَنَّهُمْ قَدْ أَنْزَلُوا»، وَذَلِكَ مِمَّا لَاحَ لَهُمْ مِنْ رُؤْيَى الْمُونِدَانِ، وَمِنْ كَلَامِ كَهَنَتِهِمْ، وَمَا كَانُوا أَيْضاً يَفْهَمُونَ مِنْ قَوْمٍ كَانَتْ لَهُمْ عِلْمٌ بِمَا فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَكَانَ ذَلِكَ إِنْذَاراً لَهُمْ.

= العلماء، كشف الخفاء: 42/1.

(١) ينفث: من نفث ينفث وينفث، وهو أقل من النفل، وقيل: هو النفل بعين، وقيل: هو النفخ؛ ومنه الحديث: «إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي» ل/نفث. ينظر الحديث في: النهاية في غريب الحديث: 277/2.

(٢) الرُّوع: النفس والخلد. ل/رُوع.

(٣) البخاري، 225/15، مسند «محدثون»، وفي: 236/15، لفظ «رجال كلهم»، مسلم، 4/1864، الترمذي: 5/285، أحمد: 2/339، ابن حبان: 9/21، الحداثق: 1/355.

(٤) الدلائل: 2/579، الإصباة: 3/2، تاريخ الحلفاء: 125، الطبري: 5/370، كشف الخفاء: 2/514، منتخب كثر العمال: 4/380.

(٥) في الأصل: «ضعيف».

(٦) في الأصل: «ثقل».

(٧) في الأصل: «انحراف» ولعل الأنسب للموقع الإعرابي ما أثبتناه.

(٨) الحق: من حَقَّ يحقُّ، وهو شدة الاعتياط. ل/حق.

وَرَوَى الْكَلْبِيُّ^(١) عَنْ أَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ^(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣) عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:
 إِنَّمَا ظَفَرُ سَيْفِ بْنِ دِي بَرٍّ^(٤) بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ بِسِتَيْنِ، أَتَتْهُ
 وَهُوَ فِي الْغَرْبِ وَأَشْرَافُهَا وَشَعْرَافُهَا لَتَفَنَّتِهِ وَامْتِدَاحِهِ وَطَلَبَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ،
 وَطَلَبَهُ بِشَارٍ قَرِيبِهِ. وَأَتَاهُ فِي حُمْلَةٍ مِنْ أَتَاهُ وَفَدَّ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ:
 عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ^(٥) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَدْعَانَ^(٦)
 وَالْمُنْعِيرَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى، وَوَهْبُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنُ زُهْرَةَ^(٧) وَخُوَيْلِدُ بْنُ
 أَسَدٍ^(٨) فِي أَنَاسٍ مِنْ وَجْهِ قُرَيْشٍ. وَهُوَ بِصَنْعَاءَ، فَإِذَا الْمَلِكُ فِي رَأْسِ قَضَرِهِ

(١) الكلبي هو أبو النصر محمد بن السائب الكلبي، السابعة المفسرة، متروك الحديث، (ت: 246هـ)، ترجمته في (طبقات بن سعد: 249/6، تاريخ خليفة: 423، الحرج والتعديل: 270/7، سير النبلاء: 248/6).

(٢) هو أبو صالح السمان، ذكران بن عبد الله مولى أم المؤمنين جويرية العطفانية، من كبار العلماء بالمدينة، (ت: 101هـ)، له حوالي 1000 حديث، ترجمته في (التاريخ الكبير: 260/3، الحرج والتعديل: 450/3، تذكرة الحفاظ: 89/1، سير النبلاء: 36/5).

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، حبيب الأمة، الصحابي الحليل، ترجمان القرآن، له حوالي 1660 حديثاً (ت: 68هـ)، ترجمته في (الحلية: 314، الصفوة: 314/1، الإصابة: 4772، المحبر: 289، نكت العميان: 180، الأعلام: 95/4).

(٤) هو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبع الحميري، ملك الحبشة، ترجمته في (أسد الغابة: 363/2، الإصابة: 249/3).

(٥) هو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي من قريش، جد الأمويين بالشام والأندلس جاهلي عاش إلى ما بعد المولد، ترجمته في: (سبائك الذهب: 68، الاشتقاق: 54 - 73، جمهرة أنساب العرب: 75 - 80، السمع: 674، الأعلام: 23/2).

(٦) هو عبد الله بن جدعان النخعي القرشي، أحد المشهورين في الجاهلية، صاحب أمية بن أبي الصلت، ترجمته في: (الأغاني: 8/3 - 19، المحبر: 137، جمهرة أنساب العرب: 136، الخزائن: 537/3، الأعلام: 76/4).

(٧) سبق ترجمته: ص 338.

(٨) هو خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، من قريش والد جذيمة بنت أم المؤمنين، جاهلي كان من الفرسان يلقب بأبي الخسف، ترجمته في: (الأعلام: 325/12).

يَسْمَى: غَمْدَانُ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ: (بسيط)

لِيَطْلُبَ الْمَرْءُ أَمْتًا لِنَ ذِي يَزِيدٍ حُبًّا عَلَى الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالًا⁽¹⁾

فَاشْرَيْتَ هَبْنًا عَلَيْكَ الشَّيْءَ مُرْتَقِيًا فِي رَأْسِ [غَمْدَانِ] دَارِ مَتَكَ مَحَلًّا⁽²⁾

فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَإِذَا الْمَلِكُ مُصْصَحٌ⁽³⁾ بِالْعَصْرِ، يَلُوحُ وَمِيضُ
السُّنْبُكِ فِي مَفْرِقِهِ⁽⁴⁾، سَبَقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ
الْمُلُوكِ، قَدَمًا عِنْدَ الْمُطْلَبِ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْكَلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ مَعْنَى يَتَكَلَّمُ
بَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ فَتَكَلَّمْ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَحَلَّكَ اللَّهُ مَحَلًّا رَفِيعًا، صَغِيرًا
سَهْلًا، شَامِخًا بَادِحًا، وَاللَّتْكَ شَيْئًا طَائِلٌ أَرْوَمَةٌ وَغَرَّتْ، وَأَنْتَ - أَيَّتَ اللَّعْنِ -
رَأْسُ الْعَرَبِ وَرَفِيعُهَا الَّذِي بِهِ تُخَصِّصُ الْبِلَادُ، وَالْمَلِكُ الَّذِي لَهُ تَقَادُ، وَعُذُودُهَا
(141) // الَّذِي عَلَيْهِ الْعَصَا، وَمَعْقِلُهَا الَّذِي إِلَيْهِ مَلْحَا الْعِبَادِ، وَوَارِثُهَا الَّذِي إِلَيْهِ
تَكَلُّفٌ وَالْهَيْئَةُ سَلْمُكَ لَنَا خَيْرٌ سَلَامٍ، وَأَنْتَ لَنَا مِنْهُمْ خَيْرٌ حَلِيفٍ، فَلَمْ يُخَلِّفْ
بَعْدَ مَنْ أَلَتْ سَلْفَهُ، وَلَمْ يُهْلِكْ دُخْرُ مَنْ أَلَتْ حَلْفَهُ، وَتَحَنَّنَ إِلَيْهَا الْمَلِكُ أَهْلُ
حَرَمِ اللَّهِ وَسَدَنَةُ بَيْتِهِ، أَسْخَطُوا إِلَيْكَ الَّذِي أَلْفَهْنَا مِنْ كَثْفِكَ الْكَرْبِ الَّتِي فَرَّجْنَا
عَنْهَا وَالْحَسَدُ لَكَ عَلَى ظَنِّكَ وَإِطَالَةِ بَاعِكَ وَشَيْتِكَ، وَلَنْحُ وَفَدُ التَّهْنِئَةِ لَا وَفَدُ
الْإِزِيَةِ قَالَ الْمَلِكُ: وَإِيَّاهُمْ أَنْتَ؟ قَالَ: عَبْدُ الْمُطْلَبِ بْنُ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ
قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرِ بْنِ كِتَابَةَ قَالَ الْمَلِكُ: ابْنُ أَخِي.

(1) الشَّاعِرُ لَا يَدْرِي مَنْ أَبِي الْعَصَا فِي مَدْحِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزِيدٍ الْحَمِيرِيِّ، وَهَذَا فِي: دِيْرَانَهُ: 341، وَتَنْسَبُ لِأَبِيهِ كَمَا فِي اللِّسَانِ/رِيمٍ، وَالْبَخْلَاءِ: 232، وَفِيهِ رَوَايَةٌ: الْيَطْلُبُ النَّارَ... «رِيمٌ فِي الْحَرِّ...» وَالْحَجَّ فِي الْحَرِّ... «وَفِي تَارِيخِ أَبِي الْغَدَّادِ: «لَا يَقْصِدُ النَّاسُ إِلَّا كَابِرَ...» يَنْظُرُ تَحْرِيجَ الْبَيْتِ فِي الدِّيْوَانِ: 341.

(2) سَقَطَتْ كَلِمَةُ «غَمْدَانُ» مِنَ الْأَصْلِ وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي جَمْعِ الرِّوَايَاتِ. وَفِيهِ رَوَايَةٌ: «وَإِشْرِي...» وَ «مُرْتَفَعًا...»، وَ «مَتَكْنَا...»، وَ «مَعْتَبِقًا...»، وَ «دَارُ غَمْدَانِ دَارُ مَتَكَ...». يَنْظُرُ الدِّيْوَانُ: 341.

(3) الضَّمخُ: لَطَخَ الْجَسَدَ بِالطَّيْبِ. ل/ضَمخ.

(4) الْمَفْرِقُ وَالْمَفْرِقُ: وَسَطُ الرَّأْسِ، ل/فَرْق.

قال لعمري قال الملك: ادن. فدن، ثم أقبل عليه وعلى أصحابه فقال: مرحباً
وأقلاً، ونافعة ورخلاً، ومستلخاً سهلاً، ومليكاً ریحلاً⁽¹⁾. نعطى عطاء جزلاً
وموالاً بطلاً⁽²⁾. قد سمعنا مقالكم، وعرفنا قرابتكم، وقبلنا وسيلتكم. فالتفت
إلى الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء⁽³⁾ إذا طعتم⁽⁴⁾. ثم انصرفوا
إلى دار المؤلود والصبابة، وأجريت عليهم الأوزافى، وأزجيت عليهم السور
والطلال شهرًا. ثم أرسل إلى عبد المظلي، فأذناه الملك والحلى فجلسه، ثم
أخبره أنه يجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون: أنه إذا ولد غلام بتهامة،
له علامة، وبين كفيه شامة كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة.
والخبر أن هذا هو حيته الذي يولد فيه، أوفد ولدًا. واسمه محمد. يموت أئو
وأشد، ويكفله حدة وعمه، في كلام كثير، فأنه لعبد المظلي سيف من ذي
الرب فوافقه عليه عبد المظلي وقال له: قد تريد علينا بأمارات ذكرها الملك
أصلحه الله. فحذره الملك عن أن يسوخ بسره، ولا إلى فوره، خشية أن
يخلفهم المنافسة. وأمر لكل واحد من قرشي سائر عظيم، وبعث لعبد المظلي
عشرة أفتال مما أفضى لكل واحد منهم. وكان عطاؤه لكل واحد منهم مائة من
الابل وعشرة أعبد، وعشرًا من الإماء، وعشرة أرطال من الذهب، وعشرة
أرطال من فضة، وعشرًا مملوءة عنبرًا. وقال لعبد المظلي: إذا كان رأس
العام تأليبي وتعلبي بما فعل الله بالمؤلود، فمات سيف قبل تمام الحول⁽⁵⁾.
وشم كسرى شيئاً من هذا وتنكر قلبه. ووقع لكسرى شيء مع رئيس

(1) الریحل: العظيم الشأن، والریحل: الكثير العطاء. ل/ربل.

(2) البتل: الحن، والبتل: العطاء المنقطع الذي لا يهبه عطاء، أو الذي لا عطاء بعده.
ل/بتل.

(3) الحباء والحباء: ما يحبو به الرجل غيره، وهو العطاء. ل/حبا.

(4) طعتم: رحلتهم. ل/طعن.

(5) دلائل النبوة للبيهقي: 9/2، ولأبي يعين: 95/1، البداية والنهاية: 330/1، حيا.

الأرب: 137/6 - 141، الخصائص: 202/1.

الْكُتَّانِ سَطِيحٍ^(١) فِي رُؤْيَا الْمُؤْتَدَانِ^(٢) حِينَ قَالَ لِكُسْرَى: أَيُّهَا الْمَلِكُ اللَّيْلَةُ
الَّتِي تَرَحَّحَ فِيهَا سَرِيرُكَ رَأَيْتَ رُؤْيَا. قَالَ: أَقْضَضْتُهَا. قَالَ: رَأَيْتَ إِبْلًا صَعَابًا،
تَقْوُهُ خَيْلًا عَرَبِيًّا حَتَّى اقْتَحَمَتْ دَجَلَةً، وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا. قَالَ كُسْرَى: فَمَا
عِنْدَكَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا عِنْدِي فِيهَا شَيْءٌ، وَلَكِنْ أُرْسِلُ إِلَى عَامِلِكَ بِالْحَبِيرَةِ^(٣)،
بِوَجْهِ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ غُلَمَانِهِمْ، فَإِنَّ عِنْدَهُمْ سَلَمًا بِالْحَدَثَانِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ
عَبْدَ الْمَسِيحِ بَنَ ثَعْلَبَةَ^(٤) وَهُوَ عَبْدُ الْمَسِيحِ بَنُ عَمْرِو بْنِ حَسَّانِ الْغَسَّانِيِّ. فَلَمَّا
دَخَلَ عَلَيْهِ أَحْبَبَهُ كُسْرَى بِالرُّؤْيَا، فَقَالَ عَبْدُ الْمَسِيحِ: أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا عِنْدِي فِيهَا
مَا أَقُولُ وَلَكِنْ جِئْتُكَ إِلَى خَالِي بِالشَّامِ، وَهُوَ الْكَاهِنُ الْمَعْرُوفُ بِسَطِيحٍ فَحَبَّزَهُ
فَلَمَّا وَضَعَ عَبْدُ الْمَسِيحِ 11421// خَالَه سَطِيحًا نَادَاهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَكَلَّسَهُ فَلَمْ يَرُدَّ
عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَسِيحِ: (رجز)

أَصَمَّ أَمْ يَسْمَعُ عَطْرِيفَ الْيَمَنِ أَمْ قَادَ فَاذَلَمْ يَوْ شَاؤَ الْعَيْنُ^(٥)

(١) قال ابن هشام في السيرة: 15/1 «واسم سطوح: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن
قُثَبِ بْنِ عَدِي بْنِ مَازَنَ بْنِ غَسَّانٍ». ينظر: المعمرون: 4 - 5، الروض: 18/1،
نهاية الأرب: 154/16، تاريخ اليعقوبي: 8/2، سراج الذهب: 160/2، بلوغ
الأرب: 281/3 - 283.

(٢) المؤبدان أو المؤتدان: فقيه الفرس وحاكم المجوس ورئيس حكامهم.

(٣) الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أيام من الكوفة، كانت مسكن ملوك العرب في
الجاهلية. ينظر: معجم ما استعجم: 478/2.

(٤) هو عبد المسيح بن عمرو بن حسان بن ثعلبة وقيل: ابن ثعلبة أو بقلة الغساني له شعر
وأخبار أدرك الإسلام (ت 12هـ). ينظر: البيان والتبيين: 147/2، الديارات: 154،
نهاية الأرب: 129/3، الأعلام: 153/4.

(٥) لأبيات في دلائل أبي نعيم: 140/1، تاريخ الطبري: 167/2، غريب الحديث
للخطابي: 623/1، الفائق: 460/1، بلوغ الأرب: 281/3، الروض: 19/1،
نهاية الأرب: 129/3، سيرة الذهبي: 13، الخصائص: 51/1، باختلاف رواية
واختلاف ترتيب، والعطريف السيد الكريم والعن النواحي. وفي الثاني رواية
«العطن»، والعطن للإبل كالوطر للناس. وعبد أبي نعيم رواية: «يا فصل الخطة
أعيت من قن»، وبنو سامان: هم الفرس الثانية، وسامان: عبد. ينظر: المحبر:
394، تاريخ الطبري: 37/2.

يَا قَاصِلَ الْخُطَّةِ أَغِيثْ مَنْ وَمَنْ وَغَاشِقَ الْكُرْبَةِ عَنْ وَجْهِ الْعَطَشِ
أَنَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَسْرٍ وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذُلَيْبِ بْنِ حَجَّجٍ

فِي أَيْيَاتٍ كَثِيرَةٍ. فَلَمَّا سَمِعَ سَطِيحُ يَشْعُورُهُ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: عَبْدُ الْمَسِيحِ
عَلَى جَنْبِ مَشِيحٍ⁽¹⁾، أَتَى إِلَى سَطِيحٍ، وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الصَّرِيحِ، بَعَثَكَ مَلِكُ بَنِي
سَاسَانَ، لَارْتَحَاسِ الْإِبْوَانِ، وَخُمُودِ النِّيزَانِ، وَزُؤْيَا الْمُوبِدَانِ، رَأَى إِبْلًا
صَعَابًا، تَقُودُ خَيْلًا عَرَابًا، حَتَّى اقْتَحَسَتْ فِي الْوَادِ، وَانْتَشَرَتْ فِي الْبِلَادِ. يَا
عَبْدَ الْمَسِيحِ، إِذَا انْتَشَرَتْ الثَّلَاوَةُ، وَغَاضَ مَاءُ السَّاسَاةِ، وَغَاضَتْ تُحِيرَةُ
سَاوَةَ، وَظَهَرَ صَاحِبُ الْهَرَاوَةِ⁽²⁾ وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسٍ، فَلَيْسَتْ الشَّامُ لِسَطِيحِ
بِشَامٍ، يَمْلِكُ مِنْكُمْ مَلِكٌ وَمُلُكَاتٌ عَلَى عَدَدِ سُقُوطِ الشَّرَافَاتِ⁽³⁾، وَكُلُّ مَا هُوَ
أَبِ آتٍ، ثُمَّ قَضَى سَطِيحُ مَكَانَهُ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَسِيحِ: (بَسْطَ)

شَمْرًا، فَإِنَّكَ مَاصٍ الْعِزِّ شَمِيرٌ لَا يَقْرَعَنَّكَ تُغْوِيٌّ وَتُغْيِيرٌ⁽⁴⁾
ثُمَّ أَتَى كَسْرَى فَأَخْبَرَهُ، فَغَمَّ ذَلِكَ وَهَالَهُ، ثُمَّ تَعَزَّى وَقَالَ: إِنْ يَمْلِكُ مِنَّا
أَرْبَعَةُ عَشَرَ مَلِكًا بِذُورِ الزَّمَانِ. فَهَلَكُوا كُلُّهُمْ فِي أَرْبَعِينَ سَنَةً. مَلِكٌ مِنْهُمْ أَرْبَعُ
عَشْرَةِ سَنِينَ. وَمَلِكٌ الْبَاقِي مِنْهُمْ إِلَى آخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاسْتَأْصَلَ مُلْكُهُمْ
وَقَطَعَ دَابِرَهُمْ بِدَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽⁵⁾. فَسَعْنَى قَوْلِ الْبُوصَيْرِيِّ: (قَدْ أُنْذِرُوا)، أَيِ:
أُنْذَرُهُمْ كَاهِنُهُمْ.

(1) جمل مشيح: جمل سريع المشي. ل/ مشح.

(2) صاحب الهراوة: أي هراوة رسول الله ﷺ التي كان يتكأ عليها. دلائل أبي نعيم
140/1.

(3) هكذا العبارة في الأصل وعند أبي نعيم، وفي باقي الروايات الشرفات، والشرفة
أعلى الشيء. ل/ شرف.

(4) ينظر تخريجه في: أبو نعيم في الدلائل: 141/1، والمردوقي في الأمانة والأمكنة.
342 آيات أخرى.

(5) تاريخ الطبري: 2/167، الدلائل لأبي نعيم: 138/1 - 141، غريب الحديث
للحطابي: 1/623، الفائق: 2/39، فتح الباري: 7/394، الحصائص: 1/51.

وفي البيت رواية: (قَدْ أَيْقَنُوا)، معناه: إن كاهنهم كان عندهم مُصَدِّقاً في ما يقول، فلما أُنذَرَهُمْ حصل عندهم لتصديقهم إياه البيت بحراب مُلكهم، ولما عابثوا من الآثار السَّامِيَّةِ الواقعة في جوانبه مُلكهم.

وقد أسلفنا ما في (يَوْم) من حوار رفيع ونضبه، ورفعة واضح، ونضبه على السَّعْوَلية - (أَبَان)، أو على الظرفية. وعلى الظرفية يكون تفرُّس الفرس وقع في صبيحة ليلة المولد لما أصبح فيهم من ارتجاج الإيوان وغيره.

وفي رواية: (بِخُلُولِ النَّاسِ)، وأخرى (النُّبُوسِ). والنُّبُوسُ: يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ بَاسٍ وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مُرَادِفاً لِبَاسٍ.

(وَالشَّقْمُ): جَمْعُ شَقْمَةٍ كَشَقْمَةِ وَبَعْمٍ، تقول: تَقَمْتُ الشَّيْءَ بفتح الشَّاف وكسرهما شماً وشمواً: أَكْرَمْتُهُ. وتَقَمْتُ بِكسر الشَّاف، أي: عَاقَبْتُ. ويُقال بفتح الشَّاف. قَالَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: ﴿وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ﴾ [البروج: 8].

لَكِنَّهُ إِذَا لَبَّيْنَا (يَوْم) عَلَى أَنَّهُ مُفْعُولٌ بِهِ يَكُونُ الضَّمِيرُ السَّخَرُوزَ - (في) عَالِدَ عَلَى (الْيَوْم). وَأَمَّا إِنْ جَعَلْنَاهُ مَقْرَافاً كَانَ حَسْوَماً، لَكِنَّهُ يُقْبَدُ التَّوَكُّدَ؛ وَكَوْنُ الشَّيْءِ تَوَكُّدًا يُعْتَمَرُ وَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْخُلُوءِ مِنَ الْعَادَةِ. وَلَمْ تَزَلِ الشُّعْرَاءُ يَرِيدُونَ الظُّرُوفَ وَالْمَجْرُورَاتِ لِإِقَامَةِ الْوُزْنِ، أَوْ تَوْثِيقِ فِي ظُهُورِ مَعْنَى.

وفي البيت: التَّجْنِيسُ فِي (تَفَرُّسِ) و(الْفَرَسِ)؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ قَبِلَ. إِنْ الْفَرَسُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِمَا رَكَّبَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ النَّبْلِ وَالْجِدْقِ وَالْكِيَاسَةِ (143) // لِأَنَّ لَهُمْ إِفْرَاقَاتٍ وَفِرَاسَةً، أَمَا تَرَى مَا أَخَذُوا مِنْ لَعِبِ الشَّطْرَنْجِ، فَإِنَّ فِي تَدْبِيرِهَا شَاهِدَ عَلَى حَذَقِهِمْ، وَقَدْ بَنَوْهُ عَلَى الْكُسْبِ، كَمَا أَنَّ الْهِنْدَ بَنَوْا زِدْقَهُمْ⁽¹⁾ عَلَى الْجَنِيِّ. وَمِنْ نَحْوِ هَذَا التَّجْنِيسِ بِالْأَسْمِ وَبِالْفِعْلِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

= نهاية الأرب: 3/ 128 - 130.

(1) النرد: فارسي معرب، وهو شيء يلعب به وهو النردشير. وفي الحديث: من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم الخنزير ودمه. ل/نرد.

أَلَمْ تَبْتَدِرْكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ سَيُوفُنَا وَلِيْلِكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ نَائِمٌ⁽¹⁾
 فـ (بَدْرُ) اسْمٌ، وَ(تَبْتَدِرُ) فِعْلٌ. وَالْمُظْلَبُ مَلَاقَاةُ الْحُرُوفِ فِي الْمَادَّةِ
 الْمُشْتَرَكَةِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِأَجْنَاسِ الْكَلِمِ.



(1) البيت للنعمان بن بشير الأنصاري وهو في شعره: 137، نقد الشعر: 164،
 الأغالي: 45/16، الموازنة: 266، الصناعتين: 359، ولبيك، تحرير التحبير
 103، الحماسة البصرية: 13/1.

وباث إيوان كسرى وهو مُنْصَدَعُ كَشْفَلِ أَصْحَابِ كَسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِمْ⁽¹⁾

شرح: فَسَّرَ تَعْضُرُ الْأَصْحَابِ (الْإِيوَان) بِالْمَشُور. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: «(الْإِيوَان): هُوَ حَيْثُ يَكُونُ جُلُوسُ الْمَلِكِ وَجُلُوسَاتِهِ مِنَ الْمَشُور. وَهُوَ بَيْتٌ مُسْتَطِيلٌ مُفْرَجٌ قَامَ فِي جَانِبِ الدُّخُولِ إِلَيْهِ عَلَى سَوَارِي، وَهُوَ أُنْسَبُ هُنَا، وَأَعْظَمُ مُصِيبَةٍ يَمُنُّ وَقَعَ بِهِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْمَشُورُ دَارَ بِهِ سُورٌ وَانْهَدَّ مِنْ شَرَانِبِ سُورِهِ مَا انْهَدَّ مَعَ بَقَاءِ شَكْلِهِ، وَكَانَ بَيْتُ مَرْثَمَةِ الْمَلِكِ عَلَى هَيْئَتِهَا، لَا يَصِلُ ذَلِكَ فِي النُّكَايَةِ وَالْإِخْتِقَارِ مَبْلُغٌ مَا إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ بَيْتُ مَرْثَمَتِهِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الرَّاقِعَةَ مِمَّا ثَبَّتَ مِنْ بَذْرِ حُمُولِ مُلْكِ الْأَكَاسِرَةِ، وَمُقَدِّمَةِ شَتَاتِهِ. حَدَّثَ الْإِمَامُ [مُحَمَّدٌ]⁽²⁾ بَنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِي⁽³⁾، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَرْبٍ⁽⁴⁾، عَنْ أَبِي الثَّوْبِ يَعْلَى بْنِ عَسْرَانَ الْبُخْلِيِّ، عَنْ هَالِي، بْنِ هَالِي⁽⁵⁾ قَالَ: «كَانَ لِلْإِيوَانِ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً عَلَى أَكْمَلِ بَنِيهِ، وَأَصْبَحَ هَيْئَةً فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ ارْتَجَسَ، وَانْصَدَعَ وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ شُرَاقَةً».

و(الانصداع): الانشقاق، ومنه الصداع الفجبر. صدح الشيء صدعاً:

(1) الديوان: 194.

(2) في الأصل: «أحمد» والصواب ما أثبتناه.

(3) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، صاحب المذهب. ترجمته في: (الحلية: 63/9، الصفوة: 95/2، طبقات الشافعية: 11 - 14، وفيات الأعيان: 163/4، الوافي بالوفيات: 171/2، الديباج: 156/2، سير النبلاء: 5/10).

(4) هو علي بن حرب بن محمد الطائي الموصلي أبو الحسن من رجال الحديث، كان عالماً بأخبار العرب، أديباً شاعراً، وقد على المعتز سنة 245. ترجمته في: (تهذيب التهذيب: 241/7، تاريخ بغداد: 418/11، الأعلام: 270/4).

(5) هو هالي بن هالي، قال الميداني: مجهول، وقال الشهابي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر: ميزان الاعتدال: 29/4.

شَقَّة. وَضَدَعْتُهُ عَنِ الشَّيْءِ: ضَرَفْتُهُ عَنْهُ. وَضَدَعْتُ الْفَلَاةَ وَالنَّهْرَ: قَطَعْتُهُمَا.
وَاللَّبْلَبُ: سَرِيَتْ فِيهِ. وَضَدَعْتُ بِالْحَقِّ: تَكَلَّمْتُ بِهِ، وَمِنْهُ: «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ»
[الحجر: 104]، أَيْ: تَكَلَّمْ بِهِ. وَضَدَعَ فِي الْأَرْضِ، أَيْ: مَضَى. وَإِلَى الشَّيْءِ
ضَدْوَعًا. قَالَ: «(مُنْصَدَعٌ): اسْمٌ فَاعِلٌ مِنَ الضَّدْعِ، وَهُوَ مِنْ أَفْعَالِ السَّطَاوَعَةِ،
تَقُولُ: ضَدَعْتُهُ فَانْصَدَعَ. وَأَتَى بِاسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ أَفْعَالِ السَّطَاوَعَةِ، لِأَنَّهُ
الانْصِدَاعُ مِنْ فِعْلِ غَيْرِهِ، أَخَذْتُهُ بِهِ، فَتَنَسَّبَ إِلَيْهِ نِسْبَةُ إِسْتَادِ الْفِعْلِ الصَّنَاعِيِّ، لَا
نِسْبَةَ الْخِتَرِاعِ، وَلَا نِسْبَةَ كَسْبٍ وَإِزَادَةٍ. وَلَمَّا كَانَ الْإِيوَانُ عَظِيمَ الْبَيْتِ، شَدِيدَ
الْقَوَاعِدِ، مُحْكَمَ الْعَمَلِ، وَهُوَ مُوضَعٌ عِزُّ مُلْكِ الْقَوْمِ، كَانَ تَرَعْرُعُهُ وَالْانْصِدَاعُ
ذَلِيلًا عَلَى زَوَالِ عِزِّ مَالِكِهِ.

وَقَوْلُهُ: (وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى) فِي كَلَامِ بَعْضِ شُرَاحِ النَّبِيِّ هُنَا قَالُوا: إِذَا
قَالَ: «مَعْلَان» بَاتَ سَلِيمًا عَلَى غَفْلَةٍ مِنْهُ، وَأَصْبَحَ مُنْصَدَعًا. بَلْ مُرَادُهُ: بَاتَ
مُنْصَدَعًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِهِ، وَكُونُهُ أَصَحُّ كَذَلِكَ مِمَّا يُعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ لَمَّا بَاتَ
مُنْصَدَعًا أَصْبَحَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ لِهَدْمِهِ سَبَبٌ أَكْثَرَ مِنْ ظُهُورِ الْمَوْلِدِ الْكَرِيمِ.
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «إِنَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ مِنْ حِينَ مَبْعَثِهِ». وَقَدْ قَدَّمْنَا وَاقِعَةَ رُؤْيَا الْمُؤْمِدَانِ
وَتَفْسِيرَ سَطِيحٍ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ لِسَبَبِ الْمَوْلِدِ. وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ لِأَحْبَارِ الْيَهُودِ
لَعْنَتُهُمْ اللَّهُ. وَقَدْ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ⁽¹⁾: «أَنَا أَزِيدُ فِي السَّنِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
عَشْرَةَ أَغْوَامٍ. قَالَ: كُنْتُ لَيْلَةَ تَزِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ابْنَ عَشْرَةِ أَغْوَامٍ. فَرَأَيْتُ
حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ طَلَعَ عَلَى أَطْمَةٍ، وَهُوَ بِنَاءٌ عَالٍ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَا
[144]// اللَّيْلَةُ ظَلَعَ نَجْمٌ صَاحِبُ الْجَنَانِ⁽²⁾. فَقَدْ ظَهَرَتْ أَدِلَّةُ وَجُودِهِ ﷺ،
وَفِيهَا تَنَكَّسَتِ الْأَضْنَامُ، وَغَيَّرَ ذَلِكَ مَعًا وَقَعَ، فَأَهْلَكَ الْبَاطِلُ كُلَّهُ.

(1) سبقت ترجمته: ص 67.

(2) دلائل أبي نعيم: 1/ 143، البيهقي: 1/ 112، سيرة ابن هشام: 1/ 159، شرح
المواهب: 1/ 120، السيرة الحلبية: 1/ 112 - 113.

و(كسرى): تَقْدَمُ أَنَّهُ اسْمٌ لِكُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْفُرسِ⁽¹⁾. وَقِيَصَرُ: اسْمٌ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ⁽²⁾. وَجَمْعُ كَسْرَى: أَكاسِيرَةٌ. وَحَمَقٌ قِيَصَرٌ: فَيَاصِرَةٌ. وَتَبَعٌ: يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ فِي الْيَمَنِ، وَالْجَمْعُ: تَابَعَةٌ. وَالتَّجَاشِي: يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْحَبَشَةِ⁽³⁾. وَخَاقَانُ: يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ التُّرْكِ⁽⁴⁾. وَلَذَرِيْقُ: اسْمٌ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ⁽⁵⁾ مِنَ الْقُوطِ، وَالْجَمْعُ: اللُّذَارِقَةُ. وَيَهْلُولُ: اسْمٌ وَقَعُ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ وَفِرْعَوْنُ: اسْمٌ وَقَعُ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ مِصْرَ، وَالْجَمْعُ: فِرَاعِيَةٌ. وَشَاةٌ: يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ بَابِلَ⁽⁶⁾. وَتَمْرُودٌ: اسْمٌ وَقَعُ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْكَتَغَابِيِّينَ⁽⁷⁾. هَذَا تَحْلُهُ تَقْلَةُ ابْنِ هِشَامٍ فِي الشَّرْحِ الْقَصِيحِ⁽⁸⁾. وَلَمْ يَنْعَرِّضْ لِلْقَبِيلِ وَالْأَمِيرِ وَالسُّلْطَانِ، وَكَأَنَّهُ رَأَى أَنَّ الْأَمِيرَ يَضْلُحُ لِكُلِّ مَنْ كَانَ لَهُ أَمْرٌ، وَكَانَ تُرْجَى لَهُ إِمَارَةٌ سِوَاهُ مَا كَانَ مِلْكاً أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَكَذَلِكَ الْقَبِيلُ كَشُبُوحِ الْعَرَبِ. وَالسُّلْطَانُ يَضْلُحُ لِلْقَاضِي فِي الشَّرْعِيَّاتِ وَيَكُونُ

(1) اختلف الناس في الفرس وفي أسماهم وكم دولة كانت لهم ولا خلاف بين الفرس أحسن ألقابهم من ولد كيومرث، وهو الأشهر وإليه يرجع جمع الفرس الأول وملوك الطوائف والملوك الساسانيين. ينظر: مروج الذهب: 1/ 113، نهاية الأرب: 15/ 142 - 143.

(2) الروم: ملوك القسطنطينية. ينظر: مروج الذهب: 1/ 152، نهاية الأرب: 15/ 273.
(3) الحبشة جنس من السودان، وقيل: هي بطن من العجمان، إحدى قبائل نجد. ينظر: معجم قبائل العرب: 1/ 238.

(4) الترك: نسبة إلى موضع بالشام. ينظر: معجم ما استعجم: 1/ 310.
(5) الأندلس كلمة أعحسية لم تستعملها العرب في القديم، وهي جزيرة تغلب عليها المياه والأشجار. معجم البلدان: 1/ 262.

(6) بابل: اسم ناحية منها الكوفة يلبس إليها السحر. قيل: أول من سكنها نوح عليه السلام، وقيل: أول من سكنها بيبوراس الجبار. ينظر: معجم البلدان: 1/ 409 - 410.

(7) نسبة إلى كنعان بن سام بن سيدنا نوح عليه السلام، وكانوا يتكلمون بلغة تصارع العربية، وهو من أرض الشام. معجم البلدان: 4/ 484.

(8) شرح الفصيح لابن هشام: 56.

بِسْمِ اللَّهِ: الْحَجَّةُ، وَلِذَلِكَ سَكَتَ عَنْهَا. وَالْفَتْحُ فِي كَافٍ (كَسْرَى)، وَيُقَالُ
بِالْكَسْرِ؛ وَالْكَسْرُ فِيهِ أَكْثَرُ.

وَقَوْلُهُ: (كَشَفِلَ أَصْحَابُ كَسْرَى)، (الشَّفِلُ). عِبَارَةٌ عَنْ انْتِظَامِ الْقَوْمِ
وَالْتِفَافِهِمْ. يُقَالُ: شَمِلَ الْأَمْرُ بَنِي فُلَانٍ، أَيْ: التَّلَفُّوا فِيهِ، وَعَمَّيْهِمْ. وَأَمَّا
شَمِلَتِ الرِّيحُ شُمُولًا، أَيْ: هَبَّتْ شِمَالًا. وَشَمِلَتِ الشَّاةُ شِمَالًا، أَيْ: شَذَذَتْ
الشِّمَالَ غَلْبَهَا، وَهِيَ وَغَاءٌ يُرَبِّطُ بِهِ ضَرْعُهَا. وَشَمِلْتُ الرَّجُلَ: ضَرَبْتُ شِمَالَهُ.
وَشَمِلْتُ الْمَكَانَ: أَخَذْتُ فِي شِمَالِهِ: وَشَمِلْتُ الرِّيحَ، أَيْ: قَابَلْتُ بِهَا
الشِّمَالَ. وَشَمِلَ الْقَوْمُ: إِذَا آذَنَهُمُ الشِّمَالُ بِبُرْدِهَا. وَشَمِلَتِ النَّاقَةُ: حَمَلَتْ.
وَشَمِلْتُ الْحَاجَّ: أَعْطَيْتُهُ شِمْلَةً. وَأَشْمَلُ الْقَوْمِ، أَيْ: صَارُوا فِي بَرْدِ الشِّمَالِ.
وَأَشْمَلُ الْفَحْلِ شَوْلُهُ، أَيْ: أَلْقَحَ النُّصْفَ مِنْهَا إِلَى الثَّلَاثِينَ. وَأَشْمَلُ الرَّجُلِ
خَذَائِقُهُ، أَيْ: لَقَطَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الرُّطْبِ.

و(أَصْحَابُ كَسْرَى): أَهْلُ جَيْشِهِ، لِأَنَّهُمْ بَعْدَ زَوَايِ الْمَوَازِدِ صَارُوا فِي
سَادٍ. وَالْأَصْحَابُ: جَمْعُ صَاحِبٍ. وَيُقَالُ: صَحَابَ بِكَسْرِ الصَّادِ وَفَتْحِهَا.
وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ، وَصَحَابِيُّ يَفْتَحُ الصَّادَ: رَجُلٌ لُسَبَ إِلَى صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ. وَأَمَّا
بِكَسْرِ الصَّادِ: فَجَمْعُ صَاحِبٍ إِضَافَةً الْمُتَكَلِّمِ لِنَفْسِهِ. وَأَصْحَابُ: جَمْعُ قَلْبٍ.
وَقَدْ جَمَعُوا صَاحِبًا عَلَى صَحْبٍ كَزَاكِبٍ عَلَى رُكْبٍ، وَتَاجِرٍ عَلَى تَجْرِ، وَهُوَ
عِنْدَ مِثْيَوَيْهِ كَقَوْلِهِ: اسْمُ جَمْعٍ لَا جَمْعَ⁽¹⁾. وَقَدْ جَمَعُوا أَيْضًا صَاحِبًا عَلَى صَحْبٍ
عَلَى وَزْنِ صَلْبٍ. وَحَكَى ابْنُ جَنِّي⁽²⁾ أَنَّ (صَحَابَةَ) مُضَدُّ وَلَيْسَ بِجَمْعٍ. وَحَكَى
غَيْرُهُ أَنَّهُ جَمْعٌ.

وَقَوْلُهُ: (غَيْرُ مُلْتَنِمٍ)، الِاتِّتَامُ: الْاجْتِمَاعُ. وَمَعْنَى (غَيْرُ مُلْتَنِمٍ): مُسْتَنَاءٌ.
(وَالْغَيْرُ): خَيْرٌ (بَنَاتٍ) الَّتِي مِنْ أَخَوَاتِ لَيْسَ، وَيُعَدُّ نَضْبُهُ عَلَى الْحَالِ مِنَ (شَفِلٍ)،

(1) الكتاب: 624/3 - 625. بَابُ مَا هُوَ اسْمٌ يَفْعُ عَلَى الْجَمْعِ لَمْ يَكْسِرْ عَلَيْهِ وَاحِدَهُ.

(2) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ: ص 36.

لأنه يبقى (بات) بلا خير، إلا إن جعل (كشغل) في موضع الخبر (بات).

لإن قلت: ولم لم يكتب بقوله: (كشغل أصحاب كسرى)؟

قلت: لو سكت عن قوله: (غير ملتئم) لأعطى أن شغل أصحاب كسرى منصوع، وأيضاً قرينة وإن أفادع أنهم على شتات، فهل التئموا؟ فأفاد بقوله: (غير ملتئم) أنهم ضحيهم الشتات. وقوله: (وهو منصوع). جملة حالية. وتدل على أن الانصداع كان في زمن النبات؛ وهو من تمام المعجزة، أي في اللبنة التي ظهرت ولادته. ووقعت الجملة الحالية بين (بات) وخبرها اعتناء بمحل ذكر المعجزة.

وما ذكر بعضهم من أن في قوله (كشغل) إلى آخره، //1145// حذف تذييره: كشغل أصحاب كسرى صار ملتئماً، لا معنى له، لأن (غير ملتئم) هو خير (بات). وحصل لأصحاب كسرى من الشتات ما حصل للإيوان من شتاته بالصداع جهاته، لأنه لما تشقت جوانبه بات غير ملتئم. وحفل (غير) خير صار المخدوفة لا طائل تحتها، وتركه أحسن.

وما اعتل به على صحة ما قدر من الإضمار لا ينهض؛ لأنه قال: «ولا ينبغي أن نقدر لفظ (بات)، لأن المقصود [مسا]»⁽¹⁾ ليحقق من سوء الحال، ونفريق شليلهم بالليل لا يدل على سوء الحال. لأن الليل ليس من أوقات التئام الشلل، بل من أوقات تفرقهم. وأنفراد كل من الناس ببيت. واستدل بالآية، وقال: قال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾⁽²⁾ يونس 67، وغافر 61⁽³⁾، وجعل (وهو منصوع) خير (بات)، وجعل (الواو) الذي صدرت به الجملة زائداً.

(1) في الأصل: «عما» ولعل الأنسب ما أبتناه.

(2) في الأصل: «قد جعل...»، ونص الآية في: يونس: 67، وفي غافر: 61، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾.

وَلَيْسَ كَذَلِكَ. لَأَنَا نَقُولُ: لَا يَغْنِي أَنْ شَتَاتَ شَمْلُ أَصْحَابِ كَسْرَى وَفَعَلَ
بَلْبَلٌ، بَلِ الَّذِي نَأَتْ غَيْرُ مُلْتَمِ الْإِيْوَانُ نَفْسُهُ، لَتَشَقَّ جَوَابُهُ بِاتِّصَادِهِ. وَقَوْلُهُ:
(كَشَمْلُ أَصْحَابِ كَسْرَى) إِنَّ مَا شَبَّهَ شَتَّتَ الْإِيْوَانِ وَاتِّصَادُهُ بِشَمْلِ أَصْحَابِ
كَسْرَى، أَيْ: وَقَعَ ذَلِكَ بِالْإِيْوَانِ كَمَا وَقَعَ بِأَصْحَابِ كَسْرَى مِنْ غَيْرِ تَرْضَى أَنْ
الَّذِي وَقَعَ بِهِمْ كَانَ بَلْبَلٌ أَوْ نَهَارٌ. وَأَيْضاً فَإِنَّ ظَاهِرَ كَلَامِ الْقَائِلِ: لَحَزَ الشَّتَاتُ
بِالذَّوَاتِ، بَلِ الشَّتَاتُ أَعْمٌ، فَإِذَا صَارَتْ قُلُوبُهُمْ شَيْ عَلَى حَسَبِ مَا يَقْدَرُونَ
مَسَا يؤولُ إِلَيْهِ مُلْكُهُمْ. فَبَعْضُهُمْ يَقَرَّرُ ذَلِكَ وَيَقْدَرُهُ بِغُرْبٍ. وَأَخْرَجَ بَعْدَهُ
وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: بِسَبَبِ ذَرَارِيهِمْ، وَخَوْشِ بِلَادِهِمْ. وَأَخْرَجُوا يَقْدَرُونَ بِضَرْبِ
جَزِيَّةٍ، وَسَلَبِ عِزَّةٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. فَالضُّوَابُ كَوْنُ (غَيْرِ مُلْتَمِ) خَيْرٌ أَبَاتٍ لَا
خَيْرَ (صَارَ) الْمُقْدَرَةُ كَمَا رَعِمَ.

وَمَا أوردَ أَيْضاً مِنْ أَنَّ الْوَاوَ فِي: (وَهُوَ مُتَصَدِّعٌ)، لَيْسَ بِوَاوِ الْحَالِ.
قَالَ: «لَأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ وَاوُ الْحَالِ لَتَعَطَّلَتْ (بَات) عَنْ الْخَبَرِ».

قُلْتُ: لَوْ لَمْ يَكُنْ (غَيْرِ مُلْتَمِ) هُوَ خَبَرُهَا. وَجَعَلَ قَوْلُ مَالِكٍ «تَجَنَّبْ» مَا
زَالَتْ الطَّرُقُ؟ وَهَذَا فِيهَا مِنْ هَذَا النَّمَطِ، وَأَنَّ الْوَاوَ زَائِدَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ
خَبَرًا، وَالْفَرْقُ بَيْنَ مَسْأَلَةِ مَالِكٍ وَمَا نَحْنُ فِيهِ: لِأَنَّ مَالِكًا كَلَّمَهُ حَبَّ الْجُمْلَةِ
اسْتِشْهَادًا لِاسْتِصْحَابِ هَذَا الْحُكْمِ فِي الطَّرُقِ فَحَسُنَ وَفُورُ الْجُمْلَةِ حَالِيَةً سَادَةً
مَسَدَ الْخَبَرِ، وَكَانَتْ يَقُولُ: مَا زَالَتْ الطَّرُقُ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ بِخِلَافِ مَا لَتْنَا، فَإِنَّ
الْجُمْلَةَ الْحَالِيَةَ مَا سَدَّتْهُ مَسَدَ خَيْرٍ، بَلِ وَقَعَتْ اغْتِرَاضًا بَيْنَ ذِي الْخَيْرِ وَالْخَيْرِ.

وَاعْتَلَّ لَعْدَمُ ضَلَاخِيَةِ جُمْلَةِ (كَشَمْلُ أَصْحَابِ كَسْرَى) بِالْإِخْبَارِ عَنْ (بَاتٍ)
بِهَا لَا مِنْ جِهَةِ قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ، قَالَ: «بَلِ لِكُونِهِ إِذْ ذَلِكَ يَقْضِي أَنْ (يَوَانَ) كَانَ
قَبْلَ هَذَا عَلِمْتُ مِنْهُ خَالَتَانِ: خَالَةٌ يَكُونُ فِيهَا مُتَصَدِّعًا، وَخَالَةٌ لَا يَكُونُ فِيهَا
كَذَلِكَ».

(1) سبقت ترجمته: ص 115.

قُلْتُ: عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ نَجْعَلَ مَا قَالَ، وَنَقُولَ: (كَشْفَلُ أَصْحَابِ كَسْرَى) لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ (شَمْلُ أَصْحَابِ كَسْرَى) غُلَمٌ مِنْهُ الْإِتْنَامُ ابْتِدَاءً، ثُمَّ ضَارَ إِلَى حَالَةِ عَدَمِ الْإِتْنَامِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَبَاتَ إِيوَانُ كَسْرَى كَشْمَلُ أَصْحَابِهِ فِي الْحَالِ الَّتِي انْتَقَلَ إِلَيْهَا عَنْ حَالِ الْإِتْنَامِ، وَتَبَصُّعُ التَّشْبِيهِ، وَلَا يَتَعُ شَيْءٌ مِمَّا يَتَعُ مِنْهُ، وَفِي كَلَامِ النَّازِمِ إِيقَاعُ الظَّاهِرِ مَوْقِعَ الْمُظْمَرِ فِي تَكَرُّارِ لَفْظِ (كَسْرَى)، إِذْ هُوَ يَتَعْنَى كَشْمَلُ أَصْحَابِهِ، لَكِنَّ حُسْنَ الْإِتْيَانِ بِالظَّاهِرِ قُلْنَا: إِنَّهُ لَوْ جَاءَ بِهِ ضَمِيرًا⁽¹⁾ لَحَسُنَ أَنْ يَكُونَ عَائِدًا عَلَى الْإِيوَانِ، وَيَحْتَمِلُ حَيْثُ أَنْ يَكُونَ أَصْحَابُ الْإِيوَانِ: خِدْمَتُهُ، أَوْ حِرَاسَتُهُ، فَلَا يَتَعُ، فَتَكَرَّرَ الظَّاهِرُ لِلتَّعْلِيمِ حُكْمِ الشُّنَاتِ فِي تَجَمُّوعِ أَصْحَابِ كَسْرَى. وَجَاءَ هُنَا أَيْضًا تَوَالِي الْإِصَافَاتِ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ فِي الْقَصِيدَةِ فِي أَفَّاكُنْ، وَلَا قُبْحَ فِيهِ عَلَى الضَّجِيجِ مِنْ مَذَاهِبِ الْبَيِّنَاتِ إِذْ ذَاكَ فِي إِصَافَتَيْنِ [146]// غَيْرِ قَبِيحٍ كَالْإِصَافَةِ بَعْدَ السَّخْفُوضِ بِالظَّرْفِ، كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ: (طويل)

لَدَى سَمَوَاتِ الْحَيِّ نَافِقٌ حَنْظَلُ⁽²⁾

أَمَّا قَوْلُ الْآخَرِ: (طويل)

حَمَامَةٌ جَرَعَى حَوَمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَعِي⁽³⁾

فَلَيْتَهُمْ قَدْ اسْتَشْخَرُوا هَذِهِ الْإِصَافَاتِ. وَأَمَّا قَوْلُ الْآخَرِ: (طويل)

جَسَانُ وَجُوهِ الْقَاصِرَاتِ كِرَامُ⁽⁴⁾

(1) فِي الْأَصْلِ: «ضَمِيرٌ» وَلَعَلَّ الْأَنْبَ مَا أُبْتِنَاهُ.

(2) الْبَيْتُ فِي الدِّيْوَانِ 9، وَصَدْرُهُ «كَأَنِّي غَدَاةُ الْبَيْتِ يَوْمَ تَحْمِلُوا»، وَالسَّمَرُ: شَجَرُ أَمْ غِيلَانَ وَهُوَ مِنْ شَجَرِ الصَّمْغِ الْغَرْبِيِّ. وَالنَّافِقُ: الْمُسْتَخْرِجُ مِنَ حُبِّ الْحَنْظَلِ، وَالْحَنْظَلُ: نَبَاتٌ حَارٌّ.

(3) الْبَيْتُ لَاسِ بَابِكْ، وَتَمَنَّتْهُ «فَالْتِ سَرَأَى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعٍ». الْمَثَلُ السَّائِرُ 443/1، الْإِضَاحُ: 8/1، الطَّرَازُ: 58/3، التَّبْيَانُ: 513.

(4) الْقَاصِرَاتُ: الْوَتَائِي قَصُرْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ. ل/قَصْر.

فَلَيْسَ بِمَبْجُوحٍ. وَكَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: (طويل)

عِثَاقُ دَنَائِيرِ الْوُجُوهِ مِثْلُ (١)

فَاسْتَحَقُّوا ذَلِكَ، وَرُبَّمَا رَأَى بَعْضُهُمْ مِنَ الْبَدِيعِ. وَعَجَبًا لِلْجُوزِيِّ مَعَ
فَصَاحَتِهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِإِضَافَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ تَزِيدُ عَلَى الْفَلَاحِ، وَكَأَنَّهُ يَرَاهُ مِنْ
الْمُسْتَحْسِنِ، وَقَدْ يَسْتَدِلُّ عَلَى اسْتِحْسَانِهِ فِي الْإِضَافَتَيْنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَذَكَرَ
رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: 2].

وَفِي الْبَيْتِ: الْجَنَعُ بَيْنَ الْمُتَنَاسِبِينَ: الْإِيوَانُ وَالشَّمْلُ، فَهُوَ مِنْ مُرَاعَاةِ
التَّطْبِيرِ.

فَإِنْ قُلْتُ: تَشْبِيهُ الْأَصْدَاعِ الْإِيوَانِ بِشَمْلٍ أَصْحَابِ كَسْرٍ غَيْرِ مُطَابِقٍ، لِأَنَّ
الْإِيوَانَ إِنَّمَا سَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ شُرَافَةً مِنْ شُرَافَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَأَصْحَابُ
كَسْرٍ لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ الشُّتَاتُ فِيهِمْ كَشَتَاتِ الْإِيوَانِ، فَيَتْلُكَ بِحَايَةٍ
قَلِيلَةٍ، أَوْ أَنَّهَا تَشْتَتُ فِرْقَتِهِمْ كُلِّهِمْ، فَالتَّشْبِيهُ قَاصِرٌ.

وَالْجَوَابُ: إِنَّ سَقُوطَ الشُّرَافَاتِ إِنَّمَا كَانَ الْعَدْدُ لِسَبْعٍ عَدِيدٍ مَا يَكُونُ مِنْ
مَلُوكِهِمْ وَيَنْفَطِعُ دَابِرُهُمْ. وَأَمَّا الْأَصْدَاعُ فَقَدْ عَمَّ جُذْرَانِ الْإِيوَانِ، فَحَسُنَ
التَّشْبِيهُ. وَعُمُومُ الشُّتَاتِ فِي الْمُسَبِّهِ وَالْمُسَبَّهِ بِهِ.



(١) البيت لامين المعتز في ديوانه، 179، وصدرة «وظلت تدبر الراح أيدي حاذرة»، دلالة
الإعجاز: 134، والتلخيص: 32، المعاهد: 60/1.

وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسُ مِنْ أَسْفَى عَلَيْهِ، وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمٍ⁽¹⁾

شرح: (الأنفاس): حنغ نفس، وهو عبارة عن خروج ما في دواخل النفس. وتستعمل الأنفاس في أنفاس التبخير والخيلاء وتستعمل في أنفاس المستجيبين. وهي هنا بكناية عن خمود تلقيها، وتلقيها في حال فتنة قومها بها عين التبخير. إذ كانوا يسدون بها بالسوء والقلب، ويعبدونها - ثباتهم - من ذوب الله. ومن هذا المعنى هي من قهر وحفظ عن مرتبته. خلدت العاشة أي: عفا اقتضاه، وخمد تياره. وفي الحديث: «اشتكت النار وقالت: أكل بفضي بفضاً، فأذن لها بفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فسا أصابكم من الحر فم حرها، وما أصابكم من شدة البرد فم زهرها»⁽²⁾.

ولخمود هذه النار نوع من ما شارك الإيوان في النبات على غير هيئته التي كان عليها، فإن نار فارس كانت تلتهم من ألف سنة، فلما ولد النبي ﷺ حدث لأمرهم تلك اللبلة، فكتبت خدنها بذلك إلى كسرى، وأخبروه بحمودها [وهذه النار قيل: إن من... إن شجرة... ولها أوراق خضر... ونار... أغلاها ولم... فلما ولد رسول الله محمد ﷺ... رماداً]⁽³⁾.

(1) الديوان: 194، و«خامدة» فيه بالرفع.

(2) البخاري: 187/4 - 188، مسلم: 431/1، الترمذي: 111/4، ابن ماجه: 4310، أحمد: 6949، الدارمي: 340/2، ابن حبان: 277/9، الموطأ: 32 - 33، شرح السنة: 204/2، الفردوس: 368/2، وفي الحديث لفظ: «شكت النار...» ولفظ «احتجت النار...».

(3) لحق أسفل يسار الورقة: 146 طمس أغلبه.

و(خامدة): منصوبة على أنها خبر (باتت) المخذوفة، لدلالة (بات) الأولى، أي: وباتت نار قارس خامدة الأنفاس.

و(النفس): قيل: يقال لذي الروح حقيقة، وللمجماد بضرب من المجاز. وقيل: بل هو مشترك فيهما. وقيل: من قبيل المشكك. وهو في ذي الروح أقوى. والفرق بين النفس بشكون الفاء - التي هي عين الكلمة - وفتحها؛ فالأول يقع على أحد نفوس ذوي الأزواج، والثاني: يجمع على «أفعال» ولا يجمع على «فُعول».

وقول من قال: لو رفع (خامدة) لما صح، وكان خبراً كاذباً. لم لا يقال: إنه لو رفع لكانت حملة خالية، أي: بات الإيوان غير ملتبس وحالة النار هذه، أي: في حال كونها خامدة. ويكون فيها معنى بليغ، حتى كأن تحسود النار حق عند السحير بالصداع الإيوان عدم الثبامه كقولك: جاء زيد والشمس طالعة.

و(الأسف): الحزن. ويكون مما نسب لها والمراد أسف أصحابها، وتكون من التغليل، أي: إنما أجمدت ليحزن أهلها، ويذركهم الأسف؛ كما أضيف الريح للتجارة في نفيه عنهم بقوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحٌ يَحْتَرِثُهُمْ﴾ (السفرة: 16)، أي: ما ريحوا في تجارتهم، وإن كان حُسران [147]// أهل التجارة قد يكون داخلاً تحت مقدورهم، قابلاً لكسبهم دفعه أو جلبه، بخلاف حُمود النيران فلا قدرة لهم على دفعه وتعطيله حتى تبقى نارههم على التبايق؛ وهذا وإن كان فرقاً لا يقدح في نسج أحدهما على منوال الآخر. وكان لهم في هذه النار فتنة عظيمة؛ فإنها كانت لا تزال تقد وإن لم توجج، وربما رأوا من أصل دينهم أنهم يرمون فيها ما أسلفنا من العنبر، وأنواع الطيب، والأمور المستطرفة ما هو عندهم في أوقات مغلوبة. ولها بيوث مخصوصة بها يقال لها: بيوث النيران.

وَيَكُونُ (الْأَسْفُ) أَيْضاً بِمَعْنَى: الْعُظْبُ، وَيَتَوَجَّهُ عَلَى جِهَةِ التَّهْكُمِ مِنْ قَوْلِهِمْ: غَضِبَهُ الْخَيْلُ عَلَى اللَّجْمِ. وَيَكُونُ اسْتِعَارَةً لِلنَّارِ، أَوْ مِنْ غَضَبٍ خَلَّ بِهَا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ فَأَحْمَدَهَا، فَيَكُونُ عِبَارَةً عَنْ فَعْلٍ أَوْقَعَهُ اللَّهُ بِهَا فَحَمَدَ [..] (١١).
وَأَمَّا جَاءَ بِـ (الْأَسْفُ) دُونَ النَّوَالِ الْخُزْنِ، أَلَا (الْأَسْفُ) خَزْنٌ فِي غَضَبٍ، وَبِـ النَّوَالِ الْخُزْنِ: الْكَمْدُ: وَهُوَ خُزْنٌ لَا يُسْتَطَاعُ إِنْصَاؤُهُ وَالْبَيْتُ: أَشَدُّ الْخُزْنِ. وَالْفَمُّ: الْكَرْبُ الَّذِي يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ.

وَالسَّدْمُ: هَمٌّ فِي لَدَمٍ، وَهُوَ الَّذِي يَذْكُرُ النَّاسُ فِي النَّهْرِ وَالْأَسَى وَاللَّهْفُ: خُزْنٌ عَلَى شَيْءٍ قَدْ قَاتَ. وَالْوُجُومُ: خُزْنٌ يُسَكَّتُ صَاحِبُهُ. وَالْكَابَةُ: سُوءُ حَالٍ يَظْهَرُ مَعَهُ انْكِسَارُ الْحَزِينِ. وَالْقَرَحُ: صِدُّ الْفَرْحِ (١٢).

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا حِكْمَةُ النَّاسِ أَلَّا يَحْلِبَ فَمَا (الْأَسْفُ) الَّذِي هُوَ خُزْنٌ فِي غَضَبٍ. وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوُجُومِ الَّذِي يُسَكَّتُ مِنْ خَلِّ بِهِ، وَأَمَّا الْعُظْبُ فَأَمَّا يَكُونُ مَعَ مَنْ لَهُ حَقُّهُ، فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْمَوَاضِعِ مِنْ جِهَتَيْنِ: أَحَدُهُمَا: إِنَّ النَّارَ لَا تُرَوِّفُ بِالْغَضَبِ. وَالثَّانِي: إِنَّ الْغَضَبَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي مَوَاضِعَ تُؤَدِّرُ فِي الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ، إِمَّا بِالْفِعْلِ، وَإِمَّا بِهَيْئَةٍ يُخَشَى مِنْهَا مَا يُتَوَقَّعُ مِنَ الْغَاصِبِ.

وَالْجَوَابُ: إِنَّا قَدْ فَرَرْنَا أَنْ (الْأَسْفُ) يَرْجِعُ لِأَهْلِ النَّارِ لَا لِلنَّارِ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ تَأْتِي إِضَافَةُ الْغَضَبِ لِأَحَدٍ وَجِهَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ الْغَضَبَ يَقَعُ عَلَى حَازِيهَا تُهْمَةٌ مِنْ مِلْكِ الْفَرَسِ؛ إِذْ سَبَبُ فُسَادِ النَّارِ إِنَّمَا كَانَ لِأَجْلِ تَقْرِيطِ الْخِزْنَةِ فِيهَا. إِمَّا لِتَقْوِيَةِ شَرْطٍ مِنْ شُرُوطِهَا. أَوْ يُظَنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهَا، فَخَلَدَتْ لَهَا أَخَذُوهَا. أَوْ يُضَافُ إِلَيْهِمُ الْغَضَبُ عَلَى جِهَةِ التَّهْكُمِ، كَقَوْلِهِمْ:

(١) طمس بالأصل الورقة: 147.

(٢) فقه اللغة وسر العربية: 240.

«غَضِبَةُ الْخَيْلِ عَلَى اللَّحْمِ»⁽¹⁾. كَمَا أَنَّ لَوْ قَدَرْنَا رَجُلًا خَبِيلًا عَمِلَ مَا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَهُوَ لَا جَهْدَ لَهُ، ثُمَّ يُخْضَرُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرٍ شَدِيدِ السَّطْوَةِ، فَأَرَادَ مُنْتَهَكُم بِتَهَكُّمٍ عَلَيْهِ فَيَقُولُ لِلْأَمِيرِ: لَا تَنْهَرُهُ لِئَلَّا يَغْضَبَ. وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: عَلَيْهِ) عَائِدٌ عَلَى الْحُمُودِ. وَيُصْحَحُ عَلَى أَنَّ يَكُونُ ضَمِيرٌ غَنَوَانٍ يَعُودُ عَلَى مَا وَفَعَ مِنَ الصَّدَاعِ الْإِبْرَانِ، وَتَقْرِيبِ قُلُوبِ أَصْحَابِ كِسْرَى، وَتَشْنِيفِهَا. وَقَدْ يَكُونُ الْخَزَنُ وَالْأَسَفُ يُضَافُ إِلَى النَّارِ عَلَى جِهَةِ تَهَكُّمٍ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى فَيَقَالُ: حَزَنْتَ نَارَكُمْ عَلَى انْصِدَاعِ إِبْرَانِكُمْ، وَتَشْنِيفِ شَمْلِكُمْ.

قَوْلُهُ: (وَالنَّهْرُ سَاهِي الْغَيْنِ مِنْ سَدَمٍ): وَهَذَا النَّهْرُ كَانَ يُعْرَفُ بِوَادِي السَّمَاءِ⁽²⁾. وَهَذَا مُقَابِلَةٌ حَسَنَةٌ: فَإِنَّهُ قَابِلٌ كُلِّهِ الصَّدْرَ بِكَلِمَةِ الْعَجْزِ، أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ مُقَابِلَةٌ لِأَرْبَعِ. وَكَانَ وَادِي السَّمَاءِ مِمَّا انْقَطَعَ أَيْضًا لَيْلَةً لَمَّا وَلِدَ الْكَرِيمِ، وَكَتَبَ بِهِ صَاحِبُ الشَّامِ إِلَى كِسْرَى يُخْبِرُهُ بِانْقِطَاعِهِ.

(وَالنَّهْرُ): هُوَ الشَّمْسُ، لَكِنْ يُطْلَقُ عَلَى مَا نَه، مِنْ مَجَارِ السَّجَاوَرَةِ كَحَرِّي الْمِيرَابِ وَلِخَوْه. وَجَعَلَ النَّاطِمُ لِلنَّهْرِ [غَبًا]⁽³⁾، وَكَانَتْ تَبْكِي، فَأَذْرَكَهَا النَّهْرُ وَلَمْ تَكْ. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ الشُّعْرَاءَ يَسْتَعْمِلُونَ الْبُكَاءَ لِلْجُدَاوِلِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (طُوبَى

لِكَاءِ غُيُورِ الرَّأْسِ إِنْ جَفَّ دَمْعُهَا تَجَفَّتْ فَتَضْحَى سَخْبُهَا حِينَ تَسْتَفُ
وَأَنْهَارُ بُسْتَانِ الْخَلِيجِ غُيُورُهَا تَفِيضُ عَلَى طُولِ اللَّيَالِي وَتَرْصَفُ

وَلَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْأَنْهَارِ أَنَّ نُوَصِّفَ بِالْبُكَاءِ أَخْبَرَ النَّاطِمُ أَنَّ هَذَا النَّهْرَ سَهَتْ عَيْنُهُ فَلَمْ تَبْكْ، فَتَجَوَّزَ فِي إِطْلَاقِ النَّهْرِ عَلَى الْمَاءِ، وَهُوَ تَجَوَّزُ شَاعٍ، ثُمَّ فِي كَوْنِهِ بَاكِيًا، لَكِنْ وَلَوْ لَمْ يُصْرِّحْ بِهِ فَإِنَّهُ هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ قُوَّةِ كَلَامِهِ.

(1) المستقصى: 2/ 177، مجمع الأمثال: 2/ 4120.

(2) السماء: الشخص، وقال أبو المنذر: إنما سميت السماء لأنها أرض مبنوية لا حجر فيها، والسماء: ماء بالبادية، وبادية السماء بين الكوفة والشام. ينظر (معجم البلدان: 3/ 245، معجم ما استعجم: 3/ 745، الروض المعطار: 322).

(3) في الأصل: «عين» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(148) وفي إضافة السَّهَر إلى عَيْنِهِ نِلاغَةً عَظِيمَةً، إِذ سَيَلَانُ مَائِهِ عِمَارَةٌ عَنْ بُكَائِهِ وَكَأَن سَيَلَانَهُ عَادَةٌ لَهُ، وَتَرْكُ السُّعْتَادِ مِنَ السُّفْلُولِ بِمَنْةٍ مُعْتَادَةٍ إِنَّمَا يَكُونُ عَنْ سَهْوٍ. وَحَسَنَ ذَلِكَ كَوْنُ السَّهْوِ يَكُونُ لِعَوَارِضِ تُشْغِلُهُ عَنِ الدَّخْرِ، فَيُخَلِّفُ ذِكْرَهُ السَّهْوُ وَالنَّسْيَانُ، وَإِضَافَةُ النَّدَمِ إِلَيْهِ كإِضَافَةِ الغَضَبِ إِلَى النَّارِ. وَبَصَحُ حَقْلٍ (النَّدَمُ) هُنَا (لِلنَّهْرِ) وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِمَّا يَتَأَنَّى مِنْهُ النَّدَمُ، كَمَاةً بِقَوْلِ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَشْغَلَهُ حَتَّى سَهَا؟ قَالَ: مَا لِحَقُّهُ مِنَ النَّدَمِ، إِنَّمَا عَلَى طَاعَةِ مَنْ كَانَ يَغْيِرُهُ فَيَجْرِي فِتْنَةً لَهُ، وَإِنَّمَا عَلَى أَنَّهُ لَمَّا لِحَقُّهُ حَبْرُ الْإِيوَانِ، وَخُسْرُهُ النَّيْرَانِ، أَشْغَلَهُ عَنْ سَيَلَانِهِ السَّدَمُ عَلَى ذَلِكَ.

وَالْمُؤَلَّفُ فِي هَذِهِ الِاسْتِعَارَاتِ طَاقٌ مِنْ أَلْفِ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي قَصِيدَتِهِ، فَإِنَّ الشُّقْرَاطِيَّيْنِ⁽¹⁾ قَالَ: (سَبْطُ)

وَلَا فَارِسَ لَمْ تَرَقْدَ وَمَا خَمَلْتُ مِنْ أَلْفِ عَامٍ وَنَهَرٍ الْقَوْمَ لَمْ يَسِلْ
فَأَنَّى بِالْوَاقِعِ مِنْ غَيْرِ اسْتِعَارَةٍ؟ وَكَذَا قَالَ الْخَزْرَجِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ
الْأَمِيَّةِ: (مَدَارِكُ)

وَأَنْشَقَّ لَهُ الْإِيوَانُ كَمَا قَدْ جَفَّ النَّهْرُ وَلَمْ يَسِلْ
أَخْمَلْتُ بِسُودِكَ تَارَهُمْ وَغَدُوا بِأَوْرِ مُشْتَعِلِ
وَإِنْ لَمْ يَأْتِ هَذَا بِاسْتِعَارَاتٍ، لَكِنْ صَوَّرَ صِنَاعَةَ ثَقُلِ الْأَغْرَاضِ، فَكَانَ
مَا كَانَ مِنْ حَرِّ النَّارِ أَنْتَقَلَ بَعْدَ خُمُودِهَا إِلَى قُلُوبِ أَهْلِهَا، وَهُوَ مَرْغٌ حَسَنٌ
(وَسَاهِي): (إِنْ قُلْنَا: بَأَنَّ الْجُمْلَةَ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ، وَ (سَاهِي) عَلَى قَاعِدَةِ
غُرَابِ الْمُنْقُوصِ. وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ خَبَرٌ (بِاتٍ) الْمَخْدُوفَةُ، فَيَكُونُ نَصَبٌ بِحَرَكَةِ
مُقَدَّرَةٍ لِضَرُورَةِ الشَّعْرِ، وَقَدْ وَرَدَ مِنْهُ كَثِيرٌ فِي الشَّعْرِ.

(1) سبقت ترجمته: ص 20، والبيت في: شرح الشُّقْرَاطِيَّيْنِ: 153، المجموعة النهائية:

وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغِيضِ⁽¹⁾ حِينَ ظَمَ⁽²⁾

شرح: أي: أَلَحَّتْ سُوءاً بِسَاوَةٍ غَبِضُ بُحَيْرَتِهَا. يُقَالُ: سَاءَهُ الْأَمْرُ: إِذَا أَحْزَنَهُ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: أَحْزَنَ سَاوَةٌ غَبِضُ بُحَيْرَتِهَا. وَ(سَاوَةٌ) هَذِهِ: بَلَدَةٌ، وَلَهَا أَرْضٌ مُتَسَّعَةٌ، وَلَهَا مَاءٌ مُتَبَحَّرٌ كَثِيرُ الْمَاءِ، مِنْهُ تَرِدُ الْبَلَدَةُ وَأَهْلُ عَمَلِهَا، وَنَسَبَةُ الْحُرْنِ عَلَى جَفَتِ الْبَحِيرَةِ لِأَرْضِ سَاوَةٍ وَبَلَدِهَا كَنَسَبَةِ السَّهْمِ لِلنَّهْرِ، وَالْأَنْسَبُ لِيَسْبِرَانَ. وَقَدْ يُقَالُ هُنَا (سَاوَةٌ) عَلَى حَذَفِ مُضَافٍ، أَيْ: أَهْلُ سَاوَةٍ، وَوَقَعَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ، يُحَذَفُ الْمُضَافُ وَيُقَامُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ.

و(غَاضَتْ): يُرْوَى: (أَنْ غَبِضَتْ) مَنِبَأً لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَيَكُونُ (بُحَيْرَتُهَا) مَفْعُولاً لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ. وَعَلَى رِوَايَةِ (غَاضَتْ) يَكُونُ الْمَفْعُولُ [مَحذُوفاً]⁽³⁾، أَيْ: أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا مَاءَهَا فَيَكُونُ اسْتَدَادَ الْفِعْلُ لِلْبَلَدِ عَلَى ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ الْمَجَازِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَحَلَّ الرِّيِّ، وَنَبَاتِ الْأَرْضِ فِيهِ مِنْ نِزَاجِ الْخَاطِرِ، وَجَلَبِ الْقُلُوبِ، مَا يَحُلُّ قُلُوبَ الْمُحِبِّينَ إِلَى الْمَحْبُوبِ. فَتَضَارَةُ أَرْضِ سَاوَةٍ، وَوُزُودُ الرُّوَادِ عَلَى مَائِهَا، فِيهِ عِزٌّ لَهَا، وَمِنْ لَوَازِمِ الْعِزِّ وَالرَّفْعَةِ الْخَيْرُ وَالْإِحْسَانُ. وَإِذَا قُحِطَتِ الْأَرْضُ وَغَارَتْ مِيَاهُهَا، بَيَسَ كَلَاهَا، وَاسْوَدَّتْ أَشْجَارُهَا، وَفَرَّتْ مِنَ الْعَطَشِ وَالْجُوعِ وَخَشَلَتْ وَأَطْيَارُهَا، بَقِيََتْ عَلَيْهَا وَخَشَتْ، وَكَسَتْهَا ذَلَّةٌ؛ وَمِنْ لَوَازِمِ الذُّلِّ الْحُزْنُ عَلَى فَقْدِ الْعِزِّ. وَيُعْتَبَرُ عَنِ الْمَلُزُومِ

(1) فِي الْأَصْلِ: «بِالْغِيضِ»، وَرِوَايَةُ الدِّيَوَانِ: 194 «بِالْعِيْظِ»، أَيْ: بِالْعُضْبِ، وَأَمَّا الْغِيْضُ: فَهُوَ الْغُورُ.

(2) الدِّيَوَانُ: 194. وَسَاوَةٌ تَرَبَّةٌ صَغِيرَةٌ بَيْنَ الرِّيِّ وَهَمْدَانَ، بَيْنَهُمَا اثْنَانِ وَعَشْرُونَ فَرَسَخاً. يَنْظُرُ: مَعْجَمُ الْبَلَدَانِ: 179/3، الرُّوضُ: 297.

(3) فِي الْأَصْلِ: «مَحْذُوفٌ» وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ مَا أَثْبَتَاهُ.

لِوَارِدِهِ. وَلَيْسَ هُنَا (الْغَيْضُ) مِنْ اخْتِصَاصٍ إِذَا فُعِلَ بِهِ سُوءٌ، بَلِ الْغَيْضُ هُنَا خِلَافُ الْمَاءِ وَغُورُهُ، وَرَدُّ وَارِدِهَا لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَاءً، فَكَأَنَّهُ رُدُّ وَطَرُهُ.

و(الْوَاوُ) هُنَا السَّرَادُ بِهِ الْجَنَسُ، وَ(الْبَاءُ) سَبَبُهُ، أَيُّ: بِسَبَبِ غَيْضِ الْمَاءِ وَغُورِهِ.

وَقَوْلُهُ: (حِينَ ظَلَمَ)، أَيُّ: حِينَ غَطِشَ الْوَارِدُ، لِأَنَّ الظُّلْمَ هُوَ الْغَطِشُ، وَكَأَنَّ بَغْضَ مَنْ لَمْ يَقْتُلْ مَعَايِي الْكِتَابِ يَحْمِلُ الْغَيْظَ عَلَى جِهَةِ التَّهْكُمِ، وَكَأَنَّ الْوَارِدَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَاءً رَجَعَ مُغْتَاظًا كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ غَضَبِ الْجَبَلِ عَلَى اللَّجْمِ، لَكِنْ بَا قَدْ مَنَاءُ هُوَ الْوَجْهُ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْبَحِيرَةَ كَانَتْ تُسْتَمَدُّ مِنْ وَادِي السَّوَادَةِ، [149]// وَلَمَّا جَعَلَ النَّهْرُ جَفَّتِ الْبَحِيرَةُ، وَكَانَتْ مَسًّا تَحْتَبُّ بِهَا الْبُصَا غَامِلٌ كَثُرَى لَهَا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْوُقَاعُ النَّازِلَةُ بِهِدِهِ الْمَذْكُورَةِ مَبَادِي لَذَنُورِ مُلْكِ الْفَرَسِ. وَكَانُوا يَرَوْنَ فِي الْأَكْثَبِ الْقَدِيمَةِ أَنَّ يُرَوْنَ هَذِهِ الْحَوَاثِ بِهِمْ دَلِيلُ حَرَابِ مُلْكِهِمْ وَرَوَالِ غَافِيَتِهِمْ وَتَغْيِيهِمْ.

وَمَاعِلٍ (سَاءٌ) هُوَ الْمَضَرُّ الْمُسْتَوَكُّ مِنْ (أَنَّ) وَفَعْلُهُ الْمُسْتَدُّ إِلَى الْبَحِيرَةِ فِي الظَّاهِرِ. وَ(بُحَيْرَتُهَا) بَعْدَ السَّبَبِ يَتَحَوَّلُ فِي مَوْضِعِ خَلْقِصٍ، إِذْ يَكُونُ تَفْدِيرُهُ: غَيْضُ بَحِيرَتِهَا.

و(رُدُّ) يَرَوَى: عَلَى أَنَّهُ فَعْلٌ مَبْنِيٌّ لَمَّا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فَيَكُونُ (وَارِدُهَا) [مَفْعُولًا] (1) لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ. وَيَرَوَى: (وَرَدُّ) عَلَى أَنَّهُ مَضَرُّ رَدُّ يَرُدُّ رَدًّا، وَيَكُونُ (وَارِدُهَا) بِالْخَفْضِ عَلَى أَنَّهُ مُضَافٌ إِلَيْهِ. فَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ لَا يَصِحُّ قَوْلُ مَنْ حَمَلَ الْغَيْضَ عَلَى الْحُزْنِ وَالضَّجْرِ عَلَى جِهَةِ التَّهْكُمِ؛ إِذْ الَّذِي سَاءَ سَاوَةٌ غَيْضُ مَايْنِهَا، وَرَدُّ وَارِدِهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ الْغَيْضِ.

(1) فِي الْأَصْلِ: «مَفْعُولٌ».

وَجَعَلَ بَعْضُ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى الْبَيِّنَاتِ التَّجْنِيسَ فِي مَوْضِعَيْنِ، بَلْ قَالَ:
 «أَكْثَرُ النَّاطِمِ التَّجْنِيسُ». وَلَيْسَ مِنْهُ عَدَا (سَاءَ سَاوَةً). وَأَمَّا (غَاضَتْ)
 وَ(بِالْغَيْضِ) فَهِيَ مُضَدَّرُ (غَاضَتْ) بِتَنْسِيهِ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْآخِرِ فَلَيْسَ أَيْضاً مِنَ
 التَّجْنِيسِ، لِأَنَّ الْغَيْضَ الْمُعْتَبَرَ وَإِنْ تَوَافَقَ اللَّفْظَانِ فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ، لَكِنْ
 كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَغْدُونَ هَذَا النَّوعَ تَجْنِيساً. وَإِسْنَادُ الْإِسَاءَةِ إِلَى سَاوَةٍ مِنْ مَجَازِ
 الْإِسْنَادِ. وَبَيْنَهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ مَجَازِ الْحَذَفِ، أَيْ: وَسَاءَ أَهْلُ سَاوَةٍ، فَيَكُونُ
 كـ «وَسَلَّ الْقَرِيْبَةَ» ابوسف / 82⁽¹⁾. وَقَدْ يُطْلَقُ اسْمُ الْبَلَدِ عَلَى أَهْلِهِ عَلَى
 وَجْهَيْنِ مَجَازٍ آخَرَ، لَكِنَّهُ قَلِيلٌ؛ وَمِنْهُ: (وَأَفِر)

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا بِعَضَابٍ⁽²⁾
 فَأُطْلِقَ السَّمَاءُ عَلَى رُبْعٍ يُنْبِئُهُ السَّاءُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْمَاءِ. وَهُوَ نَوْعٌ
 مَعْرُوفٌ فِي أَبْوَابِ الْمَجَازِ.

وَلَفْظُ (وُزِدَ) يَفْتَقِرُ إِلَى زَادٍ، وَيَكُونُ الْوَارِدُ مَرْدُوداً، بَلْ الْمَوْضِعُ رَجَعَ،
 لَكِنْ حَسَنَ إِيْثَانَ هَذَا الْفِعْلِ مَا قَصَدَ النَّاطِمُ مِنْ قَهْرِ أَهْلِ الْمَكَانِ السُّخْبَرِ بِبِدَايَةِ
 بُؤْسِهِمْ، وَتَوَالٍ تَعْيِيهِمْ، فَفِيهِ التَّعْرِيفُ بِأَنَّ هَذَا فِعْلٌ بِهِمْ انْتِقَاماً مِنْهُمْ، وَتَقْضَاءُ
 لِسُلْكِهِمْ، فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الْقَهْرِ وَالْعَلَبَةِ، فَفِيهِ مِنْ مَعْنَى الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ نَزْعُهُ؛
 إِذْ هُوَ مُنْيِدُ الْاسْتِدْلَالِ عَلَى أَنَّ رُجُوعَهُ كَانَ قَهْراً.



(1) لا يوجد «الواو» في الأصل.

(2) سبق تخريجه: ص 97.

كَانَ بِالنَّارِ مَا بِالنَّاءِ مِنْ بَلَلٍ خَرْنَا، وَبِالنَّاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ⁽¹⁾

شرح: هذا من أحسن الاستعارات التوليدية، إذ كل واحد من الصذر والعجز مولد من صاحبه. وفيه الكلام الجامع: لما كان الماء صفة البَلَل، والنار صفتها الضَرَم، وكلٌّ مِنْهُمَا يقتضي ما ينافض صفة صاحبه، استعار لكلٍّ مِنْهُمَا بُعدَ مُفارقة صفة صاحبه، فوصف الماء بالضَرَم والنار بالبَلَل، وذلك لتحقيق ما قصد، لأن الماء لما اتصف بصفة الضَرَم، والنار من مقتضياتها التحفيف، ووصف النار بالبَلَل، والبَلَل من مقتضياتها إخماد الثيران، وإطفاء السُلَتهات.

وجاء بالألف واللام بي (النماء) يشمل ماء النهر وماء النخلة. وهو هنا معاقب للتفسير أي: كأن بهما ما ينار فارس من ضَرَم، وكان ينار فارس ما بالماءين من بلل. وقصد الناظم إلى أن ما وقع بما يعظمه هؤلاء الفُرس، ردة إلى أحسن الصفات وأذونتها، إذ أحسن أحوال النار البرودة وحيرورتها رماداً، وحير السباه للظمان العذب البارد. والمراد هنا هذه الصفة، بدليل أنه وصف الوارد بالظما، ولو لم يكن على هذا السأخذ لكان وصفه بالسخانة وصف محمد لقصد آخر [1150] ثم إنه يقال: لا يلزم أن يكون الماء اتصف بالسخانة أن يعدم رأساً، فهو في النار المتصيفة بصفة الماء أفعده؛ إذ اتصافها بصفة الماء لا ينبغي لها منفعة، بل ينزلها في آخر درجاتها في الحُمول. لكن حسنة على ذلك المتناسبة، وما فيه من العكس والتبديل، مع أن نكابة الوارد حصلت؛ إذ جاء [ظماناً]⁽²⁾، وأخير أن النهر لم يسئل، وأن النخلة غاصت.

(1) الديوان: 194.

(2) في الأصل: «ظمان».

فَعَلِمَ أَنَّ سَبَبَ الْخَفَافِ اتِّصَافُ الْمَاءِ بِصِفَةِ النَّارِ، وَغَلِمَ أَنَّهَا صِفَةُ أَغَادِمَتْ
مَجْمُوعَ أَجْزَائِهِ بِمَا فِيهِمْ مِنْ كَلَامِهِ قَبْلُ.

وقوله: (خُرْنَا): يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: إِنَّ النَّارَ وَالْمَاءَ فَعَلًا ذَلِكَ
لَكِنِّي يُخَرَّنَا مِنْ كَانَ يُعْبَذُ النَّارَ وَالْأَوْتَانَ، وَأَسْنَدَ الْفِعْلَ لَهَا عَلَى حَدِّ الثَّبَتِ
الْأَرْضِ الْبَقْلِ، مِنْ أَنْوَاعِ الْمَجَازِ الْإِنْسَادِيِّ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ خُرْنَا
مِنْهُمَا عَلَى جِهَةِ التَّهَكُّمِ، فَيَقَالُ: لَمَّا حَلَّ بِإِيوَانَ كِسْرَى مَا حَلَّ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ
مَا وَقَعَ، حَزَنَ عَلَيْهِ الْمَاءُ وَالنَّارُ، وَهُوَ مُتَمَكِّنٌ وَمَوْجُودٌ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ
السَّنَاخِرِينَ لِلسُّلْطَانِ أَبِي عِنَانٍ⁽¹⁾ [...] ⁽²⁾ قُسْفُطِينَةَ⁽³⁾ حِينَ جَسَرَهَا: (بسيط)

أَوْقَعَ بِهِمْ مَسْجِنِيَّاتٍ إِذَا رُفِعَتْ مِنْ الرُّكُوعِ رُؤُوسًا يَسْجُدُ السُّورُ⁽⁴⁾
وَمِنْ الْعَكْسِ وَالتَّبْدِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي
الْبَلَدِ وَتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: 27]⁽⁵⁾، وَهَذَا
تَشْبِيهُ مَخْسُوسٍ بِمَخْسُوسٍ فِي طَرَفَيْ التَّعَاكُصِ مَعًا.

وَحَبِيرٌ (كَأَنَّ): الْمَجْرُورُ بِالْبَاءِ. وَجَازَ تَقْدِيمُهُ، لِأَنَّ الْخَبَرَ (أَنْ) وَأَخْوَاتِهَا
إِذَا كَانَتْ طُرُوفًا أَوْ مَجْرُورَاتٍ جَازَ تَقْدِيمُهَا عَلَى الْخَبَارِهَا.
(وَمَا): هُوَ اسْمٌ (كَأَنَّ)، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مَوْضُوعَةٌ، وَيَجُوزُ كَوْنُهَا نَكْرَةً
مَوْضُوعَةً.

(وَمِنْ) فِي قَوْلِهِ: (مِنْ بَلَلٍ) (وَمِنْ ضَرْمٍ) لِيَبَيِّنَ الْجِنْسَ

(1) سبقَت ترجمته: ص 185.

(2) طمس في الأصل.

(3) قُسْفُطِينَةُ: مَدِينَةٌ وَقَلْعَةٌ غَالِبَةٌ مِنْ حُدُودِ إِفْرِيقِيَّةٍ، تَمْتَدُّ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى مَجَانَةِ. يَنْظُرُ.

معجم ما استعجم: 1074/3.

(4) الْمَسْجِنِيَّاتُ: الْقَدَافُ الَّتِي تَرْمِي بِهَا الْحِجَارَةُ، مَوْضُوعَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ، فِي مِيزَةِ الْفَتْحِ
وَالْكَسْرِ. ل/مَنْجَق. تَحْرِيرُ الْفَافِ التَّنْبِيهِ: 301/1، الْمَطْلَعُ: 21/1.

(5) فِي الْأَصْلِ: «يُولِجُ...» وَيَخْرِجُ...».

وَالْجِنَّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمٍ^(١)

شرح: جمع في هذا البيت علامات كثيرة دخلت تحت ثلاثة جملي:
الأولى: والجن تهتف. والثانية: والأنوار ساطعة. والثالثة: والحق يظهر من
معنى ومن كلم.

و(التهتف): الشطوط، ويقال غالباً في ما لم يظهر فائتله، بل يسمع
سوته ولا يرى شخصه. وسواء كان في البقعة أو في المنام فإنه يقال: هتف
بي هاتف في المنام وهو يقول لي كذا وكذا.

و(الجن): هنا عام في جنس الجن، وليس كما قال بعضهم: إن المراد
به ما هتف به مؤمن الجن. وكيف؟ وقد تقدم أن إبليس لعنه الله نهض عرشه،
وجمع جنوده، وأخبرهم بما أخبرهم، من هذا هو [الذي] يذن الشياطين
والباعثهم، ويكسر الأضنام، وينبئ^(٢) أيضاً قول من خصه بنومني الحان هل
كان أحد منهم مؤمناً قبل لقاء جن نصيبين النبي ﷺ، وآمنوا به، وأخبروا
فوقهم، وحكى ذلك عنهم في سورة: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ﴾ [الحج ١١]. وبالجمله:
إن الهوائف وردت بها الأخبار، وهي أعم من أن تكون من الجن المؤمنين،
فيكونون مبشرين، أو من الكفرة فيكونون بنومهم محذرين، وقد هتفوا بقولهم:
﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مُلْتَكَتَ حرماً شديداً﴾ [الحج ١٨]^(٣) إلى آخر
الآي. وما ذكره قائل ذلك استدلال عليه بما في سورة الجن وما في الأخفاف.

(١) الديوان: ١٩٤.

(٢) في الأصل: «الذين».

(٣) عبارة لم أتبين معناها ولعلها: «ينبئ».

(٤) لا توجد «الواو» في الأصل.

وذلك من أين يظهر [151]// أنه كان ليلة السؤل السعيد؟ وإنما ذلك بعد
نُبُوته ﷺ الظاهرة للبشر، وَبَعَثَهُ لِلْجَمِيعِ.

وقوله: (والأنوار ساطعة): إن حملنا الكلام على ما في ليلة
[المولد]⁽¹⁾، فقد أُخْبِرَتْ أَمْنَةُ بِمَا قَدَّمْنَاهُ، حَتَّى كُشِفَ لَهَا عَنِ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ، وَرَأَتْ قُصُورَ بَصْرَى، وَرَأَتْ عِلْمًا فِي كُلِّ جِهَةٍ، وَعِلْمًا عَلَى
الْكُفْيَةِ. وَكَانَتْ بِلَيْكِ [أَنْوَارًا]⁽²⁾ سَاطِعَةً. وَتَوَاتَرَتْ الْأَنْوَارُ الْحَسَنَةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ
إِلَى هَلَمَّ جَدًّا. وَتَحَمَّلَ الْأَنْوَارُ عَلَى السَّرِّيَّةِ عَلَى حَقَائِقِهَا، وَأَمَّا حَسْلُهَا عَلَى
الْأَدَلَّةِ الْمُحَدِّثَةِ أَنْوَارًا فِي الْقُلُوبِ، لِأَنَّ بِلَيْكِ الْأَدَلَّةَ الدَّائِمَةَ عَلَى صِدْقِهِ ﷺ
مِثْلُ: نَظَرِ الْجَمَادَاتِ، وَخِدْمَتِهَا إِنَاءَهُ، وَخِدْمَةِ الْحَيَوَانَاتِ [غَيْرِ الْعَاقِلَةِ]⁽³⁾
كَالْحِمَامِ وَالْعُنْكَبُوتِ، تَوَرَّتْ أَنْوَارًا سَاطِعَةً فِي الْقُلُوبِ، وَكَانَتْ شَفَاقَ الْقَمَرِ
وَتَسْبِيحَ الْحَصَى فِي كَفِّهِ.

وقوله: (والحق يظهر): الْحَقُّ الثَّابِتُ. وَضِدُّهُ: الْبَاطِلُ زَاهِقٌ. وَكَانَ
أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِتَزَايُدِ ظُهُورِهِ، فِي كُلِّ يَوْمٍ يُخْبِرُ بِسُغَيَّاتٍ فَتَنَعُ عَلَى حَسَبِ
مَا يُخْبِرُ بِهِ، وَيُدْعَى بِإِنْيَانِ مُعْجِزَةٍ فَتَنَعُ عَلَى حَسَبِ دَعْوَاهُ، وَكَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ
عَلَيْهِ تَجَمُّاً بَعْدَ نَجْمٍ.

وقوله: (مَعْنَى وَمِنْ كَلِمٍ)، مَعَانِيهِ: صِفَاتُهُ الْقَائِمَةُ بِهِ، وَالصَّادِرَةُ عَنْهُ،
فَإِنَّهَا تُظْهِرُ الْحَقَّ مَعْنَى وَإِنْ لَمْ تَتَكَلَّمْ. (وَمِنْ كَلِمٍ): مِنْ آيِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ
كَمَا قَالَ بَعْدَ: (كَمْ جَدَلْتُ مِنْ جِدْلِ، وَكَمْ خَصَمْتُ مِنْ خُصْمٍ)⁽⁴⁾.

(1) في الأصل: «المولود» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(2) في الأصل: «أنوار».

(3) في الأصل: «الغير عاقلة».

(4) الديوان: 199، والبيت فيه:

«كم جدلت كلمات الله من جدل فيه وكم خصم البرهان من خصم».

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى (وَالْحَقُّ يَظْهَرُ)، أَيُّ: يُصَدِّقُ مَا حَقَّقَتْ بِهِ
الْحَقَّ، فَإِنَّ الْجَانَّ لَمَّا حَقَّقَتْ بِمَبْنَعِهِ أُبْدَتْ قَوْلُهَا الْمَعْنَايَ الصَّادِرَةُ إِظْهَاراً
لِتَبَيُّنِهِ. وَكَلِمَةُ الْقُرْآنِ الَّتِي جَاءَتْ مُصَدِّقَةً لَهُ فِي مَا ادَّعَاهُ، فَصَدَّقَتْ الْجَانَّ فِي مَا
بِهِ حَقَّقَتْ. وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ الظَّاهِرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمَةِ سِيرَتِهِ لَمَّا مِنْ
جِبِّ ظُهُورِهِ إِلَى زَمَنِ قَبْضِهِ وَوَفَاتِهِ. فَإِنَّ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى تَصَرُّفَاتِهِ أَظْهَرْتَ صِفَاتِهِ
صَلِيقَ دَعْوَاهُ مَعْنَى: إِذْ هِيَ صِفَاتٌ لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَى تَجْمُوعِهَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ.
وَإِذَا قَالِ: لَمْ يَفْعَ لَهُ قَطُّ كَلِمَةً غَيْرَ مُطَابِقَةٍ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ، فَإِنَّهُ أَهْرُ فِي قَوْلٍ لَا
وَقَوْلٍ نَعَمْ.

وَبِهِ كَلَامُهُ عَضُدُ الاستدلال بالاستدلال، وَيُسْقِيهِ بَعْضُ أَرْبَابِ عِلْمِ
الْبَيَانِ^(١) بِالتَّجْيِيلِ^(٢) وَذَلِكَ يَقَعُ فِي عَظِيمِ السَّلِّ بِالسَّلِّ: كَمَا بَأَنِي بِسَلِّ صَحِيحِ
مَشْهُورٍ مَعْلُومٍ عِنْدَ السَّامِعِينَ، ثُمَّ يُزِدُهُ بِدَلِيلٍ يُصَحِّحُ السَّلِّ الْأَوَّلَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ
لَمَّا قَالَ: إِنَّ مَعَايِهُ كُلَّهَا^(٣) تَدُلُّ عَلَى تَخْفِيقِ دَعَاوِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَكَذَا كَلِمَتُهُ إِذَا
حَدِّقَهَا ظُهُورُ الْحَقِّ مِنْ مَعَايِهِ الْقَانِئَةِ بِهِ، وَمِنْ كَلِمَةِ الصَّادِرَةِ عَنْهُ

وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: (وَالْحَقُّ يَظْهَرُ) رَاجِعٌ إِلَى مَعْنَى آخِرِهِ، وَكَأَنَّهُ
يَقُولُ: كَانَتْ الْحَقُّ تَوَارَتْ بِهَيْئَتِهَا فِي قُلُوبِ السَّامِعِينَ ظَنُونًا، ثُمَّ تَوَاتَرَ مَا رَفَعَ
التَّوَهُّمَاتِ، وَهُوَ الْحَقُّ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ (يَظْهَرُ) بِمَعْنَى: التَّصْدِيقِ، وَالْعُلُوفُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَلَمَّا آتَيْنَا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَفَزَحْنَاهُمْ﴾ (الصف: ١١٨)^(٤) وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: كَانَتْ
الْحَقُّ تَهْتَفُ، وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ طَرِيقَ الرَّيِّعِ إِخْسَادَ مَا سَمِعُوهُ، وَالْحَقُّ يَغْلُو
وَلَا يَغْلُو عَلَيْهِ: ﴿وَلَمَّا نُبَوِّهِمْ﴾ (الصف: ١٨)^(٥).

(١) في الأصل: «بعض أرباب علم الكلام» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(٢) سبق بحثه: ص 72.

(٣) في الأصل: «فأصبحوا على عدوهم ظاهرين».

(٤) في الأصل: «كره المشركون».

و(مِنْ) فِي قَوْلِهِ: (مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمٍ) يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِبَيَانِ الْجِنْسِ.
وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ دَاخِلَةً لِحَلِّبِ الْقَافِيَةِ لِلْحَفْظِ، وَكَأَنَّ الْأَصْلَ أَنْ يَقُولَ: وَالْحَقُّ
بَعْضُهُ مَعْنَى كَانَ أَوْ كَلِمًا. لَكِنْ دَعَاؤُهُ لِإِدْخَالِ (مِنْ) جَلَّاهُ حَفْظَ مِمِ الْكَلِمِ،
وَهَذَا نَوْعٌ يُقَالُ لَهُ: (التَّرْصِيفُ).

وَبِى الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النِّظِيرِ، إِذْ جُمِعَ بَيْنَ مُتَنَاسِبَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ فَإِذَا هَتُوفُ
الْجِنِّ، وَمَا صَحَّحَ مَا هَتَفَتْ بِهِ مِنْ كَلِمٍ وَمَعَانٍ مُتَنَاسِبَةٍ.

وَفِيهِ: (الْجَنَمُ) بَيَانُ الْمُبْدَأِ إِذَا قُلْنَا: السَّعَابِي الظَّاهِرَةُ: [152]// كَلِمًا
حَدَّثَ بِطَرْدِ الْجِنِّ عَنِ الْاسْتِمَاعِ وَتَنَكُّيسِ الْأَصْنَافِ، وَالْكَلِمُ: هَتَفُ الْجِنِّ، لِأَنَّهُ
كَانَ مِنْهُمْ بِمَا هُوَ كَلِمٌ، وَيَكُونُ هَذَا أَعْمُ فَيَدْخُلُ كُلُّ مَعْنَى تَزِيدُ إِظْهَاراً لِنُبُوتهِ،
وَكُلُّ كَلِمٍ صَرَّحَتْ بِهَا، وَمِنْهَا كَلِمُ الْجِنِّ، فَبَيَّنَ ذَلِكَ الْهَتَفُ بِأَنَّهُ كَانَ كَلِمًا.

وَفِيهِ: (الْحَمْعُ)، وَقَدْ بَيَّنَّا حَقِيقَةَ الْحَمْعِ. وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ الْجَمْعُ وَالْفَرْقُ؟
وَالْجَمْعُ هُنَا وَفَعِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْمَعْنَى وَالْكَلِمُ، وَهُوَ إِظْهَارُ
الْحَقِّ.

وَهُنَا أَيْضًا: (الْعُكْسُ وَالتَّبْدِيلُ)، وَهُوَ أَنَّهُ بَدَأَ أَوَّلًا بِالْكَلِمِ، وَفَعِ هَتَفَ
الْجِنِّ، وَتَنَى بِالْمَعْنَى وَهُوَ سَطْوُ الْأَنْوَارِ، ثُمَّ عَكَسَ فَقَالَ: (وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ
مَعْنَى) وَهِيَ سَطْوُ الْأَنْوَارِ (وَمِنْ كَلِمٍ) وَهِيَ هَتَفُ الْجِنِّ بِعَكْسِ التَّرْتِيبِ. وَقَدْ
قَدَّمْنَا فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ مَا فِي الْآيِ مِنْهُ.

وَفِيهِ: الْإِرْصَادُ، وَهُوَ مَعْنَى عَظِيمٌ، وَدَلَالَةٌ عَلَى قُوَّةِ الْفِكْرِ كَبِيرَةٍ. كَمَا
قِيلَ: إِنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ رَأَى جَارِيَةً مِنْ جَوَارِيهِ تَعَوْمُ فِي الصُّهْرِيحِ، فَأَقْبَلَ
إِلَيْهَا، فَفَرَّتْ مِنْهُ، فَلَمْ تَجِدْ أَيْنَ تَتَوَارَى إِلَّا فِي بَيْتِ السَّلَاحِ، فَأَلْسَدَ: (كَامِلٌ)
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِذَاتِ ظَرْفٍ سَاجِرٍ تَحْتَالُ بَيْنَ أَسْنَةٍ وَبَوَاتِرٍ^(١)

(١) البيت الأول من نظم المعتمد بن عباد وروايته «من لي بساحرة الحفون غريبة»

وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرِهَا

وَارْتَجَّ عَلَيْهِ فِي الشَّظَرِ الْآخِرِ، مَخْرَجٌ إِلَى يَعْضِ كَسْبَتِهِ، وَأَنْشُدَ الْبَيْتَ
وَالشَّظَرَ، فَقَالَ لَهُ بَعْدُ:

وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرِهَا كَالْطَّلِّ يَقْطُرُ مِنْ جَنَاحِ الطَّائِرِ

فَقَالَ لَهُ: مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا الْعَجْزِ؟ قَالَ: الصَّدْرُ، وَهَذَا هُوَ الْإِرْضَادُ،
فَإِنَّ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ قَافِيَةَ الْقَصِيدَةِ⁽¹⁾ الْبُرْدَةُ سَيَمُ، فَإِذَا سَمِعَ (وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ
مُغْنَى) يَقُولُ بِالضَّرُورَةِ: (وَمِنْ كَلِمِ)، فَإِنَّ تَدْيِ الْأَلْفَاظِ جَذْبُهُ ضَرُورَةٌ كَقَوْلِ
الشَّاعِرِ: (طويل)

وَإِنَّ لِسَانِي شَهِيدٌ يَهْتَدِي بِهَا وَهُوَ عَلَى مَنْ حَبَبَهُ اللَّهُ عَلَقَمٌ⁽²⁾

فَإِنَّ الْقَصِيدَةَ كَالْتِ مَبِيتَةٍ، وَتَقْدَمُ لَفْظُ الشَّهَدَةِ، وَهِيَ خُلُوعٌ، فَكَانَ مُقَابِلَهَا
عَا هُوَ مُرٌّ وَيَكُونُ آخِرُهُ [مَبِيتاً]⁽³⁾، فَتَعَيَّنَ (عَلَقَمٌ)، وَكَقَوْلِ الْآخِرِ فِي قَصِيدَةِ
جِيمِيَّةٍ: (طويل)

فَحَسَنَ رَامٌ تَقْوِيمِي فَإِنِّي مُقَوِّمٌ وَمَنْ رَامَ تَغْوِيْجِي فَإِنِّي مُعَوِّجٌ⁽⁴⁾

تَعَيَّنَ بَعْدَ ذِكْرِ التَّقْوِيمِ، وَالْمِثْلُ إِلَى ضَدِّهِ، سَمِعَ كَوْنُ الْقَافِيَةِ حِسَاباً، أَنَّ
الْمُرَادَ مُعَوِّجٌ، وَكَذَا قَوْلُ عَنْتَرَةَ⁽⁵⁾: (كامل)

* وهو في ديوانه: والثاني من نظم أبي الوليد الطليوسي المعروف بالنحلي برواية:
"يتدى بماء الورد مسبل شعرها". ينظر القصة في: نفح الطيب: 3/ 233 - 234،
المسلك السهل: 341.

(1) في الأصل: «القصيد».

(2) سبق تخريجه: ص 313.

(3) في الأصل: «ميم» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(4) البيت لصالح بن جناح اللحي، وهو في: غدد الشعر: 143، عيون الأخبار: 1/ 289
منسوب لمحمد بن وهب، الصناعتين: 371، نزهة الأبصار: 63، تحرير التهجير:
189، نهاية الأرب: 6/ 65، المستطرف: 1/ 156، تفسير القرطبي: 2/ 357.

(5) هو عنتره بن شداد بن معاوية العبسي، شاعر جاهلي، فرس جواد، من أصحاب =

وَإِذَا خَلَلْتَ بِظَالِمٍ كُلِّ ظَالِمٍ وَإِذَا ثَقِيتَ ذَوِي الْجِبَالَةِ قَاجِهَلِ
 الْقَافِيَةُ لَامٌ، وَأَوَّلُ الْكَلَامِ يَسْتَدْعِي تَمَامَهُ. وَفِي الْقَصِيدَةِ الْمَسْبُوبَةِ: (بسيط)
 الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تُعْرِفُنِي وَالضَّرْبُ وَالطَّعْنُ وَالْفِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ⁽¹⁾
 تَعَيَّنَ عِنْدَ السَّامِعِ بَعْدَ ذِكْرِ الْفِرْطَاسِ وَكَوْنِ الْقَافِيَةِ مِيسَاً آلَهُ الْقَلَمُ
 وَفِي قَوْلِ الْمُتَنَبِّي فِي الْقَصِيدَةِ الْبَاقِيَةِ بِرَفْعِهَا: (بسيط)
 الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تُعْرِفُنِي وَالضَّرْبُ وَالطَّعْنُ وَالْفِرْطَاسُ وَالْكُتُبُ⁽²⁾
 لَمَّا كَانَ الْقَافِيَةُ بَاقِيَةً يَسْرِي الْعَقْلُ لِلْكَلِمَةِ ضَرُورَةً.



-
- المعلقات. ترجمته في: (طبقات ابن سلام: 1/ 152، الشعر والشعراء: 1/ 250).
 والبيت في الديوان: 134 بشرح التبريزي برواية: «إذا بليت...».
 (1) البيت للمتنبي، وهو في: ديوانه: 3/ 369، البتيمة: 1/ 213 برواية: «والسيف
 والرمح»، نزهة الأبصار: 137 برواية: «والطعن والضرب»، العمدة: 1/ 171
 برواية: «فالخيل...» والحرب والضرب...، نهاية الأرب: 7/ 130.
 (2) لا توجد هذه القافية في رواية الديوان.

عَثُوا وَصَفُّوا فَبِإِعْلَانِ الْبَشَائِرِ لَمْ تَسْمَعْ وَبِإِرْقَةِ الْإِنْذَارِ لَمْ تُشْم⁽¹⁾

شرح: هَذَا الْبَيِّنُ وَإِنْ كَانَ مَذْكُوراً عَقِبَ ذِكْرِ مَا وَقَعَ بِالْفَرَسِ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ رَأَى الْبَرَاهِينَ، وَالْأَنْوَارَ، وَالسَّعْجَرَاتِ، وَتَأَخَّرَ عَنِ الْإِيمَانِ؛ إِذْ قَدْ ظَهَرَتْ لَهُمُ الْآيَاتُ وَاسْتَهْوَتْ لَهُمُ الدَّلَائِلُ الْوَاضِحَةُ، [الْبَيِّنَةُ] ⁽²⁾، وَإِلَّا فَقَدْ ظَهَرَتْ لَهُمُ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ. ذَكَرَ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ ثَابِتٍ الْبَغْدَادِيَّ ⁽³⁾ نَحْوَهُ مِمَّا رَوَى يَحْيَى بْنُ عَمْرٍو ⁽⁴⁾ عَنْ أَبِيهِ ⁽⁵⁾، أَنَّ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ: وَرَقَةُ بْنُ نَفَلٍ ⁽⁶⁾ وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو ⁽⁷⁾ مِنْ ثُقَيْلٍ ⁽⁸⁾ وَعَهْدُ اللَّهِ تَنْ

(1) الديوان: 195.

(2) في الأصل: «البيئات».

(3) هو أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي البغدادي، حافظ لأحد علامة متني محدث وقته، له حوالي ستين تصنيفاً. ترجمته في: (الأنساب: 151/5، الباب: 265/1، وفيات الأعيان: 92/1، تذكرة الحفاظ: 1135/3، سير النبلاء: 270/18).

(4) هو يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، عالم من أعلام المدينة، له شعر ورواية قليلة. ترجمته في: (نسب قريش: 246 - 247، جمهرة الأنساب: 215، المحجر: 262، تهذيب التهذيب: 285/11، الأعلام: 156/1).

(5) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو عبد الله الأسدي، أحد الفقهاء السبعة، ابن حوارى رسول الله وابن غمته صفية. ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 178/5، طبقات الفقهاء للشيرازي: 58، شذرات الذهب: 103/1، سير النبلاء: 421/4).

(6) هو ورقة بن نوفل بن أسد القرشي، حكيم جاهلي، لم يدرك البعثة وقبل أن يهاجر في أوائلها، (ت/نحو 212ق.هـ). ترجمته في: (الإصابة: 633/3، الأعلام: 131/8).

(7) في الأصل: «عمر» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(8) هو زيد بن عمرو بن ثعلبة، كان قد رفض الأوثان ولم يأكل من ذبائحها، وهو من رجال عدي بن كعب، له شعر في تجنب الأصنام. ترجمته في: (الاشتقاق: 134 - 135، جمهرة أنساب العرب: 150).

جَحْشٍ⁽¹⁾ وَعُثْمَانُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ⁽²⁾ [153] // كَانُوا عِنْدَ صَنَمٍ لَهُمْ، قَدْ اجْتَمَعُوا
إِلَيْهِ يَوْمًا اتَّخَذُوهُ عِبْدًا فِي كُلِّ سَنَةٍ لِتَعْظِيمِهِ، فَيَنْحَرُونَ فِيهِ الثَّوْقَ، وَيَأْكُلُونَ،
وَيَشْرَبُونَ؛ فَرَأَوْهُ مَكْبُوبًا عَلَى وَجْهِهِ، فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَأَقَامُوهُ عَلَى حَالِهِ،
فَانْقَلَبَ انْقِلَابًا عَنِيفًا مِرَارًا مُتَعَدِّدَةً، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ: مَا لَهُ قَدْ أَكْثَرَ
التَّنَكُّيسَ؟ إِنَّ هَذَا لِأَمْرٍ حَدَثَ! كَانَ ذَلِكَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا نَبِينَا
مُحَمَّدٌ ﷺ، فَجَعَلَ عُثْمَانُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ يَقُولُ: (طويل)

أَيَا صَنَمَ الْعَبِيدِ الَّذِي صُفِّ حَوْلُهُ صَنَادِيدُ وَفِدٍ مِنْ بَعِيدٍ وَمِنْ قُرْبِ⁽³⁾
تَنَكَّسْتَ مَقْلُوبًا فَمَا ذَاكَ قُلْ لَنَا بَعَاكَ سَفِيهٌ أَوْ تَكَوَّسْتَ بِالْغَيْبِ
فَإِنْ كَانَ مِنْ ذَنْبٍ أَتَيْنَاهُ فَإِنَّا نَبُوءُ بِإِقْرَارٍ وَتَلْوِي عَنِ الذَّنْبِ
وَإِنْ كُنْتَ مَعْلُوبًا تَكَوَّسْتَ صَاغِرًا فَمَا أَنْتَ فِي الْأَوْثَانِ بِالسَّيِّدِ الرَّبِّ
لَمْ أَقَامُوهُ أَيْضًا وَأَوْقَفُوهُ، فَهَتَفَ بِهِمْ مِنْ جَوْفِ الصَّنَمِ هَاتِفٌ بِصَوْتِ
جَهِيرٍ غَرِيٍّ مُبِينٍ: (طويل)

تَرَدَّى لِمَوْلُودٍ أَنَارَ لِنُورِهِ جَمِيعُ فَجَاجِ الْأَرْضِ فِي الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ⁽⁴⁾
وَحَرَّتْ لَهُ الْأَوْثَانُ طَرًّا قَارَعَدَتْ قُلُوبُ مُلُوكِ الْأَرْضِ كُلًّا مِنَ الرُّعْبِ
وَنَارُ جَمِيعِ الْأَرْضِ يَاحَتْ وَأَظْلَمَتْ وَقَذَبَاتُ شَاهِ الْقُرْسِ فِي أَعْظَمِ الْكُرْبِ
وَرَاحَتْ عَنِ الْكُهَّانِ بِالْغَيْبِ جُنْهَا فَلَا مُخْبِرَ فِيهِمْ بِصِدْقٍ وَلَا كَذِبِ

(1) هو عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر الأسدي، صحابي هاجر إلى بلاد الحبشة ثم إلى المدينة، وكان من أمراء السرايا، قتل يوم أحد شهيداً. ينظر: (الحلبة: 108/1، المحبر: 86 - 116، الإصابة: رقم 4574، الأعلام: 76/4).

(2) هو عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي، كان هجاء، له حديث في المغازي. ترجمته في: (الاشتقاق: 95، جمهرة أنساب العرب: 118 - 119).

(3) الآيات في: الخصائص للسيوطي: 52/1.

(4) الخصائص: 52/1، «وراحت عن الكهان جنها»، «يا لقسي ارجعوا عن ضلالكم»، السيرة الحلبي: 116/1.

فَيَا لِقْصِي شَمِّرُوا عَنْ صَلَاتِكُمْ وَهَبُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ⁽¹⁾

وَهَذَا يُؤَيِّدُ قَوْلَ مَنْ قَالَ فِي قَوْلِ الْبُوصَيْرِيِّ: (وَالْحِنْ تَهْتِفُ): إِنَّهُ الْحِنْ الْمُؤْمِنُ، لِأَنَّهُ تَحْضِيضُ هَذَا الْهَاتِفِ عَلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ، وَتَبْدِ الْأَوْتَانِ، يَذُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْحِنْ الْمُؤْمِنِ أَوْ مِنْ كَلَامِ مَلِكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَمَنْ يُعَايِنُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ، وَالْأَنْوَارِ السَّاطِعَةِ، ثُمَّ لَمْ يُقْلِعْ عَنْ عَيْهِ، فَقَدْ عَمِيَ وَصَمَمَ؛ وَإِلَّا فَقَدْ هَتَفَتْ هَوَاتِفُ الْجَانِّ، وَفُسِّرَتْ لَهُمْ رُؤَى الْمُؤَبَّدَانِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، فَهُوَ أَصَمٌّ أَعْمَى. وَالْمُشْمِرُ يَنْتَفِي لَانْتِفَاءِ ثَمَرَتِهِ، فَالْعَمَى وَالصَّمَمُ الَّذِي يُوصَفُ بِهِ الصَّحِيحُ الْحَاسَّةُ هُوَ عَدَمُ وَصُولِ الْحَقِّ إِلَى قُلُوبِهِمْ؛ فَالصَّمَمُ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ، وَكَذَلِكَ الْعَمَى، وَهُوَ غَيْرُ عَمَى الْعَيْنِ وَلَا صَمَمِ الْأُذُنِ؛ فَالصَّمَمُ وَالْعَمَى فِي الْقَلْبِ مَعْنَوِيٌّ وَصَمَمٌ وَعَمَى الْأُذُنِ حِسِّيٌّ.

(وَالْإِعْلَانُ): الْإِظْهَارُ، يُقَالُ: أَعْلَنَ يُعْلِنُ إِعْلَانًا. وَ(الْبَشَائِرُ): جَمْعُ بَشَارَةٍ، وَهِيَ مَا تُحَدِّثُ عِنْدَ سَامِعِهَا سُرُورًا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ سَامِعِهَا قَبْلَ سَمَاعِهَا.

وَقَوْلُهُ: (لَمْ تُسْمَعْ): يُرْوَى بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ. فَالْأَوَّلَى: رَاجِعَةٌ لِلْإِعْلَانِ. وَعَلَى الثَّانِيَةِ: إِمَّا لِلْبَشَائِرِ وَإِمَّا لِلْإِعْلَانِ، لِكُنْهُ أَضِيفَ إِلَى مُؤَنَّثٍ فَانْتَسَبَ مِنْهُ الثَّانِيَةُ.

وَقَوْلُهُ: (وَبَارِقَةُ الْإِنْذَارِ): الْبَارِقَةُ: مِنَ الْبَرَقِ، وَهُوَ اللَّمْعُ. يُقَالُ: بَرَقَ اللَّوْنُ وَالشَّيْءُ: إِذَا أَضَاءَ وَلَمَعَ. وَبَرَقَ الطَّعَامُ: إِذَا جُعِلَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الرِّيثِ. وَبَرَقَ الْبَصَرُ: لَمَعَ، أَوْ تَحَيَّرَ عِنْدَ الْبُهْتِ. وَبَرَقَ الرَّجُلُ: دَهَشَ. وَبَرَقَتِ الْإِبِلُ: إِذَا شَكَّتْ بُطُونُهَا عَنْ أَكْلِ الْبُرُوقِ⁽²⁾. وَأَمَّا أَبْرَقَتِ النَّاقَةُ إِذَا ضَرَبَتْ نَفْسَهَا بِذَنَبِهَا عَلَى عَجْزِهَا مَرَّةً، وَعَلَى فَرْجِهَا أُخْرَى. وَأَبْرَقَ الْقَوْمُ: إِذَا صَارُوا فِي الْبَرَقِ. [154]// وَالْمَادَّةُ مُسَبَّغَةٌ.

(1) تنظر القصة في: الروض الأنف: 1/ 253، الخصائص: 1/ 52، شرح المواهب: 1/ 276، السيرة الحلبية: 1/ 116.

(2) البروق: قال أبو حنيفة: البروق: شجر ضعيف له ثمر حب أسود صغار. ل/ برق.

وَالْإِنْذَارُ): مَضْدَرُ أَنْذَرَ. وَكَأَنَّ مَا لَاحَ مِنْ الْآيَاتِ، وَظَهَرَ مِنَ
الْمُعْجَزَاتِ، إِنَّمَا كَانَتْ إِنْذَاراً لِيَتَأَقَّبُوا لِمَجِيءِ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَى اللَّهِ،
الْعَظِيمِ، الْمُعْظَمِ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَسْرِهَا.

وَلَمْ تُشَمِّمْ، أَي: لَمْ تَظْهَرْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: شَمَمْتُ السَّحَابَ: إِذَا نَظَرْتُ
إِلَى أَيْنَ يَسِيرُ. وَالْكَلَامُ: عَلَى حَذْفِهِ مَمْرَةٌ الْإِنْكَارِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَفَاعِلَانِ الْبَشَائِرِ
لَمْ تَسْمَعْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [النمر: 15]، لَأَنَّ إِعْلَانَ الْبَشَائِرِ
تَمَّ وَبَارِقَةُ الْإِنْذَارِ قَدْ مَلَأَتْ الْأَفَاقَ، وَإِنَّمَا مَنَعَهُمُ الْخِذْلَانُ، وَحَقَّتْ كَلِمَةُ
الْعَذَابِ.

وَقَوْلُهُ: (عَمُوا وَصَمُوا): مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.

وَفِي الْبَيْتِ أَيْضاً: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ مَعَكُوسَاً، وَذَلِكَ أَنَّهُ أُعْطِيَ الْأَوَّلُ
لِلثَّانِي، وَالثَّانِي لِلأَوَّلِ، إِذْ قَدْ قُدِّمَ الْعَمَى، وَفُسِّرَ بِمَا لَمْ يُسْمَعْ مُقَدِّمًا عَلَى مَا
لَمْ يُشَمِّمْ. وَاللَّفُّ وَالنَّشْرُ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (بسيط)

لَا يَمْنَعَنَّكَ حَفْضُ الْعَيْشِ تَطْلُبُهُ نُزُوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانٍ⁽¹⁾

تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلاً بِأَهْلٍ وَجِيرَاناً بِجِيرَانٍ

قُدِّمَ فِي الثَّانِي مَا أَخَّرَ فِي الْأَوَّلِ، وَقُدِّمَ مَا أَخَّرَ فِيهِ. وَمَعْنَى كَلَامِ هَذَا
الشَّاعِرِ كَمَا قَالَ الْآخَرُ: (طويل)

فَلَا تَلْتَفِتْ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ إِنَّهُ ضَلِيلٌ وَمَنْ ذَا يَهْتَدِي بِمُضَلِّلٍ⁽²⁾

(1) البيهقي لإبراهيم بن عباس الصولي، وهما في ديوانه: 151، وقال في وفيات
الأعيان: «وهما في ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري»، ونسباً لأبي تمام في بهجة
المجالس: 244/1 وليسا في ديوانه. ينظر: شرح الحماسة للمرزوقي: 277/1،
وللتبريزي: 147/1 و3/115، وللاعلم: 708/2 برواية: «في دعة × نزاع»، وفي
معجم الأدباء: 182/1 برواية: «وأرض بأرض»، وهما غير منسوبين في: عيون
الأخبار: 235/1، والتذكرة السعدية: 200، وديوان الطوائف الأدبية: 151.

(2) سبق تخريجهما: ص 111.

فَفِي الْأَرْضِ أَخْبَابٌ وَفِيهَا مَنَازِلٌ فَلَا تَبْكُ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ

وَفِي الْبَيْتِ مِنْ قَوْلِهِ: (عَمُوا وَصُفُوا) مَجَازَانِ: إِفْرَادِيٌّ وَتَرْكِيبِيٌّ:

أَمَّا الْإِفْرَادِيُّ: فَفِي إِطْلَاقِ الْعَمَى عَلَى عَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْبَصَرِ، وَهُوَ مِنْ تَسْمِيَةِ

الْمَعْنَى بِاسْمِ سَبَبِهِ، فَإِنَّ الْعَمَى سَبَبٌ فِي عَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْبَصَرِ، كَمَا فِي: (وَاغْرِ)

رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا⁽¹⁾

لَأَنَّ الْغَيْثَ سَبَبٌ وَجُودِ الرَّغْيِ.

وَأَمَّا التَّرْكِيبِيُّ: فَفِي إِسْنَادِ الْعَمَى إِلَى مَنْ لَيْسَ بِأَعْمَى إِسْنَادٌ مُتَأَوَّلٌ، كَمَا

هُوَ عِنْدَ أَرْبَابِ عِلْمِ الْبَيَانِ؛ وَذَلِكَ كَمَا لَوْ قَالَ قَاتِلٌ: الْمَلِكُ يَقْتُلُ فُلَانًا، فَإِنَّهُ

أَرَادَ: يَأْمُرُ بِقَتْلِهِ، فِإِضَافَةُ الْقَتْلِ إِلَى الْآمِرِ مَجَازٌ إِفْرَادِيٌّ. فَلَوْ قَالَ الْمَلِكُ

يَنْفُسُهُ: نَقُتِلُ فُلَانًا، كَانَ مَجَازًا تَرْكِيبِيًّا؛ وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: الْمَلِكُ يَقْتُلُ

فُلَانًا، بِمَعْنَى: يَأْمُرُ بِالْآمِرِ، فَمَا يُحْدِثُهُ الْمَلِكُ بِنَفْسِهِ. وَإِذَا قُلْتَ ذَلِكَ أَسَنَدْتَ

إِلَيْهِ الْفِعْلَ حَقِيقَةً، وَلَا يَكُونُ فِيهِ الْمَجَازُ إِلَّا إِذَا اعْتَقَدْتَ الْقَتْلَ الْحَقِيقِيَّ، فَحِينَئِذٍ

يَكُونُ إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَيْهِ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ الْمَجَازِ.

وَقَوْلُ الْبُوصَيْرِيِّ: (عَمُوا وَصُفُوا) قَابِلٌ لِلْمَجَازَيْنِ: فَإِنْ قَصَدْنَا عَمَى

الْعَيْنِ كَانَ إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَيْهِمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَإِنْ قَصَدْنَا أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَمَلٌ مِنْ

عَمَى وَصُمٍّ، كَانَ إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَيْهِمْ عَلَى الْمَجَازِ. وَقَدْ تَبَّهَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ

النَّبَاهِيُّ الْأَغْرَنَاطِيَّ⁽²⁾ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِـ «الْمِصْبَاحِ» عَلَى التَّفْرِيقَةِ بَيْنَ عَمَى

الْبَصَرِ وَعَمَى الْبَصِيرَةِ بِكَلَامٍ مُسْتَحْسَنٍ.

(1) سبق تخريجه: ص 97.

(2) هو علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي النباهي، أبو

الحسن المعروف بابي الحسن الأغرناطي، قاض، من الأدباء والمؤرخين، صاحب

كتاب «قضاة الأندلس». ترجمته في: (نيل الابتهاج: 205، الإحاطة: 19/2،

الكتيبة الكامنة: 142)، أزهار الرياض: 5/2، الأعلام: 306/4.